

THE EXPANSE

JAMES S. A. COREY

جيمس س. أ. كوري



الجزء الثاني سلسلة المتسع

CALIBAN'S WAR

حرب كاليبان

ترجمة : محمود عاطف

Caliban's War

حرب كاليبان

الجزء الثاني من سلسلة (المُتّسع)

تأليف

جيمس س. أ. كوري

ترجمة

محمود عاطف



حرب كاليبان
Caliban's War
جيمس سـ أ. كوري
James S. A. Corey
محمود عاطف (المترجم).
الطبعة الأولى: جدة 1444هـ/2023م
رقم الإيداع: 1444/10103
ردمك: 978-603-8407-01-1
٦٦٠ ص، 5×8 بوصة



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر:
١- القصص الأمريكية أ.عاطف ، محمود (مترجم) ب العنوان
ديوي 808,83 1444/10103

www.yatakhayaloon.com
info@yatakhayaloon.com
@yatakhayaloon

الترجمة تحت إشراف	تصميم الغلاف	الإخراج الداخلي
Bears Factor Literary Agency FZC	أحمد الصباغ	Dr. Right

إهداء

إلى بِستر وكلارك..

مَنْ أوصلونا إلى هنا




أهم جروبات على تليجرام
يا حشون
هنا نسور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

استهلال

مي

قالت الآنسة كاري: "مَي، من فضلك نحّي لوحاتك جانبًا الآن، والدتكِ هاهنا".

استغرقها الأمرُ بِضعَ ثوانٍ لاستيعاب ما قالته المُعلِّمة؛ ليس لأن مَي لم تكن تعرف مقصود الكلمات -ها هي قد بلغت الرابعة من عمرها ولم تعد بَعْد طفلةً رضيعة- ولكن لأن الكلمات جاءت متنافرةً مع طبيعة العالم الذي تعهده. لم يسبق لأمها أن أتت لاصطحابها قط. كانت الأم قد ارتحلت عن جانيميد، واستقر بها المقام في محطة سيريس؛ لأنها -على حد تعبير والدها- بحاجة إلى أن تبقى بمفردها حينًا من الوقت. بدأ قلب مَي يخفق بشدة، فقد جال بخاطرها أن أمها قد عادتْ.

- "أمي؟"

جلست مَي على حامل لوحاتها المُصغَّر، ولكن رُكبة الآنسة كاري كانت تحجب عنها رؤية باب غرفة الملابس. انغمست يدا مَي في ألوان الأصابع، وتلطّخت راحتاها بدوائر حمراء وزرقاء وخضراء. انحنت إلى الأمام وأخذت بساق الآنسة كاري تشدُّها إليها حتى تقوى على النهوض.

صرخت الآنسة كاري: "مَي!".

انتبهت مَي إلى بقعة الطلاء التي خلّفتها على بنطال الآنسة كاري، وعاينت الغيظ المكظوم على ملامح وجهها المُمتقِع العريض.

- "آسفة، آنسة كاري"

"لا بأس"، هتفت المُعلِّمة بصوتٍ جَهُورِيّ، بما يدل على أن الأمر ليس كذلك حقًّا، ولكن مَي أفلتت من العقاب. "من فضلك، اذهبي واغسلي يديكِ ثم تعالي لتحصيل واجباتك المدرسية، سأُجهِّز لوحتك؛ لتأخذيها معك، بإمكانك عرضها على والدتك، أهذا جرو؟"

- "إنّه وحشٌ فضائي"
- "يا له من وحشٍ فضائي رائع للغاية، والآن من فضلكِ يا عزيزتي اذهبي واغسلي يديكِ".

أومأت مَي برأسها، والتفت راكضةً صوب الحمام، ومريلتها تُرفرف من حولها كريشة عالقة في مهب الريح.

- "ولا تلمسي الجدران!"
- "آسفة، آنسة كاري"
- "لا عليكِ، نظّفي الحائط فقط بعدما تفرغين من غسل يديكِ".

انغمرت يداها في الماء حتى زالت الألوان والدوائر المصبوغة عن جلدها. جفّفت يديها بحركات تمريرية ولم تنتبه إلى تقطير الماء من عدمه. شعرت أن قوانين الجاذبية قد تغيّرت وسحبتها نحو الممر والردهة بدلًا من الاتجاه إلى الأرض. راقبها الأطفال الآخرون مبتهجين مثلها، حيث نظّفت مَي أغلب علامات الأصابع العالقة بالحائط، وأعادت عبوات الطلاء مرة أخرى إلى صندوقها، ووضعت الصندوق على الرف. نزعت مريلتها عن رأسها فلم تتمهّل حتى تساعدها الآنسة كاري، وألقتها في سلة المُهملات.

في الردهة، وقفت الآنسة كاري مع شخصين بالغين آخرين، ليس من بينهما الأُم، إحداهما امرأةٌ لكن مَي لا تعرفها، ما تزال يدها مُمسِكةً بلوحة وحش الفضاء في حذر، بينما ارتسمت على وجهها ابتسامةٌ خجلى. كان الشخص الآخر هو دكتور ستريكلاند.

قالت الآنسة كاري: "لا، لقد كانت جيدة جدًّا، وذهبت إلى المرحاض، هناك حوادث عرضية بين الفينة والأخرى بالطبع".

ردّت المرأة: "بالطبع".

قال الدكتور ستريكلاند، وهو ينحني حتى إنه بدا بالكاد أطول منها:

- "مَي، كيف حال ابنتي الحبيبة؟"

ما كادت مَي تسأل عن والدتها وتقول: "أين-"، حتى قاطعها الدكتور ستريكلاند وضمها بين ذراعيه. كان أكبر من أبيها، وكانت رائحته تشبه رائحة الملح. أمالها للخلف، ودغدّغ جانبيها، فاستغرقت الطفلة في الضحك لدرجة أنها لم تعد قادرةً على الكلام.

قالت المرأة: "شكرًا جزيلًا لكِ".

صافحت الآنسة كاري يد المرأة قائلةً: "إنه لمن دواعي سروري مقابلتك، نحن حقًّا نحب وجود مَي معنا في الفصل الدراسي".

واصل الدكتور ستريكلاند دغدغة مَي حتى انغلق من خلفهم باب الحضانة. ثم التقطت مَي أنفاسها وتساءلت: "أين أمي؟"

أجابها الدكتور ستريكلاند: "إنها تنتظرنا، سنأخذك إليها الآن".

***

اتَّسمت الممرات الأحدث في جانيميد بالرحابة والخصوبة، وبصعوبة شديدة أُتيح لأجهزة إعادة تدوير الهواء الاستمرار في عملها. شَلْشَلَت شفرات سعف نخيل الأريكا، التي تمتاز بدقتها، وانسدلت من عشرات المزارع المائية. كما تدلّت على الجدران الأوراقُ العريضة المُخطَّطة باللونين الأصفر والأخضر لنبتة البوتس. بينما انداح من تحتها ثغر نبتة لسان الحماة بلونها الأخضر الداكن. وتوهَّجت المصابيح ذات الطيف الكامل باللون الذهبي الأبيض. أخبرها الأب يومًا أن هذه بالضبط الطريقة التي تشرق بها الشمس على كوكب الأرض، واستقر في مخيلة مَي أن ذلك الكوكب بمنزلة شبكة ضخمة مُعقّدة من النباتات والممرات، ومن فوقها تسبح الشمس في فلك السماء المصبوغة قبتُها بالزُّرقة واللمعان، كما تخيّلت أنه بإمكان المرء أن يتسلّق الأسوار إلى أن ينتهي به الأمر إلى أي مكانٍ في هذا الفضاء الفسيح.

استندت مَي برأسها على كتف الدكتور ستريكلاند، واشرأبّ عنقها من فوق ظهره وبدأت تُسمِّي كلَّ نبتةٍ يمرون عليها؛ نبتة الذلب ثلاثي الأحزمة، نبتة البوتس. تسميتها النباتات بأسمائها الصحيحة دائمًا ما كانت تجعلها قادرةً على انتزاع الابتسامة من أبيها. شعر جسدُها بالسكينة عندما قامت بتسمية النباتات بنفسها هذه المرة.

سألتها المرأة المزيد، ورغم ما بدا عليها من اللُّطف فإن مَي لم تسترح لنبرة صوتها.

هتف الدكتور ستريكلاند: "واصلي يا مَي، هذه النبتة هي الأخيرة".

قالت مَي: "نخلة الأريكا الصفراء".

تمتمت المرأة: "حسنًا"، ثم كرَّرت: "حسنًا"، ولكن المرة الثانية بمزيدٍ من اللطف:

كلما اقتربوا أكثر من السطح، ضاقت بهم الممرات. تبعث الأروقة القديمة في النفس شعورًا بأنها أكثر اتساخًا رغم أنها تخلو حقًّا من الأقذار. ولكن كل ما في الأمر أنها استُهلكت أكثر من غيرها. كانت المهاجع والمختبرات التي تقع بالقرب من السطح هي المكان الذي سكنه أجداد مَي حينما قدِموا إلى جانيميد. في تلك الأحيان، لم يكن هناك ما هو أبعد عمقًا. رائحة الهواء هناك كانت غريبة، وقد مضت أجهزة إعادة التدوير في عملها، تدوي وتتطاحن.

لم يتبادل الشخصان الحديث بعضهما مع بعض، ولكن من وقت لآخر كان الدكتور ستريكلاند ينتبه لوجود مَي معهما فيطرح عليها أسئلةً: ما برنامج الرسوم المتحرِّكة المُفضَّل لديكِ على قناة المحطة؟ من الصديقة المُقرَّبة لديك في المدرسة؟ أيَّ أنواع الطعام تتناولين على الغداء اليوم؟ توّقعت مَي منه طرح المزيد من الأسئلة الأخرى التي كان يطرحها دائمًا بعد ذلك؛ لذا جهّزت إجاباتها.

هل تشعرين بحكةٍ في حلقك؟ لا.

هل استيقظتِ متعرقةً؟ لا.

هل لاحظتِ نزول دم مع البراز هذا الأسبوع؟ لا.

هل تناولتِ دواءكِ مرتين يوميًّا؟ نعم.

لكن في هذه المرة، لم يسألها الدكتور ستريكلاند عن أيٍّ من تلك الأمور. أصبحت الأروقة التي ينحدرون إليها أبلغ في عتاقتِها وضيقها حتى اضطرت المرأة إلى السير خلفهم حتى يتسنى العبور للأشخاص القادمين من الاتجاه المعاكس. ما تزال المرأة تحمل لوحة مَي في يدها، مطويةً في أنبوب تحرزًا من تجعُّد الورقة.

توقفت خُطى الدكتور ستريكلاند عند باب بلا معالم واضحة، وأزاح مَي إلى فخذه الآخر، ثم أخرج جهازه اللوحي من جيب بنطاله. ها قد أدرج شيئًا ما في برنامج لم يسبق لَمي أن رأته من قبل؛ لينفتح الباب عند تدوير مقبضه، وتُصدِر الأختام أصوات فقاقيع كأنها تنبعث من فيلمٍ قديم. كانت الردهة التي يعبرون بها مكتظة بالصناديق المعدنية القديمة والمُهملة.

قالت مَي: "هذا ليس المستشفى".

قال الدكتور ستريكلاند: "هذا مستشفى خاص، أخالُكِ لم تأتي إلى هنا من قبل، أليس كذلك؟".

لا يبدو المكان كمستشفى بالنسبة لَمي، المكان أجال في خاطرها محطات المترو المُقفرة التي يتحدَّث عنها والدها في بعض الأحيان. المساحات السائبة منذ وقت بناء جانيميد لأول مرة، والتي لم يعد أحد يستفيد منها في شيءٍ باستثناء استخدامها بعد ذلك كمستودعات. في النهاية، كان ذلك نوعًا من غرفة معادلة الضغط، ومع ذلك عندما مروا من خلالها، استشكل عليها الأمر لتشابهها بالمستشفى، وإن كان المكان أشد نظافةً وتضوّعت فيه رائحة الأوزون، كما يحدث في غرف إزالة التلوث.

- "مَي! مرحبًا يا مَي!"

كان صبيًا أكبر منها سنًّا، ساندرو، تقريبًا في الخامسة من عمره. لوّحت مَي مُحَيِّيةً إياه بينما كان الدكتور ستريكلاند يعبر على مقربةٍ منه. سرت الطمأنينة إلى نفس مَي حينما علمت أن الأولاد الكبار منها يجيئون أيضًا إلى هذا المكان، وما دام كان الأمر كذلك، فإن الأمور على ما تُرام، حتى وإن لم تكن المرأة التي تسير بجانب الدكتور ستريكلاند هي والدتها التي تتذكّرها...

- "أين أمي؟"

قال الدكتور ستريكلاند: "سنذهب لرؤية والدتك في غضون دقائق قليلة، ثمة مسائل صغيرة فقط علينا إنجازها أولًا".

اعترضت مَي قائلةً: "لا، لا أريد ذلك".

حملها إلى عرفة تقارب في أجوائها عرف المُراقبة، وإن كانت تخلو من الرسوم المتحركة للأسود على الجدران، ولم تتشكّل الطاولات على هيئة أقراص القمر الباسمة. وضعها الدكتور ستريكلاند على طاولة فحص فولاذية وفرك رأسها. عقدت مَي ذراعيها وعبّرت عن تأفّفها.

قالت: "أريد أمي!". صرخت وضجت بالنخير، هكذا نفّست مي عن جزعها.

لطّف الدكتور ستريكلاند الأجواء بابتسامة ثم قال: "حسنًا، انتظري هنا، وسأرى ما يمكنني فعله حيال ذلك، أوميا؟"

- "أعتقد أننا مستعدون، تحقّق مع مركز العمليات، وقم بالتحميل، ثم دعنا ننطلق".
- "سأذهب لإعلامهم بذلك، ولتبقي أنتِ هاهنا".

أومأت المرأة برأسها، وتسلّل الدكتور ستريكلاند خارجًا من الباب. رمقت المرأةُ مَي بنظرة، وجهها الجميل لا يعرف الابتسام مطلقًا؛ لذا لم ينشرح لها صدر مَي. حدثتها مَي: "أريد لوحتي، إنها ليست لكِ، إنها لأُمي".

انتبهت المرأة للوحة في يدها وكأنها غفلت عن وجودها أصلًا. فكّت الأنبوب، وبسطت اللوحة.

قالت مَي: "إنه وحش الفضاء".

افترّ ثغر المرأة عن ابتسامة هذه المرة، وحملت اللوحة، ولكن مَي انتزعتها منها مما عرّض الورقة لبعض التجاعيد؛ لكنها لم تكترث بذلك. عقدت ذراعيها مرةً أخرى، وقطبت جبينها، وأطلقت نخيرها.

سألتها المرأة: "هل تحبين وحوش الفضاء، أيتها الطفلة؟"

- "أريد أُمي".

دنت منها المرأة واستنهضتها. كانت رائحتها كرائحة الزهور الاصطناعية، وأصابعها نحيلة.

قالت: "هيا أيتها الطفلة، سأُريكِ شيئًا".

مضت المرأة تاركةً مَي في حيرةٍ من أمرها، هي لا تحب تلك المرأة، ولكنها لا تحب أن تكون وحيدةً في هذا المكان، لذا تبعتها. دلفت المرأة إلى ممر قصير، وأدخلت رمزًا مفتاحيًّا في باب معدني كبير، مثل غرفة معادلة الضغط ذات الطراز العتيق، انفتح الباب لتعبر المرأة وتواصل مَي تتبُّع خطاها.

كانت الغرفة الجديدة باردة، وهذا أمرٌ لم يرُق لمي. لا تنطوي الغرفة على طاولة فحص، فقط اشتملت على صندوق زجاجي كبير كما لو كانوا يضعون الأسماك في الحوض، ولكنه كان جافًّا، وما بداخله ليس سمكة، أشارت المرأة إلى مَي لتقترب، وما إن دنت منها، طرقت المرأة بحدة على الزجاج.

وجَّه الشيء، القابع داخل الصندوق ناظريه إلى مصدر الصوت. إنه رجل! لكنه كان عاريًا، وجلده لم يكن يشبه الجلد. لمعت عيناه باللون الأزرق كما لو أن هناك نارًا مُسعَّرة في رأسه، وثمة عيبٌ ما في يديه يجعلها غير طبيعية. تقدَّم الرجل صوب الزجاج، وانطلقت مَي في الصراخ.

الفصل الأول

بوبي

قال الجندي هيلمان: "سنوبي بالخارج مرة أخرى، أعتقد لا بُدّ أن قائده حانقٌ عليه".

رفعت رقيبة المدفعية روبرتا درابر، من فيلق مشاة البحرية المريخية، معدِّل التكبير على شاشة عرض درعها، وحدّقت في الاتجاه الذي أشار إليه هيلمان، وعلى بعد ألفين وخمسمائة متر، تجلَّت فرقةٌ قوامها أربعة من مشاة بحرية الأمم المتحدة تطوف حول تمركُز قاعدتهم، أشاعت عليهم قُبة الدفينة الهائلة، التي يحرسونها، أضواؤها من الخلف. كانت قُبة الدفينة متطابقةً تقريبًا من النواحي كافة مع القُبة التي كان فريقها يحرسها في الوقت الحالي. ظهرت على أحد أفراد مشاة بحرية الأمم المتحدة بقع سوداء على جانبي خوذته تماثل في منظرها آذان كلاب البيجل.

قالت بوبي: "أجل، إنه سنوبي، كان موجودًا في كل دورية مُشاركة حتى يومنا هذا، أتساءل ماذا تُراه فعل؟"

يجعلك أداء خدمة الحراسة حول الدفينات في جانيميد تبذل كل ما في وسعك ليبقى عقلك منهمكًا في الأمر، بما في ذلك التكهُّن بحياة مشاة البحرية على الناحية الأخرى.

الناحية الأخرى، لم تكن ثمة نواحٍ قبل ثمانية عشر شهرًا؛ حيث كانت جميع الكواكب الداخلية تُشكِّل عائلةً واحدةً كبيرةً مغمورةً بالسعادة حتى وإن بدت مضطربة قليلًا، ثم كان إيروس، والآن غدت هناك قوتان عُظميان يتقسم بينهما النظام الشمسي، بينما كان جانيميد هو القمر الذي لم يقوَ أيٌّ من الجانبين على التخلي عنه، إنه يُمثِّل المصدر الغذائي الذي يقتات عليه نظام المُشتري

اختُصّ ذلك القمر بأنه المكان الوحيد الذي تحظى فيه المحاصيل المزروعة داخل القباب بفرصة للنمو في الحزام الإشعاعي لكوكب المُشتري رغم ظروفه القاسية، وذلك

لأن جانيميد ينفرد عن سائر الأقمار باشتماله على الأغلفة المغناطيسية كافة. وحتى على الرغم من ذلك، فما يزال الوضع يُحتِّم حماية القباب والموائل لوقاية المدنيين من الشهابية ريهات، وهي وحدة الإشعاع، التي تنحرف يوميًّا في المُشتري وتنطلق نحو سطح القمر وكان درع بوبي قد صُمِّم بطريقةٍ تسمح للمتحدي بالسير عبر الهوّات التي تنشأ عن القنابل النووية بعد دقائق من حدوث الانفجار. كما ثبتت فعاليته في الحول دون حرق المُشترِي لمشاة البحرية المريخية.

توهجت القُبة المُضيئة خلف جنود دورية الأرض بفعل شعاع من ضوء الشمس الخافت الذي التقطته المَرايا المدارية الهائلة. ورغم وجود تلك المَرايا، فإن الذبول والموت قد داهما معظم النباتات بعد أن تضوّرت جوعًا نتيجة نقص أشعة الشمس. يُؤمِّل علماء جانيميد بشكلٍ كبير أن تظفر الإصدارات المُعدَّلة، التي ابتكروها، بفرصة للبقاء اعتمادًا على وميضٍ واهنٍ ينعكس إليها من المرايا.

قالت بوبي: "ليحلَّ مغيب الشمس قريبًا" بينما كانت لا تزال ترنو ببصرها إلى مشاة البحرية الأرضية خارج كوخ حراستهم الصغير، مع تيقّنها بأنهم يراقبونها أيضًا. فبالإضافة إلى سنوبي، فقد لمحت ذلك الشخص الذي يُطلقون عليه اسم ستومبي؛ لأن طوله لا يمكن أن يعدو مترًا وربع المتر. تساءلت عن اللقب الذي يطلقونه عليها، ربما بيج ريد؛ فما يزال درعها مُموَّهًا بعلامة سطح المريخ، ولم تكن قد استقرت في جانيميد وقتًا طويلًا يكفي بأن يترقّش باللونين الرمادي والأبيض.

خمدت أضواء المرايا المدارية واحدةً تلو الأخرى في غضون خمس دقائق، وذلك عند مرور جانيميد خلف كوكب المُشترِي لبضع ساعات، واستحال وهج الدفيئة المُضيئة خلفها إلى اللون الأزرق المُشبَع مع ظهور الأضواء الاصطناعية. ورغم أن مستوى الضوء العام لم يخفت كثيرًا، فإن الظلال تغيّرت في مراوغةٍ وغرابة. وفي الأعلى أشعّت الشمس- التي كانت تظهر كنجم لامعٍ أعظم من ظهورها كقرص- عندما مرت خلف محطة كوكب المُشتري، وللحظة تجلّى للأنظار نظام الحلقات الخافتة للكوكب.

قال العريف ترافيس: "سيعودون للداخل، سنوب يتبع أدبارهم. إنه رجلٌ قليل الحيلة، هل بإمكاننا الانصراف أيضًا؟"

أمعنت بوبي نظرها إلى ما حولها من جليد جانيميد المُتسِخ معدوم الشكل، ونقشتها قشعريرة من برودة القمر رغم ما تحصّنت به من درعٍ ذي تقنيات فائقة.

ردَّت: "لا".

سخط أفراد فرقتها من الأمر لكنهم اصطفوا في طابورٍ وهي تتقدّم مسيرتهم المتثاقلة منخفضة الجاذبية حول القُبة، وبالإضافة إلى هيلمان وترافيس، كان لديها أيضًا جندي مستجد في هذه الدورية الخاصة يُدعى جوراب. وعلى حين لم تتجاوز خدمته ضمن فريق مشاة البحرية دقيقة ونصف تقريبًا، غير أنه سرعان ما فاق زميليه في التذمُّر بصوتٍ مريخي جهير.

لم تستطع إلقاء اللوم عليهم، يبدو هذا الأمر وكأنه أحد مقتضيات العمل، وسيلة يلجأ إليها جنود المريخ في جانيميد ليبقوا مُنهمكين، وإذا ارتأى الأرضيون احتياجهم إلى السيطرة على جانيميد بالكامل، فلن يصدَّهم عن ذلك أربع همهمات تتجوّل حول قُبة الدفيئة. حينما تدور رحى الحرب ويحتدم الصراع في المدار بين العشرات من المركبات الحربية الأرضية والمريخية، فمن المُرجَّح أن يكتشف جنود المشاة البحرية القصف الأرضي عندما تندلع عمليات القصف السطحي.

ارتفعت القُبة على يسارها إلى ما يقارب نصف كيلومتر: وتبدّت في شكل ألواحٍ زجاجية مُثلّثة يفصل بينها دُعامات نحاسية لامعة أحالت الهيكل بأكمله إلى قفصٍ فاراداي ساحق. لم تَلِج بوبي أيًا من قباب الدفيئة قط، فقد أُرسلت من المريخ؛ كجزءٍ من خطة تدعيم القوات من الكواكب الخارجية، ومنذ يومها الأول تقريبًا وهي تسير في دوريات على السطح، لم يزد جانيميد في تصوُّرها عن كونه مرفأً فضائيًّا، وقاعدةً بحريةً صغيرة، أو موقع حراستها الأصغر حجمًا التي بدأت تدعوه مؤخرًا بـ "البيت".

شاهدت بوبي المناظر الطبيعية الاعتيادية إبَّان جولاتهم حول القُبة، لن يُكتب لمحطة جانيميد أن تتبدّل أحوالها إلا إذا ألمّت بها نازلةٌ عظيمة. يتكوّن السطح عالمًا من صخور السيليكات والجليد الأدفأ من الفضاء ببضع درجات، ومع أن الغلاف الجوي عبارة عن أكسجين رقيق حتى يكاد يكون فضاءً صناعيًّا، فإن محطة جانيميد لم تتآكل أو تتفسّخ. قد يُصيبها التغيُّر عندما تنهال عليه الصخور من الفضاء أو عندما ينصب الماء الدافئ من

النواة السائلة إلى السطح؛ ليخلق هذا التجمع المائي بحيراتٍ قصيرة الأمد، وإن كان لا يتكرّر حدوث أيٍّ من كلا الأمرين كثيرًا. إن المشهد يتغيّر كل ساعة في الوطن على سطح المريخ بفعل الرياح والغبار. أما هنا فالأمور تسير على خطى اليوم السابق، واليوم السابق له، واليوم السابق له. وحتى إذا لم تعُد قطّ، فإن آثار الأقدام ستُعمِّر أكثر منها وتخلد. بداخلها اعتبرت بوبي ذلك الأمر مُقبضًا على نحوٍ ما.

شكّل الصرير إيقاعًا لمجابهة صوت الهسيس والصدمات الملساء المنبعثة من درع قوتها، عادةً ما كانت تُبقي شاشة العرض المُزوّدة ببدلتها مصغرّةً؛ لأنها كانت مترعةً بالمعلومات لدرجة تجعلها تعرف كل شيء باستثناء ما يقبع أمامها بالفعل. الآن، سحبتها لأعلى، مُستخدمةً الومضات وحركات العين من أجل تصفُّح شاشة التشخيص المناسبة. نبّهها مؤشرٌ أصفر إلى انخفاض السائل الهيدروليكي في مُشغِّل الركبة اليسرى للبدلة. لا بُدّ أن هناك تسريبًا في موضعٍ ما، لكنه بطيء؛ لأن البدلة لم تتمكّن من اكتشافه.

قالت بوبي: "مهلًا يا رفاق، انتظروا دقيقة، هيلي، هل تمتلك في حزمتك أي سائل هيدروليكي إضافي؟"

أجاب هيلمان، وهو يُخرجه بالفعل من حزمته: "أجل".

- "قُم برشه على ركبتي اليسرى، من فضلك".

بينما جثا هيلمان على ركبتيه لإصلاح مشكلة بدلتها، دار بين جوراب وترافيس جدال يبدو أنه متعلّق بالرياضة، تجاهلت بوبي الأمر برمته.

قال هيلمان: "هذه البدلة تهالكت، عليكِ حقًّا ترقيتها، وإلا ستتكرّر تلك المشكلة في كثير من الأحيان كما تعلمين".

صدّقت بوبي على كلامه: "أجل، يجب عليّ أن أفعل ذلك"، ولكن ما أيسر القول وأعسر تنفيذه في الحقيقة، فلم يكن قوام بوبي مناسبًا لملائمة إحدى البدلات التقليدية، وفي كل مرة تطلب بدلة جديدة، كان مشاة البحرية يطوّقونها بخياراتٍ أحلاها مر؛ وذلك لأن طولها يتجاوز المترين بقليل، أي أعلى قليلًا من متوسط الطول للذكور المريخيين، وبفضل أسلافها البولينيزيين، كانت تزن أكثر من مائة كيلوجرام في جاذبية مقدارها ١ (ج)، دون أن تعاليها الدهون، ولكن يبدو أن عضلاتها كانت تتضخّم في كل

مرة تدخل عرفة حمل الأثقال، وبصفتها من جنود مشاة البحرية، فلقد كانت تتدرَّب طوال الوقت

كانت البدلة التي ترتديها الآن هي أول بدلة تُلائمها بدقة خلال اثني عشر عامًا من الخدمة الفعلية، وبالرغم من أنها تهالكت لطول ما ارتدتها بوبي، فإن محاولة الاستمرار في تشغيلها كانت أيسر عليها من محاولات الاستجداء والمطالبة ببدلة جديدة

بدأ هيلمان يُعيد أدواته عندما أصدر لاسلكي بوبي طقطقةً تُنبئ عن استعادته للإرسال.

- "من القاعدة الرابعة إلى ستيكمان".

أجابته بوبي: "عُلِم القاعدة الرابعة، هنا ستيكمان واحد، ابدأ الإشارة".

- "ستيكمان واحد، أين أنتم يا رفاق؟ لقد تأخرتم نصف ساعة، وهناك بعض الهراء يجري هنا".

قالت بوبي: "نحن آسفون، واجهنا مشكلةً في المُعِدّات". تساءلت في نفسها عن نوع الهراء الذي يجري هناك؛ لكن لم يكن مناسبًا طرح هذا السؤال عبر تردُّد مفتوح.

- "عودوا إلى القاعدة على الفور، أطلقنا أعيرة نارية على قاعدة الأمم المتحدة، ونحن في طريقنا للإغلاق".

استغرق الأمر لحظة من بوبي لتحليل ذلك، وبإمكانها رؤية رجالها يُحدّقون بها، وقد اعترى وجوههم مزيجٌ من الحيرة والرهبة.

سألته أخيرًا: "هل يُطلق الأرضيون النار عليكم؟".

- "ليس بعد، لكنهم يُطلقون النيران، عودوا إلى هنا فورًا".

انتصب هيلمان واقفًا. ثنت بوبي ركبتها مرة واحدة، ورأت المؤشر الأخضر على شاشة التشخيص الخاصة بها. أومأت برأسها إلى هيلمان شاكرةً إياه، ثم قالت: "العودة إلى القاعدة بالخطوة السريعة، هيا".

***

كانت بوبي وأفراد فرقتها ما يزالون على بُعد نصف كيلومتر من القاعدة عندما صدر الأمر بالاستنفار العام، ارتفعت شاشة العرض المُدمجة ببدلتها من تلقاء نفسها مُفعِّلةً وضع القتال، وبدأت حزمة المستشعرات عملها في ترصُّد أي استعداء، وقد ارتبطت بأحد الأقمار الصناعية لتحظى بإمكانية الرؤية من الأعلى. أحسّت بوبي بنقرةٍ بينما تحوّل المسدّس المُدمج بالذراع اليمنى للبدلة إلى وضع إطلاق النار.

لو أنَّ القصف المداري قد بدأ، لسمعت دوّي ألف إنذارٍ، لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من النظر إلى السماء على أي حال، لا ومضات تبرق ولا صواريخ تنطلق، لا شيء باستثناء الجزء الأكبر من كوكب المُشترِي.

سلكت بوبي طريقها نحو القاعدة في مسيرة طويلة مُتقافِزة، يتبعها أفراد فرقتها دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة. بإمكان أي شخص مُدرَّب على ارتداء بدلة زيادة القوة ذات القدرة على العمل في جاذبية منخفضة أن يقطع مساحة كبيرة من الأرض بسرعةٍ بالغة، ففي غضون ثوانٍ فحسب، لاحت القاعدة في الأفق حول مُنحنى القُبة، وبعد ثوانٍ قليلة دق ناقوس الخطر. كانت قوات مشاة بحرية الأمم المتحدة تشن هجومها على القاعدة المريخية، ها قد حمي وطيس الحرب الباردة التي دامت لسنةٍ كاملة. من وراء العقلية الرائعة للتدريب والانضباط، ومن مكانٍ ما في أعماقها، باغتتها الدهشة، فلم يكن يترامى إلى ذهنها أن هذا اليوم سيأتي حقًّا.

اصطف بقية أفراد فصيلتها خارج القاعدة في خط إطلاق نار لمواجهة مواقع الأمم المتحدة، وتكلّف شخصٌ ما بقيادة (يوجيمبو) على هذا الخط، وهو عبارة عن مدفع يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار فوق مشاة البحرية الآخرين؛ ليبدو كعملاقٍ مقطوعِ الرأسِ لكنه متحصِّن في درع قوته، وبينما تباطأت حركة المدفع أثناء تعقُّب قوات الأرض القادمة، فإذا بجنود الأمم المتحدة يُهروِلون لتغطية مسافة الألفين وخمسمائة مترٍ الفاصلة بين القاعدتين.

تمتمت متسائلةً. "لماذا لا يتحدث أحدٌ؟"، هذا الصمت الذي يخيّم على فصيلتها وكأن على رؤوسهم الطير يزيد من توتُّر الموقف.

بعد ذلك، وبمجرد وصول أفراد فرقتها إلى خط النار، أصدرت بدلتها تحذيرًا بتعرُّضها للتشويش. زالت الرؤية العلوية حال فقدان اتصالها بالقمر الصناعي، وتلاشت الإشارات الحيوية وتقارير حالة مُعدّات أفراد فرقتها عند انقطاع الاتصال في بدلاتهم. اختفى الصوت الخافت الذي كان ينبعث من قناة الاتصالات المفتوحة مُخلِّفًا وراءه صمتًا مُريبًا.

استخدمت حركات يدها لتسكين أفراد فرقتها على الجبهة اليمنى، ثم واصلت التقدُّم في الخط لتجد قائدها، المُلازِم جيفنز، سرعان ما لمحت بدلته في منتصف الخط، يقف أسفل (يوجيمبو) تقريبًا. ركضت نحوه ووضعت خوذتها مقابل خوذته.

صرخت قائلةً: "أيُّ لعنةٍ قد حلت بنا، أيها المُلازِم؟"

صوّب إليها شرارَ غضبه وصاح: "ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل! يجعلنا التشويش غير قادرين حتى على مطالبتهم بالتراجع، كما أنهم يتجاهلون التحذيرات المرئية. لقد استصدرت -قبل انقطاع إرسال اللاسلكي- إذنًا بإطلاق النار إذا أصبحوا على بُعد نصف كيلومتر من موقعنا".

خالجت بوبي مئات التساؤلات الأخرى، ولكن قوات الأمم المتحدة ستتجاوز الخمسمائة مترٍ في غضون بضع ثوانٍ؛ لذا أدبرت مسرعةً لترسيخ الجبهة اليمنى مع أفراد فرقتها. كانت بدلتها مع كل خطوة تخطوها تحسب القوات القادمة وتُميِّزهم جميعًا على أنهم قوات مُعادية، أخطرت البدلة بسبعةِ أهدافٍ، وكان أقل من ثلث قوات الأمم المتحدة في مواقعهم الأمامية. ليس هذا منطقيًّا!

كانت بدلتها قد رسمت خطًّا فاصلًا على شاشة عرضها عند علامة الخمسمائة متر، لم تُخبر رحالها بأنها منطقة إطلاق نار، فهي في غنى عن ذلك؛ لأنهم يُطلقون النيران عندما تفعل ذلك دونما حاجة إلى استيضاح العِلل.

اجتاز جنود الأمم المتحدة علامة الكيلومتر الواحد دون إطلاق رصاصةٍ واحدة، كانوا ينتشرون في تشكيلات متناثرة بوجود ستة في الأمام يمضون في خطٍّ مُعوّج بينما السابع في المؤخرة مُتخلِّفًا عنهم بحوالي سبعين مترًا. استهدفت شاشة العرض المُدمجة ببدلتها شخصًا يتخذ مكانه في أقصى ميسرة خط العدو، واختارت الشخص الأقرب

إليها افتراضيًّا، شعرت بشيءٍ غريب يجتاح الجزء الخلفي من دماغها، تحكّمت بطام تشغيل البدلة، وحدّدت الهدف الموجود في المؤخرة، وطلبت تكبيره. تم تكبير الكائن الصغير فجأة في شبكة استهدافها. شعرت بجسدها ينتفض، فكبّرت ذلك الكائن مرة أخرى.

لم يكن الكائن الذي يُطارد مشاة بحرية الأمم المتحدة الستة يرتدي بدلةً قصائية، كما أنه ليس كائنًا بشريًّا بالمعنى الدقيق للكلمة. تغطّي جلده بصفائح كيتينية تُشبه القشور السوداء الكبيرة، أما رأسه فكان يقذف رعبًا هائلًا في القلوب، فالرأس أكبر مرتين مما يُفترض أن يكون، وقد اكتسى بنُتوءاتٍ بغيضة، ولكن الأكثر تنفيرًا من ذلك كانت يديه، والتي بدا حجمها هائلًا بالنظر لجسده، وطويلة جدًّا بالنظر لعرضها، كانت نسخة للأيدي المُستحضَرة من كوابيس الطفولة: يد القزم القابع تحت السرير أو الساحرة التي تتسلّل عبر النافذة، كانت الأيدي تنثني دون أن تتشبث بأي شيء في طاقة جنونية ثابتة.

لم تكن قوات الأرض تُهاجم، بل كانت تتقهقر.

صاحت بوبي دون أن تُوّجه كلامها إلى أحدٍ بعينه: "أطلقوا النار على الشيء الذي يطاردهم".

وقبل أن يتمكّن جنود الأمم المتحدة من عبور خط النصف كيلومتر الذي كان من شأنه أن يُحفّز المريخيين على إطلاق النيران، استطاع ذلك الشيء أن يمسك بهم. همست بوبي "يا للعنة، يا للعنة!"

قبض على أحد أفراد مشاة بحرية الأمم المتحدة بيديه الضخمتين ومزّقه نصفين كما تُمزّق الأوراق. الدرع المصنوع من التيتانيوم والسيراميك تمزّق بسهولة مثل الجسد الذي بداخله؛ لتُراق على الجليد القطع التكنولوجية المكسورة والأحشاء البشرية الرطبة في فوضى عارمة. هرع الجنود الخمسة الباقون بسرعة أكبر، لكن الوحش الذي يلاحقهم ما كاد يُقلّل من سرعته أثناء القتل.

صرخت بوبي وهي تطلق نيرانها: "أطلقوا النار عليه، أطلقوا النار عليه!". تضافرت دربتها القتالية مع تقنية بدلتها العالية معًا ليحوّلاها إلى آلة شديدة الفتك، وبمجرد أن ضغطت بإصبعها على زناد مسدس بدلتها، انهالت سلسلة من الطلقات الخارقة للدروع

يبلغ قُطرها اثنين مليمتر على ذلك الكائن بسرعة تزيد عن ألف متر في الثانية، أطلقت عليه خمسين طلقةً في أقل من ثانيةٍ واحدة، فقد كان هدفًا بحجم الإنسان لكنه بطيء الحركة نسبيًّا، ويركض في خط مستقيم، كما كان بإمكان جهاز استهدافها أن يُجري تصويبات باليستية بما يسمح لها بضرب جسم بحجم كرة المضرب يتحرَّك بسرعة تفوق سرعة الصوت، أصابت كلُّ رصاصةٍ أطلقتها عليه مرماها، ولكن الوحش لا يُبالي.

مرت الطلقات من خلاله دون أن تتباطأ قبل خروجها بشكلٍ ملحوظ، ولم تنسَل منه دماءٌ بل انفجر من الخدوش التي خُدش بها رذاذٌ من الشعيرات السوداء لتسقط على الجليد. إن إطلاق النار عليه يشبه الرَّقْم على الماء. سرعان ما اندملت جروحه وكأنه لم يُصب بها أصلًا بيد أن أثر الألياف السوداء في أعقابه ظل شاهدًا وحيدًا على إصابته.

أمسك الوحش بعد ذلك بجندي آخر من مشاة بحرية الأمم المتحدة، وبدلًا من أن يُمزقه إلى أشلاء مثلما فعل بسابقه، استدار وقذف بالأرضي المُدرَّع بالكامل – والذي ربما كان يزن أكثر من خمسمائة كيلوجرام– نحو بوبي. تتبّعت شاشة عرض بدلتها جندي الأمم المتحدة في منحناه التصاعدي، وأفادتها أن الوحش لم يُلقِ به تجاهها بل عليها، في مسار مستوٍ تمامًا، أي بسرعة شديدة.

تنحّت جانبًا بأقصى سرعة سمحت لها بدلتها الضخمة؛ ليصطدم جندي مشاة البحرية البائس بهليمان الذي كان يقف بجوارها؛ ليتردَّى كلاهما بعد أن هوى كل منهما على الجليد في سرعات مُدمِّرة. وفي الوقت الذي أعادت فيه ناظريها إلى الوحش، كان قد قتل جنديين آخرين من جنود الأمم المتحدة.

فتح خط المريخ بأكمله النيران على الوحش بما في ذلك مدفع (يوجيمبو) الهائل، تباعد الجنديان الأرضيان المتبقيان، وركضا في زوايا بعيدة عن ذلك الشيء محاولين منح نُظرائهم المريخيين طريقًا مفتوحًا لإطلاق النار. تلقّى الكائن مئات بل آلاف الطلقات، لكنه كان يستجمع قواه مرة أخرى وظل يعمل على قدمٍ وساق، ولم يتثاقل إلا عندما انفجرت إحدى قذائف (يوجيمبو) بالقرب منه.

عادت بوبي لتقف على قدميها، وانضمت إلى وابل النار، لكن ذلك ما كان ليُحدث فرقًا يُذكر. اشتبك الكائن مع صفوف المريخيين، وأسفر ذلك عن مقتل اثنين من مشاة

البحرية في طرفة عين. انسحب (يوجيمو) جانبًا، فقد كان أكثر رشاقة مما يُفترض أن تكون عليه آلة بهذا الحجم. اعتقدت بوبي أن سعيد هو من يقود المدفع، فقد سبق وتفاخر بقدرته على جعل الآلة الضخمة ترقص رقصة التانجو إذا أراد ذلك، ولكن هذا لا يهم أيضًا فحتى قبل أن يتمكّن سعيد من تصويب مدفع الآلة في مكانٍ يسمح بإطلاق قذيفة قريبة، اندفع الكائن مباشرةً إليه، وأمسك بفتحة دخول الطيّار، وحطَّم الباب من مفصلاته، ليختطف سعيد من قُمرة القيادة، ويُطوّحه على بعد ستين مترًا لأعلى بشكل مستقيم.

ارتدّ مشاة البحرية الآخرون على أعقابهم مستمرين في إطلاق النار، ولم يتهيأ لهم حتى تنسيق خطة للانسحاب في ظل انقطاع اللاسلكي. وجدت بوبي نفسها تركض نحو القُبة مع البقية، فطِن الجزء الصغير والبعيد من عقلها -الذي لم يَنْتَبْهُ الذعر بعد- أن زجاج القُبة ومعدنها لن يُوفرا لهم الحماية ضد هذا الشيء الذي يمكنه تمزيق رجلٍ مُدرَّع إلى نصفين فضلًا عن تحطيمه لآلة تزن تسعة أطنان جُذَذًا، وأدرك ذلك الجزء من عقلها عبثية محاولات تبديد مخاوفها.

بحلول الوقت الذي وجدت فيه الباب الخارجي للقُبة، لم يتبقَ بصحبتها سوى جندي واحد آخر، جوراب، كان بإمكانها أن ترى وجهه عن قرب عبر زجاج خوذته المُدرَّعة، صرخ في وجهها بشيء لم تستطع سماعه. بدأت تميل إلى الأمام لتتلامس خوذاتهما عندما دفعها للخلف نحو الجليد. كان يدق على مفاتيح التحكمٌ في الباب بقبضةٍ معدنية محاولًا شق طريقه داخل القُبة، عندما أحكم الكائن قبضته عليه، وأسقط خوذته عن بدلته بضربة واحدة عارضة. تحامل جوراب للحظة، صوَّب وجهه نحو الفضاء، عيناه تومضان، وفمه فاغر، فاض بصرخةٍ مكبوتة؛ ثم هشَّم الكائن رأسه بسهولة مثل ما فعل بخوذته.

استدار رامقًا بوبي، وهي لا تزال مُسطَّحة على ظهرها.

استطاعت عن قرب أن ترى له عيونًا زرقاء لامعة، زُرقتها برّاقة متوهجة، كانت عيونه رائعة. حملت بحدقيتها وصعطت على الزناد لمدة نصف ثانية قبل أن تُدرك أن

دخيرتها قد نفدت قبل وقتٍ طويل. تأمّل الكائن بدقيتها نفصول، ثم نظر في عينيها ومال برأسه إلى أحد الجانبين.

حدّثت نفسها: "ها هي الطريقة التي سأموت بها، ولا أعرف ما الذي فعلته، أو لِمَ أموت هكذا. بإمكان المرء أن يألف الإذعان لحلال الموت، ولكن الموت دون امتلاك الإجابات يبدو قاسيًا إلى حدٍّ مُريع".

تقدَّم الكائن خطوةً تجاهها، ثم توقَّف وأخذ يرتعد. انبثق من وسطه زوجٌ جديد من الأطراف يتلوَّى في الهواء مثل المجسات، كما بدأ رأسه -الذي كان منظره بشعًا بالفعل- ينتفخ، وسطعت العيون الزرقاء مثل الأضواء في القباب.

بعد ذلك، انفجر في شعلة من اللهب وقذف بها بعيدًا فوق الجليد، فارتطمت بسلسلة من التّلال المنخفضة شديدة الصلابة، وتصلّبت على إثر ذلك المادة الهُلامية في بدلتها، والتي كان من شأنها امتصاص الصدمات؛ لتتجمّد مكانها.

استلّقت على ظهرها، ووعيها يتلاشى. أومضت سماء الليل من فوقها بالضوء، والمركبات الموجودة في المدار تُطلق النار بعضها على بعض.

تلفّظت بتلك الكلمات في الظلام: "فلتكفوا عن إطلاق النار -كانوا يتقهقرون- أوقفوا إطلاق النار". كان جهاز اللاسلكي الخاص بها ما يزال متوقفًا عن العمل، وبدلتها مُعطَّلة أيضًا. لم تستطع إخبار أيِّ شخصٍ بأن قوات مشاة بحرية الأمم المتحدة لم تكن تهاجمهم.

وأن شيئًا آخر هو من كان يفعل ذلك.

الفصل الثاني
هولدن

تعطّلت ماكينة القهوة مرة أخرى.

- "مجدّدًا."!

نقر جيم هولدن على زر التخمير الأحمر من الداخل والخارج عدّة مراتٍ كأنه مسلوب الإرادة فلا يقوى على كبح نفسه عن تكرار ذلك رغم تمام معرفته بعدم جدوى ما يفعله، فماكينة القهوة الكبيرة الفاخرة تأبى تحضير القهوة بما يكفي لإبقاء طاقم البحرية المريخية في غمرة انتشائهم، تأبى الماكينة ولو تحضير فنجانٍ واحد، ولم يتوقّف الأمر على عدم الاستجابة لأمر التخمير فحسب، بل إن محاولات التشغيل تذهب سُدًى، فالماكينة لا تُصدر حتى ضجيجًا. غضّ هولدن الطرْف عما ينتاب صدغه من صداع الكافيين، وضغط على أقرب زر موجود على لوحة الحائط؛ ليفتح خطوط الاتصال على مستوى المركبة.

هتف هولدن: "أموس!"

ولكن كانت خطوط الاتصال منقطعة.

تزايد شعوره بسخافة الأمور من حوله، وضغط على زر قناة الاتصالات الرئيسية عدّة مرات، ولكن لا شيء يحدث. فتح عينيه ورأى أن كل الأضواء على اللوحة قد انطفأت، ثم استدار ليُبصر أن ماكينة القهوة لم تنطفئ وحدها، بل انطفأت أيضًا الثلاجة والأفران. أجهزة المطبخ كلها تشترك في تمرّد صريح. رنا هولدن إلى اسم المركبة، (روسينانت)، الذي رُسم مؤخرًا بالاستنسل على حائط المطبخ، وناجاها:

- "حبيبتي، لمَ تُلحقين بي هذا الأذى رغم أنني أحبك بشدة؟"

سحب بيده جهازه اللوحي ودعا ناعومي، وبعد عدّة لحظات، أجابته أخيرًا. "حسنًا، مرحبًا".

- "انقطعت كهرباء المطبخ، أين أموس؟"

توقفت لوهلة: "هل تتصل بي من المطبخ بينما نحن على المركبة نفسها؟ ولوحة الحائط على بُعد خطوة واحدة فقط!"

- "لوحة الحائط في المطبخ لا تستجيب لأي أمرٍ أيضًا، عندما قلت لكِ: "انقطعت كهرباء المطبخ"، فلم أكن أبالغ، بل إن هذا معناه أنه حرفيًّا لا يوجد شيء واحد في المطبخ يعمل، لقد اتصلت بكِ؛ لأنك تحملين جهازك اللوحي بينما أموس لا يكاد يفعل ذلك، كما أنه لا يخبرني مطلقًا بما يفعله، لكنه يُخبركِ أنتِ دائمًا. إذن، أين أموس؟".

غالبت ناعومي الضحك فغلبها، وبدت رنّة ضحكتها آسرةً، ولم تفشل قط في رسم الابتسامة على وجه هولدن. "أخبرني أنه سيعيد توصيل بعض الأسلاك".

- "هل لا يزال لديكم كهرباء هناك؟ هل خرجت الأمور عن السيطرة، وأنتم تتباحثون في كيفية نقل الأخبار إليّ؟"

ترامى إلى مسمع هولدن طَرَقات من طرف ناعومي، لعلها كانت تُلهي نفسها بذلك أثناء العمل. قالت: "كلا، يبدو أن المنطقة الوحيدة التي انقطعت عنها الكهرباء هي المطبخ، كما أن أليكس يقول بأننا على بُعد أقل من ساعة حتى نتقاتل مع قراصنة الفضاء، أتريد أن تأتي إلى العمليات وتحارب القراصنة؟"

أجاب هولدن: "لا يمكنني محاربة القراصنة بدون احتساء قهوتي، سأعثر على أموس"، ثم أنهى المكالمة، وأعاد جهازه إلى جيبه.

تحرّك هولدن نحو السُّلم الذي يقع أسفل عارضة المركبة، واستدعى المصعد. كان بإمكان مركبة القراصنة الهاربة الحفاظ على تسارع ١ (ج) لتحمُّل الطيران الطويل؛ لذلك، ومن أجل أن يعترضهم، رفع طيّار هولدن أليكس كمال سرعة التحليق إلى ١.٣ (ج). وزيادة التسارع عن ١ (ج) من شأنها أن تجعل استخدام السُّلم أمرًا خطيرًا.

انفتحت -بعد بضع ثوان- فتحة سطح المركبة، صلْصل المصعد في أثناء تحرُّكه حتى توقّف عند قدمي هولدن، فاتّجه إليه وضغط على زر السطح الهندسي؛ ليبدأ المصعد في زحفه البطيء أسفل العمود، وانبعث فتحة سطح المركبة منحها في الانفتاح عند اقترابه، ثم الانغلاق بمجرد مروره.

فوق السطح الهندسي بطابقٍ واحد، كان أموس بورتون في الورشة الميكانيكية، أمامه على طاولة العمل جهاز مُعقّد نصفه مُفكّك، وقد أخذ يعمل على إصلاحه بمسدس لحام. وكان يرتدي بدلة رمادية بأحجامٍ مختلفة أصغر كثيرًا من مقاسه؛ لذا كانت بدلته تتمدّد عندما يتحرك لاحتواء كتفيه العريضين، ولم يزل ظهرها مُطرزًا باسم المركبة القديم "تاتشي".

أوقف هولدن المصعد، وقال: "أموس، انقطعت الكهرباء عن المطبخ".

لوّح أموس بذراعه الغليظة في إيماءة توحي بالضجر من غير أن يتوقّف عن عمله، اضطر هولدن للانتظار، وبعد بضع ثوانٍ من اللحام، أخذ أداته أخيرًا، واستدار ثم قال مُشيرًا إلى الجهاز الذي كان يلحمه: "نعم، إنه معطّل؛ لأنني انتزعت منه هذا اللعين الصغير".

- "هل يمكنك أن تُعيده؟".
- "لا، على الأقل ليس الآن، لم أنتهِ بعد من إصلاحه".

تنهّد هولدن: "هل ترى الأمر بالأهمية التي تجعلك تُعطّل المطبخ؛ لإصلاح هذا الشيء قبل مواجهة عصابة متعطشة للدماء من قراصنة الفضاء؟ بدأ رأسي يُؤلمني حقًّا، وكما تعلم، أود أن أحتسي فنجانًا من القهوة قبل خوض غمار المعركة".

قال أموس: "أجل، كان ذلك مهمًّا، هل يتعيّن عليّ أن أوضّح أسباب أهمية ذلك أم تكتفي بأن تثق في كلامي وحسب؟!"

أومأ هولدن برأسه، على الرغم من أنه لا يشتاق كثيرًا إلى أيام عمله في بحرية الأرض فإنه ألفى نفسه أحيانًا يشعر بالحنين إلى الاحترام المطلق للتسلسل القيادي، ففي (روسينانت) تحدّد لقب "القُبطان" ولكن الأمور كثيرًا ما تكون ضبابية، حيث أُسند إلى

أموس مهمة إعادة التوصيل، ولكنه يقاوم فكرة أنه يتعيّن عليه إبلاغ هولدن في أيّ وقت يقوم فيه بذلك.

سلّم هولدن بالأمر الواقع قائلًا: "حسنًا، لكني أتمنى لو كنت نبّهتني سلفًا، سأكون نزِقًا بدون احتساء قهوتي".

ابتسم له أموس ابتسامة عريضة ودفع بقبعته إلى الخلف عن رأسه الأصلع قائلًا: "اللعنة، أيها القُبطان، يمكنني تغطية ذلك لك"، ثم مدّ يده إلى الوراء وأحضر إبريقًا معدنيًا ضخمًا من على المقعد. ثم تابع:

- "أعددت بعض الإمدادات اللازمة للطوارئ قبل أن أعطّل المطبخ".
- "أموس، أعتذر لك عن كل تلك الأفكار السيئة التي داهمتني الآن".

لوّح أموس إليه به، وواصل عمله: "هو لك، لقد تناولت بالفعل فنجانًا".

دلف هولدن مرة أخرى إلى المصعد؛ ليقوده إلى طابق العمليات، وقد أمسك بالإبريق في كلتا يديه كأنه يتشبّث بطوق نجاته.

اتخذت ناعومي مكانها على لوحة الاستشعار والاتصالات؛ لتتعقّب مدى تقدُّمهم في مطاردة القراصنة الفارين، كان بإمكان هولدن أن يرى في لمح البصر أنهم كانوا أقرب بكثير من المؤشر الأخير الذي تلقّاه، فسرعان ما ربط نفسه في مقعد العمليات القتالية، وفتح خزانةً قريبة، مُخمّنًا أنهم سيكونون في مستوى منخفض الجاذبية أو في حالة سقوط حر خلال وقت قريب، وسحب قدحًا لاحتساء قهوته.

قال وهو يملأ قدحه من فُوّهَة الإبريق: "إننا نقترب بسرعة فائقة، ماذا يجري؟"

- "تباطأت مركبة القراصنة قليلًا من تسارعها الأوليّ البالغ ١ (ج)، لقد انخفضوا إلى ½ (ج) لبضع دقائق، ثم توقّفوا عن التسارع تمامًا منذ دقيقة. تتبّع الحاسوب بعض التقلّبات في مُخرجات المُحرّك قبل أن يتباطأ مباشرةً، لذلك أعتقد أننا لاحقناهم بشدة".
- "هل تحطّمت مركبتهم؟"
- "أجل، لقد تحطّمت مركبتهم".

ارتشف هولدن رشفة طويلة من القدح حتى احترق لسانه أثناء الشراب لكنه لم يهتم بالأمر

تساءل هولدن: "كم من الوقت لاعتراضهم الآن؟"

قالت ناعومي: "على أقصى تقدير خمس دقائق. كان أليكس ينتظر لإشعال الناطق الأخير حتى كنت أنت هنا في الأعلى وربطت حزام الأمان"

نقر هولدن على زر قناة الاتصالات الرئيسية في لوحة الاتصال وقال: "يا أموس، اربط حزام الأمان، خمس دقائق ونصل للأوغاد". ثم انتقل إلى قناة قُمرة القيادة وقال: "أليكس، ما آخر الأخبار؟"

أجاب أليكس بلكنته المريخية العالية: "أعتقد أن مركبتهم تحطَّمت".

قال هولدن: "يبدو أن ثمة إجماعًا على ذلك".

- "إنه يجعل الهرب أكثر صعوبة".

كان كوكب المريخ قد استوطنه في الأصل الصينيون والهنود الشرقيون والتكسانيون، واتَّسم أليكس بوصفه رجلًا هنديًّا شرقيًّا ببشرته الداكنة وشعره الأسود الفاحم. وكما جاء من الأرض، دائمًا ما كان هولدن يجد الأمر مُريبًا حين يتشدّق شخصٌ ما بلكنة تكساس المبالغ فيها في حين يُفترض أن يتحدث باللهجات البنجابية .

أجاب هولدن: "وهذا يُسهِّل علينا اليوم"، ثم أردف وهو يدير وحدة التحكُّم القتالية: "اجعلنا نتوقف بالتقريب عند عشرة آلاف كيلومتر، سأستخدم ليزر الاستهداف لتحديدهم، وأُشغِّل مدافع الدفاع النقطية. افتح الأبواب الخارجية للأنابيب أيضًا، فليس هناك ما يستدعي عدم الظهور بمظهر الخطورة قدر المُستطاع".

أجاب أليكس: "عُلِم ذلك، أيها القائد".

استدارت ناعومي بمقعدها، وبدت عليها ابتسامة هولدن: "مطاردة قراصنة الفضاء، رومانسي جدًّا".

لم تُسعِف هولدن بسمته لمبادلتها الابتسام. بدت جميلة بالنسبة له حتى وهي ترتدي بدلة ضباط البحرية المريخية التي كانت أقصر من هيكلها الحزامي الطويل بثلاثة أحجام،

وأكبر من حجمها النحيف بخمسة مقاسات. صفّفت ناعومي شعرها الأسود الطويل المُجعّد خلف رأسها كذيلِ جامح، وكانت ملامحها مزيجًا مذهلًا من آسيا وأمريكا الجنوبية وإفريقيا، الأمر الذي لم يكن معتادًا حتى داخل بوتقة الحزام. نظر إلى انعكاس فتى مزرعة مونتانا ذي الشعر البني في لوحةٍ مُظلمة، وشعر بأنه شائع للغاية مقارنةً بها.

قال لها: "أنتِ تعرفين كم أحب أي شيء يستحثك على نطق كلمة "رومانسي"، لكنني أخشى أن أفتقد حماسك، بدأنا بإنقاذ النظام الشمسي من خطرٍ فضائي مُروِّع، والآن هذا؟".

لقد عرف هولدن شُرطيًّا واحدًا حق المعرفة، عرفه لفترةٍ وجيزة خلال السلسلة الهائلة البغيضة من الأوضاع الفوضوية التي أصبحت تُختزَل الآن تحت ما يُسمى بـ "حادثة إيروس"، تعاون هولدن لبعض الوقت مع رجل رماديّ مُحطَّم يُدعى ميلر، وبحلول الوقت الذي التقيا فيه، كان ميلر قد ابتعد بالفعل عن وظيفته الرسمية لمتابعة قضية اختفاء فتاة ما بشكل هوسي.

لم يكونا صديقين بالمعنى الدقيق للكلمة مُطلقًا، لكنهما تمكنا من منع إبادة الجنس البشري بسبب الاعتلال الاجتماعي المُستحث ذاتيًّا لشركةٍ ما، وبفعل سلاح فضائي مُتعافٍ دائمًا ما كان يخلط الجميع بينه وبين قمر زحل خلال التاريخ البشري. واستنادًا إلى هذا المعيار -على الأقل- نجحت شراكتهما.

عمل هولدن ضابطًا في البحرية ست سنوات، لقد رأى أُناسًا يموتون، ولكن عبر النظر من شاشة الرادار فقط. على إيروس رأى الآلاف من الناس يموتون عن كثب وبطرقٍ مُروِّعة، لقد قتل اثنين منهم بنفسه، تلقَّى جرعة إشعاعٍ هناك، وهذا أدى إلى اضطراره لتناول عقاقير مُنتظمة؛ لوقف نمو السرطانات التي استمرت في التفتُّح في أنسجته، ومع ذلك كان أقل تجشُّمًا للعواقب من ميلر

سقطت العدوى الفضائية الغريبة على كوكب الزهرة بدلًا من الأرض بفضل ميلر، ولكن ذلك لم يجتثها تمامًا، ومهما كانت البرمجة المُخترقة والمشوشة للكائن الفضائي، فإنها لا تزال تجري تحت الغطاء السحابي السميك لهذا الكوكب، ولم يقدر أيّ شخص حتى الآن على تقديم أيّ استنتاجات علمية دامغة تعدو الهمهمة والتعجُّب.

لقد بدل ذلك المُحقّق الحرامي الحسير حياته في سبيل إنقاد البشرية.

تحوّل هولدن بسبب إنقاد البشرية إلى مُوظّف في تحالف الكواكب الخارجية (أوبا) لتعقُّب القراصنة، حتى في الأيام الثِقال، كان عليه أن يعتقد بأنه حظي بنهاية أفضل جراء تلك الصفقة.

قال أليكس: "ثلاثون ثانية للاعتراض".

استرجع هولدن عقله إلى سطوة اللحظة الراهنة، واتصل بالسطح الهندسي: "كلكم مُقيّدون هناك يا أموس؟"

- "عُلم أيها القبطان، جاهزون للذهاب، حاول ألا تُطلق النار على فتاتي".

قال هولدن بعد أن أغلق خط الاتصال: "لا أحد سيطلق النار على أحد اليوم". سمعته ناعومي ورفعت حاجبها اندهاشًا.

- "ناعومي، أرسِل لي خطوط الاتصال، أريد أن أتصل بأصدقائنا هناك".

ظهرت عناصر التحكُّم بالاتصالات على لوحته بعد ثانية؛ فصوّب شعاعًا مُركّزًا على مركبة القراصنة، وانتظر حتى يتحوّل ضوء الرابط إلى اللون الأخضر، وبمجرد حدوث ذلك قال: "مركبة الشحن الخفيفة غير مُحدّدة الغرض، هأنذا القبطان جيمس هولدن من الفرقاطة الصاروخية لتحالف الكواكب الخارجية (روسينانت)، برجاء الرد".

كانت خوذته صامتة باستثناء التشويش الخافت لخلفية الإشعاع.

تابع هولدن: "انظروا يا رفاق، دعونا لا نتلاعب، أنا أعلم أنكم تعرفون من أنا، وأنا أيضًا أعلم أنكم قبل خمسة أيام أغرتم على مركبة شحن الطعام (سومنامبوليست الباكية)، وعطّلتم محركاتها، وسرقتم ستة آلاف كيلو جرام من البروتين فضلًا عن كل الهواء الموجود بالمركبة، وهذا إلى حدّ كبير كل ما أريد معرفته عنكم".

المزيد من تسيُّد الصمت.

أردف قائلًا: "إذن، هاك الاتفاق، لقد سئمت من تعقُّبكم، ولن أسمح لكم بمماطلتي أثناء إصلاح مركبتكم المُحطّمة، ثم تقودونني بعد ذلك في مطاردة عقيمة أخرى. إذا لم تعلنوا استسلامكم الكامل التام خلال الستين ثانية القادمة، سأُمطركم بوابلٍ من

الطوربيدات ذوات الرؤوس الحربية والبلازما عالية الإنتاجية حتى تدوب مركبتكم في حسثٍ وهّاج، ثم أعود أدراجي وأستكين لنومٍ هانئ هذه الليلة"

انكسرت حالة الصمت السائد أخيرًا من قبل فتى بدا أصغر بكثير من أن يتخذ قرارًا بالفعل فيما يخص حياة القرصنة.

قال الصوت، ويوشك طول الوقت بخشونته أن يكون لشخصٍ في سن الاحتلام: "لا يمكنك القيام بذلك، (أوبا) ليس حكومة حقيقية، لا يمكنك أن تمسي بسوء من الناحية القانونية؛ لذا تراجع عن هذا الهراء".

رد هولدن: "حقًّا؟ أهذا أفضل ما لديكم؟، فلتنسَ قليلًا الجدال حول الشرعية وما يُشكّل سلطةً حكومية فعلية، انظر إلى انعكاسات تقنية الليدار المُصوَّبة نحوكم من مركبتي. أثناء وجودك في مركبة شحن خفيفة مرصوفة بالحصى، قام شخصٌ ما بلحام مدفع جاوس محلي الصنع، فأنا في قاذفة طوربيد مريخية حديثة مع قوة نيران كافية لإخماد قمر صغير".

لم يرد الصوت على الطرف الآخر.

- "أيها الرفاق، حتى وإن لم تعترفوا لي كصاحب سلطة قانونية مناسبة، هل يمكننا على الأقل الاتفاق على أنه بإمكاني تفجيركم متى شئتُ ذلك؟"

ظل الصمت مُخيّمًا على الاتصال.

تنهَّد هولدن وحكّ قصبة أنفه، فرغم تناول الكافيين، رفض صداعه أن يزول. ترك قناة الاتصال مفتوحة مع مركبة القراصنة، وفتح قناة أخرى مع قُمرة القيادة.

- "أليكس، أطلِق دفعة قصيرة من مدافع الدفاع الأمامية نحو مركبة الشحن هذه، استهدف الوسط".

صرخ الفتى على المركبة الأخرى: "انتظر، نحن سنستسلم، بحق السماء"

تمدَّد هولدن في منطقة الجاذبية الصفرية، مستمتعًا بها بعد أيام من التسارع، وقد ابتسم لنفسه ابتسامة ظفر. لن يُصاب أحدٌ بسوء اليوم.

- "ناعومي، أخبري أصدقاءنا الجُدد كيف يرسلون إليكِ أدوات التحكُّم عن بعد في مركبتهم، ودعينا نُعِدْهم إلى محطة (تايكو) لكي تتبيّن محاكم (أوبا) من أمرهم. أليكس، بمجرد أن تُنسخ محركاتهم احتياطيًّا، فلتُدبِّر لنا رحلة مريحة للعودة بمعدل ½ (ج)، سأنزل إلى عنبر المرضى محاولًا إيجاد الأسرين".

فكّ هولدن حزام المقعد الخاص به، ودفعه إلى سلم السطح، وخلال ذلك بدأ جهازه اللوحي يصدر صوت صفير، كان فريد جونسون الزعيم الروحي لـ (أوبا)، وراعيهم الشخصي في محطة التصنيع التابعة لشركة (تايكو)، والتي تضاعَف دورها الآن أيضًا باعتبارها مقرًّا فعليًّا لـ (أوبا).

- "مهلًا يا فريد، قبضنا على قراصنتنا الأشقياء، وسنُعيدهم للمحاكمة".

بشَّ وجه فريد الكبير الداكن المتغضِّن: "هذا تحوّل، هل سَئِمت من تفجيرهم؟"

- "كلا، لكنني وجدت أخيرًا بعض مَنْ صدَّقوني عندما قلت لهم بأنني سأفعل".

تقلّصت ابتسامة فريد حتى استحالت عبوسًا، وقال: "اسمع، جيم، هذا ليس سبب اتصالي، أحتاجك أن تعاود إلى (تايكو) على الفور، ثمة شيء ما يحدث في جانيميد."...

الفصل الثالث

براكس

وقف براكسيديك مينج عند مدخل ساحة المزرعة، وقد أسبل جفنيه على حقول الأوراق شديدة الخُضرة التي تُرفرف بهدوء لدرجة أنها بدت قاتمة ومُزعزعة. اصطبغت القُبة المُقوّسة من فوقه بظُلمة تفوق الحد ولا تنكشف عن شيء، وانقطعت الطاقة اللازمة للنمو، والمَرايا.. لم يعد بإمكانه التفكير بشأن المَرايا.

تَراءى وميض المركبات المُتقاتلة وكأنه خللٌ أصاب شاشةً زهيدة، وظهرت ألوان وحركات ما كان ينبغي لها أن تظهر هناك، في إشارة إلى أن شيئًا ما خاطئًا كان يجري. لعق شفتيه، يجب أن تكون ثمة طريقة، كان لا بُدّ من وجود طريقة ما لإنقاذ المرايا.

قالت دوريس: "براكس، يجب علينا أن نذهب حالًا".

طليعة علم النبات الزراعي شحيح الموارد، (جلايسين كينون)، نوع من فول الصويا المُعدَّل بشكلٍ كبيرٍ لدرجة أنه غدا نوعًا جديدًا تمامًا، وقد شكَّل هذا العمل السنوات الثماني الأخيرة من حياة براكس، وكان السبب في أن والديه ما زالا لم يريا حفيدتهما الوحيدة رأي العين، كما أنَّه سطّر مع بعض الأشياء الأخرى أحرف النهاية لزواجه. كان بإمكان براكس رؤية السلالات الثماني المُختلفة اختلافًا دقيقًا من البلاستيدات الخضراء المُصمَّمة في الحقول، كلٌّ منها يحاول استخلاص معظم البروتين لكل فوتون. كانت يداه ترتجفان، وأخذ يتقيأ.

قالت دوريس. "ربما لدينا خمس دقائق أخرى تفصلنا عن الاصطدام، علينا إخلاء المكان".

قال براكس: "أنا لا أراه".

- "إنه قادم بسرعة كافية، وبحلول الوقت الذي تراه فيه، فلن تتمكّن من رؤيته، ذهب الجميع بالفعل. نحن آخر من تبقّى؛ لذا اركب المصعد الآن".

دائمًا ما كانت المرايا المدارية العظيمة حليفةً له، تسطع في حقوله مثل مائة شمسٍ شاحبة، لم يستطع تصديق أن تلك المرايا ستخونه أبدًا. كان مجرد التفكير في ذلك من شطحات الخيال. ها هي المرآة تهوي نحو سطح حابيميد تجاه الدقيقة، وفول الصويا، وعمل حياته. لم يكن بمقدوره اختيار أي شيء، لقد كان ضحية العلة والمعلول، مثله في ذلك مثل كلِّ شيء آخر في هذا الكون.

قالت دوريس: "أنا على وشك المغادرة، إذا بقيت هنا في غضون أربع دقائق، ستلقى حتفك".

قال براكس: "انتظري!" ركض إلى القُبة، وعلى حافة أقرب حقل، ركع على ركبتيه، وحفر في التربة السوداء الخصبة. كانت رائحتها تشبه رائحة العشب المندي الطازج، توغَّل بأصابعه إلى الداخل بأعمق ما يستطيع، وكوَّر كُرةً من الجذر؛ لتبْرُز النبتة الصغيرة الهشة بين يديه.

ركبت دوريس المصعد الصناعي في استعدادٍ للانزلاق إلى كهوف وأنفاق المحطة، بينما عَدَا إليها براكس مع احتفاظه بالنبتة، غشيت القُبةَ فجأةً خطورةٌ مروِّعة. ألقى بنفسه من خلال الباب، وضغطت دوريس على شاشة التحكُّم، وقد ترنَّحت غرفة المصعد المعدنية الواسعة، وانتقلت حتى بدأت في الانزلاق. عادةً ما كانت تلك الغرفة تحمل معداتٍ ثقيلة: الحارث، الجرّار، أطنان من مادة الذُّبال المأخوذة من معالجات إعادة التدوير في المحطة. الآن ليس سوى الثلاثة فقط: براكس يجلس القرفصاء على الأرضية، وشتلة فول الصويا تتهادى في حضنه، ودوريس تلوك شفتها السفلية، وتراقب جهازها اللوحي. بدا المصعد كبيرًا للغاية.

قال براكس: "قد تضيع المرآة".

ردَّت دوريس: "هذا ممكن، لكنها ثلاثمائة طنٌّ من الزجاج والمعدن، ستكون موجة الصدمة كبيرة نسبيًّا".

- "القُبة قد تصمد".

قالت: "لا". توقَّف براكس عن التحدُّث معها.

قَعْقعت عربة المصعد حتى سقطت في دَرْك أعمق تحت الجليد السطحي، وانزلقت في شبكة الأنفاق التي تُشكِّل الجزء الأكبر من المحطة. كان الهواء يماثل في رائحته عناصر التدفئة وزيوت التشحيم الصناعية. ما يزال حتى الآن غير مصدق أنهم فعلوا ذلك، لا يمكنه تصديق أن الأوغاد العسكريين قد بدأوا في إطلاق النيران بعضهم على بعض. لا أحد في أي مكان يمكن أن يكون قصير النظر حقًّا إلى هذا الحد، إلا أنَّه يبدو أنهم يستطيعون أن يكونوا كذلك.

لقد انتقل في الأشهر التي تلت انهيار التحالف بين الأرض والمريخ من الذعر المستمر والمتزايد إلى الأمل المشوب بالحذر ثم انتهى به الحال إلى الاستهانة واللامبالاة. كل يوم يمر دون أن تبادر الأمم المتحدة أو المريخيون بفعلٍ ما كان دليلًا آخر على أنهم لن يفعلوا أيَّ شيء. لقد ترك نفسه يعتقد بأن كل شيء أكثر استقرارًا مما يبدو عليه. حتى لو ساءت الأمور، ونشبت حرب إطلاق نار، فلن ينتهي بها المطاف هنا، مثَّلت محطة جانيميد المصدر الغذائي للكواكب الخارجية، كما أنها بما تتمتَّع به من غلاف مغناطيسي، عُدَّت المكان الأكثر مناسبةً للنساء الحوامل خلال فترتَي الحمل والولادة بدعوى أنها أقل نسبة لإصابة الأجنة بالعيوب الخلقية وأقل معدل للإملاص في الكواكب الخارجية قاطبةً، وقد اعتُبِرت مركزًا لكل ما يجعل التوسُّع البشري في النظام الشمسي ممكنًا، وبقدر ما اتُّصِف العمل في جانيميد بأنه عظيم الأثر بقدر ما اتسم بالهشاشة إلا أن المسؤولين لم يتركوا الحرب تأتي لتشتعل هنا.

تفوَّهت دوريس بكلامٍ بذيء، فلفتت إليها نظر براكس، وقد أجرت يدها على شعرها الأبيض الرقيق، ثم استدارت وبصقت .قالت وهي ترفع الجهاز اللوحي: "فُقِد الاتصال، انقطعت الشبكة بأكملها".

تساءل براكس: "مِن قِبل مَنْ؟"

أجابت: "أمن المحطة، الأمم المتحدة، كوكب المريخ، كيف لي أن أعرف ذلك؟!"

- "لكن إذا..."

انقضّ الارتجاج على سطح العربة كالقبضة العملاقة، وقد نجم عن شد مكابح الطوارئ صليلٌ يُزلزل العظام، انطفأت الأنوار؛ ليبتلعهم الظلام في طرف سنتين

سريعتين من ومضات طائر طنّان حتى انبثقت أربعة مصابيح ليد تعمل بالبطارية مُخصّصة للطوارئ، ثم انطفأت مرة أخرى مع عودة الكهرباء للعربة.

أوضحت عمليات تشخيص الأعطال ما يأتي: صدور أزيز من المُحرّكات، وطقطقة من المصاعد، وتدفُّق التخزين المؤقت لواجهة التتبُّع من خلال شفرات التحقُّق مثل تمدُّد رياضي قبل الركض. نهض براكس وتوجّه إلى لوحة التحكُّم؛ لتُعلِن مستشعرات العمود عن الحد الأدنى من الضغط الجوي والسقوط. أخذته رجفة عندما أُغلقت أبواب الاحتواء في مكانٍ ما فوقهم، وبدأ الضغط الخارجي في الارتفاع. لقد انفجر الهواء الموجود في العمود تجاه الفضاء قبل أن تنغلق أنظمة الطوارئ، واخترق الانفجار قُبته. اختفت قُبته.

وضع يده على فمه دون أن يُدرك أنه يُلطِّخ ذقنه بالتراب حتى قام بذلك بالفعل، كان جزء من عقله يتقافز فوق الأشياء التي يتعيّن فعلها لإنقاذ المشروع: الاتصال بمدير مشروعه في (رمد-الجنوبية)، وإعادة صياغة طلبات المنح التكميلية، والحصول على نسخ احتياطية للبيانات لإعادة بناء عينات الإدخال الفيروسي. بينما كان جزء آخر من عقله ساكنًا وهادئًا على نحوٍ مخيف، تبدّى الإحساس بكونه رجلين؛ أحدهما عازم على اتخاذ تدابير يائسة، والآخر قد استنام إلى خدر الحداد، وكأنه يعيش الأسابيع الأخيرة في زواجه.

التفتت دوريس إليه، وفرّجت عن ضيقها بأن زمّت شفتيها الغليظتين ومدت يدها: "لقد كان من دواعي سروري العمل معك، دكتور مينج".

انتفضت العربة عندما سُحبت مكابح الطوارئ، دوّى ارتطام آخر من بعيد، سقوط مرآة أو مركبة. والجنود يتبادلون القصف على السطح، ربما تعمّق القتال بدرجة أكبر في المحطة، ولكن ليس ثمة طريقة لمعرفة ذلك.

صافحها قائلًا: "دكتور بورن، لقد كان شرفًا لي".

لقد أمضوا لحظة طويلة من الصمت عند أطلال حياتهم السابقة، زفرت دوريس متحسرةً وقالت: "حسنًا، فلنغادر من هنا بحق الجحيم"

***

لاحت حصانة مي عميقةً في حسم القمر، لكن محطة مترو الأنفاق كانت على بُعد بضع مئات الياردات من رصيف تحميل العربات، ولم تستغرق الرحلة السريعة إليها أكثر من عشر دقائق، أو ما في حدود ذلك إذ كانوا يركضون. لم يلاحظ براكس قط خلال ثلاثة عقود من العيش في جانيميد أن محطات مترو الأنفاق ذات أبواب أمنية.

ظهر أربعة جنود يقفون أمام المحطة المُغلقة متقلّدين بدروعٍ سميكة مطلية بخطوطٍ مُموّهة مُتغيّرة بنفس ظلال اللون الرملي والفولاذي مثل الرواق، وقد حملوا بنادق هجومية كبيرة على نحوٍ مُروِّع، وفاضت وجوههم بالعبوس أمام حشدٍ من العشرات أو أكثر يُشدّدون الضغط من حولهم. أخذت امرأة طويلة ونحيلة وداكنة البشرة تقول: "أنا من مجلس النقل"، وقد ذيّلت كل كلمة تنطق بها بالنقر بإصبعها على الدرع الصدري لأحد الجنود: "إن لم تدعنا نمر، فأنت تضع نفسك في ورطة.. ورطة فادحة".

استفهم رجلٌ ما: "كم من الوقت سيستمر ذلك؟ يجب أن أعود إلى المنزل، كم من الوقت سيستمر ذلك؟"

زمجرت إحدى الجنديات على اليسار: "سيداتي وسادتي"، جاء الصوت جَهْورِيًّا؛ ليقطع صخب الحشد وهمهماتهم مثل معلم يتحدَّث إلى تلاميذه الذين لا يهدأون. استطردت: "هذه المستوطنة تخضع الآن لحصارٍ أمني لحين حل الأعمال العسكرية وتسويتها، لن يجري أيُّ تنقُّل بين المستويات إلا من قِبل المسؤولين الرسميين".

صرخ أحدهم: "إلى أي جانب تنتمون؟ هل أنتم مريخيون؟ إلى أي جانب أنتم؟"

واصلت الجندية كلامها متجاهلةً السؤال: "في الوقت الراهن، نطلب منكم جميعًا التحلِّي بالصبر، وبمجرد أن يصبح السفر آمنًا، سينفتح نظام الأنفاق، وحتى يحين ذلك الوقت، نطالبكم بالتزام الهدوء حفاظًا على سلامتكم".

لم يكن براكس يدري أنه سيتحدث حتى وجد صوته يخرج وقد داخله التدمُّر. "ابنتي في المستوى الثامن، مدرستها في الأسفل هناك".

قالت الجندية: "كل المستويات مُغلقة يا سيدي، ستكون بخير، فقط تحلَّ بالصبر".

عقدت المرأة داكنة البشرة من مجلس النقل ذراعيها، رأى براكس رجلين ينددان ما يطالعانه من وسائل الإعلام، ويسيران عائدين إلى أسفل القاعة الضيقة القذرة، متحاديين أطراف الحديث. فاحت رائحة الهواء في الأنفاق القديمة ممتزجة برائحة المواد المُعاد تدويرها. البلاستيك والحرارة والروائح الاصطناعية. كما تسرَّب الخوف أيضًا في ذلك الحين.

صاحت الجندية: "سيداتي وسادتي، حفاظًا على سلامتكم، رجاءً التزموا الهدوء، وابقوا في أماكنكم حتى يُحلَّ الوضع العسكري".

قالت امرأة تحتل مكانها جوار براكس: "ما الوضع العسكري بالضبط؟"، وقد أحالت نبرة صوتها الكلمات إلى صيغة توسُّل.

قالت الجندية: "إنها تتطوَّر بسرعة"، ظن براكس أن ثمة طنطنة محفوفة بالخطر تخالط صوتها. لا غرو أنها مرتاعة مثل أيّ شخص آخر، بحوزتها بندقية فحسب؛ لذا لن يُجدي ذلك نفعًا. كان عليه أن يعثر على شيءٍ آخر، ما يزال (الجلايسين كينون) الشيء الوحيد المتبقِّي في يده، ذهب براكس بعيدًا عن محطة مترو الأنفاق.

كان يبلغ من العمر ثماني سنوات عندما انتقل والده من مراكز قمر يوروبا ذات الكثافة السكانية العالية للمساعدة في بناء مختبر أبحاث في جانيميد. استغرق البناء عشر سنوات، مر خلالها براكس بفترة مراهقة متحجِّرة، وعندما حزَم والداه أمتعتهما لتنتقل الأسرة إلى عقد عمل جديد على كُوَيْكب في مدار منحرف بالقرب من نبتون، قرَّر براكس أن يتخلَّف عنهما بعدما حصل على تدريب في علم النبات، معتقدًا أنه يمكن الانتفاع به في زراعة الماريجوانا غير المشروعة وغير الخاضعة للضريبة؛ ليكتشف بعدها فقط أن السواد الأعظم من المُتدرِّبين في علم النبات قد انتهجوا الخطة نفسها. جعلته السنوات الأربع التي قضاها محاولًا العثور على حزانة مُهملة أو نفق مهجور غير مُستهلك بالفعل بتجربة الزراعة المائية غير القانونية، يتمتّع بإحساس جيد حيال بنية النفق.

سار في الممرات العتيقة الضيقة لمبنى الجيل الأول، واقتعد الرجال والنساء بمحاذاة الجدران أو في الحانات والمطاعم، وتلبّست بعض الوجوه بالخواء، وبعضها بالغضب،

في حين غالب الذعر بعض الوجوه، وضُبطت شاشات العرض على حلقات ترفيهية قديمة من الموسيقى أو المسرح أو الفن التجريدي بدلًا من موجز الأخبار المعتاد، بينما لم تستقبل الأجهزة اللوحية أيّ رسائل واردة.

عثر براكس أخيرًا على ما كان يبحث عنه عبر قنوات الهواء المركزية، دائمًا ما كانت تحتوي صيانة النقل على عددٍ قليلٍ من الدراجات البخارية القديمة المتناثرة هنا وهناك، والتي لم يَعُد يستخدمها أحد بعد الآن، ونظرًا لأن براكس يُعدّ باحثًا كبيرًا، فإن جهازه اللوحي كان يُتيح له المرور عبر السياج الصدئ المُصمَّم على شكل سلسلة، وجد دراجة بخارية مع سيارة جانبية مسحوبة وبطاريات لا تزال تحافظ على نصف شحنتها. لقد مضت سبع سنوات منذ آخر مرة ركب دراجة بخارية. وضع (الجلايسين كينون) في السيارة الجانبية، وعَبَر من خلال تسلسل التشخيص، وقاد نفسه خارجًا إلى القاعة. رأى براكس في المنحدرات الثلاثة الأولى جنودًا مثل أولئك الذين رآهم في محطة مترو الأنفاق، ولكنه لم يكلف نفسه عناء التوقُّف، وكان في المنحدر الرابع نفق إمداد يقود من المستودعات السطحية نزولًا نحو المفاعلات، ولم يرَ من أحدٍ هناك. توقَّف مؤقتًا، وقد سكنت الدراجة البخارية من تحته، انبعثت رائحة حمضية فاقعة في الهواء لا يستطيع تحديد مكانها بدقة، وسُجلت تفاصيل أخرى ببطء، وعلامات الحريق ترتسم على لوحة الحائط، ولطخة لشيءٍ ما داكن تنساب على الأرض. سمع صوت فرقعة من بعيد استغرق منه ثلاثة أو أربعة أنفاس حتى أدرك أنه إطلاق نار.

يبدو أن التطور السريع كان معناه القتال في الأنفاق، تطايرت إلى ذهنه صورة حجرة الدراسة الخاصة بـ "مَي"، وهي مترعة بثقوب الرصاص وغارقة بدماء الأطفال، كانت الصورة راسخة وكأنها شيء يتذكَّره وليس مجرد شيء يتخيله، ها هو الذعر الذي أحسَّ به في القُبة يُداهمه مرة أخرى، لكنه أسوأ مائة مرة. ناجى الستة المجاورة له مُتضرّعًا. "إنها بخير، لن يخوضوا معركة بالأسلحة النارية في الحضانة، يوجد أطفال هناك".

طفقت الأوراق الخضراء-السوداء تذبل بالفعل. لن يخوضوا حربًا حول الأطفال أو الإمدادات الغذائية أو قباب زراعية هشة. ارتجفت يداه مرة أخرى، لكن ليس بالشدة التي تمنعه من القيادة

***

حدث الانفجار الأول بينما كان يتجه إلى أسفل المنحدر من المستوى السابع إلى المستوى الثامن على طول جانب إحدى مغارات الكاتدرائية العملاقة وغير المكتملة؛ حيث تُرِك الجليد الخام للقمر ليذرف ويُعاد تجميده، حتى غدا حائرًا بين كينونته في مساحة خضراء شاسعة وبين كونه قطعةً فنية أزرق ومِيض تبعه ارتجاجٌ عاصف. وتدحرجت الدراجة البخارية. لاح الجدار في الأفق بسرعة، أزاح براكس ساقه من الطريق قبل وقوع الاصطدام، وعلت صيحات من فوقه. ستتحصّن القوات القتالية في دروع، ويتحدَّثون عبر أجهزتهم اللاسلكية، فكّر في أنهم سيفعلون ذلك على الأقل، بينما الناس الذين تتعالى صيحاتهم هناك هم حتمًا مجرد أُناسٍ عاديين. أحدث انفجارٌ ثانٍ نقبًا بجدار الكهف، وهو جزء من الجليد الأزرق والأبيض بحجم القاطرة يتدفّق من السقف ويسقط ببطء وبلا هوادة ثم يتساحق على الأرض، سارع براكس للحفاظ على الدراجة البخارية في وضع مستقيم. شعر بقلبه وكأنه يتشهّى الهرب من قفصه الصدري.

رأى على الحافة العلوية لمنحدر المُنحنى أشخاصًا ماثلين في دروع، لم يكن يعرف ما إذا كانوا تابعين للأمم المتحدة أم للمريخ، استدار أحدهم نحوه شاهرًا بندقيته، أطلق براكس العنان للدراجة البخارية، وانزلق بسرعة على المنحدر، تبعه اصطكاك الأسلحة الآلية ورائحة الدخان وتلاشي البخار. أُغلِقت أبواب الحضانة، ولم يكن يعرف إن كان ذلك فألًا حسنًا أم نذيرَ شؤم، أوقف الدراجة البخارية المترنحة، وقفز من عليها، خارت قدماه وفقدت توازنها، كان ينتوي أن يطرق برفق على القطعة الفولاذية المنسدلة من الباب، ولكن في محاولته الأولى انشق الجلد من فوق مفصل إصبعه.

- "افتحوا الباب! ابنتي في الداخل هنا."!

بدا وكأنه مجنون، لكن شخصًا ما في الداخل سمعه أو رآه على شاشة المراقبة، تقلقلت صفائح الباب الفولاذية المفصلية وبدأت ترتفع، انبطح براكس وتداعى على الأرض.

لم يلتقِ من قبل بالمُعلِّمة الجديدة الآنسة كاري أكثر من عدّة مرات، عند توصيل مَي أو اصطحابها من المدرسة، لا يمكن أن يزيد عمرها على عشرين عامًا، امتازت كالحراميين بطول القامة ونحافة الجسم، لا يذكر أن وجهها كان شاحبًا جدًّا إلى هذا الحد، ورغم

ذلك بقيت حجرة الدراسة في مأمنٍ حصين، والتف الأطفال في دائرة، يصدحون بأغنية عن نملة تسافر عبر النظام الشمسي وقد تناغمت بقوافٍ تشمل جميع أجسام الكُويكبات الرئيسية. لا آثار لدماء ولا ثقوب رصاص لكن تسرّبت من فتحات التهوية رائحة البلاستيك المُحترق، يتوجّب عليه أن يأخذ مي إلى مُستقرٍّ آمن، لم يتأكّد بعد أين سيكون ذلك المُستقر، نظر مليًّا إلى دائرة الأطفال محاولًا التقاط وجهها وشعرها.

قالت الآنسة كاري بصوت لاهث ومتهدّج في آن واحد: "مَي ليست هنا يا سيدي، لقد أخذتها والدتها هذا الصباح".

قال براكس: "هذا الصباح؟"، لكن عقله تشبث بأمها، يا ترى ماذا كانت تفعل نيكولا على جانيميد؟ لقد تلقّى رسالة منها قبل يومين حول الحكم لها بإعالة الطفلة، ولكن لا يمكنها أن تنتقل من سيريس إلى جانيميد في يومين...

قالت المُعلّمة: "بعد تناول وجبة خفيفة مباشرة".

- "تقصدين أنه تم إجلاؤها، جاء شخصٌ ما وارتحل مع مَي".

ووقع انفجارٌ آخر جعل الجليد ينتفض، ماج أحد الأطفال بصوتٍ عالٍ ومرتعب، لفتت المُعلّمة نظرها منه إلى الأطفال، ثم عاودت ولكن عندما تحدّثت مرة أخرى، انخفض صوتها أكثر.

- "جاءت والدتها بعد تناول وجبة خفيفة مباشرةً، اصطحبت مَي معها، ولم تكن هنا طوال اليوم".

سحب براكس جهازه اللوحي، كان الاتصال ما يزال مقطوعًا، ولكن خلفية الشاشة كانت صورة من عيد ميلاد مَي الأول منذ زمن طويل، عندما كانت المياه تجري في مجاريها والأمور لا تزال على ما يُرام، رفع الصورة وأشار إلى نيكولا، تضحك في الصورة وتدلّي العجائن وحزمة المناهج التي كانت فيها مَي.

قال براكس: "هي؟ كانت هنا؟"

أخافه الارتباك الذي خامر وجه المُعلِّمة، لا بُدّ من أن هناك خطأ وقع، شخصٌ ما-مربية جديدة أو أخصائية اجتماعية أو شيءٌ من هذا القبيل جاء لاصطحاب طفل وأخذ طفلًا آخر بالخطأ.

قالت المُعلِّمة: "كانت على الحاسوب، كانت مُسجَّلة على النظام، لقد تعرّف عليها".

أومضت الأضواء، وازدادت رائحة الدخان قوة، بينما طنّت أجهزة إعادة التدوير بصوتٍ عالٍ، وصدر عنها فرقعات إبّان مكافحتها في امتصاص الجسيمات المتطايرة، تعالى أنين فتى كان حريًّا ببراكس أن يعرفه، وحاولت المُعلِّمة بشكل انعكاسي أن تستدير نحوه، ولكن براكس أمسكها من مرفقها ولواه وراء ظهرها.

- "كلا، لقد اقترفتِ خطأً، لمن أعطيتِ مَي؟"

- "أخبرني النظام بأن والدتها كانت تمتلك هوية، لقد أكّد النظام هويتها".

مارت الردهة بصوت إطلاق نار مكتوم، كان أحدهم يصرخ في الخارج، ثم بدأ الأطفال يصرخون، سحبت المُعلِّمة ذراعها بعيدًا. شيءٌ ما قد قرع على القطعة المنسدلة من الباب.

"كانت تبلغ من العمر حوالي ثلاثين عامًا، ذات شعرٍ فاحم، وعيون داكنة، جاءت وبصحبتها طبيب، وكانت مُسجَّلة على النظام، ولم تُحدِث مَي أيّ نوع من الضجة حيال ذلك".

سألها: "هل أخذوا دواءها؟ هل أخذوا دواءها؟"

- "لا، لا أعلم، ولا أظن ذلك".

بدون قصد، جذب براكس المرأة، مرة واحدة فقط ولكن بشدة. إذا لم يكن لدى مَي دواؤها، فقد فاتتها بالفعل جرعة منتصف النهار، قد تستغرق وقتًا طويلًا حتى الصباح قبل أن يبدأ جهاز المناعة في الانغلاق.

قال براكس: "أريني، أريني الصورة، المرأة التي أخذتها".

"لا أستطيع، النظام مُعطّل"، وصرخت المُعلِّمة: "إنهم يقتلون الناس في الردهة".

تلاشت دائرة الأطفال، وتعالت صرخات وعقبها صرخات، وأجهشت المُعلِّمة بالبكاء وصكت وجهها بيديها، اصطبغت بشرتها تقريبًا بالزرقة. شعر والأفكار تتقافز من دماغه بهلع الحيوان البدائي، وبالرغم من الهدوء الذي حطّ عليه فإنه لم يستلذ مما يجري حوله تمامًا.

سألها: "هل يوجد نفق إخلاء؟"

قالت المُعلِّمة: "أخبَرونا بأن نبقى هنا".

قال براكس: "وأنا أطلب منكِ الإخلاء"، ولكن ما كان يتردَّد في ذهنه حقًّا: "يجب أن أعثر على مَي".

الفصل الرابع

بوبي

استردت بوبي وعيها في غمرة من الألم الفاتك والضوضاء الصاخبة، فطرفت بعينها مرةً واحدة في محاولةٍ لتصفية ذهنها وتبيُّن موقعها، وقد تغيّمت رؤيتها إلى حدّ جنوني، وانحل صوت الأزيز في جرس إنذار بدلتها، ولمعت الأضواء المُلونة في وجهها في حين أرسلت شاشة عرض البدلة بياناتها التي عجزت عن قراءتها، وقد تصادف ذلك مع وقت انتصاف إعادة التمهيد وتتابع انطلاق أجهزة الإنذار واحدًا تلو الآخر. حاولت أن تُحرّك ذراعيها وعلى الرغم مما اكتنفها من الضعف فإنها أدركت أن الشلل لم يُصِبها بعد، وأنها لم تتجمّد في مكانها، كما عادت المادة الهُلامية للاصطدام إلى حالتها السائلة.

تحرّك شيءٌ ما عبر نافذة الضوء الخافت المنبعث من درع وجهها وخوذتها، هناك رأس يظهر قليلًا ثم يضمحل عن الأنظار، كما نجمت طرقة عندما وصّل شخصٌ ما خطًّا متينًا في المنفذ الخارجي لبدلتها، إنه إذن المُسعف يستكشف بيانات إصابتها. سمعت عبر السماعات الداخلية في بدلتها صوتًا ذكوريًّا شابًّا يهتف: "وصلنا إليكِ، أيتها الرقيبة، لقد وصلنا إليكِ وستكونين بخير، كل شيء سيكون على ما يرام، فقط تماسكي، وارتاحي هنا".

لم يكد ينتهي بعد من قوله حتى أُغمي عليها مرة أخرى.

***

استفاقت لتجد نفسها محمولة على نقّالة في نفق أبيض طويل، ولم تَعُد بَعد ترتدي بدلتها. ساور بوبي وجلٌ من أن فريق التكنولوجيا الطبية في ميدان المعركة لم يهدروا الوقت في نزع البدلة عنها بالطريقة الطبيعية واستعاضوا عن ذلك بالضرب مباشرةً على مفتاح التحكُّم الذي فجّر كل اللحامات والمفاصل، وهي الطريقة الناجزة لانتزاع جندي مُصاب من أربعمائة كيلوجرام من الهيكل الخارجي المُدرّع أما البدلة فقد

تدمّرت في حصم تلك العملية، وكادت تدهب بوبي نفسها حسراتٍ على فقدان بدلتها الوفية.

تذكرت بعد هُنَيْهة أن فصيلتها بأكملها تمزّقت أشلاءً أمام عينيها، فارتأت أن حزنها على بدلتها سادجٌ مُهين.

بعثت نتوءات صلبة على النقالة هزةً صاعقة ارتد صداها على عمودها الفقري، فاستلقت على ظهرها في الظلام .

***

انطلق صوت: "الرقيبة درابر" .

اجتهدت بوبي في محاولة فتح عينيها ولكن عبثًا حتى أدركت استحالة ذلك، فكل جفن يزن ألف كيلو جرام، وحتى المحاولة وحدها استنفدت قوتها وتركتها مُنهكة؛ لذلك حاولت بدلًا من ذلك أن ترد على الصوت ولكن انتابها الذهول والخجل قليلًا من غمغمات السكارى التي ندت عنها.

قال الصوت: "إنها بالكاد واعية"، لقد كان صوتًا ذكوريًّا عميقًا وقورًا، يملؤه الدفء والحيرة، تمنّت بوبي لو واصل الصوت الكلام حتى تغط في النوم مجددًا.

أجابه صوتٌ أنثويٌّ حادٌّ: "دعها تستريح، إن المجاهدة في إيقاظها تمامًا خلال الوقت الحالي ذات عواقب وخيمة" .

قال الصوت الرزين: "لا أحفل بما إذا كان ذلك سيقتلها أم لا أيتها الطبيبة، يجب أن أتحدَّث مع هذه الجندية، وعليّ أن أفعل ذلك الآن؛ لذا امنحيها كل ما يتعيّن عليكِ منحه لها حتى يتسنى لي التحدُّث معها".

أسرت بوبي الابتسامة في نفسها، ولم تُدقّق في الكلمات التي نطق بها الصوت الرزين، حسبُها نبرته اللطيفة الدافئة، من لطائف الأقدار أن تحظى بشخص كهذا يعتني بك، زحف إليها النوم مرة أخرى، والظلام المُقبِل صديقٌ مرحبٌ به دائمًا

***

أُطلقت النار البيضاء على العمود الفقري لبوبي، فنهضت لتجلس معتدلةً في السرير، مستيقظةً كما كانت في أيّ وقتٍ مضى، شعرت وكأنها تنشّط وتنتعش بفعل المزيج

الكيميائي الذي يتعاطاه النحّارة حتى يحافظوا على وعيهم ويقظتهم أثناء حوص المناورات في حادية عالية فتحت بوبي عينيها ثم أعلقتها مرة أحرى حينها كاد الضوء الأبيض الساطع للغرفة أن يتخطّفهما من محاجرهما.

تمتمت: "أطفئوا الأنوار"، وحرجت الكلمات من حلقها الحاف بصوتٍ هامس.

حفت الضوء الأحمر المتسرّب من جفنيها المُعلقين، ولكن عندما حاولت فتحهما مجددًا، كان الضوء ما يزال برّاقًا للغاية، أخذ شخصٌ ما يدها وأمسكها ثم أودعها قدحًا.

قال الصوت الرزين: "أيمكنك حمل ذلك؟"

لم تُجبه بوبي، رفعت القدح إلى فمها، وعبّت منه الماء عبًّا في رشفتين نهمتين.

قالت: "إليّ بالمزيد"، وهذه المرة نطقت بصوتٍ يماثل صوتها الأصلي.

أنصتت إلى صوت أحدهم يتزحزح من على كرسيٍّ ثم تلاشى وقعُ الأقدام على أرضية قرميدية، استشفت من نظرة خاطفة أنها في المستشفى حيث كان بإمكانها سماع الطنين الكهربائي الصادر من الأجهزة الطبية القريبة منها، وتنازعت رائحتا المُطهّر والبول للهيمنة على المكان. ابتأست لإدراكها أنها مصدر رائحة البول، سال صنبورٌ للحظة، ثم اتجهت الخُطى نحوها، وتسلّمت القدح بين يديها، ارتشفت منه هذه المرة، واحتفظت بالماء في فمها لفترة قبل تجرُّعها. ما أبرد الماء وألذه!

عندما فرغت من الشرب، سألها الصوت: "ترغبين في المزيد؟"

هزت رأسها وقالت: "ربما في وقت لاحق". ثم بعد لحظة: "هل أُصبتُ بالعمى؟"

- "كلا، ولكنكِ تناولتِ مجموعة من الأدوية المُركّزة والمواد الأمفيتامينية القوية مما وسّع حدقة عينيكِ بالكامل، آسف، لم يخطر في بالي خفض الأضواء قبل أن تستيقظي".

ما يزال الصوت مُفعمًا باللطف والدفء، تاقت بوبي إلى أن ترى الوجه المستخفي خلف ذلك الصوت، لذلك خاطرت بالتحديق بعين واحدة، لم يخطف الضوء بصرها كما حدث من قبل، لكنه ما يزال مُجهِدًا اتضح أن صاحب الصوت اللطيف كان رجلًا فارع الطول نحيفًا يرتدي زي الاستخبارات البحرية، دقيق قسمات الوجه، برزت عظام

وجهه حتى أوشكت على النتوء، افترّ ثغره عن ابتسامة مخيفة لم تتجاوز ارتفاع شدقيه ارتفاعًا طفيفًا

قال: "رقيبة المدفعية روبرتا دبليو درابر، قوة مشاة البحرية الثانية"، صوته يتناقض تمامًا مع مظهره لدرجة أن بوبي شعرت وكأنها تشاهد فيلمًا مُدبلجًا من لغة أجنبية.

مرت عدّة ثوانٍ، ولم يرد عن ذلك؛ لذلك أجابته بوبي: "نعم، سيدي"، ثم حلقت في أشرطته لتُضيف: "النقيب".

يمكنها الآن أن تفتح كلتا عينيها دونما ألم، لكن إحساسًا غريبًا بوخز يخترق أطرافها أشعرها بالخدر والارتعاش في آنٍ واحد، قاومت رغبتها المُلحة في التململ.

"الرقيبة درابر، اسمي النقيب ثورسون، وأنا هنا لاستجوابك، لقد فقدنا فصيلتك بأكملها. نشبت معركةٌ ضاريةٌ استمرت يومين بين الأمم المتحدة وقوات المريخ على جانيميد، الأمر الذي أفضى -وفقًا لآخر إحصاء- إلى تدمير البنية التحتية بما يتجاوز خمسة مليارات دولار من خزينة جمهورية الكونجرس المريخي، ومصرع ما يقرب من ثلاثة آلاف من الأفراد العسكريين والمدنيين".

انقطع كلامه مجددًا، ورمقها بنظراته التي تشعُّ من أعين ضيقة لامعة مثل عيون الثعبان. لم تتأكد بعد من الرد الذي يبحث عنه تحديدًا، قالت بوبي توًّا: "نعم، سيدي".

- "الرقيبة درابر، لماذا أطلقت فصيلتك النار على موقع الأمم المتحدة العسكري في القبة الرابعة عشرة ودمرتموها؟"

وقع السؤال من بوبي موقعًا سخيفًا لمنافاته المنطق لدرجة أن عقلها استغرق عدّة ثوانٍ في محاولة تبيُّن ما يعنيه السؤال حقًّا.

- "من أصدر إليكم الأوامر ببدء إطلاق النار، ولماذا؟"

بالطبع لم يستطع أن يسأل لماذا بدأت فرقتها بالقتال، ألم يبلغه شيءٌ عن الوحش؟

- "ألا تعرف شيئًا عن الوحش؟"

لم يُحرك النقيب ثورسون ساكنًا، ولكنه استعلق عابسًا، وقطّب جبهته المتصحمة على أنفه قائلًا: "الوحش!"، ولم يتخلَّ صوته بعد عن الدفء

"سيدي، إنه وحش من نوعٍ ما... مسخ متحوِّل... كائنٌ ما هاجم موقع الأمم المتحدة، وكانت قوات الأمم المتحدة تركض نحونا للهروب منه، لم نطلق النار عليهم هذا . أيًا يكن هذا، هو من قتلهم، ثم قتلنا". قالتها ثم أصابتها نوبة غثيان؛ فتوقفت لتمتص مذاق الليمون في فمها. "أعني، الجميع باستثنائي"

امتعض ثورسون للحظة، ثم مد يده في أحد جيوبه وأخرج مُسجلًا رقميًّا صغيرًا، أوقف تشغيله، ثم وضعه على وعاء بجوار سرير بوبي.

- "أيتها الرقيبة، سأمنحكِ فرصةً ثانية. حتى وقتنا هذا، لا تزالين تمتلكين سجلًا مثاليًّا، أنتِ أحد جنود البحرية الممتازين، من صفوة ما لدينا، هل ترغبين في أن نبدأ من جديد؟"

التقط المُسجِّل ووضع إصبعه على زر الحذف بينما شزرها بنظرة دقيقة.

قالت: "أتظنني أكذب؟" وبات شعورها بالرغبة في انتزاع أطرافها عند تسري الحكة فيها يكافئ رغبتها المتأجِّجة في الإمساك بذراع ذلك الوغد المتعجرف وفصله عن الكوع. "لقد أطلقنا عليه جميعًا النيران، ستكون هناك تسجيلات لكاميرات مدافع الفصيلة بأكملها تُظهر قتل هذا الكائن لجنود الأمم المتحدة ومن ثم مهاجمتنا، يا سيدي".

هز ثورسون رأسه تجاهها، وقد أخذت رأسه شكل البَلْطة من حدتها، كما ضيّق عينيه حتى كادت تختفي.

- "لم يصلنا أيُّ إرسال من الفصيلة لعملية القتال بأكملها، ولا تتوافر أي بيانات تم تحميلها".

قاطعته بوبي: "كانوا يتعرضون للتشويش، وانقطع رابط اللاسلكي الخاص بي عندما اقتربت من الوحش أيضًا".

واصل ثورسون كما لو أنها لم تتكلم. "وفُقدت جميع الأجهزة المحلية عندما سقطت مجموعة المرايا المدارية على القُبة، كنتِ خارج منطقة الارتطام، لكن موجة الصدمة قذفتك قرابة ربع كيلومترٍ آخر، لقد استغرق الأمر منا بعض الوقت للعثور عليك".

"فُقدت جميع الأجهزة المحلية". وكأنها تسلك طريقًا عقيمًا لا ينتهي إلى شيء، اندثر كلُّ فرد من أفراد فصيلة بوبي حينما سقطت عليهم بصعة آلاف الأطنان من المرآة المدارية فصاروا شظايا وبخارًا. أطلقت الشاشة صوت تنبيه خفيض، لكن لم ينتبه لها أحد، لذلك لم تنشغل هي بها أيضًا.

- "بدلتي يا سيدي، لقد أطلقت عليه النار أيضًا، سيظل الفيديو الخاص بي موجودًا".

قال ثورسون: "نعم، لقد فحصنا سجل الفيديو الخاص ببدلتك. لا شيء يظهر، الفيديو ثابت".

جال بخاطرها أن هذا مثل فيلم رعب سخيف عن البطلة التي ترى الوحش، لكن لن يصدقها أحد، تخيلت الفصل الثاني حيث تُحاكم عسكريًّا بشكل مُخزٍ، ثم تُحلُّ عقدة الحبكة في الفصل الثالث وتحصل على براءتها حينما يظهر الوحش مرة أخرى ويقتل كل من لم يُؤمن بوجوده.

تداركت الأمر: "انتظر، ما إصدار ضغط الفيديو الذي استخدمته؟ بدلتي ذات طراز قديم، وتحتاج إلى استخدام ضغط الفيديو الإصدار ١,٥، أخبِر الفريق التقني بذلك، واطلب منهم المحاولة مرة أخرى".

حدَّق بها ثورسون لبضع لحظات، ثم أخرج جهازه اللوحي واتصل بشخص ما.

- "أحضروا البدلة القتالية للرقيبة درابر إلى غرفتها، وأرسلوا معها تقنية بمعدات الفيديو".

نحَّى جهازه جانبًا، ثم جاد على بوبي بابتسامات أخرى من ابتساماته المُرعبة.

- "أيتها الرقيبة، أعترف لكِ بأنني أمتلئ فضولًا حيال ما تريدينني أن أراه، ولكن إذا كان في الأمر حيلة بشكلٍ ما، فلن يزيد ذلك عن أنك اشتريتِ لنفسك بضع لحظات أخرى فحسب".

لم ترد بوبي، لكن رد فعلها على موقف ثورسون قد تحوّل أخيرًا من الخوف إلى الامتعاض المُستتِر ثم إلى الضيق الصريح.

دفعت نفسها على سرير المستشفى الضيق وانقلبت جانبًا، جلست على الحافة وألقت البطانية على جانبها. مع حجمها، فإن حضورها الجسدي عن قرب عادة ما يبث في نفوس الرجال رهبةً أو استثارة؛ مما يسلبهم راحتهم في كلتا الحالتين، مالت قليلًا نحو ثورسون وكافأته عندما دفع كرسيه إلى الخلف بالقدر نفسه.

أدركت من تعبيره المشمئز أنه عرف على الفور ما فعلته، وأشاح بنظره بعيدًا متجاهلًا ابتسامتها.

انفتح باب الغرفة، وقد حمل اثنان من فريق التكنولوجيا البحرية بدلتها حتى وضعوها على أحد الأرفف، لا تزال سليمة دون مساس، لم يدمروها حين انتزعوها منها، شعرت بورمٍ ينمو في حلقها، ولكنها ازدردت ريقها مرة أخرى، كانت تأبى أن تظهر ولو لحظة في مظهر الضعف أمام ثورسون المُهرِّج هذا.

أشار المُهرِّج إلى كبير التقنيين وقال: "أنت، ما اسمك؟"

أدّى إليه التقني الشاب تحيةً عسكرية، وقال: " ضابط صف مرافق كهرباء سينج، يا سيدي".

- "سيد سينج، الرقيبة درابر هنا تزعم أن بدلتها بها ضغط فيديو مختلف عن البدلات الجديدة، وتُعزِي عدم تمكنُّك من قراءة بيانات الفيديو الخاصة بها إلى هذا السبب، هل هذا صحيح؟"

ضرب سينج على جبهته بكفه وقال: "سُحقًا، أجل، لم أفكر في ذلك، هذه بدلة جالوت الإصدار الثالث القديم، عندما بدأوا في تصميم الإصدار الرابع أعادوا كتابة البرنامج الثابت بالكامل؛ لذا فإن نظام تخزين الفيديو يختلف اختلافًا تامًّا، يا للعجب، ما أشد غبائي."!

قاطعه ثورسون: "نعم، افعل كل ما يلزم لعرض الفيديو المُخزّن على هذه البدلة، كلما أسرعت في إنجاز ذلك، قلَّ الوقت الذي أضطر فيه إلى التفكير بشأن التأخيرات الناجمة عن عدم الكفاءة".

أحجم سينج لمصلحته عن الرد، وإنما قام على الفور بتوصيل البدلة بشاشة وباشر العمل، فحصت بوبي بدلتها، كان بها الكثير من الخدوش والضربات، ولكن خلاف ذلك تبدو سليمة، اجتاحتها رغبة عارمة في ارتداء البدلة، ووجّهت ثورسون أين يمكنه التمسُّك بموقفه.

سلسلة جديدة من الهزات ترفع ذراعيها وساقيها، ثمة شيءٌ ما يُرفرف في رقبتها يُشابه دقات قلب حيوان صغير، ها هي تبلغه وتلامسه. كان ذلك نصها، بدأت تقول شيئًا ما، لكن التقني كان يرفع قبضة يده، وتعالت الأكف في مصافحة لمساعده.

قال سينج: "وجدته، يا سيدي"، ثم بدأ التشغيل.

حاولت بوبي المشاهدة، لكن الصورة ظلت مُشوَّشة، حاولت أن تمد يدها نحو ذراع ثورسون لجذب انتباهه، لكن فاته ذلك بطريقة أو بأخرى، واستمر التقدم للأمام.

فكرت: "ها نحن مجددًا"، وكانت هناك لحظة وجيزة للسقوط الحر قبل حلول الظلام.

***

قال الصوت الحاد: "اللعنة!، لقد أخبرتكم بحق السماء أن هذا سيحدث، أصيبت الجندية بجروح داخلية وارتجاج في المخ، لا يمكنك ضخها بأقصى سرعة ثم استجوابها، إنه عمل غير مسؤول، تصرُّف إجرامي لعين."!

فتحت بوبي عينيها، وقد استلقت مجددًا على السرير، بينما جلس ثورسون على الكرسي بجانبها، وقفت عند طرف سريرها امرأة شقراء ممتلئة الجسم ترتدي زي المستشفى، قد غلى وجهها باحمرار الغضب، وعندما رأت أن بوبي مستيقظة، تحرَّكت إلى جانبها وأمسكت بيدها.

"الرقيب دراير، لا تحاولي التحرُّك. لقد تعرضت للسقوط وتفاقمت بعض إصاباتك، استقرت حالتك أخيرًا، لكن عليكِ أن ترتاحي الآن".

رفعت الطبيبة بصرها إلى ثورسون وهي تقول ذلك، وارتسمت على وجهها علامات التعجُّب عقب كل جملة. هزت بوبي رأسها؛ مما جعل رأسها يبدو وكأنه وعاء من الماء

تُحمل في حادثة متغيّرة، ربما يعني عدم إيذائها أنهم أشبعوها حقنًا بكل الأدوية المُسكِّنة للألم التي لديهم

قال ثورسون: "كان إسعاف الرقيبة درابر أمرًا ضروريًا"، ولم يظهر في صوته العذب أن ذلك تلميح بالاعتذار. "بفضل ذلك، ربما تكون قد أنقذتنا للتو من حرب شعواء مع الأرض. مخاطرة المرء بحياته حتى لا ينساق الآخرون إلى ذلك المصير هو إلى حد كبير توصيف دقيق للعمل الذي أسدته لنا روبرتا".

غمغمت بوبي: "لا تناديني باسم روبرتا".

قال ثورسون: "أيتها الرقيبة، أنا آسف لما حدث لفريقك، لكني آسف أكثر لعدم تصديقك، شكرًا لكِ على الرد بمنتهى الكفاءة المهنية، لقد تجنبنا ارتكاب خطأ جسيم بسبب ذلك".

قالت بوبي: "ظننتك شخصًا مَقيتًا فقط".

- "ذلك ما يتطلبه عملي أيتها الجندية".

نهض ثورسون: "فلتأخذي قسطًا من الراحة، سنقوم بشحنك بعيدًا بمجرد استرداد عافيتك بما يكفي للرحلة".

- "تشحنونني بعيدًا؟ سأعود إلى المريخ؟"

لم يجب ثورسون عليها، اكتفى بإيماءة إلى الطبيبة، ثم اختفى. ضغطت الطبيبة على زر بالقرب من سرير بوبي، وسرى شيءٌ ما لطيف في ذراعها، ثم انطفأت الأنوار.

***

الجيلاتين. لماذا تقدم المستشفيات الجيلاتين دائمًا؟

خبطت بوبي ملعقة المشوك بعشوائية في كومة خضراء مرتعشة في طبقها، وشعرت أخيرًا أن حالتها تحسّنت بما يكفي لتناول الطعام حقًا، ولكن الأطعمة الخفيفة والشفافة التي دأبوا على إحضارها لها لم تعد ترضي نهمها، حتى خليط الطعام الذي يحتوي على نسبة عالية من البروتين والكربوهيدرات الذي تقدّمه معظم المركبات البحرية بدا جيدًا في ذلك الوقت، أو شريحة قطر سميكة مُغطاة بالمرق مع الكُسْكُسي...

انفتح باب غرفتها وجاءت طبيبتها، التي كانت تعرف الآن أن اسمها تريشا بيشوب، لكنها تُصر على أن يناديها الجميع بالدكتور تريش. جاءت مع النقيب ثورسون ورجل جديد لم تكن تعرفه. ابتسم ثورسون ابتسامته المرنة، لكن بوبي قد عرفت أن هذه هي الحلقة التي انطبع عليها وجه الرجل، يبدو أنه يفتقر إلى العضلات اللازمة للابتسام الطبيعي، بينما ظهر الرجل الجديد مرتديًا زي قساوسة بحرية المريخ، وهو ينتسب إلى انتماءٍ ديني غير مُحدَّد.

تحدَّثت الطبيبة تريش أولًا: "أنباء سارّة يا بوبي، سنُطلق سراحك غدًا، بماذا تشعرين؟"

قالت بوبي: "بخير، فقط أشعر بالجوع"، ثم تناولت جرعة أخرى من الجيلاتين.

قالت الطبيبة تريش: "سننظر بشأن كيف نحضر لك بعض الطعام الحقيقي"، ثم ابتسمت وغادرت الغرفة.

أشار ثورسون إلى القس: "هذا هو النقيب مارتينز، سيصحبنا في رحلتنا، سأترككما لتتعارفا".

غادر ثورسون قبل أن تتمكَّن بوبي من الرد، ومال مارتينز ليجلس على الكرسي المجاور لسريرها، مدَّ يده فصافحته.

قال: "مرحبًا يا رقيبة، أنا..."

قاطعته بوبي قائلةً: "عندما حددت مستواي ٢٧٩٠ على أنه "لا شيء" فيما يتعلق بالإيمان الديني، كنت جادة بشأن ذلك".

ابتسم مارتينز، ويبدو أنه لم يستأ من مقاطعتها أو لا إراديتها.

- "أنا لست هنا بصفتي الدينية أيتها الرقيبة، أنا أيضًا معالج نفسي متمرِّس، وبما أنك عاينتِ مصرع كل أفراد فرقتك، وكادت تصل بكِ الحال إلى أن تقتلي نفسك، اتفق النقيب ثورسون وطبيبتك على أنكِ قد تحتاجين إلى مساعدتي"

بدأت بوبي تردّ عليه باستنكار، ولكن سرعان ما انقطع ذلك بسبب الورم الناشئ في حلقها، أخمدت انزعاجها بتناول شربة طويلة من الماء، ثم قالت: "أنا على ما يُرام، شكرًا لقدومك".

انحنى مارتير إلى الخلف على الكرسي، محافظًا على ابتسامته التي لا تتبدد أبدًا

- "إذا كنتِ حقًّا على ما يُرام بعد كل ما مررت به، فسيكون ذلك شاهدًا على وجود خللٍ ما، وأنت على وشك الوقوع في موقف ملتبس يعج بالكثير من أشكال الضغط النفسي والذهني. بمجرد أن نصل إلى الأرض، لن يكون لديكِ رفاهية التعرض للانهيار العصبي أو الاستجابة لاضطراب ما بعد الصدمة، لدينا الكثير من العمل من أجل..."

"الأرض؟" استوقفته بوبي مُنقضَّة على الكلمة، "مهلًا! لماذا سأذهب إلى الأرض؟"

الفصل الخامس

أفاسارالا

جلست كريسجين أفاسارالا -مساعدة وكيل الإدارة التنفيذية لحكومة الأمم المتحدة- بالقرب من طرف الطاولة، وقد تميّز السّاري الذي ترتديه باللون البرتقالي، وهو اللون المتفرِّد بزهوِهِ وسط ما ساد الاجتماع من لفيف اللون الأزرق والرمادي العسكري، بينما اتخذَ السبعة الآخرون مقاعدهم على الطاولة، وهم رؤساء فروعهم في القوات العسكرية للأمم المتحدة، وكانوا جميعًا رجالًا، وقد أحاطت بها لديهم خُبْرًا، فكانت تعرف أسماءهم ومساراتهم المهنية وخصائص شخصياتهم النفسية ومقدار رواتبهم وتحالفاتهم السياسية، بل زاد على ذلك أنها تعرف مع من يتضاجعون. وقف المساعدون الشخصيون وطاقم الموظفين أمام الجدار الخلفي في وَهدةٍ من سكونٍ مُوتَّر يُشبهون المراهقين الخجالى في حفلِ رقص صاخب. تسلّلت يد أفاسارالا إلى الفستق في حقيبتها، وفتّت القشرة خفيةً، ثم التقمت حبة الفستق المُملّحة.

- "يجب التمهّل في عقد أيّ اجتماع مع القيادة المريخية ريثما يستقر الوضع في جانيميد؛ لأنّ إجراء محادثات دبلوماسية رسمية قبل ذلك الوقت سيجعل الأمر يبدو وكأننا رضخنا للوضع الراهن الجديد".

هكذا تكلّم بلهجة متشدِّدة الأميرال نجوين، أحدث الرجال الحاضرين سنًّا، شديد الخيلاء كما ينزع الشباب الناجحون عادةً إلى الاعتزاز بأنفسهم.

أطرق الجنرال أديكي ساندوفال برأسه المُفلطح: "أوافقك الرأي، لا يسعنا هنا التفكير في كوكب المريخ فقط، إذا ظهرنا بمظهر الضعف أمام تحالف الكواكب الخارجية، فعندها يمكنك أن ترى الأنشطة الإرهابية تتفاقم".

استند ميكيل آجي -من السلك الدبلوماسي- بظهره إلى كرسيه، ولعق شفتيه في تلهُّف، وقد جعله شعره المملس إلى الخلف ووجهه المشموط يبدو وكأنه جرذٌ مُحشّم: "أيها السادة، اسمحوا لي أن أخالفكم الرأي." . .

قال الجنرال نيتلفورد بلهجة جافة: "بالطبع، يحق لك ذلك"؛ فتجاهله آجي وتابع:

- "عقد الاجتماع مع المريخ في هذه المرحلة تُعتبر خطوة أولى ضرورية، إذا شرعنا بطرح الظروف والمُعوِّقات المُسبقة، فلن تستغرق هذه العملية وقتًا أطول فحسب، ولربما زادت فرص تجدُّد الأعمال العدائية، إذا تمكّنا من تخفيف الضغط، سينفجر بعض البخار."...

أمال الأميرال نجوين رأسه، وقد انطمست تعابير وجهه، ثم تحدّث بنبرةٍ حوارية: "يا رفاق إنكم ساقطون في القاع، فهلا تأتون باستعارات أبلغ من المحرِّك البخاري؟"

تضاحكت أفاسارالا مع الآخرين، ولم تفكر كثيرًا في آجي أيضًا.

قال الجنرال نيتلفورد: "لقد أخذ كوكب المريخ في التصعيد بالفعل، يبدو لي أن أفضل تحرُّك لنا في هذه المرحلة يتمثّل في سحب الرجل السابع من محطة سيريس، ولندعه يحترق، نضع ساعة موقوتة على الجدار، ثم لننظر ما إذا كان المريخيون يريدون الرجوع للوقوف في جانيميد".

تساءل نجوين: "هل تقصد نقله إلى نظام المُشترِي، أم أخذه نحو المريخ؟".

قال نيتلفورد: "يبدو أخذ شيء ما في اتجاه الأرض مُشابهًا إلى حد بعيد لنقله نحو المريخ".

تنحنحت أفاسارالا ثم سألت: هل لديك أنباء جديدة عن الجزيء الأولي المُهاجِم؟"

أجابها نيتلفورد. "ما يزال الخبراء التقنيون يعملون على ذلك، ولكن ذلك يُعضِّد رأيي، فإذا كان المريخ يختبر تقنيات جديدة على جانيميد، فلا يمكننا أن ندع هم الدّفة يتحكمون في الإيقاع كيفما شاءوا، علينا أن نمتلك مصدر تهديد من جانبنا على الرّقعة".

سأله آجي: "هل كان الجزيء الأولي رغم ذلك؟ أعني أنه كان على إيروس عندما حدث السقوط!"

قال نيتلفورد مرة أخرى وهو يقصم الكلمات قليلًا: "إنهم يعملون على ذلك، هناك بعض أوجه التشابه الفادحة، ولكن هناك بعض الاختلافات الجوهرية أيضًا، فلم ينتشر بالطريقة التي انتشر بها على إيروس، مع أنه ليس ثمة تغيير بين الطريقة المُتبعة في جايميد والطريقة التي انتهجها سكان إيروس، ويتضح من صور الأقمار الصناعية التي توصَّلنا إليها أنه إما انتقل إلى أراضي المريخ وإما تدمَّر ذاتيًّا أو تخلصوا منه من جانبهم، وإذا كان مرتبطًا بـ إيروس للأبد، فقد تم تنقيته".

قال الأميرال ساوثر: "ولهذا حصل المريخ على عينة وتسلَّح بها". لم يستطرد في كلامه لدرجة أن أفاسارالا كانت تنسى دائمًا مدى ارتفاع صوته.

قال نيتلفورد: "هذا أحد الاحتمالات، احتمال قوي للغاية".

قال نجوين بابتسامة هادئة تنمُّ عن اعتداده بذاته: "انظروا"، ومثل طفل يعرف كيف يشق طريقه تابع: "أعلم أننا اتخذنا الضربة الأولى من على الطاولة هنا، لكننا بحاجة للحديث عن حدود الاستجابة الفورية، إذا كان هذا بمثابة عملية تجريبية لعمل أعظم، فقد يكون الانتظار أمرًا جيدًا مثل الخروج من غرفة معادلة الضغط".

قالت أفاسارالا: "يجب أن نعقد اجتماعًا مع المريخ".

ساد الهدوء الغرفة، واكفهر وجه نجوين، قال: "هل هذا..."، لكنه لم يُكمِل الجملة، راقبت أفاسارالا الرجال يتبادلون فيما بينهم النظر، التقطت حبة فستق أخرى من حقيبتها، وأكلت لُب الفُستق بينما دسَّت القشر بعيدًا عن الأنظار، جاهد آجي في إخفاء حبوره البادي على وجهه، لقد احتاجت حقًّا أن تكتشف اليد الخفية التي تُحرِّك الدُّمى من وراء الستار، ووضعت شخصًا مثل آجي ممثلًا للسلك الدبلوماسي، لقد كان اختيارًا كارثيًّا.

قال نيتلفورد: "سيحُول الجانب الأمني دون ذلك، نحن لا نسمح لمركباتهم بالدخول داخل محيطنا الدفاعي الفعّال".

- "حسنًا، لن نُحقق ذلك بشروطهم، إذا كنا سنفعل ذلك، فنحن نريدهم هنا، حيث نسيطر على الأرضية".
- "فليقفوا على بعد مسافة آمنة، ولكن هل ننقلهم وسائل النقل الخاصة بنا؟"

- "حتمًا لن يوافقوا على ذلك".
- "لذلك دعونا نتعرف على ما سيوافقون عليه".

نهضت أفاسارالا في هدوء واتجهت نحو الباب، كان مساعدها الشخصي وهو فتى أوروبي اسمه سورين كوتفالد قد انزاح عن الجدار الجانبي وتبعها. تظاهر الجنرالات بأنهم لم يلاحظوا خروجها، أو ربما انغمسوا في السلسلة الجديدة من المشاكل التي سلّطتها عليهم. في كلتا الحالتين كانت متأكدة من أنهم كانوا سعداء بخروجها ومغادرتها المكان.

كانت ممرات مجمع الأمم المتحدة في لاهاي نظيفة وواسعة، والتصميم بطرازه الرقيق جعل الأشياء من حولهم تبدو وكأنهم في متحف ديوراما للمستعمرات البرتغالية في الأربعينيات، توقفت مؤقتًا أمام وحدة إعادة تدوير المواد العضوية وبدأت في إخراج قشر الفستق من حقيبتها.

سألت فتاها: "ماذا بعد؟"

- "استجواب مع السيد إرينرايت".
- "وبعد ذلك؟"
- "الموعد المُزمع مع ميستون جرافيس لمناقشة المشكلة الأفغانية".
- "ألغِ ذلك".
- "ماذا أُخبره؟"

نفضت أفاسارالا يديها فوق حاوية النفايات، ثم استدارت، وسارت بخفة نحو المصاعد والمشاعات المركزية.

قالت: "تبًّا له، أخبره أن الأفغان كانوا يناهضون الحكم الخارجي من قبل أن يطرد أجدادي البريطانيين، بمجرد أن أكتشف كيفية تغيير ذلك سأخبره".

- "حسنًا يا سيدتي".
- "أحتاج أيضًا إلى ورقة موجزة بالمستجدات الأخيرة في كوكب الزهرة، وليس لدي وقت لنيل دكتوراه أخرى كي أستطيع قراءتها؛ لذلك إذا لم تكن بلغة

واضحة ومُختصرة، اطرد ابن العاهرة هذا الذي يكتب التقارير، وأحضر شخصًا آخر يُجيد الكتابة".

- "أمركِ يا سيدتي".

تلألأ المصعد الذي ارتفع من الردهة العامة وعرف الاجتماعات حتى المكاتب مثل الألماس المغروز المُرصّع بالفولاذ، وقد كان واسعًا بما يكفي لجلوس أربعة أشخاص على مأدبة عشاء، لقد أدركت ذلك عندما تقدّموا أكثر، وبدأ الصعود الحذِر عبر المستويات، خارج نوافذ المناطق العامة، يبدو مجمع بينتهوف عارقًا، وتنتشر في لاهاي المباني الضخمة التي تأخذ شكل عش النمل تحت سماء زرقاء صافية. لقد حلّ فصل الربيع، وتلاشى الثلج الذي لامس المدينة منذ ديسمبر، كما يطوف الحمام أرجاء الشوارع، عاش ثلاثون مليار شخص على هذا الكوكب لكنهم لم يزاحموا الحمام أو ينفّروه قط.

قالت: "كلهم رجالٌ سافلون".

قال سورين: "معذرة؟"

وضّحت: "الجنرالات، كلهم رجالٌ سافلون".

- "اعتقدت أن ساوثر هو الوحيد."...
- "لا أقصد أنهم يمارسون الجنس مع الرجال، أعني أنهم جميعًا رجال أوغاد، كم مضى منذ أن كانت سيدة هي المسئولة عن القوات المسلحة؟ ليس منذ أن جئت إلى هنا؛ لذا على النقيض من ذلك، ينتهي بنا الأمر بمثال آخر لما يحدث للسياسة عندما يكون هناك الكثير من هرمون التستوستيرون في الغرفة. بالمناسبة: تواصل مع أنيت رابير في المَرافِق، أنا لا أثق في نجوين. إذا بدأت الزيارات والاتصالات تتواتر بينه وبين أي شخص في الجمعية العمومية للأمم المتحدة، فأرغب في معرفة ذلك".

تنحنح سورين: "عفوًا، سيدتي، هل كلفتني للتو بالتجسس على الأميرال نجوين؟"

- "لا، لقد طلبت للتو إجراء تدقيق شامل لحركة مرور الشبكة وجميع بياناتها، ولا أهتم بأيّ نتائج بخلاف مكتب نجوين"
- "بالطبع، هذا خطأ مني".

ارتفع المصعد عبر النوافذ، متجاوزًا مطر المدينة، وعند بلوغ العمود المظلم لطوابق المكاتب الخاصة، فرقعت أفاسارالا أصابعها، وقالت: "للاحتياط أيضًا افعل ذلك بمبادرة خاصة منك".

- "أجل، سيدتي، هذا ما ذهب إليه تفكيري أيضًا".

لمن لا يعرفون أفاسارالا إلا من خلال السمعة، فقد كان مكتبها متواضعًا بشكل مُضلِّل، واقعًا في الجانب الشرقي من المبنى حيث يشق الموظفون ذوو الرُّتب الدنيا طريقهم، ولم يكن في المكتب زاوية بل مجرد نافذة تطل على المدينة، وتنطفئ شاشة الفيديو التي احتلت معظم الحائط الجنوبي عندما لا تكون قيد الاستخدام النشِط فتغدو سوداء غير لامعة، بينما غُطيت الحوائط الأخرى بألواح من الخيزران، وزُخرفت السجادة القصيرة الصناعية؛ لإخفاء ما ألمّ بها من بقع، وتمثلت الزخارف في شكلٍ واحد فقط وهو ضريح صغير به تمثال منحوت من الطين لجوتاما بوذا بجانب مكتبها، فضلًا عن مزهرية من قطع الكريستال تضم الزهور التي كان يرسلها زوجها أرجون كل خميس. عبق المكان برائحة تشبه رائحة البراعم المُزهرة ودخان الغليون العتيق، على الرغم من أن أفاسارالا لم يسبق لها التدخين ولم يختلف إليها شخصٌ يدخن في مكتبها، سارت إلى النافذة، تطالع ما يجري تحتها حيث تفشَّت في المدينة المباني الخرسانية الشاهقة وتداخلت مع المباني الحجرية القديمة.

في السماء المظلمة، احترق كوكب الزهرة. خلال فترة الاثني عشر عامًا التي قضتها في هذا المكتب، في هذه الغرفة، تغيَّر كل شيء. كان التحالف بين الأرض وشقيقها الصاعد شيئًا أبديًّا لم يتزعزع ذات مرة، بينما كان الحزام مُنغِّصًا وملاذًا تأوِي إليه خلايا صغيرة من المنشقين ومثيري الشغب ممن يُحتمل أن يقضوا نحبهم نتيجة عطل في مركبة أو يمثلون أمام العدالة لمحاكمتهم.عاشت البشرية وحدها في الكون.

ثم ظهر الاكتشاف السري، كان فيبي -قمر زحل الفريد- سلاحًا فضائيًّا أُطلق على الأرض حينما كانت الحياة هنا فكرة مثيرة ملتفة في طبقة ثنائية الدهون، كيف يمكن لشيء ما أن يكون هو نفسه بعد ذلك؟ ومع ذلك كان كذلك، أجل ما يزال كوكب الأرض والمريخ غير متأكِّدين مما إذا كانا حليفين دائمين أم عدوين لدودين أجل تحالف

الكواكب الخارجية (أوبا) هو حرب الله الذي نشأ من العدم، لقد كان في طريقه ليُصبح قوة سياسية حقيقية في الكواكب الخارجية. أحل الشيء الذي كان يُفترض به أن يعيد تشكيل المحيط الحيوي البدائي للأرض عالب ذلك وانقلب كُويكبًا شريرًا أسفل غيوم كوكب الزهرة وأخذ يفعل الأفاعيل.

لكن الربيع ما يزال يأتي، ودورة الانتخاب تستمر في الصعود والهبوط، ونجم المساء ما زال يُضيء السماوات بلونها النيلي، متجاوزًا في ارتفاعه حتى أعظم مدن الأرض.

في أيام أخرى، كانت أفاسارالا تجد ذلك باعثًا على الطمأنينة.

قال سورين: "السيد إرينرايت".

التفت أفاسارالا إلى الشاشة المُغلقة على الحائط وقد بدأت تنبض بالحياة، أقبل سادافير إرينرايت ببشرة مُغمقة بخلاف ما عُرف به من صفاء البشرة، بينما حافظ على ملاسة وجهه واستدارته، كان يمكن أن يحتل مكانه في أيّ مكان في البنجاب، ولكن سحر صوته أثّر على الذائقة الطربية التحليلية الرائعة لبريطانيا، تزيّا ببدلة داكنة وربطة عنق ضيقة وأنيقة، أينما ذهب كان ضوء النهار يسطع من خلفه، وظلت هناك حلقة وصل مُرفرفة في المكان تحاول تحقيق التوازن بين الضوء اللامع والظُّلمة الحالكة؛ مما ترك له ظلًّا في المكتب الحكومي أو صورة لرجلٍ مشمولٍ بالضوء.

- "اجتماعكم قد سار على نحو جيد، آمل ذلك؟"

قالت: "كان الأمر على ما يُرام، نحن نمضي قدمًا في عقد اجتماع قمة مع المريخ، إنهم يعملون على التدابير الأمنية الآن".

- "أكان هذا هو الإجماع؟"
- "بمجرد أن أخبرتهم، صار إجماعًا. أجل سيرسل المريخيون كبار رجالهم إلى اجتماع مع مسئولي الأمم المتحدة لتقديم اعتذارهم شخصيًّا، ومناقشة كيفية تطبيع العلاقات وإعادة جانيميد إلى ما كانت عليه، إلى آخر هذه الثرثرة الفارغة، صحيح؟"

حدش إريترايت دقته، وقال. "لست متأكدًا من أن هده هي الطريقة التي يرى بها أصداؤنا المريخيون الأمر"

- "يوسعهم الاحتجاج، سينشر بيانات صحفية مارزة، ويهدد بإلغاء الاجتماع حتى اللحظة الأخيرة، الدراما العالية مُدهلة، أكثر من مُدهلة، إنها أمر مُشتِت للانتباه، فقط لا تدع الدُّمى المتحرِّكة تتحدث عن الزهرة أو إيروس".

جفل دون أن يشعر تقريبًا: "من فضلك، لا يصح أن نُشير إلى الأمين العام على أنه دُمية متحرِّكة."!

- "ولِمَ لا؟ إنه يعلم أنني أفعل، وأقول ذلك في وجهه، دون أن يمانع".
- "يعتقد أنك تمزحين".
- "هذا لأنه دُمية حمقاء، لا تدعه يتحدَّث عن الزهرة".
- "وماذا عن تسجيلات الفيديو؟"

لقد كان سؤالًا وجيهًا، أيًا ما يكون الهجوم الذي شُنَّ على جانيميد، فقد نشأ في المنطقة التي تسيطر عليها الأمم المتحدة، إذا سلمنا بالوثوق في الثرثرة التي تجري في القنوات السرية، وإن لم تكن كذلك، فإن لدى كوكب المريخ بدلة بحرية وحيدة، بينما تمتلك أفاسارالا سبع دقائق للفيديو عالي الدقة من أربعين كاميرا مختلفة، ويظهر في الفيديو كائن يُقتِّل خيرة رجال الأرض الذين وقفوا للذود عنها، حتى لو اقتنع المريخيون بالتزام الهدوء وعدم إظهار الفيديو، فلن يمكن أن يبقى طي الكتمان للأبد.

قالت أفاسارالا: "أمهلني حتى الاجتماع، دعني أرى ما يقولون وكيف يقولون ذلك، ثم سأعرف كيف أتصرّف، إذا كان سلاحًا مريخيًا، فسيعرضونه على الطاولة بين ما يقدرون على فعله".

قال إريترايت ببطء: "سأرى ذلك"، بمعنى أنه لن يفعل .

قالت أفاسارالا. "سيدي، مع كامل احترامي، لكن في الوقت الحالي يجب أن يكون هذا شيئًا بين الأرض والمريخ".

- "الدراما العالية بين القوتين العسكريتين الرئيسيتين في النظام هي ما نريده؟ كيف ترين الأمر بالضبط؟"

أجابت: "تلقيت نبيهًا من مايكل جون دي أوبريي حول زيادة النشاط على كوكب الزهرة في الوقت نفسه الذي بدأ فيه إطلاق النار على جانيميد، لم تحدث طفرة، لكن كان هناك ارتفاع للمعدل، وكوكب الزهرة تثور ثائرته فقط حين تُصيبه لعنة تشبه الجزيء الأولي الذي ظهر على جانيميد؟ وذلك يمثل مشكلة".

تركته غارقًا في أفكاره للحظة قبل أن تتابع، زاغت عينا إرينرايت، وصارت نظراته كما لو كان يقرأ الهواء، هكذا اعتاد أن يفعل عندما يفكر مليًّا.

استطردت: "إستراتيجية قعقعة السيوف، استخدمناها من قبل، ولقد نجونا من ذلك، إنه جزءٌ معلوم، لديّ ملف يشتمل على تسعمائة صفحة من التحاليل وخطط الطوارئ للصراع مع المريخ، بما في ذلك أربعة عشر تصوُّرًا مختلفًا حول ما نفعله إذا طوَّروا تقنية جديدة غير متوقعة. ولكن كم يضم الملف حول ما نفعله إذا ظهر شيء ما من كوكب الزهرة؟ ثلاث صفحات فقط، وتبدأ الخطوة الأولى بـ: (ابحث عن الله."(

بدا إرينرايت رزينًا، في حين كان بوسعها سماع سورين من خلفها، يبدو صمته مختلفًا. صمتٌ يبث قلقًا أكبر من القلق الذي كان يشيعه في النفس عادةً، وقد ألقت أفاسارالا مخاوفها على الطاولة أمام إرينرايت .

قالت في تؤدة: "أمامنا ثلاثة خيارات؛ الأول: المريخ هو من صنعه، ومن ثَمَّ هذه حرب ويمكننا معالجة ذلك. الثاني: شخصٌ آخر هو من صنعه، وهذا أمر غير سارّ وبالغ الخطورة، ولكن يمكن تسويته. الثالث: لقد صنع نفسه، وعندها ستضيق بنا السبل وتتقطّع بنا الحيل".

قال إرينرايت معاتبًا: "هل ستضعين المزيد من الصفحات إلى ملفك الهزيل؟"

- "لا يا سيدي، سأحدد أيًّا من الثلاثة نحن فيه، وإذا كان الأمر متمثلًا في أي من الخيارين الأولين، فسأعالج المشكلة".
- "وإذا كان الخيار الثالث؟"

قالت: "أتقاعد، ولأدعك تصنع أحمق آخر في موضع المسؤولية".

كان إيرينرايت قد عرفها منذ زمن بعيد بما يكفي لسماع نبرة الدعابة في صوتها، ابتسم وسحب ربطة عنقه في شرود، كان قلقًا مثلها لدرجة أن قلقه لا يخفى على أحد يعرفه قال: "هذا حبل مشدود، ولا يمكننا أن ندع الصراع في جانيميد محتدمًا للغاية"

قالت أفاسارالا: "سأُبقي الأمر عرضًا جانبيًّا، ما من أحد يستطيع أن يشن حربًا إلا إذا قلت لهم، فيمكنهم أن يفعلوا".

- "تقصدين ما لم يُصدر الأمين العام القرار التنفيذي وأيّدته الجمعية العمومية للأمم المتحدة".

قالت: "وسأخبره متى يمكنه فعل ذلك، ولكن يمكنك أن تُنبئه بمستجدات الأخبار، فسماعها من جدة عجوز مثلي يجعل قضيبه ينكمش".

- "حسنًا، لا يمكننا السماح بذلك بالتأكيد، دعيني أعرف كل ما تصلين إليه، وسأتحدث مع فريق كتابة الخطابات، وأتأكد من أن نَص بيانه لن يتجاوز الحدود التي نرسمها".

قالت: "ولن يُسرِّب فيديو الهجوم أيُّ شخص إلا بعد الرجوع إليّ وأخذ إذن مني بذلك، أيُّ شخص يُسَرِبه يُدان بتهمة الخيانة العظمى، وسيُحاكَم أمام محكمة شرعية، ويُنفى إلى مُستعمرة العقوبات القمرية مدى الحياة".

"هذا قريب بما يكفي، لا تكوني صعبة المراس يا كريسجين، نحن في أوقات عصيبة، كلما قلّت المفاجآت، كان ذلك أفضل".

قالت: "نعم يا سيدي"، ثم انقطع الاتصال. أظلمت الشاشة، فأصبح بإمكانها أن ترى نفسها فيها متجسّدةً في لطخةٍ برتقالية يعلوها اللون الرمادي لشعرها، بينما طُمس سورين بين اللونين الأبيض والكاكي.

- "هل تحتاج إلى مزيد من العمل؟"
- "لا، يا سيدتي"
- "إذن اغرب عن وجهي".

- "أمركِ يا سيدتي".

سمعت خطاه تتقهقر من حلمها.

- "سورين!"
- "سيدتي؟"
- "أحضِر لي قائمةً بكل من أدلى بشهادته في جلسات استماع حادثة إيروس، وأعِرض ما قالوا في شهادة على المحللين النفسيين العصبيين إذا لم يكن قد تمّ ذلك بالفعل".
- "هل ترغبين في إحضار المحاضر؟"
- "نعم، هذا أيضًا".
- "سأُحضرها لكِ في أقرب وقت ممكن".

ولّى وأغلق الباب خلفه، وغرقت أفاسارالا في كرسيها، كانت قدمها تُؤلمها، وزاد شعورها بالصداع الذي يطاردها منذ الصباح حتى استفحل، وأخذت تسعل حتى تُطهّر حلقها. ابتسم بوذا ابتسامةً صافية، فضحكت له، كما لو كانا يتشاركان دعابةً خاصة بينهما. أرادت العودة إلى المنزل، والجلوس على شرفة منزلها تستمع إلى أرجون وهو يعزف على البيانو.

وبدلًا من ذلك..

استخدمت جهازها اللوحي بدلًا من جهازها المكتبي للاتصال بأرجون، كانت تنساق دائمًا لدافع خرافي يدفعها إلى جعلهما متباعدين، حتى في حالات بسيطة مثل هذه، أجاب عن الاتصال في الحال، كان وجهه مائلًا، واللحية المقصوصة قد اشتعلت شيبًا الآن، ولكن عينيه تشعان بالفرح دائمًا، حتى لو عاده استعمارٌ، بمجرد النظر إليه كان صدرها ينشرح وتشعر بالسكينة.

قالت: "ستتأخّر في العودة إلى المنزل"، وأعربت على الفور عن أسفها سرة حوفاء. أطرق أرجون رأسه.

"لقد صُدمت بما يفوق قدرة الكلمات عن التعبير"، حتى سخرية الرجل كانت لطيفة. "القناع ثقيل اليوم؟"

القناع، هكذا أسماه، وكأن الشخص الذي تكون عليه عندما تواجه العالم شخصٌ زائف، بينما الشخص الذي يتحدَّث معه أو يلعب ألعاب الرسم مع حفيداتها هو شخصها الحقيقي الأصلي، اعتقدت أنه كان مخطئًا، لكن الخيار مُريح للغاية لدرجة أنها كانت تُجاريه دائمًا.

- "اليوم ثقيل للغاية، ماذا تفعل الآن يا حبيبي؟"
- "أقرأ مسودة أطروحة كوكوري، إنها بحاجة إلى تعديلات".
- "هل أنت في مكتبك؟"
- "نعم".

قالت: "عليك أن تذهب إلى الحديقة".

- "لأن هذا هو المكان الذي تريدين أن تكوني فيه؟ يمكننا الذهاب معًا عندما تكونين في المنزل".

تنهَّدت وقالت: "ربما أتأخر كثيرًا".

قال: "أيقظيني، ويمكننا أن نذهب بعد ذلك إلى هناك".

لمست الشاشة، فابتسم ابتسامةً عريضة كما لو أنه شعر بها تداعبه. قطعت الاتصال، تأصَّلت هذه العادة بينهما بمرور الزمن، لا يودع أحدهما الآخر. كانت هذه واحدة من آلاف المُصطلحات الشخصية الصغيرة التي نمت بينهما على مدار عقود من الزواج.

التفتت أفاسارالا إلى جهازها المكتبي، واطّلعت على التحليل التكتيكي للمعركة التي وقعت على جانيميد، والملفات الاستخبارية للشخصيات العسكرية الرئيسية داخل المريخ، والجدول الزمني الرئيسي للاجتماع، والذي تم ملء نصفه بالفعل من قبل الجنرالات منذ ذلك الحين الذي انعقد مؤتمرها التقطت حبة فستق من حقيبتها، وفتّت قشرة الفستق، وتركت البيانات الأولية تغمرها، وعقلها يرقص خلال تدفُّقها. بينما في النافذة من خلفها كافحت النجوم الأخرى لتُحافظ على لمعانها في خضم التلوث الضوئي المُستشري في لاهاي، لكن الزهرة كانت ما تزال الأكثر لمعانًا.

الفصل السادس

هولدن

رأى هولدن فيما يرى النائم ممراتٍ تمتلئ بمسوخٍ بشرية فظيعة المنظر حتى أيقظه أزيزٌ صاخبٌ ليجد نفسه في مقصورة حالكة السواد. لقد جاهد قليلًا مع الأشرطة العجيبة التي كانت على المهجع حتى استطاع أن يفكها ويطفو بحرية في الجاذبية الصغرى. رنَّت لوحة الحائط مرةً أخرى، فانسلّ هولدن من فراشه وضغط على الزر؛ لإنارة المقصورة. وقد كانت المقصورة شديدة الضيق يتراص فيها أمام حاجزٍ واحد خزانة ذاتية ومقعد تصادم رث عمّر لأكثر من سبعين سنة فضلًا عن مرحاض ومغسلة مُدمجة في زاوية، وعلى الجانب الآخر من المهجع لوحة حائط تحمل اسم (سومنامبوليست الباكية).

رنَّ جرس اللوحة للمرة الثالثة، وفي هذه المرة ضغط هولدن على زر الرد وقال: "أين وصلنا يا ناعومي؟"

- "الكبحة الأخيرة لدخول المدار العالي، لن تصدق ذلك، لكنهم يجعلوننا نصطف في قائمة انتظار".
- "نصطف في قائمة انتظار؟ كما لو كنا في طابور؟"

قالت ناعومي: "أجل، إنهم يستوقفون جميع المركبات التي تحط على جانيميد".

- "سُحقًا، من أيّ جانب هم؟"
- "هل يهم ذلك؟"

قال هولدن: "حسنًا، كوكب الأرض يُطالب بالقبض عليّ؛ لأنني سرقت بضعة آلاف من صواريخهم النووية وقمت بتسليمها إلى تحالف الكواكب الخارجية (أوبا)، بينما كوكب المريخ يبحث عني لأنني سرقت فقط إحدى مركباتهم. أظن أن ذلك يقتضي تحمُّل عقوبات مختلفة".

ضحكت ناعومي. "سيسحبونك إلى الأبد في كلتا الحالتين".

- "إذن، فلتُناديني بالمُتحذلق".
- "تبدو المجموعة التي نحن بصددها وكأنها مركبات تابعة للأمم المتحدة، ولكن فرقاطةً مريخيةً تتوقف بجوارها مباشرةً، تُراقب مجريات الأمور".

ابتهل هولدن بصلاة شكر لأنه سُمح له بالعودة إلى فريد جونسون حيث محطة تايكو وتحدّث إليه بشأن أخذ (سومنامبوليست) التي تم إصلاحها مؤخرًا إلى جانيميد بدلًا من الهبوط بـ(روسينانت).

اتّسمت مركبة الشحن هذه بأنها أقل المركبات المثيرة للشبهات في أسطول (أوبا) خلال الوقت الحالي، فهي أقل عرضة بكثير لجذب الانتباه المُزعج مقارنةً بمركبتهم الحربية المريخية المسروقة؛ لذا فقد تركوا (روسي) متوقفةً على بعد مليون كيلومتر من كوكب المُشتري في موضع لا يُتوقَّع أن يلتفت إليه أحد. وقام أليكس بإغلاق المركبة باستثناء جهاز إعادة تدوير الهواء وأجهزة المجسات الخاملة، وربما قبع في مقصورته مع جهاز تدفئة والكثير من البطانيات في انتظار مكالمتهم.

- "حسنًا، أنا في طريقي إليكِ، أبرقي إلى أليكس خبرًا يُعلِمه بالموقف، في حال اعتقالنا، عليه أن يأخذ (روسي) ويُعيدها إلى محطة تايكو".

فتح هولدن الخزانة أسفل المهجع، واجتذب بدلةً خضراء لا تناسبه على الإطلاق، وقد طُبع على ظهرها كلمة (سومنامبوليست) بينما كان الجيب الأمامي يحمل اسم "فيليبس"، ووفقًا لسجلات المركبة، التي قدَّمتها معالجات التكنولوجيا في تايكو، فإن والتر فيليبس كان أحد أفراد الطاقم من الدرجة الأولى، وعمل مهندسًا ومديرًا عامًّا لجهاز التنقيب على مركبة شحن الطعام (سومنامبوليست)، كما كان القائد الثالث من بين طاقم قوامه ثلاثة أفراد ونظرًا لسمعة هولدن الذائعة في النظام الشمسي، تراءى لهم أفضلية ألّا يكون لهولدن دورٌ على متن المركبة يقتضي منه أن يتحدَّث إلى أيّ شخصٍ في موضع السلطة.

اغتسل في حوضه الضيق ولم يكن ثمة ماء يتدفّق مسانًا عليه، وإنما مجموعة من المناشف الرطبة والضمائد المُبلَّلة- وللأسف، استحدثت لحيته الشعثاء التي قرر إعفاءها كجزءٍ من التنكُّر، ولم يكن قد حاول أن يُطلقها من قبل قطّ، وانتابته خيبة أمل حينما

اكتشف نمو لحيته غير مكتملة وفي خصلات متفاوتة الطول. ومن باب التضامن معه فقد أعفى أموس لحيته أيضًا حتى شابهت في كثافتها لبدة الأسد؛ مما دعاه إلى التفكير في عدم حلقها؛ إذ تبدو رائعةً للناظرين.

قذف هولدن بالمشفة المُستخدمة في حاوية إعادة التدوير، واندفع نحو فتحة المقصورة ثم ارتفع بسلم الطاقم متجهًا إلى طابق العمليات.

هذا لا يعني أن سطح المركبة كان مجموعة من العمليات، فقد قاربت (سومنامبوليست) مائة عام، وباتت على مشارف انتهاء عمرها الافتراضي، ولو لم يكونوا بحاجة إلى مركبة مُهملة لهذه المهمة، فلربما قام رجال فريد بتفكيك هذه السيدة العجوز، وقد تركتها مواجهتها الأخيرة مع القراصنة شبه ميتة ابتداءً، لكنها أمضت العشرين سنة الأخيرة من حياتها في رحلات طيران لجلب الطعام من جانيميد إلى سيريس، وكانت تُدوَّن في السجلات باعتبارها زائرة منتظمة إلى قمر المُشتري، كما أنها مركبة تُستخدم في توصيل إمدادات الإغاثة بشكل مقبول، اعتقد فريد أنه مع وصولها المعتاد إلى جانيميد فقد تتخطّى أيّ عقبات أو حواجز جمركية دون تدقيق.

ويبدو أن هذا الافتراض كان متفائلًا.

ارتبطت ناعومي بإحدى محطات العمليات عندما وصل إليها هولدن، وقد ارتدت بدلة خضراء مماثلة له على الرغم من أن الاسم الظاهر على جيبها كان يُقرأ "إستانسيا"، ابتسمت له، ولوّحت إليه لينظر إلى شاشتها.

- "هذه هي مجموعة المركبات التي تتحقّق من كل مركبة قبل السماح لها بالهبوط".

قال هولدن: "اللعنة"، وهو يُكبّر الصورة التلسكوبية لتدقيق النظر في هياكل المركبات والعلامات التعريفية. "بالتأكيد مركبات الأمم المتحدة"، ثم تحرّك شيءٌ صغير عبر الصورة من إحدى مركبات الأمم المتحدة إلى مركبة الشحن الثقيلة التي كانت حاليًا في مقدمة الصف. "وهذا يبدو وكأنه مركب شراعي صغير".

قالت ناعومي وهي تشدُّ خصلة من شعره: "حسنًا، إنه لأمرٌ طيب أنك لم تعتني به منذ شهر، فمع تلك الشُجيْرة على رأسك وهذه اللحية المُرعبة، لن تتعرف عليك أمهاتك".

قال هولدن، في محاولة لمجاراة بداوة نبرة صوتها: "آمل ألا يُجنّدوا أمهاتي، سأُنبّه أموس أنهم قادمون".

***

ترقَّب هولدن وناعومي وأموس في الردهة القصيرة التي تصطف على جانبيها الخزائن خارج باب غرفة معادلة الضغط الداخلي في انتظار الصعود وانتهاء عملية التدوير، وبدت ناعومي فارعة وشديدة الصرامة في زي القبطان المغسول لتوِّه وما تحتذيه من حذاءٍ مُمغنط. وقد قادت القبطانة "إستانسيا" مركبة (سومنامبوليست) لمدة عشر سنوات قبل هجوم القراصنة الذي أودى بحياتها. رأى هولدن أن ناعومي في هذا الزي خير خلفٍ لخير سلف .

وكان أموس من خلفها يرتدي بدلة مُلصقًا عليها شارة كبير المهندسين، وقد احتقن وجهه بعلامات الضجر، وبالرغم من الجاذبية الصغرى لمدارهم الحالي حول جانيميد، فإنه بدا منحنيًا. بذل هولدن قصارى جهده ليحاكي موقفه وتعبيره الغاضب قليلًا.

انتهت دورة غرفة معادلة الضغط، وانفتحت الأبواب الداخلية؛ ليظهر ستة من مشاة البحرية متقلّدين دروعًا قتالية، وملازم ثانٍ ناشيء يرتدي بدلة فضائية وينتعل حذاءً مُمغنطًا. سرعان ما نظر الملازم إلى الطاقم وفحصهم باستخدام شيء على جهازه اللوحي، وقد أصابه الضجر مثل أموس، خمن هولدن أن هذا الضابط الصغير المسكين كان عالقًا في أداء واجبه السخيف المتمثِّل في صعود المركبات طوال اليوم، وربما كان في عجلة من أمره لإنهاء عمله مثلما ترغب المركبات في المغادرة سريعة

- "روبنا إستانسيا، القبطانة والمالكة الكبرى لمركبة الشحن المُسجّلة في سيريس (سومنامبوليست الباكية) "

لم يطرح عبارته في صيغة السؤال، ولكن ناعومي أجابته: "أجل، سيدي"

قال الملازم دون أن ينظر إلى جهازه اللوحي: "أحببت الاسم".

- "سيدي؟"
- "اسم المركبة، إنه استثنائي، أقسم، إذا صعدت إلى مركبة أخرى تحمل اسم طفل لشخصٍ ما أو الفتاة التي تركوها وراءهم بعد عطلة نهاية الأسبوع السحرية على تيتان، فسأبدأ في تغريم الناس بسبب الافتقار العام للإبداع".

شعر هولدن بنوبة تَوتُّر تبدأ من عَجْب الذّنب وتزحف نحو فروة رأسه. ربما يشعر هذا الملازم بالسأم من أعباء وظيفته، لكنه كان ذكيًّا ومتضوّرًا، وربما كانت هذه توطئة ليُعلِمهم بذلك.

قالت ناعومي مبتسمةً: "حسنًا، سُميت المركبة بهذا الاسم تعبيرًا عن الأشهر الثلاثة التي أنفقتها دامعةً على تيتان بعد أن هجرني حبيبي. ولعل هذا الاسم كان شيئًا جيدًا على المدى البعيد، فقد كنت أنتوي تسميتها على اسم سمكتي الذهبية".

رفع الملازم رأسه لأعلى ثم انفجر ضاحكًا في مفاجأة: "شكرًا أيتها القبطانة، هذه أول ضحكة أضحكها اليوم، الجميع يرتعدون خوفًا منا، وهذه الألواح الستة من اللحم –مُشيرًا إلى جنود مشاة البحرية خلفه– قد انمحى حس الدعابة لديهم".

ألقى هولدن نظرة على أموس، "هل يغازلها؟ أعتقد أنه يغازلها"، عبوس أموس يمكن أن يكون ذا دلالة.

نقر الملازم على شيءٍ ما على جهازه اللوحي وقال: "بروتين، ومكملات غذائية، وأجهزة تنقية مياه، ومضادات حيوية، هل يمكنني إلقاء نظرة سريعة؟"

قالت ناعومي وهي تُشير إلى الكُوَّة: "نعم يا سيدي، من هذا الاتجاه".

ذهبت ومعها ضابط الأمم المتحدة واثنان من مشاة البحرية، بينما رابَطَ الأربعة الآخرون في أوضاع حراسة مُشدّدة بالقرب من غرفة معادلة الضغط. دفع أموس هولدن بمرفقه في حدة ليجذب انتباهه ثم قال. "كيف حالكم اليوم يا شباب؟"

تجاهله مشاة البحرية.

- "كنت أتحدّث مع صديقي هنا، وأقول: أراهن أن تلك البدلات الفاخرة المصنوعة من القصدير التي يرتديها هؤلاء الفتية تربط شيئًا قطعيًا حقًّا في المشعب"

أغمض هولدن عينيه وبدأ يبعث رسائل روحية إلى أموس ليصمت؛ ولكن هذا لم يُجدِ نفعًا

- "أعني أن كل تلك المعدات الفاخرة ذات التقنية العالية مربوطة في كل مكان وتُغطي كل شيء، والشيء الوحيد الذي لا تسمح لك به هو حك خصيتيك، أو لا سمح الله، تنامي جزءٌ منك أفقيًا بحدوث الانتصاب، فيجب أن تعطي الأشياء حيزًا بتوفير بعض المساحة".

فتح هولدن عينيه، ومشاة البحرية يرمقون أموس الآن، لكنهم لم يُحرِّكوا ساكنًا ولم ينطقوا بحرفٍ واحد، انتقل هولدن إلى الزاوية الخلفية للغرفة محاولًا أن يتحامل على نفسه هناك، ولم ينظر أحد في اتجاهه.

تابع أموس، وصوته مبتهج يملؤه الرفق والود: "هكذا، توصّلت إلى هذه النظرية، وكنت أتمنى لو تساعدونني أيها الفتيان".

تقدَّم أقرب مشاة البحرية نصف خطوة للأمام، لكن لم يتعدَّ الأمر أكثر من ذلك.

قال أموس: "نظريتي هي أنه لتتجنّب هذه المشكلة برمتها، ما عليك سوى المُضي قدمًا بقطع جميع الأجزاء التي قد تعلق في بدلتك، كما أن لها فائدة إضافية تتمثل في الحدِّ من رغبتكم الجارفة في التلاعب بعضكم ببعض خلال تلك الليالي الطويلة الباردة التي تقضونها على متن المركبة".

اقترب جندي البحرية خطوة أخرى، وعلى الفور تقدّم أموس إليه خطوة ليُقرِّب المسافة. قال أموس وكاد أنفه يلتصق باللوحة الأمامية المُدرّعة لجندي البحرية لدرجة أن أنفاسه غطت الزجاج. "فلتكن صريحًا معي يا صديقي. الجزء الخارجي من تلك البدلات صحيح من الناحية التشريحية، أليس كذلك؟"

حلَّ صمتٌ طويل ومُوتّر لم ينكسر إلا عندما تنحنح شخصٌ ما قادمٍ من الكُوَّة، وظهر الملازم في الرواق. "هل ثمة مشكلة هنا؟"

ابتسم أموس واسترجع الخُطى: "كلا، كنت أتعرف فقط على الرجال والنساء الرائعين الذين تُسهم ضرائبي المدفوعة في تسديد رواتبهم"

قال الملازم: "أيها الرقيب، هل ثمة مشكلة؟"

تراجع جندي البحرية.

- "لا، يا سيدي، لا توجد مشكلة".

استدار الملازم وصافح ناعومي: "القبطانة إستانسيا، لقد كانت مقابلتك من دواعي سروري، سيتصل بكِ موظفونا لاسلكيًّا لمنحك الإذن بالهبوط قريبًا، كلي يقينٌ بأن سكان جانيميد سيكونون في غاية الامتنان للإمدادات التي تجلبونها".

قالت ناعومي: "تسرني المساعدة"، وأشرق وجهها في وجه الضابط الشاب بابتسامةٍ وامضة.

عندما عادت قوات الأمم المتحدة عبر غرفة معادلة الضغط وغابت بعيدًا في زورقها الصغير، تنهّدت ناعومي طويلًا وأخذت تُدلِّك خديها: "إذا اضطررت إلى الابتسام ثانية ابتسامة أخرى أطول، فإن وجهي سيتشقق".

جذب هولدن أموس من كُمِّه، وقال وهو يَصرّ على أسنانه: "ما هذا بحق الجحيم الذي فعلته للتو؟"

قالت ناعومي: "ماذا حدث؟"

- "فعل أموس هنا كل ما في وسعه تقريبًا لإشعال غضب مشاة البحرية أثناء غيابك، أنا مندهش حقًّا من أنهم لم يُطلقوا النار عليه ثم يطلقونها عليّ بعد ذلك بنصف ثانية".

حملق أموس إلى يد هولدن التي لا تزال ممسكةً بذراعه، ولكنه لم يتحرّك ليسحبها بحرية: "أيها القبطان، أنت رجلٌ طيب، لكنك ستكون مُهربًا فاشلًا".

أعادت ناعومي قولها مرة أخرى: "ماذا حدث؟"

قال أموس. "كان القُبطان هنا مُتوتِّرًا للغاية حتى إنني بدأت أعتقد أنه بصدد القيام بشيء ما؛ لذلك حاولت لفت انتباه مشاة البحرية حتى تعود، أوه، ولا يمكنهم إطلاق النار عليك ما لم تلمسهم أو تُشهر سلاحًا، لقد كنتَ فتًى في بحرية الأمم المتحدة، ينبغي أن تتذكر القوانين".

بدأ هولدن يتكلم "وإذا.."..

قاطعه أموس: "وإذا سألهم الملازم عنا، فسيكون لديهم قصة يروونها عن المهندس الأحمق الذي استفزهم، وليس عن الرجل المرتبك ذي اللحية غير المكتملة الذي ظل يحاول الاختباء في الزاوية".

قال هولدن: "اللعنة".

- "أنت قبطان جيد حقًّا، ويمكنك أن تحمي ذِماري عند القتال في أي وقت، لكنك مُجرم شديد البؤس، أنت فقط لا تعرف كيف تتقمّص أيّ شخصية غير نفسك".

قالت ناعومي: "هل تريد أن تصبح القبطان مرة أخرى؟ هذه الوظيفة بغيضة بالنسبة لي".

***

قالت ناعومي: "برج مراقبة جانيميد، هذه مركبة (سومنامبوليست)، نكرر طلبنا بتخصيص رصيف هبوط لنا، لدينا إذن من دوريات الأمم المتحدة، وقد جعلتنا في مدار منخفض لمدة تصل إلى ثلاث ساعات". أطفأت ميكروفونها وأضافت: "أيها الحمقى".

كان الصوت الذي أجاب هذه المرة مختلفًا عن الصوت الذي طالبوه بمنحهم الإذن بالهبوط خلال الساعات القليلة الماضية هذا صوت شخص أكبر سنًّا وأرحب صدرًا.

- "آسفون يا (سومنامبوليست)، سنقوم بإدراجكم في الخطة خلال أقرب وقت ممكن، لكن لدينا عمليات إطلاق بدون توقُّف خلال الساعات العشر الماضية، وما يزال لدينا عشرات المركبات للذهاب قبل أن نبدأ في السماح للناس بالهبوط".

شغّل هولدن ميكروفونه وقال. "أنتحدّث مع المُشرف الآن؟"

- "نعم، كبير المُشرفين سام سليبح، في حال كنت تدوّن الاسم لتقديم شكوى، فاكتب "سلينح".

رد هولدن: "لا، لا، لن نتقدّم بشكوى، ولكننا شاهدنا المركبات التي تغادر في الجوار، هل هذه مركبات اللاجئين؟ بمقدار الحمولة التي رأيناها، يبدو أنه تم إجلاء نصف القمر".

- "لا، لدينا قليل من المواثيق والخطوط التجارية لإجلاء الناس، ولكن معظم المركبات المغادرة الآن هي مركبات شحن أغذية".
- "شاحنات أغذية".
- "نحن نشحن ما يقرب من مائة ألف كيلوجرام من الطعام يوميًا، وقد أدى القتال إلى محاصرة الكثير من تلك الشحنات على السطح، والآن بعد أن أتاح الحصار للناس المرور، استعادوا سيرتهم الأولى في الخروج لتسليم شحناتهم".

قال هولدن: "تمهّل قليلًا، أنا في انتظار الهبوط بإمدادات غذائية لإغاثة الأشخاص الذين يتضوّرون جوعًا في جانيميد، وأنت تُطلِق مائة ألف كيلوجرام من الطعام من القمر؟"

قال سام: "ما يقرب من نصف مليون إذا أحصينا الاحتياطيات، لكن هذا الطعام ليس ملكنا، معظم إنتاج المواد الغذائية في جانيميد تملكه شركات لا يقع مقرها الرئيسي هنا. وقد أُنفق على هذه الشحنات مبالغ طائلة، وكلما طال بقاء الشحنات هنا، فقد الناس ثرواتهم".

بدأ هولدن: "أنا...". ثم استوقف قائلًا: "حسنًا، نحن في انتظار أن تأذنوا لنا بالهبوط".

أدار هولدن كرسيه ليواجه ناعومي. كان وجهها كاسفًا بطريقة تدل على ما أصابها من غضبٍ مثله.

قال أموس، وهو يتسكع بالقرب من وحدة التحكم الهندسية ويأكل تفاحة كان قد سرقها من إمدادات الإغاثة: "لماذا يفاجئك هذا أيها القُبطان؟"

وبعد ساعة حصلوا على إذن بالهبوط.

***

بالنظر إلى المدار المنخفض ومسار هبوطهم، لم يَبْدُ سطح جانيميد مختلفًا كثيرًا عما كان عليه في الماضي، حتى في أفضل حالاته، لم يكن قمر المُشتري سوى أرضٍ قاحلة من صخور السيليكات الرمادية وجليد مائيّ بدرجة رمادية طفيفة، وما من شيءٍ إلا قد مُلئ بالفُوّهات والبحيرات المتجمّدة حتى كانت تلك الأرض أشبه بساحة معركة قبل زمنٍ طويل من زحف أسلاف البشرية لأول مرة إلى اليابسة.

لكن البشر -بقدرتهم الكبيرة على الابتكار وعملهم الدؤوب في مجال التدمير- وجدوا طرقًا لترك بصمتهم. اكتشف هولدن بقايا هيكل عظمي تقريبًا لمُدمِّرة ممتدة عبر المناظر الطبيعية في نهاية ندبة سوداء طويلة. أدت موجة الصدمة الناجمة عن الارتطام إلى طمس القباب الصغيرة حتى مسافة عشرة كيلومترات، في حين حامت مركبات الإنقاذ الصغيرة حول الجثث بحثًا عن الناجين أو بالأحرى بحثًا عن أجزاء من المعلومات أو التكنولوجيا التي نجت من التحطُّم حتى لا تقع في أيدي العدو.

عُدَّ أسوأ الأضرار المرئية للعين المجرَّدة تدمير إحدى قباب الدفيئة الهائلة بالكامل، وتميّزت القباب الزراعية بأنها عبارة عن هياكل عملاقة من الفولاذ والزجاج مع هكتارات من التربة المزروعة بدقة مع العناية بالمحاصيل ورعايتها تحت سماء كل قُبة.

كانت رؤية أحدهم محطَّمًا تحت المعدن الملتوي عندما تبدَّى وكأنه مصفوفة مرايا ساقطة -أمرًا مُروِّعًا وشديد الإحباط. وقد أمدّت القباب الكواكب الخارجية بمحاصيلها الخاصة، وفي داخل تلك القباب نمت العلوم الزراعية الأكثر تقدمًا في التاريخ، وكانت المَرايا المدارية أعجوبة هندسية ساعدت في تحقيق ذلك. ارتطم أحدهما بالآخر، وتُرِك كلاهما في حالة خراب ضرب هولدن لتلك الحالة من قصر النظر والغباء المتناهي مثلًا. فالأمر يشبه أن تتبوّل في إمدادات المياه؛ لتحرم عدوك من الشراب، فيُحرم كلاكما من الماء.

وبحلول الوقت الذي حلد فيه هيكل (سومامولیست) المُهترئ للراحة على منصة الهبوط المُخصَّصة للمركبة، كان هولدن قد عيل صبره مع كل هذا الغباء البشري.

ولذلك ذهب لمواجهته طبعًا.

وقف مفتش الجمارك ينتظرهم عندما خرجوا من غرفة معادلة الضغط، كان رجلًا نحيلًا وسيم الوجه ورأسه أصلع يأخذ شكل بيضة، وقد رافقه رجلان يرتديان زيًّا أمنيًّا مجهول الهوية وبحوزتهم مسدسات الصعق الكهربائي في غِمد أحزمتهم

- "مرحبًا، أنا السيد فيداس، المفتش الجمركي للمرفأ الحادي عشر على المنصات من (١٤) إلى (٢٢)، الأوراق الخاصة بك، من فضلك".

تقدَّمت ناعومي التي لعبت دور القبطان مجدَّدًا، وقالت: "أرسلنا التصاريح إلى مكتبك قبل الهبوط، أنا لا."...

رأى هولدن أن فيداس ليست معه أجهزة رسمية لتفتيش الشاحنات كما أن الحراس الذين معه لا يرتدون زي هيئة مرفأ جانيميد، اعترى هولدن هاجس مُلح جعله يشم رائحة عملية احتيال رخيصة، فتقدَّم للأمام ولوَّح إلى ناعومي لتبتعد.

- "سأتولَّى هذا الأمر، أيتها القائدة".

نظر إليه مفتش الجمارك فيداس شزرًا وقال: "ومن تكون أنت؟"

- "يمكنك أن تناديني بـ (السيد)، إذا استمررنا في مجاراة هرائك".

تجهَّم فيداس، وسارع حراس الأمن بالاقتراب منه، ابتسم لهم هولدن، ثم مدَّ يده خلف ظهره وأخرج مسدسًا كبيرًا من تحت معطفه، وقد أمسك به من جانب ساقه مشيرًا إلى الأرض، فتقهقروا على أي حال، وانطبع الشحوب على وجه فيداس.

قال هولدن: "أعرف هذا الابتزاز، تطلب إلقاء نظرة على تصاريحنا، ثم تخبرنا بالعناصر التي قمنا بتضمينها عن طريق الخطأ، وبعد أن نُعيد إرسال التعديلات المطلوبة إلى مكتبك، تأخذ أنت وأفراد عصابتك أفضل ما لدينا من البضائع مثل البرقوق، وتبيعها فيما أعتقد أنه سوق سوداء مزدهرة للأغذية والأدوية".

صرخ فيداس: "أنا مسؤول مُخوَّل قانونيًّا لمحطة جانيميد، هل تعتقد أنه يمكنك الاستئساد عليّ بسلاحك هذا؟ سوف آمر أمن المرفأ بإلقاء القبض عليك وأن يحتجزوا مركبتك بالكامل "...

قال هولدن: "لا، لن أستأسد عليك، ولكني سئمت من منازعة البُلهاء المتفعين الذين يلتقطون رزقهم من القاذورات في حضيض الماسي، وسأشعر بتحسُّن وأعدو أكثر سعادة عندما أجعل صديقي الكبير أموس يُبرحك ضربًا لمحاولتك سرقة الطعام والدواء من اللاجئين".

رحّب أموس بالاقتراح وقال مُلاطفًا: "ليس هذا استشاذًا بقدر ما هو تخفيف للضغط والتوتُّر".

أومأ هولدن برأسه إلى أموس: "إلى أي مدى يبلغ غضبك يا أموس عندما تعلم أن هؤلاء الناس يريدون سرقة اللاجئين؟"

- "أكاد أنفجر غضبًا يا قبطان".

ألقى هولدن مسدسه على فخذه: "السلاح هو فقط للتأكد من أن أمن الموانئ لن يتدخل حتى يُنفِّس أموس عن غضبه بشكل كامل".

استدار السيد فيداس المفتش الجمركي للمرفأ الحادي عشر، على المنصات من (١٤) إلى (٢٢)، وركض كما لو أن حياته متوقّفة على ذلك، ومن خلفه عصابته الأمنية المُستأجرة في مطاردة حثيثة.

قالت ناعومي: "أرى أنكَ استمتعتَ بذلك"، كان تعبيرها غريبًا ومُقيِّمًا له، كما تضمّن صوتها اتهامًا بشكلٍ ما.

حمل هولدن مسدسه.

- "دعونا نذهب لنكتشف ما حدث بحق الجحيم هنا".

الفصل السابع

براكس

كان المركز الأمني على بعد ثلاثة مستويات من السطح، وقد بدت الجدران المُشيَّدة وإمدادات الطاقة المُستقلة كأنها كماليات مقارنةً بالجليد الخام في أي مكان آخر من المحطة، لكنها في حقيقة الأمر تُعدّ معالم بالغة الأهمية، ومثلما أشارت بعض النباتات إلى شميتها من خلال أوراق أشجارها الزاهية، أعرب المركز الأمني عن مدى متانته ومناعته. لا يهم أنه كان يتعذَّر حفر نفق عبر الجليد أو الهروب من الزنازين مع صديقٍ أو عشيق، ولكن يكفي أن يدرك الجميع أن ذلك أمرٌ مستحيلٌ بمجرد إلقاء نظرة فقط، وإلا سيحاول أيّ شخص آخر فعل ذلك.

على مدار السنوات التي أنفقها في جانيميد، لم يسبق لـ براكس الوجود هناك سوى مرةٍ واحدة فقط، وباعتباره شاهدًا؛ للمساعدة في أن يأخذ القانون مجراه لا ليلتمس مساعدةً قانونية لنفسه. لقد عاد هذا المكان اثنتي عشرة مرةً خلال الأسبوع الماضي، يأخذ دوره في طابورٍ طويلٍ بائس، يتململ حينًا ويجاهد أحيانًا ما يغالبه من إحساس طاغٍ بأنه يتحتَّم عليه أن يكون في مكان آخر يفعل شيئًا مختلفًا عن هذا الهراء، حتى ولو لم يكن يعرف بالضبط ما يجب عليه فعله.

قالت المرأة في مكتب الاستعلامات من وراء نافذتها التي يبلغ سُمكها بوصة ومزوّدة بالأسلاك: "آسفة، دكتور مينج"، وبلغ بها التعب والإنهاك مبلغًا صعبًا، راعتها الصدمة حتى أسكتتها. "لم يجدّ أيُّ جديد اليوم أيضًا".

- "هل يمكنني التحدُّث إلى أيِّ شخصٍ؟ لا بُدّ من سبيل إلى..."

قالت: "اعذرني"، ووجَّهت ناظريها إلى الشخص التالي اليائس المرتعد المُهلهل الذي لن تستطيع مساعدته أو إفادته بأيِّ شيء.

انسحب براكس من المكان، وصرَّ على أسنانه في غيظ ولكن بلا حولٍ منه ولا قوة. تبلغ مدة الانتظار في الطابور زهاء ساعتين، ويصطف فيه رجال ونساء وأطفال، منهم الواقف ومنهم المُتكئ ومنهم الجالس. أحد البعض منهم ينتحب، بينما أشعلت امرأة شابة بعيون مُحمرة سيجارة الماريجوانا، وشرعت تدخنها، واختلطت رائحة أوراق الشجر المحترقة مع الرائحة العفنة للأجسام المتكدسة، ونفثات الدخان تتلوى وتتصاعد فوق علامة ممنوع التدخين المُثبّتة على الحائط، دون أي اعتراض من أحد، الجميع قد انطبع عليهم المظهر المسكين للاجئين، حتى من وُلِد منهم هنا .

في الأيام التي تلت انتهاء القتال بشكل رسمي، تراجعت قوات المريخ والأرض خلف ثكناتهم، وتقلَّصت الموارد الغذائية للكواكب الخارجية في أرض قاحلة بين القوتين، بينما تكرَّس الذكاء الجمعي في المحطة لمهمة واحدة وهي الهروب.

في بادئ الأمر، أغلقت القوتان العسكريتان المرافئ في الصراع المحتدم بينهما، لكن سرعان ما غادروا السطح حفاظًا على سلامة مركباتهم خصوصًا مع تعذُّر احتواء موجة الذعر التي انتابت المحطة. واكتظت مركبات نقل الركاب القليلة التي حصلت على إذن بالمغادرة للوصول إلى أيِّ مكان آخر، وأدَّت الرسوم المفروضة للسماح بالمرور إلى إفلاس الأشخاص الذين عملوا لسنواتٍ في الوظائف العلمية الأعلى أجرًا خارج الأرض، بينما حاول الأشخاص الأشد فقرًا التسلُّل في طائرات مسيرة أو قوارب صغيرة أو حتى في بدلات فضائية مربوطة بهياكل مُعدَّلة وانطلقوا في الفضاء تجاه قمر يوروبا يأملون النجاة. وتسبَّب الذعر في خوضهم جميع أنواع المخاطر حتى ينتهي بهم المطاف إلى مكان آخر أو إلى القبر، وبالقرب من كل المحطات الأمنية والمرافئ، وحتى النطاقات العسكرية المهجورة التي طوّقتها قوات المريخ والأمم المتحدة، احتشدت الناس في الأروقة يتدافعون بحثًا عن أي شيء يُشعرهم بوجود الأمان.

تمنّى براكس لو كان معهم.

لكن بدلًا من ذلك، ثاب إلى عالمه بإيقاعه النمطي، في الصباح استيقظ في غرفته؛ لأنه دائمًا ما كان يعود إلى منزله ليلًا حتى تجده مي عندما تعود، كان يأكل كل ما يجده مُتاحًا

أمامه، ولكن في اليومين الماضيين، لم يتبق في مستودعه شيءٌ يُؤكل، لكن قليلًا من نباتات البرية في المتنزهات بقي صالحًا للأكل، لم يكن يتضوَّر جوعًا على أيّ حال.

ثم شرع بفحص الجثث المتساقطة.

أطلق المستشفى خلال الأسبوع الأول بث فيديو للجثث المُتشلة للمساعدة في تحديد هويتها، ومنذ ذلك الحين بات على براكس أن يتفقَّد الجثث شخصيًّا، ولأنه كان يبحث عن طفلته، فلم يكن مضطرًّا بالطبع إلى أن يمر على الغالبية العظمى من الجثث، ولكن تلك الجثث التي رآها كانت تُلاحقه وتتركه مُعذَّبًا، فقد وجد جثتين مشوَّهتين تمامًا لدرجة أن إحداهما يمكن أن تكون لـ مَي، لكن الأولى كانت تحمل وحمة قُبلة الملائكة في مؤخرة عنقها، بينما الأخرى كان لديها تشوّه في أظافر القدم. بالتأكيد هاتان الفتاتان القتيلتان هما فاجعتان لعائلتين أُخريين غيره.

بمجرد أن تأكّد أن مَي لم تكن بين قوائم الموتى واطمأنت نفسه لذلك، ذهب للاصطياد. في الليلة الأولى التي قضاها بدون مَي، أعدَّ براكس قائمة على جهازه اللوحي بالأشخاص المعنيين ممن هم سلطة رسمية: الجهات الأمنية، أطباؤها، القوات المتحاربة. ثم قائمة بالأشخاص الذين يمكن الاتصال بهم ممن قد يكون لديهم معلومات: آباء الأطفال الآخرين في مدرستها، الآباء الآخرون في مجموعة الدعم الطبي لديه، والدتها. كما أعدّ قائمةً بالأماكن المُفضّلة بالنسبة لها والتي يجب التحقُّق منها: منزل صديقتها المُقرَّبة، متنزهات الأماكن العامة التي تُفضِّل الذهاب إليها، متجر الحلوى حيث يُباع عصير الليمون التي لطالما طلبته، إضافةً إلى الأماكن التي قد يذهب إليها شخصٌ غلمانيٌّ لشراء طفل مخطوف، وقائمة بالحانات والمواخير التي حصل عليها من نسخة مخبأة من دليل المحطة. سيكون الدليل المُحدَّث على النظام، ولكن ما يزال يتعذَّر الوصول إليه. كان يوميًّا يشطب أكبر عدد ممكن من القائمة، وعندما لم يتبق أيُّ شيء، أعاد الكَرَّة من جديد.

أصبحت القائمة جدولًا يتبعه، كان يتحدّث إلى الجهات الأمنية بين اليوم والآخر، كما يتناوب على محادثة القوات المريخية والأمم المتحدة، ثم يذهب إلى المتنزهات في الصباح بعد فحص الجثث. لقد نجحت صديقة مي المُقرّبة وعائلتها في الهروب بعيدًا؛ لذا لم

يمكنه التحقُّق من وجودها في مرلهم، بينما اندلعت النار في محل الحلوى في غمرة الاضطرابات وأعمال الشغب، ظل العثور على أطبائها أشق المهام، أعربت دكتور أستر جان، طبيبة الأطفال الخاصة بها، عن اهتمامها بالأمر، ووعدته بأنها ستتصل به إذا توصّلت إلى أخبار جديدة، ولكن عندما تباحث في الأمر معها مرة أخرى بعد ثلاثة أيام، لم تتذكّر الطبيبة أصلًا أنها تحدّثت معه حول ذلك. أخبره الجراح الذي ساعد في تصريف خُراجات عمودها الفقري عند تشخيص حالتها للمرة الأولى، بأنه لم يَرها مطلقًا، والدكتور ستريكلاند من مجموعة الدعم والرعاية الطبية مفقود حتى الآن، بينما تُوفِّي مُمرِّضها أبو بكر.

كان لدى العائلات الأخرى في المجموعة مآسيهم التي انشغلوا بها، فلم تكن مَي هي الطفلة الوحيدة المفقودة، ولكن "كاتوا ميرتون" و"غابي سولوز" و"ساندرو فينتيسيتي"، لقد عاين شعور الرعب واليأس الذي استولى عليه منعكسًا في وجوه الآباء الآخرين، وهذا ما جعل تلك الزيارات أشدّ إيلامًا من تفقُّد الجثث؛ لأنها تُصعِّب نسيان الخوف أو تجاهله.

لكن لا بُدّ مما ليس منه بُد.

كان باسيا ميرتون -والد كاتوا كما تدعوه مَي دائمًا- رجلًا غليظ الرقبة تفوح منه دائمًا رائحة النعناع، وزوجته تحاكي القلم الرصاص في نحافتها، وتنمُّ ابتسامتها الصغيرة عن توتر، يقع منزل العائلة بالقرب من مجمع معالجة المياه أسفل السطح بخمس طوابق، ويتكوّن من ست غرف، وقد تزيّن بالحرير المغزول والخيزران. عندما فتح باسيا الباب، لم تنفرج أسارير وجهه لرؤية براكس ولم يُرحِّب به بل استدار فقط وعاد إلى الداخل تاركًا الباب مفتوحًا، تبعه براكس.

عند الجلوس على الطاولة، قدّم باسيا كأسًا من الحليب الذي لم يفسد بأعجوبة، كانت تلك هي المرة الخامسة التي يذهب فيها براكس إلى هناك منذ اختفاء مَي، قال باسيا: "لا أثر يُقتفى حتى الآن؟"، ولم يكن سؤالًا حقيقيًا.

قال براكس: "ليس لديّ أي أخبار، ولكن على الأقل هناك أمل".

ارتفع في الجزء الخلفي من المنزل صوت فتاة في سخط ثم جاراها في الصراخ صوت صبي صغير، لم يستدر باسيا لينظر وراءه

- "لا يوجد شيء جديد هنا أيضًا، أنا آسف".

تذوّق براكس طعم الحليب فوجده رائعًا دسمًا لطيفًا حتى كاد أن يشعر بالسعرات الحرارية والمواد الغذائية تتدفق عبر أغشية فمه. لقد كاد يلتهمه كما لو كان في مجاعة.

قال براكس: "لا يزال الأمل باقيًا".

نفث باسيا أنفاسه وكأن وقع الكلمات عليه يعادل لكمة اخترقت أحشاءه، زمّ شفتيه ولم يرفع ناظريه عن الطاولة، في حين تحوّلت أصوات الصراخ في الخلف إلى نحيب صبياني منخفض.

قال باسيا: "نحن سنغادر. ابن عمي يعمل على سطح القمر مع شركة ماجلان للتقانة الحيوية، إنهم يرسلون مركبات إغاثة وعند تفريغ الإمدادات الطبية، سيكون هناك متسعٌ لنا، لقد رتّبنا كل شيء".

وضع براكس كأس الحليب على الطاولة، وبدت الغرفة من حولهم هادئة تمامًا، أدرك أن هذا مجرد وهم، اندفع ثقلٌ غريب في حلقه نزولًا إلى صدره، وذاب وجهه كما لو كان شمعيًّا، استحضرت ذاكرته بشكلٍ مفاجئ اللحظة التي أعلنت زوجته تقدُّمها بطلب للطلاق منه. خيانة! شعر بأنه تعرّض للخيانة.

كان باسيا يواصل حديثه ويقول: "... ثم بعد بضعة أيام أخرى"، ولكن براكس لم يسمعه.

"ولكن ماذا عن كاتوا؟" تمكّن أخيرًا براكس من التحدُّث رغم الثقل في حلقه، "بالتأكيد هو في مكانٍ ما".

أومضت نظرات باسيا قليلًا ولكنه أشاح نظره سريعًا مثل رفرفة جناح الطائر

"كلا، لقد مات يا صديقي، كان الجهاز المناعي لدى هذا الصبي يتعامل مع مستنقع من الأمراض، وكما تعلم، بدون الأدوية، اعتاد على الشعور بالمرض خلال ثلاثة إلى أربعة أيام على الأكثر يجب عليّ أن أعتني بالطفلين اللذين ما زلتُ أملكهما".

أطرق براكس في استجابة تلقائية من حسده على ذلك، شعر وكأن الحدافة قد تحرّرت من مكانٍ ما في مؤخرة رأسه، وبدا تحريع الطاولة المصنوعة من الخيزران حادًّا أكثر من الطبيعي، شمّ رائحة انصهار الجليد، تحمّص طعم اللبن في فمه

قال وهو يحاول إبقاء صوته هادئًا: "لا يمكنك معرفة ذلك والقطع به"، ولكن محاولته أخفقت عندما تكلّم.

- "أستطيع القطع بحدوث ذلك".
- "أيًا كان من أخذ مَي وكاتوا، لن يكون له أيّ فائدة في قتلهما، لقد عرفوا، أنا متأكّد من أنهم عرفوا أن الطفلين بحاجة إلى الأدوية؛ لذا فهذا يعني أنهم سيأخذونهما إلى مكان يتوافر فيه الدواء".
- "لم يأخذهم أحد يا صديقي، لقد ضاعا، أصابهما شيءٌ ما".
- "قالت مُعلّمة مَي."...
- "كانت مُعلّمة مَي مذعورة بشكل جنوني، كان كل ما يجب عليها فعله أن تمنع الأطفال من أن يلتصق بعضهم على بعض، بينما اندلعت حرب إطلاق نار خارج الفصل، من يعلم ماذا رأت بحق الجحيم؟"
- "أكّدت لي أن والدة مَي ومعها طبيب، نعم طبيب."...

"بربك يا صاح، تقول لا فائدة تُرتجى من قتل هذين الطفلين؟ ها المحطة غارقة بالقتلى، فمن يستفيد بذلك! إنها الحرب، أشعل الملاعين الحرب". لمعت عيناه السوداوان الواسعتان بالدموع، وشجى صوته أسفًا، ولكن دونما انفعال. تابع: "يموت الناس في الحرب، وكذلك يموت الأطفال، عليك أن تمضي في حياتك، لعن الله الحرب".

قال براكس في تصميم: "أنت لا تعرف ذلك، لا تعرف أنهم ماتوا حقًّا، وإذا غادرت دون أن تتأكّد، فأنت بذلك تتخلّ عنهم".

وجم باسيا، تخضّب وجهه خجلًا، هز رأسه، وارتجفت زوايا فمه ارتباكًا

انفعل براكس: "لا يمكنك المغادرة، عليك أن تبقى وتبحث عنه".

قال باسيا: "كفى، لا تصرخ في وجهي أثناء وجودك في منزلي".

- "إنهم أبناؤنا، ولا يحق لك أن تغادر وتتركهم، يا إلهي الرحيم! أيُّ أبٍ أنت؟!"

مال باسيا إلى الأمام، وانحنى فوق الطاولة، ومن خلفه نظرت من الردهة فتاةٌ على وشك البلوغ بعينيها الواسعتين، شعر براكس بيقين عميق يسري في جسده، وقال له: "ستبقى".

استمر الصمت بمقدار ثلاث دقات قلبية.. أربعة.. خمسة.

أجابه باسيا: "لقد رتَّبنا أمورنا، وبات كل شيء جاهزًا".

لطمه براكس لطمةً لم يُخطِّط لها ولم يكن يقصدها، تمددت ذراعه بقبضةٍ مشدودة انطلقت من تلقاء نفسها حتى انحفرت أصابعه على خد باسيا؛ لتدفع رأسه جانبًا وتُجبره على التراجع. عصف الغضب بالرجل الضخم واجتاحت عاصفته جميع أنحاء الغرفة، أصابت ضرباتُه الأولى براكس أسفل عظمة الترقوة، فنكص على عقبيه، ثم لاحقته الضربتان التاليتان في الضلوع، شعر براكس أن كرسيه ينزلق من تحته، وتهاوى أرضًا ببطء بسبب الجاذبية المنخفضة ولكنه لم يستطع وضع قدميه تحته؛ ليحافظ على توازنه، ركل شيئًا بقدميه، ولم يستطع أن يتبيَّن هل ركل الطاولة أم باسيا!

اصطدم براكس بالأرض، والتحمت قدم باسيا بضفيرته البطنية، غدا العالم في نظره مُشرقًا ومُتلألئًا ومُؤلمًا أيضًا، سمع من مكانٍ ما بعيد صرخة أنثوية، ولم يستطع أن يتبيّن كلماتها، ولكن شيئًا فشيئًا فهم الكلمات .

- "إنه ليس مُحقًّا، لقد فقد ابنته أيضًا، إنه مُخطئ".

تدحرج براكس وتحامل على ركبتيه، رأى دمًا على ذقنه، تأكَّد تمامًا من أنه دمه؛ فليس ثمة أحدٌ ينزف سواه، بينما وقف باسيا بجانب الطاولة، قبضتاه مشدودتان. وقد تأجَّجت حياشيمه، وتسارع تنفُّسه. كانت ابنته واقفةً أمامه وقد تمركَّزت في موضع بين براكس وأبيها الغاضب. كل ما كان يراه منها مؤخرتها ويديها وشعرها المُمتد للخلف كذيل حصان، رفعت راحة يدها نحو والدها في لفتة عامة تُشير إليه بضرورة التوقُّف، كانت تنقذ حياته بذلك

قال باسيا. "من الأفضل أن تذهب حالًا يا صديقي".

أجاب براكس: "حسنًا".

نهض ببطء وتعثّر باتجاه الباب، كان ما يزال يعاني من صعوبة في التنفس، ثم غادر المكان بالفعل.

***

إن سر انهيار الدورة المغلقة للنباتات ليس ذلك الشيء الذي كان يُفترض بك أن تنتبه له وأحدث ثغرةً، وإنما هو التأثير المتتالي الواقع على السلسلة كلها. في المرة الأولى التي فقد فيها براكس محصولًا كاملًا من (جلايسين كينون) كان بسبب أحد الفطريات التي لا تُمثل ضررًا على فول الصويا على الإطلاق، ولكن ربما جاءت الجراثيم ومعها شحنة من الخنافس. استقرت تلك الفطريات في نظام الزراعة المائية، وأخذت ترعى بمرح في العناصر الغذائية التي لم تكن مُخصّصة لها من الأساس مع تغيير درجة الحموضة؛ الأمر الذي أدى إلى إضعاف البكتيريا التي كان براكس يستخدمها لتثبيت النيتروجين لدرجة أنها باتت عُرضة للعائية التي لم تكن لتتمكّن من إخراجها بطريقة أخرى، وبالتالي خرج توازن النيتروجين في النظام عن السيطرة، وبحلول الوقت الذي تعافت فيه البكتيريا وعادت إلى نسبتها الأولية، كان فول الصويا قد اصفرّ وذبل، والوقت قد فات.

كان ذلك هو المجاز الذي تداعى إلى ذهنه حينما فكر في مَي وجهازها المناعي، فالمُشكلة التي تُعاني منها في الواقع لا تُذكر، أليل متحوِّر يُنتج بروتينًا ينثني نحو اليسار بدلًا من اليمين، بضعة أزواج قاعدية متباعدة، لكن هذا البروتين حفز خطوة حاسمة في نقل الإشارة إلى الخلايا اللمفاوية التائية. حتى لو كانت جميع أجزاء الجهاز المناعي لديها على أهبة الاستعداد للتعامل مع مُسبّبات المرض، فسيتطلب الأمر جرعتين يوميًّا من العامل المُحفّز الاصطناعي حتى يطلق الإنذار للجهاز المناعي، فيؤدي عمله أطلقوا عليه مايرز سكيلتون المناعي المُبكر، وما تزال الدراسات الأولية حتى الآن غير قادرة على تحديد ما إذا كان أكثر انتشارًا خارج الأرض بسبب تأثير غير معروف لانخفاض الجاذبية أم مجرد ارتفاع مستويات الإشعاع التي تزيد من معدلات الطفرات بشكل عام. هذا لا يهم في شيء، فمهما كان سبب حدوث ذلك، فقد أُصيبت مَي

بعدوى خطيرة في العمود الفقري حينها كان عمرها أربعة أشهر، لو كانوا يعيشون في مكان آخر على الكواكب الخارجية، لكانت قد ماتت الآن بسبب ذلك، لكن الكثيرين يسافرون إلى جايميد؛ لقضاء فترة الحمل حيث تُجرى الأبحاث المتعلقة بصحة الأطفال هناك. حينما تم عرضها على دكتور ستريكلاند، عرف الطبيب على الفور مشكلتها الصحية، وتمكَّن من إيقاف التأثير المتتالي المُسبِّب للانهيار.

سار براكس عبر الممرات متجهًا إلى منزله، وقد تورّم فكه، لا يتذكَّر أنه تعرَّض للضرب في فكه، ولكنه كان مُتورِّمًا ويُؤلمه بشدة. وعانى من ألم حاد في ضلوعه اليسرى خصوصًا إذا بدأ يتنفّس بعمق؛ لذلك حاول التنفس السطحي. توقَّف عند أحد المتنزهات، وانتزع بعض الأوراق لتناول العشاء، كما قطع مسيرته مرة أخرى حينما رأى مجموعة كبيرة من أشجار البوتس ذات الأوراق العريضة التي تأخذ شكل رمح ولكن يبدو أنها تحتوي على شيءٍ غريب، فقد كانت ما تزال خضراء لكنها أكثر سُمكًا وطُليت بمسحة ذهبية. لعل شخصًا ما استخدم الماء المُقطّر في الإمدادات المائية بدلًا من المحلول الغني بالمعادن الذي تحتاج إليه تلك النباتات لتدوم لفترة أطول. ربما ستصمد لمدة أسبوع آخر، أو ربما أسبوعين، ثم تبدأ تلك النباتات التي عملت على إعادة تدوير الهواء في الذبول، وعندما يحدث ذلك، سيكون التأثير المتسلسل قد بلغ مداه ولن يمكن إيقافه. فإذا لم يتمكّنوا من إيصال المياه المناسبة للنباتات، فمن المتوقّع أنهم لن يكونوا قادرين على تفعيل جميع أجهزة إعادة تدوير الهواء الميكانيكية. يجب على شخصٍ ما أن يفعل شيئًا حيال ذلك.

شخصٌ آخر غيره.

في غرفته، كان (جلايسين كينون) الصغير قد أطلق سعفه نحو الضوء. دون التفكير في الأمر بوعي، دسّ براكس إصبعه في التربة لاختبارها، تشابهت رائحة التربة المتوازنة الغنية مع رائحة البحور، كانت الأمور تجري بشكل جيد قياسًا بالظروف المُحيطة.

ألقى نظرة خاطفة على التوقيت الزمني في جهازه اللوحي، مرت ثلاث ساعات منذ عودته إلى المنزل، تلاشى الألم المستمر في فكه ليحل محله نوع آخر من الآلام ولكنه يهاجمه من وقت لآخر.

إذا لم تأخذ مي دواءها، سيبدأ البيت الجرثومي المعوي في النمو داخل جهازها الهضمي على نحوٍ مُفرط. ستنقلب عليها البكتيريا التي كانت تعيش بسلام في فمها وحلقها، وحتى لو نجت من الموت بعد أسبوعين، ففي أفضل الأحوال سيكون قد بلغ بها المرض حدًّا تصعب معه المداواة.

لقد كانت حربًا، والأطفال يموتون في الحروب، يبدو أن هذا تأثير متسلسل للحرب سعل براكس وشعر بألمٍ هائل، ولكن على كلّ حال يظل أهون من وطأة التفكير. عليه أن يغادر، يهرب بعيدًا، كل شيءٍ في جانيميد يحتضر من حوله، وهو لن يقوى على تقديم أي شيء ينفع مَي، لقد ماتت، ماتت ابنته الصغيرة.

البكاء أشد إيلامًا من السُّعال.

لم ينم بقدر ما كان يفقد وعيه تدريجيًّا. عندما استيقظ، كان فكه متورمًا لدرجة أنه يُصدر صريرًا عندما يفتح فمه عن مصراعيه، كانت حالة ضلوعه أفضل قليلًا من ذي قبل. جلس على حافة سريره، ودفن رأسه بين يديه.

عزم على الذهاب إلى المرفأ، والاعتذار إلى باسيا وطلب الذهاب معه، والخروج من نظام المُشترِي بالكامل، والرحيل إلى أي مكان حيث يبدأ هناك من الصفر دون ماضٍ يُلاحقه، دون زواجٍ فاشل أو مشروع عمل مُحطَّم، وبدون مَي.

أصبح قميصه أقل اتساخًا قليلًا، مسح إبطيه بقطعة مُبلّلة من القماش، ومشَّط شعره إلى الخلف، لقد فشل، كان كل ذلك غير مُجدٍ، كان عليه أن يتصالح مع فشله، ويمضي قدمًا، ربما سيفعل ذات يوم.

فحص جهازه اللوحي، كان جدول أعمال ذلك اليوم متمثّلًا في التحقُّق من سجلات الجثث في المريخ، والتجوّل في المتنزهات، ثم التداول مع دكتور أسترحان فيما إذا كان تنامى إلى علمها أي مستجدات، ومن ثم زيارة مجموعة تضم خمسة مواخير لم يزرها بعد، حيث يمكنه أن يتنكَّر هناك بالتماس الملذات غير المشروعة كاشتهاء الأطفال جنسيًّا، على أمل ألا يتعرَّض حين يطلب ذلك للطعن على يد أحد المجرمين من ذوي التفكير الراشد والعقلية المُتحضِّرة، فالمجرمون لديهم أطفال أيضًا، وربما أعواهم البعض.

تنهّد ثم أدرج مدخلًا جديدًا. "تعديل مياه المترهات". كان عليه تحديد شخصٍ ما لديه رموز دخول للمحطة الصناعية، ربما يمكن أن يساعده الأمن في ذلك على الأقل.

وربما، في مكانٍ ما على طول الطريق، سيعثر على مي.

لا يزال هناك أمل.

الفصل الثامن

بوبي

تُعدُّ (هارمان داي جونغ) مدرعةً بحرية من فئة (دوباجر)، بطول يبلغ نصف كيلومتر، بينما تزن ربع مليون طن من الوزن الصافي، وكان رصيف الإرساء الداخلي بها كبيرًا بما يتسع لاستيعاب أربع مركبات مرافقة من فئة الفرقاطة فضلًا عن مجموعة متنوعة من المكوكات الأخف وزنًا ومركبات الإصلاح.

لم تكن تحمل في الوقت الحالي سوى مكوكين فقط: المكوك الكبير الفاخر الذي ينقل سفراء المريخ ومسؤولي الدولة إلى الأرض، والمكوك البحري الأصغر والأكثر عمليةً الذي تقوده بوبي من جانيميد.

وقد استفادت بوبي من المساحة الحرة للركض كما تشاء.

بينما تعرَّض قبطان (داي جونغ) لضغوط كبيرة من قِبل الدبلوماسيين كي يصل بهم إلى الأرض في أسرع وقت ممكن؛ لذلك كانت المركبة تسير بسرعة شبه ثابتة تصل إلى ١ (ج)، في حين سلبت السرعة العالية من معظم المدنيين المريخيين راحتهم، بينما يبدو أن هذا الأمر راق لـ بوبي، فقد تدرّب فيلق المشاة البحرية باستمرار على السرعات العالية كما أجروا تدريبات مُطوَّلة على تحمُّل التسارع بمعدل ١ (ج) على الأقل مرة واحدة شهريًّا. لم يُذكر قطّ أن هذا التدريب الشاق كان من باب الاستعداد في حال خوض حرب على سطح الأرض. فلم يكن أحدٌ مضطرًّا لذلك المصير.

لم تتح لها دورتها الأخيرة التي أمضتها في جانيميد أن تمارس تدريبات التسارع في جاذبية عالية، وبدت الرحلة الطويلة إلى الأرض فرصة سانحة لاستعادة لياقتها. وأشد ما تبغض بوبي أن تظهر بمظهر الضعيف المتهافت أمام أهل المريخ.

تسّلت قليلًا بالغناء لنفسها بصوت متهدّج في أثناء الركض. "كل ما يمكنك القيام به يمكنني أن أفعله بشكل أفضل، يمكنني أن أفعل أي شيءٍ بشكلٍ أفضل منك"

استرقت النظر إلى ساعة يدها في لمحة خاطفة، ساعتان، هذا يعني أنها قطعت بهذه الوتيرة الحالية المُترهّلة اثني عشر ميلًا. هل ترفع ليبلغ المعدل عشرين؟ كم عدد الأشخاص على الأرض الذين يركضون بانتظام عشرين ميلًا؟

كانت الدعاية المريخية قد أقنعتها تقريبًا بأن نصف سكان الأرض ليس لديهم حتى وظائف يعملون بها، وإنهم يعيشون على الإعانات الحكومية، ويُنفقون مُخصَّصاتهم الزهيدة على المخدرات وصالات الترفيه، لكن يُحتمل أن يتمكَّن بعضهم من الركض لمسافة عشرين ميلًا، فهي تراهن على أن سنوبي وفرقته من مشاة البحرية الأرضية يمكنهم الركض عشرين ميلًا بالطريقة التي كانوا يهربون بها من ذلك الـ...

واصلت الغناء: "كل ما يمكنك القيام به يمكنني أن أفعله بشكل أفضل"، ثم ركَّزت على صوت حذائها عند اصطكاكه بالسطح المعدني.

لم ترَ مساعد النقيب يدخل إلى رصيف الإرساء؛ لذلك عندما نادى عليها تمايلت مندهشةً، وتعثَّرت قدماها، تحاملت على يدها اليسرى قبل أن يرتطم دماغها في سطح المركبة ويتحطَّم، شعرت بطقطقة في معصمها، وارتدت ركبتها اليمنى بشكل مؤلم قبل أن تتدحرج على الأرض لامتصاص الصدمة.

استلقت لبضع لحظاتٍ على ظهرها، وحرَّكت معصمها وركبتها لترى إذا كانت قد تعرضت لإصابة خطيرة، أحسَّت بالألم في كليهما، لكن دون شعور بالصرير عند تحريكهما، ومن ثَمَّ لا توجد كسور. إذن لقد خرجت بالكاد من المستشفى، وتبحث عن طريقة للعودة إليها مجددًا؛ لذا ركض مساعد النقيب إليها وانحنى بجانبها.

صاح قائلًا: "يا إلهي، أيتها الرقيبة، يا لها من عثرةٍ لعينة!".

لمس مساعد النقيب ركبتها اليمنى حيث تكوَّنت كدمة بالفعل على جلدها من تحت بنطالها، وعندما بدا أنه أدرك ما كان يفعل، سحب يده إلى الخلف.

---

[1] هي أغنية من فيلم (آني تأخذ سلاحك) الصادر عام ١٩٥٠

قال وهو يجلجل بصوته قليلًا عند قراءة الرسالة. "الرقيبة درابر، يجب أن تحضري اجتماعًا في قاعة الاجتماعات (ح) في الساعة ١٤٥٠ بالضبط. كيف لا تحملين جهازك اللوحي معك؟ لقد واجهوا صعوبة في تعقُّبك".

تثبت بوبي تنظر إلى قدميها وتختبر ركبتها بحذر شديد؛ لتتأكَّد إذا كانت ستقوى على حمل وزنها.

"لقد أجبت عن سؤالك للتو أيها الفتى".

***

وصلت بوبي إلى قاعة الاجتماعات قبل خمس دقائق من الموعد المُزمع، وقد ارتدت زي الخدمة الأنيق المضغوط باللونين الأحمر الكاكي ولم يخالطه سوى رباط أبيض ربط به المُسعِف معصمها الذي تعرَّض إلى التواءٍ طفيف. فتح لها الباب جندي من مشاة البحرية وقد ارتدى زيًّا قتاليًّا وتسلّح ببندقية هجومية، ابتسم لها وهي تمر، كانت ابتسامة لطيفة كشفت عن أسنانٍ ناصعة البياض، وانفتحت من تحت عيون لوزية داكنة للغاية لدرجة أنها بدت شبه سوداء.

بادلته بوبي الابتسامة ونظرت إلى الاسم على بدلته. العريف ماتسوكي. لا تعرف أبدًا من ستجمعك به الصدفة في المطبخ أو غرفة حمل الأثقال؛ لذلك لا يضرك أن تصادق واحدًا أو اثنين.

استرشدت طول الطريق إلى الغرفة بصوت شخصٍ يُردِّد اسمها.

كرَّر النقيب ثورسون: "الرقيبة درابر"، وأشار بفارغ صبره نحو أحد الكراسي على طاولة الاجتماعات الطويلة.

قالت بوبي: "سيدي"، وأدّت له التحية العسكرية قبل أن تجلس على مقعدها تفاجأت برؤية بضعٍ من الأشخاص في القاعة، فقط ثورسون ممثلًا لجهاز الاستخبارات واثنان من المدنيين لم تكن تعرفهما.

"أيتها الرقيبة، نحن بحاجة إلى استعراض بعض التفاصيل في تقريرك، ونُقدِّر إسهامك".

انتظرت بوبي بضع لحظات لتتعرّف على المدنيين الحاضرين في القاعة، ولكن عندما اتضح لها أن ثورسون لن يكشف عن هويتهما، قالت على الفور: "نعم يا سيدي، سأفعل ما في وسعي للمساعدة"

قالت المدنية الأولى، وكانت امرأة صهباء ذات ملامح جادة تظهر في حُلّة باهظة الثمن: "نحاول استيضاح الجدول الزمني للأحداث التي سبقت الهجوم، هل يمكنكِ أن تُشيري لنا على هذه الخريطة مكان وجودك أنتِ وفرقتك عندما تلقيتِ رسالة على الجهاز اللاسلكي تحثُّكِ على العودة إلى موقع القاعدة.

أشارت بوبي إلى مكان وجودها، ثم انتقلت لتستعرض لهم أحداث ذلك اليوم حدثًا تلو الآخر، وعند النظر إلى الخريطة التي أحضروها، فقد رأت لأول مرة إلى أيّ مدى كانت تقذفها موجة الصدمة بالمرآة المدارية عبر الجليد، بدا لها أنها كانت على بعد بضعة سنتيمترات فقط وتُحطّم مثل بقية فصيلتها...

قال ثورسون بنبرة صوت تدل على أنها ليست المرة الأولى التي يسترعي فيها انتباهها: "أيتها الرقيبة!".

"معذرة يا سيدي، فالصور أذهلتني وشردت بي بعيدًا، لن يتكرّر ذلك".

أومأ ثورسون برأسه، وقد التبسه تعبيرٌ غريب لم تستطع بوبي قراءة دلالته.

قال المدني الآخر، وهو رجلٌ مُكتنز الجسم بشعرٍ بني رقيق: "نحاول تحديد المكان الذي اقتحمه ذلك الشذوذ قبل الهجوم بالضبط".

يطلقون عليه "الشذوذ"، الآن يمكنك سماع التفخيم في كل مرة ينطقون بها شذوذ، وكأنه شيءٌ حدث بدون مقدمات، حدث عشوائي غريب، ما يزال الجميع يخشى تسميته باسمه الحقيقي "السلاح"

استطرد الرجل المدني: "لنرى، استنادًا إلى طول مدة الاتصال اللاسلكي، والمعلومات الواردة من المرافق الأخرى في تلك المنطقة بفقدان الإشارة، يمكننا أن نحدّد مصدر التشويش، ألا وهو ذلك الكائن الشاذ نفسه".

قالت بوبي وهي تهز رأسها. "انتظر، ماذا تقول؟ لا يمكن للوحش أن يُشوّش على أجهزة اللاسلكي الخاصة بنا، فلم يكن لديه أيّ تقنيات، ولا يرتدي حتى بدلة الفضاء اللعينة للتنفس، كيف يمكن أن يحمل معدات للتشويش؟"

ربَّت ثورسون على يدها بعطفٍ أبوي، ولكنها لفتة أزعجت بوبي بدلًا من أن تُهدّئها

قال ثورسون: "البيانات لا تكذب أيتها الرقيبة، ثم نقل منطقة التعقيم اللاسلكي، ودائمًا ما كان المركز.. هذا الشيء، أو فلنقل ذلك الكائن الشاذ"، ثم ابتعد عنها ليتحدَّث إلى الرجل البدين والمرأة الصهباء.

تمدَّدت بوبي إلى الوراء، وشعرت أن الأضواء لم تعد مُسلَّطةً عليها في القاعة، كما لو كانت الوحيدة بلا شريك في الرقصة كلها، لكن بما أن ثورسون لم يُشِر لها بالخروج، فلن تستطيع المغادرة من تلقاء نفسها.

قالت المرأة الصهباء مُشيرةً إلى نقطة على الخريطة: "استنادًا إلى بيانات انقطاع الاتصال اللاسلكي، فإن هذا يجعلنا نضع نقطة التداخل هنا، والمسار إلى موقع قاعدة الأمم المتحدة يمتد على طول هذا الخط".

تساءل ثورسون مُقطبًا: "ماذا يوجد في هذا الموقع؟"

أخرج الرجل البدين خريطةً أخرى وتفحّصها لبضع ثوانٍ.

"يبدو أنها أنفاق المرافق القديمة لمحطة الطاقة المائية في القُبة، هذا يُشير إلى أنها لم تُستخدم منذ عقود".

قال ثورسون: "إذن، إنها من نوعية الأنفاق التي تُستخدم لنقل شيء خطير سرًّا".

قالت المرأة الصهباء: "أجل، ربما كانوا يُسلمون تلك الأشياء السرية إلى هذا الموقع الخاص بمشاة البحرية، ولكن عندما خرجت الأمور عن السيطرة، تركه مشاة البحرية ولاذوا بالفرار".

"نعم، ربما كانوا يسلّمونها إلى موقع مشاة البحرية هذا، وقد تلاشى؛ لذا فرّ مشاة البحرية عندما رأوا أن الأمر خرج عن السيطرة".

ضحكت بوبي هازئةً قبل أن تتمكّن من تمالك نفسها.

سأها ثورسون: "هل لديكِ شيءٌ تُضيفيه أيتها الرقيبة درابر؟"

نظر ثورسون إليها بابتسامته الغامضة، وكانت بوبي قد عملت تحت قيادته بما يكفي لتعرف أن أبغض ما يبغض ذلك الرجل هو الهراء، فإذا كنت تريد التحدُّث، فعليك أن تتأكّد أن لديك بالفعل شيئًا مفيدًا لتقوله. رمقها المدنيان بنظرات مدهوشة وكأنها صرصور استنهض على قدميه للتو وبدأ يتكلّم.

هزت بوبي رأسها.

"عند كنت طالبةً عسكريةً، تعرف ما قاله لنا رقيب التدريب، ما هو ثاني أخطر شيء في النظام الشمسي بعد مشاة البحرية المريخية؟"

واصل المدنيان التحديق بها، لكن ثورسون أومأ برأسه، وتفوّه بالإجابة في الوقت الذي أجابت هي فيه: "مشاة البحرية التابعة للأمم المتحدة".

نظر الرجل البدين والمرأة الصهباء بعضهما إلى بعض، ثم التفتت إلى ثورسون وهو يقول:

"لذلك لا تعتقدين أن جنود الأمم المتحدة يلوذون بالفرار من شيءٍ خرج عن سيطرتهم".

"مستحيل طبعًا، يا سيدي".

"إذن، أعطينا رأيكِ بشأن ذلك".

"كانت قاعدة الأمم المتحدة مزوَّدة بفصيلة كاملة من مشاة البحرية، مثل القوة التي تمتلكها قاعدتنا. عندما بدأوا في الركض، بقي ستة منهم، قاتلوا تقريبًا حتى آخر نفس فيهم. عندما كانوا يهرعون نحونا، لم يحاولوا الانسحاب، بل هرعوا إلينا لنساعدهم على مواصلة القتال".

التقط الرجل البدين حقيبة جلدية وأخذ يبحث في داخلها، وكانت المرأة الصهباء تراقبه، كما لو أن ما يفعله الآن أكثر إثارةً بالنسبة لها مما ذكرته بوبي

"لو كان الأمر سرًّا، وصدر التكليف من الأمم المتحدة إلى مشاة البحرية بتسليم الأوامر أو الحفاظ على سريتها، لما حاولوا الوصول إلينا. لقد ماتوا دون أن يتخلوا عن مهمتهم، وهذا ما كنا سنفعله أيضًا".

قال ثورسون: "شكرًا لكِ".

"أعني، لم تكن المعركة تخصنا، ومع ذلك قاتلنا حتى آخر جندي من مشاة البحرية لدينا من أجل التصدِّي لهذا الشيء، هل تعتقد أن جنود مشاة البحرية التابعة للأمم المتحدة سيتخاذلون ويفعلون أقل من ذلك؟"

كرَّر ثورسون شكره بصوتٍ أعلى: "شكرًا لكِ أيتها الرقيبة. أميل إلى موافقتكِ الرأي، ولكن علينا استكشاف كل الاحتمالات الممكنة، سنأخذ تعليقاتكِ في عين الاعتبار".

وجد الرجل البدين أخيرًا ما كان يبحث عنه، علبة نعناع بلاستيكية صغيرة، أخرج لنفسه واحدةً ثم عرضها على المرأة الصهباء لتأخذ واحدةً فقط. تنسَّمت بوبي الهواء المُعبّق برائحة النعناع الطيبة.

قال الرجل البدين بفمٍ يطفح منه النعناع: "نعم، نشكركِ أيتها الرقيبة، أعتقد أن يمكننا أن نمضي قدمًا هنا دون أن نُضيع المزيد من وقتك".

نهضت بوبي وأدّت التحية العسكرية مرة أخرى إلى ثورسون ثم غادرت القاعة. كان قلبها يخفق، وفكها يُؤلمها بسبب صرير تطاحُن أسنانها.

لم يفهمها المدنيان، لم يفهمها أحد.

***

عندما وصل النقيب مارتينز إلى غرفة التخزين، كانت بوبي قد انتهت لتوها من تفكيك السلاح من الذراع اليُمنى لبدلتها القتالية، حيث قامت بإزالة مدفع (غاتلينج) ذي الثلاث فُوَّهات من حامله، ووضعته على الأرض بجوار العشرات من الأجزاء الأخرى التي كانت قد فكّكتها بالفعل. وإلى جانب ذلك كانت هناك علبة مُنظِّف الأسلحة، وزجاجة مواد تشحيم وُضعت جنبًا إلى جنب مع مجموعة مختلفة من القضبان والفُرشات التي كانت تستخدمها في تنظيف أجزاء السلاح.

انتظر مارتينز حتى تضع بوبي السلاح على بساط التنظيف، ثم جلس على الأرض بجانبها، كانت بوبي قد أدخلت فرشاة سلكية في نهاية أحد قضبان التنظيف، وغمستها في المُنظِّف، ثم بدأت تُمرِّر الفرشاة عبر السلاح، تنتقل من فُوَّهة إلى أخرى ومارتينز يشاهدها وهي تفعل ذلك.

بعد بضع دقائق، استبدلت الفرشاة بقطعة قماش صغيرة ومسحت ما تبقى على الفُوَّهة من آثار المُنظِّف، ثم استخدمت قطعة قماش جديدة مُبللة بزيت التشحيم لتشحيمها، تحدَّث مارتينز أخيرًا حينما كانت تُطبِّق التشحيم على شبكة مُعقَّدة من التروس التي تتكوَّن منها ميكانيكية (غاتلينج) ونظام تغذية الذخيرة:

"كما تعلمين، إن الاستخبارات البحرية تجري في دم ثورسون منذ بداية حياته، تدرّب مباشرةً كضابط، وكان على رأس فرقته في الأكاديمية، وهو الأول بين المرشحين لقيادة الأسطول، لم يفعل أيّ شيءٍ إلا أن لديه هوسًا بالاستخبارات، آخر مرة أطلق فيها النار كان خلال الأسابيع الستة التي كان فيها طالبًا عسكريًّا قبل عشرين عامًا، لم يسبق له أن قاد فريقًا عسكريًّا لإطلاق النيران ولم يخدم قطّ في فصيلة قتالية".

ردت عليه بوبي، وهي تضع زيت التشحيم جانبًا ثم تقف لتبدأ في تجميع السلاح: "هذه قصة مثيرة حقًّا، أشكرك على إخباري بها".

واصل مارتينز حديثه بلا تردُّد دون أن يفوِّت لحظة: "إذن، هل يمكنكِ أن تتخيّلي إلى أيِّ مدى كانت حالتك مضطربة قبل أن يبادر ثورسون بسؤالي عما إذا كنتِ مُصابة بصدمة القصف؟"

سقط المفك الذي كانت تحمله بوبي، ولكنها سرعان ما أمسكته بيدها الأخرى قبل أن يقع أرضًا، وتساءلت: "هل هذه زيارة رسمية؟ لأنه إذا لم يكن الأمر كذلك، فيمكنك أن ..."

قاطعها مارتينز: "هل تريني الآن رجلًا مهووسًا بالاستخبارات، أنا مجرد جندي من مشاة البحرية، قضيت عشر سنوات في الخدمة كجندي قبل أن أحظى بمنحة للالتحاق بكلية الضباط، وحصلت على درجة عملية مزدوجة في علم النفس واللاهوت".

شعرت بوبي بحكة في طرف أنفها، فحدشته دونما تفكير، وبمجرد شمها لرائحة زيت التشحيم، أدركت فورًا أنها فركت وجهها بمواد التشحيم. ربما نظر مارتيير إليها للحظة ولكنه لم يتوقّف عن الكلام، وحاولت بوبي أن تُشوشِر عليه حينما أحدثت أكبر قدر من الجلبة أثناء تركيبها السلاح، لكنه تابع حديثه بصوت أعلى قليلًا: "لقد حصتُ الكثير من التدريبات القتالية، والمعارك ذات المدى القريب، والمناورات الحربية، هل تعلمين أنني كنت في المعسكر نفسه حيث كان والدك رقيبًا أول؟ حضرة الرقيب الأول درابر رجلٌ عظيمٌ حقًّا، كان أقرب إلى إله بالنسبة للطلبة العسكريين".

رفعت بوبي رأسها وضيّقت عينيها، الطريقة التي ادعى بها هذا الطبيب النفسي أنه يعرف والدها جعلته تشعر بمدى خداعه وقذارته.

واصل قائلًا: "نعم، ما أُخبرك به حقيقيًّا، ولو كان هنا الآن، كان سينصحك بالاستماع لي".

انفعلت بوبي: "عليك اللعنة"، وتخيلت والدها منزعجًا من استخدامها العبارات الفاحشة لإخفاء ما تشعر به من خوف، "أنت لا تعرف شيئًا حقًّا".

"بل أعلم أنه عندما يكون رقيب مدفعية بمستوى تدريبك وجاهزيتك القتالية ويخرج عن طوره بسبب مساعد نقيب غِرّ ما يزال في نهاية سن البلوغ، فهناك خطأ ما".

أسقطت بوبي المفك على الأرض؛ مما تسبّب في سقوط زجاجة التشحيم على جانبها، وسال الزيت على البساط مثل بقع الدم.

"لقد سقطت، كنا في أقصى مستويات التسارع، كل ما في الأمر أني.. سقطت على الأرض".

ردَّ عليه: "وماذا عما حدث في اجتماع اليوم؟ تصرخين بأعلى صوتك في وجه اثنين من محلِّلي الاستخبارات المدنيين بخطبة حول كيف يُفضّل مشاة البحرية الموت على الفشل؟"

قالت بوبي: "لم أصرخ"، ولكنها لم تكن تعرف حقًّا أهذه هي الحقيقة أم لا، فقد تشوّشت ذكرياتها عن الاجتماع بمجرد خروجها من القاعة.

"كم مرة أطلقت النار بهذا السلاح منذ أن قمت بتنظيفه بالأمس؟"

قالت بوبي وقد انتابها شعورٌ بالغثيان دون أن تعرف سببه. "ماذا؟"

سألها. "بالمناسبة، كم مرة أطلقتِ فيها النار منذ أن قمتِ بتنظيف السلاح أول أمس، أو اليوم السابق له؟"

قالت بوبي: "كُفّ عن هذا"، ولوّحت بيدها في وجه مارتيبز بفتور، وهي تبحث عن مكان تقتعد فيه.

"هل أطلقتِ النار بهذا السلاح ولو لمرة واحدة منذ أن صعدتِ على متن داي جونغ؟ لأنني أستطيع أن أخبرك أنكِ قمتِ بتنظيفه مرة يوميًا منذ صعودك على متن المركبة، ولعدّة مرات قمتِ بتنظيفه مرتين في اليوم الواحد".

"لا، أنا ...."، قالت بوبي بينها كان جسدها ينتفض وهي تجلس على حاوية الذخيرة، ولم تكن تتذكّر أنها نظّفت سلاحها قبل ذلك اليوم، "لم أكن أعرف ذلك".

قال مارتينز: "هذا هو اضطراب ما بعد الصدمة، لا عليكِ يا بوبي. إنه ليس ضعفًا أو نوعًا من الفشل الأخلاقي، هذا ما يحدث عندما تمرّين بتجربة مُروِّعة، في الوقت الحالي، أنت غير قادرة على معالجة ما حدث لك ولفرقتك في جانيميد، وهذا ما يجعلكِ تتصرفين بشكلٍ غير عقلاني". ثم اقترب منها وانحنى أمامها، كانت بوبي تخشى أن يمسك بيدها؛ لأنه إذا فعل ذلك، فستضربه فورًا.

لكنه لم يفعل.

أردف قائلًا: "أنت تشعرين بالخجل، ولكن لا يوجد ما تخجلين منه، لقد تدرّبتِ على أن تكوني صارمةً ومقتدرة وعلى أُهْبَة الاستعداد لأيّ شيء، لقد تعلّمتِ أنه إذا أدّيتِ عملك وواظبتِ على تدريبك فقط، فبإمكانكِ مواجهة أيّ تهديد، وعلاوة على ذلك، تعلّمتِ أن أهم الناس في هذا العالم هم من يقفون بجوارك على خط إطلاق النار".

ارتعش جزءٌ من خدها تحت عينها مباشرةً، وفركت بوبي المنطقة بشدة بما يكفي لدرجة صعوبة رؤيتها.

استكمل حديثه. "ثم اصطدمت بشيءٍ لم يستطيعوا تدريبك عليه أو إعدادك له، فلم يكن لديك آلية دفاعية ضده، وفقدت زملاءكِ وأصدقاءك في الفريق"

حاولت بوبي أن تردّ عليها ولكنها أدركت أن أنفاسها محبوسة، وبدلًا من التحدُّث، كانت ترفرف بقوة كما لو كانت ستنفجر، ولكن مارتينز لم يكف عن الكلام

"نحن بحاجة إليكِ، روبرتا. نريدكِ أن تعودي، لم أشعر من قبل بما تمرين به الآن، ولكنني أعرف الكثير من الأشخاص الذين مروا بذلك، وأعرف كيف أساعدكِ، ولكن شريطة أن تسمحي لي، أن تتحدَّثي معي، لا أستطيع محو هذه الصدمة، ولن أستطيع معالجتكِ منها تمامًا، ولكن يمكنني أن أجعلكِ تشعرين بالتحسُّن".

أجابت بوبي في صوت منخفض جدًّا: "لا تناديني روبرتا" حتى إنها بالكاد تسمع نفسها.

أخذت عدة أنفاس قصيرة متسارعة لتصفية ذهنها، وحاولت عدم الإفراط في التنفُّس، ولكن انجرفت عليها روائح غرفة التخزين، واختلطت رائحة المطاط والمعدن في بدلتها مع الروائح الكريهة المنبعثة من زيوت الأسلحة والسائل الهيدروليكي فقد علِقت بالمعدن وتقادمت حتى ترسّخت فيه رغم كل المرات التي مسح فيها فتية البحرية الطوابق. إن فكرة مرور الآلاف من البحّارة ومشاة البحرية بهذا المكان، والعمل على معداتهم وتنظيف هذه الحواجز نفسها، قد أعادتها إلى نفسها.

انحنت لتلتقط سلاحها الذي قد جمعته للتو من على البساط قبل أن تزحف إليه بركة الزيت المنسكب منذ قليل، وقالت: "لا، أيها النقيب، تحدُّثي معك لن يجعلني أشعر بالتحسُّن".

ردَّ عليها: "وماذا بعدُ أيتها الرقيبة؟"

قالت: "أتعرف هذا الشيء الذي قتل أصدقائي، وأشعل هذه الحرب، شخصٌ ما هو من تعمَّد وضع هذا الشيء على جانيميد"، ثم وضعت سلاحها في حامله بنقرة معدنية حادة، وأدارت الفوّهات الثلاث بيدها؛ فعَلا صوت الهسهسة الرتيبة السريعة للمحامل عالية الجودة وعندها أضافت: "سأعرف من هو المسؤول عن ذلك، وسأقتله".

الفصل التاسع
أفاسارالا

كان التقرير يزيد على ثلاث صفحات، ولكن سورين كان يعمل لحساب المرأة ذات النفوذ والتي تتحلَّى بالشجاعة الكافية للاعتراف بالجهل إذا لم تكن تعرف جميع التفاصيل. حدثت أشياء غريبة على كوكب الزهرة، أغرب مما تعرفه أفاسارلا أو ما كانت تستطيع تخمينه في أيِّ وقت مضى، حيث غُطِّي الكوكب كله تقريبًا بشبكة من الخيوط مكوِّنةً نمطًا سُداسيًّا بعرض خمسين كيلومترًا، وبغض البصر عن حقيقة إذا كانت هذه الخيوط تحمل تيارات مائية وكهربائية شديدة الحرارة، إلا أن أحدًا لم يعرف ما طبيعتها بالضبط. وزادت جاذبية الكوكب بنسبة ٣٪، كما اقترنت الزوايا المُزدوجة من البنزين والهيدروكربونات المُعقَّدَة مثل السباحين المتزامنين، ثم اجتاحت الفُوَّهات الناجمة عن الاصطدام حيث اصطدمت بقايا محطة إيروس بسطح الكوكب. ظل أفضل العلماء في النظام الشمسي يحدِّقون في البيانات المتاحة بأفواهٍ فاغرة، وكان السبب الوحيد في عدم ذعرهم حتى الآن أنهم لم يتوصَّلوا إلى إجماعٍ بشأن ما يجب الفزع منه.

من ناحية، كان التحوُّل الزهري أقوى أداة علمية على الإطلاق، ومهما كان ما حدث، فقد حدث على مرأى من الجميع، ولم تكن هناك اتفاقيات سرية أو عقود مانعة للمنافسة تثير الحفائظ، بل يمكن لأيِّ شخص لديه ماسح حساس بالدرجة الكافية إلقاء نظرة خاطفة على سُحب حمض الكبريتيك ويرى ما يحدث اليوم، صحيح أن التحليلات سرية، وتم تمويل دراسات المتابعة طويلة المدى من قبل الشركات، ولكن البيانات الأولية كانت تدور حول الشمس، ومن ثَمَّ مُتاح رؤيتها للجميع.

ولكن من ناحية أخرى، كان الأمر يُشبه مجموعة من السحالي يشاهدون كأس العالم، بعبارة أكثر تهذُّبًا. ليسوا متأكدين ولا مُدركين أصلًا ما يُطالعونه.

لكن البيانات كانت واضحة، حدث الهجوم على جانيميد بالتزامن مع ارتفاع الطاقة المُنفقة على كوكب الزهرة دون أن يعرف أحد سبب ذلك.

قالت أفاسارالا: "حسنًا، لا طائل من وراء ذلك".

أغلقت جهازها اللوحي، ونظرت من النافذة، كان الحضور من حولها يتمتمون بهدوء، يبدو المطعم كأحد أفضل المطاعم الفاخرة فقط دون تلك الصرورة القبيحة لدفع ثمن أيّ شيءٍ، صُمّمت الطاولات من الخشب الطبيعي ورُتّبت بعناية شديدة بحيث يستمتع كل شخص بالمنظر وإجراء محادثات خاصة إذا أرادوا ذلك. تساقط وابلٌ من البرد في ذلك اليوم، وحتى لو لم ترشق قطرات المطر النوافذ وتطمس أجواء المدينة وسماءها، لكانت أفاسارالا أدركت ذلك من الرائحة. ظلّ غداؤها -المتكوِّن من طبق بارد من الساغ ألو (بطاطس السبانخ)- مع شيءٍ كان يُفترض أن يكون دجاج تندوري، على الطاولة دون أن يمسه أحد، وسورين ما يزال جالسًا مقابلها ينظر إليها في تهذيبٍ وتنبُّه مثل كلب لابرادور ريتريفر.

قال سورين: "لا توجد بيانات تُشير إلى حدوث إطلاق، أيًّا كان ما على كوكب الزهرة، فيجب أن يخرج إلى جانيميد، وليس هناك ما يدل على حدوث ذلك مُطلقًا".

"كل ما يوجد على كوكب الزهرة يُؤكِّد أن القصور الذاتي اختياري، وأن الجاذبية ليست ثابتة، لا نعرف كيف سيبدو هذا الإطلاق، على حد علمنا، يمكنه المشي نحو كوكب المُشتري".

أوضحت إيماءة الفتى اقتناعه بالفرضية.

تساءلت: "إلامَ وصلت الأمور مع المريخ؟"

أجابها: "لقد وافقوا على مقابلتنا هنا، مركبتهم في الطريق حيث تحمل الوفد الدبلوماسي، بمن في ذلك شاهدتُهم أيضًا".

"تلك الجندية البحرية؟ درابر؟"

أجابها: "نعم، يا سيدتي، والأميرال نجوين هو المسؤول المُرافق لهم".

"هل يُبلي بلاءً حسنًا؟"

"نعم، حتى الآن".

تساءلت أفاسارالا: "حسنًا، ماذا ينتظرنا بعد ذلك؟"

أجابها سورين: "جول بيير ماو ينتظر في مكتبك، سيدتي"

قالت: "قدّم لي تقريرًا مُوجزًا عنه بكل ما تراه مهمًّا"

رمش سورين وقال: "سبق وأرسلت التقرير بالفعل.".

أشعلت صاعقة البرق الغيوم.

شعرت بوجرة من الضيق، وبدا عليها الإحراج قليلًا؛ لأنها نسيت أن لديها ملفًا مُوجزًا عن الرجل في قائمة انتظارها إلى جانب ثلاثين وثيقة أخرى تحتاج إلى قراءتها، لكنها أُصيبت بالأرق في ليلتها السابقة بسبب الكابوس الذي مات فيه أرجون فجأةً، وقد عانت من كوابيس الترمُّل منذ وفاة ابنها في حادث تزلُّج، وكان عقلها الباطن يخلط بين الرجلين الوحيدين اللذين أحبتهما طوال حياتها.

كانت تنوي الاطلاع على التقرير قبل الإفطار، ولكنها نسيت، وبالطبع لن تعترف بذلك لهذا الفتى الأوروبي الشقي مهما كان ذكاؤه وكفاءته وإخلاصه لها.

نهضت ثم قالت: "أنا أعرف ما في تقريرك، كان هذا اختبارٌ سخيف. أنا أتساءل حقًّا عما تراه مهمًّا فيما جاء في التقرير". ثم تقدَّمت بعيدًا متجهةً بسرعة متعمَّدة نحو الأبواب المنحوتة من البلوط؛ ليجد سورين نفسه مضطرًّا أن يسارع ليلحق بها.

قال سورين بصوتٍ هامس لم يسمعه سواها: "السيد ماو هو المسيطر على أغلبية حصص مؤسسة ماو كويكوفسكي التجارية. قبل الحادث، كان أحد المورِّدين الرئيسيين لشركة بروتوجين. كل المعدات الطبية وغرف الإشعاع ومعدات المراقبة والبنية التحتية للتشفير، وكل شيء وضعته شركة بروتوجين أو استخدمته لبناء محطة الأشباح على إيروس قد خرج تقريبًا من مستودع ماو كويكوفسكي، وعلى مركبة شحن ماو كويك".

استنكرت أفاسارالا: "وما زال يتنفّس الهواء الطلق ولم يُعاقب حتى الآن.."، ثم فتحت الأبواب، ودخلت الرواق على الجانب الآخر.

قال سورين: "لا يوجد دليل على أن مؤسسة ماو كويك كان تعرف الغرض من استخدام تلك المعدات، وعندما ظهرت حقيقة بروتوجين، كانت المؤسسة أول المبادرين بتقديم المعلومات اللازمة للجنة التحقيق، إذا لم تقم المؤسسة أو هو شخصيًّا بتسليم تيرابايت بالمراسلات السرية، فربما لم يتورّط عوتمانسدوتير ولا كولب".

كان رجلٌ أشيب الشعر له أنفٌ الأنديز العريض يسير في الاتجاه الآخر من الصالة، وقد رفع بصره عن جهازه اللوحي وأومأ إليها واقترب منها.

قالت أفاسارالا: "فيكتور، لشد ما يحزنني ما ألمّ بأبيت".

قال الرجل الأنديزي: "الأطباء يقولون إنها ستُصبح بخير. سأخبرها بسؤالك عنها".

قالت أفاسارالا: "عليك أن تُخبرها أيضًا أني أقول لها فلتغادري الفراش سريعًا قبل أن يبدأ زوجك في التلاعب ويستسلم لنداء أفكاره الشيطانية". ليضحك الرجل الأنديزي من دُعابتها في أثناء المرور.

ثم وجّهت كلامها لسورين: "هل أبرم صفقة؟ التعاون معنا مقابل العفو عنه؟"

قال: "هذا هو أحد التفسيرات، ولكن الأغلبية يفترضون أن يفعل ذلك ثأرًا شخصيًّا لما حدث لابنته".

قالت أفاسارالا: "كانت على إيروس".

ردَّ عليها سورين عند دخولها المصعد: "كانت على إيروس، كما أنها كانت محور العدوى حيث يعتقد العلماء أن الجزيء الأولي تطوّر باستخدام جسمها وعقلها كنموذج".

أُغلقت الأبواب، وأدرك المصعد من بداخله ووجهته، وبالفعل بدأ ينزل ببطء بينما رفعت أفاسارالا حاجبيها قائلةً: "لذلك عندما بدأوا في التفاوض مع هذا الكائن..."

وأكمل سورين: "في الحقيقة كانوا يتحدّثون إلى ما تبقّى من ابنة جول بيير ماو، أعني أن هذا ما اعتقدوه".

أطلقت أفاسارالا صافرةً منخفضةً إعجابًا به.

سألها سورين: "هل اجتزت الاختبار، يا سيدتي؟"، مع الحفاظ على ملامح وجهه فارغةً من التعبير باستثناء التماعة خفيفة في آماق عينيه تُشير إلى معرفته التامة أن رئيسته تلاعبه، ولم تستطع أفاسارالا أن تُداري ابتسامتها.

قالت: "لا أحد يحب الرجل المُتحذلق"، وتوقّف المصعد، وانفتحت أبوابه.

جلس حولي بير ماو أمام مكتب أفاسارالا، وكان يشع منه شعورٌ بالسكون مع لمحة خافتة جدًّا من التسلٍّ، ألقت عليه نظرة فاحصة، ولم تغفل التفاصيل. لقد جاء مرتديًا بدلة حريرية مُصمّمة تصميمًا جيدًا بدرجة لون بين الرمادي والرملي، وقد انحسر منبت شعره غير المُعالج بالعلاجات الطبية، وما زالت عيناه الزرقاوان مدهلتين، وربما يكون قد وُلد بهاتين العينين. وبالرغم من تلبُّسه بالمرحلة العمرية التي يعيش فيها فإنه ظل حريصًا على محاربة ويلات الزمن وعدم الاستسلام للموت. قبل عشرين عامًا، كان وسيمًا بشكل فاتن، وهو ما يزال وسيمًا الآن بل وأصبح موفور الأناقة والهيبة أيضًا. عندها أدركت أفاسارالا أن دافعها الأول للإعجاب بهذا الرجل كان غريزيًّا بحتًا.

قالت وهي تحيّيه برأسها: "السيد ماو، أعتذر إن كنتَ قد انتظرتني طويلًا".

ردَّ عليها: "لقد سبق لي العمل مع الحكومة"، كان لديه لكنة أوروبية قادرة على إذابة الجليد، "أتفهَّم ظروفك وارتباطاتك، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟ مساعدة وكيل وزارة الإدارة التنفيذية؟"

جلست أفاسارالا على كرسيها، وابتسم بوذا ابتسامته الصافية من مكانه بجانب الحائط، بينما غطَّت الأمطار النافذة، حتى أن الظلال بشكلها المموّه صوّرت ماو كما ولو كان يبكي، وضمت أفاسارالا أطراف أصابعها.

"هل تريد كوبًا من الشاي؟"

قال ماو: "لا، شكرًا لك".

قالت: "سورين! اذهب واحضر لي كوبًا من الشاي".

قال الفتى: "أمركِ يا سيدتي".

ثم نادت على سورين مرة أخرى، ولما أجابها، قالت: "لا تستعجل"

قال الفتى: "بالطبع لا، سيدتي".

أغلق الباب خلفه، وابتسم ماو ابتسامةً مُثقلة.

تساءل ماو: "هل كان يجب عليّ إحضار المحامين الخاصين بي؟"

قالت. "أتقصد هؤلاء الجرذان الأوغاد؟ لا، لقد انتهت جميع المحاكمات، وأنا لست هنا لإحياء النزاعات القانونية، لديّ عمل يجب القيام به"

قال ماو: "أنا أقدّر ذلك".

قالت أفاسارالا: "لديّ مشكلة، ولكن لا أعرف تحديدها بالضبط".

تساءل ماو مستنكرًا: "وهل تعتقدين أنني من سيعرف؟"

"ربما، لقد استعرضت الكثير من جلسات الاستماع حول شيءٍ واحد لعين ثم ظهر بعد ذلك شيءٌ آخر، في معظم الأحيان يمارسون ألاعيب التغطية، بينما إذا ظهرت الحقيقة جليةً في وقت واحد ببساطة، فسيكون ذلك بسبب شخصٍ ما أفسد الأمر".

ضاقت تلك العيون الزرقاء اللامعة، وانحسر الدفء عن ابتسامته.

"هل تعتقدين أنني ومديري التنفيذيين كنا أقل إقدامًا؟ لقد وضعت رجالًا أقوياء في السجن من أجلك أيتها المساعدة لوكيل الوزارة، لقد خاطرت كثيرًا وضحيت في سبيل ذلك بسمعتي وحياتي".

انطلق هزيم الرعد وكأنه يتشكّى، ثم تضاعفت حدّة الصوت بهطول المطر على اللوح الزجاجي للنافذة. عقدت أفاسارالا ذراعيها وقالت:

"لقد فعلت، ولكن لا يُفترض أن يجعلك هذا شخصًا أحق، فما تزال هناك أشياء شهدتَ بها تحت القسم وأشياء أخرى تراقصتَ حولها وتجنّبتَ الكلام عنها. عليك أن تعلم أن هذه الغرفة غير خاضعة للمراقبة، والحديث الذي يدور بنا غير مُسجَّل، نحن في اجتماع غير رسمي، أريدك أن تخبرني بكل ما تعرفه عن الجزيء الأولي وكل ما لم تُدْلِ به في جلسات الاستماع".

طال الصمت بينهما، كانت أفاسارالا تراقب وجهه وجسده بحثًا عن علامات، ولكن من المستحيل قراءة هذا الرجل، لقد اعتاد على هذا الصمت الجامد، وكان مُتقنًا له حقًّا لدرجة الاحتراف.

قالت أفاسارالا: "هناك أشياء تضيع، في إحدى المرات خلال الأزمة المالية، وجدنا قسم تدقيق كاملًا لم يتذكّره أحد؛ لأن هذا هو ما تفعله أنت، تشارك في مشكلة ثم تضعها في مكانٍ ما، وبهذا تجعل بعض الأشخاص الآخرين يعملون عليها، ثم تتسبّب بشكلٍ ما في مشكلة أخرى، وتجعل أشخاصًا آخرين يعملون على حلها، وسرعان ما

يكون لديك سبعة أو ثمانية بل مائة صندوق، ومع ذلك يستمر العمل، ولا أحد يتحدّث إلى أيّ شخص عن كل تلك الصناديق؛ لأن ذلك يخرق بروتوكول الأمان".

تساءل ماو: "وهل تعتقدين أن...؟"

قاطعته أفاسارالا: "لقد تخلَّصنا من بروتوجين، وأنت ساعدتنا، ولكني أسألك إذا كنت تعلم بوجود أيّ صناديق صغيرة أخرى مُلقاة في مكانٍ ما، وآمل أن تقول لي نعم".

استفهم ماو: "هل هذا طلب من الأمين العام أم إريبرايت؟"

أجابت أفاسارالا: "كلا، هذا طلب مني".

قال ماو: "لقد قلت بالفعل كل ما أعرفه".

ردَّت عليه أفاسارلا: "أنا لا أصدق ذلك".

سقط القناع الذي غطى شخصيته الحقيقية خلال لحظة واحدة، وليس أدل على ذلك من تصلُّب فكه وتعديل جلسته، ثم اختفى ما أصابه من ارتباك ليحلّ الغضب محله، كان ذلك مثيرًا للاهتمام حقًّا.

قال بهدوء: "لقد قتلوا ابنتي، حتى لو كان لديّ شيءٌ لأخفيه، فلن أفعل".

سألته أفاسارالا: "كيف وصلوا إلى ابنتك؟ هل كانوا يستهدفونها؟ هل استخدمها شخصٌ ما ضدك؟"

أجاب ماو: "إنه سوء الحظ. خرجت جولي إلى الفضاء حيث المدارات العميقة في محاولةٍ منها لإثبات شيءٍ ما، كانت شابة متمردة ورعناء، لطالما حاولنا إعادتها للمنزل، ولكنها... كانت في المكان غير المناسب في التوقيت غير المناسب".

بزغ شيءٌ مني من أعماق عقل أفاسارالا، ربما حدس أو اندفاع، وانساقت له؛ لتسأل ماو هذا السؤال:

"هل سمعت عنها شيئًا منذ حدوث ذلك؟"

أجاب ماو: "لا أفهم مقصدك".

أوضحت: "منذ اصطدام محطة إيروس بكوكب الزهرة، هل سمعت عنها شيئًا؟"

كان من المثير مشاهدته وهو يتظاهر بالغضب الآن حتى خُيِّل إليها أنه غاضب حقًا، لم تستطع تحديد سبب الجزم بأن انفعاله هذا كان زائفًا، ربما ذلك الذكاء المُتقد في عينيه خصوصًا وأنه تجلّى أكثر من ذي قبل، الغضب الحقيقي يُفقِد الناس أعصابهم، بينما كان هذا الغضب أشبه بمناورة.

هتف بنبرة مسرحية مرتجفة: "لقد ماتت ابنتي حولي، ماتت حينما سقط ذلك الشيء الوحشي الغريب على كوكب الزهرة، ضحت بروحها فداءً للأرض".

واجهته أفاسارالا في لين جانب منها حيث خفضت نبرة صوتها، وارتسم على وجهها تعبير الجدة المُشفقة على صغارها، فلو كان ماو يلعب دور الأب المكلوم، فستلعب هي دور الأم الثكلى.

قالت: "لكن شيئًا منها عاش، ثمة شيءٌ ما منها نجا من هذا الاصطدام، والجميع يعرف ذلك، ومن المنطقي التفكير في أنه لو نجا شيءٌ منها من هذا التحوُّل، فستحاول ابنتك الاتصال بك أو بوالدتها".

قال ماو: "لا أريد شيئًا من هذا العالم سوى أن أسترجع ابنتي الصغيرة، ولكنها ماتت".

أومأت أفاسارالا برأسها، وقالت: "حسنًا".

تساءل في حنق: "هل هناك شيءٌ آخر؟"

ها هو الغضب الزائف يظهر مرة أخرى، مررت أفاسارالا لسانها على الجزء الخلفي من أسنانها وهي تُفكِّر، هناك شيءٌ ما، شيءٌ يجري تحت السطح، لكنها لا تعرف بدقة ما تبحث عنه مع ماو.

سألته: "هل تعرف ما حدث في جانيميد؟"

أجابها: "اندلعت هناك معركة".

قالت: "ربما يتجاوز الأمر ذلك، الشيء الذي قتل ابنتك لا يزال موجودًا، كان على جانيميد، وسأعرف كيف كان ذلك وأسبابه".

عصفت به الدهشة، هل يا تُرى كانت صدمته حقيقية؟

قال بصوت خفيض: "سأساعدكم ما استطعتُ إلى ذلك سبيلًا"

ردَّت عليه: "فلنبدأ من هنا، أخبرني إذا كان هناك شيءٌ لم تقله خلال جلسات الاستماع؟ شريك تجاري تستّرت عليه أو برنامج نسخ احتياطي أو طاقم مساعد لم تُخبرنا به، لا يهمني إذا كان ذلك غير قانوني، يُمكنني أن أقدم لك عفوًا شاملًا عن كل ما اقترفت، ولكنني بحاجة إلى معرفة ذلك الآن".

تساءل وكأنه يعتقد أنها تمازحه: "العفو؟"

قالت: "نعم، إذا أخبرتني الآن".

قال ماو: "لو كان لديَّ شيءٌ أقوله، لما تردّدت في إخبارك به، ولكنني قلت كل ما أعرفه".

قالت أفاسارالا: "حسنًا. إذن، آسفة على إضاعة جزء من وقتك، و...أعتذر أيضًا؛ لأنني نكأت جرحًا قديمًا، لقد فقدتُ أيضًا ابنًا لي، كان شارانبال في الخامسة عشرة من عمره عندما لقي حتفه في حادث تزلج".

قال ماو في مواساة: "يؤسفني ذلك".

ختمت اللقاء بقولها: "إذا عرفت شيئًا جديدًا، بادر بإخباري به".

قال وهو ينهض عن مقعده: "سأفعل". وتركته حتى اقترب من الباب قبل أن تتحدَّث مرة أخرى.

"جول".

التفت عن يمينه بحيث بدا وكأنه إطار مُثبّت للحظة من فيلم؛ لتقول له:

"لو اكتشفت أنك تعرف شيئًا ما ولم تُخبرني به، فلن أتقبّل هذا الأمر بصدرٍ رحب، فأنا لست من النوع الذي يسمح للآخرين بالعبث معه".

قال ماو: "إذا لم أكن أعرف ذلك عند دخولي، فقد عرفت ذلك الآن". وكانت عبارة ختامية جيدة لقائلها، انغلق الباب من خلفه، وتنهّدت أفاسارالا واتكأت على كرسيها، ثم التفتت لتنظر إلى سودا، وقالت:

"يا لها من مساعدة طيبة، أيها الوغد المُتعجرف".

التمثال؛ لأنه مجرد تمثال، لم يرد. أطفأت أفاسارالا الأضواء، وأفسحت المجال للون العاصفة الرمادي ليغطي على أجواء الغرفة. بقي شيءٌ ما غامض حول ماو يسلب راحتها.

ربما تعلّق الأمر فقط بالسيطرة التي يمارسها مفاوض رفيع المستوى في المؤسسة، لكن كان لدى أفاسارالا شعورٌ بأنهم أخرجوها من اللعبة، وصارت مستبعدة، يبدو الأمر مثيرًا بالنظر إلى أن ماو سيحاول الهجوم المضاد، وربما تجاوزها ولجأ إلى شخصٍ أعلى منها في التسلسل الهرمي، على كل حالٍ، سيكون من المفيد الاستباق إلى إرينرايت وإخباره بتوقُّع مكالمة غاضبة.

تساءلت متعجبةً إذا كان من المبالغة التصديق في وجود شيء بشري على كوكب الزهرة، فقد صُمِّم الجزيء الأولي، كما يفهمه الجميع، لاختطاف الشكل البدائي للحياة وإعادة تشكيله في الصورة التي يراها مناسبة، لكن ربما.. كان العقل البشري أكثر تعقيدًا من أن يتحكَّم فيه الجزيء الأولي تمامًا، وأن هذه الفتاة قد نجت بمعنى ما من السقوط في حال حاولت فعلًا التواصل مع والدها...

التقطت أفاسارالا جهازها اللوحي وبدأت الاتصال بـ سورين.

أجاب في الحال: "أمركِ سيدتي."!

"عندما أخبرتك ألا تستعجل، لم أقصد أن تأخذ اليوم كله عُطلة، أين الشاي الذي طلبته؟"

"في الطريق إليكِ سيدتي، لقد تأخرت بسبب انشغالي بأمرٍ آخر، فقد وجدت تقريرًا قد يثير اهتمامك".

قالت قبل أن تقطع الاتصال وتضع جهازها جانبًا: "سيكون الأمر أقل إثارةً للاهتمام إذا كان الشاي باردًا".

يُحتمل أن يكون وضع أيّ نوع من المراقبة الحقيقية على ماو ضربًا من ضروب الخيال حيث تمتلك مؤسسة ماو كويكوفسكي التجارية صفائف الاتصالات وأنظمة التشفير الخاصة بها فضلًا عن العديد من الشركات المنافسة ذات التمويل الجيد مثل الأمم المتحدة المُصمّمة بالفعل على كشف أسرار الشركات، ولكن ربما تكون هناك سبل

أحرى لتتبُّع الاتصالات الصادرة من كوكب الزهرة والواردة إلى مؤسسة ماو كويكوفسكي أو الرسائل المُوجَّهة إليها.

جاء سورين حاملًا صينية بها إبريق شاي حديدي وكوب خزفي بدون مقبض، لم يُعقِّب على الظلام، ولكنه سار بحذر إلى مكتبها، وضع الصينية، وصبَّ كوبًا مُدخنًا من الشاي الداكن، ثم قدّم إليها جهازه اللوحي على المكتب بجانب الكوب.

قالت أفاسارالا: "كان يمكنك فقط أن ترسل لي نسخة لعينة".

ردَّ سورين: "هذا يبدو أكثر دراماتيكية، يا سيدتي، الأمر كله يكمن في طريقة العرض".

استنشقت أفاسارالا وأمسكت الكوب بإحكام، ونفخت في الجو المظلم قبل أن تنظر إلى الجهاز، أشارت بيانات التوقيت في أسفل يمين الشاشة إلى أن التقرير قادم من موقع خارج جانيميد قبل سبع ساعات كما أوضحت رمز التعريف الخاص بالتقرير ذي الصلة. كان الرجل الذي يظهر في الصورة له قَوام رجال الأرض، شعره فاحمٌ أشعث، ومظهره الوسيم صبياني بشكل غريب، استهجنت أفاسارالا الصورة أثناء احتسائها الشاي.

سألت: "ماذا حدث لوجهه؟"

أجابها: "يعتقد المُحقِّق أن اللحية التي يُطلقها جزءٌ من التمويه".

نخرت أفاسارالا ثم قالت: "يا إلهي، حمدًا لله أنه لم يضع عوينات، فلم يكن سيخطر ببالنا أنه هو، ماذا يفعل جيمس هولدن على جانيميد بحق الجحيم؟"

"إنها مركبة إغاثة، وليست مركبة روسينانت".

"هل تأكَّدت من ذلك؟ أنت تعلم أن هؤلاء الأوغاد في (أوبا) بإمكانهم تزوير رموز التسجيل".

أجاب سورين: "أجرى المُحقِّق فحصًا بصريًّا للتصميم الداخلي كما دقّق في السجلات عندما عاد، كما أن الطيار المعتاد هولدن لم يكن بين الطاقم؛ لذلك نُرجِّح أنه أخذ روسينانت وانتظر بها في مكانٍ ما مُظلم داخل نطاق الإشعاع المُركَّز، لكنه ما يزال على مرمى بصر هولدن".

أضاءت أفاسارالا الأضواء؛ لتتحوَّل النوافذ إلى مرايا مظلمة مرة أخرى، وهبت العاصفة في الخارج.

قالت أفاسارالا: "أخبرني أننا لم نأسر المركبة".

قال سورين: "لم نأسرها، ولكن وضعنا فريق مراقبة لترصُّده هو وطاقمه، لكن الوضع في المحطة لا يتيح لنا مراقبته من كثب، بالإضافة إلى ذلك، لا يبدو أن المريخيين يعرفون أنه موجود حتى الآن؛ لذلك نحاول الاحتفاظ بذلك السر لأنفسنا".

"ما أسعد حظنا بامتلاكنا شخصًا يعرف كيف يدير عملية استخباراتية. وهل لديك فكرة عما يفعله هولدن هناك؟"

قال سورين متغاضيًا عن سخريتها: "حتى الآن، لا يتعدَّى الأمر بذل جهود لتقديم إمدادات الإغاثة، ولم نره يلتقي بأي شخص من أصحاب المصالح الخاصة، إنه يثير التساؤلات، كان على وشك الدخول في معركة مع بعض الانتهازيين الذين حاولوا ابتزازه لنهب مركبات الإغاثة، لكن انتهى بهم الأمر إلى التراجع، ورغم ذلك، لا يزال الوقت مبكرًا لإدراك مقصده".

تناولت أفاسارالا رشفة أخرى من الشاي، عليها أن تُعطي ذلك الفتى حقه، فهو يعرف كيف يُتقن عمله، أو ربما يعرف شخصًا يمكنه إتقان الأعمال، لا يهم، المهم أن الأمور تسير بشكل جيد. إذا كان هولدن موجودًا هناك، فهذا يعني بالطبع أنهم في (أوبا) مهتمون بالوضع في جانيميد، لكن لم يكن لديهم شخصٌ ما حاضر في موقع الحدث لإبلاغهم بالمستجدات.

إن الرغبة في الاستخبار ليست ذات قيمة في حد ذاتها، وحتى لو ظهرت جحافل من الحمقى التوّاقين لإطلاق النيران، فإن محطة جانيميد ستبقى ذات أهمية حيوية لنظام المُشتري والحزام، كل ما هنالك أنهم في (أوبا) يريدون أن يضعوا لهم عيونًا في موقع الأحداث، وإن كان إرسالهم جيمس هولدن -الناجي الوحيد من محطة إيروس- يبدو أكثر من مجرد مصادفة.

رفعت صوتها قائلةً: "إنهم لا يعرفون ما يجري".

استفهم سورين عن معنى ذلك: "سيدتي؟"

أوضحت أفاسارالا: "لقد هرّبوا إلى هناك شخصًا لديه تجربةً مع الجريء الأولي لسببٍ ما، إنهم يحاولون معرفة أيّ لعنة قد حلّت بـ جانيميد، أي أنهم لا يعرفون ما يجري، مما يعني..."، ثم تنهّدت لتتابع، "مما يعني أنهم ليسوا من دبّروا الأمر، وهذا أمرٌ مؤسف للغاية؛ لأنهم الوحيدون الذين نعرفهم ممن يمتلكون عينة حية من ذلك الشيء"

"ماذا تريدين من فريق المراقبة أن يفعل؟"

انفجرت فيه قائلةً: "المراقبة!، عليهم أن يراقبوه، ويرصدوا ماذا يفعل وإلى من يتحدَّث، أريد تقارير يومية وتحديثات فورية بكل ما هو لافت، مع التغاضي عن سفاسف الأمور".

قال سورين: "أمركِ، يا سيدتي، هل تأمرين بالقبض عليه؟"

قالت أفاسارالا: "إذا حاول مغادرة جانيميد، أوقفه هو وفريقه، وإلا ابقَ بعيدًا عن طريقهم، وحاول ألا يلاحظوك. صحيح أن هولدن فتى أرعن لكنه ليس غبيًّا، وإذا أدرك أننا نراقبه، فسيبدأ في بث صور لجميع مصادرنا في جانيميد أو سيفعل أيّ تصرف أخرق آخر من هذا القبيل، لا تستخف بقدرته على إفساد الأشياء من حوله".

"هل من شيءٍ آخر؟"

ها هي ومضة جديدة من البرق، تتبعها صاعقة رعدية، وها هي عاصفة أخرى من بين مليارات العواصف التي هاجمت الأرض منذ بدء الكون، في ذلك الوقت الذي حاول شيءٌ ما لأول مرة القضاء على كل أشكال الحياة على هذا الكوكب، شيءٌ ما كان على كوكب الزهرة، يتكاثر ويتفشّى .

أجابته أفاسارالا: "عليك إيجاد سبيل لإيصال رسالة مني إلى فريد جونسون دون أن يكتشف نجوين أو المريخيون ذلك، فقد نضطر إلى إجراء بعض المفاوضات السرية"

الفصل العاشر

براكس

لهج الفتى الجالس على السرير بلغة الحزام العامية الغامضة: "أنا أفعل ذلك بسبب با كيراب، تبًّا للسلطة اللعينة، قبل ذلك كان هناك عشرة آلاف".

لا يمكن أن يكون قد تجاوز عشرين عامًا، كان صغيرًا لدرجة أنه يمكن أن يكون ابنًا لبراكس، لكنه يمكن أيضًا في هذه السن أن يكون والدًا لـ مَي، تطغى عليه علامات المراهقة، عاش حياته في جاذبية منخفضة، جسمه نحيل لدرجة أن نحافته لا يمكن تصوُّرها، كما كان يتضوَّر جوعًا بجانب ذلك.

قال براكس: "يمكنني أن أوقِّع لك على سنِد إذني إذا أردت".

ابتسم الفتى هازئًا وأشار لبراكس إشارةً وقِحة.

من خلال عمله المهني، عرف براكس أن الكواكب الداخلية اعتبرت التكلُّم بلغة الحزام العامية بمثابة دلالة على أصل المتحدث وموقعه، وبفضل إقامته في جانيميد كعالم نباتات، أدرك أن الأمر يُعبِّر أيضًا عن الطبقة الاجتماعية، وكان قد نشأ في حِضن مدرِّسين تحدثوا إليه باللغة الإنجليزية والصينية بدون لهجة معينة، وعندما بلغ أشدَّه أصبح يتحدَّث مع رجال ونساء من شتى بقاع النظام حتى بات يعرف من الطريقة التي ينطق بها أحدهم كلمة مُركَّبة مثل "متعدد الصيغة الصبغية" إذا كان قد تخرَّج من جامعة في بكين أو في البرازيل، أو نشأ في ظل جبال روكي أو جبل أوليمبوس مونز أو داخل أروقة محطة سيريس.

لقد نشأ هو نفسه في الجاذبية الصغرى، لكن لغة الحزام العامية بدت غريبة بالنسبة له كمن ينزل البئر لأول مرة، لذلك لو أراد الفتى أن يجهر بالسوء من القول كما شاء أمام

براكس، فلن يكلفه ذلك أيّ جهد، لكن براكس كان عميلًا مواظبًا على الدفع؛ لذلك كان يعلم أن الفتى سيوي المساومة على السعر؛ لكنه سيتوصّل معه إلى اتفاق في النهاية.

كانت لوحة مفاتيح البرمجة ضعف حجم الجهاز اللوحي القياسي، كما تحتاج إلى ارتداء شيءٍ بلاستيكي في اليد عند استخدامها، مع ملء شريط التقدُّم تدريجيًّا من جانبٍ واحدٍ، ويتم تدوير الرموز باللغة الصينية المُبسَّطة مع كل حركة.

لم يكن المكان سوى خندق من بين تلك الخنادق الرخيصة التي تقع بالقرب من سطح القمر، لا يزيد عرضه عن عشرة أقدام، يتكوَّن من أربع غرف ذات ظروف مناخية قاسية حيث يتساقط عليها الجليد من ممرٍّ عام كان بالكاد أوسع أو مُضاءً بشكل أفضل قليلًا. بينما تلألأت الجدران البلاستيكية القديمة بالرطوبة الناتجة عن التكثُّف، كانا في الغرفة الأبعد عن الممر، الفتى يجلس على سريره، وبراكس يقف منحنيًا في الردهة.

قال الفتى: "لا أستطيع أن أعدك بأن التسجيل قد اكتمل، أبذل كل ما في وسعي كما تعلم".

ردَّ عليه براكس: "أيَّ شيءٍ تستطيع الحصول عليه سيكون رائعًا".

أومأ الفتى مرة واحدة، لم يعرف براكس له اسمًا، ولم يكن سؤاله عن اسمه شيئًا في محله خصوصًا وأن براكس أنفق أيامًا يقتفي أثر أيِّ شخص على استعدادٍ لاختراق النظام الأمني؛ الأمر الذي كلفه الترنُّح طويلًا ما بين جهله الفادح بعالَم الاقتصاد غير المشروع لمحطة جانيميد وبين اليأس المستشري والجوع المتعاظم حتى في أشد الأحياء فسادًا. قبل شهر، ربما كان ذلك الفتى يختلس البيانات التجارية لإعادة بيعها أو الاحتفاظ بها كرهينة لتسهيل عملية غسل الائتمان الخاص، وها هو اليوم يُكرِّس وقته وجهده للبحث عن مي في مقابل ما يكفي من الخضروات المورقة لتحضير وجبة غداء حقيقية.

وصل نظام المقايضة الزراعية، أقدم اقتصاد في تاريخ، أخيرًا إلى جانيميد.

قال الفتى: "اخترنا نظام المصادقة، أنا غارق حتى مؤخرتي في الخوادم، ولكن ذلك الشيء الحقير الذي نبحث عنه مخفي في مكانٍ عميق".

"إذا لم تستطع أن تخترق النظام الأمني للحوادم." ...

قاطعه الفتى: "لا داعي لذلك، الكاميرا لها ذاكرة وتخزين مؤقت، ومنذ تم إغلاق المحطة، أصبحت الذاكرة تمتلئ دون أن يفحصها أحد".

ردّ عليه براكس مُستنكرًا: "أنت تمزح بالتأكيد، هل تقصد أن أكبر جيشين في النظام الشمسي يُحدِّق بعضهما في بعض، ولا أحد من القوتين يفحص كاميرات المراقبة؟"

قال الفتى: "إنهم يشاهدون بعضهم بعضًا، لكن لا أحد منهم ينتبه لنا".

امتلأ شريط التقدُّم بالكامل حتى أصدر صافرةً، فتح الفتى قائمة برموز التعريف وبدأ في تصفُّحها، وهو يتمتم ببعض الكلمات، في حين سمِعَا من الغرفة الأمامية نحيبًا مكتومًا لطفلٍ رضيعٍ، يبدو أنه جائع، وكيف لا !

تساءل براكس: "أهو ابنك؟"

هز الفتى رأسه نافيًا.

وقال: "أحد أقاربي"، ونقر رمزًا مزدوجًا مرتين، وفُتحت نافذة جديد تكشف عن صالة واسعة، كان نصف الباب قد تآكل حتى بات مفتوحًا بشكل إجباري، ظهرت علامات حريق على الجدران، والأسوأ من ذلك بركة من الماء، لا ينبغي أن يكون في هذا المكان مياه مُستخلصة، ولكن الضوابط البيئية تبتعد أكثر فأكثر عن الحد الأدنى للسلامة.

رفع الفتى بصره إلى براكس وقال: "هذا ما تريد؟"

قال براكس في تلهُّف: "نعم، هو ذاك".

أومأ الفتى برأسه، وانحنى للخلف فوق وحدة التحكُّم.

قال براكس: "أريد اللقطات التي التُقطت قبل الهجوم، قبل أن تسقط المرآة"

أجابه الفتى: "انظر، سيدي، سنعيد التشغيل مع تخطِّي الصور الفارغة، سنستعرض فقط الصور التي تحتوي على أحداث، ما رأيك؟"

"حسنًا، هذا أمرٌ جيد"

تقدّم براكس وانحنى على كتف الفتى ليُدقّق النظر، اهتزت الصورة دون أن يتغيّر أيُّ شيءٍ على الشاشة باستثناء الحركة التي تضاءلت تدريجيًّا. لقد سافروا عبر الزمن ومضوا بأيامٍ وأسابيع حتى يصلوا إلى اللحظة التي انهار فيها كل شيء.

ظهر المسعفون على الشاشة، وكأنهم في العالم المقلوب يتراجعون ويتركون الجثة مُلقاةً عند الباب، ثم يتركون جثة أخرى في الأعلى. ظلت الجثتان هامدتين حتى بدأ أحدهما يتحرّك ويلمس الحائط برفق، ثم بقوة أكبر، وفي غمضة عين، جاهد حتى وقف على قدميه وذهب.

قال براكس: "يجب أن تكون هناك فتاة، أنا أبحث عمن أخذ فتاةً تبلغ من العمر أربع سنوات".

استنكر الفتى قائلًا: "أليست هذه حضانة؟ هذا يعني وجود ألف فتاة."!

قال براكس: "أنا أبحث عن فتاة واحدة ولا أهتم بمن سواها".

جلست الجثة الثانية ثم وقفت ممسكةً بطنها، ظهر في الصورة رجلٌ يحمل مسدسًا في يده، وأخذ يعالجها بإخراج الرصاصة من أحشائها. بعد أن تحاربوا، ساد الهدوء، وافترقوا بسلام. أدرك براكس أنه يرى الأشياء في الاتجاه المعاكس، لكن دماغه المتعطِّش للنوم وللسعرات الحرارية ظل يحاول تحويل الصور إلى قصة. تقهقرت مجموعة من الجنود عبر الباب المُحطَّم كما لو كانوا في وضع ولادة متعسِّرة، ثم تجمعوا معًا وهرعوا بعيدًا. سطع وميض من الضوء؛ ليظهر الباب من بعده كاملًا غير مُحطَّم، ثم تشتعل به شحنات من الثرمايت؛ لتحصده حصدًا كما تُحصد الفواكه، حتى اندفع إلى الأمام جنديٌّ يرتدي زيًّا مريخيًّا ليلتقط الشحنات في أمان، وحينما انتهوا من حصادهم التكنولوجي، انسحب الجنود بسرعة هائلة تاركين وراءهم دراجة بخارية مُتكئةً على الحائط.

ثم انفتح الباب، ورأى براكس نفسه خارجًا، بدا أصغر سنًّا، قرع على الباب، وأخذت يداه تبتعد عن السطح بعد أن اصطدمت به في حركاتٍ مُتشنجة، ثم قفز على الدراجة البخارية برعونة، وتلاشى من الصورة إلى الوراء.

استقر الباب، لا حراك حوله، حبس براكس أنفاسه. ذهبت نحو الباب امرأةٌ تحمل على فخذها طفلًا يبلغ من العمر خمس سنوات، واختفت بالداخل، ثم عاودت الظهور كان على براكس حينها أن يُذكّر نفسه أن المرأة لم تأت لتوصيل ابنها، بل جاءت لتسترده تراجع شخصان عن الرواق.

بل كانوا ثلاثة.

قال براكس وقلبه يكاد يخرج من بين ضلوعه: "توقّف هنا، تلك هي".

انتظر الفتى حتى تلتقط الكاميرا صورة للثلاثة وهم يخرجون إلى الردهة، ظهر على وجه مَي تعبير غاضب، استطاع تبيُّنه رغم الدقة المنخفضة لكاميرا المراقبة الأمنية، كما تعرَّف على الرجل الذي يحملها...

تلاطم في صدره شعوران متناقضان بالغضب والارتياح، لكن انتصر الارتياح، فقد كان الدكتور ستريكلاند، ذهبت مَي مع الدكتور ستريكلاند الذي يعرف حالتها الصحية وأدويتها، ويعلم بكل ما يلزم لإبقاء مَي على قيد الحياة. جثا على ركبتيه وأغمض عينيه حتى غلبه البكاء. إذا كان الدكتور ستريكلاند قد اصطحب مَي بعيدًا، فهذا يعني أنها لم تمت، ابنته الوحيدة لم تمت.

لولا وسوسة شيطانية رقيقة همست في رأسه، جعلته يشكُّ في ستريكلاند أيضًا.

لم يكن يعرف من هذه المرأة، كانت ذات شعرٍ داكن مع ملامح تُذكِّره بعلماء النبات الروسيين الذين عمل معهم، كانت تحمل ورقة ملفوفة في يدها، انطبعت على وجهها ابتسامة ربما تُعبِّر عن ابتهاجٍ أو نفادِ صبر، لم يستطع تحديد ذلك بالضبط.

تساءل براكس: "هل يمكنك متابعتهم لنرى أين يتجهون؟"

نظر الفتى إليه ورمّ شفتيه ثم قال: "مقابل السلطة؟ لا، أريد صندوق من الدجاج وصلصة أتشي".

أجابه براكس: "لكن ليس لدي دجاج "!

قال الفتى وهو يهز كتفيه في عدم اكتراث: "إذن، لقد حصلت على ما تريد، وهذا كل ما يمكنني أن أُقدِّمه لك"، وتجمّد الشعور في عينيه، أراد براكس أن يضربه ويخنقه حتى

يُجبره على استعراض الصور على أجهزة الحاسوب المحتصرة، لكنه راهن على أن الفتى يمتلك سلاحًا أو ما هو أسوأ من ذلك، وعلى عكس براكس، يُرجّح أنه يجيد استخدامه

ترجّاه براكس: "من فضلك، ساعدني".

قال الفتى: "لقد أسديت لك معروفًا بالفعل، والأمر لا يهمني من الأساس"

تشكَّل الهوان في صورة غصة عالقة بحلقه، فابتلعها وتجرَّع هوان نفسه.

"دجاج؟"

أجاب الفتى: "أجل".

فتح براكس حقيبته، ووضع حفنتين من أوراق الشجر والفلفل البرتقالي والبصل الثلجي على السرير، انتزع الفتى نصف الطعام بيديه وحشا به فمه، وضاقت عيناه انتشاءً باللذة الحيوانية.

قال براكس: "سأبذل كل ما في وسعي"

***

لم يستطع فعل أيّ شيء.

يتوافَر البروتين الوحيد الصالح للأكل المُتبقّي على المحطة في شكل عيناتٍ هزيلة تجود بها إمدادات الإغاثة أو كائن يسير على قدمين، وتبنّى الناس إستراتيجية براكس بالتغذّي على نباتات المتنزهات والزراعة المائية، على الرغم من أنهم لم يُكلّفوا أنفسهم عناء أداء ما عليهم من واجبات، كما تناولوا المواد غير الصالحة للأكل بالطريقة نفسها؛ مما أدّى إلى تدهور وظائف تنقية الهواء، وهذا ما أثّر بشكلٍ كبير على توازن النظام البيئي للمحطة.

تساقطت الأشياء تباعًا حتى بات مستحيلًا أن يجد دجاجًا أو أيَّ شيءٍ يحل محل الدجاج على هذه المحطة، وحتى لو كان هناك، فلم يكن لدى براكس وقت لحل هذه المشكلة.

خفتت الأصوات في منزله، كما توقّف نبات فول الصويا عن النمو، لكنه لم يذبل، وهذه نقطة تفتح الباب للبحث، أو هذا ما كان مُفترضًا أن يكون في ظروف أخرى.

في وقتٍ ما خلال اليوم، قام نظام آلي بتنشيط الصيانة الروتينية؛ مما حدَّ من استخدام الطاقة بشكلٍ عام، كانت هذه إشارة جيدة أو ربما يكون هذا أحد الأعراض قبل وقوع الكارثة، وهذا لن يُغيِّر شيئًا مما يجب عليه فعله .

عندما كان صبيًّا، التحق بالمدارس في سنٍّ صغيرة، حيث كان يسافر مع أسرته إلى الفضاء القاتم الذي تغيب عنه الشمس بحثًا عن مُستقبل مُشرِق بالعمل والازدهار، لم يتأقلم مع التغيير سريعًا، ظل مُطاردًا طوال سنوات النشأة بالصداع ونوبات القلق والإرهاق المستمر العميق، ومع ذلك فخلال تلك السنوات كان عليه إقناع مُعلِّميه بأنه شخصٌ واعد ومُتقد الذهن. ولم يمنحه والده فرصة ليعيش في راحة؛ لأنه كان يعتقد أن الفرص لا تدوم للأبد، وأنه عُقبى كل خافقةٍ سكون؛ لذا دفع براكس للمزيد من العمل والاجتهاد، ومهما كان مُتعبًا أو مريضًا أو يتألم، كان عليه أن يختلق سبيلًا للنجاح، وهكذا تعلَّم استخدام القوائم والملاحظات والمُخطَّطات.

ومن خلال صيد تلك الخواطر العابرة، كان يمكنه أن يُجلي أفكاره مهما كانت مُلتبسة مثل متسلِّق جبال يشقُّ طريقه ببطء نحو القمة، والآن تحت وطأة الغسق المصطنع، كرَّس نفسه لإعداد القوائم بأسماء جميع الأطفال الذين يتذكَّرهم من مجموعة مَي العلاجية، كان يعلم أن هناك عشرين شخصًا، لكن ذاكرته لم تُسعفه سوى بأسماء ستة عشر شخصًا فقط. شرد عقله، فتح صورة ستريكلاند وتلك المرأة الغامضة على جهازه اللوحي، وحدّق فيها. سرت فيه بلبلة الأمل والغضب حتى تبدَّدت حينما غالبه الشعور بالنعاس، لكن نبضه كان يتسارع، حاول أن يتذكّر ما إذا كان خفقان القلب من أعراض الجوع الشديد.

استردَّ وعيه للحظة، تراءى الانهيار أمامه جليًّا وصارخًا ليدرك أنه تغافل عنه لأيام، بدأ التأثير المتتالي يؤثر على جسده، ومن ثمَّ لن يقدر على مواصلة تحقيقاته لفترة أطول دون أن يستريح، بدون الروتين، شعر وكأنه مسخ.

كان بحاجة ماسة إلى المساعدة، حنّ إلى قائمة أسماء الأطفال، عليه أن يحصل على المساعدة، ولكن أولًا يتحتّم عليه أن يُدقّق، سيذهب إلى.. يذهب إلى.. أغمض عينيه ولكن العبوس قد توثّب بين حاجبيه كان يعرف الجواب، ويعلم أنه يعرفه

كان عليه أن يذهب إلى المركز الأمني بالمحطة ويسأل عنهم جميعًا، فتح عينيه، وكتب: "المركز الأمني" أسفل القائمة حتى لا تغيب عنه الفكرة، ثم أضاف: "مركز التوعية والاتصال التابع للأمم المتحدة"، و"مركز التوعية والاتصال التابع للمريخ"، كل الأماكن التي سبق له الذهاب إليها يومًا تلو الآخر، ولكن الآن تساؤلات جديدة، أيسر من ذي قبل، وبعد أن وجد الإجابة، كان هناك شيءٌ آخر من المفترض أن يفعله، استغرقه الأمر دقيقة فقط ليدركه، ثم ذيّل به الصفحة.

أطلب المساعدة!

***

قال براكس: "لقد ذهبوا جميعًا"، بينما تكثّف البخار المتصاعد من أنفاسه بفعل البرد، "اختفى كل مرضى هذا الطبيب، ستة عشر من أصل ستة عشر، هل تعرف دلالة ذلك؟ هذا ليس خبط عشواء."!

لم يحلق رجل الأمن منذ أيام، احمرّ خده ورقبته بسبب حرق جليدي مطوّل، كان الجرح غائرًا متهيّجًا دون علاج، لا بُدّ وأن وجهه قد لمس إحدى القطع غير المعزولة في جانيميد، وقد خدمه الحظ بأن جلده لم ينسلخ تمامًا، ارتدى الرجل معطفًا سميكًا وقفازات، بينما غطى الصقيع المنضدة.

قال رجل الأمن له: "أنا أُقدِّر المعلومات، يا سيدي، وسأحرص على إبلاغها لمراكز الإغاثة".

انفعل براكس: "كلا، أنت لم تفهمني، لقد أخذهم، إنهم مرضى، وقد أخذهم بعيدًا".

ردَّ عليه رجل الأمن: "ربما كان يحاول الحفاظ على سلامتهم"، خرج الصوت متحشرجًا وخافتًا، وكانت هذه علامة غير جيدة، عرف براكس أنها علامة على وجود مشكلة، ولكنه لم يتذكّر ماهيتها تحديدًا، مدَّ رجل الأمن يده ونحّاه جانبًا برفق ثم أشار للمرأة التي تقف خلفه بالتقدُّم، وجد براكس نفسه يُحدِّق فيها كما لو كان محمومًا.

قالت المرأة بصوت يرتجف: "أريد الإبلاغ عن جريمة قتل".

أومأ رجل الأمن برأسه، دون أن يتفاجأ أو يظهر في عينيه استنكار لما سمع من هول، استدرك براكس قائلًا. "لقد أخذهم في وقتٍ سابق، أخذهم قبل وقوع الهجوم".

تابعت المرأة. "اقتحم ثلاثة رجال شقتي، هجموا و... كان شقيقي معي وحاول منعهم".

تساءل رجل الأمن: "متى حدث هذا يا سيدتي؟"

قال براكس: "قبل الهجوم".

وقالت المرأة. "قبل ساعتين، الطابق الرابع، القطاع الأزرق، شقة ١٤٥٣".

ردَّ عليها ضابط الأمن: "حسنًا، سيدتي، من فضلك اجلسي على هذا المكتب، سنحتاج إلى تحرير محضر بالواقعة".

قالت المرأة: "قُتِل أخي، أطلقوا النار عليه".

ردَّ عليها رجل الأمن مواسيًا: "يؤسفني ذلك، سيدتي، ولكننا نحتاج استكمال إجراءات المحضر حتى نتمكَّن من القبض على المجرمين".

راقبهم براكس وهما يبتعدان عنه، عاد إلى صف اليائسين والمُصابين بصدمات نفسية ممن ينتظرون دورهم لاستجداء المساعدة أو للمطالبة بتحقيق العدالة أو إنفاذ القانون. اشتعل فتيل الغضب في صدر براكس، لقد احتاج إلى المساعدة، لكن ما من مُجيب. شعر بأنه وابنته مَي كحصاةٍ مُلقاةٍ في الفلاة، لا يحفل بهما أحد.

عاد رجل الأمن، وأخذ يتحدث إلى امرأةٍ جميلة طويلة القامة عن شيءٍ مُروِّع، لم ينتبه براكس لعودة الرجل، ولم يسمع بمُقدمات حكاية المرأة، إنه ينفق الوقت في غير طائل، والأمور بهذا النحو لا تسير على ما يُرام.

همس له الجزء الصغير العاقل من دماغه أنه إذا مات، فلن يهتم أحد بأمر مَي، ستضيع. كما همس له بشدة احتياجه إلى الطعام، ليس الآن فحسب بل منذ عدّة أيام. لم يكن لديه متسع من الوقت.

قال بصوت عالٍ: "يجب أن أذهب إلى مركز الإغاثة". ويبدو أن رجل الأمن والمرأة لم يسمعا ما قال، "شكرًا على كل حال".

الآن، وقد بدأ يدرك حالته الخاصة، أُصيب براكس بالدهشة والقلق، كان يمشي مُتخبطًا على غير هدى، وذراعاه الضعيفتان تؤلمانه بشدة، رغم أنه لا يتذكَّر بذله أيّ

جهدٍ للإصابة بهذا الألم، فلم يرفع شيئًا ثقيلًا ولم يتسلّق مكانًا عاليًا كما أنه لا يتذكّر منذ متى توقّف عن ممارسة تمارينه الرياضية اليومية، ومنذ متى لم يتناول الطعام، بينما تذكّر رجفة المرآة عند سقوطها، وتدمير قُبته، وكأنها أحداث حدثت في حياةٍ سابقة لا عجب أنه كان ينهار.

ازدحمت الأروقة المجاورة لمركز الإغاثة بالرجال والنساء، وكأنهم في مدبح، وإن كان الكثير منهم بدا أشد قوة وأوفر صحة منه، تزاحموا حتى ضاق بهم المكان على رحابته، وكلما اقترب من المنفذ، شعر بالدوار أكثر، كان الهواء أكثر دفئًا بسبب صهد الأجساد المتكدّسة كما انبعثت منهم أنفاس الكيتون الكريهة، أو أنفاس القديسين كما أسمّتها والدته، إنها رائحة انهيار البروتين، أجسام تآكلت عضلاتها من أجل البقاء على قيد الحياة، وتساءل كم من هؤلاء الناس المتحشدين يعرف ماهية تلك الرائحة. تدافع الناس واصطرخوا، اندفع الحشد من حوله ذهابًا وإيابًا بالطريقة التي تتلاطم بها أمواج البحر على الشاطئ.

صاحت امرأة تقف أمامه بفارق كبير: "إذن، افتح الأبواب، ودعنا ننظر!"

سُحقًا، اعتقد براكس أن هذا شغب بسبب الغذاء.

اندفع باتجاه الطرف لمحاولة الخروج والهرب. بينما كان الناس يصرخون من كل صوب، ويتدافعون، توهجت ألواح المصابيح المُعلّقة في السقف باللونين الأبيض والذهبي، وكانت الجدران رمادية صناعية، مدَّ يده، وتشبَّث بالحائط. انفتح السد من مكانٍ ما، وتدفّق الحشد فجأة نحو الأمام في حركة جماعية لتُهدّده بالانجراف مع التيار، استمسك بالحائط، وضعفت قوة الحشد، وترنّح براكس إلى الأمام، وعندها انفتحت أبواب مخزن التحميل، رأى وجهًا مألوف ولكنه لا يتذكّر أين رآه من قبل، هل رآه في المختبر؟ ربما كان الرجل متصخّم العظام والعضلات، أرضي، ربما يكون شخصًا رآه أثناء تجوُّله في تلك المحطة المتداعية، هل رآه وهو يكدح بحثًا عن الطعام؟ لكن لا، يبدو عليه أنه يتغذّى جيدًا، فليس مهزول الجدين، يُشبه صديق قديم ولكنه غريب أيضًا، شخصٌ ما كان يعرفه براكس ولا يعرفه حق المعرفة أيضًا، مثل علاقته بالأمين العام أو بممثل شهير.

أدرك براكس أنه يُحدِّق فيه، ولكنه لم يستطع التوقّف، كان يعرف ذلك الوجه، هو متأكِّد من ذلك، هذا الشخص له علاقة بالحرب

امتاز براكس بذاكرته الوميضية المفاجئة، كان في شقته وممسكًا بمي بين ذراعيه يُهدهِّدها، كانت بالكاد تبلغ من العمر عامًا واحدًا، لم تتعلّم المشي بعد، وما يزال الأطباء يحاولون إيجاد المستحضر الصيدلاني المناسب لإبقائها على قيد الحياة.

بينما كانت ابنته تئِن من المغص، سمع الحديث عن الأشخاص المعنيين في القنوات الإخبارية التي لا تكف عن الثرثرة، وظل وجه الرجل يظهر على الشاشة مرارًا وتكرارًا.

"اسمي جيمس هولدن، دُمِّرت مركبتي (كانتربيري) للتو بواسطة مركبة حربية مزوَّدة بتقنية التخفِّي، وبأجزاءٍ يبدو أنها مختومة بالأرقام التسلسلية للبحرية المريخية" .

لقد كان هو؛ لهذا السبب تعرَّف على وجهه وأدرك في الوقت نفسه أنه لم يعرفه على الإطلاق، شعر براكس بنغزة في مكانٍ ما بالقرب صدره، ووجد نفسه يتقدَّم إلى الأمام، ثم توقّف، سمع صياحًا ينطلق من وراء أبواب التحميل. أخرج براكس جهازه اللوحي، ونظر إلى قائمته، ستة عشر اسمًا، ستة عشر طفلًا مفقودًا، وفي أسفل الصفحة تظهر رسالة مُقتضبة بأحرفٍ كبيرة: "أطلب المساعدة".

التفت براكس نحو الرجل الذي بدأ الحرب وأنقذ الكواكب، ثم فجأة شعر بالخجل والتذبذب.

قال: "أطلب المساعدة"، وتقدّم إلى الأمام.

الفصل الحادي عشر

هولدن

كان سانتيتشاي وميليسا سوبيتابابورن زوجين يبلغان من العمر ثمانين عامًا، وهما من المُبشِّرين الأرضيين المُنتمين إلى كنيسة الصعود البشري، وهي ديانة نبذت الخوارق بجميع أشكالها وراء ظهرها، وقد تلخَّصت عقيدتها في أنه: "يمكن للبشرية أن تكون أفضل مما هي عليه بالفعل؛ لذا دعونا نفعل ذلك"، كما أدارا معًا مركز الإغاثة بصرامة المفطورين على الاستبداد. وصل هولدن، وكان يرتدي ملابس مناسبة تمامًا لأزياء المحطة، لكنه بعد دقائق تلقَّى تعنيفًا حادًّا من سانتيتشاي، الذي كان رجلًا موهونًا أشيب الشعر؛ بسبب ما وقع بينه وبين ضباط الجمارك من مشاحنة عند المرفأ. وبعدما قضى هولدن عدّة دقائق محاولًا تبرير موقفه، لم يتوقَّف ذلك المُبشِّر الصغير عن مقاطعته والصراخ في وجهه؛ لذلك لم يجد أمامه سوى الكف عن التبرير وتقديم الاعتذار أخيرًا.

ظل سانتيتشاي يُكرِّر: "لا تجعلوا وضعنا هنا أكثر هشاشة"، وقد بدا عليه بعض الهدوء بعد هذا الاعتذار وإن كان ما يزال محافظًا على حدّته، حيث صاح بتلك الجملة وهو يُشهِر إصبعه كالعصا في وجه هولدن .

قال هولدن رافعًا يديه في إذعان: "مفهوم"، وكان باقي أفراد الطاقم قد اختفوا بعد عاصفة الغضب الأولى التي تفلّتت من سانتيتشاي، تاركين هولدن بمفرده للتعامل مع الرجل الغاضب. التقط بصرُه من بعيد ناعومي في المساحة الشاسعة لمخزن مركز الإغاثة، إذ كانت تتحدَّث بهدوء إلى ميليسا، على أمل أن تكون أقل عصبية من زوجها، لم يترام إلى مسمع هولدن أيّ صراخ، رغم سماعه أصوات عشرات الأشخاص وصحيح تطاحن التروس وصرير المحرِّكات والإيدارات العكسية لثلاث رافعات شوكية، في وسط كل هذا، يمكن لميليسا أن تقذف قنابل يدوية على ناعومي دون أن يسمع شيئًا

بحثًا عن فرصة للهروب، أشار هولدن إلى ناعومي على الجانب الآخر من الغرفة وقال: "معذرةً، لا بُدّ لي من أن..."، لكن سانتيتشاي قاطعه وألاح بثوبه البرتقالي الفضفاض في فظاظة؛ ليجد هولدن نفسه غير قادرٍ على أن يعصي لذلك الرجل الصغير أمرًا.

قال سانتيتشاي، مشيرًا إلى اتجاه الصناديق التي يتم تفريغ مركبة (سومناموليست) منها: "هذا ليس كافيًا".

بمجرد ما استهل هولدن كلامه: "أنا"...

قاطعه سانتيتشاي وقد خلَّل كلامه هذه المرة بوكزة حادة لعضلات ذراع هولدن:

"وعدتنا (أوبا) بتوفير اثنين وعشرين ألف كيلوجرام من البروتين والمكمِّلات الغذائية الأسبوع الماضي، هذا أقل من اثني عشر ألف كيلوجرام".

ردَّ عليه هولدن: "أنا لست مسؤولًا عن."...

ليقاطعه مجددًا مع مزيد من الوكز: "لماذا يعدوننا بأمانٍ لا يعزمون على تحقيقها؟ كان يكفي أن يعدونا باثني عشر ألف كيلوجرام إذا كان ذلك مبلغ استطاعتهم، لكن لا تعد باثنين وعشرين ألفًا ثم تُسلِّمنا اثني عشر ألفًا فقط".

رفع هولدن يديه؛ ليبتعد عن نطاق الوكز وقال: "أوافقك الرأي، أنا متفق معك تمامًا، وسأتصل بجهة الاتصال التي أعرفها عن محطة تايكو فورًا؛ لمعرفة مصير بقية الإمدادات التي وعدتكم (أوبا) بها، أنا على يقين أنها في الطريق إليكم".

هزَّ سانتيتشاي كتفيه في استهجان ورفرف ثوبه البرتقالي مرةً أخرى.

قال هولدن: "آمل أن يكون الأمر كذلك"، ثم انطلق تجاه إحدى الرافعات الشوكية قائلًا: "يا هذا! أما ترى أن اللافتة مكتوب عليها كلمة "أدوية"، لماذا تضع هناك أشياء لا تمت بصلة لعالم الدواء والأدوات الطبية؟".

استخدم هولدن هذا الإلهاء ليتمكّن من الهروب بعيدًا عن الرجل، وهرول نحو ناعومي وميليسا، فتحت ناعومي نموذجًا على جهازها اللوحي وأخذت تستكمل بعض الأعمال الإدارية تحت أنظار ميليسا.

مدَّ هولدن بصره إلى المساحة الشاسعة للمخزن بينما باشرت ناعومي أعمالها. كانت (سومنامبوليست) مجرد مركبة إغاثة واحدة من بين حوالي عشرين مركبة إغاثة رست على المحطة في آخر أربع وعشرين ساعة، وقد امتلأ المخزن الكبير بصناديق الإمدادات في وقتٍ قصير، وعبق الهواء البارد برائحة الغبار والأوزون والزيت الساخن الذي ينبعث من الرافعات الشوكية، ولكن في الأعماق انتشرت رائحة كريهة غامضة تُشير إلى وجود تعفُّن مثل النباتات المُتعفّنة، وبينما كان هولدن يراقب ذلك، اندفع سانتيتشاي حول المخزن صائحًا بتعليمات لزوجٍ من العمال يحملان صندوقًا ثقيلًا.

قال هولدن لميليسا: "زوجكِ شيءٌ آخر مختلف عنكِ تمامًا، سيدتي".

كانت ميليسا أطول وأثقل وزنًا من زوجها الصغير، لكنها تمتلك السحابة نفسها عديمة الشكل من الشعر الأبيض الخفيف، وامتازت بعينيها الزرقاوين اللامعتين، والتي كانت تختفي تقريبًا عندما يبتسم وجهها، مثلما حدث بعدما قال لها هولدن هذه الجملة.

ردَّت عليه قائلة: "لم يسبق لي أن التقيت في حياتي بأيّ شخصٍ آخر يحفل كثيرًا برفاهية الآخرين، ولكنه يهتم قليلًا جدًّا بمشاعرهم، ولكنه على الأقل سيتأكَّد من إطعام الجميع جيدًا قبل أن يُخبرهم بكل الأشياء الخاطئة التي اقترفوها".

"أعتقد أن هذا يفي بالغرض"، هكذا قالت ناعومي، وهي تضغط على المفتاح لإرسال النموذج المكتمل إلى جهاز ميليسا، الذي أخرجته من جيب ردائها عند سماع إشعار بالتسلم، وكان الجهاز من طراز ساحر عفا عليه الزمن.

نادى هولدن عليها قائلًا: "السيدة سوبيتايابورن".

قالت مُصحِّحةً: "ناديني ميليسا".

قال هولدن: "ميليسا، منذ متى وأنت وزوجك في جانيميد؟"

أجابت وهي تلامس ذقنها بإصبعها وأخذت تُحدِّق في الفضاء: "تقريبًا، عشر سنوات؟ هل طالت المدّة إلى هذا الحد؟ بالتأكيد؛ لأن درو ابننا أنجبت طفلها للتو، و..."

قال هولدن."إنني أتساءل لأن الشيء الوحيد الذي لا يعرفه أيُّ شخصٍ خارج جانيميد هو كيف حدث كل ذلك؟" ثم أشار هولدن من حوله غير مستوعبٍ: "كيف بدأ ذلك أصلًا؟!"

قالت: "المحطة؟"

استنكر قائلًا: "بل الكارثة!"

أجابت: "حسنًا، بدأ جنود كلٌّ من الأمم المتحدة والمريخ يطلقون النار بعضهم على بعض حتى رأينا تعاقب أعطال النظام."...

قاطعها هولدن قائلًا: "نعم، هذا أمر جليٌّ للأفهام، لكن لماذا؟ لم يُطلق أحدٌ منهما النار على الطرف الآخر، بالرغم من أن كوكب الأرض والمريخ تشاركا الإقامة على هذا القمر طوال العام الماضي. كانت هناك بالفعل صراعات قبل وقوع حادثة إيروس، لكن لم يحدث شيءٌ هنا على الإطلاق، ثم فجأةً يبدأ الجميع في إطلاق النار في كل مكانٍ؟ ما سبب كل ذلك؟"

بدت ميليسا في حَيرةٍ من أمرها حتى كادت عيناها تختفي تحت كتلة من التجاعيد بعدما عبّرت عن حيرتها، وقالت: "لا أعرف، لكنني كنت أفترض أنهم يطلقون النيران بعضهم على بعض في شتى أرجاء النظام، فلا يصل إلينا من الأخبار إلا قليل خصوصًا في الوقت الحالي".

قال هولدن: "كلا، لم يقع ذلك إلا هنا، وكان ذلك لبضعة أيامٍ فقط، ثم توقّف كل شيء دون تفسير كما بدأ كل شيء بلا تفسير".

ردّت عليه ميليسا: "هذا غريب، ولكنني لا أعرف ما أهمية ذلك، فمهما كان ما حدث، فإنه لا يُغيّر شيئًا مما يتعيّن علينا القيام به الآن".

وافقها هولدن قائلًا: "كما تقولين لن يُغيّر شيئًا".

ابتسمت ميليسا، وعانقته بمودة، ثم ذهبت لفحص وثائق شخصٍ آخر

شبكت ناعومي ذراعها في ذراع هولدن، واتجها خارج المخزن لتفقّد باقي مناطق المحطة، وهما يتفاديان صناديق الإمدادات وعُمال الإغاثات في طريقهما.

قالت ناعومي: "كيف يمكن أن يخوضوا معركة ضارية هنا دون أن يعرف أحدٌ السبب؟!"

أجابها هولدن: "إنهم يعرفون، لا بُدّ من أن هناك شخصًا ما يعرف"

***

بدا وضع المحطة على أرض الواقع أسوأ من وضعها في الفضاء، فقد اتخذت النباتات الحيوية المُنتجة للأكسجين التي كانت تُزيّن جدران الممرات صبغةً صفراء لا تسرُّ الناظرين، كما أن العديد من الممرات لا تحتوي على أضواءٍ كاشفة، بينما كانت أبواب الضغط ذاتية الفتح تحتاج إلى فتحها يدويًّا؛ لأنه عندما تعرَّضت إحدى مناطق المحطة لانخفاض الضغط فجأة، انخفض الضغط تلقائيًّا في العديد من الأقسام المجاورة. كان الأشخاص القلائل الذين صادفوهما في الطريق إما يتجنبون النظر إليهما أو يُحدّقون فيهما في عداءٍ سافر، عندها تمنّى هولدن لو أشهر سلاحه في وجه الجميع بدلًا من وضعه في جرابٍ مخفيّ في ذلك الجزء الصغير من ظهره.

تساءلت ناعومي في هدوء: "من هي جهة اتصالنا؟"

"هممم، ماذا؟"

قالت بصوت خافت: "أفترض أن فريد لديه أشخاص هنا في المحطة"، وابتسمت وأومأت برأسها لمجموعة من المارة، الذين كانوا جميعًا يُشهرون أسلحةً من أنواع متباينة على رغم أن معظمها كانت أسلحةً بيضاء أو هراوات، وكادوا يزلقونها بأبصارهم؛ ليمد هولدن يده تحت معطفه تجاه مسدسه، لكن الرجال تحرَّكوا بعيدًا، بعضهم نظر إلى الخلف قبل أن يستديروا جميعًا متجهين نحو إحدى الزوايا ثم اختفوا عن الأنظار.

تساءلت ناعومي أخيرًا بصوتها العادي: "ألم يُرتّب لنا مقابلة مع شخصٍ ما؟"

أجاب هولدن: "لقد أعطاني بعض الأسماء، لكن الاتصالات على هذا القمر غير منتظمة لدرجة أنه لم يستطع..."

توقَّف هولدن عن مواصلة حديثه عندما دوى صوت انفجار من جزءٍ آخر من المرفأ، ثم أعقب هذا الانفجار صوت صاخب تلاشى تدريجيًّا وتحوّل إلى صراخ جماهيري،

ركض الأشخاص القليلون في الممر، العض تجاه الصخب، والكثير منهم في الاتجاه المعاكس متعدين عنه.

قالت ناعومي وهي تنظر إلى الأشخاص الراكضين نحو الصخب: "هل علينا أن..."

أجاب هولدن: "نحن هنا لنرى ما يجري حولنا؛ وها نحن سنفعل ذلك".

***

سرعان ما غابوا في الممرات الملتوية لمرفأ جانيميد، لكن لم يكن الأمر ذا أهمية طالما استمروا في التحرُّك نحو الصخب بجانب المد المتزايد للأشخاص الراكضين في الاتجاه نفسه؛ حيث ركض معهم لفترة طويلة رجلٌ طويل القامة ممتلئ الجسم أصهب شائث الشعر، كان يحمل هراوةً معدنية طويلة سوداء في كل يد، وابتسم لناعومي ابتسامةً عريضة وحاول أن يُعطيها هراوة ولكنها امتنعت عن تسلُّمها.

صرخ بلهجة لم يفهمها هولدن: "الوقت! عليكم اللعنة"، وحاول تسليم الهراوة الإضافية إلى هولدن عندما لم تأخذه ناعومي.

تسلَّم هولدن منه الهراوة وسأله: "ماذا حدث؟"

صرخ الرجل الأصهب شائث الشعر بلهجة غير مفهومة فيها يُشبه عواء الكلب: "هؤلاء الأوغاد القذرون يسلبون أقواتنا، يجب أن نشق الصفوف، اللعنة عليهم"، ثم لوّح بالهراوة في الهواء، وركض بسرعة أكبر ليختفي وسط الحشد، ضحكت ناعومي وعوّت عليه وهو يركض، وعندما صوَّب إليها هولدن نظرة، اكتفت بالابتسام وقالت: "عليّ أن أعترف، إنه مُعدٍ".

نقلهم المنعطف الأخير في الممر إلى مخزن آخر كبير، بدا متطابقًا تقريبًا مع ذلك المخزن الذي يُديره سوبيتايابورن، غير أن هذا المكان كان مكتظًّا بمجموعة من العاصين يتجهون نحو مخزن التحميل، وسرعان ما أُغلقت بوابات المخزن، وحاول عدد قليل من حراس أمن المرفأ كبح جماح الحشد الثائر، عندما وصل هولدن، كان الحشد ما يزال مرهوبًا مما يمتلكه الحراس من المناخس والصواعق الكهربائية، لكن عندما رأى التوتُّر والغضب يتصاعدان في الهواء، أدرك أن ذلك الوضع لن يستمر طويلًا.

خلف الخطوط الأمامية للشُّرطيين المرتزقة بأسلحتهم الرادعة غير الفتاكة، وقفت مجموعة صغيرة من الرجال يرتدون بدلات سوداء وأحذية متطابقة. كانوا يحملون بنادقهم متأهِّبين وعلى وجوههم تعبير أولئك الذين ينتظرون إذنًا بالتصرف من شخصٍ ما؛ لذلك على الأرجح هؤلاء هم فريق أمن الشركات.

عندما ألقى هولدن نظرة فاحصة على المخزن، رأى أن الأمور ستسير في نصابها، فعند بوابة التحميل المغلقة، كانت إحدى شاحنات شركات الشحن المتبقية تُحمَّل بآخر حصص الطعام المنهوبة من جانيميد.

بينما كان هذا الحشد جائعًا.

تذكَّر هولدن محاولته للهروب من ملهى إيروس عندما أُغلقت المحطة، استحضر مشهد الحشود الثائرة التي تجابه الرجال المُسلَّحين، تذَّكر الصراخ ورائحة الدم والبارود. قبل أن يُدرك ما يُقدِم عليه، وجد نفسه يشق طريقه نحو مقدمة الحشد، تبعته ناعومي وهي تُتمتم بالاعتذارات للمحتشدين في أعقابه، أمسكت بذراعه واستوقفته للحظة.

تساءلت: "هل أنت حقًّا على وشك ارتكاب هذه الحماقة؟"

أجابها: "بل سأمنع إطلاق النار على هؤلاء الناس؛ لأنهم لم يقترفوا شيئًا سوى أنهم جوعى". وكانت نبرته صادقة حتى تفاجأ هو شخصيًّا من وقعها.

قالت ناعومي وهي تُطلق سراحه: "لا تُصوِّب سلاحك نحو أيِّ شخص".

"لديهم بنادق أيضًا".

قالت: "كما قلت: بنادق، أما أنت فلديك سلاح واحد؛ وذلك أدعى إلى الاحتفاظ بمُسدسك في الجراب إلا إذا كنت تريد القيام بذلك بمفردك".

"هذه هي الطريقة الوحيدة للقيام بالأشياء، بمفردك" هذا ما كان سيقوله المُحقِّق ميلر في هذا الموقف، وبالنسبة له، كان ذلك صحيحًا، كما أنه يُعدّ في الوقت نفسه سببًا وجيهًا لعدم القيام بالأشياء بتلك الطريقة.

أومأ هولدن برأسه: "حسنًا"، ثم مضى قدمًا، وعندما وصل، أصبح هناك شخصان محور الصراع، رجل أمن المرفأ أشيب الشعر الذي يُعلِّق على زيه رقعةً بيضاء مكتوب

عليها كلمة "مُشرِف"، وامرأةٌ طويلة نحيفة ذات بشرة داكنة يمكن بسهولة اعتبارها والدة ناعومي لشدة الشبه بينهما، واصطرح الطرفان في حين كانت مجموعتاهما تتابعان الموقف وهما يتلاعنان ويتشاتمان.

صرخت المرأة: "فقط افتح الباب اللعين ودعنا نظر!"، وعرف هولدن من نبرتها أنها كرّرت ما قالته مرارًا.

صاح المُشرِف أشيب الشعر: "لن تحصلي على أيّ شيء بالصراخ في وجهي"، وبجانبه، أحكم زملاؤه من حراس الأمن قبضتهم على الصواعق والهراوات، وحمل رجال الشركة بنادقهم في وضع استعداد لإطلاق النار؛ ليجد هولدن نفسه أشد عُرضة للخطر.

توقّفت المرأة عن الصراخ واستدارت لتنظر إلى هولدن وهو يشق طريقه نحو المُشرِف.

سألت المرأة: "مَن؟"

صعد هولدن إلى رصيف التحميل بجوار المُشرِف، ولوّح الحراس الآخرون بالمناخس والصواعق قليلًا، لكن لم يمسه أحد، طرفت أفراد عصابة الشركات بأعينهم ثم غيّروا موقفهم قليلًا، كان هولدن يعلم أن ارتباكهم حول تحديد هويته لن يستمر طويلًا، وعندما يتعرّفون عليه أخيرًا، فمن المحتمل غالبًا أن تنخزه إحدى المناخس أو أن تصدمه الصواعق الكهربائية، إن لم يُطلقوا عليه النيران مباشرةً، ولكن قبل أن يحدث ذلك، مدَّ يده إلى المُشرِف وقال بصوتٍ عالٍ يبلغ مسامع الحشد: "مرحبًا، أنا والتر فيليبس، ممثّل (أوبا) من محطة تايكو، وأتحدث هنا بالنيابة عن العقيد فريدريك جونسون".

صافحه المُشرِف دون أن يخفي حيرته، وتحوّلت غوريلات الشركات مرة أخرى وقبضوا على أسلحتهم بقوة أكبر.

قال المُشرِف: "السيد فيليبس، لا سلطة لـ(أوبا..)"

تجاهله هولدن، والتفت إلى المرأة التي كان يصرخ في وجهها، قائلًا. "سيدتي، علامَ هذه الضجة الكبرى؟"

قالت وهي تُشير إلى الباب: "تلك المركبة بها ما يقرب من عشرة آلاف كيلوجرام من الفاصوليا والأرز، وهو ما يكفي لإطعام المحطة بأكملها لمدة أسبوع!"

تمتم الحشد موافقًا على كلامها، واندفعوا للأمام خطوة أو خطوتين.

سأل هولدن المُشرِف: "هل هذا صحيح؟"

أجاب الرجل: "كما قلت"، ورفع يديه وطفق يدفع الحشد كما لو أنه يستطيع إبعادهم بالاعتماد على قوة إرادته المطلقة، "الشحنة مملوكة للشركة، ولا يُسمح لنا بمناقشة محتوياتها."..

صرخت المرأة مرةً أخرى: "إذن افتح الأبواب، ودعنا ننظر!"، ليلتقط الحشد كلمتها ويهتفون: "دعنا ننظر، دعنا ننظر"، أمسك هولدن بمرفق مُشرِف الأمن وقرّب رأسه قائلًا:

"في حوالي ثلاثين ثانية، سيمزِّقك هؤلاء الغوغاء أنت ورجالك إربًا لدخول المركبة، أعتقد أنه يجب عليك الاستجابة لمطالبهم قبل أن يسود العنف".

ضحك الرجل هازئًا: "يسود العنف! العنف سائد بالفعل. السبب الوحيد وراء عدم إقلاع المركبة حتى الآن هو أن أحدهم رمى بقنبلة فجَّرت آلية إطلاق مشابك الإرساء، وإذا حاولوا الاستيلاء على المركبة، سنقوم بـ"...

قال صوت أجش: "لن يأخذوا المركبة"، ونزلت يد ثقيلة على كتف هولدن، وعندما استدار وجد المُتحدِّث أحد حمقى الشركات المأجورين، ثم تابع: "هذه المركبة مملوكة لمؤسسة ماو كويكوفسكي التجارية".

أزاح هولدن يد الرجل عن كتفه.

قال مُشيرًا إلى الحشد الذي لم يتوقَّف عن الهتاف: "لن يُوقف هؤلاء عشرة رجال يحملون البنادق والصواعق الكهربائية"

نظر الأحمق المأخوذ إليه لأعلى ولأسفل ثم قال: "سيد فيليبس، أنا لا أعبأ مطلقًا بما تفكر فيه أنت أو (أوبا) بشأن أيّ شيء، ناهيك عن طريقتي في إدارة عملي، فلماذا لا تغرب عن وجهي قبل أن أبدأ في إطلاق النار؟"

حسنًا، لقد حاول. ابتسم هولدن للرجل وبدأ يصل إلى الجراب في الجزء الصغير من ظهره، تمنّى لو كان أموس هنا بجواره، لكنه لم يره منذ نزولهم من المركبة، وقبل أن يمسك بالمسدس، ضم أصابعه الطويلة النحيلة وأحكم قبضته.

وقفت ناعومي فجأةً بجوار هولدن، وقالت: "فلنرَ ما رأيك في هذه الفكرة، ماذا لو تخطّينا المواقف السابقة، وأخبرتك فقط كيف سيعمل هذا حقًّا؟"

التفت كلٌّ من هولدن والأحمق مندهشين إلى ناعومي، التي رفعت إصبعها في إشارة إلى الانتظار لدقيقة، وسحبت جهازها اللوحي، واتصلت بشخصٍ ما وقامت بتشغيل السماعة الخارجية:

قالت وهي ما تزال ترفع إصبعها: "أموس!"

جاء الرد: "نعم، ما الأمر؟".

"ثمة مركبة تحاول المغادرة من الرصيف ١١، المنصة ب٩، إنها مليئة بالطعام الذي يمكننا الاستفادة به هنا بالفعل، إذا خرجت، فهل لدينا مركبة حربية تابعة لـ (أوبا) قريبة بما يكفي لاعتراضها؟"

خيّم الصمت لبعض الوقت، وبعد ضحكة مكتومة، قال أموس: "أنت تعرف أننا نفعل ذلك، أيها القائد، لمن أوجّه هذه التعليمات؟".

قالت: "اتصل بتلك المركبة الحربية واطلب منهم تعطيل مركبة الشحن، ثم جهّز فريق (أوبا) لتأمينها، وتفريغها من جميع محتوياتها ثم الاستيلاء عليها".

أجاب أموس: "عُلِم ويُنفذ".

أغلقت ناعومي جهازها اللوحي ووضعته في جيبها.

ثم قالت للأحمق بأعمق نقطة في حلقها: "لا تختبرنا أيها الفتى، لم تكن كلمة واحدة مما قلناه تهديدًا فارغًا، فإما أن تُعطي هؤلاء الشحنة أو أن نأخذ المركبة الملعونة بأكملها لك الخيار".

حدّق بها الأحمق هُنَيهة ثم أشار إلى فريقه بالابتعاد وغادر، تبعهم أمن المرفأ، واضطر هولدن وناعومي أن يبتعدا عن طريق الحشد المندفعين إلى الرصيف وإلى بوابات مخزن التحميل.

وعندما أصبحا بمأمن من التعرُّض للدهس، قال هولدن: "كنتِ رائعة جدًّا".

قالت وقد احتفظت بنبرة صوتها العميقة: "إن إطلاق النار باسم العدالة قد يبدو لك شيئًا بطوليًّا للغاية، لكنني أريد أن أُبقيك بجواري؛ لذا كُفَّ عن التصرُّف بحماقة".

قال هولدن: "كانت لعبة ذكية أن تُهدِّدي بالمركبة".

"كنت تتصرف مثل ذلك المُحقِّق المغفل ميلر؛ لذلك تصرفتُ كما اعتدتَ أنت على ذلك. ما قلته لهم هو ما تقوله عادةً عندما لا تكون في عجلةٍ من أمرك لدرجة التلويح بسلاحك".

قال هولدن: "لم أكن أتصرَّف مثل ميلر"، وقد رأى الاتهام لاذعًا؛ لأنه لامس الحقيقة.

ردَّت ناعومي: "لكنك لم تكن تتصرَّف مثلك أنت يا هولدن".

لوَّح هولدن بيديه مُستنكرًا، وأدرك فقط بعد ذلك أنه كان تقليدًا أعمى لشخصية ميلر، نظرت ناعومي إلى رقعة القبطان على كتف بدلة (سومنامبوليست) التي ترتديها، وقالت: "ربما يجب أن أحتفظ بهذه."...

اقترب منهما رجلٌ ضئيل أشعث أغبر ذو شعرٍ رمادي وملامح صينية ولحية لم تُحلق منذ أسبوع، وأومأ برأسه في عصبية، وكان يفرك يديه من شدة التوتُّر، وهي حركة كان هولدن يعتقد أنه لا يفعلها سوى النساء العجائز في أفلام السينما القديمة.

أومأ الرجل إليهما مرة أخرى قائلًا: "أنت جيمس هولدن، القبطان جيمس هولدن من (أوبا)؟"

تبادل هولدن وناعومي النظرات، وحلّل لحيته غير المكتملة، ثم قال. "هل هذا يهمك في أيِّ شيء على الإطلاق؟ كن صريحًا"

أجاب: "القبطان هولدن، اسمي براكس، براكسيديك مينج، أنا عالم نبات".

صافح هولدن يده ثم قال:

"تشرفت بلقائك، براكس، لكن أخشى أن يكون لدينا."...

قال براكس: "عليك أن تساعدني"، أدرك هولدن أن الرجل يمر بظروف عصيبة منذ بضعة أشهر، كانت ملابسه تتدلَّى من شدة الجوع، والكدمات الصفراء تُغطي وجهه نتيجة تعرُّضه للضرب في عراك خلال الأيام القليلة الماضية.

قال هولدن: "بالطبع، اذهب إلى سوبيتايابورن في مركز الإغاثة، وأخبرهم أنني قلت."...

صاح براكس: "لا، ليس هذا ما أحتاج إليه، أنا أحتاج إليك لتساعدني!"

نظر هولدن إلى ناعومي، ولكنها هزت كتفيها وقالت: "إنه يطلب المساعدة منك أنت".

قال هولدن: "حسنًا، ما الخطب إذن؟"

الفصل الثاني عشر

أفاسا رالرم

قال زوجها: "المنزل الصغير من أعمق أنواع الرفاهية. أن نعيش في مساحة نمتلكها، وننغمس في الملذات البسيطة التي تتمثَّل في خبز خبزنا وغسل أطباقنا، هذا ما يغفل عنه أصدقاؤك من ذوي المناصب الرفيعة، ويجعلهم أقل إنسانية".

جلس على طاولة المطبخ، واتكأ على كرسي من صفائح الخيزران انتكس حاله حتى أصبح مثل الجوز المُبقَّع. شكَّلت الندوب التي خلَّفتها جراحة السرطان خطين شاحبين على الجلد البني لحلق أرجون، بالكاد يمكن رؤيتها تحت لحيته البيضاء الخفيفة. ترقّق شعره واعرَّضت جبهته مقارنةً بشكلها في بداية زواجهما. بينما أشرقت شمس صباح الأحد متوهجةً على الطاولة.

قالت: "هذا هراء، ليس معنى أنك تتظاهر بالعيش كمزارع مُلطَّخ بالطين أن إريترايت أو لوس أو أيًّا من الآخرين أقل إنسانية، هناك منازل أصغر من هذا المنزل يعيش فيها ست عائلات، والناس فيها أقرب مائة مرة إلى الحيوانات من أيِّ شخص أعمل معه".

تساءل: "هل تعتقدين ذلك حقًّا؟"

أجابت: "بالطبع، أعتقد ذلك، وإلا كيف أجد الدافع للذهاب إلى العمل صباحًا؟ إذا لم يهتم شخصٌ ما بإخراج هؤلاء الأوغاد أشباه الهمجيين من الضواحي الفقيرة، فمن الذي ستُعلِّمه جامعاتك التي تُدرِّس فيها؟"

قال أرجون: "هذه نقطة ممتازة".

استكملت أفاسارالا: "ما يجعلهم أقل إنسانية حقًّا أنهم لا يمارسون التأمُّل اللعين، إن المنزل الصغير ليس رفاهية"، وبعد وقفة مؤقتة تابعت: "الرفاهية تكمن في منزل صغير ومال وفير، هذا أمرٌ محتمل".

ابتسم لها أرجون، ما زالت ابتسامته جميلة؛ لذا وجدت نفسها تبادله الابتسام، رغم أن جزءًا منها أرادها أن تبدو متذمرة عنيفة. في الخارج تعالت صرخات كيكي وسوري وتمايلت أجسامها الصغيرة نصف عارية على العشب، وكانت مُمرِّضتها تسير وراءهما مباشرةً، ويدها إلى جانبها كما لو كانت تُخفِّف شدًّا عضليًّا أصابها.

قالت أفاسارالا: "الفناء الكبير رفاهية بالتأكيد".

صدَّق أرجون على كلامها: "هو كذلك".

انطلقت سوري عبر الباب الخلفي ويدها مُغطاة بتربة سوداء رطبة وابتسامة عريضة تكسو وجهها، وقد طبعت خطواتها علامات داكنة مُفتَّتة على السجادة.

"جدتي! جدتي! انظري ماذا وجدت!"

أدارت أفاسارالا كرسيها، ونظرت إلى كف حفيدتها الذي يحمل دودة تُحرِّك حلقات جسدها الوردية والبنية، رطبةً مثل التربة التي تتساقط حباتها من أصابع سوري، غلَّفت أفاسارالا وجهها بقناع من التعجُّب والابتهاج.

"ما أروعها، يا سوري، تعالي نَعُدْ إلى الخارج لتُريني أين وجدتِها".

امتزج الفناء برائحة التربة الرطبة والعشب الطازج المقطوع. ركع البستاني على ركبتيه- وهو رجل نحيف لا يكاد يكبر ابنها سنًّا- يُزيل الحشائش بيده. اندفعت سوري نحوه بأقصى سرعتها، وتحرَّكت أفاسارالا وراءها في نزهة. عندما اقتربت منه، أومأ البستاني برأسه، ولكن لم يكن هناك متسعٌ للكلام بينهما. أشارت سوري إلى المكان وأخذت تُعيد سرد مغامرتها الكبرى في العثور على دودة شائعة في التربة كما لو كانت تحكي شيئًا من باب الملاحم. ظهرت كيكي بجانب أفاسارالا وأمسكت بيدها بوداعة، كانت تحب صغيرتها كيكي بشكل أكبر، ولكن دون إبداء ذلك أمام الجميع- إذا لم يكونا على انفراد، كان أرجون هو الوحيد الذي يعرف ذلك- حيث اعتقدت أنها أذكى

أحفادها. رغم هدوئها، فإن عيني الطفلة السوداوين تشعان ذكاءً، يمكنها أن تُحاكي أيَّ شخصٍ تسمعه، ولا تفوِّت كيكي الكثير.

نادى أرجون من الباب الخلفي: "زوجتي الحبيبة، هناك شخصٌ ما يريد التحدُّث معك".

تساءلت: "أين هو؟"

أجاب أرجون: "عبر شبكة المنزل، تقول إنها لم تتلقَ إجابة عندما طلبتك على جهازك اللوحي".

قالت أفاسارالا: "هذا لسببٍ ما".

قال "إنها جلوريا تانينباوم".

سلَّمت أفاسارالا يد كيكي إلى المُمرِّضة على مضض، وقبَّلت رأس سوري، وعادت أدراجها. فتح أرجون الباب لها، وبدا مُتأسِّفًا.

قالت: "هؤلاء الداعرون لا يسمحون لي أن أكون جدة أبدًا".

أجاب أرجون بوقار مُغلَّف بروح الدعابة في آنٍ واحد: "هذه ضريبة السلطة".

فتحت أفاسارالا الاتصال على شبكة مكتبها، بعد نقرة وتعتيم الشاشة للحظة مع وصول رسائل الخصوصية، ثم ظهر على الشاشة وجه جلوريا تانينباوم النحيف مطموس الحواجب.

"جلوريا! أنا آسفة، تركت جهازي اللوحي، وكنت مع الأطفال في الخارج".

قالت المرأة بابتسامة صافية وهشة كانت أقرب تعبير عن شعورها الحقيقي: "لا بأس، ربما كان ذلك أفضل على أيّ حال، أعتقد دائمًا أن الأجهزة اللوحية تخضع للمراقبة من كثب أكثر من الخطوط المدنية".

تمدَّدت أفاسارالا في كرسيها، وانضغط الجلد في اسبانية تحت ثقلها

قالت: "آمل أن تكون الأمور على ما يُرام معك ومع إتسيبان".

ردَّت جلوريا: "نحن بخير"

قالت أفاسارالا. "جيد جدًّا، لكن هل لي أن أعرف لماذا تتصلين بي الآن بحق الجحيم؟"

أجابت: "كنت أتحدّث مع صديق لي تقيم زوجته على متن مركبة (ميخايلوف)، ووفقًا لما قاله، فقد تم سحبها من دوريتها وإرسالها إلى وجهة بعيدة".

عبست أفاسارالا، فقد كانت مركبة (ميخايلوف) جزءًا من قافلة صغيرة تراقب حركة المرور بين المحطات العميقة التي تدور حول الحافة القصوى للحزام.

"أيُّ وجهةٍ بعيدة؟"

أجابت جلوريا: "تقصّيت عنها، إنها جانيميد".

تساءلت أفاسارالا: "نجوين؟"

قالت جلوريا: "أجل".

قالت أفاسارالا: "صديقك شخص ثرثار لا يحفظ سرًّا".

ردّت جلوريا: "لذا لا أخبره بالحقيقة، رأيت أنكِ يجب أن تعرفي".

قالت أفاسارالا: "أنا مدينة لكِ حقًّا".

أومأت جلوريا برأسها مرة واحدة في حركةٍ حادة مثل غرابٍ ينعق، وأنهت الاتصال. جلست أفاسارالا في صمتٍ لفترة طويلة، وضغطت بأصابعها على شفتيها، ورأسها يحاول فهم سلسلة الأحداث التي تتدفّق مثل نهرٍ يتفجّر بين الصخور. لقد أرسل نجوين الكثير من المركبات إلى جانيميد، وكان يفعل ذلك بسرية تامة.

كان السبب وراء قيامه بذلك سرًّا بديهيًّا؛ لأنه إذا فعل ذلك صراحةً لمنعته أفاسارالا. كان نجوين شابًّا طموحًا لكنه لم يكن غبيًّا، لقد استخلص استنتاجاته الخاصة، وبطريقةٍ ما اهتدى إلى أن إرسال المزيد من القوات إلى تلك القُرحة الدامية في محطة جانيميد، سيُصلح الأمور ويجعلها أفضل.

"مرحبا جدتي"، عرفت أفاسارالا أنها كيكي، ومن نبرة صوتها أدركت أنها تحمل بعض الأذى، وقفت بجانب المكتب وتوجّهت إلى الباب.

"أنا هنا، يا كيكي"، قالت وهي تخرج من مكتبها نحو المطبخ.

أصاب بالون الماء كتفها دون أن ينفجر، ثم سقط على الأرض وارتد؛ لينفجر عند قدميها، مما أدى إلى إغراق البلاط الحجري حولها، رفعت أفاسارالا رأسها، واحتقن وجهها بالغضب، بينما وقفت كيكي في المدخل المؤدي إلى الفناء، وعمرها شعورٌ بالخوف والبهجة.

سألت أفاسارالا: "ما هذه الفوضى التي أحدثتها في منزلي للتو؟"

بوجهٍ شاحب، أطرقت الفتاة.

سألتها أفاسارالا: "هل تعرفين ماذا يحدث للأطفال السيئين الذين يُحدِثون الفوضى في منزل الجدة؟"

قالت الطفلة: "هل يتم دغدغتهم؟"

صاحت أفاسارالا: "دغدغتهم!"، ثم اندفعت نحوها. بالطبع هربت كيكي دون مشقة، كانت طفلة في الثامنة من عمرها، حيث لا تتأذّى مفاصلها سوى من النمو السريع فحسب. وبالطبع، كانت في نهاية المطاف تترك جدتها تقبض عليها وتدغدغها حتى تصرخ. بحلول الوقت الذي وصلت فيه آشانتي وزوجها لاصطحاب أطفالها في رحلة إلى نوفغورود، كان ساري أفاسارالا قد تبقّع بالعشب الأخضر، وأصبح شعرها مُشعثًا من كل الاتجاهات مثل صورة من الرسوم المُتحرّكة ضربها البرق.

عانقت الأطفال مرتين قبل أن يغادروا، وأتاحت لهم الشوكولاتة حتى يتسلّلوا إليها كما يفعلون في كل مرة، ثم قبّلت ابنتها، وأومأت برأسها إلى زوج ابنتها، ولوّحت لهم جميعًا بالوداع من مدخل منزلها، وتتبّع الطاقم الأمني سيارتهم، فلم يكن أحدٌ يرتبط بها ارتباطًا وثيقًا في مأمن من الاختطاف. كانت تلك حقيقة حياتية عايشتها.

دخلت تستحم، واستمرت وقتًا طويلًا حتى أسرفت في استخدام الماء الساخن المُريح لأعصابها، حيث كانت تحب الاستحمام بماء يكاد يغلي منذ أن كانت طفلة، حتى إنها باتت تعتقد أنها إذا لم تلسع بشرتها أو إذا لم تحمرّ قليلًا بعدما تنزع المنشفة عن جسمها، فهذا يعني أنها لم تستحم بالشكل الصحيح.

اصطجع أرجون على السرير، وكان يقرأ شيئًا على جهازه اللوحي باهتمام، ذهبت أفاسارالا إلى حزانة ملابسها، وألقت بالمشفة المُبللة في سلة الغسيل، ثم لبست سترتها القطنية

قالت: "إنه يعتقد أنهم فعلوا ذلك".

سأل أرجون: "مَنْ فعل ماذا؟"

أجابته: "نجوين، إنه يعتقد أن المريخيين وراء كل شيء، وأنهم سيهاجمون جانيميد مرة أخرى، إنه يعلم أنهم لا يُحرّكون أسطولهم هناك، ومع ذلك ما زال يُرسل التدعيمات، لا يهتم إذا كان ذلك سيزعجنا كثيرًا عند عقد محادثات السلام؛ لأنه يعتقد أنها هراء لا طائل من ورائه، وأنه ليس لدينا ما نخسره. هل تستمع لما أقوله؟"

أجاب أرجون: "نعم، نجوين يعتقد أن المريخ السبب، إنه يبني أسطولًا للرد عليهم، أترين؟"

تساءلت: "هل تعلم ما الذي أتحدَّث عنه؟"

أجابها: "بصورة عامة؟ لا، لكن ماكسويل آسينيان-كوه نشر مقالًا للتو حول ما بعد القصائد الغنائية سيجلب علينا سيلًا من رسائل الكراهية".

ضحكت أفاسارالا: "أنت تعيش في عالمك الخاص يا عزيزي".

وافقها أرجون الرأي، وهو يمرر إبهامه على شاشة جهازه اللوحي: "نعم، أعرف ذلك"، ثم نظر إليها قائلًا: "وأنتِ لا تمانعين، أليس كذلك؟"

أجابت: "هذا ما يجعلني أحبك، واصِل قراءتك عما بعد القصائد الغنائية".

سألها: "وما الذي ستفعلينه؟"

أجابته: " الشيء نفسه كما هو الحال دائمًا، أحاول منع الحضارة البشرية من الانهيار بسبب وجود الأطفال فيها".

***

عندما كانت صغيرة، حاولت والدتها تعليمها الحياكة. لم تُتقن أفاسارالا الحياكة ولكنها تعلَّمت دروسًا أخرى من تلك التجربة. ففي إحدى المرات تشابكت الخيوط

التي تعرها نشكلٍ سيئٍ، وقامت أفاسارالا بتعقيد الخيوط أكثر تعبيرًا عن إحباطها مما زاد الأمور سوءًا. جاءت والدتها وأخذت منها الخيوط المتشابكة، ولكن بدلًا من أن تنقص عرلها الفوضوي أنكاثًا وتُعيده إليها بساطة، جلست القرفصاء بجانبها وتحدَّثت بصوتٍ عالٍ؛ لتوضِّح لها كيفية فك العقدة خطوةً بخطوة. كانت والدتها لطيفة ومُتفهمة ومُتأنية، وتبحث عن الموضع الذي يمكن من خلاله فك المصفوفة كلها دون عناء، حتى عثرت عليه وتفكَّكت الخيوط المُعقودة مرةً واحدة.

ضمت القائمة عشر مركبات، تتراوح ما بين مركبات نقل قديم لا تعدو كثيرًا كومة من الخردة، بالإضافة إلى فرقاطتين تقودهما أسماء تردَّدت كثيرًا على مسمعها، لم تكن قائمة المركبات تمثل أسطولًا هائلًا، ولكنها كانت بمثابة قوة استفزازية بما يكفي. وعلى طريقة والدتها، بدأت أفاسارالا في فك العقدة بلطفٍ وتفهُّمٍ وتأنٍ. أولًا النقل؛ لأنه الأسهل، وقد اهتمت على مدار سنواتٍ طويلة بعلاقاتها مع رجال الصيانة والأمان، فلم يستغرق الأمر أكثر من أربع ساعات لتصل إلى شخص لديه المُخطَّطات والسجلات للعثور على المزلاج الذي لم يتم استبداله في حين كان يُفترض استبداله، وقبل أقل من نصف ساعة بعد ذلك كانت قد أصدرت الاستدعاء الإلزامي. كانت وو تساو - الفرقاطة الأفضل تسليحًا- تحت قيادة جولا إيشيكاوا ماركس الذي يمتاز سجل خدمته بالعملية والنصاعة؛ حيث يُعتبر قبطانًا كفؤًا ومخلصًا والأهم أنه يفتقر إلى الخيال الواسع؛ لذلك ترقَّى عبر ثلاث مساجلات إلى رئيس لجنة الإشراف على البناء؛ لأنه سيكون مأمون الجانب في هذا المنصب. صدرت الأوامر إلى جميع ضباط طاقم وو تساو بالعودة إلى الأرض لحضور حفل تكريم هذا القبطان. بينما كان الوضع أكثر تعقيدًا مع الفرقاطة الثانية، لكنها وجدت طريقة. وبحلول ذلك الوقت، أصبحت القافلة صغيرة جدًّا لدرجة أن مركبة الدعم الطبي كانت أعلى من القافلة المتبقية

لم تنسدل العقدة بين أصابعها، كانت المركبات الثلاث التي لم تستطع الوصول إليها قديمة وخائرة القوى، وفي حال حدوث أيّ مناوشات، فلن يكون لها أيُّ تأثيرٍ يُذكر، وبفضل ذلك فإن المريخيين سيستشعرون الحرج إذا بحثوا عن ذريعة لإشعال حربٍ مع تلك المركبات.

لم يخطر ببالها أنها سيفعلون ذلك، وحتى إذا أخطأت التقدير، وفعلوا ذلك، فسيكون الأمر ممتعًا أيضًا

تساءل إريترايت: "ألم يُلاحظ الأميرال نجوين كل ذلك؟"، كان مرتديًا قميصًا مُفكّك الأزرار العلوية، ويجلس في غرفة فندقية في مكانٍ ما على الجانب الآخر من الكوكب بينما تظهر من خلفه سماء الليل.

أجابته أفاسارالا: "دعه حتى يدرك، ماذا سيفعل؟ هل سيذهب باكيًا لأمه لأنني أخذت ألعابه؟ إذا كان لا يستطيع اللعب مع الكبار، فلا ينبغي له أن يكون أميرالًا لعينًا".

ابتسم إريترايت ثم طقطق أصابعه. بدا مُرهقًا.

"ما المركبات التي ستصل إلى هناك؟"

أجابته: "برناديت كو، وأريستوفانيس، وفيودوروفنا، يا سيدي".

"تلك المركبات، حسنًا، ولكن ماذا ستقولين للمريخيين بشأنهم؟"

قالت أفاسارالا: "لن نقول شيئًا إذا لم يسألوا عنهم، أما إذا سألوا فسنصرف انتباههم؛ حيث سنقول: مركبة دعم طبي صغيرة، وعربة نقل، ومركبة حربية صغيرة نستخدمها لإبعاد القراصنة، أعني أن الأمر ليس كما لو كنا نرسل طُرادات. سُحقًا للمريخيين".

قال: "آمل أن تقولي ذلك لهم بمزيدٍ من التهذيب".

"بالطبع سأفعل يا سيدي، أنا لست غبية".

تساءل: "وماذا عن كوكب الزهرة؟"

أخذت أفاسارالا نفَسًا عميقًا، وتركت الهواء ينساب بين أسنانها

قالت: "إنه النُعْبُع اللعين. أتلقّى تقارير يومية، لكننا لا نعرف حقًّا عما نبحث وإلى أين يمضي المصير، تم الانتهاء بالفعل من بناء تلك الشبكة التي تُغطي سطح الكوكب بأكمله، لكنها الآن تتعطّل، وتظهر هناك هياكل ذات تناظر شعاعي مُعقَّد، ليس فقط على طول محور الدوران، بل على مستوى مسير الشمس؛ لذا مهما كان في الأعماق، فهو

يُوجِّه نفسه مع وضع النظام الشمسي بأكمله في الاعتبار، كما يظهر التحليل الطيفي ارتفاعًا في أكسد اللانثانوم والذهب".

ردَّ عليها: "لا أعرف ماذا يعني كل ذلك!"

قالت: "ولا أيّ شخص آخر يعرف، ولكن العلماء يعتقدون أنها قد تكون مجموعة من المُوصِّلات الفائقة عالية الحرارة، ويحاولون تكرار الهياكل البلورية في المختبرات، ولكنهم وجدوا أشياء لا يفهمونها، وتبيّنوا أن هذا الشيء أفضل ما على المستوى الكيميائي والفيزيائي، لم أندهش بالطبع من تلك المعلومة السخيفة".

"هل لهذا صلة بما حدث في جانيميد؟"

أجابت أفاسارالا: "لعله السبب الوحيد، ولا شيء آخر، أو على الأقل ليس بشكل مباشر".

تساءل: "ماذا تقصدين بقولك ليس بشكل مباشر؟"

وجمت أفاسارالا ونظرت بعيدًا؛ ليُبادلها بوذا النظر.

قالت: "هل تعلم أن عدد المذاهب الدينية الانتحارية تضاعف منذ حادثة إيروس؟ لم أكن أعرف حتى تلقَّيت تقريرًا بذلك. وكادت مبادرة السندات البيئية لإعادة بناء محطة معالجة مياه الصرف الصحي في القاهرة أن تفشل العام الماضي؛ لأن مجموعة الألفية قالت إنه لن يتعيّن علينا القيام بذلك".

انحنى إرينرايت إلى الأمام وطرف بعينيه قائلًا: "هل تعتقدين أن هناك صلة فعلًا؟"

أجابت: "لا أعتقد أن هناك مجموعة من المسوخ الفضائيين يتسلّلون من كوكب الزهرة، لكن... كنت أفكر فيما فعلته بنا، بل في النظام الشمسي كله، أعني نحن وهم والحراميين، ليس من المعقول أن يغط الإله في النوم العميق هناك حتى أصبح بإمكاننا جميعًا مشاهدته وهو يحلم، إن هذا الشيء المُقرف يدفعنا إلى الإصابة بالجنون من شدة الهلع، نعم، سأُجنُّ من شدة الهلع. هذا هو السبب في أننا نُفضِّل تجاهله ونُفسِّر الأشياء المُعقَّدة في الكون كما لو كنا صغارًا، لكننا نعلم أنها ليست كذلك، كلنا نتصرف كما لو كنا عاقلين ولكن..."...

ثم هزّت أفاسارالا رأسها.

قال إرينرايت بصوتٍ خشنٍ. "لطالما تعايشت الإنسانية مع ما لا يمكن تفسيره". كانت دائمًا ما تؤرّقه أفاسارالا بأحاديثها، بل كانت تؤرّق نفسها أيضًا

قالت: "ولكن ما لا يمكن تفسيره لم يكن يلتهم الكواكب قبل ذلك كما يحدث الآن، وحتى إذا لم ينتقل من كوكب الزهرة إلى جانيميد من تلقاء نفسه، فمن الواضح تمامًا أن هناك صلةً ما، وإذا كنا."...

قاطعها إرينرايت: "إذا كنا قد صنعنا ذلك، فهذا بسبب أننا وجدنا تقنية جديدة، وها نحن نستخدمها، لقد انتقلنا من الرماح الحجرية إلى البارود ثم إلى الأسلحة النووية، هذا ما نفعله، يا كريسجين، اسمحي لي أن أقلق بشأن ذلك، راقبي كوكب الزهرة ولا تدعي الموقف مع كوكب المريخ يخرج عن نطاق السيطرة".

أجابت: "حسنًا، يا سيدي".

ودّعها قائلًا: "كل شيء سيكون على ما يرام".

بالنظر إلى الشاشة المُعتمة حيث كانت تتحدّث مع رئيسها منذ لحظة، اعتقدت أفاسارالا أن الرجل قد يُصدّق ذلك فعلًا؛ لكنها ليست متأكّدة تمامًا، ثمة شيءٌ ما يؤرّقها، ولكنها لا تعرف كُنهه، إنه يكمن في أعماق وعيها مثل شظية مُنغرزة في أطراف أصابعها. شغّلت الفيديو الذي تم التقاطه من موقع قاعدة الأمم المتحدة في جانيميد، وتخطّت الفحص الأمني الإلزامي ثم شاهدت جنود مشاة البحرية وهم يُذبحون مرة أخرى.

في العالم الذي يحدث فيه شيءٌ كهذا تنشأ حفيدتاها كيكي وسوري، حيث تُعدّ الزهرة مُستعمرة لشيءٍ غريب تمامًا، شيء لا يمكن التواصل معه، ومع ذلك لا يرحم أحدًا، الخوف الذي يصحبه معه سيكون أمرًا طبيعيًّا بالنسبة لهم، سيصبح أمرًا معتادًا كالتنفُّس. على شاشتها، أفرغ رجلٌ لا يتجاوز سوريين عمرًا محرن بندقيته الهجومية على المُهاجم، أظهرت الصور المُكبّرة عشرات الطلقات التي تخترق ذلك الشيء؛ ليتدفّق من ظهره رذاذ من الشعيرات السوداء مثل الأشرطة الملوّنة، ولكنه استطاع أن يقضي على

الجندي مرة أخرى. كان الأمر مُباعثًا بالنسبة له. أوقفت الصورة مؤقتًا؛ لتتبّع أنملة إصبعها الخطوط العريضة لشخصية المُهاجِم.

وجّهت سؤالها للشاشة: "من تكون؟ وماذا تريد؟"

ثمة شيءٌ ما مفقود. كثيرًا ما كانت تعرف ذلك الشعور؛ لكن ذلك لم يُساعدها في حل العقدة، حتمًا ستدرك ذلك الشيء المفقود يومًا ما، كل ما يسعها فعله حتى يحين ذلك الوقت أن تواصل البحث والسعي. أغلقت الملفات، في انتظار إتمام الإجراءات الأمنية؛ للتأكُّد من أنها لم تنسخ أيَّ شيء، ثم قامت بتسجيل الخروج، واستدارت نحو النافذة.

وجدت نفسها تفكر فيما سيحدث في المرة القادمة، ما المعلومات التي يمكنهم استكشافها، والأنماط التي يمكنهم استخلاصها مستقبلًا، حيث يقع هجوم جديد، ومذبحة جديدة، كان عقلها يُسلِّم بأن ما حدث على جانيميد سيحدث مرة أخرى، سواء عاجلًا أم آجلًا. إذا خرج المارد من المصباح؛ فلن يعود إليه مجددًا. ومنذ لحظة إطلاق الجزيء الأولي على السكان المدنيين في إيروس لمجرد رؤية ما يمكنه فعله، عندها انقلبت مجريات الحضارة بالكامل، انقلبت بسرعة وبقوة جبارة لدرجة أنهم ما يزالون يحاولون اللحاق بالركب.

وكأننا نلعب لعبة عسكر وحرامية.

ثمة شيءٌ ما، شيءٌ ما لا تتذكَّره مثل لحن أغنية على طرف لسانها، صرّت على أسنانها، ونهضت على قدميه ثم سارت بطول نافذتها. كرهت هذا الشعور، كرهته بشدة.

فتحت باب مكتبها، وعندما التفتت، نظرت إلى سورين شزرًا، جفل للوراء، فخفَّفت أفاسارالا من حدة نظراتها العابسة، فلم يكن من الإنصاف إخافة ذلك الأرنب المسكين، ربما كان الموظف سيئ الحظ الذي يحمل على كاهله أشق المهام وأقلها إمتاعًا كما تحمَّل اللقاء عالقًا مع تلك العجوز الشمطاء غريبة الأطوار، والتي كانت تحبه بطريقةٍ ما

قالت. "ماذا هنالك؟"

أجاب. "أعتقد أنه من المهم أن تعرفي أن الأميرال تحوين أرسل مذكرة احتجاج إلى السيد إريبرايت يتهمك فيها بالتدخل في نطاق مهامه القيادية، ولكنه لم يُرسل الرسالة إلى الأمين العام".

ابتسمت أفاسارالا. فحتى إذا لم يكن بإمكانها اكتشاف جميع ألغاز الكون، فيمكنها على الأقل إبقاء الأطفال ملتزمين بمواقعهم المُحدّدة في الطابور، وإذا لم يلجأ نجوين إلى الدُّمية المتحرّكة الكبيرة، فهذا يعني أنه فقط يُكشِّر عن أنيابه بهذا التصرف، والأمر لن يتجاوز ما هو أبعد من ذلك.

قالت: "من الجيد معرفة ذلك، ولكن ماذا عن المريخيين؟"

أجابها: "لقد وصلوا، يا سيدتي".

تنهَّدت أفاسارالا. عدَّلت هندامها، واشرأب عنقها، ثم قالت: "فلنوقف الحرب إذن".

الفصل الثالث عشر

هولدن

ظهر أموس أخيرًا حاملًا قنينة جعة بعد ساعات قليلة من أحداث الشغب بسبب الطعام، وقال إنه قام بحيلة ما وأصبح بحوزته الآن علبة طعام، أوضح الملصق أنها "وجبات دجاج"، كان هولدن يأمل أن يقودهم ذلك الدخيل الذي يُسمى براكس؛ ليروا أن هذا العرض مرتبط إلى حدٍّ ما بطلبه.

قادهم براكس بسرعة جنونية لشخصٍ لديه ما يفعله قبل أن يموت ويستشعر الموت في أعقابه، وقد شك هولدن في أن الحقيقة ليست بعيدة عن ذلك بالفعل، فيبدو أن عالم النبات الضئيل كأنه في نهاية المطاف .

اصطحبوه معهم على متن مركبة (سومنامبوليست) في أثناء قيامهم بجمع الإمدادات اللازمة، وأجبره هولدن على تناول وجبة من الطعام والاستحمام، بدأ براكس يخلع ملابسه في حين كان هولدن يُوضِّح له كيفية استخدام صنبور المركبة، كما لو كانت مراعاة الخصوصية ستُهدِر وقتهم الثمين. انصدم هولدن عند رؤية جسد الرجل المُصاب بكل هذه الكدمات. ظل عالم النبات لا يتحدَّث عن شيءٍ سوى مَي، وعن حاجته المُلِحة للعثور عليها، عندها أدرك هولدن أنه لم يحتَج طوال حياته إلى أيِّ شيءٍ بشدة مثل حاجة هذا الرجل لرؤية ابنته مرة أخرى.

اندهش هولدن لذلك، وأُصيب بحزنٍ عميق.

لقد جُرِّد براكس من كل ما يملك، تسوّى على الجنبين حتى أصبح حُطام إنسان، لم يبق لديه شيءٍ من حياته الأولى سوى حاجته للعثور على ابنته الصغيرة، وبالرغم من كل هذا فإن هولدن حسده على ذلك.

عندما كان هولدن يحتضر وقد حُوصِر في جحيم محطة إيروس، اكتشف أنه بحاجة لرؤية ناعومي مرة أخيرة قبل موته، أو على الأقل يعرف أنها في أمان؛ وهذا السبب

تمسَّك بالحياة ولم يمت هناك، بحانب وجود ميلر بجواره بمسدس ثانٍ طبعًا. ورغم أنه وناعومي أصبحا حبيبين، فإن هذا الارتباط كان ظلًّا شاحبًا مقارنة بذلك الدافع الذي يُحفِّز براكس الآن استسلم هولدن لتلك الأفكار وشعر أنه فقد شيئًا مهمًّا حتى وإن كان لا يستطيع تحديد كُنه ذلك الشيء.

بينما كان براكس يستحم، صعد هولدن على السلم إلى طابق العمليات؛ حيث كانت ناعومي تحاول اختراق النظام الأمني المُعطّل لـ جانيميد، اجتذبها من كرسيها، واحتضنها بقوة لبضع لحظات، تشبَّثت بالدهشة لثانية، ثم استرخت بين ذراعيه بحميمية، همست في أذنه: "مرحبًا حبيبي"، قد يكون ارتباطهما ظلًّا شاحبًا، لكنه كل ما يملك، وكان جيدًا بما يكفي.

***

توقَّف براكس عند التقاطع، وخبط بيده على فخذيه كأنه يستعجِل نفسه، عادت ناعومي إلى المركبة؛ لتتبّعهم عبر مُحدِّدات المواقع التي حملوها جميعًا فضلًا عن كاميرات المراقبة الأمنية للمحطة التي ما تزال تعمل حتى الآن.

من خلف هولدن، تنحنح أموس وحدّثه بصوت خفيض بما يكفي حتى لا يسمعه براكس: "إذا فقدنا هذا الرجل، فلا يروقني التفكير في إيجاد طرق للعودة بسرعة كبيرة".

أومأ هولدن برأسه، فقد كان أموس محقًّا.

حتى في أفضل أيامها، كانت محطة (جانيميد) متاهة من الممرات الكئيبة المتطابقة والكهوف المتفرقة التي تُشبه المتنزهات، ومن المؤكد أن المحطة ليست في أفضل حالاتها الآن، حيث أُغلِقت معظم الأكشاك العامة بينما كان بعضها مُعطلًا والبعض الآخر مُدمَّرًا تمامًا. والدخول على الشبكات العامة ليس حلًّا موثوقًا في أحسن الأحوال، بينما كان المواطنون المحليون يتحرّكون بين أنقاض قمرهم الذي كان يومًا ما عظيمًا مثل ماشي الفضلات شاعرين بالذعر حينًا والتهديد أحيانًا. بينما حمل هولدن وأموس الأسلحة النارية علانيةً، وكان أموس قد أتقن رسم ذلك القناع المُتجهّم الذي يجعل الناس يصنفونه تلقائيًّا في قائمة "لا تعبث مع هذا الرجل". لم تكن هذه هي المرة الأولى

التي يتساءل فيها هولدن عن طبيعة الحياة التي عاشها أموس قبل اشتراكه معه في جولة (كانتربيري)، مركبة الشحن الجليدية القديمة التي خدموا فيها معًا

توقَّف براكس فجأةً أمام بابٍ لا يختلف كثيرًا عن مئات الأبواب الأخرى التي مروا عليها بالفعل، والذي يوجد في جدار ممرٍّ كئيب مثل كل الممرات الكئيبة الأخرى.

"ها هو، إنه هنا".

قبل أن يتمكَّن هولدن من الرد، طرق براكس الباب، وتراجع هولدن خطوة إلى الوراء وابتعد قليلًا حتى يُلقي نظرةً فاحصةً على المدخل الذي يعبره براكس. استدار أموس بعيدًا، وتأبط صندوق الدجاج، وربط إبهامه الأيمن في حزام خصره بجواره الجراب. قام لمدة عامٍ بالعديد من الدوريات في الحزام، تعامل فيها مع أسوأ الأمثال التي خلَّفها الفراغ الحكومي حتى انغرست بعض العادات في طاقمه تلقائيًّا. لقد قدّرهم هولدن حقًّا، لكنه لم يكن مُتثبتًا من أنه أحبهم حقًّا، فمن المؤكد العمل الأمني لم يجعل حياة ميلر أفضل.

فتح الباب مراهق هزيل حاسرًا قميصه وبيده الأخرى سكين كبير.

صاح: "ماذا تريد بحق الجحيم...؟" ثم توقَّف عند رأى هولدن وأموس يحيطان ببراكس، نظر إلى أسلحتهما، وقال: "ما هذا؟"

أجابه براكس: "لقد أحضرت لك الدجاج"، مُشيرًا إلى الصندوق الذي يحمله أموس، ثم تابع: "أريد أن أرى بقية لقطات الكاميرا".

في أذن هولدن قالت ناعومي: "كان بإمكاني الحصول عليها إذا أعطيتني وقتًا كافيًا".

همس هولدن: "المشكلة تكمن تحديدًا في ذلك الوقت الكافي الذي تحتاجين إليه، لكن بالتأكيد سنلجأ لذلك كخطة بديلة".

هزّ المراهق النحيل منكبيه وفتح الباب وهو يلوّح لبراكس بالدخول. تبعه هولدن ثم أموس في المؤخرة.

قال الفتى: "حسنًا، دعونا نرى، أليس كذلك؟"

وضع أموس الصندوق على طاولة قذرة وأخرج علبة من داخل الصندوق، ورفعها حتى يراها الفتى

سأل الفتى: "أين الصلصة؟"

أجابه هولدن بابتسامة لطيفة: "ما رأيك في تعويضها بعلبة أخرى؟"، واقترب من الفتى ثم قال له بجدية: "لذا، اذهب واحصل على بقية اللقطات، وسنغرب بعدها عن وجهك، أليس جيدًا ذلك؟"

اشرأب عنق الفتى ودفع هولدن للوراء.

"لا تضغط عليّ أيها الرجل مفتول العضلات".

قال هولدن ولم تتلاشَ ابتسامته: "حسنًا، أعتذر لك يا فتى، لكن الآن عليك أن تذهب وتحصل على ذلك التسجيل اللعين الذي وعدت به صديقي".

أجابه الفتى: "قد لا أفعل"، ثم لوّح بيديه في وجه هولدن، وتابع: "إذا كنت غنيًّا كما تزعم، فادفع لي شيئًا آخر غير الدجاج، شيئًا أكبر".

ردَّ عليه هولدن: "دعني أفهم الأمر، هل تلاعبنا أيها الفتى؟ لأننا في هذه الحال سنقوم بـ..."

لم يُكمل هولدن جملته حيث سقطت على كتفه يدٌ قوية.

قال أموس مُقاطِعًا وهو يتخطّى هولدن إلى الفتى: "اترك لي الأمر، أيها القبطان"، وقد أمسك إحدى علب الدجاج في يده، وظل يعبث بها حيث كان يقذفها في الهواء ثم يلتقطها.

قال أموس مُوجِهًا كلامه للفتى: "هذا الرجل" وأشار إلى براكس بيده اليسرى، بينما كانت يده اليمنى تعبث بالدجاج، ثم واصل قائلًا: "هذا الرجل خُطِفت طفلته، ولا يريد سوى معرفة مكانها، إنه على استعداد لدفع المقابل الذي اتفق معك عليه للحصول على هذه المعلومة".

تجاهله الفتى وحاول الكلام، لكن أموس وضع إصبعه على شفتيه لإسكاته، ثم تابع بنبرةٍ ودودة: "والآن، بعدما أحضر لك السعر المتفق عليه، فإنك تريد خداعه وابتزازه؛

لأنك تعلم أنه يائس، وسيعطيك كل ما تطلبه لاستعادة ابنته الصغيرة. أتريده أن يدفع لك مقابلًا أكبر، أليس كذلك؟"

تجاهله الفتى مرة أخرى وقال: "لا دخل لك بـ "...

قذف أموس بعلبة الدجاج الإضافية في وجه الفتى بهذه السرعة التي جعلت هولدن يتساءل عن سبب استلقاء الفتى المُخترِق فجأةً على الأرض والدم يسيل من أنفه. جثا أموس بركبته على صدر الفتى، وقد ثبَّته على الأرض، وقذف بعلبة الدجاج مرة أخرى لترتطم بوجه الفتى بقوة عنيفة، بدأ الفتى يعوي، ولكن أموس كتم فمه بيده اليسرى.

صرخ أموس: "انظر أيها الفتى القذر"، وقد تلاشى من نبرته كل ذلك الود المُصطنع مُفسِحًا المجال للتعبير عن غضبٍ حيوانيٍّ عارم لم يسمع به هولدن من قبل، "هل ستُبقي الطفلة قيد الاختطاف لأنك تريد مزيدًا من الدجاج اللعين؟"

حطَّم أموس العلبة على أذن الفتى المُخترِق، والتي اشتعلت فورًا باللون الأحمر، ثم رفع يده عن فم الفتى؛ ليبدأ في الصراخ طالبًا النجدة. رفع أموس علبة الدجاج مرة أخرى، ولكن هولدن أمسك بذراعه وسحبه بعيدًا عن الفتى الثرثار.

قال وهو يمسك بأموس: "هذا يكفي"، على أمل ألا يجن الرجل الضخم فلا يحطم العلبة عليه بدلًا من الفتى. كان أموس من النوع الذي يشتبك دائمًا في قتال الحانات؛ لأنه يستمتع بذلك.

ولكن هذا أمرٌ مختلف.

كرَّر هولدن قوله: "هذا يكفي"، ثم أمسك بيده حتى توقَّف أموس بالفعل عن الكفاح، تابع: "لا يمكنه مساعدتنا إذا هشَّمت دماغه".

اندفع الفتى للوراء وأسند كتفيه إلى الحائط، أومأ برأسه بينما كان هولدن يتحدَّث مُمسِكًا أنفه النازف بين إبهامه وسبابته.

سأل أموس: "أهذا صحيح؟ هل ستساعدنا؟"

أومأ الفتى مرة أخرى وتحامل على قدميه، وما يزال مُتكئًا على الحائط

قال هولدن وهو يربّت على كتف أموس: "سأذهب معه، لماذا لا تبقى هنا لتسترحي قليلًا"

قبل أن يجيب أموس أشار هولدن إلى المُخترِق المرعوب: "من الأفضل لك أن تباشر العمل".

***

قال براكس عندما عادت مَي للظهور مرة أخرى في فيديو الاختطاف: "هنا، هذه مَي، وهذا الرجل هو طبيبها، الدكتور ستريكلاند، تلك المرأة، لا أعرفها، ولكن مُعلّمة مَي قالت إنها مُسجَّلة بصفتها والدة مَي، وكان تحمل صورة على بطاقتها وتفويض لاصطحابها. أمن المدرسة صارم للغاية، ولن يسمح لأحد بأخذ طفل بدون هُويّة وتصريح".

قال هولدن للمُخترِق: "إعرف لنا أين ذهبوا"، ثم سأل براكس: "ولماذا يصطحبها الطبيب من المدرسة؟"

بدأ براكس قائلًا: "مَي..."، ثم توقّف وبدأ من جديد: "مَي تعاني من مرض وراثي نادر يشل جهازها المناعي إذا توقّف عن تناول أدويتها بانتظام، والدكتور ستريكلاند يعرف ذلك. ما يزال ستة عشر طفلًا غيرها ممن يعانون من المرض نفسه مفقودين حتى الآن. كان بإمكان الدكتور ستريكلاند اصطحاب مَي؛ لأنه يمكنه إبقاؤها على قيد الحياة".

تساءل هولدن: "هل حصلتِ عليه يا ناعومي؟"

أجابته: "نعم، لقد اتبعت مسار الفتى المُخترِق عبر نظام أمن الخوادم، لن نحتاج إليه مرة أخرى".

قال هولدن: "جيد، لأنني أعتقد أننا لن نستطيع الاعتماد عليه مجددًا بمجرد خروجنا من الباب".

ردّت عليه ناعومي وهي تغالب الضحك: "ولكن ما يزال لدينا المزيد من الدجاج".

قال: "تأكّد أموس من أن الطلب التالي للفتى سيكون إجراء جراحة تجميلية".

أجابت: "يا إلهي! هل هو بخير؟"

أدرك هولدن أنها تقصد أموس، فقال: "نعم، لكن ... هل هناك شيء لا أعرفه عنه قد يجعل من هذا الأمر مشكلة؟ لأن الحقيقة."...

قال الْمخترق مُشيرًا إلى شاشته: "ها هو".

شاهد هولدن الدكتور ستريكلاند يحمل مي عبر ممر يبدو عتيقًا، بينما تتبعه المرأة ذات الشعر الفاحم حتى وصلوا إلى باب يُشبه غرفة ضغط قديمة، وأدرج ستريكلاند رمزًا ما على اللوحة المجاورة له؛ ليدخل بعدها الثلاثة من الباب.

قال الفتى الْمُخترِق: "لا توجد كاميرات مراقبة ترصد لنا ما في الداخل"، وكان يرتجف متوقعًا أنهم سيعاقبونه على هذا الخلل في أنظمة أمان محطة جانيميد.

تساءل هولدن: "ناعومي، إلى أين يفضي ذلك المسار؟"، وهو يلوح بيده في الهواء ليُطمئِن الْمُخترِق بأنه قد أدَّى دوره ولا تثريب عليه.

أجابت: "يبدو وكأنه مكانٌ مهجور منذ زمن التنقيب القديم"، وتخلَّلت كلماتها لحظات صمتٍ حيث كانت تعمل على وحدة التحكُّم الخاصة بها، "والآن، أصبح المكان يُستخدم كمستودع، خلف ذلك الباب يُفترض ألا يكون هناك شيءٌ سوى الغبار والجليد".

سألها هولدن: "هل يمكنكِ اصطحابنا إلى هناك؟"

أجاب كلٌّ من ناعومي وبراكس في صوت واحد: "نعم".

قال: "إذن، ها نحن ذاهبون"، وأشار إلى براكس والْمُخترِق للخارج من أجل مغادرة الغرفة، ثم تبعهما، كان أموس جالسًا على الطاولة يدور علبة الدجاج على حافتها وكأنها عملة معدنية سميكة. وفي ضوء القليل من الجاذبية على ذلك القمر، بدا أن سيظل يدور مع علبة الدجاج إلى الأبد، كانت تعبيرات وجهه عميقة وغير مفهومة

قال هولدن للفتى الْمُخترق، الذي كان يُحدِّق في أموس ووجهه يرتعش بتعبير يتناوب بين الخوف والغضب: "لقد أدّيت مهمتك على أكمل وجه، لذلك سوف نُعطيك أجرك، نحن لسنا مُحتالين".

وقبل أن يتمكَّن الفتى من الرد، نهض أموس والتقط صندوق الدجاج المُعلَّب، قلبه وقذف بالعلب الموجودة بداخله على الأرض حتى تدحرجت جميع العلب في أرجاء الغرفة الصغيرة

قال أموس: "احتفظ بالباقي لنفسك، أيها الوضيع"، ثم ألقى الصندوق الفارغ في ركن المطبخ الصغير.

قال هولدن: "والآن علينا أن نغادر".

بعد أن خرج أموس وبراكس من الباب، تراجع هولدن، وراقب الفتى المُخترِق للتأكُّد من أنه لن يستسلم لأفكاره المُضلِّلة للانتقام منهم. لم يكن هناك في الحقيقة ما يدعو للقلق، فبمجرد خروج أموس من الباب بدأ الفتى يلتقط علب الدجاج ويكدسها على الطاولة.

عندما غادر هولدن وأغلق الباب خلفه، قالت ناعومي: "أنت تعرف ماذا يعني ذلك، أليس كذلك؟"

ردَّ عليها هولدن: "عن أيِّ شيءٍ تتحدَّثين؟"، ثم قال لأموس: "سنعود إلى المركبة".

تابعت ناعومي: "على حد قول براكس، ما يزال جميع الأطفال المصابين بنفس مرض مَي مفقودين أيضًا، وطبيب مَي هو الذي اصطحبها من المدرسة".

صدَّق هولدن على كلامها قائلًا: "لذلك يمكننا أن نفترض أنه أو من يعملون معه قد دبَّروا عمليات اختطاف الأطفال الآخرين على الأرجح".

سار أمامه أموس وبراكس في الممر، وكان الرجل الضخم ما يزال متجهًا بنظراته العميقة إلى الفضاء، وضع براكس يده على ذراعه، وسمعه هولدن يهمس: "شكرًا لك" بينما هزَّ أموس كتفيه.

سألت ناعومي: "لماذا أخذ هؤلاء الأطفال؟"

ردّ عليها هولدن: "السؤال الأهم بالنسبة لي، كيف دبّر أحدهم قبل سُويعات من بدء إطلاق النار؟"

قالت ناعومي بصوتٍ هامس: "صحيح، كيف عرف ذلك؟"

أجابها هولدن بصوتٍ عالٍ مُعبّرًا عما يفكران فيه. "لأنه السبب في تحوّل الأشياء إلى هذا الشكل الكارثي، إذا أخذ كل هؤلاء الأطفال، وتمكّن هو أو الأشخاص الذي يعملون معه من بدء حرب إطلاق نار بين المريخ والأرض للتستُّر على جريمة الاختطاف...هذا يبدو وكأنه نوع من الإستراتيجيات التي رأيناها من قبل، أليس كذلك؟ علينا أن نعرف ما يدور على الجانب الآخر من ذلك الباب".

قالت ناعومي. "أحد أمرين، إما أننا لن نعثر على شيء؛ لأنهم هربوا بعيدًا عن هذا القمر بعد جريمة الخطف."...

أكمل هولدن: "أو سنجد مجموعة كبيرة من الرجال المُسلَّحين".

أجابت ناعومي: "أجل، كما قلت".

***

حلَّ الصمت على مطبخ مركبة (سومنامبوليست) حيث كان براكس وفريق هولدن يشاهدون الفيديو مرة أخرى. جمعت ناعومي كل لقطات اختطاف مَي في ملف واحد كبير، راقبوا طبيبها وهو يحملها عبر ممراتٍ مختلفة، يرتقي مصعدًا، ثم يدخل أخيرًا من ذلك الباب في المكان المهجور من المحطة. بعد المشاهدة الثالثة، أشار هولدن إلى ناعومي لإيقاف التشغيل.

تساءل وأصابعه تطرق على الطاولة: "ما الذي يمكننا اسكتشافه من هذا الفيديو؟"

أجاب أموس: "الطفلة ليست خائفة، إنها لا تحاول الهرب".

ردَّ عليه براكس: "لأنها طول حياتها تعرف الدكتور ستريكلاند، إنها تعتبره أحد أفراد عائلتها".

قالت ناعومي: "مما يعني أن أحدًا ما اشترى هذا الطبيب، أو أنها كانت خطة قيد التنفيذ من أجل."...

استنكر براكس: "خطة قيد التنفيذ لمدة أربع سنوات!"

كرَّرت ناعومي: "أربع سنوات، إنه وقت طويل جدًّا للاستمرار في الخداع ما لم تكن المخاطر جسيمة حقًّا".

"هل هو اختطاف؟ إذا طالبوا بدفع فدية لتحريرها."...

قاطعها هولدن: "هذا لا يُجدي، بعد ساعتين من اختفاء مي في تلك الهُوّة"، وأشار إلى الصورة المُثبّتة على شاشة ناعومي، ثم تابع: "اندلعت الحرب بين الأرض والمريخ، سيتحمل شخصٌ ما متاعب شاقة لاختطاف ستة عشر طفلًا مريضًا وإخفائهم".

قال أموس: "لولا أن البروتوجين صار ذكرى شريرة نخبها، كنت سأقول إن هذا هو بالضبط نوع الهراء الذي يفعله الجزيء الأولي".

قالت ناعومي: "أيًّا كان المسؤول عن ذلك، فهو يمتلك الكثير من الموارد التقنية الخطيرة أيضًا، فلقد تمكّنوا من اختراق نظام المدرسة حتى قبل انهيار الشبكات الأمنية لمحطة جانيميد نتيجة نشوب المعركة، كما تسلّلت بيانات تلك المرأة إلى ملف مي الشخصي دون أن تترك أثرًا للعبث بأيّ شيء".

قال براكس: "بعض الأطفال في مدرستها لديهم آباء أثرياء ثراءً فاحشًا وآباء من ذوي النفوذ الطاغي؛ لذلك يجب أن يكون النظام الأمني للمدرسة صارمًا من الدرجة الأولى".

قرع هولدن على سطح الطاولة بكلتا يديه للمرة الأخيرة، ثم قال: "كل ذلك يقودنا إلى السؤال الأهم، ما الذي ينتظرنا على الجانب الآخر من ذلك الباب؟"

قال أموس: "حمقى الشركات المأجورون".

ردَّ ناعومي: "بل لن نجد شيئًا".

قال براكس بصوتٍ خافت: "مي، قد نجد مي".

"علينا أن نكون مستعدين لجميع الاحتمالات الثلاثة: العنف، أو جمع القرائن والأدلة، أو إنقاذ الطفلة؛ لذلك دعونا نُدبِّر خطةً مُحكمة. ناعومي، أريد جهازًا به رابط لاسلكي يُمكّنني من الاتصال بأي شبكة قد نجدها على الجانب الآخر، ويُتيح لك أيضًا اختراق النظام هناك".

ردَّت ناعومي، وهي تنهض بالفعل من الطاولة وتتجّه نحو سلم العارضة: "حسنًا، سأُدبِّر ذلك".

تابع هولدن: "وأنت يا براكس، عليك أن تجد طريقة تجعل فى تثق بنا إذا وجدناها، كما يجب أن تُخبرنا بكل التفاصيل حول المُضاعفات التي قد يُسبّبها مرضها في أثناء عملية الإنقاذ. ما السرعة التي يجب أن نُنهي بها العملية ونُعيد الطفلة إلى هنا من أجل إعطائها العلاج؟ عليك أن تُخبرنا بمعلومات من هذا القبيل".

أجاب براكس: "حسنًا"، وأخرج جهازه اللوحي ودوّن الملاحظات.

"وأنت يا أموس!"

"نعم أيها القبطان".

"إنها دعوة للعنف؛ لذلك تجهَّز".

ابتسم أموس ابتسامةً عريضة بلغت آماق عينيه، ثم قال: "اللعنة! هذا صحيح".

الفصل الرابع عشر

براكس

لم يدرك براكس كم كان قريبًا من الانهيار إلا حينما أكل. وجد أمامه الدجاج المُعلَّب مع نوع من الصلصة الحارة، والمقرمشات الطرية غير المُفتَّتة والتي يتم تناولها عادةً في البيئات منعدمة الجاذبية، بالإضافة إلى قنينة من الجعة. شعر فجأةً بجوعٍ فظيع لا يمكن مقاومته؛ فالتهم كل شيء.

بعدما فرغ من التقيؤ، رأى المرأة التي تبدو مسؤولةً عن الشئون الفنية للمركبة- بالرغم من معرفته بأن اسمها ناعومي فإنه ظل راغبًا في أن يناديها باسم كاساندرا؛ لأنها تُشبه متدربة عملت معه منذ ثلاث سنوات كانت تُسمّى بهذا الاسم- تُعطيه مرقًا بروتينًا خفيفًا يتناسب أكثر مع جهازه الهضمي الضامر، وبعد بضع ساعات استطاع أن يستعيد وعيه، كان إحساسًا مُشابهًا لنوبات الاستيقاظ المتكرِّرة دون أن تغرق في النوم بين هذه النوبات، وجد نفسه جالسًا بين أحضان مركبة هولدن، ولاحظ التغيُّر في مستوى إدراكه، ومدى وضوح أفكاره، ومدى شعوره بالرضا عن نفسه مرة أخرى. وبعد ذلك ببضع دقائق، ستكافح مجموعة من العقد المتعطِّشة للسكر لتؤدي عملها، ومن ثم سيحدث كل ذلك مجددًا.

ومع كل خطوة إلى الوراء نحو الوعي الحقيقي، شعر بأن الدافع ينمو بداخله أكثر فأكثر، ويُحرِّضه على المرور من الباب الذي عبره ستريكلاند ومَي.

قال الرجل الضخم -أموس-: "دكتور، أليس كذلك؟"

"حصلت على شهادتي هنا، الجامعة جيدة حقًّا، الكثير من الأموال للمنح الدراسية... والآن لم أعد أعتقد ذلك".

"لم أكن مهتمًا بالتعليم الرسمي قط".

كانت قاعة الطعام في مركبة الإغاثة صغيرة وقد بدا عليها آثار التقادم، حيث ظهرت تشقُّقات عديدة في مادة الميلا التي طُليت بها الجدران المُصمّمة من نسيج ألياف الكربون كما كان سطح الطاولة مثقوبًا منذ زمنٍ طويل يمتد لعقود بسبب استهلاكه. أما الإضاءة فكانت عبارة عن طيفٍ شاحب، تحوَّل إلى اللون الوردي الذي من شأنه أن يقتل أيَّ نباتات تعيش تحته في حوالي ثلاثة أيام فقط. حمل أموس جوالًا من القماش مملوءً بصناديق بلاستيكية مختلفة الأحجام، ويبدو أن كلًّا منها يحتوي على سلاح ناري من نوعٍ ما. مدَّ بساطًا من اللباد الأحمر وبدأ يُفكِّك عليه سلاحًا ضخمًا أسود باهت اللون. بدت تلك الأجزاء المعدنية الدقيقة وكأنها منحوتة، غمس أموس قطعة قطنية في محلول تنظيف أزرق لامع، وفركه برفق على آلية فضية متصلة بأنبوبٍ معدنيٍ أسود؛ لتنظيف الصفائح المعدنية التي كانت لامعة بالفعل كالمرآة.

لم يشعر براكس بنفسه إلا وهو يُحرِّك يديه نحو القطع المُفكَّكة راغبًا في تجميعها؛ لتلميعها وصقلها كما كانت جديدة. تظاهر أموس بعدم الانتباه بطريقة توحي بأنه مدرك تمامًا لما يحدث.

قال براكس: "لا أعرف لماذا اختطفوها! دكتور ستريكلاند، لطالما كنتَ رائعًا معها، ولم تُلحق بها أذًى قط، لا أعتقد أنه آذاها".

ردَّ عليها أموس: "نعم، ربما لم يؤذِها" ثم غمس القطعة القطنية في محلول التنظيف مجددًا، وأخذ يفرك بها قضيبًا معدنيًّا يُحيط به زنبرك.

قال براكس: "أحتاج حقًّا للوصول إلى ذلك المكان"، لم يزِد عن ذلك، ولكنه كان يُفكِّر أن كل دقيقة يقضيها هنا يمكن أن تتعرَّض فيها مَي للأذى. قد تموت، أو يأخذونها في مركبة بعيدًا عن هذا العالم. كبت أفكاره وحاول ألا تخرج كلماته التي ينطق بها على هيئة أنين ولا توسُّل، ولكنه أخفق، فقد خرجت الكلمات على هيئتي الأنين والتوسُّل معًا.

قال أموس فيما يُشبه المواساة: "الاستعداد هو أسوأ جزء في العملية، كل ما تريده الآن هو أن نبادر بالخروج إلى هناك في أسرعِ وقت ممكن، ولكن يجب علينا أولًا إعداد العُدَّة لذلك".

قال براكس: "حسنًا، لديك حق".

ردّ أموس: "أتفهّم موقفك، هذا أمر غير ممتع، ولكن علينا تجاوزه أولًا، دخول عملية بدون إعداد العُدّة يعني أن تذهب بلا رجعة. أخبرني منذ متى والطفلة مفقودة؟"

أجاب براكس: "منذ نشوب المعركة، منذ سقوط المرآة".

ردّ أموس: "إذن، فإن فرصنا لإحداث الفارق إذا ذهبنا الآن ولم ننتظر ساعة أخرى تبقى محدودة جدًّا، أليس كذلك؟"

"لكن..."

زفر أموس ثم قال: "نعم، أعرف أن هذا هو الجزء الأسوأ، ولكنه ليس سيئًا مثل انتظار عودتنا، ومع ذلك، سيبقى هذا الهراء بالنسبة لك هو الأسوأ".

وضع أموس القطعة القطنية وبدأ في تثبيت الزنبرك الأسود الطويل على الترباس المعدني اللامع، تأثّرت عين براكس عند استنشاق أدخنة الكحول المتطايرة من محلول التنظيف.

قال براكس: "أنا في انتظارك".

أجابه أموس: "نعم، أعي ذلك، وأؤكد لك أننا سنتعامل بأقصى سرعة حيال ذلك. القبطان رجل طيب حقًّا، ولكن انتباهه قد يتشتّت قليلًا، سأُبقيه في صميم الموضوع، فلا تقلق".

قال براكس: "لا، لا أعني أنني أنتظرك عندما تذهب إلى ذلك الباب وتعود، بل أعني أنني في انتظارك الآن؛ لأنني سأذهب معكم إلى هناك".

وضع أموس الزنبرك في قذيفة السلاح، ثم أداره برفق بأطراف أصابعه، ولم يكن براكس يعرف منذ متى قام واقفًا على قدميه.

سأله أموس بنبرة هادئة ولطيفة: "كم عدد المعارك النارية التي شاركت فيها؟ لأنني لي صولات وجولات مع هذا القرف، قد تكون هذه المعركة الحادية عشرة أو ربما الثانية عشرة بالنسبة لي، إذا حسبت تلك المرة التي نهض فيها الرجل الذي كنت أقاتله مرة أخرى على أنها معركة أخرى. ما أعنيه هو أنه إذا كنت تريد أن تكون طفلتك الصغيرة

آمنة، فمن الأفضل ألا تضعها في نفق مظلم مع رجل يُطلق النيران دون أن يكون لديه أدنى معرفة باستخدام السلاح".

وكما يُضيف علامة ترقيم في نهاية كلامه، أنهى أموس تجميع السلاح، لتصدر طقطقة خيَّم بعدها الصمت.

ثم قال براكس: "لا تقلق، سيكون الأمر على ما يُرام". ولكن ساقيه كانتا ترتعشان من الوقوف، حمل أموس السلاح.

سأله أموس: "هل هذا السلاح جاهز لإطلاق النار؟"

"معذرةً؟"

"إذا التقطت هذا السلاح الآن، ووجهته إلى أحد الأوغاد، وضغطت على الزناد، فهل ستندفع منه النيران؟ لقد رأيتني أجمع أجزاء السلاح، فهل هو في وضع الأمان أم الخطر؟"

فتح براكس فمه ثم أغلقه، تضخَّم الألم خلف عظمة القص قليلًا، ووضع أموس السلاح جانبًا.

أجاب براكس: "في وضع الأمان".

"هل أنت متأكّد من ذلك، يا دكتور؟"

أجاب: "لم تضع في السلاح أي رصاصة، إنه آمن".

كرَّر أموس: "هل أنت متأكّد؟"

أجاب بتصميم: "نعم".

نظر أموس إلى السلاح بعبوس ثم قال: "حسنًا، هذا صحيح، ولكنك ما تزال غير مُؤهَّل للذهاب معنا".

صدرت أصوات من الردهة الضيقة لغرفة معادلة الضغط، لم يكن صوت جيم هولدن كما ظن براكس، كان يتوقع أن يكون حادًّا وخطيرًا، ولكن حتى في هذه الأوقات التي تعاظم فيها القلق حتى قصّ أحرفه المتحركة وشدَّد صوته، ظلت هناك

حمة تُطوِّق الصوت، لم يكن صوت المرأة- ناعومي أو كاساندرا كما أسماها- أعمق، لكنه كان أكثر قتامة من ذلك.

قالت: "هذه هي الأرقام".

قال هولدن وهو ينغمس مع الفوضى: "إنها خاطئة، لا بدّ أن يكون هناك خطأ، لا معنى لذلك".

سأل أموس: "ما الخطب، أيها القبطان؟"

أجاب هولدن: "رجال الأمن لن يفيدونا بأيِّ شيء، والسكان المحليون منهكون للغاية ويكافحون لوقاية المكان من وقوع كارثة مطلقة".

قالت ناعومي: "ولهذا السبب، ربما يجب ألا نخرج عليهم شاهرين أسلحتنا".

"من فضلك، ألا يمكننا إجراء هذه المحادثة مرة أخرى؟"

تصلَّب فمها، ونظر أموس إلى سلاحه بحدة وهو يُلمِّع الأجزاء التي كانت تلمع بالفعل، وبدا لبراكس أن هذه ليست المرة الأولى التي تُطرح فيها هذه المحادثة.

قالت ناعومي: "هذا الرجل الذي يمسك السلاح ويُطلِق النيران أولًا ثم يتحدَّث لاحقًا، لم تكن معتادًا على أن تكون ذلك الرجل يا هولدن، أنت لست ذلك الرجل".

ردَّ عليها هولدن بصوت حاسمٍ للجدل: "حسنًا، يجب أن أكونه اليوم"، ثم ساد صمتٌ غير مريح.

سأل براكس: "ما مشكلة الأرقام؟"

نظر إليه هولدن بارتباك: "قلت إن هناك خطأ ما في الأرقام".

"إنهم تخبرنا أن معدل الوفيات آخذ في الارتفاع، ولكن يجب أن يكون هذا خطأ، كم استمر القتال؟ يومًا واحدًا؟ يومًا ونصف اليوم؟ لماذا ترداد الأمور سوءًا الآن؟"

قال براكس: "لا، هذا صحيح، إنها سلسلة من التأثيرات المتتالية، سوف ترداد الأمور سوءًا"

سألت ناعومي: "مادا تقصد بسلسلة التأثيرات المتتالية؟"، في حين أدخل أموس السلاح في صندوقه وأخرج واحدًا أكبر، ربما بندقية، صوَّب نظرته نحو براكس مُنتظرًا سماع إجابته.

أجاب براكس: "إنها العقبة الأساسية للنظم البيئية الاصطناعية. ففي البيئة التطوُّرية العادية، يوجد تنوع كافٍ لحماية النظام عندما يحدث شيءٌ كارثي. هذه هي الطبيعة، أن تحدث أشياء كارثية دائمًا، لكن لا يمكننا بناء شيءٍ بهذا العمق، فإذا حدث خللٌ واحد في المنظومة، فلن يمكننا الاعتماد سوى على عدد قليل من الآليات التعويضية، هذه الآليات مُثقلة بالأعباء فتسبَّب في اختلال التوازن. وعندما تفشل الآلية التالية، يُصبح هناك عدد أقل من الآليات المتبقية مع تحميلها المزيد من الأعباء. وهكذا تتساقط جميع الآليات. إنه نظام بسيط مُعقَّد في آنٍ واحد. هذه هي التسمية التقنية له، نظرًا لأنه بسيط، فهو عرضة للتسلسل، ولأنه مُعقَّد لا يمكنك التنبؤ بالآلية التالية التي ستفشل أو كيف ستفشل. إنه نظام مستحيل من الناحية الحسابية".

انحنى هولدن على الحائط وذراعاه مطويتان، ما يزال من الغريب رؤيته متجسِّدًا في شخص، لقد بدا كما صوَّرته الشاشات، ولكنه لم يكن كذلك في الوقت نفسه.

قال هولدن: "محطة جانيميد هي أهم مركز للإمدادات الغذائية والزراعية خارج كوكب الأرض والمريخ، لا يمكن أن تتعرَّض للانهيار بأكملها، لن يسمحوا بذلك، يخرج الناس في سبيل الله قاصدين المجيء إلى هنا لينجبوا أطفالهم".

أمال براكس رأسه، قبل يومٍ واحد فقط لم يكن ليتمكَّن من شرح فكرته بتلك الطريقة، لسببٍ واحد: أنه لم يكن لديه ما يكفي من السكر في الدم لتغذية فكره. من ناحية أخرى، لم يكن لديه من يخبره بذلك. كان من حسن الحظ أن يستعيد قدرته على التفكير، حتى لو كان ذلك ليتمكَّن فقط من شرح خطورة الموقف

قال براكس: "هلكت محطة جانيميد. ربما تصمد الأنفاق وتبقى على قيد الحياة، لكن الهياكل البيئية والاجتماعية قد تدمّرت بالفعل، وحتى لو استطعنا بطريقةٍ ما إعادة النظم البيئية إلى مسارها الصحيح فإن ذلك سيستغرق الكثير من العمل والوقت. كم عدد

الأشخاص الذين سيبقون هنا الآن؟ وكم عدد الذين سيذهبون إلى السجن؟ قد يملؤون الأماكن الشاغرة لأمورٍ تنظيمية، ولكن الوضع لن يعود كما كان".

قال هولدن: "بسبب التأثير المتتالي؟"

أجاب براكس: "صحيح، هذا ما كنت أحاول قوله إلى أموس في وقتٍ سابق. كل شيءٍ سوف ينهار، ربما يتأجّل الانهيار قليلًا، ولكن لا سبيل لمنعه تمامًا، قد فات الأوان وبما أن مَي ما تزال مفقودة هناك، ولا نعرف ما الذي سينهار بعد ذلك، فلا بُدّ لي من الذهاب معكم".

قالت كاساندرا، لا بل اسمها ناعومي: "براكس!"، ربما لم يستعد بعد قواه العقلية بالكامل.

"حتى لو اعتقد ستريكلاند وتلك المرأة أنهما سيحافظان على سلامة الطفلة، فلا يمكنهما ذلك، أترى؟ حتى لو لم يؤذوها، فإن كل شيءٍ من حولهم سوف ينهار، ماذا لو نفد الهواء؟ ماذا لو لم يفهموا ما يحدث؟"

قال هولدن: "أعلم أن هذا صعب، ولكن الصراخ حول الذهاب معنا لن يُجدي شيئًا".

انفعل براكس: "أنا لا أصرخ، لا أصرخ! كل ما أفعله أنني أخبركم أنهم أخذوا ابنتي الصغيرة بعيدًا، وعليّ أن أذهب إلى هناك لإحضارها. أريد أن أكون هناك عندما يُفتح ذلك الباب، حتى لو لم تكن مَي هناك، حتى ولو ماتت، يجب أن أكون أنا من يعثر عليها".

انبعث صوتٌ نقيٌّ وجذاب بشكل عجيب، صوت خزنة تنزلق إلى سلاح ذي معدنٍ أسود تحمله يد ضخمة حتى تضاءل السلاح بين أصابع تلك اليد لم يَر براكس أن أموس قد أخرج السلاح من صندوقه، فانتبه إليه وهو يُصوِّب طلقة، ثم التقط بعد ذلك السلاح من فُوهته، وقد حرص على توجيهه نحو الحائط بالقرب من براكس.

قال براكس: "لكنني أعتقد... أنك قلت إنني لست."...

مدَّ أموس ذراعيه نصف بوصة أخرى، وكانت إيماءته لا لبس فيها. "خذه". أخذ براكس السلاح، كان أثقل مما يبدو عليه.

قال هولدن: "همم، أموس؟ هل أعطيته للتو سلاحًا محشوًا بالرصاص؟"

هزّ أموس كتفيه. "الدكتور قال إنه يجب أن يأتي معنا يا قبطان؛ لذلك أعتقد أنه ربما عليه أن يأتي".

رأى براكس النظرات المتبادلة بين هولدن وناعومي.

قالت ناعومي وهي تنتقي الألفاظ بعناية: "ربما يجب علينا أن نتناقش حول عملية اتخاذ القرارات هنا، يا أموس".

ردَّ عليها أموس: "بالطبع، أعدك بذلك، سنفعل ذلك قريبًا ولكن عندما نعود من هناك".

***

تجوّل براكس في المحطة لأسابيع كمواطن أصلي أو محلي، ثم أصبح لاجئًا ليس لديه مكان يفر إليه، لقد اعتاد على شكل الممرات، ورأى كيف أشاح الناس عنه وجوههم حينما حاول إثقالهم بأعبائه. الآن بعد أن تغذّى وتسلّح براكس وانضم إلى فريق يحميه، أصبحت المحطة مكانًا مختلفًا تمامًا، ما يزال الناس يرمقونهم لكن الخوف هذه المرة يقهرهم والجوع يقتلهم. لم تظهر على هولدن وأموس علامات سوء التغذية، ولا تلك الهالات السوداء حول أعينهم، ولم تتملّكهم تلك النظرة المنكوبة من فكرة أن كل شيء من حولهم سوف ينهار بحيث لا يمكن إصلاحه.

عادت ناعومي إلى المركبة، واخترقت شبكة الأمن المحلية، وكانت على استعداد للتنسيق بين الرجال الثلاثة في حال انفصالهم.

ربما لأول مرة في حياته، شعر براكس بأنه أجنبي عن المحطة، رأى مسقط رأسه بالطريقة التي يرى بها هولدن المكان: ممر ضخم مطلي بالدهانات والأصباغ بينما يغطي الجليد الجزء العلوي من الجدار، أما الجزء السفلي الذي يمكن أن يلمسه الناس عن طريق الخطأ، فقد غُطِّي بطبقة سميكة من العزل الحراري؛ لأن الجليد المكشوف في جانيميد قد يتسبّب في تمزيق الجلد مع أدنى لمسة. كان الممر مظلمًا للغاية، وبدأت

الأضواء الكاشفة تتلاشى، بينما تحوّل الممر الواسع -الذي كان يسير فيه براكس يوميًّا في طريقه إلى المدرسة- إلى غرفة مظلمة تتساقط فيها المياه بعدما تعطّلت أنظمة التحكُّم في المناخ. النباتات التي لم تذبل بعد كانت في طور الذبول، وبدت نسائم الهواء قريبة من رائحتها القديمة مما يعني أن أجهزة إعادة تدوير الهواء في حالات الطوارئ قيد التشغيل. يجب أن تشتغل قريبًا، هذا أفضل للجميع.

كان هولدن مُحقًّا، حيث إن الأشخاص اليائسين ذوي الوجوه النحيلة الذين مروا بالمحطة هم علماء الأغذية وفنيو المحاصيل وخبراء تبادل الغازات وموظفو الدعم الزراعي. إذا تعطّلت الحياة على جانيميد، فلن يتوقّف التأثير المتتالي عند هذا الحد. بمجرد إقلاع الشحنة الأخيرة من الطعام، سيتعين على الحزام ونظام المُشتري والمؤسسات العديدة المُتبعة لخططٍ طويلة الأمد إيجاد طريقة مختلفة للحصول على الفيتامينات والمُغذّيات الدقيقة لأطفالهم. تساءل براكس عما إذا كانت المؤسسات الموجودة على الكواكب البعيدة ستتمكّن من الحفاظ على قواعدها. إذا كان لديهم منصات كاملة للزراعة المائية ومزارع الفطريات الخاصة بهم ولم يحدث أيّ خلل فإن ...

لم يكن هذا سوى إلهاء، يحاول أن يُشتّت انتباهه بأيِّ شيءٍ غير خوفه مما ينتظرهم خلف ذلك الباب. احتضن السلاح الذي يحمله.

"توقّفوا! توقّفوا جميعًا!"

تردّد الصوت عميقًا وخشنًا ومتهدّجًا، كما لو أن الأحبال الصوتية للرجل تمزّقت وتمرّغت في الوحل، لقد وقف أمامهم عند تقاطع الأنفاق الجليدية متقلّدًا درعًا شُرطيًّا واقيًا صغير الحجم لدرجة أنه بالكاد يحتوي جسمه. لقد أوضحت لهجته وبنيته الجسمانية أنه رجلٌ مريخي.

توقّف أموس وهولدن مؤقتًا، واستدارا ونظرا حولهم في كلّ مكان باستثناء الرجل الذي يقف أمامهم بالفعل. تتبّع براكس نظراتهما. تربّص بهم رجالٌ آخرون، نصفهم مختبئون. بدا الذعر المفاجئ مشابهًا لمذاق المعدن المرير في الفم.

قال هولدن: "لقد عدّدتهم، إنهم ستة".

سأل أموس: "حسنًا، وماذا عن الرجل ذي البنطال الرمادي؟"

ردَّ هولدن: "حسنًا، ربما سعة، لكن هذا الشخص كان يتابعنا منذ مغادرتنا المركبة، قد لا يكون ذا صلة".

همست ناعومي في آذانهم: "ولكن ما يزال ستة أشخاص أكثر من ثلاثة، هل تحتاج إلى تعزيزات؟"

سأل أموس: "شحقًا، أولدينا تعزيزات؟ هل سيأتي سوبيتايابورن ويتحدَّث معهم جميعًا حتى يموتوا من الملل؟"

قال براكس وهو يمسك بالسلاح في جيبه: "يمكننا التعامل معهم، لا يمكننا السماح لأي شخص." ...

أطبقت يد أموس العريضة على يده، وأبقت السلاح في جيبه بعيدًا عن الأنظار، ثم قال:

"ليس على هؤلاء نُطلق النيران، هؤلاء هم من نتحدَّث معهم".

تقدَّم هولدن نحو الرجل المريخي، وقد أوَّحت الخفة التي يمسك بها بندقيته الهجومية المتدِّلية على كتفه بأنه غيرُ عازمٍ على الشر، حتى الدروع الواقية الباهظة التي يرتديها لم تتعارض مطلقًا مع ابتسامته التلقائية.

قال هولدن: "مرحبًا، هل هناك مشكلة، يا سيدي؟"

أجاب المريخي بلهجة متعجرفة: "ربما، وربما لا.. هذا يتوقَّف عليك".

ردَّ هولدن: "لن آخذك على ذلك، والآن، إذا سمحت لنا، فسنقوم بـ." ...

قاطعه المريخي وهو يخطو خطوةً للأمام: "تمهَّل"، وكان وجهه غامضًا مثل شخصٍ ما رآه براكس من قبل عند مترو الأنفاق، وجه لم يجذب انتباهه بشكلٍ خاص قط، ثم تابع: "أنت لست من هنا".

قال براكس: "أنا... أنا الدكتور براكسيديك ميج، كبير علماء النبات في مشروع مزارع فول الصويا التابعة لـ(رمد-الجنوبية)، من أنت؟"

قال أموس: "دع القبطان يتولَّى الأمر".

"لكن." ...

ردّ هولدن: "دعه، إنه جيد جدًّا في ذلك".

قال المريخي: "ما أعتقده أنكم من فريق الإغاثة، ولكنكم ابتعدتم جدًّا عن الأرصفة، يبدو أنكم فقدتم طريقكم، ربما تحتاجون إلى مُرافق يحرسكم حتى تعودوا إلى بر الأمان".

تحرّك هولدن قليلًا، وتصادف أن بندقيته الهجومية انزلقت إلى الأمام بضع بوصات دون أن يحدث ذلك بشكل استفزازي لحسن الحظ.

قال هولدن: "لا أعرف، ولكن نحن مُؤمَّنون بشكل جيد، أعتقد أنه يمكننا الاعتناء بأنفسنا. ما السعر الذي تطلبه نظير... الحراسة؟"

أجاب المريخي: "حسنًا، الآن نتفاهم جيدًا، أنتم ثلاثة، فهذا يعني حوالي مائة بعملة المريخ، وما يعادل خمس عملات محلية".

"ما رأيك في أن تتبعنا، وعندها يمكنني أن أعبر بك من مأزق كرة الجليد هذا الذي أراك عالقًا فيه؟"

صُعق المريخي من هول الرد، ثم قال: "هذا ليس مضحكًا"، لكن قناع القوة والثقة الذي كان يكسو وجهه قد سقط، رأى براكس ما يختفي وراء ذلك القناع من جوعٍ ويأسٍ.

قال هولدن: "أنا في طريقي إلى شبكة نفق قديم، لقد خطف شخصٌ ما مجموعة من الأطفال قبل أن ينهار كل شيء، أخذهم بعيدًا، وابنة الدكتور واحدة من الأطفال المُختطفين؛ لذلك سنذهب لإنقاذها، ونسألهم بتهذيب كيف عرفوا مُسبقًا أن كل هذا سوف يحدث. قد نواجه مقاومة عنيفة، ولكن سيكون جيدًا أن أعتمد على عدد قليل من الأشخاص الذين يعرفون إلى أيّ جانبٍ ينطلق الرصاص من فُوهَات البنادق"

قال المريخي وهو ينظر بطرف عينه: "أنت تعبث معي، لتستدرجني"، في حين رأى براكس أحد رفاقه يتقدَّم. كانت امرأة نحيفة ترتدي أسلحةً واقية رخيصة.

قال أموس: "نحن (أونا)، ثم أومأ برأسه نحو هولدن: "وهذا جيمس هولدن من (روسينانت) ".

ردَّ المريخي: "يا إلهي! أنت! أنت هولدن".

قال هولدن: "أجل، ولكن اللحية منعتك من التعرُّف عليّ مباشرةً".

قال المريخي: "اسمي ويندل، كنت أعمل في شركة بينكواتر الأمنية قبل أن يطلق الأوعاد ويتركونا هنا بطريقة أعتقد أنها تُبطل العقد المُبرم بيننا. إذا كنت تريد توظيف قوة عسكرية محترفة تجيد إطلاق النيران، فلن تجد أفضل منا"

تساءل هولدن: "كم عددكم؟"

أجاب المريخي: "ستة بما فيهم أنا".

نظر هولدن إلى أموس، شعر براكس أن أموس يُعبِّر عن استهجانه بقدر ما رآه يهز كتفيه، كان الرجل الآخر الذي تحادثا عنه غير ذي صلة في نهاية المطاف.

قال هولدن: "حسنًا، لقد حاولنا التحدُّث إلى الأمن المحلي، لكنهم لم يردوا علينا. اتبعنا وساعدنا وأعدك بأننا سنخرجك من جانيميد".

ابتسم ويندل، كانت إحدى نواجذه مصبوغة باللون الأحمر مع اتخاذ الجزء العلوي تصميمًا صغيرًا بالأبيض والأسود.

قال: "نتبعك في كل ما تأمرنا به، أيها القبطان"، ثم رفع بندقيته وصاح: "اصطفوا، أيها الناس، لقد حصلنا على عقد جديد، هيا بنا نباشر العمل".

ارتفعت الصيحات من كل مكانٍ حولهم، رأى براكس المرأة النحيلة بجانبه تبتسم وتُصافح يده بحرارة كما لو كانت مُرشَّحة لمنصب الرئاسة. طرف براكس بعينه وبادلها الابتسام ثم وضع أموس يده على كتف براكس.

"هل ترى؟ لقد أخبرتك، الآن هيا نتحرَّك".

***

كانت الردهة أكثر قتامةً مقارنةً بما ظهر في الفيديو، دامت حلقات الجليد الرفيعة التي تُشبه الأوردة الشاحبة، بينما كان الصقيع الذي يُغطيها طازجًا. وكان الباب مثل مئات الأبواب التي مروا بها في طريقهم للوصول إلى هنا. تقيأ براكس، كانت معدته تؤلمه، أراد أن يصرخ بأعلى صوته هاتفًا "مي"، وأن يسمعها تردُّ على ندائه

قالت ناعومي في أذنه: "حسنًا، لقد عطّلتُ القفل حتى تكونوا جاهزين يا رفاق".

قال هولدن. "لا داعي للانتظار، افتحي القفل الآن".

أصدر حتم الباب صريرًا.

انفتح الباب.

الفصل الخامس عشر

بوبي

استمر الاجتماع المُوسَّع الأول بين دبلوماسيي المريخ والأمم المتحدة لمدة ثلاث ساعات، وقد استغرقوا تلك المدة في تقديم الحضور وقراءة جدول الأعمال. كان هناك رجل أرضي بدين، يرتدي بدلة رمادية فحمية ربما يتجاوز سعرها ثمن درع بوبي الاستطلاعي، أخذ يثرثر حول ما جاء في الباب الرابع عشر، القسم الفرعي (د)، والبنود من ١ إلى ١١، والتي تتعلَّق بتأثير الأعمال العدائية السابقة على أسعار السلع وفقًا لاتفاقية التجارة السارية. التفتت بوبي حولها، ولاحظت أن الأشخاص الجالسين على الطاولة الطويلة المصنوعة من خشب البلوط، ينظرون باهتمامٍ شديد إلى الرجل الذي يقرأ جدول الأعمال، وقاومت رغبتها الجارفة في التثاؤب الذي كان يكافح ليجبرها على فتح فمها.

لقد صرفت انتباهها عن التثاؤب قليلًا عن طريق الانشغال بمعرفة من هؤلاء الناس، وبالرغم من أنهم قدَّموا أنفسهم جميعًا بالاسم والمُسمَّى الوظيفي في وقتٍ سابق من الاجتماع، فإن هذا لم يكن كافيًا للتعرُّف عليهم، فقد كان جميع الحاضرين هنا سكرتيرًا مساعدًا، أو وكيل وزارة، أو مديرًا لشيءٍ ما. كما أن هناك عددًا قليلًا من الجنرالات، لكن بوبي كانت على دراية كافية بالسياسة ومعطياتها لتعرف أن الحضور العسكري في الغرفة سيكون الأقل أهمية بينما الأشخاص ذوو السلطة الحقيقية هم الهادئون الذين يحملون ألقابًا متواضعة، وما أكثرهم هنا، ومن بينهم ذلك الرجل ذو الوجه المستدير الذي يرتدي ربطة عنق رقيقة، والذي قدّم نفسه باعتباره سكرتيرًا لشيءٍ ما، وبجانبه كانت تجلس امرأةٌ عجوز حتى تخالها جدة أحد الحاضرين، وقد ارتدت ساريًا لامعًا. ظهرت كبقعة صفراء متفردّة بزهوها وسط ما ساد على الاجتماع من اللون البني الداكن واللون البني واللون الرمادي الفحمي، كانت تمضغ الفُستق وتبتسم نصف ابتسامة

عامصة. أنفقت بوبي بصع دقائق وهي تنطر إلى الرحل دي الوحه المستدير والجدة العحور، وتحاول تخمين أيّهما الرئيس

فكرت في أن تصب لنفسها كوبًا من الماء من أحد أباريق الكريستال الموزّعة بالتساوي على الطاولة الطويلة. لم تكن عطشى. لكنها قلبت كأسها، وصبت الماء، سيستغرق شرب الكأس دقيقة أو ربما دقيقتين. نظرت إلى الطاولة. ولاحظت أنه لا أحد حولها يشرب الماء، ربما كان الجميع ينتظرون أن يبادر شخصٌ آخر بالشرب.

قال الرجل ذو البذلة الفحمية: "لنأخذ استراحةً قصيرة لمدة عشر دقائق، ثم ننتقل إلى الباب الخامس عشر من جدول الأعمال".

نهض جميع الحضور وبدأوا يتفرّقون نحو الحمامات والمناطق المسموح فيها بالتدخين، حملت الجدة حقيبتها اليدوية واتجهت نحو إحدى السّلال القابلة لإعادة التدوير، وألقت فيها قشور الفُستق بينما أخرج الرجل ذو الوجه المستدير جهازه اللوحي واتصل بشخصٍ ما.

قالت بوبي وهي تفرك عينيها بكفيها حين رأت النجوم: "يا إلهي."!

قال ثورسون بابتسامة وهو يتكئ على كرسيه: "هل هناك أيّ مشاكل أيتها الرقيبة؟ هل تزعجك الجاذبية؟"

ردَّ بوبي: "لا"، ثم استدركت: "حسنًا، نعم، ولكنها في الغالب تجعلني أرغب في وضع ريشة في عيني؛ لتغيير جزء بسيط من السرعة".

أومأ ثورسون برأسه وربّت على يدها، وهي حركة اعتاد عليها مؤخرًا، كانت بوبي ما تزال تنظر إليها باعتبارها حركةً أبوية مزعجة، ولكن ما يقلقها الآن أن يكون مقصد ثورسون أن يضربها. عندها ستكون تلك الحركة محرجة

سحبت يدها بعيدًا، ومالت نحو ثورسون حتى استدار ونظر في عينيها

همست إليه: "لماذا لا يتحدَّث أحد عن ذلك الوحش الملعون؟ أوليس هذا هو سبب وجودي، وإلا لماذا جئت إلى هنا؟"

أجاب ثورسون، وقد أشاح ببصره بعيدًا وأخذ يعبث في جهازه اللوحي: "عليكِ أن تفهمي كيف تُدار تلك الأمور. السياسة تتحرَّك ببطء؛ لأن مخاطرها جسيمة، ولا يريد أحدٌ أن يكون ذاك الشخص الذي يفسد كل شيء". ثم وضع جهازه اللوحي جانبًا وغمز لها قائلًا: "الناس هنا يتسابقون، ومسيرتهم المهنية على المحك".

"مسيرتهم المهنية؟"

أشار ثورسون برأسه في يقين، وعاد ليواصل العبث على جهازه اللوحي.

مسيرتهم المهنية!

للحظة، استحضرت منظرها وهي مستلقية على ظهرها تُحدِّق في الفراغ المُرصَّع بالنجوم فوق جانيميد، رجالها قد قُتِّلوا تقتيلًا، ومن بقي منهم كان يُحتضر. انقطعت الإشارة عن لاسلكي بدلتها، ودرعها صار نعشًا مُجمَّدًا، استعادت وجه ذلك الشيء، لم يكن يرتدي بدلة فضائية وسط كل ذلك الإشعاع والفراغ الكاسح، وقد انسالت من عنقه ومخالبه ندفة ثلجية حمراء متجمِّدة. ومع ذلك، لا يريد أحدٌ من الجالسين على هذه الطاولة التحدُّث عن ذلك الكائن؛ لأن هذا قد يؤثر على مسيرتهم المهنية؟

فليُخسف العالم بمن عليه.

عندما عاد الحضور إلى الغرفة واتخذوا أماكنهم حول الطاولة، رفعت بوبي يدها، شعرت بقليلٍ من السخافة؛ لأنها تُشبه طالبة في الصف الخامس تجلس في غرفة تعج بالبالغين، لكن لم يكن لديها أيّ فكرة عن آداب طرح الأسئلة في مثل هذه الاجتماعات، رمقها قارئ جدول الأعمال بنظرة غاضبة، ثم تجاهلها. مدَّ ثورسون يده تحت الطاولة ونغزها في ساقها بحِدّة.

أبقت بوبي يدها مرفوعةً.

ثم قالت: "معذرة".

تناوب الحضور على النظر إليها نظراتٍ حانقة ثم أشاحوا ببصرهم عنها ازدراءً لشأنها. زوّد ثورسون نغزاته حتى شبّت منه بوبي وأمسكت معصمه بيدها الأخرى

وصعقت حتى كادت عظام يده تتهشّم، انتزع يده بعيدًا بلهجةٍ مفاجئة، وأدار كرسيه؛ لينظر إليها مدهوشًا بعينين واسعتين وشفتين مُطبقتين.

وضعت الجدة ذات الساري الأصفر يدها على ذراع قارئ جدول الأعمال، فتوقّف عن الكلام فورًا، عندها قرّرت بوبي: "حسنًا، هذه الجدة هي الرئيس هنا"

قالت الجدة وهي تبتسم للحضور ابتسامةً اعتذارية حميمة: "أنا، على سبيل المثال، أود أن أسمع ما ستقوله الرقيبة درابر".

ظنت بوبي أنها تتذكّر اسمها منذ تقديم نفسها في أول الاجتماع، ورأت ذلك أمرًا مثيرًا للاهتمام.

قالت الجدة: "الرقيبة درابر؟"

لم تكن بوبي متثبّتة مما يجب عليها أن تفعله، لكنها نهضت على قدميها.

"أود فقط أن أتساءل لماذا لا يتحدّث أحدٌ هنا عن الوحش؟"

عادت الجدة لتبتسم ابتسامتها الغامضة، لم ينبس أحد ببنت شفة، وتسبّب هذا الصمت في ضخ الأدرينالين في دم بوبي، شعرت بساقيها ترتعشان. أكثر ما أرادته في العالم خلال تلك اللحظة أن تجلس حتى ينساها الجميع وينظرون إلى أيِّ شيءٍ آخر بعيدًا عنها.

قطبت جبينها وضمت ركبتيها.

قالت بوبي بصوتٍ مرتفع، ولم تستطع أن تمنع نفسها عن التحدّث: "كما تعلمون، الوحش الذي قتل خمسين جنديًا في جانيميد! وإلا ما سبب وجودنا جميعًا هنا؟"

أطبق الصمت على الغرفة، حدّق ثورسون في وجهها كما لو أنها فقدت عقلها، وربما كان ذلك صحيحًا. شدّت الجدة ساريها الأصفر، وابتسمت مُشجّعةً إياها.

قالت بوبي، وهي تلتقط جدول الأعمال: "بالطبع أعلم مدى أهمية الاتفاقيات التجارية وحقوق المياه ومن الذي يمكنه أن يسلب نصيب غيره في يوم الخميس الثاني بعد الانقلاب الشتوي، كل ذلك حقًا مهم للغاية".

توقّفت لتأخذ نفسًا عميقًا، ويبدو أنها تشعر باختناق طفيف بسبب الجاذبية والخطاب الذي ألقته توًّا، لكنها رأت في عيون الحاضرين أنها إذا توقّفت عن الحديث الآن، فسيكون ما قامت به حدثًا عارضًا غريبًا سرعان ما يتناسونه ويعودون إلى عملهم السابق. لم ترَ في تلك اللحظة مسيرتها المهنية وهي تنهار على منحدر تشتعل فيه النيران.

اكتشفت أنها لا تبالي بذلك.

قالت، وهي تقذف جدول الأعمال على الطاولة بينما تحاشاها رجلٌ مندهش يرتدي بدلةً بنية كما لو أن لمستها له ستُصيبه بما تعاني منه بوبي من جنون: "ماذا عن الوحش اللعين؟"

وقبل أن تتمكَّن من مواصلة حديثها، قفز ثورسون من مقعده قائلًا: "معذرةً أيها السيدات والسادة، الرقيبة درابر تعاني من بعض الاضطرابات بسبب المعركة الأخيرة، وتحتاج إلى عناية خاصة".

أمسك بمرفقها وأخرجها من الغرفة؛ لتنطلق موجات من الهمهمة في أعقابهما، توقّف ثورسون في بهو غرفة الاجتماعات، وانتظر أن يُغلق الباب من خلفه.

قال ثورسون وهو يدفعها نحو كرسي: "أنتِ..."، في العادة، لا يمكن لضابط الاستخبارات النحيل أن يدفعها، ولكن بدا أن قوة ساقيها قد خارت تمامًا، فانهارت على المقعد.

كرَّر قائلًا: "أنتِ"، ثم هاتف شخصًا عبر جهازه اللوحي: "تعالَ إلى هنا الآن".

كرَّر للمرة الثالثة مُشيرًا إلى بوبي: "أنتِ"، ثم تحرَّك جيئةً وذهابًا أمام كرسيها.

بعد بضع دقائق، جاء النقيب مارتينز مُهرولًا نحو بهو غرفة الاجتماعات، توقّف حينما رأى بوبي مُسترخيةً في كرسيها واكفهرت ملامح وجه ثورسون من شدة الغضب.

تساءل: "ماذا..."، لكن ثورسون أسكته.

قال ثورسون: "هذا خطؤك"، ثم التفت مُخاطبًا بوبي: "وأنت أيتها الرقيبة، قد أثبتِّ للتو أن حضورك معنا هاهنا كان خطأً فادحًا، أيّ فائدة كنا نرجوها من امتلاكنا لشاهد العيان الوحيد قد تبدَّدت الآن بسبب... خطئك الحمقاء".

حاول مارتينز الكلام مرةً أخرى. "إنها..."، ولكن ثورسون نكزه بإصبعه في صدره: "قلت إنك تستطيع السيطرة عليها".

ابتسم مارتينز بأسًى قائلًا: "كلا، لم أقل ذلك قط، كل ما قلته أنني أستطيع مساعدتها إذا أعطيتني الوقت الكافي".

ردّ ثورسون وهو يلوح بيده رافضًا: "لا يهم ذلك، عليكما أن تعودا إلى المريخ على متن المركبة التالية، وهناك يمكنكما تبرير موقفكما أمام المجلس التأديبي، والآن اغربا عن وجهي".

استدار على كعبه عائدًا إلى قاعة الاجتماعات، وفتح الباب بما يكفي لعبور جسده النحيل.

جلس مارتينز على الكرسي بجوار بوبي وزفر نفَسًا عميقًا.

قال: "إذن، ماذا حدث؟"

تساءلت: "هل دمَّرت مسيرتي المهنية للتو؟"

أجابها: "ربما، كيف تشعرين الآن؟"

قالت: "أشعر..."، وأدركت أنها ترغب حقًّا في التحدُّث إلى مارتينز، وقد انزعجت بسبب هذه الرغبة، ثم واصلت: "أشعر أنني بحاجة إلى ازدراد الهواء".

قبل أن تُبدي مارتينز اعتراضها، وقفت بوبي واتجهت نحو المصعد.

***

كان مجمع الأمم المتحدة بمثابة مدينة في حد ذاته، مجرد إيجاد طريقة للخروج قد يستغرق قرابة الساعة في أحسن الأحوال، في طريقها، تحرَّكت عبر كل ذلك الصخب والقوة الحكومية الغاشمة مثل الشبح، اندفع الناس من أمامها في الممرات الطويلة، كانوا يتحدَّثون بحماسة في مجموعات أو عبر أجهزتهم اللوحية. لم يسبق لبوبي أن زارت أولمبيا حيث يقع مبنى الكونجرس المريخي، لم تلتقط من جلسات الكونجرس على الإذاعة الحكومية سوى بضع دقائق، اهتمت بالاستماع فقط لمناقشتهم بعض القضايا التي تثير اهتمامها، ولكن النشاط هناك لا يضاهي ما يجري هنا في الأمم المتحدة لقد حكم هؤلاء

الناس في هذا المبنى ثلاثين مليار مواطن ومئات الملايين من المُستوطنين، بالمقارنة بهذه المليارات الأربعة على سطح المريخ وكأنهم يعيشون في قرية منعزلة.

على كوكب المريخ، كان من المُسلَّم به عمومًا بين السكان أن الأرض حضارة مُنحلة، حيث يعيش المواطنون الكسالى المُدلَّلون على الإعانات الحكومية، والسياسيون الفاسدون ذوو البطون المكرَّشة قد آثروا أنفسهم على حساب المستعمرات. والبنية التحتية المتدهْورة أنفقت ما يقرب من ثلاثين بالمائة من الميزانية على أنظمة إعادة التدوير حتى لا يغرق السكان في قذاراتهم. يمكننا القول إنه لا بطالة تقريبًا على كوكب المريخ، حيث شارك جميع السكان بشكلٍ مباشر أو غير مباشر في أعظم إنجاز هندسي في تاريخ البشرية وهو استصلاح كوكب؛ مما بثَّ في كل شخص إحساسًا بأهمية الغاية والرؤية المستقبلية المشتركة. على خلاف الأرضيين الذين عاشوا فقط على أمل أن تصرف لهم الحكومة الدفعة القادمة أو في انتظار الزيارة التالية للمطاعم والصيدليات أو مراكز التسوّق الترفيهية.

أو هذا ما كان يُشاع على الأقل، فجأةً لم تعد بوبي متأكّدةً بعد الآن.

بعد عدة زيارات لبعض منصات المعلومات المنتشرة في المجمع، تمكَّنت في النهاية من العثور على المَخرج. عند البوابة هزَّ لها حارس ملول رأسه عند مرورها به، ثم وجدت نفسها في الخارج.

في الخارج، دون أن تحتاج إلى ارتداء بدلتها.

بعد خمس ثوانٍ، تشبَّثت بالباب، الذي أدركت حالًا أنه باب الخروج، محاولةً العودة إلى الداخل. أشفق عليها الحارس وفتح لها الباب. ركضت عائدةً إلى الداخل واستلقت على أقرب أريكة منها، وهي تلهث وتتنفَّس بصعوبة.

سألها الحارس بابتسامة: "أهذه أول مرة لكِ هنا؟"

لم تستطع بوبي النطق، لكنها أومأت برأسها.

"من المريخ أم من القمر؟"

التقطت أنفاسها ثم أجابت: "من المريخ".

"نعم، أعرف ذلك، إنه بسبب القناع كما تعلمين. الناس الذين اعتادوا على القناع قد يُصابون ببعض الذعر. الحراميون يفقدون صوابهم هنا، أعني أنهم يتحوّلون إلى مجانين تمامًا، ينتهي بنا الأمر إلى إعادتهم إلى المنزل وهم مُخدّرون؛ لمنعهم من الصراخ".

قالت بوبي: "أجل". وشعرت بارتياح من ثرثرة الحارس معها بينما كانت تحاول التقاط أنفاسها، "لم يكن مزاحًا ما نسمعه إذن".

تساءل الحارس: "هل أحضروكِ إلى هنا ليلًا؟"

أجابت: "أجل".

"إنهم يفعلون ذلك عادةً مع القادمين من خارج كوكب الأرض؛ لأن ذلك يساعد المُصابين برهاب الخلاء".

"أجل".

قال الحارس: "سأُبقي لكِ الباب مفتوحًا قليلًا، ربما تحتاجين إلى العودة مرة أخرى".

اعتبرت بوبي افتراض الحارس أنها ستحاول الخروج مرة أخرى بمثابة رسالة تشجيع داعمة؛ لذلك نظرت إليها باهتمام للمرة الأولى، كان أرضيًّا قصيرًا لكنه ذو بشرة داكنة جميلة لدرجة أنها بدت زرقاء تقريبًا، يمتاز ببنية رياضية مُكتنزة مع عينين رماديتين ساحرتين. ابتسم لها دون أي أثر للسخرية منها.

قالت: "شكرًا لك، أنا بوبي، بوبي درابر".

ردَّ عليها: "وأنا تشاك. انظري إلى الأرض ثم ارفعي رأسك ببطء نحو الأفق، مهما يكن، لا تنظري لأعلى مباشرةً".

أجابت: "أعتقد أنني سأهتم بذلك هذه المرة، تشاك، شكرًا جزيلًا لك".

ألقى تشاك نظرة سريعة على زيها العسكري، وقال لها مداعبًا: "حافظي على إيمانك للأبد، أيتها الرقيبة المدفعية".

ردّت بوبي بابتسامة ثم صاحت بصرخة مشاة البحرية الشائعة: "أوورا"

عندما حاولت الخروج مرةً ثانية، التزمت بما أوصاها به تشاك. نظرت إلى الأرض لبضع لحظات أولًا، وقد ساعد ذلك في تقليل الشعور بالحمل الحسي الزائد، ولكن على نحوٍ قليل فحسب. عبرت آلاف الروائح أنفها، الرائحة المُشبعة بالنباتات والتربة، وقد

سبق لها أن اختبرت تلك الرائحة في القباب، بالإضافة إلى رائحة الزيوت والمعادن الساخنة التي تنبعث من المصانع والمختبرات، فضلًا عن رائحة أوزون المحرِّكات الكهربائية. اجتمعت كل تلك الروائح مع بعضها واختلطت برائحة أخرى غريبة يصعب التعرُّف عليها، ثم شق مزيج تلك الروائح طريقه ليغزو أنفها في وقتٍ واحد. بينما كانت الأصوات حولها شاذًا متواصلًا، حديث الناس الصاخب، وضجيج آلات البناء، والسيارات الكهربائية مع صوت إقلاع مكوك عابر للمدارات. كل تلك الأصوات تنطلق في وقتٍ واحد ودونما انقطاع، فلا غرو أن تُسبِّب تلك الأجواء نوبة هلع. مثَّلت تلك الأحاسيس تهديدًا خطيرًا عليها؛ لأنها قد تجتاحها تمامًا؛ فتفقد وعيها. أضِف إلى ذلك مشهد تلك السماء الزرقاء الهائلة التي تمتد إلى ما لا نهاية..

وقفت بوبي في الخارج تتنفَّس وعيناها مُغمضتان حتى سمعت تشاك يُغلِق الباب خلفها. لم يعد هناك مفر، عليها أن تتماسك؛ لأنها إذا استدارت وطلبت من تشاك السماح لها بالعودة مرة أخرى، سيكون ذلك اعترافًا منها بالهزيمة. من الواضح أنه خدم لبعض الوقت ضمن قوات مشاة البحرية التابعة للأمم المتحدة، ولن تقبل بالظهور في موقف ضعف أمامه. بالطبع لا.

عندما اعتادت أذناها وأنفها ذلك الوابل من الأصوات والروائح، فتحت عينيها مرة أخرى ناظرةً إلى خرسانة الممشى، ثم رفعت عينيها شيئًا فشيئًا حيث الأفق، رأت أمامها مساراتٍ طويلة ممتدة تقطع مساحات خضراء مُشذَّبة. ثم رأت من بعيد جدارًا رماديًّا يبلغ ارتفاعه عشرة أمتار تعلوه أبراج حراسة منتشرة على طوله بالتساوي. تمتَّع مجمع الأمم المتحدة بقدر مذهل من التنظيم الأمني، تساءلت عما إذا كانت ستستطيع الخروج من هناك.

لم يكن هناك ما يدعوها للقلق، فعندما اقتربت من البوابة الخاضعة للحراسة والتي تفصلها عن العالم الخارجي، استعلم عن جهازها، وسرعان ما أكَّد النظام الأمني أنها تتمتَّع بوضع كبار الزوار، وقامت الكاميرا المُعلَّقة فوق نقطة الحراسة بمسح وجهها ومقارنتها بالصورة الموجودة في الملف، وبالفعل تحقَّقت من هويتها رغم أنها ما تزال على بعد عشرين مترًا من البوابة. وعندما وصلت إلى المخرج أدّى لها الحارس تحيةً عسكرية رفيعة، وعرض عليها توصيلها لأي مكان ترغب في الذهاب إليه.

ردّ عليه: "لا، أرغب فقط في برهة سيرًا على الأقدام"

ابتسم لها الحارس، وتمنّى لها يومًا طيبًا. بدأت بوبي تسير في الشارع الذي يبتعد عن مجمع الأمم المتحدة، ثم استدارت لترى اثنين من حراس الأمن المُسلّحين يتبعانها على مسافة آمنة. هزّت كتفيها ومضت في طريقها. من المحتمل أن يفقد أحد هؤلاء الحراس عمله الأمني إذا فُقد شخصٌ مُهمٌّ مثلها أو أُصيب بأيِّ أذى.

بمجرد خروج بوبي من مجمع الأمم المتحدة، انحسر رهابها من الأماكن المكشوفة، وقد ارتفعت المباني حولها مثل تلك الجدران المبنية من الفولاذ والزجاج والتي طال ارتفاعها في الأفق حتى كادت تقارب السماء لدرجة أن بوبي لم تستطع رؤية مداها. وانطلقت السيارات الكهربائية الصغيرة في الشوارع مُصدِرةً صيحات عالية الحدَّة، كما انبعثت منها رائحة الأوزون، وقد انتشر الناس من حولها في كل مكان.

سبق لـ بوبي أن حضرت بعض مباريات فريق الشياطين الحُمر في استاد أرمسترونج على كوكب المريخ، كان الملعب يتسع لعشرين ألف مُتفرّج. ولكن نظرًا لأن فريق الشياطين كان عادةً في قاع الترتيب، فقد كان الجمهور يحتل أقل من نصف تلك السعة في أغلب الأحيان. وكان هذا العدد المتواضع نسبيًّا أكبر عدد من البشر رأته بوبي في مكانٍ واحد في وقتٍ واحد. وبالرغم من وجود مليارات البشر على سطح المريخ، فإنه لم يكن هناك الكثير من المساحات المفتوحة التي تتيح تجمُّعهم. وقفت بوبي عند مفترق طرق، ونظرت إلى شارعين يبدو أنهما يمتدان إلى ما لا نهاية، وتيقّنت من أن عدد الأشخاص الذين يسيرون على ذلك الرصيف فقط في تلك اللحظة يتجاوز متوسط حضور مباريات فريق الشياطين الحمر. حاولت أن تتخيَّل عدد الأشخاص الموجودين في تلك المباني الشاهقة التي تُحيط بها من جميع الجوانب، ولكنها لم تستطع ذلك. بالتأكيد يوجد ملايين البشر في المباني والشوارع التي يمكن أن تراها فقط.

إذا كانت الدعاية التي يروِّجها المريخيون صحيحة، فإن معظم من تراهم الآن عاطلون عن العمل. حاولت أن تتخيَّل كيف سيكون الحال إذا لم يكن لدى الشخص وجهة مُحدَّدة ينوي الذهاب إليها يوميًّا.

اكتشف الأرضيون أنه إذا لم يكن لديهم ما يفعلونه، فليُنجبوا أطفالًا. لفترة وجيزة خلال القرنين العشرين والحادي والعشرين، بدا معدل السكان وكأنه آخذٌ في

الانخفاض بدلًا من الارتفاع. فمع تزايد عدد النساء اللائي التحقن بالتعليم العالي، ومن ثم خرجن إلى سوق العمل، انخفض متوسط عدد أفراد الأسرة.

استغرق الأمر بضعة عقود من الانكماش الحاد في العمالة؛ لإنهاء ذلك الاتجاه تمامًا.

أو ربما كان هذا فقط ما لقنوها إياه في المدرسة، تعلّمت أنه على كوكب الأرض فقط ينمو الطعام من تلقاء نفسه، والهواء مجرد منتج ثانوي لنباتات عشوائية لا تحتاج إلى رعاية. كوكب الأرض حيث تتراكم الموارد في كلّ مكان، ويمكن لأيِّ شخصٍ أن يختار عدم القيام بأيِّ شيءٍ على الإطلاق، وفي المقابل أنتج أولئك الذين شعروا بالحاجة إلى العمل أكثر من اللازم بحيث كان الفائض منهم كافيًا لإطعام الآخرين. لم يعد العالم مُقسَّمًا بين الأغنياء والفقراء، بل بين الملتزمين بالعمل واللامباليين.

لم تشعر بوبي بنفسها إلا وهي واقفة بجوار أحد مقاهي الرصيف، دخلت وجلست.

سألتها شابة مبتسمة ذات شعر مصبوغ باللون الأزرق الفاتح: "هل أُحضر لكِ شيئًا؟"

"ما أفضل شيءٍ لديكم؟"

أجابت الشابة: "نصنع أفضل شاي بحليب الصويا، إذا كنت تفضلينه".

قالت بوبي: "بالتأكيد، نعم" بالرغم من أنها لا تعرف ماهية خليط الشاي بحليب الصويا؛ لكنها كانت تحب الخيارين بشكلٍ منفصل؛ لذلك فضَّلت المجازفة.

ابتعدت الفتاة ذات الشعر الأزرق وبدأت في التحدُّث مع شابٍّ صغير خلف البار. نظرت بوبي حولها، ولاحظت أن جميع العاملين في هذا المكان في العمر نفسه تقريبًا.

عندما أحضرت الفتاة الشاي، قالت بوبي: "مهلًا، هل تمانعين إذا سألتكِ سؤالًا؟"

هزت الفتاة كتفيها، وابتسمت مُرحبةً بجميع الأسئلة.

"هل كل من يعمل هنا في العمر نفسه؟"

أجابت الفتاة: "أجل، ولكن يمكن أيضًا أن يكون أكبر أو أصغر قليلًا، لقد حصلتِ على اجتهادات ما قبل جامعية، أليس كذلك؟"

أجابت بوبي: "أنا لست من هنا، اشرحي لي ماذا تقصدين، رجاءً!"

بدت الفتاة الزرقاء تلتفت إليها وكأنها تراها لأول مرة، حدّقت في زيها وشاراتها المختلفة: "آه، يا للعجب، أنتِ من المريخ، أليس كذلك؟ أريد الذهاب إلى هناك".

أجابت بوبي: "إنه لشيءٌ عظيم، مرحبًا بكِ، ولكن أخبريني ما هذه الاعتمادات!"

تساءلت في حيرة: "ألا يوجد اعتمادات على المريخ؟ حسنًا، إذا تقدّمت إلى إحدى الجامعات، فيجب أن يكون لديك اعتمادات عملية لمدة عام على الأقل، فبهذه الطريقة يتأكّدون من أنكِ حريصة على العمل كما تعرفين؛ ومن ثَمَّ لا يضيعون مكانًا شاغرًا في الفصول الدراسية على أشخاصٍ سيعيشون على الأساسيات بعد ذلك".

"وما الأساسيات؟"

أجابت الفتاة: "الدعم الأساسي، كما تعرفين".

ردَّت بوبي: "أعتقد أنني فهمت، الدعم الأساسي هو المال الذي تعيش عليه إذا لم تعمل؟"

أجابت الفتاة: "لا ليس المال، بل فقط الأساسيات. فلتحصل على المال؛ عليك أن تعمل".

ردَّت بوبي: "شكرًا جزيلًا لكِ"، ثم ارتشفت الشاي بحليب الصويا بينما هروَلت الفتاة الزرقاء إلى طاولةٍ أخرى. كان مذاق الشاي لذيذًا حقًّا. عليها أن تعترف رغم حزنها أنه من المنطقي أن يقوموا ببعض التذرية المُبكِّرة قبل إنفاق الموارد لتعليم الناس. طلبت بوبي من جهازها اللوحي دفع الفاتورة بعد أن اطَّلعت على المبلغ الإجمالي بعد حساب سعر الصرف كما أضافت بقشيشًا جيدًا لتلك الفتاة ذات الشعر الأزرق التي تعمل؛ لأنها تريد لحياتها مستقبلًا أفضل من الاكتفاء بالدعم الأساسي.

تساءلت بوبي عما إذا كان الأمر سينتهي بالمريخ على هذا النحو بعد الانتهاء من عمليات الاستصلاح، في حال لم يضطر سكان المريخ للتقاتل يوميًّا للحصول على الموارد التي يحتاجون إليها للبقاء على قيد الحياة؟ هل ستسود هذه الثقافة؟ حيث يمكنك أن تختار إذا كنت تريد الإسهام أم لا. لقد اعتبر ذلك النظام أن التخلُّص من ساعات العمل والذكاء الجمعي لخمسة عشر مليار إنسان بمثابة خسائر مقبولة. حزنت بوبي لمجرد التفكير في الأمر. هل كان كل هذا الجهد المبذول على المريخ للوصول أخيرًا إلى

تلك النقطة التي تتيح لهم العيش على هذا النحو الذي يعيشه الأرضيون؟ إرسال الفتية والفتيات للعمل في المقاهي من أجل تحديد ما إذا كانوا مستعدين للإسهام في المجتمع أم لا، وإذا لم يكونوا كذلك، فعليهم القبول بأن يعيشوا بقية حياتهم على فُتات الدعم الأساسي.

ولكن ثمة شيء واحد مؤكد. كل تلك السباقات والتدريبات الرياضية الشاقة التي خاضها مشاة البحرية المريخية ببسالة كانت هراءً. فليس هناك أيّ طريقة تُمكِّن المريخيين من التغلُّب على الأرضيين على أرض الواقع، حتى لو أطلقوا العنان لجميع الجنود المريخيين المُدجَّجين بالأسلحة، ونزلوا إلى مدينة واحدة من مدن الأرض؛ فسيقهرهم المواطنون الأرضيون باستخدام الحجارة والهراوات.

في أعماق قبضة الرثاء المُحكمة، شعرت فجأةً بأثقال هائلة تنزاح عن صدرها، ولم تكن حتى تدرك أنها كانت تحملها، لم تعد تحفل بثورسون وأكاذيبه، لا يهمها الآن الانتصار في تلك الصراعات التافهة بين المريخ والأرض التي تُشبه مسابقات التبوُّل، لا يشغلها إذا تحوَّل كوكب المريخ إلى كوكب أرض آخر، ليس إذا كان كل شيء سينتهي إلى المصير نفسه.

كل ما يهمها الآن أن تعرف من الذي زرع ذلك المخلوق في جانيميد.

شربت ما تبقّى من الشاي وفكرت قليلًا ثم قالت لنفسها: "سأحتاج إلى توصيلة الآن".

الفصل السادس عشر

هولدن

خلف الباب، كان هناك ممر طويل يبدو، بالنسبة إلى هولدن، تمامًا مثل باقي ممرات جانيميد الأخرى، حيث رأى جدرانًا جليدية وألواحًا هيكلية عازلة للرطوبة وأنابيب داخلية ومسارات مشي مطاطية، بالإضافة إلى مصابيح ليد ذات الطيف الكامل لمحاكاة ضوء الشمس المائل إلى الأسفل من سماء الأرض الزرقاء. يمكن أن يكونوا في أيِّ مكان آخر من جانيميد، ولم يصلوا إلى وجهتهم بعد.

تساءل هولدن: "هل أنتِ متأكدة من أننا نسير في الاتجاه الصحيح، يا ناعومي؟"

أجابت: "هذا هو الباب الذي رأينا مَي تمر من خلاله في لقطات فيديو الفتى المُخترِق".

ردَّ هولدن: "حسنًا"، ثم جثا على ركبةٍ واحدة، وأشار إلى فريقه، المُخصَّص لتلك المهمة فقط، ليحذوا حذوه، حتى أخذ الفريق شكل دائرة، ثم قال: "مُنسِّقة أعمالنا، ناعومي، لديها بعض المعلومات عن هيكل هذه الأنفاق، ولكنها لا تمتلك الكثير من المعلومات الأخرى؛ لذلك ليس لدينا أيّ فكرة عن مكان وجود هؤلاء الأشرار، ولا نعرف حتى إذا كانوا ما يزالون هنا أم غادروا المكان".

بدأ براكس في الاعتراض، ولكن أموس أسكته بمجرد أن وضع يده الثقيلة على ظهره.

تابع: "لذلك؛ يمكننا تصوُّر وجودهم في الكثير من تقاطعات المسارات الخلفية. رغم أنه لا يروقني ذلك".

قال ويندل زعيم بينكواتر: "وأنا لا يروقني ذلك أيضًا".

أجاب هولدن: "لذلك، سنضع حارس مراقبة عند كل تقاطع حتى نعرف إلى أين نحن ذاهبون"، ثم استطرد قائلًا: "ناعومي، قومي بتوصيل جميع أجهزتهم اللوحية بقناة

اتصالنا يا رفاق، ضعوا سماعات الأذن، والتزموا بقواعد قناة الاتصال بصرامة: لا تتحدَّث إلا إذا طرحت عليك سؤالًا مباشرًا، أو كان شخصٌ ما على وشك الموت".

صاح ويندل: "عُلم، أيها القائد"، وردَّد باقي أعضاء فريقه الصيحة.

"بمجرد أن نجد ما نبحث عنه، سأنادي كل الحراس المرافقين إلى موقعنا إذا لزم الأمر، أما إذا لم يكن الأمر كذلك، فهم سبيلنا للخروج من هنا إذا تعقَّدت الأمور".

أومأ الجميع استجابةً لما يقول.

قال هولدن: "ممتاز. أموس سيكون الدليل، بينما ويندل سيغطي ظهورنا أما الآخرون فسينتشرون على مسافات متقاربة"، ثم نقر على درع ويندل قائلًا: "نحن نؤدي عملًا نبيلًا، وسأتحدث إلى معارفي في (أوبا) حول وضع بعض الائتمانات في حساباتكم بالإضافة إلى إخراجكم من جانيميد".

قالت المرأة النحيفة ذات الدرع الرخيصة: "أنت رجل شريف"، ثم أدخلت الذخيرة في بندقيتها الآلية.

"حسنًا، هيا بنا نذهب. أموس، تخبرنا خريطة ناعومي أنه على بعد خمسين مترًا، سنجد باب ضغط آخر، ثم مستودعًا".

أومأ أموس برأسه، ثم حمل سلاحه على كتفيه، وهو بندقية آلية ثقيلة ذات ذخيرة سميكة، كان لديه العديد من مخازن الذخيرة والقنابل اليدوية التي تتدلَّى من حزام الدرع المريخي الذي يتقلَّده. اصطك المعدن قليلًا عند سيره، ثم تقدَّم أسفل الرواق بوتيرة سريعة. ألقى هولدن نظرةً خاطفة خلفه، وابتهج لرؤية فريق بينكواتر يواكبون الوتيرة السريعة ويتباعدون بعضهم عن بعض، قد يبدون جائعين قليلًا، ولكنهم يعرفون ما يفعلون.

قال أموس: "أيها القبطان هناك نفق ينطلق إلى اليمين قبل باب الضغط مباشرة"، ثم توقَّف وانحنى على ركبة واحدة لتغطية الممر غير المُتوقّع

لم يظهر ذلك على الخريطة، وهذا يعني أن هناك أنفاقًا جديدة قد حُفِرت منذ آخر تحديث لخريطة المحطة، تُشير مثل هذه التعديلات التي طرأت مؤخرًا أن هولدن لديه معلومات أقل مما كان يعتقد، وهذه ليست علامة جيدة على الإطلاق.

قال هولدن مُشيرًا إلى المرأة النحيلة التي تحمل البندقية الآلية: "حسنًا، أنت؟"

أجابته: "باولا".

قال: "باولا، هذا هو تقاطعك. حاولي ألا تطلقي النار على أيِّ شخصٍ لم يبادر بإطلاق النار عليكِ، لكن لا تدعي أيّ شخصٍ يمر من هنا لأي سببٍ من الأسباب".

أجابت باولا: "عُلم ويُنفذ". ثم اتخذت موقعًا يكشف أسفل الممر الحاسبي، ووقفت مُمسكةً بسلاحها على أهبة الاستعداد.

سحب أموس قنبلة يدوية من حزامه وسلّمها لها. قال: "لا تستخدميها إلا إذا ساءت الأمور"، أومأت باولا برأسها، وأسندت ظهرها إلى الحائط. عاد أموس إلى مكانه في المقدمة، وتحرَّك نحو باب الضغط.

قال هولدن، وهو ينظر إلى الباب وآلية القفل: "ناعومي، حسنًا، باب الضغط ب٦-٢٢٣، افتحيه الآن".

أجابت ناعومي: "مفهوم"، وبعد ثوانٍ قليلة، سمع هولدن صوت الترابيس وهي تتحرك.

قال: "التقاطع التالي على الخريطة على بعد عشرة أمتار"، ثم نظر إلى فريق بينكواتر، وأشار بشكل عشوائي إلى رجلٍ عجوز متجهِّم الملامح: "هذا هو تقاطعك، ابقَ هناك حتى نصل إليك".

هزَّ الرجل رأسه مُستجيبًا، وأشار هولدن إلى أموس؛ ليُمسك الميكانيكي بالباب بيده اليمنى ويبدأ العد التنازلي من خمسة بيده اليسرى. اتخذ هولدن موقعًا مواجهًا للباب وبندقيته الهجومية على أهبة الاستعداد.

عندما وصل أموس في العد إلى رقم واحد، أخذ هولدن نفَسًا عميقًا واقتحم الباب بعدما فتحه أموس بجزءٍ من الثانية.

لا شيء.

وجدوا أمامهم مجرد ممر آخر يبلغ طوله عشرة أمتار، وقد أُضيء إضاءةً خافتة بعددٍ قليل من مصابيح ليد التي لم يُطفأ نورها رغم استخدامها لعقودٍ من الزمن. أسهمت كل تلك السنوات من دوران الصقيع متناهي الصغر في غزل نسيج على سطح الجدران يشبه

خيوط شبكة العنكبوت المكان يبدو حساسًا ولكنه في الوقت نفسه مُعقد وصلب مثل الحجارة، شعر هولدن وكأنه في مقبرة.

تقدّم أموس نحو التقاطع والفتحة التالية، صوّب بندقيته أسفل الرواق، تبعه هولدن، وحرّك بندقيته يمينًا بينما كان يستهدف الممر الجانبي؛ لتغطية كل نقطة وصول محتملة إلى موقعهم، فعل ذلك تلقائيًّا مسترشدًا بحسه الأمني الذي اكتسبه خلال العام الماضي.

ذلك العام الذي كان فيه ضابطًا.

قالت ناعومي أن هذا ليس هولدن الذي تعرفه، لقد ترك البحرية دون أن يرى قتالًا مباشرًا، كل ما رآه هو اصطياد القراصنة من طابق عمليات مركبة حربية. كان يعمل لسنواتٍ في (كانتربيري) ينقل الجليد من زحل إلى الحزام دون أن يضطر أبدًا إلى القلق بشأن شيءٍ أكثر عنفًا من حاملي الجليد السكارى الذين يقاومون مللهم ببعض النزق، لقد كان صانع السلام، ذلك الشخص الذي يحافظ دائمًا على برودة الأمور، حتى عندما يشتعل الغضب، كان يحافظ على هدوئه أو يأخذ الأمور على محمل الهزل أو ربما اكتفى بالجلوس قليلًا؛ للاستماع إلى شخصٍ يهذي ويصرخ مُنفِّسًا عن غضبه.

لقد تحوّل إلى شخصٍ جديد الآن، يحمل سلاحه أولًا ثم يطرح الأسئلة فيما بعد، ربما كانت ناعومي على حق. كم عدد المركبات التي هاجمها في العام منذ حادثة إيروس؟ العشرات؟ ربما أكثر؟ لقد أراح هولدن ضميره بفكرة أن هذه المركبات كانت تحمل الكثير من الأوغاد، بل حثالة البشر حيث استغلوا فوضى الحرب وانسحاب قوات البحرية الائتلافية كفرصة للنهب. هؤلاء الحثالة هم من يُجرِّدون مُحرِّك مركبتك من جميع الأجزاء باهظة الثمن، هم من يسرقون ما تمتلك من أجهزة إعادة تدوير الهواء ثم يتركونك هائمًا بلا هواء؛ لتختنق في النهاية. ربما يكون هولدن قد أنقذ مئات الأرواح وعشرات المركبات البريئة بتدمير كل واحدة من مركبات هؤلاء القراصنة، ولكن قيامه بذلك سلب منه جزءًا من طبيعة شخصيته، أصبح يفتقده ويحنّ إليه في بعض الأحيان.

بعض الأحيان مثل تلك المرة التي قالت له ناعومي. أنت ليس هذا الرجل يا هولدن.

إذا تعقّبوا موقع القاعدة السرية التي نُقلت إليها مي، فهناك فرصة كبيرة أن يطلقوا النيران لاستعادتها. ألفى هولدن نفسه يأمل في أن يكون هذا الخيار غير مريح بالنسبة لك، على الأقل ليشعر بأنه لم يتغيَّر كثيرًا إلى هذا الحد

حدّق أموس به قائلًا: "هل أنت بخير أيها القبطان؟"

أجاب هولدن: "نعم، ولكنني بحاجة إلى العمل في وظيفة مختلفة عن ذلك الهراء".

ردّ عليه أموس مُتهكِّمًا: "قد لا يكون الوقت مناسبًا لتغيير مسارك المهني الآن، أيها القبطان".

أجاب هولدن: "هذه وجهة نظر وجيهة حقًّا" ثم أشار إلى العجوز من فريق بينكواتر الذي خصّه بالذكر سلفًا: "تذكَّر هذا هو تقاطعك، التزم بالتعليمات السابقة، لا تغادر نقطتك ما لم نناد عليك".

هزَّ الرجل الأكبر كتفيه وأومأ برأسه ثم التفت إلى أموس قائلًا: "ألن تمنحني قنبلة يدوية أيضًا؟"

أجاب أموس: "كلا، باولا أجمل منك بكثير"، ثم قام بالعد التنازلي من خمسة، واقتحم هولدن الباب كما حدث في المرة السابقة.

كان يتوقَّع أن يجد ممرًّا رماديًّا آخر من تلك الممرات عديمة الملامح، ولكن على الجانب الآخر كانت هناك مساحة ممتدة مع عدد قليل من الطاولات والمعدات المُغبَّرة التي انتشرت بشكل عشوائي في جميع أنحاء الغرفة. رأى طابعة ضخمة ثلاثية الأبعاد مُفكَّكة جزئيًّا وتم تفريغها من المادة الصمغية، بالإضافة إلى بعض المُجسمات الصناعية البسيطة مع درج التلقيم الآلي النموذجي الذي يُوضع عادةً تحت المكاتب في المختبرات العلمية والأجنحة الطبية. كما كانت هناك شبكة عنكبوتية مُعدنة على الجدران لكن لم يرَ عليها أيّ صناديق أو معدات مُعلَّقة، رأى فقط على بعد مترين في إحدى زوايا الغرفة مكعبًا ذا جدرانٍ زجاجية كما كانت هناك حزمة صغيرة من الأوراق أو الأقمشة مُكدسةً على إحدى الطاولات. وفي آخر الغرفة وجد كُوّة أخرى ولكنها مُغلقة.

أشار هولدن إلى المعدات المهجورة وقال لـ ويدل: "انظر ما إذا كان يمكنك العثور على نقطة وصول للشبكة، وإذا استطعت قم بتوصيل هذا"، وسلَّمه مُوصِّلًا كانت ناعومي قد أمدَّته به على عجل قبل الخروج إلى العملية.

أرسل أموس اثنين من أفراد فريق بينكواتر المتبقين؛ لتغطية تلك الكُوّة، ثم عاد إلى هولدن وأشار بسلاحه نحو المكعب الزجاجي

قال: "صندوق كبير بما يكفي لوضع طفلين به، هل تعتقد أن هذا هو المكان؟"

أجاب هولدن وهو يقترب من الصندوق لفحصه: "ربما، براكس، أيمكنك أن ..."، ثم توقَّف قليلًا عندما لاحظ أن عالم النبات قد ابتعد تجاه الطاولات ووقف بجانب كومة من الأسمال البالية، عند رؤية براكس واقفًا هناك، تغيَّر منظور هولدن، وفجأة بدا له أنها ليست كومة من الأسمال البالية على الإطلاق، بل إنها تُشبه إلى حد كبير جسمًا صغيرًا مُلفوفًا بملاءة.

حدَّق براكس في هذا الجسم واتجهت يده نحوه ثم تراجع قبل أن يلمسه، كان جسده كله يرتجف.

قال دون أن يُوجِّه كلامه لأيِّ شخص: "هذا... هذا..."، وتحرَّكت يداه ذهابًا وإيابًا.

نظر هولدن إلى أموس، ثم أشار إلى براكس بعينيه، تقدَّم الميكانيكي الضخم ووضع يده على ذراعه قائلًا: "ما رأيك أن نلقي نظرة على ذلك، موافق؟"

ترك هولدن أموس يسحب براكس بعيدًا عن الطاولة قليلًا قبل أن يتحرَّك إليها، وعندما رفع الملاءة ليرى ما تحتها، أصدر براكس ضجيجًا يشبه التنفس الذي يسبق الصراخ، تقدَّم هولدن ووقف أمام براكس حتى يحجب عنه رؤية المنظر.

تحت الملاءة، كان يستلقي على الطاولة صبي نحيف الجسم ذو شعرٍ أسود مُجعَّد وبشرة داكنة، وقد ارتدى ملابس زاهية: سروالًا أصفر وقميصًا أخضر رُسم عليه صورة تمساح وأقحوان، ولم يمكن تخمين سبب مقتله بالعين المُجرَّدة.

سمع هولدن صرخة، واستدار ليرى براكس ممتقع الوجه، ويقاوم أموس لكي يصل إلى الطاولة، قيَّده الميكانيكي بقبضته التي تراوحت ما بين قوة قبضة المصارعة وشفقة ضمة التعزية.

قال هولدن: "إنها ليست ابنتك، إنه طفل، ولكنه ليس مي، صبي في الرابعة أو الخامسة من عمره".

عندما سمع أموس ذلك، أفلت قبضته وترك براكس المُقاوم يذهب، اندفع عالم النبات إلى الطاولة، ورفع الملاءة، ثم أطلق صرخة مُدوِّية.

قال براكس: "إنه كاتوا، أنا أعرف هذا الصبي، والده."...

كرّر هولدن: "لكنه ليس مَي"، وربّت على كتف براكس ثم قال: "علينا أن نواصل البحث".

أزاح براكس يد هولدن عن كتفه.

أعاد هولدن قوله: "إنه ليس مَي".

ردَّ براكس: "لكن ستريكلاند كان هنا، كان طبيبها، كنت أعتقد أنه إذا كان معهم هنا، فإنهم."...

لم ينطق هولدن، كان يفكر في الشيء نفسه، إذا مات أحد الأطفال فهذا يعني أن جميعهم قد ماتوا .

تابع براكس: "كنت أعتقد أنه إذا كان معهم هنا فإنهم سوف يبقون على قيد الحياة، لكنهم تركوا كاتوا يموت، تركوه يموت وكفنوه بهذه الملاءة، باسيا، أنا آسف جدًّا."...

أمسك هولدن براكس وحوَّله نحوه، بالطريقة التي تخيَّل أن أيَّ شرطي سيتصرف بها:

قال مُشيرًا إلى الجسم الصغير على الطاولة: "هذا ليس مَي، هل تريد أن تعثر عليها حقًّا؟ علينا أن نواصل البحث إذن".

اغرورقت عيناه بالدموع، وارتجف كتفاه في تشنُّجات صامتة، ولكنه أومأ برأسه وابتعد عن الطاولة. راقبه أموس باهتمام، كان تعبير الميكانيكي غير مفهوم، ولم يسع هولدن سوى التفكير: آمل أن يهتدي براكس إلى الصواب.

جاء ويندل من آخر الغرفة وأصدر صفيرًا ثم لوَّح بيده وأشار إلى جهاز الوصول إلى شبكة ناعومي، الذي تم توصيله بمنفذ في الحائط، ورفع إبهامه لأعلى.

تساءل هولدن: "ناعومي، هل أنت معنا؟" بينما كان يسحب الملاءة للخلف لتغطية الصبي الميت.

أجابت ناعومي بنبرة مُشتَّتة لانشغالها بفحص البيانات الواردة: "نعم، أنا هنا، تم تشغيل إمكانية الوصول إلى هذه الشبكة. أحاول الوصول عبر أجهزة

(سومنامبوليست)، ولكنها ليست ذكية مثل أجهزة (روسينانت)، هذا يمكن أن يستغرق العمل بعض الوقت".

ردَّ هولدن: "استمري في المحاولة"، ثم أشار إلى أموس قائلًا: "ولكن إذا كانت هناك حركة مرور على هذه الشبكة، فهذا معناه أن شخصًا ما ما يزال هنا".

قالت ناعومي: "إذا انتظرت دقيقة، فقد أتمكن من الحصول على مقاطع الفيديو من كاميرات المراقبة بالإضافة إلى خرائط أحدث".

ردَّ هولدن: "زوِّدينا بكل ما تستطيعين الوصول إليه مباشرةً، ولكننا لن ننتظر".

تحرَّك أموس نحو هولدن ونقر على حاجب خوذته، بينما وقف براكس وحيدًا بجانب المكعب الزجاجي، يُحدِّق بداخله كما لو كان هناك شيء يمكنه رؤيته، توقَّع هولدن أن يقول أموس شيئًا عن الرجل، ولكن أموس فاجأه قائلًا:

"هل لاحظت درجة الحرارة، أيها القبطان؟"

أجاب هولدن: "نعم، في كل مرة أفحصها أجد الأجواء باردة مثل الزمهرير".

تابع أموس: "لقد كنت بجانب الباب للتو، لقد ارتفعت الحرارة حوالي نصف درجة".

فكَّر هولدن في ذلك للحظة، وفحص الحرارة مرة أخرى على شاشة عرض المعلومات الخاصة به، ثم نقر بأصابعه على فخذه.

"هناك أجهزة تكييف في الغرفة المجاورة، إنهم يُسخِّنونها".

أجاب أموس: "يبدو الأمر كذلك"، وأمسك بندقيته الآلية الكبيرة في كلتا يديه ضاربًا باحتياطات الأمان عرض الحائط.

استدعى هولدن باقي أفراد فريق بينكواتر:

"يبدو أننا قد وصلنا إلى الجزء المأهول من هذه القاعدة، سأكون أنا وأموس في المقدمة، وأنتم الثلاثة..."، وأشار إلى ثلاثة عناصر من بينكواتر ليس من بينهم ويندل، ثم تابع: "اتبعونا وغطوا أجنحتنا، بينما أنت يا ويندل، غطِّ ظهورنا، ووفِّر لنا خروجًا آمنًا إذا ساءت الأمور، أما أنت يا براكس..."

توقَّف هولدن بحثًا عن عالم النبات. لقد تسلّل بهدوء إلى الغرفة المجاورة. لقد أخرج من جيبه السلاح الذي أعطاه إياه أموس، وبينما كان هولدن يراقبه، مدّ يده وفتح الباب، ثم اقتحم دون تريُّث.

قال أموس مُعاتبًا نفسه: "تبًّا لي"

صاح هولدن. "اللعنة! تعال، تعال، تعالَ" بينما كان براكس يندفع نحو الباب المفتوح.

قبل أن يصل هولدن إلى الكُوّة، سمع براكس يهتف بصوتٍ عالٍ ولكنه مرتعش: "لا تتحرَّكوا!"

اقتحم هولدن الغرفة المجاورة متجهًا نحو اليمين، بينما دخل أموس خلفه مباشرةً واتجه يسارًا. وقف براكس على بعد بضعة أقدام من الباب، بدا منظر السلاح الأسود الكبير في قبضة يده الشاحبة غير منطقي على الإطلاق. وكانت الغرفة تتشابه إلى حدٍّ كبير مع تلك الغرفة التي غادروها للتو، باستثناء أن هذه الغرفة بها شرذمة من الناس. كانوا مُسلَّحين، حاول هولدن أن يتذكَّر جميع الأشياء التي يمكن اتخاذها كساتر. رأى نصف دزينة من صناديق التغليف الرمادية التي تشتمل على المعدات العلمية المُفكَّكة إلى أجزاءٍ مختلفة في جميع أنحاء الغرفة، كما كان هناك جهاز لوحي خاص بشخصٍ ما على مقعد ينبعث منه صوت موسيقى رقص صاخبة. وعلى أحد الصناديق وُضِعت الكثير من علب البيتزا المفتوحة وقد تم تفريغها من معظم الشرائح، والتي كان الكثير من هذه الشرائح ما يزال في أيدي هؤلاء الناس. حاول هولدن عدها: أربعة، ثمانية، اثنا عشر شخصًا، وقفوا شاخصين يتبادلون فيما بينهم النظر، وهم يتساءلون عما يجب فعله.

لقد ذكَّر هذا المشهد هولدن بالغرف المكتظة بالأشخاص الذين يأخذون استراحة غداء قصيرة قبل تحزيم أمتعتهم للتحرُّك، إلا أن جميع الأشخاص في هذه الغرفة يضعون جراب سلاح على جوانبهم، وقد تركوا جثة طفلٍ صغير تتعفّن في الغرفة المجاورة.

كرَّر براكس، ولكن هذه المرة بحدة أكبر: "لا تتحرَّكوا".

قال هولدن، وهو يمشِّط بفُوّهة بندقيته أركان الغرفة ببطء. "يجب أن تستجيبوا له"، ولإقناعهم بفعالية توجَّه أموس إلى أقرب شخصٍ منهم، وبلا مبالاة غرز مؤخرة بندقيته

الآلية في أضلاع الرحل حتى تهاوى على الأرض مثل كيسٍ من الرمل الرطب سمع هولدن صيحات فريق بينكواتر حلفه وهم يتحدون مواقع التغطية.

قال هولدن: "ويندل"، دون أن يحصص بندقيته، ثم أردف: "رجاءً، جرِّد هؤلاء الناس من أسلحتهم".

قالت امرأة ذات وجهٍ مُتصلِّب وفي يدها شريحة بيتزا: "لا، لا، لا أعتقد أنك ستفعل ذلك".

قال هولدن: "معذرةً، ماذا تقولين؟"

كرَّرت المرأة وهي تلتهم قضمة أخرى من البيتزا: "لا"، ثم قالت بفمٍ ممتلئ بالطعام: "أنتم سبعة فقط، إنما نحن اثنا عشر شخصًا في هذه الغرفة وحدها، وهناك الكثير منّا سيأتون إلى هنا بمجرد سماع أول طلقة نارية؛ لذا لا يمكنك نزع أسلحتنا".

ابتسمت المرأة ابتسامة سمجة في وجه هولدن، ثم التقمت قضمة أخرى. شمَّ هولدن رائحة الجبن والببروني للبيتزا الجيدة والتي غطت على رائحة جليد جانيميد ورائحة عرقه؛ مما جعل معدته تقرقر في وقتٍ غير مناسب على الإطلاق. صوَّب براكس سلاحه نحو المرأة، رغم أن يده كانت ترتعش بشدة في تلك اللحظة لدرجة أن المرأة لم تعبأ بالتهديد الذي يداهمها.

نظر أموس إلى هولدن بطرف عينه، وكأنه يسأله: "ماذا نفعل الآن، أيها القبطان؟"

دار في عقل هولدن أن الغرفة ستتحوَّل إلى مشكلة تكتيكية عويصة عند إحداث أيِّ حركة جسدية تقريبًا؛ لذا قسَّم الخصوم الأحد عشر المحتملين الذين ما يزالون صامدين إلى ثلاث مجموعات. لم يكن أيٌّ منهم يرتدي درعًا مرئيًّا. يكاد يكون مؤكَّدًا أن أموس سيستطيع إسقاط المجموعة الواقعة في أقصى اليسار، والتي تتكوَّن من أربعة عناصر عن ضربة واحدة من بندقيته الآلية. بينما كان هولدن واثقًا من قدرته على إسقاط الثلاثة الواقفين أمامه مباشرةً. إذن يتبقَّى أربعة عناصر سيتعامل معهم فريق بينكواتر. من الأفضل عدم الاعتماد على براكس في أيٍّ من هذه النِّزالات.

فرغ من حساب الخسائر المحتملة في أجزاء من الثانية، وتقريبًا بمحض إرادته، وضع إبهامه على بندقيته الهجومية؛ لتفعيل الوضع الآلي لإطلاق النيران.

هذا ليس أنت يا هولدن!

اللعنة!

قال. "لا يجب القيام بذلك، لن يُقتل أحد اليوم، نحن نبحث عن طفلة صغيرة، ساعدونا في العثور عليها، وسنخرج جميعًا من هذا المأزق بسلام"

استطاع هولدن أن يدرك أن ما يظهر على وجه المرأة من عطرسة وتظاهر بالشجاعة ليس أكثر من قناع، كان بإمكانه أن يرى مخاوفها الكامنة وراء ذلك القناع حيث كانت تُقدِّر الخسائر التي سيتكبَّدها فريقها مقارنةً بمخاطر التحدُّث حول ذلك الأمر ومعرفة إلامَ سيفضي في النهاية. ابتسم هولدن وأومأ لها؛ لمساعدتها على اتخاذ القرار. "تحدَّثي معي حول ذلك، جميع من هنا أناسٌ عقلانيون".

لكن يبدو أن ليس جميعهم عقلانيًّا.

فقد صرخ براكس قائلًا: "أين مَي؟"، ونكزها بالبندقية كما لو أنها ستفهم من إيماءاته أنه يستطيع ضربها عبر هذه المسافة ثم صاح: "أخبريني أين مَي؟"

بدأت المرأة تقول: "أنا..."، لكن براكس صرخ مُجدَّدًا: "أين ابنتي الصغيرة؟" ثم صوَّب بندقيته نحوها.

كما لو كان يشاهد فيلمًا بالحركة البطيئة، رأى هولدن إحدى عشرة يدًا تنطلق نحو أحزمة أسلحتهم.

"اللعنة."!

الفصل السابع عشر

براكس

لم يكن تصويب البندقية مجرد تهديد في الأفلام السينمائية والألعاب التي مثَّلت قاعدة معارف براكس حول كيفية تصرُّف الأشخاص الذين يمارسون العنف بل كانت إشارة إلى وضع نقطة فاصلة في القصة. قد يبدأ ضابط الأمن الذي يستجوب شخصًا ما بالتهديدات والصفعات، ولكنه عند يقوم بتصويب بندقيته، فمعنى ذلك أن الوقت قد حان لأخذ الأمر على محمل الجِد. لم يفكر براكس كثيرًا قبل اتخاذ قراره، ربما لم يستغرق الأمر منه وقتًا أطول من الوقت الذي يستغرقه لاختيار مبولة عندما لا يكون بمفرده في حمام عام أو الوقت الذي يستغرقه للصعود والنزول في مترو الأنفاق. حيث كان اتباع تلك القواعد جزءًا من حكمة لم يتعلمها من أحد، بل يفعلها بشكل بديهي. أن تصرخ، وتُهدِّد، وتُطلق النيران ثم يتحدَّث الناس.

صرخ براكس: "أين ابنتي الصغيرة؟"

ثم صوَّب سلاحه.

جاء رد الفعل فوريًّا تقريبًا: صوت طقطقة حادة ومتحشرجة مثل فشل صمام الضغط العالي، ولكن بصوتٍ أعلى، قفز إلى الوراء، وكاد أن يُسقِط السلاح من يده، هل أطلق النار عن طريق الخطأ؟ لكن لا، لم يلمس إصبعه الزناد، انتشرت في الهواء رائحة حمضية حادة. اختفت سيدة البيترا من أمامه. لا، بل كانت على الأرض، وقد أُصيب فكُّها إصابة رهيبة، كان يراقبها بينما بدأ فمها المُحطَّم يتحرَّك كما لو كانت تحاول الكلام. لم يسمع براكس سوى صرخة مزلزلة حتى تساءل براكس عما إذا كانت طبلة أذنه قد تمزقت. زفرت المرأة ذات الفك المُحطّم نفسًا طويلًا مُرتجفًا ثم لم تستنشق نفسًا آخر. شعورٌ بالانفصال. لاحظ أن المرأة سحبت مسدسها، وكانت ما تزال مُمسكة به في يدها،

لم يكن متأكّدًا متى فعلت ذلك، في حين انتقلت محطة تشغيل الموسيقى الراقصة إلى أغنية مختلفة جعلته يتخطّى طنين أذنيه

قال براكس: "أنا لم أُطلق النار عليها". بدأ صوته وكأنه في فراغٍ جزئي بهواء رقيق جدًّا بحيث لا يدعم طاقة الموجات الصوتية، ومع ذلك استطاع أن يتنفس. تساءل مرة أخرى عما إذا كان إطلاق النار قد مزّق طبلة أذنه. نظر حوله، لا أحد سواه في الغرفة، أو لا، ربما اختبأوا وراء الستائر، خطر له أن عليه أن يختبئ وراء ساتر هو الآخر، لكن لا أحد يطلق النار، ولم يكن يعرف إلى أين يذهب.

بدا صوت هولدن وكأنه يأتي من بعيد.

"أموس؟"

"نعم، أيها القبطان".

"هلا نزعت منه السلاح فورًا من فضلك؟"

"سأفعل".

ظهر أموس من خلف أحد الصناديق القريبة من الحائط، كان لدرعه المريخي رقعة شاحبة طويلة عبر الصدر ودائرتان بيضاوتان أسفل الضلوع مباشرةً، تقدَّم أموس نحوه وهو يعرج.

قال: "معذرةً يا دكتور، إعطاؤك السلاح كان قرارًا خاطئًا مني، ربما يتغيَّر الوضع في المرة القادمة، أليس كذلك؟"

نظر براكس إلى اليد المفتوحة للرجل الضخم، ثم سلَّمه السلاح بحذر.

نادى هولدن على ويندل، بينما كان براكس ما يزال غير واعٍ بما يدور حوله، وإن كان بدأ يستوعب قليلًا، من المحتمل أنه يستعيد سمعه شيئًا فشيئًا، وتغيَّرت الرائحة الحمضية المنتشرة في الهواء إلى رائحة النحاس، ذكَّرته الرائحة بأكوام السماد الفاسدة: رائحة دافئة عضوية كريهة.

قال ويندل: "هناك ضحية واحدة".

ردّ هولدن: "سوف نحضر طبيبًا".

قال ويدل. "فكرة جيدة، ولكن لا جدوى من ذلك؛ لنكمل مهمتنا، قتلنا معظمهم، لكن اثنين أو ثلاثة فقط فرّوا عبر الباب، سوف يدقون ناقوس الخطر"

نهض أحد جنود بينكواتر والدم يسيل على ذراعه اليسرى، بينما رقد آخر على الأرض ونصف رأسه مفقود، ظهر هولدن أخيرًا، كان يقوم بتدليك كوعه الأيمن، وقد تعرَّض درعه لصدعٍ جديد على الجانب الأيسر من خوذته، تحديدًا في ذروة صدعه

سأل براكس: "ماذا حدث؟"

أجاب هولدن: "لقد بدأت معركة بالأسلحة النارية، حسنًا دعونا نمضِ قدمًا قبل أن يتمكَّنوا من نصب الدفاعات".

لاحظ براكس المزيد من الجثث المتساقطة، الرجال والنساء الذين كانوا يأكلون البيتزا ويستمعون إلى الموسيقى، كان بحوزتهم مسدسات، ولكن أفراد هولدن يحملون بنادق آلية وبنادق هجومية وبعضهم كان يحمل دروعًا عسكرية، لم ينتبه براكس إلى الاختلاف في النتيجة.

قال هولدن: "أموس، خذ موقعك في المقدمة"، تقدَّم الرجل الضخم نحو المجهول عبر الباب، وتحرَّك براكس ليتبعه، وأمسك زعيم بينكواتر بكوعه.

قال: "لماذا لا تبقى معي يا أستاذ؟"

أجاب براكس: "نعم، سأفعل... حسنًا".

على الجانب الآخر من الباب، كان تصميم الغرف مختلفًا.

من الواضح أنهم ما زالوا في أنفاق جانيميد القديمة حيث كانت الجدران تحتوي على شبكتها العنكبوتية من الصقيع المعدني، والضوء ينبعث من مصابيح ليد القديمة، وعلى الجدران الرمادية يمكن رؤية الأماكن التي ذاب فيها الجليد وتجمّد مرة أخرى بسبب بعض الخلل في النظام المناخي قبل سنوات أو ربما عقود من الزمن، لكن السير عبر هذا المدخل كان مثل الانتقال من أرض الموتى إلى أرض الأحياء. أصبح الهواء أكثر دفئًا، وكانت تفوح منه رائحة الأجسام النظيفة، والتربة النقية، والرائحة الرائعة النفَّاذة لمطهِّر الفينول. لا تختلف القاعة الواسعة التي دخلوها عن الغرف المشتركة في أيٍّ من المعامل

الاثني عشر التي عمل فيها براكس من قبل، كانت هناك ثلاثة أبواب مكتبة معدنية مُعلقة على طول الجدار البعيد، وأمامها بوابة شحن معدنية قابلة للطي. سار أموس وهولدن نحو الأبواب الثلاثة المعلقة، وراح أموس يركل كلًّا منها بدوره حتى فُتح الثالث، صاح هولدن بشيءٍ ما، لكن كلماته ضاعت وسط أزيز الرصاص وصدع بندقية أموس.

توغّل الجنديان المتبقيان من بينكواتر -بدون ويندل- إلى الأمام، وأمالا ظهورهما على الجدار على جانبي بوابة الشحن.

اتجه براكس نحوهما، لكن ويندل وضع يده على كتفه لإيقافه. أدخل الرجل الموجود على الجانب الأيسر من الباب رأسه ثم سحبها على الفور، كادت الرصاصة تُصيبه ولكنها اخترقت الجدار تاركةً علامة مميَّزة.

سأل هولدن: "هل لديكِ شيء جديد الآن؟"، ظن براكس للحظة أنه يتحدَّث معهم، نظر هولدن نظرة حادة، وبدا العبوس وكأنه منحوت في جلده، ثم قالت ناعومي شيئًا ليبتسم، ولكنه كان حزينًا ومنهكًا.

"حسنًا، لدينا خريطة جزئية للمكان، على الجانب الآخر هناك غرفة مفتوحة منخفضة حوالي مترين مع وجود مخرجين حتى الساعة العاشرة والساعة الواحدة، لقد صُمّمت على شكل خندق؛ لذلك إذا كانوا يقومون بإعداد دفاعات هناك، فلدينا ميزة بكوننا على أرضية مرتفعة".

قال ويندل: "هذا يجعله مكانًا غبيًّا حقًّا لإقامة الدفاعات".

دوى صوت إطلاق نار، وظهرت ثلاثة ثقوب صغيرة في المعدن الخاص ببوابة الشحن، يبدو أن أولئك الذين هم على الجانب الآخر متوتِّرون حقًّا الآن.

قال هولدن: "ومع ذلك، فإن الأدلة تُشير إلى..."

قاطعه أموس: "هل تريد التحدُّث إليهم، أيها القبطان؟ أم نذهب مباشرةً إلى الحل الحتمي".

أدرك براكس أن السؤال يعني شيئًا أبعد من مستوى فهمه، يمكنه أن يُوضّح أكثر. بدأ هولدن يُهمهم بشيءٍ ما، ثم تردّد، وأومأ برأسه نحو المدخل

قال: "دعونا نُنجز ما بدأناه".

ركض هولدن وأموس نحو البوابة، وتبعهما براكس وويدل. وكان شخصٌ ما يصرخ بالأوامر في الغرفة المجاورة، تمكّن براكس من التقاط بعض الكلمات "احزِموا الأمتعة، واخلوا المكان"، قلبه ينقبض، "اخلوا المكان!"؛ لن يسمحوا لأي شخصٍ أن يغادر حتى يعثروا على مَي".

قال أحد جنود بينكواتر: "لقد أحصيت سبعة، يمكن أن يكونوا أكثر من ذلك".

سأل أموس: "هل معهم أيّ أطفال؟"

أجاب: "لم أرَ أطفالًا".

قال أموس: "ربما علينا أن ننظر مرةً أخرى"، وانحنى خارج الباب. التقط براكس أنفاسه متوقعًا أن يرى رأس الرجل تذوب تحت هذا السيل من الرصاص، لكن أموس تراجع سريعًا عندما بدأ إطلاق النار بالفعل.

سأل هولدن: "كم عدد خصومنا الذين يجب علينا التعامل معهم؟"

أجاب أموس: "أكثر من سبعة، يستخدمون هذا الأسلوب كعنق زجاجة، لكن الرجل مُحقًّا، إما أنهم لا يعرفون ما يفعلونه، أو أن هناك شيئًا لا يمكنهم التخلُّف عنه".

قال هولدن: "إما أن يكونوا هواة مذعورين أو أنهم يمتلكون شيئًا حاسمًا يذودون عنه". تدحرجت عبوة معدنية بحجم قبضة اليد عبر البوابة، أحدثت قعقعة، التقط أموس القنبلة بشكل تلقائي وألقى بها مرة أخرى عبر المدخل. أشعل الانفجار الغرفة المجاورة، وكان دوي الانفجار أعلى من أيّ صوت سمعه براكس طوال حياته، تزايد الطنين في أذنيه.

صاح أموس من بعيد جدًّا: "يمكن أن يكون كلا الاحتمالين صائبين"

في الغرفة المجاورة تحطّم شيء ما، صرخ الناس هناك. تخيّل براكس مجموعة من التقنيين مثل أولئك الذين كانوا في الغرفة السابقة وشظايا القنبلة اليدوية تُمزّقهم تمزيقًا.

انحنى أحد جنود بينكواتر إلى الخارج وحدّق في ضباب الدخان، انطلقت بندقية هجومية فتراجع الجندي مُمسكًا بطنه، والدم يتدفّق من بين أصابعه. دفع ويندل براكس وجثا على ركبتيه بجوار جنديه الجريح.

قال جندي بينكواتر: "اعذرني يا سيدي، لقد أهملت، اتركني هنا وسأحرس الجزء الخلفي لأطول فترة ممكنة".

قال ويندل: "القبطان هولدن، إذا كنا سنفعل شيئًا، فمن الأفضل أن نفعل ذلك في أسرع وقتٍ ممكن".

تعالت الصيحات في الغرفة المجاورة، كان شخصٌ ما يزأر بشكلٍ غير إنساني لدرجة أن براكس تساءل عما إذا كانت لديهم ماشية هناك، بدا الصوت وكأنه خوار ثورٍ جريح، كان عليه أن يقمع رغبته المُلحة في وضع يديه على أذنيه.

دوى صوتٌ عالٍ مرة أخرى، وأطرق هولدن رأسه.

قال: "أموس، فلنُشتّتهم قليلًا، ثم نقتحم الغرفة".

قال أموس، وهو يطرح بندقيته أرضًا: "أمرك أيها القبطان"، والتقط قنبلتين يدويتين، ونزع دبابيس الشريط البلاستيكية الوردية، ثم دحرج القنابل الحية عبر البوابة، وأمسك ببندقيته احتياطيًّا. كان التفجير المزدوج أبلغ أثرًا من التفجير الأول، لكن ليس بصوتٍ عالٍ، وقبل أن يتلاشى الصدى، توغّل أموس وهولدن وويندل والجندي الوحيد المُتبقي عبر البوابة، وهم يُطلقون النيران.

تردّد براكس، كان أعزل، والعدو على الجانب الآخر من العتبة، يمكنه البقاء هنا والاعتناء بالجندي الجريح، لكن الصورة التي لم تفارق خياله، كانت صورة جثة كاتوا الهامدة، لم تكن جثة الصبي تبعد أكثر من مائة متر، ومَي...

أبقى براكس رأسه لأسفل، ثم سار عبر المدخل، كان هولدن وويندل على يمينه، إنها أموس والجندي الآخر على يساره، كان الأربعة جاثمين وأسلحتهم على أهبة الاستعداد. لسع الدخان عيون براكس وخياشيمه، وجعجعت أجهزة إعادة تدوير الهواء احتجاجًا أثناء محاولتها لتنقية الهواء.

قال أموس. "حسنًا، ولكن هذا شيءٌ جنوني".

صُمّمت الغرفة على مستويين. طابق علوي بعرض متر ونصف المتر، وطابق سفلي تحته متران. عند العاشرة ينفتح ممر واسع في الطابق السفلي يؤدي إلى مسار بعيد، إنما عند الساعة الواحدة ينفتح باب في الطابق العلوي. كانت الحفرة تحتها في حالة من الفوضى، وغمرت بقع الدم الجدران حتى تناثرت على السقف، وفي الأسفل كانت الجثث مُلقاةً على الأرض، بينما تصاعد بخار خفيف وسط تلك المذبحة.

لقد اختبئوا خلف المعدات، حيث تعرَّف براكس على جهاز طرد مركزي مُحطَّم تقريبًا، وتلمَّعت شظايا من الجليد أو الزجاج بُسمك بوصة وسط المذبحة، انقلب حوض النيتروجين على جانبه، وأظهر مؤشر الإنذار أنه مُغلق الآن. بينما وقفت مصفوفة ضخمة من الأشياء- التي تزن مائتي كيلوجرام على أقل تقدير- في إحدى الزوايا، وبجانب المصفوفة لعبة طفل ربما يكون قد ألقاها جانبًا في نشوة اللعب.

سأل ويندل بصوت مذهول: "ما نوع الذخائر التي يحزمونها؟"، ومن الممر الواسع عند الساعة العاشرة انطلقت صيحات وأصوات طلقات نارية.

قال هولدن: "لا أعتقد أننا فعلنا هذا، هيا نواصل، بالخطوة السريعة".

نزلوا إلى ساحة المذبحة، وجدوا مكعبًا زجاجيًّا -مثل الذي رأوه من قبل- يقف في شموخ مُحطَّمًا، تلطَّخت الأقدام بآثار الدماء السائلة على الأرض، وفي إحدى الزوايا ما زالت هناك يد تمسك مسدسًا، نظر براكس بعيدًا، كانت مَي هنا، لا يمكن أن يفقد تركيزه، لا يمكن أن يكون مريضًا.

مضى قدمًا.

سار هولدن وأموس في المقدمة نحو صوت إطلاق النار، ومن ورائهما براكس، وعندما حاول التراجع ليدع ويندل ورفيقه يمران أولًا، دفعه رجال بينكواتر بلطف إلى الأمام، أدرك براكس أنهم يحرسون المؤخرة في حال حدث هجوم من الخلف. كان يجب أن يفكر في ذلك من قبل.

انفتح الممر. كان واسعًا ولكنه منخفض الارتفاع، وقفت آلات الشحن الصناعية والمؤشرات الصفراء غير النشطة بجانب منصات صناديق الإمداد المُعلَّقة بالرغوة الواقية. تحرّك أموس وهولدن نحو أسفل القاعة بكفاءة عملية بحيث عجز براكس عن مواكبتهما، ولكن مع كل منعطف يصلون إليه، وكل باب يفتحونه، وجد نفسه على استعداد للسير بشكل أسرع. لقد كانت مَي هنا، وعليهم أن يجدوها قبل أن تُصاب بسوء، قبل أن يحدث شيءٌ ما، ومع كل جثة يعثرون عليها، كان شعوره بالغثيان يتزايد حيث بدأ يتيقّن أن شيئًا ما قد حدث بالفعل.

تقدَّموا بسرعة أكبر، أقصى سرعة، وعندما وصلوا إلى نهاية المسار، حيث كان ارتفاع غرفة معادلة الضغط أربعة أمتار وعرضها سبعة أمتار على الأقل، وجد براكس صعوبة في تخيُّل أيِّ شخصٍ خلفه. ترك أموس بندقيته الآلية مُعلقةً بجانبه وأخذ يعبث بأدوات التحكُّم في غرفة معادلة الضغط بينما حدَّق هولدن في السقف كما لو كان يقرأ شيئًا مكتوبًا هناك. زُلزلت الأرض وأصدرت القاعدة المخفية صريرًا.

تساءل هولدن: "هل كان ذلك إقلاعًا؟ هذا صوت إقلاع!"

أجاب أموس: "أجل، يبدو أن لديهم منصة هبوط هنا، على الرغم من أن الشاشات لا تُظهِر أن المكان يحتوي على أيِّ شيءٍ آخر، مهما كان ذلك فقد غادر آخر قطار من هنا لتوِّه".

سمع براكس صرخة مُجلجلة، استغرق الأمر منه ثانية ليُدرك أنه الصارخ، كما لو كان يشاهد جسده وهو يتصرَّف بشكل لا إرادي، اندفع نحو الأبواب المعدنية المُغلقة، وضربها بقبضتيه المشدودتين، كانت مَي هنا، كانت هنا للتو على متن تلك المركبة التي غادرت جانيميد. شعر بها كما لو كانت مُعلقةً بنياط قلبه، وكل لحظة تسحب قلبه أكثر فأكثر.

فقد براكس وعيه لثانية، أو ربما لوقتٍ أطول، وعندما أفاق، وجد نفسه يتدلَّى على كتف أموس العريض، والدرع يحفر في بطنه، نظر لأعلى ليرى غرفة معادلة الضغط تنحسر ببطء خلفهم.

صاح براكس: "أنزلوني".

أجاب أموس. "لا أستطيع أن أفعل ذلك، قال القبطان."...

دوى صوت إطلاق النيران؛ فألقى أموس براكس على الإطلاق وجلس القرفصاء فوقه، وأمسك بندقيته على أهبة الاستعداد ثم قال: "ماذا يحدث بحق الجحيم أيها القبطان؟"

نظر براكس لأعلى في الوقت المناسب ليرى جندي بيكواتر مقطوع الرأس، والدماء تتدفَّق من ظهره، استلقى ويندل على الأرض يرد على إطلاق النيران من زاوية حادة.

قال هولدن: "غفلنا عن شخصٍ ما منهم أو إنهم اتصلوا بأصدقائهم".

قال براكس: "لا تُطلقوا النار عليهم، ربما مَي هناك، ماذا لو كانت معهم؟"

ردَّ أموس: "لا، يا دكتور، ليست معهم، ابق هادئًا".

كان هولدن يصرخ، والكلمات تتطاير من فمه بشكلٍ لا يمكن معه استيضاح ما يقول، لم يتبيّن براكس ما إذا كان يتحدَّث إلى أموس أو ويندل أو ناعومي على متن المركبة أو يتحدَّث إليه شخصيًّا. ربما يتحدَّث إلى أيٍّ منهم أو جميعهم!

اقترب أربعة رجال مُسلَّحين يرتدون المعاطف نفسها التي كان يرتديها الآخرون جميعًا الذي سبق وواجهوهم، كان أحدهم ذا شعرٍ أسود طويل ولحية خفيفة، والأخرى امرأة ذات بشرة شاحبة مثل الزبد، بينما بدا الاثنان في المنتصف كالشقيقين؛ حيث امتازا بالشعر البني المقصوص نفسه، والأنف الطويل نفسه.

من مكانٍ ما على يمين براكس، انطلق أزيز الرصاص مرتين، وسرعان ما سقط الأربعة كمشهد من فيلم كوميدي، اختل توازن ثمانية أرجل في الوقت نفسه، سقط أربعة أشخاص لم يعرفهم براكس، ولم يلتقوا قط، سقطوا على الأرض للتو، وكان براكس يعلم أنهم لن يقوموا أبدًا.

قال هولدن: "ويندل! أخبرني بما عندك!"

أجاب ويندل: "لقد مات كاوديل"، ولم يبدُ عليه الأسف حيال ذلك، لا يبدو أنه يشعر بأيِّ شيءٍ على الإطلاق، تابع: "أعتقد أن معصمي قد كُسِر، هل يعرف أحد من أين جاؤوا؟"

ردّ هولدن: "كلا، ولكن دعونا لا نفترض أنهم الوحيدون هنا، إذن".

عادوا إلى الوراء عبر الممرات الطويلة الواسعة، كانت هناك جثث لرجالٍ ونساء مُلقاةً في جميع الأنحاء لم يُقتلوا، ولكنهم على أيّ حالٍ باتوا من الموتى الآن، لم يحجم براكس عن البكاء، لم يكن هناك جدوى من ذلك، إذا كان بإمكانه السير على قدمين، خطوة بخطوة، فهذا يكفي.

وصلوا إلى الحفرة الغارقة بالدماء بعد بضع دقائق أو ساعة أو ربما أسبوع، لم يستطيع براكس تحديد ذلك، وبدت جميع الخيارات منطقية بالقدر نفسه، كانت الجثث المُمزَّقة كريهة الرائحة، وبدأ الدم المتسرِّب في التكثُّف حتى صار مُشابهًا لهُلام الكشمش الأسود، وأطلقت الأحشاء المكشوفة مستعمرات من البكتيريا التي عادة ما تُبقيها الأمعاء تحت السيطرة، وعلى المنصة وقفت امرأة، ماذا كان اسمها؟ نعم، باولا. هذا صحيح.

انفجر ويندل عندما رآها: "لماذا لستِ في موقعك؟"

أجابت: "طلب غوثري دعمًا، وقال إنه أُصيب بطلق نار على وشك أن يفقده وعيه، أحضرت له بعض الأدرينالين بسرعة".

قال ويندل: "أحسنتِ".

تساءلت المرأة: "أين أوتشي وكاوديل؟"

أجاب ويندل: "لم يستطيعا مواصلة الرحلة معنا، لقد ماتا".

أومأت المرأة برأسها، لكن براكس رأى شيئًا آخر يعبر ملامحها، لقد فقد الجميع حوله شخصًا ما، لم تكن مأساته سوى واحدة من بين عشرات، أو مئات المآسي، بل قُل الآلاف أو ربما الملايين بحلول الوقت الذي حدث فيه الانهيار وأثَّرت تداعياته على الجميع حتى بلغت معدلات الوفاة هذا المستوى، عندها فقدت الأرقام معناها اتكأ براكس على حوض النيتروجين، ودفن رأسه بين يديه، لقد كان قريبًا جدًّا جدًّا من الموت...

قال: "علينا أن نجد تلك المركبة".

قال هولدن. "علينا أن نتراجع إلى الوراء، ونعيد تجميع صفوفنا ثم ننطلق. لقد جئنا إلى هنا بحثًا عن طفلة ضائعة، ولكن الآن أصبح لدينا محطة عملية سرية نصف مُعبّأة علينا أن نأخذها بعيدًا عن هنا، بالإضافة إلى منصة هبوط سرية، وطرف ثالث مجهول الهوية يقاتل في الوقت نفسه الذين كنا نواجه فيه هؤلاء الناس"

سألت باولا: "طرف ثالث؟"

أشار ويندل إلى المذبحة ثم قال: "لم يكن كل هذا من صنعنا نحن".

قال هولدن: "نحن لا نعرف الشيء الذي نواجهه، وإلى أن نعرف نحتاج إلى التراجع الآن".

ردَّ براكس: "لا يمكننا التراجع الآن، لا أستطيع التراجع، مَي."...

قال ويندل: "ربما ماتت، ماتت الطفلة على الأرجح، وحتى إذا لم تكن قد ماتت، فلن نجدها على جانيميد بعد الآن".

قال هولدن: "أنا آسف بشدة".

قال براكس: "الصبي الميت كاتوا، لقد أخذ والده العائلة من جانيميد بأسرع ما يمكن، لقد أنقذهم، وفرّوا إلى مكان آمن، مكان آخر".

ردَّ هولدن: "تصرُّف حكيم".

نظر براكس إلى أموس ليحصل منه على دعم لموقفه، لكن الرجل الضخم كان يتجوَّل على غير هدى بين الأنقاض، دون أن ينحاز إلى أيٍّ من الجانبين.

قال براكس: "كان الصبي على قيد الحياة، قال باسيا إنه متأكد من وفاة الصبي؛ لذا حزم أمتعته وغادر، وعندما ركب تلك المركبة، كان ولده هنا، في هذا المختبر، كان ما يزال حيًّا؛ لذلك لا تقل لي أن مَي ربما تكون قد ماتت".

ساد الصمت للحظة.

كرَّر براكس: "لا تقل ذلك".

قال أموس: "أيها القبطان؟"

ردّ هولدن: "اسمعوني لدقيقة واحدة رجاءً، براكس لن أقول لك إنني أعرف ما تمر به الآن، لكن لدي أحناء أيضًا، لا يمكنني أن أُملي عليك ما يجب عليك فعله، ولكن دعني أسألك، فقط أسألك؛ للتفكير في نوع الإستراتيجية الأفضل بالنسبة لك، لك ولـ مَي أيضًا".

قال أموس: "أيها القبطان، عليك أن تنظر إلى ذلك بجدية!"

وقف أموس بجانب المكعب الزجاجي المُحطَّم بينما كانت بندقيته تتدلَّى من يده، سار هولدن إلى جانب الرجل وتتبَّع النظر إلى الحاوية المُدمَّرة، اندفع براكس بعيدًا عن حوض النيتروجين واتجه نحوهما. بين الجدران الزجاجية التي ما زالت سليمة، كانت هناك شبكة من الخيوط السوداء الدقيقة، لم يستطيع براكس أن يُحدِّد ما إذا كان ذلك بوليمرًا صناعيًّا أم مادة طبيعية، إنه نوع من الشبكات العنكبوتية، يتميَّز بهيكل رائع؛ لذا مدَّ براكس يده ليلمس ذلك الشيء؛ لكن هولدن أمسك بمعصمه، وسحبه بشدة إلى الخلف بطريقة آلمته.

عندما تحدَّث هولدن، كانت كلماته واثقة ومدروسة، مما جعل الذعر الكامن وراءها أكثر إثارةً للفزع.

"ناعومي، جهِّزي المركبة، علينا أن نغادر ذلك القمر الآن، علينا أن نفعل ذلك فورًا".

الفصل الثامن عشر
أفاسارالا

سأل الأمين العام من الجزء العلوي الأيسر من الشاشة: "ما رأيك؟"، بينما انحنى إرينرايت للأمام بمقدار بوصة واحدة في الجزء العلوي الأيمن، كما لو كان يستعد للتدخُّل إذا فقدت أفاسارالا أعصابها.

أجابت أفاسارالا بلطف: "لقد قرأت التقرير، ياسيدي".

لوّح الأمين العام بيده ببطء. كان في أوائل الستينيات من عمره دون أن تظهر عليه علامات السن إذ عاش عمره كله دون أن تُقلقه الأفكار المرهقة. في حين أنفقت أفاسارالا سنواتٍ من عمرها في بناء نفسها، بدايةً من أمينة صندوق ادخار العاملين، ثم تولّي مقاليد الحكم في مقاطعة ماهاراشترا-كارناتاكا-غوا ذات الأهمية الإقليمية، كان هو ينفق تلك السنوات باعتباره سجينًا سياسيًّا في منشأة تفتقر إلى الحد الأدنى من الأمن في الغابة السحابية التي أُعيد تشجيرها مؤخرًا في الأنديز، وقد استثمرت عجلات السلطة المتطاحنة ذلك النضال المزعوم في الترويج له من أجل تولّي منصب الأمين العام المرموق، كما أُحيط بهالة من الجاذبية بسبب قدرته على التظاهر بالاستماع لكلٍّ من حوله دون أن يزعجهم بإبداء آرائه الحمقاء. لو تم إعداد رجلٍ ما منذ ولادته ليكون الزعيم الصوري المثالي للحكومة، لما كان أحد سيُحقِّق الكمال الذي بلغه الأمين العام إستيبان سوريتنو جيليس.

قال الأمين العام أو الدُّمية المُتحرِّكة الكبيرة كما أسمته أفاسارالا. "تلك التقارير السياسية لا تصل أبدًا إلى صلب الموضوع؛ لذلك أخبريني ما رأيك؟"

تأكَّدت أفاسارالا أنه لم يقرأ تلك التقارير الموجزة اللعينة، لكنها لا تستطيع الاحتجاج عليه، لذا تنحنحت قليلًا ثم قالت: "يبدو أن العمليات الإحمائية ستكون أكثر من الالتحام الفعلي، يا سيدي اللاعبون المشاركون على أعلى مستوى: ميشيل أوبداوي،

وكارسون سانت سيفرين، وكو شو. لقد أحضروا ما يكفي من الجيش؛ لإثبات قدرتهم على القتال وأنهم ليسوا مجرد قرود مُنتخبين. ولكن حتى الآن لم يقل أحد شيئًا مثيرًا للاهتمام باستثناء أحد البحارة الذين أحضروه معهم للزينة فقط، وما زلنا حتى الآن ننتظر جميعًا من أيِّ شخصٍ آخر أن يقول شيئًا جوهريًّا

"وماذا عن الـ..."، توقَّف الأمين العام قليلًا وخفَّض صوته ثم قال: "الفرضية البديلة؟"

قالت أفاسارالا: "هناك نشاطات على كوكب الزهرة، ما زلنا لا نعرف أيًّا منها حتى الآن، كان هناك تصاعد هائل لعنصر الحديد في نصف الكرة الشمالي استمر أربع عشرة ساعةً، وهناك أيضًا سلسلة من الانفجارات البركانية. ونظرًا لأن الكوكب لا يحتوي على أي حركة تكتونية، فإننا نفترض أن الجزيء الأولي يقوم بشيء ما في الغشاء الأرضي، لكن لا يمكننا تحديد ما يحدث بالضبط. توصَّل العلماء إلى نموذج إحصائي يُظهر ناتج الطاقة التقريبي المُتوقَّع للتغيُّرات التي رأيناها، إنه يشير إلى أن المستوى العام للنشاط يرتفع بنحو ثلاثمائة في المائة سنويًّا على مدار الثمانية عشر شهرًا الماضية".

أومأ الأمين العام برأسه، وتصلَّب وجهه، بدا الأمر كما لو أنه فهم جزءًا مما قالته، بينما سعل إريترايت.

تساءل: "هل لدينا أيّ أدلة على ارتباط ذلك النشاط على كوكب الزهرة بالأحداث الأخيرة في جانيميد؟"

أجابت أفاسارالا: "نحن نعمل على ذلك، حدث ارتفاع غير طبيعي في الطاقة بالتزامن مع هجوم جانيميد، لكنها نقطة واحدة فقط لا تكفي للجزم بشيء، ربما كانت مجرد مصادفة".

صدر صوت امرأة من قناة الأمين العام، فأومأ برأسه ثم قال: "أظن أنني مدعو الآن لأداء واجباتي، على أيّ حال، أنت تقومين بعمل رائع يا أفاسارالا، عمل رائع حقًّا"

ردّت بابتسامة: "لا يمكنني التعبير عن مقدار ما يعنيه كلامك بالنسبة لي يا سيدي، فقد كنتم على وشك أن تتخلّوا عني".

بعد لحظة واحدة، صحكت الأمين العام صحكةً عالية، وهز إصبعه على الشاشة؛ لتظهر رسالة بانتهاء الاتصال. انحنى إريبرايت على كرسيه، وضغط براحته على صدغيه، بينما التقطت أفاسارالا كوب الشاي الخاص بها وأخذت ترتشفه وهي ترفع حاجبيها ونظرتها مُوجهة إلى الكاميرا، وكأنها تنتظره أن يقول شيئًا ما. لم يبرد الشاي بعد.

قال إرينرايت: "حسنًا، أنتِ الرابحة".

"هل سنقوم بإقالته؟"

غرق إرينرايت في الضحك، بينما ظهرت على شاشته السماء المظلمة خارج النوافذ، مما يعني أنه على الجانب نفسه من الكوكب الذي كانت عليه، وقد أضفت الأجواء الليلية على اجتماعهما إحساسًا بالتقارب والألفة، وربما كان ذلك بسبب شعورها بالإرهاق أكثر من أي شيءٍ آخر.

تساءل: "ماذا تحتاجين لتسوية مشكلة كوكب الزهرة؟"

ردَّت: "تسوية؟"

قال: "لعلني أساءت انتقاء الألفاظ، منذ أن بدأ كل ذلك الذي نعيشه، كنتِ تراقبين كوكب الزهرة، مع حرصك على الحفاظ على تهدئة الأمور مع المريخ بجانب كبح جماح نجوين".

"لاحظت ذلك، أليس كذلك؟"

"اجتماع القمة لن يقودنا إلى أيّ شيء، ولن أسمح بتضييع وقتك في مجالسة الأطفال للحديث عن شيءٍ وصل إلى طريق مسدود، نحن بحاجة إلى مزيد من الوضوح، كنا نحتاج إلى ذلك منذ فترة، اطلبي كل الموارد التي تحتاجين إليها. وإما أن نستبعد كوكب الزهرة من اللعبة أو أن تحضري لنا دليلًا دامغًا على وجود ارتباط بين كوكب الزهرة وبين ما حدث في جانيميد، سأمنحك تفويضًا مطلقًا يا كريسجين".

قالت أفاسارالا ضاحكةً: "أخيرًا سأتمكَّن من التقاعد"، ونظرًا لهول المفاجأة، أخذ إرينرايت الأمر على محمل الجِد.

قال. "لا مشكلة عندي إذا كانت هذه هي رغبتك، ولكن علينا أن نتباحث في أمر كوكب الزهرة أولًا، إنه أهم لغز طُرح على الإطلاق. أنا أثق بكِ".

ردّت أفاسارالا: "سأتولّى هذا الأمر بنفسي". أطرق إرينرايت ثم أنهى الاتصال.

انحنت إلى الأمام على مكتبها، وضغطت بأصابعها على شفتيها. هناك شيءٌ ما، شيءٌ ما قد تغيّر. إما أن إرينرايت قد قرأ ما يكفي عن كوكب الزهرة ليشعر بهذا القدر من القلق، أو أن شخصًا ما أراد إزاحتها من المفاوضات مع المريخ، ثمة شخص يمتلك القوة الكافية ليجعل إرينرايت يُقدِّم لها هذا التفويض المطلق بشأن كوكب الزهرة، في حين يريد تهميش دورها في المفاوضات المريخية، هل يمتلك نجوين رعاةً بهذه القوة؟

حسنًا، لقد أعطاها ما تريد، وبعد كل ما دار في عقلها، لم تستطع أن ترفض العرض الذي سعت إليه كثيرًا، لكن النجاح دائمًا يأتي مصحوبًا بغُصة ما. ربما كانت ترى أشياء لا وجود لها، والحقيقة أنها لم تنل قسطًا كافيًا من النوم، وكثيرًا ما يُصيبها الأرق بجنون العظمة. نظرت إلى الساعة، العاشرة ليلًا. ليس لديها وقت للعودة إلى أرجون هذه الليلة. في صباح اليوم التالي، جلست في حجرة كبار الشخصيات الكئيبة تشرب القهوة المُخفَّفة وتظاهرت بالاهتمام بما يقوله آخر سفير لمنطقة كشمير المُستقلة حول موسيقى الرقص الصاخبة.

سُحقًا لذلك، ربما تحتاج إلى مشروب كحولي.

***

تُلبّي صالة داسياهاري متطلبات النطاق الكامل لمجمع الأمم المتحدة الذي يضم مختلف الأعراق. في الحانة اقترب المساعدون وموظفو المكاتب من بقعة الضوء، وكانوا يتضاحكون بصوتٍ عالٍ للغاية متظاهرين بأنهم أكثر أهمية مما كانوا عليه بالفعل، بدت الأجواء وكأنها طقوس تزاوج ولكنها أرقى قليلًا من تزاوج قرد الميمون، وإن كانت رائعة على طريقتها الخاصة. من ضمن الحاضرين في ذلك الصباح كانت البحرية المريخية روبرتا درابر، التي جلست على الطاولة وقد أمسكت بكأسٍ متضاءلة جدًّا في يدها المُتضخِّمة، يبدو من تعابير وجهها أنها تقضي وقتًا ممتعًا. من المحتمل أن يظهر سورين

من مكانٍ ما، ربما سيظهر في وقتٍ ما، لو سارت الأقدار على غير مجراها، لكان ابن أفاسارالا من بين هؤلاء الحاضرين الآن

في وسط الغرفة، كانت هناك طاولات ذات أطراق مُدمجة تسمح بتلقِّي المعلومات المُشفَّرة من آلاف المصادر المختلفة، لدرجة أن عوارض الخصوصية منعت النوادل من استراق النظر إلى أكتاف بعض المديرين ذوي الأهمية الخاصة الذين كانوا يتناولون مشروباتهم في أثناء عملهم. وفي الخلفية كانت هناك طاولات خشبية داكنة في حُجيرات استطاعت أفاسارالا أن تعرف قبل أن تجلس أنها مُخصَّصة لذوي المكانة الرفيعة، وإذا اقترب منها أيّ شخصٍ من مكانة أقل، فإن شابًّا مُتحفِّظًا ذا شعرٍ مُصفَّف بعناية سيظهر من العدم، ويقوده إلى طاولة أخرى، في مكان آخر، مع شخصيات على شاكلته ذات مكانة أقل.

رشفت أفاسارالا مشروبها وتناولت مُنشطَّاتها بينما ظل ذهنها مشغولًا بتدبُّر الخيوط المتشابكة. لم يكن نجوين صاحب نفوذ طاغٍ للدرجة التي تجعل إرينرايت ينقلب ضدها، هل يمكن للمريخيين أن يُطالبوا بإقصائها من المفاوضات؟ حاولت أن تتذكَّر هل كانت وقحة اليوم وكيف كان ذلك، لم يخطر ببالها أيّ أشخاص مُشتبه فيهم، وحتى لو كان هناك أشخاص، فماذا ستفعل حيال ذلك؟

حسنًا، حتى لو لم تكن طرفًا في مفاوضات المريخ بصفةٍ رسمية، فلا يزال بإمكانها إجراء الاتصالات على أساسٍ غير رسمي. ضحكت أفاسارلا دون سبب ثم التقطت كأسها، ونقرت على الطاولة كإشارة ضمنية؛ للسماح لشخصٍ آخر بالجلوس مكانها. شقت طريقها عبر الحانة، بينما تألَّفت الموسيقى من أصوات تتابعية هادئة بمقياس نغمي فائق الحداثة، ولكنها كانت لطيفة رغم كل شيء. عبق الهواء برائحة العطر باهظ الثمن بشكلٍ يصعب معه تصديق أن أحدًا رش هذا العطر إلا لمقصدٍ ما يبتغيه. عندما اقتربت من الحانة، توقَّفت المحادثات، بينما تبادل الشباب المُفعمون بالطموح النظرات فيما بينهم، تخيلتهم يقولون. "ماذا تفعل هذه السيدة العجوز هنا؟"

جلست بجانب درابر، نظرت إليها الفتاة الضخمة. كان هناك ضوء من التقدير في عينيها يُبشر بالخير. ربما لا تعرف من هي أفاسارالا، لكنها خمنت من تكون. بدت ذكية، ومُتبصّرة، ولعينة. كانت تلك الفتاة هائلة. ليست سمينة ولكنها... ضخمة

سألت أفاسارالا: "هل لي أن أشتري لك شرابًا أيتها الرقيبة؟

أجابت: "لقد شربت الكثير بالفعل" ثم بعد لحظة قالت: "حسنًا. لا بأس"

رفعت أفاسارالا حاجبها، وأشارت إلى النادل بهدوء أن يُحضِر للبحرية المريخية كأسًا آخر من أيِّ نوعٍ كانت تتناوله من قبل.

قالت أفاسارالا: "يا له من انطباع رائع تركتِه وراءك اليوم في الاجتماع".

قالت درابر: "نعم"، بدت غير مهتمة بالأمر، ثم أردفت: "قرّر ثورسون شحني إلى المريخ مرة أخرى، لقد انتهيت من مهمتي، ولم يتبقَ لدي ما أفعله هنا".

ردَّت أفاسارالا: "هذا طبيعي، لقد أنجزتِ ما أرادوه منكِ على أيِّ حال".

حدَّقت فيها درابر، خمَّنت أفاسارالا أنها من العرق البولينيزي، ربما من الساموا، بالتأكيد هي من مكانٍ ما جعلت هذه الفئة من البشر تتطوَّر وتنمو حتى تُشبه سلاسل الجبال في ضخامتها. ضاقت عيناها واشتعلت فيهما حرارةٌ ما، ربما تنطوي على بعض الغضب.

"لكنني لم أفعل شيئًا على الإطلاق".

قالت أفاسارالا: "كل ما كانوا يحتاجون إليه منكِ أن تأتي إلى هنا فقط".

"وما المغزى؟"

"إنهم يريدون إقناعي بأن هذا الوحش ليس من صنيعتهم، إحدى الحجج التي ساقوها هي أن جنودهم يقصدونكِ أنتِ لا يعرفون شيئًا عن ذلك الكائن، وأرادوا أن يُظهروا لنا بإحضاركِ أنهم ليس لديهم ما يخشونه من حضورك معهم هنا في كوكب الأرض. هذا كل ما يحتاجون إليه منكِ. لا يهتمون إذا انشغلت طول الاجتماع بقضم أظافرك أو درستِ قواعد التسلُّل في كرة القدم. بل على العكس سيكون ذلك مفيدًا لهم أيضًا، كنت مجرد تُحفة فنية معروضة أمام الحاضرين في الاجتماع".

تلقّت فتاة البحرية تلك الكلمات القاسية، وقوّست حاجبيها ثم قالت: "أنا لا أحب أن أُوضع في هذا الموقف البغيض".

ردَّت أفاسارالا: "أجل، لديكِ حق، ثورسون رجلٌ حقير، ولكن إذا توقَّفت عن العمل مع السياسيين فقط لمثل هذه الأسباب، فلن يكون لديك أصدقاء في هذا المجال".

ابتسمت فتاة البحرية ثم قهقهت، هدأت قليلًا، بعد أن رأت حقيقتها كما عرضتها لها أفاسارالا، أفاقت من غفلتها.

تساءلت أفاسارالا: "هل تعرفين ذلك الشيء الذي قتل أصدقاءك؟" بينما نظرت فتاة البحرية في عينيها، ثم تابعت: "لم يكن هذا الشي من صنعنا".

أخذت درابر نفَسًا عميقًا كما لو أن أفاسارالا قد لمست جرحًا غائرًا، كان ذلك منطقيًّا؛ لأنه ما حدث بالفعل، اصطك فك درابر لمدة ثانية.

"لم يكن من صنعنا أيضًا".

"حسنًا، على الأقل أصبح بإمكاننا تسوية ذلك الأمر".

"ومع ذلك، فإن ذلك لن يُجدي نفعًا، لن يفعلوا أيَّ شيء، لن يتحدَّثوا عن أيِّ شيء ذي قيمة، إنهم لا يهتمون بالأمر أصلًا، هل حقًّا تعلمين؟ إنهم لا يهتمون بما حدث طالما أنهم جميعًا قادرون على حماية مسيراتهم المهنية، وطالما أنهم متأكدون من أن ميزان القوى لا يميل في الاتجاه الخطأ. لا أحد منهم يهتم حقًّا بمعرفة ماذا يكون ذلك الشيء أو من أين أتى".

لم تكن الطاولات المُحيطة بهم في الحانة صامتة، ولكنها كانت أكثر هدوءًا، أصبحت طقوس التزاوج ثاني أكثر الأشياء إثارةً للاهتمام في الحانة.

أجابت أفاسارالا: "ولكنني أهتم، في واقع الأمر، لقد حصلت للتو على قدرٍ كبيرٍ من الحرية والصلاحيات لمعرفة ماهية هذا الشيء".

لم يكن ذلك صحيحًا تمامًا، لقد حصلت أفاسارالا على ميزانية ضخمة لمعرفة مدى تورّط الزهرة أو لاستبعادها تمامًا من اللعبة، لكن الأمور متقاربة، وكان ذلك الإطار الصحيح الذي تنطلق منه للوصول إلى ما تريد.

تساءلت درابر: "هل حقًّا ما تقولين؟ وماذا ستفعلين إذن؟"

ردّت أفاسارالا: "أول شيء سأقوم بتجنيدك. أحتاج إلى إقامة علاقات مع جيش المريخ، ويجب أن تكوني معي، هل يمكنكِ تولّي الأمر؟"

توقَّف الناس في الحانة الآن عن الحديث بعضهم مع بعض، كما لو تركوا المكان فارغًا، لم تعد هناك أصوات سوى صوت الموسيقى الهادئة وضحكات درابر. مرَّ عليها رجلٌ عجوز تنبعث منه رائحة عطر القرنفل والقرفة، وقد جذبه ذلك المشهد الهادئ دون أن يعرف ما يدور في الحانة.

قالت درابر: "ولكنني من مشاة البحرية المريخية، أنا مريخية، وأنتِ من الأمم المتحدة، أيّ أنك أرضية، نحن لسنا حتى مواطنين نعيش على الكوكب نفسه، لا يمكنكِ تجنيدي".

ردَّت أفاسارالا: "اسمي كريسجين أفاسارالا، اسألي عني من حولك.

كانوا جميعًا صامتين للحظة.

قالت درابر: "وأنا بوبي".

ردَّت أفاسارالا: "تشرفت بلقائكِ يا بوبي، أريدكِ أن تعملي معي".

تساءلت درابر: "هل يمكنني التفكير في ذلك".

أجابت أفاسارالا: "بالطبع"، وأرسلت إلى جهاز بوبي اللوحي رقمها الخاص، ثم قالت: "بمجرد أن تنتهي من التفكير، تعالي مباشرةً واعملي معي".

***

في مبنى كبار الشخصيات، ضبطت أفاسارالا جهازها على نوع الموسيقى التي قد يفضل أرجون الاستماع إليها في ذلك الوقت، إن لم يكن قد نام بالفعل. قاومت رغبتها في الاتصال به؛ لأن الوقت قد تأخر كثيرًا كما أنها كانت في حالة سُكر بما يكفي لإلهاب

عواطفها، ولم يكن نشيج الموسيقى المُطلق من جهازها اللوحي شيئًا تتوق إلى التعوُّد عليه. خلعت السّاري التي ترتديه ثم أخذت حمامًا ساخنًا طويلًا، لم تعتد على شرب الكحول حيث لا تُعجبها الطريقة التي يُخدِّر بها عقلها، ولكنها عصت الطرف عن ذلك في تلك الليلة؛ لأنه يجعلها تسترخي قليلًا بجانب الاستماع إلى القليل من موسيقى الجاز، مما يجعلها ترى الروابط بين الأشياء.

ستُبقيها درابر على اتصالٍ بالمريخ حتى لو لم تشهد التدفُّق اليومي البطيء للمفاوضات. لقد كانت بدايةً جديدة، ستُجري المزيد من الاتصالات لتعويض ذلك، يمكن إقناع فوستر، في خدمة البيانات، بإرسال جلسات الاجتماع إليها. ستحتاج إلى البدء في توجيه الكثير من العمل من خلاله، يجب بناء علاقة معه. لن يكون من المفيد توطيد العلاقة معه حتى يصبح صديقًا مُقربًا لمجرد أنه كان يُدير طلبات التشفير الخاصة بـ نجوين. سترمي له قليلًا من الكعك أولًا دون قيود أو شروط ثم يشبك الخطاف. من يمكنها أيضًا أن تُجنِّده...

أطلق جهازها اللوحي صفيرًا مُنذرًا باستقبال اتصال، أوقفت دُش الاستحمام، ولفّت نفسها برداء الحمام ثم عقدت رباط الرداء مرتين بإحكام قبل أن تستقبل الاتصال، رغم ما كانت فيه من حالة سُكر، حيث لم تعد سنها الكبيرة تسمح بأن يظهر جسدها العاري على الجهاز اللوحي. جاء الاتصال من شخصٍ ما على أولوية المراقبة، ظهرت على الشاشة صورة رجل في منتصف العمر بشوارب وسوالف غير مُشذَّبة لا تلائمه على الإطلاق.

"أميرا أيها الكلب المسعور، ماذا فعلت لتظل تعمل حتى هذه الساعة المتأخرة؟"

قال المُحلِّل بابتسامة عريضة: "انتقلت إلى أطلنطا يا آنسة"، كان هو الوحيد الذي يدعوها آنسة، لم تتحدَّث معه منذ ثلاث سنوات، ثم تابع: "لقد عدت لتوي من الغداء، حصلت على تقريرٍ غير مجدوَل لك؛ لذلك اتصلت على الفور. حاولت الاتصال بمساعدك، لكنه لم يرد".

"إنه فتى يافع، ما يزال عليه أن ينام أحيانًا، هذا موطن ضعف. انتظر للحظة، سأُفعِّل وضع الخصوصية".

انتهت لحظة المزاح الودي بينهما، انحنت أفاسارالا إلى الأمام، ثم نقرت على جهازها اللوحي مرتين لإضافة طبقة من التشفير. تحوَّلت الأيقونة الحمراء إلى اللون الأخضر

قالت: "هات ما عندك"

"إنها من جانيميد، يا آنسة، لديك أمر قائم بشأن جيمس هولدن".

تساءلت: "نعم؟"

تابع: "لقد بدأ يتحرَّك، لقد التقى بعالم محلي يُدعى براكسيديك مينج".

تساءلت: "ومن مينج هذا؟"

في أطلنطا، فتح أمير ملفًا آخر بسلاسة، ثم قال: "عالم نبات، يا آنسة، لقد هاجر إلى جانيميد مع أسرته عندما كان طفلًا. درس هناك، وتخصَّص في زراعة سلالات فول الصويا التي تنمو في ضغط منخفض ومستوى قليل من الضوء. إنه مُطلّق ولديه طفلة واحدة، ليس له أيّ صلات معروفة بـ(أوبا) أو أيّ حزب سياسي قائم".

ردَّت أفاسارالا: "واصل!"

ترك هولدن ومينج وأموس بورتون مركبتهم، وكانوا مُسلَّحين، ثم اتصلوا بمجموعة صغيرة من موظفي شركات الأمن الخاصة. بينكواتر".

"كم عددهم؟"

"لم يُخبرنا المُحلِّل الميداني بذلك، يا آنسة، هم قوة صغيرة، هل عليّ أن أستعلم عن ذلك؟"

صاحت أفاسارالا: "كم نحن متأخرون؟"

أومضت عيون أمير البنية المائلة للسواد.

"واحد وأربعون دقيقة، وثماني ثوانٍ، يا آنسة".

"علِّق الاستعلام مؤقتًا، إذ ربما أحتاج إلى الاستفسار عن أيِّ شيءٍ آخر، فعندها يمكن إرسال جميع الاستفسارات معًا"

"أفاد المُحلِّل الميداني أن هولدن تفاوض مع فريق شركة الأمن الخاصة، إما أن إعادة التفاوض حدثت في اللحظة الأخيرة أو أن اللقاء كله كان مرتجلًا، عمومًا يبدو أنهم توصّلوا إلى اتفاق في النهاية، واتجهت المجموعة بأكملها نحو مجمع من الممرات المهجورة، واقتحموه بالقوة".

"ماذا؟"

"اقتحموا بوابة الوصول إلى المكان المهجور، يا آنسة".

"ما الذي يُفترض أن يعنيه ذلك بحق الجحيم؟ ما حجم ذلك المكان؟ وأين هو؟"

"هل يجب عليّ أن أستعلم عن ذلك الآن؟"

"ما يجب عليك فعله هو أن تذهب إلى جانيميد وتركل ذلك المُحلِّل الميداني الذي هناك في خصيتيه ثم تطلب منه توضيح ذلك".

ردَّ أمير وشبح ابتسامة يرتسم على شفتيه: "حسنًا، يا آنسة"، ثم فجأةً عبس الرجل وقال: "لحظة واحدة، هناك تحديث".

إذن، كان لدى (أوبا) شيءٌ ما على جانيميد، ربما زرعوا شيئًا، أو ربما وجدوا شيئًا هناك. في كلتا الحالتين فإن هذه البوابة الغامضة تجعل الأشياء أكثر إثارةً للاهتمام. وبينما كان أمير يقرأ التحديث، ويحاول استيعابه، حكَّت أفاسارالا ظهر يدها وعدَّلت من وضعيتها. لقد اعتقدت أن هولدن كان هناك على جانيميد كمراقب، يقوم بالاستخبار ثم ينقل المعلومات لـ (أوبا)، وقد يكون هذا خطأً. إذا ذهب هولدن للقاء براكسيديك مينج، علم النبات هذا المجهول تمامًا، فربما لأنهم في (أوبا) يعرفون الكثير عن وحش بوبي درابر. أضِف إلى ذلك حقيقة أن رئيس هولدن لديه العينة الوحيدة المعروفة من الجزيء الأولي. وهكذا تشكَّلت قصة انهيار جانيميد في ذهن أفاسارالا.

ولكن رغم ذلك، فإن هناك بعض الثغرات في القصة، حيث لا توجد علامة على أنهم في (أوبا) يتلاعبون بالجزيء الأولي. لا يتطابق ملف التحليل النفسي لفريد جونسون مع تلك الهجمات الإرهابية، كان جونسون من المدرسة القديمة، بينما هجوم الوحش مبتكر تمامًا بلا ريب.

"كانت هناك معركة بالأسلحة النارية، يا آنسة. لقد واجه هولدن وفريقه مقاومة مُسلَّحة، لقد وضعوا طوقًا أمنيًّا، ومن ثَمَّ لا يمكن للمُحلِّل الميداني الاقتراب."

"مقاومة؟ أعتقد أنه من المفترض أن تكون تلك الأنفاق مهجورة، فمن الذي يُطلق عليهم النيران بحق الجحيم؟"

"هل يجب عليّ أن أستعلم عن ذلك الآن؟"

"عليك اللعنة!"

عن بُعد أربعين دقيقة ضوئية، كان هناك شيء مهم يحدث، وكانت في غرفة نوم ليست لها، تحاول أن تفهم ما يجري عن طريق الضغط على أذنها على الحائط، سيطر الشعور بالإحباط على جسدها تمامًا، شعرت وكأن الإحباط يُحطِّم جسدها.

أربعون دقيقة لإرسال رسالة الاستعلام، وأربعون دقيقة لتلقِّي الجواب، بغض النظر عن الأمر الذي أصدرته، ستضطر إلى الانتظار ما يقرب ساعة ونصف الساعة حتى تتلقَّى معلومات جديدة عن موقف من الواضح أنه يتغيّر بسرعة فائقة.

قالت: "أوقِفوهم: هولدن، وبورتون، ورفقاءهم من بينكواتر، وعالم النبات الغامض هذا، أوقِفوهم وأحضِروهم جميعًا، الآن".

صمت أمير في أطلنطا للحظة ثم قال:

"ولكن إذا كانوا في معركة بالأسلحة النارية، يا آنسة."...

"حسنًا، أرسِل الكلاب فورًا لإنهاء القتال وتبديد كل تلك الفوضى، واقبضوا عليهم، يجب أن نتجاوز المراقبة من بعد، ونفعل شيئًا الآن".

أجاب أمير: "عُلِم ويُنفذ، يا آنسة".

قالت: "اتصل بي بمجرد الانتهاء من ذلك".

أجاب: "حسنًا، يا آنسة".

راقبت وجه أمير وهو يُؤطِّر الأمر، ثم أكَّده، وأرسله تكاد تتخيَّل الشاشة أمامه، وهو ينقر بأصابعه، أرادت منه أن يتصرّف بسرعة أكبر بحيث تتجاوز إرادته سرعة الضوء؛ لإنجاز ذلك الشيء اللعين.

قال أمير: "أرسلت الأوامر، بمجرد أن أتلقى معلومات من المُحلِّل الميداني هناك في جايميد، سأتواصل معك مباشرةً".

أجابت أفاسارالا: "ستجدني في انتظارك، إذا لم أرد على المكالمة، فحاول مرة أخرى حتى أستيقظ إذا كنت نائمة".

أنهت الاتصال ثم جلست وانحنت إلى الوراء في مقعدها. شعرت بتشوُّش عقلها كما لو أن هناك أسرابًا من النحل تطنُّ بجانب رأسها. قام جيمس هولدن بتغيير قواعد اللعبة مرة أخرى، كان الفتى موهوبًا في ذلك، ولكنه أصبح من السهل التنبؤ بما سيفعله، أما هذا الآخر الذي يُدعى مينج، فقد ظهر لها من العدم، قد يكون عميلًا أو مُتطوِّعًا أو طُعمًا ألقى به طرفٌ ثالثٌ هناك ليقود (أوبا) إلى فخ. فكَّرت أن تُطفئ الأنوار وتحاول النوم؛ لكنها تخلَّت عن تلك الفكرة حيث اعتبرتها رهانًا خاسرًا.

وبدلًا من ذلك، أجرت اتصالًا بقاعدة بيانات أبحاث الاستخبارات التابعة للأمم المتحدة. لقد مرَّت ساعة ونصف ساعة على أقل تقدير قبل أن تصل إليها أيٌّ معلومات جديدة. وفي أثناء ذلك أرادت أن تعرف من هو براكسيديك مينج؟ وما حيثيته في تلك اللعبة؟

الفصل التاسع عشر
هولدن

"ناعومي، جهّزي المركبة، علينا أن نغادر ذلك القمر الآن، علينا أن نفعل ذلك فورًا".

انتبه هولدن إلى الخيوط السوداء وهي تنتشر من حوله مُشكّلةً شبكة عنكبوتية داكنة تُحيط به وبمن معه من كلّ مكان، شعر أنه عاد إلى إيروس مرة أخرى. رأى آلاف الجثث تتحوّل إلى شيء مختلف تمامًا، كان يعتقد أنه نجا بنفسه والأمر بات ذكرى ماضية، لكن ذكرى إيروس عادت لتطارده من جديد. لقد كان مع ميلر في المرة السابقة، ولكن ذلك الشيء استطاع أن يسلب حياة ميلر على أيّ حال.

والآن عاد من أجله شخصيًّا.

سمع ناعومي تتساءل من لاسلكي بدلته: "ما الذي يحدث يا جيم؟ جيم!"

أجاب فورًا: "جهّزي المركبة!"

ردَّ أموس على ناعومي: "إنها الأشياء نفسها قد عادت، مثل إيروس تمامًا".

"يا إلهي، إنها..."

استطاع هولدن أن يلهث قبل أن يستولي الفزع على عقله ويجعله عاجزًا عن الكلام، حفق قلبه حتى كاد يخرج من بين ضلوعه، كان عليه أن يفحص مستويات الأكسجين في شاشة عرض بدلته، شعر أنه ليس هناك ما يكفي من الهواء في الغرفة

رأى بطرف عينه شيئًا يتحرك على الجدار يشبه اليد المقطوعة، وقد خلّف وراءه أثرًا من اللون البني. عندما استدار هولدن ووجّه بندقيته الهجومية نحو ذلك الشيء، اتضح أنها مسحة من الدم مُتحلّلة على رقعة من الجليد، وقد تغيّر لونها.

تقدّم أموس نحوها، وتعبير القلق يطبع على وجهه العريض، أشار له هولدن بالابتعاد، ثم وضع مؤخرة بندقيته على الأرض واتكأ على صندوقٍ قريب؛ لالتقاط أنفاسه.

قال ويندل: "يجب علينا المغادرة الآن"، وكان هو وباولا يتشاركان في استنهاض الرجل المُصاب بعيارٍ ناري، وقد كان ذلك الجريح يعاني من صعوبة في التنفّس. تشكّلت فقاعة صغيرة حمراء من الدم في فتحة أنفه اليسرى، تنتفخ ثم تنكمش مع كل استنشاق ضعيف للأنفاس يزفر به الرجل.

قالت ناعومي في أذن هولدن بصوتٍ خافتٍ: "جيم، لقد رأيته من كاميرا بدلة أموس، وأعرف ما يعنيه ذلك، سأُجهّز المركبة، لقد اختفت حركة المرور المحلية المُشفّرة تمامًا، أعتقد أن الجميع قد رحلوا".

ردّد هولدن الصدى: "الجميع قد رحلوا".

حدّقت به البقية المتضائلة من فريق بينكواتر، وقد أُصيبوا بعدوى الفزع عبر النظر إليه، فاستحالت تعابير القلق على وجوههم إلى الفزع رغم أنهم لم يكن لديهم أيّ فكرة عما تعنيه تلك الخطوط السوداء، توقّعوا منه أن يبادر إلى فعل شيءٍ ما، وكان يعلم أنه يجب عليه ذلك، لكنه لا يستطيع الآن أن يفكّر بشكلٍ صحيح. شبكت تلك الخيوط السوداء أفكاره وأومضت إليه بصورٍ عابرة لا يمكن فهمها مثل تلك الصور المتعاقبة في مقطع فيديو يتم تشغيله بسرعة عالية. رأى جولي ماو في حمامها والخيوط السوداء تغطي جسمها حتى تحوّل الجسد إلى مُستعمرةٍ كابوسية لتلك الخيوط، المشهد المفزع رأى تناثر الجثث على أرضية غرفة الإشعاع، بالإضافة إلى منظر هؤلاء الأشخاص المصابين بالعدوى في قطارات إيروس حتى أصبحوا مثل الموتى الأحياء، وقد راحوا يتقيأون ذلك السائل الأصفر البني على كل من حولهم، وكأن ما يحدث بهم قطرة من عقوبة قاسية بالإعدام، استعاد المطر المُفزع الذي أصبحت عليه محطة إيروس مثل الجذع الذي تم تمزيقه إلى ضلوع، والذراع الواحدة التي تتحرّك بلا جسد عبر مشهد مليء بالجزيئات الأولية التي تخوض مهمةً غير معروفة الهدف.

قال أموس: "أيها القبطان!"، ثم مدّ يده للمس ذراع هولدن، ابتعد هولدن حتى كاد يسقط على الأرض من فرط شعوره بالذهول.

ابتلع اللعاب الحمضي الكثيف الذي تراكم في حلقه ثم قال: "حسنًا، أنا مستعد، هيا بنا لنذهب، ناعومي، اتصلي بأليكس، يجب علينا العودة إلى (روسينانت) الآن".

لم ترد ناعومي للحظة، ثم قالت: "وماذا عن الحاجز..."

صاح هولدن: "اللعنة، لقد قلت الآن، يا ناعومي، اتصلي بأليكس الآن".

لم ترد، ولكن الرجل المُصاب برصاصة في بطنه زفر بحشرجة وكأنه يُحتضر ثم انهار وسقط أرضًا حتى كاد يسحب ويندل معه أيضًا.

قال هولدن لويندل: "يجب علينا المغادرة، مما يعني أننا لا نستطيع إسعافه، إذا بقينا هنا، سنموت جميعًا. أومأ ويندل برأسه لكنه جثا على ركبةٍ واحدة وبدأ في نزع درع الرجل الخفيف وكأنه لم يفهم كلام هولدن. سحب أموس حقيبة الطوارئ الطبية المُعلَّقة في حزامه، وجلس القرفصاء بجانب ويندل في محاولة لإسعاف الرجل الجريح، بينما كانت باولا تراقب ما يحدث بوجهٍ شاحب.

كرَّر هولدن: "يجب علينا المغادرة"، وأمسك بذراع أموس وهزَّه حتى يفهم ما يقول: "يا أموس، توقَّف عما تفعل، علينا المغادرة الآن، إيروس..."

قاطعه أموس: "أيها القبطان، مع كامل احترامي لك، لكننا لسنا في إيروس"، ثم سحب حقنة من حقيبة الطوارئ الطبية وحقن بها الرجل الجريح، وتابع قائلًا: "لا توجد هنا غرف للإشعاع، ولا موتى أحياء يتقيأون السوائل البنية اللزجة. كل ما رأيناه ذلك الصندوق المكسور، والكثير من القتل، إضافةً إلى تلك الخيوط العنكبوتية السوداء، لا نعرف ما الذي نواجهه سحق الجحيم، لكنها ليست إيروس، ونحن لن نغادر ونترك وراءنا هذا الرجل الجريح ليموت".

أدرك الجزء العقلاني الصغير من عقل هولدن أن أموس محق، والأهم من ذلك، أراد هولدن أن يعتقد أنه ما يزال ذلك الشخص الذي لن يفكر أبدًا في ترك أيّ شخص غريب يهلك وهو يغادر إلى بر الأمان، ناهيك عن ذلك الرجل الذي أُصيب بُجرحٍ من

أحله. أجبر نفسه على التنفُّس عميقًا وببطء ثلاث مرات. في حين ركع براكس بجانب أموس وأمسك بحقيبة الطوارئ الطبية.

نادى هولدن: "ناعومي!" بنبرة مُعتذرة عن الصراخ في وجهها منذ لحظات.

أجابت ناعومي بصوتٍ حاد لكنه ليس مُعاتبًا: "أليكس في طريقه، إنه على بعد بضع ساعات. لن يكون تجاوز الحصار أمرًا سهلًا، لكنه يقول إن لديه فكرة لتجاوزه. أين سيرسو؟"

ردَّ هولدن تلقائيًا قبل أن يدرك أنه اتخذ قراره: "أخبريه أن يرسو عند مرفأ (سومنامبوليست)، سأعطيها لشخصٍ ما، وليُقابلنا خارج غرفة معادلة الضغط عند وصولنا إلى هناك". ثم سحب المفتاح المُمغنط الخاص بمركبة (سومنامبوليست) من جيبٍ في حزامه، وألقاه إلى ويندل، ثم قال:

"بهذا ستتمكَّن من دخول المركبة التي ستقودك إلى حيث تريد، اعتبرها دفعة مُقدَّمة نظير خدماتك".

أومأ ويندل برأسه ودسَّ المفتاح في جيبه ثم عاد إلى رجُله الجريح، بدا الرجل وكأنه يتنفَّس.

سأل هولدن أموس: "هل يمكننا أن نحمله؟"، فخورًا بمدى ثبات صوته مرة أخرى محاولًا تناسي أنه كان سيترك الرجل ليموت قبل دقيقة واحدة.

أجاب أموس: "ليس لدينا خيار آخر أيها القبطان".

قال هولدن: "إذن، فليحمله شخصٌ آخر سواك يا أموس، أريدك أن تعود إلى موقعك في المقدمة".

ردَّ ويندل: "سأتولَّى ذلك، لا يمكنني إطلاق النار بهذه اليد المُصابة".

قال هولدن: "ساعده، يا براكس، دعونا نخرج من هذا الجحيم".

تحرَّكوا بأسرع طريقة يمكن أن يتحرّك بها مجموعة من الجرحى، تحمّلوا آلام المرور مرة أخرى بالرجال والنساء الذين كان عليهم قتلهم للدخول، ولكن الأسوأ من ذلك، عندما مرّوا بالقتلى الذين لم يقتلوهم، عادوا إلى جثة الصبي الصغير، الذي يُسمّى كاتوا،

والتي ما تزال موجودة هناك، انحرفت نظرة براكس نحو الجثة في أثناء مرورهم، ولكن هولدن أمسك بسُترته وجذبه نحو فتحة الخروج

قال هولدن: "ليست جثة مي، إذا أخّرتنا أكثر من ذلك، سنذهب ونتركك وحدك"

بمجرد أن تفوّه بهذا التهديد، شعر أنه بات وعدًا، لكنه لم يقل ذلك بلا ذريعة، حيث لم يعد العثور على ابنة العالم المفقودة أولوية بالنسبة له بعدما رأى تلك الخيوط السوداء، ولقد كان صادقًا مع نفسه، فإن ترك هذا العالم وحيدًا يعني عدم الوجود في المكان عندما يعثر على ابنته، وقد تحوَّلت إلى وحشٍ بسبب الجزيء الأولي حيث تتسرَّب المادة البنية اللزجة من الفتحات التي لم تُولد بها الطفلة، والخيوط السوداء العنكبوتية تزحف من فمها وعينيها.

هرع الرجل العجوز من بيتكواتر، الذي كان يُغطي مَخرجهم؛ ليُساعد في حمل الرجل الجريح دون أن يُطلب منه ذلك، سلَّمه براكس الرجل الجريح دون أن ينبس ببنت شفة، ثم انزلق خلف باولا وهي تُمشِّط الممرات بمسدسها الآلي.

الممرات التي كانت تبدو مملة في طريق الذهاب، انطبعت الآن بانطباعٍ شرير في طريق العودة؛ حيث إن الصقيع الذي ذكَّر هولدن بالشبكات العنكبوتية عندما دخلوا، بدا الآن وكأنه عروق كائن حي، كان الأدرينالين الذي يجعله يسمع خفقان قلوب الجميع هو نفسه الذي يتسبَّب في ارتعاش عينيه الآن.

رغم الغلاف المغناطيسي، ثمة ثمانية ريمات تخترق من كوكب المُشترِي على سطح جانيميد، ثمانية ريمات في اليوم. كم من الوقت يستغرق نمو الجزيء الأولي إذا كان المُشترِي مصدرًا لا ينضب للطاقة؟ لقد أصبحت محطة إيروس شيئًا مُروِّعًا بمجرد أن ترسَّخ الجزيء الأولي هناك، شيء يمكن أن يتسارع بسرعات لا تصدق دون قصورٍ ذاتي إذا صحَّت التقارير، فإنها باتت شيئًا يمكن أن يُغيِّر الغلاف الجوي والتركيب الكيميائي لكوكب الزهرة، كل ذلك بالاعتماد فقط على ما يزيد قليلًا عن مليون مُضيف بشري وألف مليار طن من الكتل الصخرية

بينما كان يوجد على محطة جانيميد عشرة أضعاف عدد البشر والكتل الصخرية الموجودة على إيروس، ماذا يمكن لذلك السلاح الفضائي القديم أن يفعل بمثل هذه الثروة الهائلة من البشر والحجر؟

فتح أموس الفتحة الأخيرة للقاعدة المخفية، وعاد الطاقم إلى أنفاق جانيميد ذات الحركة العالية، لم ير هولدن أيَّ شخصٍ يتصرّف وكأنه مُصاب بعدوى الجزيء الأولي، فلا موتى أحياء طائشون يترنّحون في الممرات، ولا سوائل قيء بنية لزجة تكسو الجدران والأرضيات، ولا فيروسات غريبة منتشرة تبحث عن مضيف بشري لاستقبالها، ولم تُوظّف شركة بروتوجين العصابات المأجورة؛ لتقود الناس إلى حتفهم.

انتهت شركة بروتوجين، وولّت أيامها.

شعورٌ ما خفيٌّ تسرَّب من الجزء الخلفي من دماغ هولدن، ولم يدرك أنه يزحف إلى الأمام. لقد انتهت شركة بروتوجين، وكان هولدن هو من ساعد في تفكيكها، لقد كان في تلك الغرفة عندما مات المهندس المسؤول عن تجربة إيروس، وحينما قصف أسطول المريخ قمر فيبي حتى تحوَّل إلى غازٍ رقيق تم امتصاصه في جاذبية كوكب زحل الهائلة، بينما اصطدم إيروس بجو كوكب الزهرة الحمضي الحار الذي يُشبه أجواء المُوصدة؛ حيث لا يمكن للمراكب البشرية الاختراق. إنه هولدن نفسه من أخذ تلك العينة الوحيدة التي تمتلكها شركة البروتوجين من الجزيء الأولي.

إذن من الذي أحضر الجزيء الأولي إلى جانيميد؟

لقد أعطى العينة لفريد جونسون لاستخدامها كوسيلة ضغط في مباحثات السلام، وحصل تحالف الكواكب الخارجية (أوبا) على الكثير من الامتيازات في ظل الفوضى التي أعقبت المناوشات القصيرة بين الكواكب الداخلية، لكن يبدو أن ليس ذلك كل ما أرادوه، حيث كانت أساطيل الكواكب الداخلية التي ما تزال في مدار جانيميد شاهدًا على ذلك.

كان لدى فريد العينة الوحيدة المتبقية من الجزيء الأولي في النظام الشمسي بأكمله؛ لأن هولدن قد منحه إياها.

صاح بأعلى صوته دون أن يعي ذلك: "إنه فريد."..

سألته ناعومي. "ماذا فعل فريد؟"

أجاب هولدن. "هذا، هذا الذي يحدث هنا، لقد فعل كل ذلك" قالت ناعومي. "كلا"

ردّ هولدن: "فعل كل ذلك؛ لطرد قوات الكواكب الداخلية، أو من أجل اختبار نوعٍ من الأسلحة الحارقة، أو لأيّ سببٍ آخر، لكنه هو من فعل كل ذلك"

كرّرت ناعومي قولها: "كلا، نحن لسنا متأكّدين من ذلك، ولا نعرف شيئًا بعد".

تكاثف الدخان في الممر، وتصاعدت رائحةٌ كريهةٌ ناجمة عن حرق الشعر واللحم حتى اختنق هولدن ووجد نفسه عاجزًا عن الردّ على ناعومي.

رفع أموس يده للمجموعة لكي يتوقّفوا، وبالفعل توقّف فريق بينكواتر، واتخذوا مواقع دفاعية، ثم تحرّك أموس في الممر مُتجهًا نحو التقاطع، ونظر إلى اليسار لعدة لحظات.

تحدّث الرجل أخيرًا: "وقع حدثٌ جلل هنا، أرى ستة قتلى، وعددًا أكبر من الناس يحتفلون".

تساءل هولدن: "هل هم مُسلّحون؟"

أجاب أموس: "نعم، بالطبع".

هولدن الذي كان سيحاول التحدُّث بطريقته أمامهم، هولدن الذي أحبته ناعومي وأرادت استعادته، بالكاد استطاع أن يحتد قائلًا: "فلنتجاوزهم!"

انحنى أموس حول الزاوية، وأطلق دفعة رصاص كبيرة من بندقيته الآلية، ثم قال عند تلاشت أصداء الطلقات: "هيا، انطلقوا!"

حمل فريق بينكواتر رفيقهم الجريح، وسارعوا إلى الممر متجاوزين ساحة القتال؛ لم يُهرول براكس بعيدًا، بل ظل في الخلف على مسافة قريبة منهم، مُطأطئ الرأس مُلوِّحًا بذراعيه النحيلة، بينما تبعه هولدن وهو ينظر إلى الجثث المُشتعلة في وسط الممر الواسع. لا بُدَّ من أن ينطوي حرقها على رسالة ما، لم تكن الأمور بهذا السوء حتى الآن بالنسبة لهم؛ ليبدأوا في أكل بعضهم بعضًا، أليس كذلك؟!

أُلقي عددٌ قليل من الجثث خارج النار، ودماؤها تعمر الأرضيات المعدنية المُموَّجة. لم يستطع هولدن أن يُحدِّد ما إذا كان المصير الذي لقيته تلك الجثث من صنيع أموس أم لا، كان من الممكن أن يسأل هولدن القديم هذا السؤال، بينما هولدن الجديد لا يأبه بذلك

نادى هولدن: "ناعومي!" راغبًا في سماع صوتها.

أجابت: "أسمعك".

قال هولدن: "نحن نواجه بعض المتاعب هنا".

سمع الرهبة في صوتها وهي تتساءل: "هل كان ذلك...؟"

ردَّ هولدن: "لا، ليس الجزيء الأولي، لكن قد يكون السكان المحليون هنا أشرارًا بحق"، ثم تحدَّث إليها وهو لا ينتبه لما يقول: "أغلقي الأقفال، واذهبي لإحماء المفاعل، إذا حدث شيءٌ لنا، غادري أنتِ والتقي بأليكس، لا تذهبي إلى تايكو".

قالت: "جيم، أعتقد."...

قاطعها هولدن: "لا تذهبي إلى تايكو، لقد فعل فريد كل هذا، لا تعودوا إليه".

ردَّت ناعومي: "كلا"، كما لو كان ذلك شعارها الجديد.

قال لها هولدن: "إذا لم نصل إليكِ في غضون نصف ساعة، فاذهبي أنتِ، هذا أمر أيتها المساعدة التنفيذية!"

قال هولدن لنفسه إنها على الأقل ستنجو بحياتها، بغض النظر عما يحدث على جانيميد، فعلى الأقل ستبقى ناعومي على قيد الحياة. استحضر ذهنه منظر جولي الكابوسي، وهي ميتة في حمامها ولكن تخيَّل وجه ناعومي مكانها، لم يكن يتوقَّع أن تفلت منه صرخة كرب صغيرة، التفت أموس ونظر إليه مُندهِشًا، ولكن هولدن لوَّح له دون أن ينبس ببنت شفة.

إنه فريد من فعل كل ذلك.

وإذا كان فريد قد فعل ذلك، فإن هولدن يشترك معه بالتبعية في تلك الجريمة.

لقد أمضى هولدن عامًا يلعب دور المُنفِّذ لسياسة فريد، طارد المركبات ودمَّرها من أجل تجربة حكومة (أوبا) التي كان يرأسها فريد، لقد استبدل شخصية الرجل الطيب

الذي كان عليه شخصية ذلك الرجل الوغد الذي هو عليه الآن؛ لأن جزءًا منه كان مُؤمنًا حقًّا بحلم فريد في تحرير الكواكب الخارجية ومنحها الاستقلال في الحكم بينما كان فريد يُخطِّط سرًّا لكل هذا...

فكّر هولدن في كل الأشياء التي أجّلها ليتمكّن من مساعدة فريد في تحقيق حلمه ببناء نظامه الشمسي الجديد. لقد أجّل اصطحاب ناعومي لمقابلة عائلته من الأرضيين، لا يعني ذلك أن ناعومي نفسها كانت من الممكن أن تذهب معه إلى الأرض، لكن كان بإمكانه ترتيب سفر عائلته جوًّا لإتمام المقابلة على القمر. ربما كان الأب توم سيقاوم الفكرة، لطالما كرِه السفر، لكن لم يكن لدى هولدن ذرة شك في أنه عندما يشرح لعائلته أهمية الأمر بالنسبة له، سيستجيبون فورًا لرغبته، ويأتون لمقابلتها.

كما أن الالتقاء ببراكس ورؤية مدى حاجته المُلحة لإيجاد ابنته المفقودة، جعله يدرك مدى رغبته في اختبار ذلك الشعور الإنساني، تجربة ذلك النوع من الاشتياق لإنسانٍ آخر، أن يُخلِّف وراءه جيلًا آخر يكون امتدادًا لجيل آبائه؛ وكأنه بذلك يظهر لهم أن كل ما بذلوه لأجله من جهدٍ وطاقة قد أتى في النهاية بثماره. أراد تجربة ذلك أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، أراد أن يرى نظرات الفخر والابتهاج على وجوههم عندما يُريهم طفلًا؛ طفله وطفل ناعومي.

سلب منه فريد كل تلك الآمال المُؤجّلة، أولًا عن طريق إضاعة وقته بتحويله إلى سفاح (أوبا)، والآن بطعنه بتلك الخيانة. أقسم هولدن على نفسه أنه إذا كُتب له النجاة وخرج من جانيميد، فإنه سيجعل فريد يدفع ثمن ذلك كله.

أوقف أموس المجموعة مرة أخرى، ولاحظ هولدن أنهم عادوا إلى المرفأ، استفاق هولدن من خياله، لم يستوعب كيف وصلوا إلى هناك.

قال أموس: "نبدو واضحين من هنا".

تساءل هولدن: "ناعومي، كيف تبدو الأمور حول المركبة؟"

أجابت: "تبدو الأمور واضحة هنا، لكن أليكس قلق بشأن..."

قاطعها صرير إلكتروني.

صاح هولدن: "ناعومي! ناعومي!"، ولكن دون استجابة، صرخ في أموس: "هيا، بالخطوة السريعة إلى المركبة"

ركض أموس وفريق بينكواتر إلى الرصيف بالسرعة القصوى التي تسمح لهم بها أجسادهم الجريحة فضلًا عن رفيقهم فاقد الوعي تخلَّف هولدن قليلًا حتى صار في المؤخرة حاملًا بندقيته الهجومية وقد أزال وضع الأمان في أثناء ركضه.

شقّوا طريقهم عبر الممرات الملتوية لقطاع المرافئ، وشتّت أموس المارة بصيحاته العالية والتهديد ببندقيته دون إطلاق نيران. ابتعدت عن طريقهم امرأة عجوز مُحجَّبة مثل ورقة شجر تُرفرف قبل هبوب عاصفة. لقد كانت ميتة بالفعل. إذا كان الجزيء الأولي سائبًا، فإن كل شخص مرَّ به هولد قد مات بالفعل، سانتيتشاي وميليسا سوبيتايابورن، وجميع الأشخاص الذي جاءوا لإنقاذهم على محطة جانيميد، بما في ذلك مثيرو الشغب والقتلة الذين كانوا مواطنين عاديين في المحطة قبل انهيار نظامهم البيئي الاجتماعي. إذا كان الجزيء الأولي سائبًا، فمن المفترض أن جميع هؤلاء ميتون.

ولكن لماذا يحدث كل ذلك؟

أجبر هولدن نفسه على التوقُّف عن التفكير الآن، وليفكر بشأن ذلك في وقت لاحق، إذا كان هناك وقت لاحق. صرخ أحدهم في وجه أموس مما استفزَّه وجعله يُطلق بندقيته في الهواء مرة واحدة. رغم أن أمن المرافئ الموجودين خارجًا مثل العِقبان التي تحاول خطف أي جزء من جميع الشحنات الواردة، إلا أنهم لم يستطيعوا إيقاف المركبة.

تم إغلاق باب غرفة معادلة الضغط الخارجي لمركبة (سومنامبوليست) بمجرد وصولهم إليها.

سأل هولدن: "ناعومي، هل أنت هناك؟"، وهو يتحسس جيوبه للعثور على المفتاح المُعطل. لم ترد ناعومي. واستغرق الأمر بعض الوقت ليتذكّر أنه أعطى المفتاح إلى ويدل.

"ويدل، افتح لنا الباب".

لكن، لم يرد زعيم بينكواتر.

بدأ هولدن ينادي: "ويدل!"، ثم توقّف عندما رأى ويندل يُحدِّق بعينين واسعتين في شيءٍ ما خلفه، التفت هولدن ليرى خمسة رجال، جميعهم من الأرضيين، وكانوا يرتدون دروعًا رمادية بدون أيّ شعارات، كما حملوا أسلحةً ثقيلة

كلا، فكر هولدن قليلًا، وأطلق بندقيته في عملية اكتساح آلية كاملة. سقط ثلاثة من الرجال الخمسة، وأزهرت دروعهم القتالية بالدماء. ابتهج هولدن الجديد من المنظر، بينما كان القديم هادئًا. لا يهم من هؤلاء الرجال، سواء أكانوا من أمن المحطة، أم من قوات العسكرية للكواكب الداخلية، أم مجرد مرتزقة مُتبقِّين من القاعدة السرية المُدمَّرة الآن. لا يجد غضاضة في أن يقتلهم جميعًا إذا ما حاولوا منعه من إجلاء طاقمه من هذا القمر المنكوب.

لم يتيسَّر له رؤية من أطلق الرصاصة التي أصابته في ساقه حتى اغتيل من تحته. منذ لحظةٍ واحدة، كان يقف على قدميه، ويُفرِّغ خزنة بندقيته الهجومية في وجه هؤلاء المُهاجمين ذوي الدروع الرمادية، وفي لحظةٍ أخرى، شعر بضربة مطرقة تُصيب درعه في فخذه الأيمن؛ مما أدى إلى اختلاله وسقوطه أرضًا. عندما سقط رأى الجنديين المُتبقِّيين من فريق الدروع الرمادية يسقطان تحت تأثير أزيز الرصاص المُنطلِق من بندقية أموس الآلية.

تدحرج هولدن إلى جانبه مُتطلعًا ليرى ما إذا كان هناك مزيد من الجرحى لكنه تبيَّن أن الخمسة المطروحين أرضًا بجانبه ليسوا سوى نصف قوة فريق العدو فقط. رفع فريق بينكواتر أيديهم وأسقطوا أسلحتهم استسلامًا حينما بزغ من الممر الخلفي خمسة جنود آخرون من ذوي الدروع الرمادية.

لم يرّهم أموس قط، أسقط الخزنة الفارغة من بندقيته الآلية، وعندما بدأ في سحب واحدة جديدة من جرابه، صوَّب أحد المرتزقة مسدسًا كبيرًا في مؤخرة رأسه وأخذ يضغط على الزناد. طارت خوذة أموس بعيدًا قبل أن ينكب على وجهه على تلك الأرضية المعدنية المُموّجة بعد ضربة قوية من الخلف. كانت الدماء تسيل على الأرض حينما سقط.

حاول هولدن إدراج حربة حديدة في بندقيته الهجومية، لكن يديه لم تُساعداه على ذلك، وقبل أن يتمكّن من إعادة تعبئة بندقيته بالرصاص، كان أحد الجنود قد تقدّم نحوه، وركل البندقية بعيدًا عن متناوله.

كان لدى هولدن متسع من الوقت ليرى أفراد فريق بينكواتر المُتقّين وهم يختفون في أكياسٍ سوداء قبل أن يأتي أحدهم فوق رأسه ويُغرقه في ظلامٍ دامس.

الفصل العشرون

بوبي

زُوِّد الوفد المريخي بمجموعة من المكاتب ليستخدموها في أثناء وجودهم في مبنى الأمم المتحدة، كان الأثاث مصنوعًا من الخشب الطبيعي، كما أن اللوحات على الجدران كانت أصلية وليست مطبوعات، والسجاجيد تبدو جديدة تمامًا. جال في خاطر بوبي أن كل شخصٍ في حرم الأمم المتحدة يعيش عيشة الملوك، أو أن الأرضيين أرادوا إثارة إعجاب المريخيين بتلك المظاهر البرّاقة.

اتصل بها ثورسون بعد ساعاتٍ قليلة من مصادفتها أفاسارالا في الحانة، وطلب منها مقابلته في اليوم التالي. هي الآن تنتظر في بهو مكتب المريخيين المؤقت، وقد جلست على مقعد من طراز برجير مزوَّد بوسائد مخملية خضراء وإطار مُصمَّم من خشب الكرز لا بُدَّ من أن ثمنه يعادل راتب العمل لمدة عامين على كوكب المريخ. بينما كان عُلِّقت على الجدار المقابل لها شاشة تبثّ أخبارًا عن إحدى القنوات، ولكن كان الصوت مكتومًا. حوَّل الصمت البرنامج المعروض إلى مجموعة من الصور المُربكة والمروِّعة إلى حدٍّ ما: شخصان يتحدثان في أثناء جلوسهما على مكتب في غرفةٍ زرقاء، ومبنى كبير يحترق، إضافةً إلى امرأة تسير في ممرٍّ أبيض طويل بينما تُشير بحماسٍ إلى كلا الجانبين، ومركبة حربية تابعة للأمم المتحدة ترسو عند محطة مدارية وقد تعرّضت إلى أضرارٍ جسمية أثرت على جانبها، وكانت هناك أيضًا صورة لرجلٍ أحمر الوجه يتحدَّث مباشرةً إلى الكاميرا، وفي الخلفية علم لم تتمكّن بوبي من التعرُّف عليه.

لا بُدّ أن كل تلك الصور المعروضة تعني شيئًا ما، ولكنها في الوقت نفسه لم تفهم منها أيَّ شيء. قبل ساعاتٍ قليلة فقط كان هذا من شأنه أن يُحبط بوبي، كانت ستشعر بأنها مُضطرةٌ أن تذهب لتعثر على جهاز التحكُّم عن بعد وترفع مستوى الصوت؛ لإضفاء سياق لكل تلك المعلومات المعروضة أمامها.

ولكنها الآن، تركت الصور تتدفّق من حولها مثل المياه المتفجّرة من الحجارة في الحلجان

عبر الردهة، كان هناك شابٌّ يسير بسرعة، سبق لها أن رأته عدة مرات في (داي جوبح)، لكن لم يسبق لها التعرُّف عليه، بدأ ينقر بشدة على جهازه اللوحي، وعندما وصل إلى منتصف الغرفة قال: "إنه مستعد لمقابلتك"

استغرق الأمر من بوبي لحظة حتى أدركت أن الشاب كان يتحدَّث إليها، يبدو أن مخزونها العقلي قد انخفض بدرجة كافية لدرجة أنها لم تعد مؤهَّلة لاستقبال وتوصيل المعلومات وجهًا لوجه. هناك المزيد من البيانات المُتدفِّقة التي لا معنى لها. هناك المزيد من المياه تتفجَّر أمامها. نهضت من مكانها وأثناء تحرُّكها صدر منها نخير جنود المشاة في أثناء سيرهم، يبدو أن الساعات التي قضتها في المشي من الساعة الواحدة ظهرًا خلال اليوم السابق تركت آثارًا في قدميها أكثر مما كانت تعتقد.

لقد فوجئت قليلًا عندما وجدت أن مكتب ثورسون من أصغر المكاتب في الجناح، وهذا يعني أنه إما لم يكن مهتمًّا بالعلاقة غير المُعلنة بين حجم المكتب وأهمية المنصب، أو أنه كان في الواقع العضو الأقل أهميةً في الوفد بين أولئك الذين يستحقون مساحة عمل خاصة. ليست مضطرة لتتبُّع أيّ الخيارين أصح على أيّ حال. لم يتفاعل ثورسون مع حضورها، بل أبقى رأسه منحنيًا فوق مكتبه. لم تعبأ كثيرًا بتجاهله لها ولا بالدرس الذي كان يحاول تلقينه إياها عبر هذا التصرف. لم يُتِح حجم مكتب ثورسون الصغير وضع كراسي للضيوف أمامه، بينما اشتد الألم في ساقيها بما يكفي لتشتيتها عن ذلك.

نطق الرجل أخيرًا: "ربما أكون قد بالغت في ردة فعلي بالأمس".

ردَّت بوبي: "حقًّا؟"، وهي تفكر في المكان الذي يمكنها أن تحصل فيه على المزيد من شاي حليب الصويا.

نظر إليها ثورسون، وبدا أنه يحاول جاهدًا رسم نسخة مُحَّطة من ابتسامةٍ ودية ثم قال: "سأكون صادقًا معك، لا شك في أن ثورتك الهوجاء بالأمس قد أثَّرت على مصداقيتنا، ولكن كما أشار مارتينز، فإن هذا خطئي إلى حدٍّ كبير؛ لعدم استيعابي الكامل لمدى خطورة الصدمة التي تعرَّضتِ لها".

قالت روبي: "آه، حسنًا"، بينما انتبهت إلى الصورة المُؤطَّرة على الجدار خلف ثورسون، حيث كانت لمدينة كبيرة ذات هيكل معدني طويل في الواجهة يبدو أنها رافعة صاروخية عملاقة منذ زمنٍ سحيق، من خلال قراءة التعريف التوضيحي أسفل الصورة عرفت أن المدينة تُسمَّى باريس.

تابع ثورسون: "لذا، بدلًا من إعادتك إلى المريخ، سأُبقيكِ ضمن فريق العمل هنا، سيكون لديكِ فرصة لتصحيح الخطأ الذي ارتكبتِه".

تساءلت روبي، وهي تنظر في عين ثورسون لأول مرة منذ دخولها: "لماذا أنا هنا؟"

اختفت الابتسامة التي جاهد ثورسون ليرسمها على ملامحه، واستبدلها بعبوس طفيف، ثم قال: "ماذا قلتِ؟"

كرَّرت روبي: "لماذا أنا هنا؟"، وهي تفكر في مجلس التأديب بالإضافة إلى التفكير في مدى صعوبة إعادة انتدابها إلى جانيميد إذا لم يُرسلها ثورسون إلى المريخ، في هذه الحالة، هل سيسمح لها بالاستقالة؟ هل ستترك الفيلق العسكري وتمارس عملها الخاص؟ أصابها الحزن لمجرد التفكير في التخلِّي عن عملها ضمن مشاة البحرية، لقد كان ذلك أول شعور قوي حقًّا يُسيطر عليها منذ وقتٍ طويل.

بدأ ثورسون: "لماذا أنتِ هنا..."، لكن روبي قاطعته قائلةً:

"على ما يبدو، أنني لم تُحضروني إلى هنا لأتحدث عن الوحش. بصراحة، إذا كنت هنا فقط باعتباري تحفة تعرضونها على الأمم المتحدة، فأعتقد أنني أُفضِّل إعادتي إلى أرض الوطن. لديّ بعض الأشياء التي يمكنني فعلها هناك."...

قال ثورسون: "أنتِ"، ثم زوَّد حدة صوته: "أنتِ هنا لتفعلي بالضبط ما أُمليه عليكِ، وتفعليه بمجرد أن آمركِ به، هل هذا مفهوم، أيتها الجندية؟"

ردَّت روبي: "حسنًا"، وهي تشعر بالماء يتدفّق من حولها، وكانت هي الحجر، حيث لم تُحرِّك فيها هذه المرة المنفعلة ساكنًا، ثم أردفت: "يجب أن أغادر الآن".

استدارت نوبي وسارت بعيدًا، لم تترك مجالًا لثورسون أن ينطق بكلمة أخيرة قبل مغادرتها. وأثناء تحرُّكها عبر الجناح باتجاه المخرج، رأت مارتينز البودرة الكريمية في فنجان قهوة في مساحة المطبخ الصغيرة. التقت عيونهما في وقت واحد.

قال مارتينز: "نوبي!". لقد كان قريبًا منها جدًّا خلال الأيام القليلة الماضية.

في الظروف الطبيعية، كانت ستفترض أنه يُمهِّد الطريق لإقامة علاقة رومانسية أو جنسية معها، ولكن من خلال التعامل مع مارتينز، باتت متأكِّدة تمامًا من أنها مجرد أداة في مجموعة أدواته، وأنه يهدف لمعالجة مشاكلها المرضية لأغراض عملية بحتة، أو إن شئت فقل: "إصلاح جنود مشاة البحرية المُعطّلين"؛ باعتباره يتعامل مع أدوات لا بشر.

توقَّفت وقالت: "سيدي النقيب"، شعرت وكأن الباب الأمامي يسحبها بنوعٍ من الجاذبية النفسية، لكن في الحقيقة لم يكن مارتينز لئيمًا معها، كان عمليًّا فحسب، واستقر في نفسها هاجسٌ غريب بأنها لن ترى أيًّا من هؤلاء الأشخاص مرة أخرى. مدَّت يدها إليه، وعندما صافحها، قالت: "سأغادر، لن تضطر إلى إهدار وقتك معي بعد الآن".

ابتسم لها ابتسامته الحزينة: "على الرغم من حقيقة أنني لا أشعر بأني أنجزت أيَّ شيءٍ في الواقع، إلا أنني لم أكن أُهدِّر وقتي معكِ، هل لنا أن نكون أصدقاء في المستقبل؟"

ردَّت: "آمل..."، ثم اضطرت للتوقُّف عن الكلام لازدراد ريقها، ثم تابعت: "آمل ألا أكون قد تسبَّب ذلك في تدمير مسيرتك المهنية أو أيِّ شيءٍ من هذا القبيل".

قالت ذلك ثم اتجهت بالفعل نحو الباب للخروج، ردَّ عليها مارتينز وهي مُدبرة: "لست قلِقًا بشأن ذلك"، سمعت قوله، ولكنها لم تلتفت.

أثناء سيرها في الردهة، أخرجت نوبي جهازها اللوحي، واتصلت بالرقم الذي أعطته إياها أفاسارالا، انتقلت إلى البريد الصوتي فورًا، ثم قالت:

"حسنًا، أنا أقبل هذه الوظيفة التي سبق وعرضتها عليّ".

***

ثمة شيءٌ مُحرِّر ومخيف في يومها الأول مع تلك الوظيفة الجديدة. لطالما شعرت نوبي أنها غارقةٌ في التوتُّر من رأسها وحتى أخمص قدميها عند تكليفها بأيِّ مهمة جديدة، بسبب عدم معرفتها بكيفية أداء الأشياء المطلوبة منها، أو قلقها حيال عدم ارتداء ملابس

مناسبة، أو خوفها من قول شيءٍ خاطئ أو أن تكون منبوذةً من الجميع، ولكن بغض البصر عن أن هذا الشعور كان كاسحًا، فقد طغت عليها حقيقة أنها مع تلك الوظيفة الجديدة ستجد أخيرًا الفرصة للبدء من جديد، وبالصورة التي تختارها لنفسها، وأن خياراتها ستكون- ولو لفترة قصيرة- بلا حدود.

ورغم ضيقها من الانتظار لوقتٍ طويل حتى لاحظت أفاسارالا أخيرًا وجودها؛ إلا أن ذلك لن يُثبِّط حماستها نحو المستقبل.

عزَّز الوقوف بين يدي أفاسارالا في مكتبها انطباع بوبي بأن جناح المريخ صُمِّم بهذه الفخامة بهدف إثارة الإعجاب فقط. وقد كانت مُساعدة وكيل الأمين العام تتمتَّع بالسلطة الكافية، وعبر مكالمة هاتفية واحدة فقط؛ لتنقل بوبي من العمل تحت قيادة ثورسون إلى العمل كمُنسِّقة اتصال لدى الأمم المتحدة. ولكن مع ذلك، كان مكتبها يحتوي على سجادة رخيصة تفوح منها رائحة كريهة تبدو كرائحة دخان التبغ العتيق. كان المكتب قديمًا ومُتهالكًا، لا توجد كراسي خشب الكرز هنا، الأشياء الوحيدة التي بدت مُعتنى بها في تلك الغرفة هي الزهور الطازجة وتمثال بوذا.

كانت أفاسارالا تشع بالتعب والإنهاك، ثمة هالات سوداء تحت عينيها لم تكن موجودة خلال الاجتماعات الرسمية، ولم تظهر في الأضواء الخافتة للحانة حيث قدمت لها عرض الوظيفة. جلست المرأة العجوز خلف مكتبها العملاق مُرتديةً ساريًا لازورديًّا، بدت صغيرةً جدًّا مثل طفلٍ يتظاهر بأنه شخصٌ بالغ، إلا أن شيب رأسها وتجاعيد أقدام الغراب المحيطة بعينيها أفسدا الوهم تمامًا. فجأةً تخيلتها بوبي على أنها دُمية غريبة الأطوار، لا تكف عن الشكوى من تحريك الأطفال لذراعيها وساقيها، وإجبارها على الذهاب إلى حفلات الشاي مع دُمى الحيوانات المحشوة. أسهم ذلك التفكير في إيلام خديها وهي تكبح ابتسامتها من مجرد تخيُّل المنظر.

نقرت أفاسارالا على جهازها اللوحي وهي تجز بضجر. حدَّثت بوبي نفسها. "لا مزيد من الشاي لك، أيتها الجدة الدُّمية، لقد تناولتِ ما يكفي"، وكتمت الضحك. قالت أفاسارالا. "سوري، لقد قمت بنقل ملفاتي اللعينة مرة أخرى، لم يمكنني العثور على ذلك الشيء الملعون بعد الآن"

تنحح الشاب المُتيبّس الذي أحضر بوبي إلى المكتب ثم ذاب في الخلفية بشكلٍ ما، لقد أذهلها، كان أقرب إليها مما تصوّرت.

"سيدتي، لقد طلبت مني نقل بعض الملفات."...

قاطعته أفاسارالا: "نعم، نعم"، وهي تنقر بقوة أكبر على شاشة الجهاز، كما لو أن ذلك سيجعل الجهاز يفهم ما تريده، ذكّر ذلك المشهد بوبي بالأشخاص الذين يتحدّثون بصوتٍ أعلى عند محاولتهم التواصل مع شخصٍ آخر يتحدث لغةً مختلفة.

قالت أفاسارالا بانفعال: "حسنًا، ها هي الملفات، لماذا وضعتهم في."...

نقرت بضع مرات أخرى بينما أصدر جهاز بوبي صفيرًا.

قالت السيدة العجوز: "هذا هو التقرير، وكل ملاحظاتي حول وضع جانيميد، اقرأيهم بعناية، اليوم. قد أرسل إليكِ تحديثًا في وقت لاحق بمجرد إجراء استجواب لطيف قليلًا".

أخرجت بوبي جهازها اللوحي، وتنقلّت بسرعة عبر المستندات التي تلقّتها للتو، استمر التقليب لمئات الصفحات، ما تبادر إلى ذهنها: "هل هي تقصد حقًّا قراءة كل تلك الصفحات اليوم؟"، ثم تبعت ذلك بسؤال نفسها: "هل أعطتني حقًّا كل ما تعرفه؟"، مما زاد من شعورها بالسخط على سوء معاملة حكومتها لها في الفترة الأخيرة.

تابعت رئيستها الجديدة: "لن يستغرق الأمر منكِ وقتًا طويلًا، لا يوجد شيء تقريبًا هناك، ليس سوى الكثير من الهراء من قِبل المستشارين الذين يتقاضون رواتب باهظة، والذين يعتقدون أن بإمكانهم إخفاء حقيقة أنهم لا يعرفون أي شيء يدور حولهم عن طريق كتابة الشيء نفسه على الأقل مرتين".

أومأت بوبي برأسها، ولكن شعورها بالعرق في التوتّر من رأسها وحتى أخمص قدميها مع تلك الفرصة الجديدة بدأ يفوق حماستها نحو المستقبل.

تساءل سورين: "سيدتي، هل الرقيبة درابر لديها تصريح كافٍ لـ"...

أجابت أفاسارالا بحدة: "نعم، فعلت، بوبي؟ لقد منحتك تصريحًا أمنيًّا"، ثم صاحت في وجه الشاب: "سورين، كُفَّ عن إثارة غضبي، لقد نفد الشاي، ولست في حالة مزاجية تسمح بمثل هذا العبث".

حاولت بوبي جاهدةً ألا تلتفت وتنظر إلى سورين، لقد كان الوضع مُحرجًا بما يكفي ليستعيد المشهد في طريقه للعودة إلى المنزل، لأنه تعرَّض للإهانة أمام شخصٍ غريب عندما كان في العمل قبل سبع عشرة دقيقة بالضبط.

قال سورين: "نعم، يا سيدتي، كل ما أقصده هو السؤال عما إذا كان يتعيَّن عليك إخطار جهاز الأمن بشأن قرارك بمنح تصريح للرقيبة، إنهم يحبون الاطلاع على هذا النوع من الأشياء".

قالت أفاسارالا في تهكُّم: "مواء مواء مواء مواء وصياح، هذا كل ما سمعتك تقوله الآن".

ردَّ سورين في إذعان: "حسنًا، يا سيدتي".

مررت بوبي نظراتٍ إليهما في نهاية الأمر، كانت الجدة تتعمَّد تعنيف سورين أمام عنصر جديد في الفريق كان أيضًا من جانب العدو من الناحية النظرية. لم يتغيَّر تعبير الرجل، بدا وكأنه يداعب جدة مجنونة، بينما بدأت أفاسارالا تطحن أسنانها وقد فرغ صبرها.

"ألم أُوضِّح ذلك؟ هل فقدتُ القدرة على النطق؟"

أجاب سورين: "لا، يا سيدتي، العفو".

تساءلت أفاسارالا: "بوبي، هل تفهمينني؟"

ردَّت بوبي: "نعم، يا سيدتي".

قالت أفاسارالا: "حسنًا، إذن، اخرجا من مكتبي الآن، واذهبا إلى العمل، بوبي، عليك أن تقرأي جيدًا. سورين، أحضر لي الشاي".

استدارت بوبي لتغادر المكتب، ولاحظت سورين يُحدِّق بها بوجهٍ خالٍ تمامًا من التعابير، بحيث كان هذا أكثر إثارةً للقلق مما لو كان غاضبًا قليلًا لسببٍ وجيه

قالت أفاسارالا وهو تمر بجواره. "سورين، انتظر! خذ هذا وسلّمه لـ فوستر في خدمات البيانات"، وأعطت سورين ما يُشبه شريحة ذاكرة، ثم تابعت: "تأكّد من وصوله إليه قبل أن يغادر اليوم".

هزّ سورين رأسه وابتسم ثم أخذ منها الرقاقة السوداء الصغيرة، وقال: "بالطبع، سأفعل".

عندما غادرا مكتب أفاسارالا، وأغلق سورين الباب خلفهما، أطلقت بوبي زفيرًا طويلًا رنّانًا، وابتسمت له.

بدأت تتحدّث إليه: "يا إلهي، كان ذلك مُحرجًا، آسفة على ذلك"، ولكنها توقّفت عندما رفع سورين يده رافضًا استطرادها في الحديث بشكل عفوي.

قال: "لا بأس، إنها تقضي يومًا جيدًا في الواقع".

وبينما وقفت تحدّق فيه، ابتعد سورين عنها، وألقى بشريحة الذاكرة على مكتبه، حتى انزلقت تحت غلاف علبة بسكويت نصف مأكولة، وجلس ثم وضع سماعات الرأس، وبدأ في تمرير قائمة جهات الاتصال عن جهازه المكتبي. ولم يُبدِ أيّ إشارة على اهتمامه باستمرار وجود بوبي من عدمه.

قالت بوبي لتكسر الصمت: "كما تعلم، لدي بعض الأشياء التي يتعيّن عليّ قراءتها؛ لذا إذا كنت مشغولًا، يمكنني نقل هذا الشيء إلى مسؤول خدمات البيانات، أعني، إذا كنت مشغولًا بأشياء أخرى".

التفت إليها سورين أخيرًا باستغراب ثم تساءل:

"لماذا أحتاج منك أن تفعلي ذلك؟"

أجابت بوبي: "حسنًا"، وهي تنظر إلى الوقت في جهازها اللوحي: "إنها تقترب من الساعة ١٨:٠٠ على التوقيت المحلي، ولا أعرف متى ينتهي العمل هنا اليوم؛ لذلك فكرت للتو في..."

ردَّ عليها سورين: "لا تقلقي بشأن هذا، في الحقيقة أن عملي كله يتلخّص في جعلها. "، ثم أمال رأسه نحو الباب المُغلق وتابع: "في جعلها هادئةً ورائقة البال،

بالنسبة لها، أيّ شيءٍ يمثل أولوية، وهكذا؛ لذا لا يوجد شيء مهم حقًّا، كما تعلمين؟ سأفعل ذلك عند الضرورة، وحتى ذلك الحين، يمكن أن تنبح تلك الكلبة العاهرة قليلًا إذا كان ذلك يُبقيها هادئة ورائقة البال".

شعرت بوبي بقشعريرة باردة من المفاجأة. لا، ليست مفاجأة، بل صدمة.

"هل وصفتها للتو بالكلبة العاهرة؟"

أجاب سورين: "أليس هذا ما تُسمِّينها أيضًا؟"، وابتسم ابتسامة مُطمئنة، أم أنها كانت ساخرة؟ هل يتعامل مع أفاسارالا وبوبي والوحش في جانيميد باعتبارهم مزحة أيضًا؟ برزت في ذهنها صورة لها وهي تنتزع ذلك المساعد الصغير المُتعجرِّف من كرسيه وتُمزِّقه في شكلٍ مُتعرِّج. انثنت يداها بشكلٍ لا إرادي.

لكن بدلًا من ذلك، قالت: "يبدو أن السيدة مساعدة وكيل الأمين العام تعتقد أن الأمر خطير للغاية".

التفت سورين للنظر إليها مرة أخرى وقال: "لا تقلقي بشأن ذلك"، يا بوبي، أعرف كيف أقوم بعملي بجدية". صمتت لفترة وجيزة.

ردَّت بوبي: "فهمت مقصدك".

***

أيقظت الموسيقى الصاخبة بوبي فجأةً من نومها العميق، نهضت وهي تترنَّح على ذلك السرير غير المألوف بالنسبة لها في غرفة كادت أن تغرق في الظلام. لم تستطع أن ترى شيئًا سوى وميض لؤلؤي خافت من جهازها اللوحي عبر الغرفة. انتقلت الموسيقى فجأةً من نشاز عديم اللحن إلى الأغنية التي اختارتها كنغمة رنين للمكالمات الهاتفية الواردة قبل أن تذهب إلى الفراش. لقد كان شخصٌ ما يتصل. أطلقت سيلًا من الكلمات البذيئة للمُتصل بثلاث لغات مختلفة، وحاولت الزحف عبر السرير نحو جهازها اللوحي.

بلغت حافة السرير في وقت أسرع مما توقّعت، وسقطت على الأرض ووجهها لأسفل ثم تهاوى جسدها بصف النائم ولم يستطع تعويض جاذبية الأرض الثقيلة.

تمكّنت من تفادي الإصابة بكسر في رأسها ولكن جاء ذلك على حساب التواء إصبعين من أصابع يدها اليمنى

واصلت رحلتها عبر الأرضية إلى الجهاز المُتوهّج بالاتصال، وعندما وصلت إليه أخيرًا، ردَّت على الاتصال قائلةً: "إذا لم يكن هذا الاتصال بسبب وفاة شخصٍ ما، فإن شخصًا ما سيموت الآن".

قال المُتحدِّث على الطرف الآخر: "بوبي"، استغرق عقل بوبي المُبعثر لحظة حتى تُميِّز الصوت. إنه سورين. ألقت نظرة خاطفة على شاشة الجهاز، ورأت أن الساعة الآن ٤:١١، تساءلت عما إذا كان يُهاتفها في حالة سُكر لتوبيخها أو للاعتذار إليها. بالتأكيد لن يكون هذا أغرب ما حدث خلال الأربعة وعشرين ساعة الماضية.

أدركت بوبي أنه ما زال يتحدَّث، فأعادت السماعة إلى أذنها. قال سورين: "... إنها في انتظارك، لذا انزلي في أقرب وقتٍ ممكن".

"هل يمكنك تكرار ذلك؟"

بدأ يُكرِّر ببطء كما لو كان يحادث طفلًا مُضطربًا: "السيدة المديرة تريدك أن تأتي إلى المكتب، حسنًا؟"

نظرت بوبي إلى الوقت مرة أخرى، وتساءلت: "في الحال؟"

قال سورين: "كلا، في الموعد المعتاد غدًا. لقد طالبتني بالاتصال بكِ في الساعة الرابعة صباحًا فقط؛ للتأكيد على قدومك في الموعد المُحدَّد".

ساعدت جمرة الغضب التي اشتعلت بها على إيقاظها، ثم توقَّفت عن صرير أسنانها بعد وقتٍ كافٍ لتقول: "أخبرها أنني سأكون هناك".

تلمَّست طريقها إلى الحائط حتى وصلت إلى لوحة التحكُّم التي تُضيء بمجرد لمسها، وعندما لمستها للمرة الثانية، أضاءت الأنوار في الغرفة. كانت أفاسارالا قد وفَّرت لها شقة صغيرة مفروشة على مسافة قريبة من المكتب، لم تكن في الحقيقة أكبر بكثير من أيّ جُحرٍ رخيص بالإيجار على محطة سيريس، شقة تتكوَّن من غرفة واحدة كبيرة يمكن استخدامها كحجرة معيشة وغرفة نوم أيضًا بالإضافة إلى غرفة أصغر تُستخدم كحمام

حيث زُودت بدُشٍّ ومرحاض، بجانب غرفة أصغر حجمًا يُفترض أن تكون مطبخًا. كانت حقيبة بوبي المصنوع من القماش الخشن مُلقاةً في الزاوية، وقد أخرجت منها بعض العناصر، بينما ما يزال معظمها مُعبأً، لم تفك حزمها بعد. بقيت مُستيقظةً حتى الواحدة صباحًا تقرأ، ولم تُكلّف نفسها عناء فعل أيّ شيءٍ آخر بعد ذلك سوى تنظيف أسنانها ثم الانهيار في السرير الذي يتدلّى من السقف.

بينما وقفت بوبي شاخصةً وهي تتفحّص الغرفة وتحاول الاستيقاظ، مرت بلحظة مُفاجئةً من الاستنارة التامة، كان الأمر كما لو أنها خلعت للتو نظارة شمسية داكنة لم تكن تعلم أنها كانت ترتديها، ثم وقفت تطرف ببصرها في الضوء الساطع. كانت هنا، تتسلّق مغادرةً سريرها بعد ثلاث ساعاتٍ من النوم؛ لتقابل واحدةً من أقوى النساء في المجموعة الشمسية، وكل ما كانت تهتم به هو أنها لم تحصل بعد على مسكن مُنظّم، كما أنها ترغب حقًّا في ضرب زميلها في العمل حتى الموت بمجموعة الأقلام النحاسية الموضوعة على مكتبه. اللعنة! إنها تركت عملها في مشاة البحرية، ووافقت على العمل مع ألد أعداء حكومتها؛ لأن شخصًا ما في الاستخبارات البحرية أساء معاملتها وتصرّف بلؤمٍ معها، وفوق كل ذلك، لقد أرادت العودة إلى جانيميد؛ لتقتل شخصًا ما ليس لديها أيّ فكرة عن هويته.

استمرت هذه الرؤية المُباغِتة والمُستنيرة تمامًا لمدى انحراف حياتها عن مسارها لبضع ثوانٍ، ثم عاد إليها الشعور بالأرق والرؤية الضبابية المُشوَّشة، لتُترك بعد كل ذلك وهي تغالب شعورًا مزعجًا فقط بأنها قد نسيت أن تفعل شيئًا مهمًّا.

ارتدت الزي نفسه الذي كانت ترتديه في اليوم السابق، وغسلت أسنانها قبل أن تخرج من باب الشقة.

***

اكتظ مكتب أفاسارالا المتواضع بالناس، تعرّفت بوبي على ثلاثة مدنيين على الأقل من هؤلاء الذين كانوا حاضرين في الاجتماع الأول الذي حضرته على الأرض، كان أحدهم ذلك الرجل ذو الوجه المستدير كالقمر، والذي علمت لاحقًا أنه سادافير

إريترايت، رئيس أفاسارالا، وربما يُعدّ ثاني أقوى رجلٍ على وجه الأرض. انخرط الثاني في جدالٍ مُحتدم عندما دخلت، حتى إن أفاسارالا لم ترها وهي تدخل عليهم.

رصدت بوبي مجموعةً صغيرة من الأشخاص يرتدون الزي العسكري، وانحرفت في اتجاههم حتى رأت أنهم جنرالات وأميرالات، فغيّرت مسارها بعيدًا عنهم. انتهى بها الأمر بجوار سورين، الشخص الآخر الوحيد في القاعة الذي يقف بمفرده، لم يَرْنُ إليها حتى ولو بنظرةٍ خاطفة، ولكن كان هناك شيءٌ ما يُغلِّف الطريقة التي يتصرّف بها، بدا وكأنه ينبثق من هالة تشع سحرًا وقوةً ونفاقًا. ما صدم بوبي أنها أدركت أنه من ذلك النوع من الرجال الذي يمكن أن تصطحبه إلى الفراش إذا كانت في حالة سُكر بما يكفي، لكن لن تثق أبدًا في أنه سيحمي ظهرها إذا ما نشب قتال، بعد أن فكرت في الأمر مرة أخرى، قالت: "لا، لن أكون في حالة سُكر بما يكفي أبدًا".

نادت أفاسارالا بصوتٍ عالٍ: "درابر!"، بعدما لاحظت وصولها أخيرًا.

ردَّت بوبي: "نعم، يا سيدتي"، وهي تخطو خطوةً إلى الأمام حيث توقَّف كل من في القاعة عن الحديث للنظر إليها.

قالت أفاسارالا: "أنتِ مُنسِّقة الاتصال الخاصة بي"، كانت الهالات السوداء الموجودة تحت عينيها واضحة جدًّا لدرجة أنها لا تبدو نتيجة إرهاق بل هي أقرب إلى حالة طبية لم يتم تشخيصها. ثم تابعت: "لذا نسِّقي الاتصالات اللعينة، اتصلي بأهل كوكبك".

"ماذا حدث؟"

أجابت أفاسارالا: "لقد بلغ الوضع في جانيميد مداه، وتحوّل للتو إلى طوفان من المصائب سيبتلع الجميع، نحن نخوض حربًا مُستعرة".

الفصل الحادي والعشرون

براكس

ركع براكس بينما قُيِّدت ذراعاه خلف ظهره. كانت كتفاه تؤلمانه بشدة، كما شعر بصداعٍ حادٍّ سواء نظر لأعلى أو نكس رأسه. رقد أموس ووجهه منكبٌّ على الأرض، اعتقد براكس أنه مات حتى رأى الأساور التي كُبِّلت بها يداه من الخلف، وقد خلَّفت الذخيرة التي أطلقها الخاطفون على مؤخرة رأس الميكانيكي كدماتٍ ضخمة ذات لونٍ أزرق داكن. كان معظم الآخرين -هولدن، ومرتزقة بينكواتر المُتبقِّين، حتى ناعومي- في وضعٍ مماثل له، ولكن ليس كلهم.

قبل أربع سنوات، واجه براكس ومن معه وباء العث، كان ذلك في الحقيقة جزءًا من تجربةٍ علمية، ولكنهم فشلوا في احتواء الموقف، وقد أحدثت تلك الحشرات ذات اللون الرمادي والبني، التي يبلغ طولها بوصة واحدة، فوضى عارمة في قبته. انتهى الأمر بهم أن قاموا ببناء مصيدة حرارية عن طريق تشريب الألياف المقاومة للحرارة بالفيرومونات الاصطناعية، والتي وضعوها تحت وحدات الإضاءة الكبيرة ذات الطيف الكامل والموجات الطويلة. اقتربت أسراب العث منها كثيرًا مما أدَّى إلى قتلهم بالحرارة، تلوَّث الهواء لعدة أيام بعد انتشار رائحة حرق الأجساد الصغيرة، وتشابهت تلك الرائحة مع الرائحة التي تنبعث الآن من مثقاب الكي الذي يستخدمه الخاطفون لعلاج رجل بينكواتر الجريح. تصاعدت دوامة من الدخان الأبيض عن طاولة المكتب البلاستيكية التي وُضِع عليها الرجل.

قال رجل بينكواتر، وهو يترنّح من تأثير المُخدِّر: "لم يبق لدي الكثير... عليكم أن تمضوا قدمًا بدوني، أنا أحتضر"

قالت امرأة من الخاطفين: "نزيفٌ آخر، نعم، هنا مباشرةً"، وكانت امرأة عريضة وتحت عينها اليسرى شامة، وفي يديها قفازات مطاطية مُلطَّخة بالدماء.

قال الرجل الذي يحمل المثقاب، وهو يضغط بالطرف المعدني لأسفل مرة أخرى في الجرح المفتوح في بطن المُصاب: "سأعتني به"، ثم ارتفع صوت الصدمة الكهربائية الخارق، وتصاعد من منطقة الجرح خيطٌ صغير آخر من الدخان الأبيض.

انقلب أموس فجأة، وقد تلطّخ وجهه وأنفه بالدماء حتى اختفت ملامحه، ثم قال: "ربما أكون مُخطئًا، أيها القبطان"، واحترقت كلماته المُتكسِّرة المقاطعة المنتفخة على أنفه، ثم تابع بعبارة كسيحة: "ولكنني لا أعتقد أن هؤلاء الرجال من أمن المحطة".

عندما رُفع عنهم الغطاء وأزالوا عن عيونهم الغمامة، وجد براكس أن الغرفة التي أُحضِروا إليها لا علاقة لها تمامًا بالزنازين التي يقضي فيها المجرمون عقوباتهم القانونية، تبدو الغرفة وكأنها مكتب قديم، من النوع الذي كان يستخدمه المفتش الأمني أو موظفو المرافئ في الأيام التي سبقت حدوث الانهيار وتداعياته: مكتب طويل مع جهاز مكتبي مُدمج، وبعض الأضواء المتوهجة التي تتدلّى من السقف، ونبتة ذابلة من الذلب ثلاثي الأحزمة بأوراقٍ خضراء بنية تحوَّلت إلى حمأة قاتمة اللون. وقد اتبع الحراس أو الجنود، أو أيًا كانت صفتهم، ممن يتقلَّدون الدروع الرمادية منهجية فعّالة للغاية، حيث قيّدوا السجناء من المعصمين والكاحلين ثم أوقفوهم في صفٍّ واحد، وسحبوا منهم أجهزتهم اللوحية وأسلحتهم وباقي أمتعتهم الشخصية، مع تكديسها على الجدار المقابل، ووقف حارسان لا يفعلان شيئًا سوى التأكُّد من عدم اقتراب أحد السجناء من تلك الأمتعة. كان الدرعان اللذان انتزعوهما من هولدن وأموس في كومة على الأرض بجانب بندقيتيهما. ثم بدأ الرجل والمرأة –اللذان اعتقد براكس أنهما الطاقم الطبي– العمل أولًا على رعاية المصابين بجروحٍ خطيرة، ولم يكن لديهم الوقت بعد لمساعدة أيِّ شخصٍ آخر.

تساءل ويندل بصوتٍ مختنق: "هل لديكم أيّ فكرة عن هؤلاء الخاطفين؟"

أجاب هولدن: "إنهم ليسوا من (الأوبا."(

ردَّ زعيم بينكواتر: "حسنًا، هذا يتركنا أمام قائمة طويلة من المُشتبه بهم إذن، هل هناك شخصٌ ما حانقٌ عليكم يمكن أن تُخبروني به؟"

ملأت نظرة الألم عيني هولدن، وقام بحركة أقرب إلى هزّ كتفيه نظرًا للظروف التي وُضعوا فيها.

قال: "لديّ قائمة من نوعٍ ما".

صاحت المرأة المُسعفة: "نزيف آخر هنا".

قال رجل المثقاب: "افحصي هذا، هناك جرح، ودخان، ورائحة احتراق اللحم".

قال ويندل: "لا أقصد أيّ إهانة لك، أيها القبطان هولدن، ولكنني بدأت أتمنى لو كنت أطلقت النار عليك عندما سنحت لي الفرصة".

أجاب هولدن بإيماءة: "لا تثريب عليك".

عاد أربعة جنود إلى الغرفة، كانوا جميعًا يتميّزون بالقوام الممتلئ للأرضيين، كان أحدهم رجلًا ذا بشرة سمراء مع قليل من الشعر الأشيب الذي يُغطي رأسه، كما حمل رتبة مرموقة من رتب القوات الجوية، وقد بدأ يتحدَّث بصوتٍ منخفض للغاية، ومرَّر بصره على السجناء دون أن يُركّز في ملامحهم كما لو كان يلقي نظرة خاطفة على مجموعة من الصناديق، ولكن عندما وقعت عيناه على براكس، أومأ الرجل قليلًا دون أن يخاطبه بكلمةٍ واحدة.

"هل حالتهم مستقرة؟"

سأل الرجل ذو البشرة السمراء الطاقم الطبي، فأجابت المرأة: "لو كان الأمر بيدي، لما سمحت بأن يتحرَّك هذا الجريح".

"ولكن ما الذي سيحدث إذا خالفنا ذلك؟"

ردَّت المرأة: "قد ينجو إذا حافظنا على الحد الأدنى من مستوى تسارع الجاذبية حتى أتمكن من نقله إلى مستشفى طبي حقيقي".

قال هولدن: "معذرةً، ولكن هل يمكن لأحد هنا أن يخبرني ما الذي يحدث بحق الجحيم؟"

بدا وكأنه يُسائل الجدران التي يقف مُتوجهًا إليها.

قال الرجل ذو البشرة السمراء مُتجاهلًا إياه: "لدينا عشر دقائق".

"مركبة شحن؟"

ردَّ قائلًا: "ليس بعد، المنشأة الأمنية أولًا".

قالت المرأة بمرارة: "جيد".

قال هولدن بانفعال: "لأنه إذا أردت استجوابي، فيجب أن نبدأ بإخلاء الجميع من جانيميد، إذا أردت أن تبقى ورفاقك بشرًا ولا تتحوّلوا إلى مسوخ، فعلينا أن نغادر الآن. لقد كان المختبر الذي كنا فيه يحتوي على الجزيء الأولي".

قال الرجل ذو البشرة السمراء: "أريد أن يُنقلوا اثنين اثنين"، فردَّت المرأة: "حسنًا، يا سيدي".

صاح هولدن: "هل تستمعون لي؟ الجزيء الأولي يستشري في المحطة".

قالت ناعومي: "إنهم لا يستمعون إلينا يا جيم".

أشار الرجل ذو البشرة السمراء إلى رجلين من رجال: "فيرجسون، موت، بلِّغا بذلك الآن".

خيَّم الصمت على الغرفة عندما بدأ أحد الرجلين في الإبلاغ من مكانٍ ما.

قال براكس: "ابنتي مفقودة، لقد أخذوها على متن تلك المركبة".

لم يستمعوا إليه أيضًا، رغم أنه لم يكن يتوقع منهم أن يفعلوا ذلك، لم ينتبه إليه أحد باستثناء هولدن وفريقه. انحنى الرجل ذو البشرة السمراء إلى الأمام، وصوَّب نظرة مُركَّزة بشكل عميق، شعر براكس بارتفاع شعر مؤخرة عنقه، كان لديه هاجس.

قال الرجل ذو البشرة السمراء: "كرِّر ذلك"، وبعد ذلك ببرهة قال: "هل نحن نطلق عليكم النيران؟ من نحن أصلًا؟"

أجاب أحدهم، بينما تطلَّع الطاقم الطبي والحراس المُسلَّحون إلى القائد، وكانت وجوههم مُصمتة.

"مفهوم. فريق ألفا، الفريق أ، وصلتنا أوامر جديدة: الوصول إلى المرفأ، وتأمين مركبة الشحن، واستخدام القوة مسموحٌ به. أُكرِّر: استخدام القوة مسموحٌ به. الرقيب تشيرنيف، أريدك أن تفك الأغلال عن أرجل السجناء".

كرّر أحد الحراس المُسلّحون سؤاله مرتين: "كلهم يا سيدي؟"

"نعم، كلهم، وسنحتاج نقالة لهذا الرجل النبيل".

سأل الرقيب بصوتٍ يتردّد بين الخوف والارتباك. "ما الذي يحدث يا سيدي؟"

أجاب الرجل ذو البشرة السمراء وهو يخطو بسرعة نحو الباب: "ما يحدث أنني أعطيتك أمرًا أيها الرقيب، والآن عليك أن تذهب وتنفّذ ما أمرتك به".

شعر براكس بالاهتزاز العنيف الجاري على كاحليه عن إثر قطع السكين للقيود، لم يدرك أن ساقيه كانتا خدرتين حتى شعر بالوخز والدبابيس تسري في قدميه حتى ذرفت عيناه الدموع. الوقوف يؤلمه. من بعيد صدر صوت يُشبه جلجلة حاوية شحن فارغة سقطت من مكان شاهق. حرَّر الرقيب ساقي أموس من قيودهما وانتقل إلى ناعومي. ما يزال أحد الحراس واقفًا بجانب المؤن والأمتعة الشخصية، وختم الطاقم الطبي بطن الرجل الجريح بهُلام طيب الرائحة، بينما انحنى الرقيب.

كانت النظرة المتبادلة بين هولدن وأموس هي التحذير الوحيد الذي تلقّاه براكس، اتجه هولدن نحو الباب كما لو كان ذاهبًا لقضاء حاجته في دورة المياه.

صاح أحد الحراس المُسلَّحين وهو يرفع بندقيته بحجم ذراعه: "يا هذا!"، نظر إليه هولدن ببراءة، بينما التفتت كل الأنظار إليه، بزغ أموس من الخلف وأصاب الرقيب في رأسه. صرخ براكس صرخةً مفزعة، فتوجَّه السلاح نحوه. حاول رفع يديه لكنهما ما زالتا مُقيَّدتين في الأغلال من خلفه، تقدَّم ويندل إلى الأمام، وركل المرأة المُسعفة في فخذها، ثم دفعها إلى خط نيران الحارس.

قبضت ناعومي على رقبة الرقيب حتى تحوَّل وجهه إلى اللون الأرجواني، ركل هولدن الرجل الذي يستخدم المثقاب أسفل ركبته في اللحظة نفسها التي صرع فيها أموس الحارس المُسلّح بالبندقية. اصطدم مثقاب الكي بالأرض مُصدرًا صوتًا يُشبه نقر الأصابع على الزجاج. حملت باولا خنجر الرقيب في يديها، ووقفت في مواجهة أحد رفاقها لتقطع الأغلال التي تُكبِّل معصميه، انتزع الحارس المُسلّح كوعه ودفع أموس بعيدًا، ليلتقط الميكانيكي أنفاسه في صوت يُشبه الرقرقة ألقى هولدن نفسه على رجل المثقاب وقبض على ذراعي الرجل بين ركبتيه، في الوقت نفسه الذي فعل فيه أموس شيئًا

لم يستطع براكس رؤيته؛ ولكن ما فعله جعل الحارس المُسلّح ينخر ويخضع أخيرًا مُكوّمًا على الأرض.

تمكّنت ناولا من فك أغلال رفيقها في فريق بينكواتر، في حين التقطت المرأة المُسعفة البندقية. قام الرجل الذي تم تحريره للتو بسحب السلاح من جراب الرقيب الساقط، وانحنى إلى الأمام، ثم وجّه فُوَّهة السلاح نحو صدغ المرأة المُسعفة، وقد رفعت البندقية بعد ربع ثانية، ولكن بعدما فات الأوان.

بينما تجمَّد الجميع، ابتسمت المرأة المُسعفة.

قالت: "كش ملك"، وأنزلت البندقية على الأرض.

لقد حدث كل ذلك في أقل من عشر ثوانٍ.

أخذت ناعومي الخنجر، وحرَّرت الباقين من قيودهم بشكلٍ سريعٍ وحاسم، وقام هولدن بتعطيل شبكات الاتصال في الدروع الرمادية غير المُميّزة، وكبّل أيديهم وأقدامهم بالأغلال. انقلبت الطاولة وتبدَّلت الأحوال بالكامل. كان براكس يدلّك أصابعه وهو يتخيَّل الصورة السخيفة للرجل ذي البشرة السمراء وهو يعود ويصيح بالأوامر. صدرت جلجلة أخرى. يبدو أن حاوية ضخمة أخرى قد سقطت من شاهق؛ ليبدو الصوت هذه المرة مثل الطبلة.

قال ويندل للزوج الذي شكَّل الطاقم الطبي: "أريدكما فقط أن تعرفا مدى تقديري لعنايتكما الفائقة برفاقي".

ذكرت المرأة شيئًا فاحشًا وغير مُحبَّذ، ولكن صاحب ذلك ابتسامة مُتهكِّمة.

نادى هولدن على ويندل وهو يُفتّش في صندوق أمتعتهم ثم ألقى بطاقة المفتاح المُمغنط إلى زعيم بينكواتر، ثم قال: "ما تزال مركبة (سومنامبوليست) ملكك، لكن عليك أن تصل إليها الآن وتخرج من هذا الجحيم".

قال ويندل: "كُفّ عن ترديد النغمة نفسها على الحوقة، أنا أصدِّقك دون قَسم، ولكن الأولى من ذلك أن تأخذ هذه النقالة، لن نتخلّى عن ذلك الجريح الآن، يجب أن نخرج من هنا قبل وصول المدد".

أجابت ماو لا. "أجل، يا سيدي"

التفت ويندل إلى هولدن ثم قال: "لقد كان من المثير حقًّا أن أقابلك، أيها القبطان، دعنا لا نكرِّر ذلك مرة أخرى".

أومأ هولدن برأسه وبدأ يرتدي درعه بينما كان يُصافح ويندل، وفعل أموس الشيء نفسه أيضًا. ثم أعاد إليهم أسلحتهم وأمتعتهم. فحص هولدن حربة بندقيته ثم خرج من الباب نفسه الذي خرج منه الرجل ذو البشرة السمراء، وتبعه أموس وناعومي كان على براكس أن يهرول للحاق بالركب. دوى صوت انفجار آخر، ليس بعيدًا جدًّا عنهم، حتى شعر براكس أن الجليد يهتز تحت قدميه، لكن لم يحفل بذلك، وظن أن هذا الصوت ربما يكون في خياله هو فقط.

تساءلت ناعومي: "ما هذا... ما الذي يحدث؟"

قال هولدن، وهو يرمي إلى ناعومي بجهازٍ لوحي: "الجزيء الأولي يهرب من مكمنه، العدوى تترسَّخ".

ردَّ أموس بكلماتٍ متقطعة غير مفهومة: "لا أعتقد أن هذا ما يحدث، أيها القبطان"، ثم جفل من الألم وأمسك أنفه بيده اليمنى وأزال سدادة مخاطية مُلطَّخة بالدماء من كل منخر، وأخذ نفسًا عميقًا؛ ليشعر بأن الأمور بدأت تتحسَّن قليلًا. "الآن أفضل".

نادت ناعومي في سماعات رأسها: "أليكس! أخبرني أن قناة الاتصال ما تزال متاحة، تكلَّم معي".

كان صوتها يرتجف.

دوى آخر، ولكن هذا الصوت أعلى من أيِّ شيءٍ سمعه براكس من قبل، في هذا الوقت، لا يمكن أن نتخيَّل أن هناك زلزالًا؛ ليُطرح براكس على الأرض. بدت رائحة الهواء غريبة مثل رائحة الحديد المحموم، بينما أخذت أضواء المحطة تومض وتنطفئ حتى أضاءت مصابيح الإخلاء في حالات الطوارئ بلونها الأزرق الباهت. انطلقت أبواق الضغط المنخفض، وقد صُمِّم التردد الخاص به لتنقل الهواء الرقيق والخفيف. عندما تحدَّث هولدن، بدا متألِّمًا.

"أو ربما إنهم يقصفون المحطة."!

***

كانت محطة جانيميد واحدة من أولى مواطئ الأقدام التي وطئتها البشرية في الكواكب الخارجية. بُنيت هذه المحطة لتبقى على المدى الطويل، ليس فقط من الناحية المعمارية المذهلة، ولكن أيضًا من خلال الطريقة التي تتلاءم بها المحطة مع التوسُّع البشري الكبير في الظلام الدامس الذي يبتلع أطراف النظام الشمسي.

لطالما كان وقوع كارثة في حوضه النووي أمرًا مُحتملًا منذ بداية المشروع. ومع ذلك صُنِّفت المحطة باعتبارها الأكثر أمانًا في نظام جوفيان التابع لكوكب المُشتري. كلما ذُكر اسم جانيميد، استحضرت الأذهان فورًا صور الأطفال حديثي الولادة والقباب المليئة بالمحاصيل الغذائية، لكن كل ذلك تآكل وانمحى في الأشهر التي أعقبت سقوط المرايا.

فُتحت أبواب الضغط التي تهدف إلى عزل عمليات انفلات الغلاف الجوي عند فشل المكونات الهيدروليكية المحلية، كما استُنفدت إمدادات الطوارئ ولم يتم تعويضها، فقد سُرق ونُهب كل شيءٍ ذي قيمة على جانيميد وتم تداوله في السوق السوداء كمقابل للطعام أو للعبور خارجًا، أخذت البنية التحتية الاجتماعية للمحطة في الانهيار ببطء وبشكلٍ لا مفر منه. حتى أكثر التوقعات تشاؤمًا لم تتصوّر حدوث كل ذلك.

وقف براكس في المساحة المشتركة المُقبّبة حيث خرج هو ونيكولا في موعدهما الأول، كانا يتسكَّعان معًا في محل حلويات صغير، يأكلان ويشربان القهوة ويتغازلان، ما يزال بإمكانه تذكُّر شكل وجهها، وشعوره بالحرارة التي توقد في قلبه عندما أمسكت بيده لدرجة أن حلوى الجليد المتجمّدة تفتَّت تمامًا. تدفّق الناس من عشرات الممرات المتقاطعة هنا في محاولةٍ للوصول إلى المرفأ أو مكانٍ أعمق بما يكفي على سطح القمر حيث يحميهم الجليد أو في مكانٍ ما آخر يمكِّنهم من إقناع أنفسهم بأنهم آمنون.

المنزل الوحيد الذي عرفه براكس حقًّا كان ينهار من حوله. أصبح واثقًا أن الآلاف من الناس سيموتون في الساعات القليلة القادمة. وقد أُصيب جزءٌ منه بالرعب جرّاء ذلك، لكن مَي قد غادرت على متن تلك المركبة؛ لذلك فهي ليست واحدة من هؤلاء

الناس، وما يزال يتعيّن عليه إنقادها، ولكن ما يجعل الأمر محتملًا أنه ليس عليه إنقادها من هذه الفوضى التي يراها

قالت ناعومي بينما كان الأربعة يهرولون عبر الأنقاض: "أليكس يقول إن الأمور محتدمة هناك، حقًّا محتدمة، لن يتمكّن من الوصول إلى المرفأ".

قال براكس: "يمكنه أن يرسو في محطة هبوط أخرى، يمكننا الذهاب إلى هناك".

قال هولدن: "هذا ما خططت له، أرسلي إلى أليكس إحداثيات القاعدة العلمية".

ردَّت ناعومي على الفور: "حسنًا، يا سيدي"، ورفع أموس يده مثل طفلٍ يستأذن في المدرسة، ثم قال: "أتقصد تلك التي تحتوي على الجزيء الأولي؟"

أجاب هولدن: "إنها منصة الهبوط السرية الوحيدة التي أعرفها".

"نعم، حسنًا".

عندما التفت هولدن إلى براكس، رأى وجهه مُمتقعًا بفعل التوتر والرعب.

قال: "حسنًا، براكس، أنت مواطن محلي تعيش هنا، دروعنا مناسبة للفراغ، ولكننا سنحتاج إلى بدلات فضائية لك ولناعومي، نحن على وشك الدخول في الجحيم، وقد تكون هناك مناطق خالية من الضغط، ليس لدي وقت لاتخاذ منعطف خاطئ أو التدقيق من شيءٍ ما مرتين، نحن نحتاج إليك كدليل، هل أنت جاهز لتولّي الأمر؟"

أجاب براكس: "نعم".

كان العثور على بدلات فضائية مناسبة للطوارئ أمرًا سهلًا، حيث إنها باتت شائعةً جدًّا لدرجة أنها تُباع بلا مقابل، وقد تم تخزينها في محطات الطوارئ ذات الألوان الزهية. بالفعل جُرِّدت القاعات والممرات الرئيسية من جميع الإمدادات، ولكن كان من السهل عليهم الانحناء في ممر جانبي ضيق ينتهي بأقل مناطق التجمعات شعبية حيث اعتاد براكس على اصطحاب مي إلى حلبة التزلُّج. تميَّزت البدلات التي عثروا عليها باللونين البرتقالي والأخضر، وهي من النوع الآمن المُشع، لتكون مرئية لفرق الإنقاذ. اعتبروا التمويه أكثر ملاءمة. يبدو أن الأقنعة مصنوعة من البلاستيك المتطاير كما كانت الوصلات مجرد حلقات مُخيطة في القماش، بدت مشعات البدلة مهملة جدًّا ومن

المحتمل أن تشتعل فيها النيران إذا تم استخدامها لفترة طويلة. وقع انفجارٌ آخر، ثم تبعه انفجاران آخران، وبدا كل منهما أقرب من الانفجار الذي سبقه.

قالت ناعومي: "قنابل نووية!"

أجاب هولدن: "ربما قذائف من مدفع جاوس". ربما كانا يتحدّثان عن الطقس.

هزَّ براكس كتفيه ثم قال:

"في كلتا الحالتين، فإن الضربة التي ستصل إلى الممر ستؤدي إلى بخار شديد الحرارة"، قال ذلك بينما كان يضغط على الختم الأخير على جانبه، ويتحقّق من تفعيل مؤشر ليد الرخيص باللون الأخضر الذي يُنبأ بتدفُّق الأكسجين، تحوَّل نظام التدفئة إلى اللون الأصفر، ثم عاد إلى اللون الأخضر. ثم تابع: "قد تقوم أنت وأموس بذلك إذا كانت دروعكما في حالةٍ جيدة، لكني أشك في أنني وناعومي سنحظى بأيّ فرصة للقيام بذلك".

أجاب هولدن: "عظيم".

قالت ناعومي: "لقد فقدت (روسينانت)، لا، لقد فقدت الاتصال تمامًا، كنت أرتبط بها عبر (سومنامبوليست)، ولا بُدَّ أنها قد أقلعت بالفعل".

"أو أنهم حوَّلوها إلى خردة معدنية"، هذا ما ذهب إليه تفكير الجميع، بالرغم من أن أحدًا منهم لم ينطق بذلك.

قال براكس: "في هذا الاتجاه، هناك نفق صيانة كثيرًا ما استخدمناه خلال سنوات دراستي الجامعية، سيُمكّننا من الوصول مجمع ماربل آرش، ومن ثم نستطيع التوجُّه من هناك".

ردَّ أموس. "مهما كان ما تقوله، سنتبعك يا صاح"، وكان أنفه ينزف مرة أخرى، بدا الدم داكنًا في الضوء الأزرق الخافت من خوذته.

كانت هذه مسيرته الأخيرة، مهما حدث، فإن براكس لن يعود إلى هنا أبدًا؛ لأنه هنا سينتهي من الوجود. تذكّر آخر مرة رأى فيها هذا المكان حينما اصطحبه حيمي لوميس وتانا اتراميں سوك، استحضر منظرهم وهم يركضون للتسلّل إلى هذا السرداب، رأى

المدرج الواسع ذا السقف المنخفض أسفل محطة الصرف الصحي القديمة حيث تلقّى تدريبه الأول. رآه بعدما تصدّع، والخزان قد تعرّض للاحتراق، لن تغمر الممرات بالمياه بسرعة، ولكن في غضون أيام قليلة، ستمتلئ الممرات بالماء والقاذورات، ولكن في غضون أيامٍ قليلة، لن يصبح الأمر برمته مهمًا.

توهّج كل شيء في مصابيح ليد الخاصة بحالات الطوارئ، أو ربما سقط كل شيء في الظل، غمرت الأرض بالجليد الذائب بينما كافح نظام التدفئة لتعويض الاختلال ولكن دون جدوى، وجدوا طريقهم مُغلقًا مرتين، في المرة الأولى بسبب باب الضغط الذي كان ما يزال يعمل بالفعل، والمرة الثانية بسبب الانهيار الجليدي. لم يقابلوا أحدًا تقريبًا في طريقهم، كان جميع الآخرين يفرون تجاه المرفأ، في حين قادهم براكس إلى الاتجاه المعاكس.

مروا عبر قاعة أخرى طويلة مُقبّبة، ثم أعلى منحدر مبنى ثم عبر نفقٍ فارغ، و...

لم يكن الباب الفولاذي الأزرق الذي يسد طريقهم مُقفلًا، لكنه كان في وضع الأمان. أخبر المؤشر إلى وجود فراغ في الجانب الآخر، لقد اخترقت إحدى القبضات الخرافية، التي ضربت جانيميد، حتى فتحت ثغرة في هذا المكان. توقّف براكس مؤقتًا، وذهب عقله إلى الهندسة المعمارية ثلاثية الأبعاد للمحطة التي يعيش عليها، وقال لنفسه: "إذا كانت القاعدة السرية موجودة، وكان هنا، إذن."...

تحدَّث بصوتٍ عالٍ: "لا يمكننا الوصول إلى هناك".

سكت الآخرون للحظة.

قال هولدن: "هذا ليس حلًّا جيدًا، اعثر لنا على حلٍّ آخر".

أخذ براكس نفَسًا عميقًا، إذا تراجعوا بسرعة مضاعفة، فيمكنهم النزول لمستوى واحد، ثم التوجُّه غربًا، ومحاولة الوصول إلى الممر من الأسفل، بالرغم من أن انفجارًا قويًّا بما يكفي للاحتراق من شأنه أن يضر بالمستوى أدناه أيضًا. وإذا استمروا في السير نحو محطة مترو الأنفاق القديمة، فقد يتمكّنون من العثور على نفق صيانة، ليس لأنه متأكد من وجود ممر، ولكن ربما يكون الأمر كذلك، وهذا قد يقودهم إلى الاتجاه

الصحيح. سمعوا ثلاثة انفجارات أخرى بصوت مثل ضربة مُسدّدة بمضرب البيسبول، اهتز الجليد من تحته، وتصدّع الجدار بجانبه.

قال أموس: "براكس، كلما كان ذلك أسرع، كان أفضل يا صاح".

كانوا يرتدون البدلات المصائية العازلة؛ لذا إذا فتحوا الباب، فإن الفراغ لن يقتلهم، ولكن سيكون هناك حطام في كل مكانٍ قد يخنقهم. إن أيّ ضربة قوية بما يكفي لاختراق السطح من شأنها أن...

قال براكس: "لا يمكننا الوصول إلى هناك.. عبر أنفاق المحطة، ولكن يمكننا الصعود، على السطح ومن ثم الاستمرار في هذا الاتجاه".

تساءل هولدن: "وكيف لنا أن نفعل ذلك؟"

استغرق العثور على طريق وصول غير مُغلق عشرين دقيقة، ولكن براكس وجد أخيرًا إحدى الطرق، وقد كانت هذه الطريق واسعة بما يكفي لاستيعاب ثلاثة رجال يمشون جنبًا إلى جنب، كما كانت تمثل وحدة صيانة آلية للواجهات الخارجية للقُبة، تم تفكيك وحدة الصيانة نفسها من فترة طويلة لاستخدام أجزائها، لكن هذا لا يهم الآن. ما تزال غرفة معادلة الضغط تعمل بطاقة البطارية، أدخلت ناعومي وبراكس التعليمات؛ لإغلاق الباب الداخلي، وبدء دورة الفتح الخارجي. تشابه ضغط العادم مع العاصفة لوهلة، ثم هدأ كل شيء. خرج براكس إلى سطح جانيميد.

لقد رأى صورًا للشفق القطبي من الأرض، لم يتخيَّل قطّ أنه سيرى شيئًا كهذا في سماءه المُظلمة، ولكن هناك، ليس فقط فوقه، ولكن أيضًا في الخيوط التي تمتد من الأفق إلى الأفق، رأى هناك خطوطًا من الأخضر والأزرق والذهبي، القشرة والحُطام والغاز المشع لبلازما التبريد والبقع المتوهجة التي تدل على اشتعال المُحرِّكات. وعلى بعد كيلومترات ارتطمت قذيفة من قذائف حاوس سطح القمر، حتى فقدوا توازنهم بفعل الصدمة الزلزالية. استلقى براكس هناك للحظة، وبدأ يراقب ارتفاع نافورة المياه الحارة النابعة من الارتطام، والتي تعلو في الظلام ثم تتساقط مرة أخرى كالثلج. بدا المنظر ساحرًا. حاول الجزء العلمي العقلاني من عقله حساب مقدار الطاقة المنقولة إلى القمر عندما اصطدمت بقذيفة تجسس مقذوفة من مدفع كهرومغناطيسي. إنها مثل قنبلة

نووية مُصغَّرة ولكن بدون كل الكوارث التي تنجم عادةً عن الإشعاع النووي. وتساءل عما إذا كانت القذيفة ستتوقّف قبل أن تصل إلى قلب جانيميد المُصمَّم من الحديد والنيكل!

وصل إلى براكس صوت هولدن عبر جهاز اللاسلكي الرخيص في بذلته: "أحل"، وجد الحد الأدنى من طيف الصوت الذي سمعه فظيعًا حتى إن هولدن بدا وكأنه شخصية كرتونية. ثم قال هولدن: "إلى أين سنذهب الآن؟"

أجاب براكس وهو يتحامل على ركبتيه: "لا أعلم"، ثم أشار إلى الأفق، وتابع: "هناك في مكانٍ ما".

ردَّ هولدن: "أنا بحاجة إلى إجابة أكثر دقة من ذلك".

قال براكس: "لم أكن على السطح من قبل، عشت في قُبة، بالتأكيد، لكن ليس بالخارج تمامًا، أعني، أعلم أننا أصبحنا قريبين، ولكني لا أعرف كيف أصل إلى هناك".

ردَّ هولدن: "جيد جدًّا"، وفي الفراغ العالي فوق رأسه، انفجر شيءٌ ضخم وبعيد للغاية، بدت الصورة مثل أحد تلك المصابيح التي تظهر فوق رأس شخصٍ ما عندما تخطر بباله فكرة في الرسوم المُتحرِّكة القديمة، ثم أردف قائلًا: "نحن نستطيع فعل ذلك، يمكننا حل هذه المعضلة. أموس، اذهب إلى هذا التل هناك، وانظر ماذا ترى. براكس وناعومي، عليكما السير في هذا الاتجاه".

أجابت ناعومي: "لا أعتقد أننا بحاجة إلى القيام بذلك، أيها القائد".

تساءل: "ولِمَ لا؟"

رفعت ناعومي يدها، وأشارت خلف كلٍّ من هولدن وبراكس، ثم قالت: "لأنني على يقين من أن موقع (روسينانت) هناك".

الفصل الثاني والعشرون

هولدن

كانت منصة الهبوط السرية في جوف حفرة صغيرة. عندما وصل هولدن إلى الحافة، وبمجرد أن رأى (روسينانت) بالأسفل، اتضح له بعد تحرُّره المفاجئ من التوتُّر كم كان خائفًا طوال الساعات العديدة الماضية، فدائمًا ما اعتبر هو وطاقمه مركبة (روسينانت) منزلهم وملاذهم، وبغض البصر عن مدى صعوبة قهر أفكاره العقلانية التي تُنبه أنهم ما يزالون في خطرٍ رهيب، إلا أنه شعر أخيرًا بالأمان لعودته إلى ملاذه الآمن. عندما توقَّف للحظة من أجل التقاط أنفاسه، أُضيء المكان بضوء أبيض خاطف كما لو أن شخصًا ما قد التقط صورة. نظر هولدن لأعلى في الوقت المناسب ليرى سحابة باهتة من الغاز المُتوهِّج في مدارٍ عالٍ تتلاشى.

ما يزال هناك أُناسٌ يموتون في الفضاء فوق رؤوسهم.

قال براكس: "يا إلهي، إنها أكبر مما توقَّعت".

أجاب أموس والفخر يُغلِّف صوته: "طرَّادة، مركبة حراسة الأسطول من فئة الفرقاطة".

قال براكس: "لم أفهم شيئًا مما قلته، تبدو لي وكأنها إزميل كبير جدًّا مع فنجان قهوة مقلوب على ظهره".

ردَّ أموس: "هذا هو المُحرِّك."...

قطع هولدن الحديث الدائر بينهما وقال: "كفى كلامًا، هيا بنا إلى غرفة معادلة الضغط".

قادهم أموس في الطريق، وانزلق على كعبيه أسفل جدار الحفرة الجليدية المُنحني، واستخدام يديه لتحقيق التوازن. تبعه براكس بسرعة دون أن يحتاج إلى مساعدة، احتلت

ناعومي المركز الثالث بعدهما، وشحذت ردود أفعالها وتوازنها عبر الوقت الذي أمضته في تغيير اتجاه الحادبة. لقد فعلت ذلك برشاقة حقًّا.

حلَّ هولدن أخيرًا، وكان على أتم الاستعداد للانزلاق والنزول إلى أسفل التل مهما كان التعثُّر مُذلًّا، ثم تفاجأ عند نزوله بعدم حدوث ذلك.

عندما اقتحموا الأرضية المُسطّحة للحفرة باتجاه المركبة، انفتح باب غرفة معادلة الضغط الخارجي؛ ليظهر أليكس مرتديًا درعًا مريخيًّا، ويحمل بندقية هجومية. بمجرد اقترابهم بدرجة كافية من المركبة بحيث يمكنهم اختراق تشويش جهاز اللاسلكي المداري، قال هولدن: "أليكس! من الرائع رؤيتك مجدَّدًا يا رجل".

ردَّ أليكس: "مرحبًا سيدي القبطان"، ولم تتمكَّن شدة لهجته المريخية المبالغ فيها من إخفاء الارتياح الظاهر في صوته. ثم تابع: "لم أكن متأكِّدًا من سخونة الأمور على منصة الإرساء إلى هذا الحد، هل هناك أحد يلاحقكم؟"

ركض أموس على المنحدر، وعانق أليكس بحميمية على طريقة عناق الدببة حتى رفع قدميه عن الأرض، ثم قال: "ما أجمل الشعور بالعودة إلى المنزل، أيها الرجل!"

تحرَّك خلفه براكس وناعومي، وربّتت ناعومي على كتف أليكس وهي تمر من أمامه قائلةً: "أحسنت صُنعًا، شكرًا لك".

توقَّف هولدن على المنحدر، ونظر للمرة الأخيرة، ما يزال بإمكانه رؤية الومضات والمسارات الضوئية للمعركة التي تدور في السماء. وجالت بخاطره ذكرى مفاجئة من أعماق الماضي، تذكَّر طفولته في مونتانا، وهو يشاهد وميض البرق ويسمع هزيم الرعد المُجلجل.

انتبه إليه أليكس، ثم قال: "الحقيقة أن الرحلة كانت حافلةً بالأحداث الجسام، فلنواصل رحلتنا إذن".

أحاطه هولدن بذراعه، وقال: "شكرًا على قدومك".

بمجرد اكتمال دورة غرفة معادلة الضغط، تخلّى الطاقم عن دروعهم وبدلاتهم الفضائية، قال هولدن: "أليكس، هذا هو براكس مينج. براكس، هذا هو أعظم طيار في النظام الشمسي بأكمله، أليكس كمال".

صافح براكس يد أليكس قائلًا: "شكرًا على مساعدتي في البحث عن مِي".

تجمَّد أليكس قليلًا وبدا على وجهه تساؤل، لكن هولدن بادره بهزة رأسٍ سريعة ليمنعه من طرح الأسئلة، فاكتفى أليكس بقول: "تشرفت بلقائك، يا براكس".

قال هولدن: "أليكس، فلتستعد للإقلاع، لكن لا تُقلِع حتى أحصل على المقعد المجاور للطيّار".

أجاب أليكس: "عُلِم، سيدي القبطان"، واتجه نحو مقدمة المركبة.

قال براكس، وهو يُلقي نظرة سريعة على غرفة التخزين التي كانت خلف باب غرفة معادلة الضغط، وقد أخذته خيبة أمل: "كل شيء قد انحرف عن مساره".

صاحت ناعومي، وهي تمسك بيده وتقوده إلى سلم الطاقم، الذي ينبطح على الأرض: " لن تبقى (روسينانت) وقتًا طويلًا نائمةً على بطنها بهذا الشكل! نحن نقف على حاجز، وهذا الجدار على يميننا هو، في الأحوال الطبيعية، سطح المركبة".

قال أموس: "من الواضح أنك نشأت في جاذبية منخفضة، ولم تقضِ وقتًا طويلًا على متن المركبات، ويبدو أنك ستنزعج حقًّا مما ينتظرك، يا صاح".

قال هولدن: "ناعومي، اذهبي إلى طابق العمليات واربطي الحزام. أموس، اصطحب براكس إلى سطح المركبة ثم توجَّه إلى السطح الهندسي، وجهِّز (روسينانت) لخوض رحلة شاقة".

وقبل أن يغادروا المكان، ربَّت هولدن على كتف براكس قائلًا: "سيكون هذا الإقلاع واعرًا، وستكون رحلة الطيران سريعة جدًّا؛ لذلك قد يكون الأمر مزعجًا بالنسبة لك للغاية".

ردَّ براكس: "لا تقلق عليّ" بنبرة واثقة ظن أنها ستجعله يبدو شجاعًا.

قال هولدن: "أعلم أنك رجلٌ صلد، لو لم تكن كذلك، ما احتملت البقاء على قيد الحياة بعد كل ما جرى خلال الأسبوعين الماضيين. ليس عليك أن تُثبت شيئًا في هذه المرحلة، سيأخذك أموس إلى طابق طاقم المركبة. ابحث هناك عن مقصورة لا تحمل اسم أحدٍ على بابها، واعتبرها مقصورتك من الآن. واجلس على مقعد التصادم ثم اربط نفسك بأحزمة الأمان. واضغط على الزر الأخضر اللامع الذي ستجده على اللوحة على يسارك. وسيحقنك المقعد بالعقاقير المُهدِّئة التي ستمنع أيضًا أوعيتك الدموية من الانفجار إذا اضطررنا إلى حرق سرعات أعلى".

تساءل براكس بصوتٍ لا يخلو من حَيرة: "مقصورتي!"

أجاب هولدن: "سنوفِّر لك بعض الملابس والمؤن بمجرد أن نخرج من هذا الهراء، يمكنك الاحتفاظ بها واستخدامها هناك".

كرَّر براكس: "مقصورتي!"

أجاب هولدن مجدَّدًا: "نعم، مقصورتك"، وكان بإمكانه رؤية براكس وهو يبذل قصارى جهده لابتلاع الكتلة المُتورِّمة في حلقه، وأدرك ما يعنيه العرض البسيط لأخذ قسطٍ من الراحة والأمان لشخصٍ مر بكل ما تحمَّله عالم النبات الضئيل خلال الشهر الماضي.

غمرت بريق عيني الرجل دموعه.

قال أموس: "تعالَ، دعنا نتخذ لك مَسكنًا هنا"، وقاد براكس للخلف نحو سطح المركبة.

توَّجه هولدن إلى الاتجاه الآخر متجاوزًا طابق العمليات حيث كانت ناعومي تربط حزامها في أحد أعمدة المركبة، ثم تقدَّم إلى قمرة القيادة، ووصل إلى المقعد المجاور للطيّار، وربط حزام الأمان.

أعلن عبر قناة الاتصالات العامة بالمركبة: "خمس دقائق فقط".

قال أليكس وهو يُقطِّع الكلام إلى عدة مقاطع بينما كان ينقر على المفاتيح لإتمام فحص الأنظمة قبل الإقلاع: "إذن، نحن نبحث.. عن شخص.. يُدعى مي، أليس كذلك؟"

أجاب هولدن: "إنها ابنة براكس".

تساءل أليكس: "هل نُكرِّس أنفسنا لذلك الآن؟ يبدو أننا نتولَّى مهامّ ليست من اختصاصنا".

أومأ هولدن برأسه، فلم يكن العثور على البنات المفقودات جزءًا من واجباتهم العملية، كانت تلك المهام من مقتضيات وظيفة ميلر، ولكنه لم يستطع أن يشرح بوضوح كيف جاءه اليقين أن هذه الطفلة المفقودة هي البؤرة التي يتوقَّف عليها معرفة كل ما حدث في جانيميد.

قال وهو يهزُّ كتفه: "أعتقد أن هذه الطفلة المفقودة هي نواة كل ما حدث في جانيميد".

أجاب أليكس: "جيد جدًّا"، ثم نقر شيئًا ما على لوحةٍ أمامه، وعبس قليلًا، ثم قال: "عفوًا، لدينا علامة حمراء على اللوحة، يبدو أن قفل غرفة معادلة الضغط لم يُغلق بإحكام، ربما يكون قد تعرَّض لبعض القذائف أثناء الهبوط، على ما أعتقد، لقد كانت الأجواء محتدمة جدًّا هناك".

ردَّ هولدن: "حسنًا، ولكن لن نتوقف لإصلاحها الآن، على أيِّ حال سنحافظ على نظام التعليق في الفراغ معظم الوقت. إذا كان باب غرفة الضغط الداخلي مُحكم الإغلاق، فما عليك سوى تجاوز هذا الإنذار، ودعنا نخرج من هنا الآن".

أجاب أليكس: "عُلِم"، ثم نقر على زر التجاوز.

أعلن هولدن عبر قناة اتصالات المركبة: "دقيقة واحدة فقط ثم نُقلع"، ثم التفت إلى أليكس: "ولكن يعتريني الفضول".

"بشأن ماذا؟"

"كيف تمكَّنت من التسلُّل عبر تلك العاصفة فوقنا، وهل يمكنك تكرار ذلك مرة أخرى في طريقك للخروج من هنا الآن؟"

صحث أليكس، ثم قال. "يتلخّص الأمر ببساطة أن تتأكَّد من عدم تجاوزك ثاني أكبر التهديدات التي قد تُهدّد بها وأنت على متن المركبة، وبالطبع ألا تكون هناك عندما يقررون تطويقك بعدما تخطيت التهديد الثاني".

قال هولدن: "سأرفع راتبك"، ثم بدأ العد التنازلي لمدة عشر ثوانٍ، وعندما نطق "واحد"، أقلعت (روسي) من جانيميد وهي تُطلق أربعة أعمدة من البخار المحموم

تابع هولدن، وقد أضفت خشخشة إقلاع المركبة على صوته اهتزازًا اصطناعيًّا: "اجعلنا في وضع طيران يسمح لنا بحرق أقصى السرعات بأسرع ما يمكن".

"هل هذا قريب بما يكفي؟"

أجاب هولدن: "لا يوجد ما يسترعي الاهتمام هناك في الأسفل"، وهو يفكر في بقايا الخيوط السوداء التي رأوها في القاعدة السرية، ثم استطرد: "يبدو أنني أنهار!"

ردَّ أليكس: "لا بأس"، وعندما انتهى من توجيه المركبة لأعلى، أردف: "لدينا مُنشِّطات هنا".

أُغمي على هولدن للحظة رغم تدفُّق العصائر في دمه، وعندما استفاق وجد (روسي) تنحرف بحدة من جانب إلى آخر، وقمرة القيادة تعج بأصوات صفارات التحذير.

تمتم أليكس مخاطبًا المركبة: "توقَّفي يا عزيزتي، توقَّفي أيتها الفتاة الكبيرة".

اتصل هولدن بـ ناعومي، وهو ما يزال يُحدِّق في العرض المربك لأضواء الإنذار الحمراء التي تظهر على وحدة التحكُّم بينما حاول فك شفرتها بدماغه المُتعطِّش للدم، "من يُطلق النار علينا؟"

أجابت ناعومي، وقد بدت مُترنِّحة مثله تمامًا: "الجميع".

قال أليكس: "نعم"، وقد استنزف التوتُّر بعضًا من نبرته المريخية العالية، ثم تابع. "إنها لا تمزح".

الآن يبدو سيل التهديدات الذي ظهر على شاشة العرض منطقيًّا، تأكّد هولدن أن هذه التهديدات صحيحة، كان الأمر كما لو أن نصف مركبات الكواكب الداخلية على الأقل على هذا الجانب من جانيميد قد أطلقت صاروخًا عليهم أدخل الرمز من أجل

تعيين جميع الأسلحة لإطلاق النار، ومنح أموس إذنًا بالتحكُّم في مدافع الدفاع النقطية في الخلف ثم قال: "أموس، غطِّ ظهورنا".

بذل أليكس قصارى جهده لمنع الصواريخ القادمة من إصابة المركبة، ولكن في النهاية كانت هذه قضية خاسرة، فلا يمكن لشيء في أجزاء المركبة من الداخل أن يتصدَّى للمعدن والسيليكون.

تساءل هولدن: "أين نحن؟..." ثم توقَّف مؤقتًا لاستهداف صاروخ يتجول في مرمى إطلاق مدفع الدفاع النقطي الأمامي الأيمن، وبالفعل أطلق المدفع قذيفة طويلة باتجاهه، ولكن الصاروخ كان ذكيًّا بما يكفي لتفادي القذيفة والانعطاف للهروب بعيدًا عن المرمى، ولكن منحهم التغيير المفاجئ في مساره ميزة لبضع ثوانٍ أخرى.

قال أليكس مُشيرًا إلى القمر الكبير القريب من جانيميد: "كاليستو على هذا الجانب من كوكب المُشترِي، سأدخل في ظله".

فحص هولدن ناقلات المركبات التي أطلقت عليهم النار، إذا كانت أيّ مركبة منها ما تزال تلاحقهم، فلن تُجدي مناورة أليكس سوى بضع دقائق إضافية، ولكن لا يبدو أن أحدًا تعقَّبهم، ومن بين عشرات المركبات التي هاجمتهم، فقد تعرَّض أكثر من نصفهم لأضرار متوسطة إلى شديدة، بينما انشغل الآخرون بإطلاق النار على بعضهم بعضًا.

قال هولدن: "يبدو أننا كنا التهديد الأول للجميع هناك لثانية واحدة، ولكن لم نعد كذلك الآن".

ردَّ أليكس: "صحيح، آسف لذلك أيها القبطان، لا أعرف بالضبط سبب حدوث هذا".

قال هولدن: "لا أُلقي عليك اللوْم".

اهتزت (روسي)، وصاح أموس في قناة الاتصالات صيحةً صاخبة: "لا يحاول أحد لمس مؤخرة فتاتي، يا أوغاد".

وبالفعل اختفى اثنان من الصواريخ الأقرب للمركبة من شاشة عرض التهديدات

قال هولدن، وهو يتفقّد أوقات التصادم المُحدَّثة: "أحسنت صُنعًا يا أموس"، لقد كسبنا أفضيلة التقدُّم بصف دقيقة أخرى

صاح أموس: "اللعنة، أيها القبطان، يجب أن ندين بالفضل لـ (روسي)، أنا فقط أُشجِّعها لإخراج أفضل ما لديها".

قال أليكس هولدن: "نحن في طريقنا للانحناء في ظل كاليستو، يُفضل إهاؤهم الآن".

أجاب هولدن: "حسنًا، ناعومي، انتظري عشر ثوانٍ أخرى أو نحو ذلك، ثم اضربيهم بكل ما أوتيتِ من قوة، سنحتاج إلى تعميتهم لبعض الوقت".

ردَّت ناعومي: "عُلِم، أيها القائد"، واستطاع هولدن أن يراها وهي تُجهِّز ترسانة ضخمة من أجهزة الليزر والتشويش اللاسلكية.

ترنَّحت (روسينانت) مرة أخرى، وفجأة ملأ قمر كاليستو الشاشة الأمامية لهولدن، اندفع أليكس نحوه بسرعة انتحارية، لكن المركبة استدارت واحترقت بشدة في الثانية الأخيرة قبل سقوطها في مدار مقلاع الجاذبية المنخفض.

صاح: "ثلاثة... اثنان... واحد...الآن"، بينما هبطت (روسي) نحو كاليستو، ثم تجاوزت القمر، وحلقت على ارتفاع منخفض للغاية لدرجة أن هولدن شعر أنه بإمكانه مدّ يديه إلى غرفة معادلة الضغط، ويلتقط بعض الجليد. في الوقت نفسه أصابت حزمة التشويش، التي أطلقتها ناعومي، مستشعرات الصواريخ المطاردة؛ مما أدى إلى تعتيم رؤيتها بينما عملت معالجاتها على تجاوز الضوضاء بصعوبة.

بحلول الوقت الذي أعادوا فيه استهداف (روسينانت)، استطاعت المركبة أن تدور حول قمر كاليستو بفعل مساعدة الجاذبية فضلًا عن قيادتها بأقصى سرعة في اتجاه جديد حاول صاروخان بشجاعة متابعة المطاردة والوصول إلى المركبة، في حين انطلقت البقية في اتجاهات عشوائية أو ارتطمت بالقمر. وعندما عاد الصاروخان المطاردان إلى مسارهما الصحيح لاستئناف المطاردة، كانت (روسي) قد حقّقت تقدمًا هائلًا، وأصبح لديها متسع من الوقت لإسقاطهما.

صاح أليكس في ذهول: "لقد نجحنا"، وأقلق هولدن هذا الذهول الذي يظهر في نبرة طيّاره الأثير نوعًا ما. أكان الهلاك بهذا القرب حقًّا؟

قال هولدن: "لم يساورني شكٌّ في النجاة، خذنا إلى محطة تايكو، بمستوى تسارع 2 1/2 (ج)، سأكون في مقصورتي".

***

عندما انتهيا، تقلّبت ناعومي على جانبها في السرير الذي يتقاسماه، والعرق يُغطّي شعرها الفاحم المُجعَّد إلى جبينها، كانت ما تزال تلهث، وهو كذلك.

قالت: "لقد كان ذلك... قويًّا".

أومأ هولدن برأسه، كان ما يزال يلتقط أنفاسه، ولم يستطيع الرد عليها. عندما انتقل من قمرة القيادة إلى المقصورة عبر تسلُّق السلم، وجد ناعومي بانتظاره مُتحلّلة تمامًا من جميع قيودها، بمجرد صعوده عانقته وقبّلته بشدة حتى انشقت شفته، ولم يُلاحظ ذلك أصلًا، بالكاد وصلا إلى المقصورة وهما يرتديان ملابسهما، ما حدث بعد ذلك لا يستطيع هولدن تذكُّره بدقة، على الرغم من أن ساقيه كانتا مُتعبتين، وشفته تؤلمه.

تدحرجت ناعومي عليه، ونهضت من السرير.

قالت وهي تشد رداءها وتتجه نحو الباب: "سأذهب لأتبوّل"، أومأ هولدن برأسه للتو، وما يزال غير قادر على الكلام.

انتقل إلى منتصف السرير، مدّ ذراعيه وساقيه للحظة، في الحقيقة لم تُصمَّم مقصورات (روسي) لاثنين من الركاب، كانت بالكاد تكفي راكبًا واحدًا، ناهيك عن جميع مقاعد التصادم التي فُتحت لتُستخدم كأسِرّة، ولكن على مدار العام الماضي اعتاد النوم أكثر فأكثر في مقصورة ناعومي، حتى أصبحت مقصورتهما المُشتركة، ولم يعد ينام في أيِّ مكان آخر بعد الآن. لم يتمكنا من النوم على سريرٍ واحدٍ أثناء المناورات عالية الحادية، لكنهما لم يناما معًا حتى الآن في أيِّ وقتٍ تطلّب منهم القيام بمناورات عالية السرعة. ومن المُرجَّح أن يستمر هذا الاتجاه.

بدأ هولدن يغفو عندما انفتح الباب، وعادت ناعومي للداخل. ألقت بقطعة قماش مُبلّلة باردة على بطنه

قال هولدن، وهو يجلس منتصبًا: "ياللروعة، هذا منعش".

قالت ناعومي: "كانت أكثر سخونة ورطوبة عندما أحضرتها".

ردّ هولدن، وهو يُنظّف نفسه. "يبدو ذلك قذرًا للغاية".

ابتسمت ناعومي ابتسامة عريضة، ثم جلست على حافة السرير، ووخزته في أضلاعه: "لا يزال بإمكانك التفكير في الجنس؟ كنت أعتقد أننا استخرجنا ذلك من عقلك، وأنك لم تعد تهتم بالجنس بعد كل تلك الأحداث".

ردّ هولدن: "لعل ملامسة الموت تفعل أشياء رائعة في الفترة الحرجة التي أعيشها".

صعدت ناعومي إلى السرير، ونامت بجواره، وهي ما تزال ملفوفة في ردائها: "كما تعلم، هذه كانت فكرتي، كم أؤيد إعادة التأكيد على الحياة من خلال ممارسة الجنس".

قال هولدن: "لماذا أشعر أن هناك استدراكًا ما مفقودًا في نهاية جملتك؟"

"لكن..."

"أجل، هذا ما أقصده".

قالت ناعومي: "هناك ما نحتاج إلى التحدُّث عنه، ويبدو أن هذا هو الوقت المناسب".

تدحرج هولدن على جانبه في مواجهتها، واضطجع مستندًا إلى مرفقه، بينما غطت خصلة شعر كثيفة وجهها، فأزاحها بيده الأخرى.

تساءل: "ماذا فعلتُ؟"

ردّت ناعومي. "لا أقصد أنك فعلت شيئًا بالتحديد، ولكن أريد التحدُّث عما نحن بصدد القيام به الآن".

وضع هولدن يده على ذراعها، وانتظر أن تواصل كلامها، والتصق القماش الناعم لردائها بالجلد الرطب تحته.

قالت. "أنا قلقة، نحن نطير إلى تايكو؛ للقيام بشيءٍ متهوِّر حقًّا".

"ناعومي، أنت لم تكوني هناك، لم تري."...

قاطعته ناعومي. "لقد رأيته يا جيم، رأيته من كاميرا بدلة أموس، وأعلم ما هو، وأعرف كم يخيفك ذلك، إنه يُخيفني أيضًا".

قال هولدن بصوتٍ منفعل: "كلا"، حتى فاجأه صوته الغاضب. "كلا، أنتِ لم تكوني على إيروس عندما حدث ذلك، لم تكوني."...

ردَّت ناعومي بهدوء: "مهلًا، لقد كنت هناك، ربما لم أعش أسوأ جزءٍ مثلك، ولكنني ساعدت في حمل حطام جسدك أنت وميلر إلى عنبر المرضى، ورأيتك وأنت على وشك الموت هناك، لا يمكننا فقط اتهام فريد بـ."...

قاطعها هولدن: "الآن، وأعني الآن، يمكن أن يكون جانيميد قد تغيَّر بالفعل".

"كلا".

"صدِّقيني نعم، يمكن أن يكون الأمر كذلك، ربما نكون قد تركنا وراءنا ملايين الموتى الذين لا يعرفون أنهم قد ماتوا أصلًا. ميليسا وسانتيتشاي؟ هل تذكرينهما؟ فكِّري الآن فيهما كأجزاء متناثرة تم تمزيقها ليستفيد منها الجزيء الأولي. فكِّري في جميع من هناك في الوقت الحالي كأجزاء متناثرة؛ لأنه إذا كان هذا الوحش سائبًا في جانيميد، فهذا ما أصبحوا عليه الآن بالفعل".

قالت ناعومي والتحذير يشوب صوتها: "جيم، هذا ما أعنيه، شدة مشاعرك ليست دليلًا دامغًا، أنت على وشك اتهام رجلٍ، كان صديقك وراعيك على مدار العام الماضي، بأنه قتل قمرًا كاملًا مليئًا بالناس. هذا ليس فريد الذي نعرفه، وهو لا يستحق منك كل ذلك".

اعتدل هولدن إلى وضعية الجلوس، وأراد جزءٌ منه أن ينأى بجسده بعيدًا عن ناعومي، جزؤه الغاضب منها؛ لأنها لا تُبدي تعاطفها معه بما يكفي

"لقد أعطيت فريد العينة الأخيرة من الجزيء الأولي بنفسي، أعطيته إياها، وأقسم في وجهي أنه لن يستخدمها أبدًا، لكن ما وجدته هناك يتنافى مع ذلك، أنت تُسمِّيه

صديقي، ولكن فريد لم يفعل سوى ما يخدم مصالحه ويُعزِّز قضيته، حتى مساعدته لنا لم تكن سوى جزء من لعبته السياسية"

تساءلت ناعومي باستنكار: "إجراء تجارب على أطفال مختطفين؟ تعريض قمر كامل أحد أهم الكواكب الخارجية للخطر، وربما يُباد تمامًا في هذه اللحظة؟ هل تعتقد ذلك منطقيًّا، هل تعتقد أن فريد جونسون سيفعل شيئًا كهذا؟"

أجاب هولدن: "يرغب تحالف الكواكب الخارجية (أوبا) في السيطرة على جانيميد بشكل أكبر من رغبات الكواكب الداخلية"، واعترف أخيرًا بالشيء الذي كان يخشاه منذ أن رأى الخيوط السوداء. حيث أردف: "ولن تتخلَّ الكواكب الداخلية عن جانيميد لـ فريد جونسون".

صاحت ناعومي: "توقَّف".

تابع هولدن: "ربما يحاول إخراجهم من هناك، أو ربما باع لهم العينة الوحيدة مقابل القمر، هذا من شأنه أن يفسِّر على الأقل حركة المرور المتزاحمة لمركبات الكواكب الداخلية التي رأيناها."...

صاحت ناعومي مجدَّدًا: "كلا، توقَّف، لا أريد الجلوس هنا والاستماع إليك وأنت تتحدَّث عن هذا".

حاول هولدن أن يواصل كلامه، ولكن ناعومي جلست في مواجهته، وأسكتت فمه بيدها برفق.

"لم يعجبني جيم هولدن الجديد هذا الذي تحوَّلت إليه، الرجل الذي يبادر باستخدام سلاحه قبل أن يطرح الأسئلة! أعلم أن بقبولنا هذا العمل تحوَّلنا إلى تُجار شنطة لمصلحة (أوبا)، وأن هذا كان قرارًا غبيًّا، أعلم أننا نفذنا الكثير من المهام القذرة باسم حماية الحرام، لكنك ما زلت أنت يا هولدن، ما زال بإمكاني رؤيتك مُتربِّصًا هناك تحت هذا القناع، في انتظار عودة جيم هولدن القديم".

قال وهو يُزيح يدها عن وجهه. "ناعومي!"

تابعت: "لكن هذا الرجل الذي لا يطيق الانتظار للوصول إلى تايكو من أجل تحويلها إلى مشهد مشتعل؟ هذا ليس جيم هولدن على الإطلاق. لا أعرف هذا الرجل". ثم عبست قائلة: "لا، هذا غير صحيح. أنا أعرفه جيدًا، ولكن اسمه كان ميلر".

بالنسبة هولدن، كان الجزء الأسوأ في كل ذلك هو حفاظها على هدوئها، لم ترفع صوتها، ولم يتملّكها الغضب، ولكن ما هو أسوأ من ذلك ما بدا عليها من أسى ويأس.

أردفت ناعومي: "إذا كان هذا هو الرجل الذي أصبحت عليه الآن، فيجب أن تهبط بي في أيِّ مكان، لا يمكنني مرافقتك بعد الآن، أنا أنسحب".

الفصل الثالث والعشرون
أفاسارالا

وقفت أفاسارالا بجوار نافذتها تنظر إلى ضباب الصباح، ومن بعيد رأت مركبة شحن تُقلع. وقد ترك عادم المُحرِّك وراءه عمودًا من الدخان يُشبه خيطًا من السحاب الأبيض الساطع، والذي سرعان ما اضمحل خلال ثوانٍ معدودة. شعرت بأن يدها تؤلمها. وكانت تعلم أن بعض جسيمات الضوء التي تراها في السماء في تلك اللحظة بالذات هي في الواقع انفجارات على بُعد دقائق ضوئية، وأن محطة جانيميد، التي كانت ذات يوم أكثر الأماكن أمانًا، قد تحوَّلت؛ للتخلص من الغلاف الجوي في النظام الشمسي، إلى منطقة حرب، والآن أصبحت أرضًا مقفرة. لم تستطع أيضًا أن تعرف أيًا من تلك الأضواء ينذر بوقوع كارثة، فالأمر يُشبه محاولة انتزاع جزيء معين من الملح من المحيط العظيم، لكنها كانت تعلم أن نذير الهلاك يلوح في الأفق، وتسبَّب إدراكها لتلك الحقيقة في انقباض معدتها.

قال سورين: "يمكنني أن أطلب تأكيدًا، يجب أن يُقدِّم نجوين تقرير القيادة الخاص به خلال الثماني عشرة ساعة القادمة، بمجرد الحصول على ذلك."...

صاحت أفاسارالا: "نحن نعلم بالفعل ما سيقوله، يمكنني إخبارك بما سيقول إذا أردت الآن. اتخذت القوات المريخية موقفًا مُهدِّدًا، فاضطر عندها للرد عليهم بقوة إلى آخر هذا الهراء. من أين حصل على المركبات؟"

ردَّ سورين: "إنه أميرال، أعتقد أنه ذهب معهم".

استدارت أفاسارالا، بدا الفتى الشاب مُتعبًا، كان مُستيقظًا منذ الفجر مثل الجميع، وبدت عينيه محتقنتين، وجلده شاحبًا ومُتعرِّقًا.

قالت. "لقد حللت مجموعة القيادة تلك بنفسي، قمت بتقليصها حتى بات من الممكن إغراقها في حوض الاستحمام، والآن هو موجود هناك مع قوة مُسلَّحة كافية لمواجهة أسطول المريخ؟"

أجاب سورين: "يبدو الأمر كذلك".

قمعت رغبتها في البصق في حين وصلت إليها قعقعة مُحرِّكات النقل أخيرًا، ولكن لم يتراءَ إليها سوى صوتٍ مكتوم بسبب بُعد المسافة والزجاج العازل، وكان الضوء قد تلاشى بالفعل. بالنسبة إلى عقلها المُتعطِّش للنوم، كان الأمر أشبه بمحاولة ممارسة السياسة في نظام كوكب المُشترِي أو الحزام. حدث شيءٌ ما، وكانت تستطيع رؤية ما يحدث، ولكنها لم تكتشفه إلا بعد وقوعه، عندما فات الأوان.

لقد أساءت تقدير الأمور، كان نجوين أحد صقور الحرب، إنه من ذلك النوع من الفتيان المُراهقين الذي ما زال يعتقد أن أيّ مشكلة يمكن حلها بإطلاق ما يكفي من النيران عليها. لقد تصرَّف بدقة متناهية حتى الآن مثل الشرايين التي تنقل الدم لمختلف أجزاء الجسم. أعاد تجميع شتات قيادته مرة أخرى دون علمها بذلك، كما أقصاها من مفاوضات المريخ.

كل ذلك يعني أن جميع ما حدث ليس من صنعه وحده، كان نجوين إما راعيًا أو فردًا في عصابة كبيرة، ولم تدرك أفاسارالا أنه مجرد لاعب صغير في اللعبة؛ لذا فاجأها كل من يقف وراءه، شعرت أنها تواجه شبحًا، ولشدَّ ما كرهت ذلك.

قالت: "مزيد من الضوء".

"عفوًا، سيدتي؟"

أوضحت قائلةً: "اكتشف لي كيف حصل على تلك المركبات، افعل ذلك قبل أن تذهب إلى النوم، أريد تقريرًا كاملًا، من أين أتت المركبات البديلة، ومن أمر بخروجها، وكيف تم تمرير خروجها، أريد معرفة كل شيء".

"هل ترغبين أيضًا في الحصول على نقل سريع، سيدتي؟"

أجابت. "إنك على حق بالطبع" ثم تراجعت إلى مكتبها، وقالت. "أنت تُبلي بلاءً حسنًا، يومًا ما قد تحصل على وظيفة مرموقة".

ردّ سورين: "أنا أتطلّع لذلك، سيدتي".

تساءلت: "هل تلك الفتاة ما تزال في الجوار؟"

أجاب سورين: "إنها على مكتبها، هل تريدين مني السماح لها بالدخول؟"

ردّت أفاسارالا: "يُفضَّل ذلك".

عندما دخلت بوبي غرفة المكتب وهي تحمل صحيفة من الورق الرخيص مشدودةً في قبضتها، صُدمت أفاسارالا مرة أخرى من مدى ملاءمة المريخيين للحياة على الأرض، لم تكن لهجتها أو الاختلاف في بنيتها الجسدية ما يُشير فقط إلى أنها قضت طفولتها في الجاذبية المريخية المنخفضة، فحتى في القاعات التي تعج بالسياسيين، برز مظهر الكفاءة الجسدية للفتاة، بدت وكأن جنبها تجافى عن المضجع في منتصف الليل مثلهم جميعًا، ولكنها ظهرت قوية ومتحاملة عنهم، قد يكون ذلك مفيدًا، وقد لا يكون كذلك، لكنه بالتأكيد شيءٌ يستحق الذكر.

تساءلت أفاسارالا: "ماذا لديكِ؟"

توثّب عبوس مشاة البحرية بين حاجبيها. "لقد تواصلت مع العديد من الأشخاص المسؤولين في المريخ، معظمهم لا يعرفون من أكون بحق الجحيم، وربما قضيت الكثير من الوقت وأنا أخبرهم أنني أعمل لديك كما فعلت عند الحديث عن جانيميد".

"هذا درسٌ لكِ، البيروقراطيون المريخيون هم أناس فاسدون وأغبياء أيضًا، ماذا قالوا؟"

"هل تريدين القصة الطويلة كما سردوها؟"

"لا، أريد المختصر المفيد".

"يقولون إنكم أطلقتم النار علينا مؤخرًا".

اتكأت أفاسارالا على كرسيها، وأحسَّت بألمٍ في ظهرها وركبتيها، كما شعرت بتغلغل عقدة الحزن والعصب، التي كانت دائمًا أسفل قلبها، في بطنها تحديدًا، أكثر من أيِّ وقتٍ مضى.

قالت: "بالطبع فعلنا ذلك، وماذا عن وفد السلام؟"

أجابت بوبي: "لقد رحلوا بالفعل. سيصدرون بيانًا في وقتٍ ما غدًا يشرحون فيه كيف كانت الأمم المتحدة تتفاوض بسوء نية، ما زالوا يناقشون الصياغة الدقيقة لعبارات البيان".

"وفيمَ التعليق؟"

هزت بوبي رأسها، لم تفهم مقصد سؤال أفاسارالا.

أوضحت أفاسارالا سؤالها: "ما العبارات التي يتجادلون عليها؟ وماذا يريد كل طرف منهم تحديدًا؟

"لا أعلم، هل يهم ذلك؟"

حاولت أفاسارالا ابتلاع نفاد صبرها، ولكن ذلك لا يأتي عفو الخاطر. يجب تعليم الفتاة ذلك الأمر ما دامت تعمل معها؛ لذلك قالت: "بالطبع، كان الأمر مهمًّا، تتوقَّف حياة مئات الأرواح بل الآلاف على الفرق بين صياغة "كانت الأمم المتحدة تتفاوض بسوء نية"، وصياغة "كانت الأمم المتحدة وما تزال تتفاوض بسوء نية".

ردَّت بوبي: "حسنًا"، ثم سلَّمت أفاسارالا ورقةً، وقالت: "انظري إذا كان هناك شيءٌ آخر يمكنكِ الحصول عليه؟"

تساءلت أفاسارالا باندهاش: "ما هذا بحق الجحيم؟"

أجابت بوبي: "استقالتي، اعتقدت أنكِ تريدين ترتيب جميع الأوراق. نحن في حالة حرب الآن؛ لذلك سوف أعاود إلى وطني. سأحصل هناك على وظيفة جديدة".

"من اتصل بكِ؟"

ردَّت بوبي: "لا أحد حتى الآن، لكن."...

"هل يمكنكِ الجلوس من فضلك؟ إن التحدُّث إليكِ بهذه الطريقة يجعلني أشعر وكأنني أُكلّمكِ من قاع بئرٍ سحيقة".

جلست فتاة البحرية، وأخذت أفاسارالا نفسًا عميقًا.

سألت أفاسارالا: "هل تريدين قتلي؟" تراجعت بوبي، وقبل أن ترد، رفعت أفاسارالا يدها آمرةً إياها بالصمت، ثم تابعت: "أنا من أقوى الأشخاص في الأمم المتحدة، نحن في حالة حرب، فهل تريدين قتلي؟"

سكتت بوبي قليلًا ثم قالت: "أنا... أفترض هذا أيضًا".

ردَّت أفاسارالا: "لا، لا تريدين ذلك، أنت تريدين اكتشاف من قتل رجالك، تريدين أن يتوقف الساسة عن تشحيم عجلة الحرب بدماء جنود البحرية إلى آخر هذا الهراء، هل تعلمين؟ أنا أريد ذلك أيضًا".

"لكنني ما زلت أؤدي خدمتي الفعلية باعتباري جندية في جيش المريخ، إذا بقيت هنا، وعملت لصالحك، فأنا أرتكب خيانة عظمى". قالت بوبي ذلك بلهجة لا تتضمَّن شكوى ولا ادعاءً.

ردَّت أفاسارالا: "لم يتم استدعاؤك، ولن يفعلوا ذلك، قانون السلوك الدبلوماسي في زمن الحرب بالنسبة لكم هو نفسه تقريبًا بالنسبة لنا، وهو عبارة عن عشرة آلاف صفحة من تسع نقاط، إذا صدرت أوامر إليكِ الآن، يمكنني أن أطرح ما يكفي من الاستفسارات، وأطلب ما يكفي من التوضيحات التي تفيد أنكِ ستموتين من الشيخوخة على هذا الكرسي الذي تشغلينه. إذا كنت تريدين قتل شخصٍ ما من أجل المريخ، فلن تحصلي على هدفٍ أفضل مني. إذا كنتِ تريدين إطفاء فتيل هذه الحرب العبثية المشتعلة، ومعرفة من يقف وراءها فعليًّا، فاذهبي الآن إلى مكتبكِ واكتشفي العبارات التي يريدها كل طرف في بيان المريخ".

ظلت بوبي صامتةً لبرهة طويلة.

قالت أخيرًا: "أنت تقصدين استخدامها كأداة بلاغية، لكن في الواقع سيكون لها معنى كبير إذا قتلتك، ويمكنني أن أفعل ذلك".

شعرت أفاسارالا بقشعريرة طفيفة تسري في عمودها الفقري، لكنها منعتها من الظهور على تعابير وجهها، ثم قالت: "سأحاول عدم إساءة استخدام هذه الحجة ضدك في المستقبل، الآن هيا نعود إلى العمل".

أجابت بوبي: "حسنًا، يا سيدتي"، ثم وقفت وخرجت من المكتب. نخرت أفاسارالا، وانتفخت خدودها مثل البالونات، هل كانت تناقش حقًّا منذ ثوانٍ مع إحدى الجنديات البحريات المريخيات حول قتلها في مكتبها الخاص؟! إنها تحتاج إلى قيلولة، رنَّ جهازها اللوحي، لقد تلقَّت للتو تقريرًا ذا أولوية عالية لم تكن تتوقَّع وصوله، تجاوزت لافتة حمراء داكنة ظهرت على شاشة العرض المعتادة لجهازها، لمست الشاشة، وهي على استعداد لمزيد من الأخبار السيئة من جانيميد، ولكن التقرير كان حول كوكب الزهرة.

***

حتى قبل سبع ساعات، سجَّلت مركبة (أربوغاست) ما يحدث هناك، وهي مُدمِّرة من الجيل الثالث، كانت قد بُنيت في أحواض بناء المركبات المدارية في بوش قبل ثلاثة عشر عامًا ثم أُعيد تجهيزها لاحقًا كمركبة علوم عسكرية. خلال الأشهر الثمانية الماضية، كانت تدور حول كوكب الزهرة. جاءت معظم بيانات الاستطلاع التي اعتمدت عليها أفاسارالا من هذه المركبة.

تم تسجيل الحدث الذي تشاهده أفاسارالا في هذه اللحظة بواسطة محطتين تلسكوبيتين قمريتين بكاميرات استخباراتية واسعة الطيف تصادف وجودها في الزاوية الصحيحة تمامًا، بالإضافة إلى حوالي اثني عشر مراقبًا بصريًّا محمولًا على متن المركبة، واتضح أن مجموعة البيانات التي قامت كل تلك الأجهزة بتجميعها مطابقة تمامًا لما يجري هناك.

قالت أفاسارالا: "قم بإعادة التشغيل مرة أخرى".

كان مايكل جون دي أوتوريه فنيًّا ميدانيًّا عندما قابلته أفاسارالا لأول مرة، قبل ثلاثين عامًا، وأصبح الآن الرئيس الفعلي للجنة العلوم الخاصة، وقد تزوَّج من زميلة أفاسارالا التي كانت تدرس معها في الكلية نفسها، بعد كل هذا الوقت كان شعر الرجل

قد تساقط معظمه، واشتعل الشيب فيما تبقى من شعره، وتدلَّت بشرته البنية الداكنة قليلًا من عظامه، ولم يُغيّر بعد نوع الكولونيا الزهرية الرخيصة التي يتعطّر بها.

اتسم الرجل بخجله الزائد عن الحد حتى كان انطوائيًّا تقريبًا، وأدركت أفاسارالا أنها إذا أرادت الحفاظ على علاقتها بها، فعليها ألا تطلب منه الكثير. كان مكتبه الصغير الفوضوي على بُعد أقل من ربع ميل من مكتبها، ولم يسبق لها مقابلته سوى خمس مرات في العقد الماضي، في كل مرة كانت في عجلة من أمرها لاحتياجها المُلِح لمعرفة شيء غامض ومُعقَّد.

نقر الرجل مرتين على جهازه اللوحي؛ لإعادة عرض الصور على الشاشة. رأت أفاسارالا مركبة (أربوغاست) سليمة مرة أخرى، وتطفو فوق ضباب سحابة كوكب الزهرة في مشهد مُفعم بالألوان المتغايرة. بدأ موشر الوقت في التقدُّم بسرعة.

طلبت أفاسارالا: "حدِّثني عن ذلك رجاءً".

"امم، حسنًا، لنبدأ بالطفرة التي حدثت، إنها تمامًا مثل تلك التي رأيناها في المرة الأخيرة عندما وقع انهيار جانيميد".

"رائع، بهذا لدينا حالتان متشابهتان في قاعدة البيانات".

تابع الرجل: "لقد وقع ذلك قبل المعركة، ربما قبل ساعة، أو أقل قليلًا".

لقد وقع ذلك بالتزامن مع معركة هولدن، قبل أن تتمكَّن من إحضاره، ولكن كيف يمكن للزهرة أن ترد على هجوم هولدن على جانيميد؟ هل كانت وحوش بروبي جزءًا من تلك المعركة؟

"ثم عند تشغيل اللاسلكي..."، وأوقف العرض، ثم قال: "هنا، تنشيط هائل في الشبكة استمر ما بين ثلاث إلى سبع ثوان، إنها تبحث، وتعرف عما تبحث تحديدًا، أفترض أن كل تلك الأشعة والفحوصات النشطة لفتت انتباهها".

أعاد تشغيل العرض مرة أخرى، ولكن دقة العرض أصبحت غير واضحة إلى حدٍّ ما، وأصدر مايكل جون دي أوتوريه صوتًا راضيًا ثم قال: "هذا مثيرٌ للاهتمام"، كما لو أن بقية العرض لم تكن كذلك، ثم تابع: "يبدو وكأنه إشعاع لاسلكي من نوعٍ ما، هناك

تداخل مع كل التلسكوبات باستثناء نظام الطيف المرئي بدقة على القمر، لم يستمر ذلك سوى عُشر ثانية، ثم انفجرت الموجات الدقيقة بعدما كانت تقوم بالتمشيط النشط بشكلٍ طبيعي".

"يبدو هذا مُحبطًا"، كانت تلك الجملة عالقة على لسان أفاسارلا، ولكن لم تتفوّه بها خوفًا مما سيأتي بعد ذلك. وبالفعل تحطّمت (أربوعاست)، ومعها ٥٧٢ روحًا كانوا على متنها، مثل سحابة انفثأت. انفصلت ألواح الهيكل في صفوف مُرتَّبة ومُنظَّمة، ثم تباعدت عوارض الهيكل الفوقية عن الطوابق، وتفكَّكت الأجنحة الهندسية، وانزلقت بعيدًا. كما شاهدت أفاسارالا الطاقم، في الصورة المعروضة أمامها، وهو يتعرَّض بكامل طاقته إلى السقوط في فراغ الفضاء الكاسح. في اللحظة التي كانت تشاهد فيها ذلك، كانوا جميعًا يموتون ولم تزهق روحهم بعد، يبدو الأمر أشبه بمشاهدة خطة بناء بالرسوم المُتحرِّكة- هنا أماكن طاقم المركبة، وها هي المُحرِّكات وباقي الأجزاء الهندسية، بالإضافة إلى الألواح التي تُغلِّف مُحرِّك الأقراص، وهكذا باقي أجزاء المركبة. كل ذلك جعل المشهد أكثر وحشية.

قال مايكل جون: "التالي سيكون أكثر إثارةً للاهتمام بشكلٍ خاص"، ثم أوقف التشغيل، وتابع: "انظري ما سيحدث عندما نقوم بتكبير الصورة".

أرادت أفاسارالا أن تقول له: "لا تعرض هذا لي، لا أريد أن أشاهدهم وهم يموتون".

لكن الغريب أن الصورة التي عرضها لم تكن لإنسان، بل كانت مجموعة من القنوات المتشابكة، وقام بتحريكها ببطءٍ، إطارًا تلو إطار، حتى أصبحت الصورة ضبابية.

"هل تتلاشى؟"

"ماذا؟ لا، لا، سأقرِّب الصورة أكثر".

تم تكبير الصورة مرة أخرى. لم يكن الضباب سوى وهم خلقته مجموعة من القطع المعدنية الصغيرة. البراغي، والصواميل، ومشابك إديسون، والحلقات الدائرية. حدّقت أفاسارالا أكثر بالصورة. لم تُكوِّن تلك العناصر سحابةً فضفاضةً بل وُضِعت كل قطعة

صغيرة في خط متناسق مع ما قبلها وبعدها من القطع حتى صارت مثل برادة الحديد تحت تأثير المغناطيس.

قال: "لم تتدمّر (أربوغاست) بل تفكّكت، يبدو أنها تعرّضت لخمس عشرة موجة منفصلة، وأسهمت كل موجة في تفكيك طبقة من الآليات حتى تجرّدت إلى مجموعة من البراغي".

أخذت أفاسارالا نفَسًا عميقًا، وكرَّرت ذلك مرتين حتى لم يعد الصوت الخشن مُفاجئًا، وتمكّنت أخيرًا من تقليل حدة الصدمة والخوف، ودفعتها إلى مؤخرة عقلها.

قالت أخيرًا: "ما الذي يمكن أن يفعل شيئًا كهذا؟" وقصدت أن يكون سؤالًا استنكاريًّا لا حقيقيًّا؛ لأنها تعلم تمامًا عدم وجود قوة بشرية معروفة يمكنها أن تفعل ما تراه أمامها للتو.

أجاب الرجل بمرح: "طلاب الدراسات العليا، كان امتحاني النهائي للتصميم الصناعي هو نفسه تمامًا، أعطونا جميع الآلات وكان علينا تفكيكها ومعرفة الغرض مما فعلوه، وتوقّف منح الدرجات الإضافية عن تقديم تصميم مُحسَّن". ثم بعد لحظة، أضاف بحزن: "بالطبع كان علينا أيضًا أن نُعيدهم معًا، أليس كذلك؟"

على الشاشة، اختل الترتيب الصارم والمنضبط للقطع المعدنية العائمة، وبدأت البراغي والعوارض والمشابك الدقيقة والألواح الخزفية الضخمة في الانجراف، في حركة فوضوية بسبب زوال القطع التي كانت تحملها. لقد مرت سبعون ثانية على الموجة الأولى للانفجار حتى الآن، أيّ ما يزيد قليلًا عن دقيقة، ولم تقم المركبة بإطلاق رصاصة واحدة ردًّا على ذلك، فليس هناك هدف واضح ليتم إطلاق النار عليه.

"وطاقم المركبة؟"

"تحلّلوا من دروعهم وبدلاتهم، لم يكلفوا أنفسهم عناء تفكيك الجثث، ربما فسروها على أنها وحدات منطقية، أو ربما أحاطوا علمًا بكل ما يحتاجون إلى معرفته عن علم التشريح البشري".

"من رأى هذا؟"

رمش مايكل جون، وهز كتفيه، ثم رمش مرة أخرى.

"تقصدين هذا الفيديو بعينه أو أيّ نسخة أخرى منه؟ نحن الوحيدون الذين التقطنا كل اللقطات بجودة عالية، ولكن هذا كوكب الزهرة، أيّ أن كل من كان ينظر أو يبحث بالتأكيد قد رآه، ليس كما لو كان الأمر يجري في مختبرٍ مغلق".

أغمضت أفاسارالا عينيها، وضغطت بأصابعها على حاجز أنفها كما لو أنها تحارب صداعًا أو أنها تحاول تثبيت القناع في مكانه. من الأفضل أن تبدو متألمة، من الأفضل ألا تتحامل؛ لذلك تركت الرعب يستولي عليها ويهاجمها في نوبات تشنُّج، وكأنه شيء يحدث لشخص آخر غيرها، هدَّدت الدموع بغمر عينيها، ولكنها عضت على شفتها حتى جف الدمع دون أن يسيل، فتحت مُحدِّد مواقع الأشخاص على جهازها اللوحي، لم يكن نجوين خيارًا متاحًا على الإطلاق حتى لو كان في نطاق الجهاز بالفعل، بينما أظهر الجهاز الجنرال نيتلفورد مع عشرات المركبات الأخرى التي تتجه بسرعة خارقة نحو محطة سيريس، ولكنها لا تثق به تمامًا. إذن ليس هناك سوى ساوثر.

"هل يمكنك إرسال هذه النسخة إلى الأميرال ساوثر؟"

أجاب الرجل: "مستحيل طبعًا، هذه النسخة غير مُصرَّح بتداولها".

نظرت إليه آفاسارالا دون ظهور أيّ تعبيرٍ على ملامحها.

سألها: "هل تتحمَّلين مسؤولية تداولها؟"

أجابت أفاسارالا: "نعم، أنا أتحمل مسؤولية تداول النسخة مع الأميرال ساوثر، الرجاء إرسالها على الفور".

أومأ مايكل جون برأسه بسرعة، ثم نقر على وحدة التحكُّم بطرف خنصره. سحبت أفاسارالا جهازها اللوحي، وأرسلت رسالة مقتضبة إلى الأميرال ساوثر. "شاهد هذا واتصل بي"، وعندما نهضت، شعرت بألم يشتد في ساقيها.

ودّعها مايكل جون دون أن ينظر إليها: "كان من الجيد رؤيتك مرة أخرى. يجب أن نتناول العشاء جميعًا في يومٍ ما".

ردَّت أفاسارالا: "بالتأكيد سنفعل"، ثم غادرت

كان الجو باردًا في مرحاض النساء، وقفت أفاسارالا عند الحوض، وبسطت راحتيها على الحرابيت، لم تعتد الخوف أو الرهبة، دارت حياتها كلها حول السيطرة والتحدُّث بانفعال والاستقواء على الغير والتنمُّر على كل من يضايقها، فعلت ذلك لتُسيِّر العالم بالطريقة التي تريدها. ثمة أحداث معدودات فقط استطاع فيها القدر العنيد أن يطغى عليها ويقهرها، وما تزال تلك الأحداث المعدودات تطاردها حتى الآن: زالزل ضرب البنغال عندما كانت طفلة، عاصمة أصابت مصر وتسبَّبت في حصارها مع أرجون في غرفتها بالفندق لمدة أربعة أيام مع تضاؤل الإمدادات الغذائية حتى انعدمت تمامًا لبعض الوقت، فضلًا عن موت ابنها. كل واحدة من تلك الأحداث استطاعت أن تقلب تظاهرها الدائم بالأمان والفخر ضدها، تاركةً إياها تتلوَّى في سريرها ليلًا لعدة أسابيع بعد ذلك، مُصابة بتخمُّش اليدين، ومناماتها مُكدَّرة بالكوابيس.

لكن هذا أسوأ، في السابق كانت تواسي نفسها بفكرة أن الأمور تجري في هذا الكون بعشوائية وبلا تدبيرٍ حكيم، وأن كل الفظائع التي تحدث كان مردها إلى التقاء الصدفة بالقوى الطائشة، ولكن الطريقة التي تحطَّمت بها مركبة (أربوغاست) وهلك بها من على متنها من أرواح بريئة كان شيئًا آخر. إنها مُصيبة مُدبَّرة وليست إنسانية، الأمر يُشبه النظر إلى وجه الرب في عز جبروته دون أن تلمح فيه ذرة شفقة بالمُعذَّبين.

ارتجفت أفاسارالا، وأخرجت جهازها اللوحي، وما إن طلبت أرجون، أجابها على الفور. أدركت أفاسارالا من التأثُّر الظاهر على عينيه وفكه أنه شاهد نسخة من الحدث، في الحقيقة لم يكن مشغولًا بمصير البشرية، بقدر ما كان مهمومًا لأجلها. حاولت أن تبتسم، ولكن الأمر يفوق طاقة احتمالها، سالت الدموع على خديها. تنهَّد أرجون بهدوء وخفض بصره.

قالت أفاسارالا: "أحبك كثيرًا، بفضلك تمكَّنت من التغلُّب على ما لا يُطاق".

ابتسم أرجون، التجاعيد تناسب هذا الرجل، والتقدُّم في العمر جعله أكثر وسامة كما لو أن الفتى ذا الوجه المستدير والرزانة الهزلية الذي تسلَّل إلى نافذتها يومًا ما لقراءة قصائده عليها في جوف الليل كان ينتظر كل هذا الزمان ليُصبح ما هو عليه الآن.

"أحبك، لطالما أحببتك، إذا وُلدنا مرة أخرى في حياة جديدة تمامًا، سأحبكِ أنتِ أيضًا هناك"

انتحبت أفاسارالا، ومسحت دموع عينيها بظهر يدها، وأومأت برأسها ثم قالت: "حسنًا، هذا رائع".

عندما صمتت، أدرك أرجون أنها أعادت تركيب القناع، فقال: "ستعودين إلى العمل؟"

أجابت: "نعم، العودة إلى العمل، قد أعود إلى المنزل في وقتٍ متأخرٍ".

"سأكون هنا بانتظاركِ، يمكنكِ إيقاظي عند قدومكِ".

صمتا للحظة، ثم أنهت أفاسارالا الاتصال، الأميرال ساوثر لم يتصل بها بعد، إرينرايت لم يتصل أيضًا، عقلها يتقافز مثل كلب يهاجم مركبة نقل القوات، وقفت على قدميها، وأجبرت نفسها على المشي خطوة بخطوة، بدا أن هذا الفعل الجسدي البسيط قادر على تصفية ذهنها. وقفت عربات كهربائية صغيرة على استعداد لإعادتها إلى مكتبها، ولكنها تجاهلتهم، وواصلت المشي، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه، باتت هادئةً تمامًا مرة أخرى.

جلست بوبي منحنية على مكتبها، وأظهرت ضخامة الفتاة البحرية الأثاث الذي تجلس عليه وكأنه مقعد لأطفالٍ في الروضة، بينما لم يكن سورين في الجوار، من حسن حظه ألا يجلس بجانب هذه البحرية المريخية، لم يتلقَّ هذا الفتى تدريبًا عسكريًّا.

قالت أفاسارالا وهي تجلس على حافة مكتب سورين: "تخيّلي أنكِ في موقعٍ راسخ وهناك تهديد هائل يتجه نحوكِ مباشرةً، حسنًا؟ لنفترض أنكِ على سطح القمر، وألقى طرفٌ ثالث مُذنبًا عليكِ، ألستِ أمام تهديدٍ هائل، هل تفهمينني؟"

نظرت إليها بوبي وهي تغالب ارتباكها للحظة، ثم هزَّت كتفيها.

أجابت الجندية البحرية: "نعم".

ردَّت أفاسارالا: "إذن لماذا تختارين تلك اللحظة الحرجة لتخوضي معركةً مع جيرانك؟ هل أنتِ مذعورة فتهاجمين من هم أقرب إليكِ، هل تعتقدين أن جيرانك

الأوغاد مسؤولون عن سقوط هذا المُذَنَّب عليك؟ هل أنت بهذه الدرجة من الغباء حقًّا؟"

قالت بوبي: "نحن هنا نتحدّث عن كوكب الزهرة والقتال في نظام المُشتري، أليس كذلك؟".

ردّت أفاسارالا: "إنها استعارة رقيقة للغاية، نعم، فلماذا تفعلين ذلك؟"

استندت بوبي إلى كرسيها، والبلاستيك يئن تحت وطأتها. ضيّقت الفتاة الضخمة عينيها، وفغرت فاها للحظة ثم أغلقته، وتجهّمت ملامحها، وكرّرت ذلك مرة أخرى ثم قالت:

"سأفعل ذلك لتوطيد سلطتي، إذا استنزفت مواردي في مواجهة المُذَنَّب، فبمجرد زوال هذا التهديد، سيضيع كل شيء حتمًا. سيباغتني جاري الوغد ويقضي عليّ على حين غفلة، بينما إذا ركلت مؤخرته أولًا، عندها سأنتصر وأنجو".

قالت أفاسارالا: "ولكن إذا تعاونتِ مع..."

قاطعتها بوبي وهي تهز رأسها: "إذن لماذا يتعيَّن عليّ الثقة في هذا الجار؟"

"هناك مليون طن من الجليد قادم سيقتل كليكما، لماذا بحق الجحيم لا تثقين في جارك هذا؟"

ردَّت بوبي: "هذا يعتمد على.. ما إذا كان هذا الجار أرضيًّا! لدينا قوتان عسكريتان كبيرتان في النظام الشمسي، بالإضافة إلى كل ما تمكَّن الحزام من حشده، هذه ثلاثة أطراف لكلٍّ منها تاريخ عريق، وعندما يحدث كل ما يحدث بالفعل على كوكب الزهرة، يريد طرفٌ واحد من هذه الأطراف الثلاثة أن يمتلك كل البطاقات، والمفروض أن يتبعه باقي الأطراف!"

قالت أفاسارالا: "وإذا قام كلا الجانبين - الأرض والمريخ - بإجراء الحسابات نفسها، فسنُنفق كل طاقتنا للاستعداد للحرب القادمة".

أجابت بوبي: "هذا صحيح، نعم، بهذه الطريقة نخسر جميعًا معًا".

الفصل الرابع والعشرون

براكس

جلس براكس في مقصورته. كان يعلم أن هذه المساحة المُتاحة للنوم تُعدّ كافية بل فسيحة أيضًا بالنظر إلى أنها غرفة على متن مركبة، ولكنها إجمالًا كانت أصغر قليلًا من غرفة نومه في محطة جانيميد. اقتعد على مرتبةٍ هُلامية، وكانت قوة التسارع تدفعه لأسفل، مما جعله يشعر بثقلٍ غير طبيعي في ذراعيه وساقيه، وتساءل عما إذا كان هذا الشعور المُفاجئ بالثقل -التغيُّر المُتقطِّع في السفر إلى الفضاء إذا أردنا الدقة- قد أثار بعض الإشارات التطوّرية للإرهاق. زاده الشعور بأنه يُدفع إلى الأرض أو السرير إحساسًا بأن التعب يذوب في عظامه؛ لذلك اهتدى إلى أن النوم لفترةٍ أطول سيكون حلًّا مثاليًّا لمشاكله، وسيجعل الأمور أفضل بكثير مما هي عليه.

قال بصوتٍ عالٍ: "ربما ماتت ابنتك" ثم انتظر ليرى وقع ذلك على جسده، قال مرةً أخرى: "ربما ماتت مَي".

لم يغمره البكاء هذه المرة، ربما يُعدُّ ذلك تحسُّنًا ملحوظًا.

تباعدت المسافة بينه وبين جانيميد إلى مسيرة يومٍ ونصف اليوم، وكانت المحطة أصغر من أن تُرى بالعين المُجرَّدة. بدا كوكب المُشتري مثل قُرصٍ خافتٍ بحجم ظُفر الخنصر، يعكس ضوء الشمس الذي كان أكبر قليلًا من نجمٍ لامع للغاية. علميًّا، أدرك براكس أنهم يهبطون باتجاه الشمس من نظام جوفيان التابع لكوكب المُشترِي نحو الحزام، وفي غضون أسبوع، سيتضاعف حجم الشمس الحالي ولكنها ستظل ضئيلة الحجم. وفي ظل هذه الخلفية الهائلة من المسافات والسرعات التي تفوق قدرة العقل البشري، بدا أنه لا شيء يجب أن يكون عظيمًا أو مهمًّا على الإطلاق. عليه أن يقبل أنه لم يكن حاضرًا هناك عندما خلق الله الجبال أوتادًا سواء أكانت تلك الموجودة على الأرض أم على محطة جانيميد أم في مكانٍ ما بعيدًا في غياهب هذا الظلام الساحق. لقد كان يعيش في صندوقٍ

صغير من المعدن والسيراميك يتبادل المواد للحصول على الطاقة اللازمة لإلقاء نصف دزينة من الرئيسيات عبر فراغ أكبر من ملايين المحيطات، بالمقارنة مع ذلك، كيف يمكن لأيِّ شيءٍ أن يكون عظيمًا أو مهمًّا؟

قال مرةً أخرى: "ربما ماتت ابنتك"، ولكن هذه المرة اشتعلت الكلمات في حلقه مثل جمرة حتى كادت تخنقه.

اعتقد أن مرد هذا الأمر إلى شعوره المفاجئ بالأمان، بينما خيَّم على جانيميد الخوف على عقله. الخوف وسوء التغذية والروتين والقدرة على التحرُّك في أيِّ وقت شاء، والقيام بشيءٍ ما حتى لو كان عديم الفائدة تمامًا. الذهاب للتحقُّق من وصول الشحنات، الانتظار في طابور الأمن، والهرولة بطول الممرات، واستكشاف عدد ثقوب الرصاص الجديدة التي أصابت كل ممر.

في (روسينانت)، كان عليه أن يتباطأ، عليه أن يتوقَّف؛ لأنه ليس هناك ما يفعله على هذه المركبة سوى الانتظار في أثناء الهبوط الطويل باتجاه الشمس لحين الوصول إلى وجهتهم المقصودة المُسماة (محطة تايكو)، لم يعد بإمكانه تشتت ذهنه ببعض الأمور مثل البحث عن شيءٍ يصطاده في أحد مراكز الصيد أو حتى إسعاف جريحٍ يحتضر. لم يكن أمامه سوى المقصورة التي زوَّده بها، وجهازه اللوحي، وعدد قليل من الملابس التي كانت كبيرة جدًّا بالنسبة له. هناك أيضًا علبة صغيرة تحتوي على أدوات النظافة، هذا كل ما لديه. ولا يمكن أن ينسى وجود ما يكفيه من الطعام والماء النظيف حتى يستعيد ذهنه قدراته على العمل من جديد.

لاحظ أنه مع كل ساعة تمر أنه يستيقظ من غفلته ويستعيد تركيزه وقوته شيئًا فشيئًا، لم يدرك إلى أيِّ حدٍّ تدهورت حالته الجسدية والعقلية إلا بعدما بدأ في التحسُّن، وفي كل مرة كان يشعر بأنه تعافى تمامًا وعاد إلى سيرته الأولى، ولكنه بعد وقتٍ قصيرٍ، يدرك أنه لم يعد بعد إلى طبيعته، هناك المزيد والمزيد.

لذلك اكتشف نفسه، وسبر أغوار جراح عالمه الذاتي كما لو كان يضغط بطرف لسانه على سنٍّ جافٍّ مُلتهب.

قال بينما تنهمر دموعه: "ابنتك قد ماتت على الأرجح، ولكن إذا لم تكن كذلك، فعليك أن تعثر عليها".

شعر بأن ما يفعله أفضل، أو على الأقل صحيح إن لم يكن أفضل. انحنى إلى الأمام، وعقد يده، وأسند عليها ذقنه، وبتمعنٍ بالغ، استحضر منظر جسد كاتوا المُلقى على الطاولة، وعندما حاول عقله أن يتملص ويفكر في شيء، أيّ شيءٍ آخر غير ذلك، وجد نفسه مُجبرًا على التراجع إلى هذا المنظر، ولكن هذه المرة رأى جسد مَي مُلقًى على الطاولة مكان الصبي. تخيَّل جسدها أمامه هامدًا، أجوف، وميتًا. بدأ الحزن يتصاعد من مكانٍ أسفل صدره مباشرةً، تابع ذلك وكأن الأمر يحدث لجسدٍ آخر غير جسده.

خلال الفترة التي قضاها كأحد طلاب الدراسات العليا، جمع البيانات لدراسة نبتة صنوبر كونورتا الملتوية، من بين جميع أنواع الصنوبر التي تنمو على الأرض، صُنِّفت هذه النبتة الملتوية باعتبارها الأكثر مرونة للنمو في البيئات منخفضة الجاذبية. وقد تمثَّلت مهمته حينها في جمع الأكواز الساقطة وحرقها للعناية بالبذور وتسهيل عملية حصدها. في البراري لا ينبت شجر الصنوبر بدون نار، بينما تسهم المادة الصمغية الموجودة على أكواز الصنوبر في إشعال النيران، حتى وإن تسبَّب ذلك في موت الشجرة الأم. فلكي تتحسَّن الأمور، لا بُدّ أن تسوء أولًا، ولكي تنجو النبتة وتبقى على قيد الحياة، كان لا بُدَّ أن ينشب بين أحضانها ما لا يمكن النجاة منه.

لقد فطِن ذلك، ووعي له.

حدَّث نفسه قائلًا: "ماتت مي، لقد فقدتها للأبد".

لم يكن عليه أن يتمهّل حتى تتوقَّف تلك الفكرة عن تدميره، فلن تتوقَّف أبدًا عن تدميره. لكنه لم يستطع أن يترك لها المجال لتستشري حتى تطغى على عقله، دائمًا ما كان لديه إحساس بإلحاقه الأذى الروحي بنفسه، لكنها كانت الإستراتيجية الوحيدة التي يمتلكها، ويضعها موضع التنفيذ إزاء ما يداهمه من أخطار، وبقدر ما يُحدِّث به من نفسه من مظان الشر، بقدر ما وقع البلاء على روحه المُعذَّبة.

أصدر جهازه اللوحي صفيرًا مُعلِنًا بانتهاء الحصار الذي استمر لمدة ساعتين، مسح بواكي الدموع بظهر يده، وتنفَّس عميقًا، وزفر مرة أخرى، ثم نهض. لقد قرر أن

ساعتين بمعدل مرتين في اليوم ستكون وقتًا كافيًا لاحتضان النار بين أضلاعه مثل نبتة الصنوبر حتى يبقى صلبًا وقويًّا في هذه البيئة الجديدة التي تتسم بقدر أقل من الحرية وبالمزيد من السعرات الحرارية. ستكون وقتًا كافيًا لإبقائه مستيقظًا من غفلته القديمة غسل وجهه في الحمام المشترك، الذي أطلق عليه طاقم المركبة "الرأس"، ثم توجّه إلى المطبخ.

وقف الطيار- الذي يُسمَّى أليكس- عند ماكينة القهوة، وكان يتحدث إلى وحدة الاتصالات المُثبَّتة على الحائط. إنه يمتاز ببشرة أغمق من لون بشرة براكس، ويكسو رأسه شعرٌ خفيفٌ أسود اللون، مع وجود بعض الشعرات القليلة البيضاء التي بدأت تهاجم مقدمة شعره، ولم يخلُ صوته من نبرة غريبة متحشرجة كسائر أصوات المريخيين.

"لا أرى منها سوى ثمانية بالمائة ثم تنخفض شيئًا فشيئًا".

ردَّت وحدة الاتصالات بشيءٍ مرحٍ وفاحش، كان أموس المتحدِّث.

قال أليكس: "أقول لك إن الختم مُتصدِّع".

ردَّ أموس من وحدة الاتصالات: "لقد مررت بذلك مرتين".

أخذ الطيار قدحًا من ماكينة القهوة محفورًا عليه كلمة "تاتشي".

"المرة الثالثة ثابتة".

"حسنًا، فلنَرَ".

ارتشف الطيار رشفة طويلة من القدح بصوتٍ عالٍ، ثم لاحظ وجود براكس، فحيَّاه برأسه، ابتسم براكس وهو يشعر بالإحراج قليلًا.

سأل أليكس: "هل تشعر بتحسُّن؟"

أجاب براكس: "نعم، أعتقد ذلك، لا أعلم حقًّا".

جلس أليكس على إحدى الطاولات، وتميّزت الغرفة بتصميمها العسكري حيث صممت العديد من المنحنيات والحواف التي تتسم باللين والاستدارة؛ لتقليل الضرر إذا ما حُوصر شخصٌ ما بسبب حدوث اصطدام أو مناورة مفاجئة. كما احتوى جهاز مراقبة مخزون الأدوية على واجهة قياسات حيوية تم إيقاف تشغيلها، لقد صُمِّم الجهاز

بهذا الشكل كأحد الإجراءات الأمنية المُشدّدة، ولكنه غير مُستخدم في الوقت الحالي. وانطبع على الحائط اسم (روسيانت) بحروف كبيرة بحجم يده، وقام شخصٌ ما برسم نرجس أصفر بالاستنسل. بدت هذه الرسمة في غير محلها ولكنها، ويا للغرابة، كانت مناسبة في الوقت نفسه. عندما بدأ براكس يفكّر في الأمور بهذه الطريقة، شعر وكأنه يتأقلم مع كل شيءٍ على هذه المركبة. مع مطهرها وطاقمها على سبيل المثال.

"هل أنت مستقر في مكانك وكل أمورك على ما يُرام؟ هل تحتاج إلى أيّ شيء؟"

ردَّ براكس بإيماءة: "أنا بخير، شكرًا لك".

"لقد أبرحونا ضربًا عندما خرجنا من هناك، لقد مررت ببعض الأوقات الحالكة في قيادة المركبات، ولكن هذه كانت واحدة من أحلك الأوقات على الإطلاق".

أطرق براكس رأسه ثم سحب علبة طعام من المُوزِّع الآلي، كانت عبارة عن عجين متماسك يتميَّز بمذاقه الحلو وغناه بالقمح والعسل كما لم يخْلُ من نكهة خافية للزبيب المحمَّص. جلس براكس دونما تفكير، واعتبر الطيار جلوسه دعوةً لمواصلة الحديث بينهما.

"منذ متى وأنت تعيش في جانيميد؟"

"معظم حياتي، هاجرت عائلتي عندما كانت والدتي حاملًا، سبق للعائلة العمل على الأرض والقمر، وادَّخروا كل ما لديهم للهجرة إلى الكواكب الخارجية، استقروا لفترة قصيرة في البداية على كاليستو".

"هل أنتم حزاميون؟"

"ليس تمامًا، علموا أن العقود أفضل من حيث العوائد والشروط خارج الحزام، وكانت الفكرة المُسيطرة عليهم حينها (صنع مستقبل أفضل للأسرة). في حقيقة الأمر كان ذلك حلم والدي".

ارتشف أليكس رشفة من قهوته ثم قال: "ومن هنا جاءت تسميتك براكسيديك، أسموك باسم القمر، أليس كذلك؟"

"بالضبط، ولكنهم اكتشفوا لاحقًا أنه اسم امرأة؛ لذلك كانوا مُحرجين بعض الشيء، بينما لم أحفل بذلك مطلقًا، ولكن على الرغم من ذلك، اعتقدت زوجتي - أقصد زوجتي السابقة - أنه أمرٌ رائع حقًّا، وربما كان هذا سبب ملاحظتها لي في المقام الأول. حقًّا يتطلب الأمر شيئًا ما لتبرز قليلًا أمام الآخرين، خصوصًا أنه لا يمكنك أن تلفت انتباه الناس إليك في جاينيميد إلا إذا حصلت على خمس درجات دكتوراه في علم النبات على الأقل، وبالطبع لا يمكنك ذلك".

بعدما قال براكس ذلك، طالت فترة الصمت بينهما لدرجة أنه توقَّع مجرى الحوار التالي، وأصبح بإمكانه أن يُجهِّز نفسه لذلك.

قال أليكس: "سمعت أن ابنتك مفقودة... أنا آسف لذلك".

ردَّ براكس: "ربما ماتت"، بطريقته نفسها التي اعتاد عليها.

"هل كان لهذا الأمر علاقة بالمختبر الذي وجدتموه جميعًا هناك، أليس كذلك؟"

"هذا ما أعتقده، يجب أن تكون هناك علاقة بينهما، لقد اختطفوها قبل الحادث الأول بقليل، هي والعديد من الأطفال الآخرين في مجموعتها".

"مجموعتها؟"

"إنها تعاني من اضطراب في المناعة، مرض يُسمَّى مايرز-سكيلتون المناعي المُبكر، منذ ولادتها".

قال أليكس: "كانت أختي تعاني من اضطراب هشاشة العظام. ولكن هل أخذوا مَي لإصابتها بهذا المرض؟"

أجاب براكس: "أفترض ذلك، وإلا لماذا تختطف طفلًا مثلها؟"

ردَّ أليكس بهدوء: "أعرف اختطاف الأطفال للعمل بالسُّخرة أو لاستغلالهم جنسيًّا. ولكنني لا أستطيع تخمين سبب اختطاف أطفال يعانون من حالة طبية نادرة. هل صحيح أنك رأيت الجزيء الأولي هناك؟"

أجاب براكس: "على ما يبدو ذلك". وأحدث فقاعة الطعام تبرد في يده، وكان يعلم أنه يجب أن يأكل أكثر، وأراد ذلك فعلًا؛ لأن مذاق الطعام لذيذ، ولكن ثمة شيءٌ حمي

يدور في أقاصي عقله. شيءٌ ما سبق له التفكير فيه عندما كان مُشتَّتًا ويتصور جوعًا. ولكن الآن، بعدما تبدَّلت أحواله وبات في هذا التابوت المُتحضِّر الذي يندفع عبر الفراغ، لماذا تعود الأفكار القديمة المألوفة لتعروه بعدما تلامست بعضها مع البعض! لقد استهدفوا على وجه التحديد الأطفال من مجموعة مي، الأطفال الذين يعانون من نقص المناعة، وإنهم يعملون لحساب الجريء الأولي.

قطع أليكس حبل أفكار براكس قائلًا: "لقد كان القبطان على متن إيروس".

قال براكس لمجرد أن يقول شيئًا في هذا الصدد: "لا بُدَّ أن تجشَّم خسائر مهولة عندما حدث ذلك".

"كلا، لا أقصد أنه عاش هناك. أقصد أنه كان في المحطة عندما حدث ذلك، كنا جميعًا هناك، لكنه استمر هناك وقتًا أطول منا. لقد رأى كيف بدأ كل شيء، وأُصيب بالعدوى الأولية، هذا ما كنت أقصد قوله".

"أحقًّا ما تقول؟"

"هذه العدوى غيّرته قليلًا. لقد كنت بصحبته في السفر منذ أن كنا نحمل الجليد على بارجة قديمة تطلق الريح من زحل إلى الحزام، أعتقد أنه في بادئ الأمر لم يكن يحبني كثيرًا، ولكننا أصبحنا عائلة واحدة الآن، لقد كانت رحلةً مُميتة".

التقم براكس لقمةً كبيرة من فقاعة الطعام، جيد، ولكن مذاق القمح في العجين ينحسر بينما يطغى على المذاق طعم العسل والزبيب. لم يرُقه ذلك. استحضر عقله نظرة الرعب التي ارتسمت على وجه هولدن عندما وجدوا الخيوط العنكبوتية السوداء، وكيف أن صوته المُتهدِّج كان يُشير إلى أنه يقاوم ذعره حينها. بدا كل ذلك منطقيًّا الآن.

وكما لو أن التفكير فيه قد استدعاه، ظهر بالفعل هولدن في المدخل، وهو يتأبط صندوقًا مصنوعًا من الألومنيوم

به صفائح كهرومغناطيسية ممتدة بطول قاعدته، يبدو أن هذا الصندوق هو خزانة أحذية مُصمَّمة بحيث لا تتحرّك حتى تحت وطأة الجاذبية العالية. سبق لبراكس أن رأى

هذه الأحذية، لكنه لم يكن بحاجة إلى أحد حذاء، حيث كانت الجاذبية ثابتة بالنسبة له حتى الآن.

قال أليكس وهو يُحيِّيه تحية مأثورة: "سيدي القبطان، هل كل شيء على ما يرام؟"

أجاب هولدن. "أجل، أنا فقط أنقل بعض الأمتعة إلى مقصورتي"، لم يُخطئ براكس الحدة الظاهرة في صوته، ثم انتابه شعورٌ مفاجئ بأنه يتطفّل على شيءٍ خاص، ولكن لم يصدر عن كلٍّ من أليكس وهولدن أيّ إشارة تُنبئ عن ذلك. كل ما حدث أن هولدن انتقل فقط من أسفل القاعة، وعندما صار بعيدًا، تنهَّد أليكس.

سأل براكس: "هل ثمة مشكلة؟"

أجاب أليكس: "نعم، ولكن لا تقلق حيال ذلك، لا علاقة لك بالأمر، إنه أمر تم تخميره لفترة من الوقت".

قال براكس: "يُؤسفني ذلك".

ردَّ أليكس: "كان يجب أن يحدث، من الأفضل تجاوزه في أسرع وقت بطريقة أو بأخرى"، ولم يخلُ صوته من نبرة توجس لا لبس فيه. بدأ براكس يألف هذا الرجل. نقرت وحدة التحكُّم في الحائط ثم جاء صوت أموس:

"كيف الحال الآن؟"

سحب أليكس ذراع الجهاز بالقرب منه ولفها على مفاصله المُعقَّدة والملتوية، ثم نقر على الجهاز بأصابع يده بينما كان يُمسك قدح القهوة باليد الأخرى، أومض الجهاز اللوحي وتحوَّلت مجموعات البيانات إلى رسومٍ بيانية وجداول مباشرةً.

أجاب أليكس: "عشرة بالمائة، لا، بل وصلت الآن اثني عشر بالمائة، نحن بصدد التقدُّم، ماذا وجدت؟"

ردّ أموس: "حتم متصدِّع، حسنًا، لشد ما تبهرني بذكائك الخارق، ماذا لديك أيضًا؟"

نقر أليكس على الجهاز بينما عاد هولدن للظهور مرة أخرى من الردهة، ولكن هذه المرة دون حراشه.

قال أليكس. "بطارية جهاز استشعار الإرساء تلّقت ضربة هنا، كما يبدو أن بعض الأسلاك قد تفجّرت"

أجاب أموس: "حسنًا، فلنستبدل هؤلاء الأوغاد".

قال هولدن. "أو ربما يمكننا أن نفعل شيئًا لا يتطلب الزحف على السطح الخارجي لمركبة نفاثة".

أجاب أموس: "يمكنني إنجاز ذلك أيها القبطان"، ولكن بدا صوته مستاءً حتى من خلال مكبّر الصوت الصغير على الحائط، بينما هزَّ هولدن رأسه.

"مع أدنى انزلاق سيحوّلك عادم المُحرّك إلى ذرات، فلنترك ذلك للفنيين على تايكو. ماذا لدينا أيضًا، يا أليكس؟"

أجاب الطيار: "تسرُّب الذاكرة في نظام الملاحة، من المحتمل أن يكون هناك تعطُّل في نظام الشبكة أو أن عملية إعادة التشغيل لا تتمُّ بشكلٍ صحيح. لا يزال نظام التعليق منزوع الضغط في الفراغ، ومصفوفة جهاز اللاسلكي مُعطّلة وبطاريته صلبة مثل المطرقة بدون سبب واضح لذلك. الأجهزة اللوحية لا تستجيب، والعنابر الطبية تُظهِر رموزًا خاطئة؛ لذلك أنصحك ألا تمرض".

تحرَّك هولدن نحو ماكينة القهوة، وتحدَّث دون أن يلتفت لانشغاله بتحضير قهوته. كان القدح محفورًا عليه كلمة تاتشي أيضًا، أدرك براكس أنهم جميعًا يفعلون الشيء نفسه. تساءل من تاتشي هذا أو ماذا يكون أصلًا؟

"هل يحتاج نظام التعليق إلى أيِّ نشاط خارج المركبة؟"

أجاب أليكس: "لا أعرف، دعني ألقي نظرة".

أخرج هولدن كوب قهوته من الماكينة بقليلٍ من التنهُّد، وضرب ألواح الماكينة المعدنية المصقولة كما لو كان يداعب قطة. وبدافع غريزي، تنحنح براكس، ثم قال:

"معذرة، قبطان هولدن، ولكن أود أن أتساءل إذا كان بإمكاني استخدام وحدة الاتصالات لبعض الوقت عندما يتم إصلاح جهاز اللاسلكي أو إذا ما أُتيح لنا إرسال أشعة الليزر المُركّزة؟"

أجاب هولدن. "نحن نحاول أن نبقى في أمانٍ بعيدًا عن الأخطار في الوقت الحالي، ولكن ماذا تريد أن ترسل؟"

ردّ براكس: "لا بُدَّ لي من إجراء بعض الأبحاث، البيانات التي توصَّلنا إليها عندما أخذوا مي عن جانيميد تحتوي على صور للمرأة التي كانت معهم، وإذا تمكَّنت من معرفة ما حدث للدكتور ستريكلاند فإنني.. لا أعلم، ولكني أود أن أقول إنه منذ اليوم الذي اختفت فيه ابنتي، لم أتمكّن إلا من استخدام نظام مغلق أمنيًّا. سيكون هنا مكان جيد لبدء البحث حتى لو كان المتاح مجرد قواعد البيانات وشبكات الوصول العامة".

قال هولدن: "إما أن تفعل هذا أو تجلس ناظرًا في حسائك حتى نصل إلى تايكو، حسنًا، سأطلب من ناعومي أن تُنشيء لك حسابًا للوصول إلى شبكة (روسي)، لا أعرف ما إذا كانت أرشيفات (أوبا) ستحتوي على أيّ شيءٍ يتعلق بذلك أم لا، ولكن يمكنك التحقّق بنفسك أيضًا".

"أحقًّا، أيها القبطان؟"

"بالتأكيد، لديهم قاعدة بيانات جيدة للتعرُّف على الوجوه، إنهم يحتفظون بها داخل حرمهم الأمن؛ لذلك ربما تحتاج إلى أحدنا لتقديم الطلب".

"ولن يحدث شيءٌ جراء ذلك؟ لا أريدك أن تقع في مشكلةٍ مع (أوبا) بسببي".

ابتسم هولدن ابتسامةً دافئة ومبهجة ثم أجاب قائلًا: "حقًّا، لا تقلق بشأن ذلك. أليكس، ماذا لدينا؟"

"يبدو أن باب غرفة التخزين لا يُغلق جيدًا، لكننا كنا نعرف ذلك، ربما يكون قد تعرَّض لضربة تسبَّبت في إحداث ثقب به. لدينا نسخة احتياطية من ملفات الفيديو يمكن الوصول إليها؛ لذا.. انتظر".

تحرّك هولدن لينظر من فوق كتف أليكس، قضم براكس قضمة أخرى من طعامه ولكنه استسلم في النهاية للفضول. احتلت صورة غرفة التخزين، لا يريد عرضها عن كف براكس، أحد أركان الشاشة. كانت معظم الشحنة عبارة عن منصات تحميل

كهرومغناطيسية عالقة في الألواح القريبة من الباب العريض لغرفة التحرين، ولكن بعضها تحطّم وتساقط على الأرض بسبب ضغط الحادثة مما أعطى الغرفة مظهرًا غير واقعي يُشبه أسلوب نقوش (أيشر) قام أليكس بتكبير حجم الصورة للاقتراب أكثر من الباب في أحد الأركان، انثنى جزء سميك من المعدن إلى الداخل، وكان المعدن لامعًا حيث تسبّب ثني المعدن في تكسير الطبقات الخارجية، فظهر طيف من بحر النجوم عبر فتحة الجزء المنثني من الباب المعدني.

قال أليكس: "حسنًا، على الأقل رأينا ما حدث".

تساءل هولدن: "ما ذلك الشيء الذي أصاب باب غرفة التخزين؟"

قال أليكس: "لا أعرف بالضبط، أيها القبطان. لا آثار احتراق كما نرى. لكن فيما أعلم أن قذيفة مدفع جاوس لا يمكن أن تتسبَّب في ثني المعدن بهذه الطريقة، فقط كانت ستكتفي بإحداث ثقب في الباب. وغرفة التخزين لم يتم اختراقها؛ لذا لم تُحدث ثقبًا على الجانب الآخر".

أعاد الطيار تكبير الصورة من أجل إلقاء نظرة فاحصة على الحواف المصابة، صحيح أنه لم تكن هناك آثار احتراق، ولكن ظهرت بقع سوداء رقيقة على معدن الباب وسطح المركبة. قطب براكس جبينه، وفتح فمه ليتكلم لكنه أحجم عن الكلام في النهاية.

نطق هولدن بما كان يفكر فيه براكس: "أليكس؟ هل هذه بصمة يد؟"

"يبدو الأمر كذلك، أيها القبطان، ولكن..."

"صغّر الصورة، وانظر إلى سطح المركبة".

كانت صغيرة، دقيقة، من السهل أن يتغاضوا عنها في مثل هذه الصورة الصغيرة، لكنهم لاحظوها. إنها بصمة يد، بصمة يد مُلطَّخة بشيءٍ داكن، ساورت براكس شكوكٌ قوية أن هذا الشيء كان أحمر اللون في يومٍ من الأيام، واستحال لونه داكنًا. بصمة لا لبس فيها من خمسة أصابع ليدٍ عارية. لطخةٌ ممتدة من الظلام.

اتبع الطيار المسار.

تساءل هولدن: "نظام التعليق في فراغ مفروغ الضغط، أليس كذلك؟"

أجاب أليكس. "لقد مضى يوم ونصف اليوم يا سيدي، اختفى الهواء غير الرسمي، وجميع أنظمة المركبة تعمل الآن في الفراغ".

قال هولدن: "اتبع المسار على اليمين".

"حسنًا، يا سيدي".

"جيد، توقَّف، ما هذا؟"

كان الجسم ملتويًا في وضع الجنين، باستثناء راحتي يديه اللتين ضغط بهما على حاجز المركبة، بقي الجسم ثابتًا تمامًا، كما لو كان مُثبّتًا في جاذبية عالية، ولكنه سُحق على السطح بسبب وزنه. اتضح أن لحم هذا الجسم أسود مثل فحم الأنثراسيت الصلب ودمه أحمر اللون. لم يستطع براكس أن يُحدِّد ما إذا كان هذا صاحب هذا الجسم رجلًا أم امرأة.

تساءل هولدن: "أليكس، هل لدينا مسافر خلسة؟"

"أراهن على رقبتي أنه ليس ضمن بيان الشحنة، يا سيدي".

"وهل يُعقل أن ذلك الرفيق انحنى في طريقه لمركبتي بيديه العاريتين فقط؟"

"هذا ما يبدو، يا سيدي".

نادى هولدن على أموس وناعومي.

"أنا أنظر إلى هذا الجسم أيضًا"، جاء صوت ناعومي من وحدة الاتصالات قبل لحظة من صدور صافرة الاستجابة المنخفضة من قِبل أموس. أعاد براكس التفكير في الأصوات العنيفة الغامضة المنبعثة من المختبر، وأجساد الحراس الصرعى الذين لم يقاتلوهم، والزجاج المُحطَّم وخيوطه العنكبوتية السوداء. كان وراء كل ذلك الدمار تلك التجربة العلمية التي استطاعت أن تفك قيودها وتهرب من المختبر إلى سطح جانيميد البارد الموحش ثم انتظرت مُحدّدًا حتى وجدت فرصة أخرى للهروب بعيدًا. شعر براكس بقشعريرة تسري في ذراعيه.

قال هولدن: "حسنًا، لكنه مات، أليس كذلك؟"

أجابت ناعومي. "لا يبدو لي ذلك".

الفصل الخامس والعشرون

بوبي

انطلق بوق الاستيقاظ من جهاز بوبي اللوحي في الساعة الرابعة والنصف صباحًا بالتوقيت المحلي، ودائمًا ما كانت تتذمَّر هي ورفقاؤها في مشاة البحرية عند الاستيقاظ على صوت هذا البوق المزعج، ويُطلقون على الاستيقاظ في هذا الوقت المُظلم "نصف موت"، ولكن تلك الأيام قد ولَّت. كانت قد تركت جهازها اللوحي في غرفة المعيشة، واستلقت بجوار الفراش الصغير المنسدل الذي استخدمته كسرير، وضبطت صوت المنبه على ارتفاع كافٍ لدرجة أن أذنها كانت تطن إذا وضعت الجهاز بجانبها. ولكن بوبي كانت مستيقظة منذ ساعة بالفعل. شعرت بانزعاج قليل من ارتفاع الصوت عندما دخلت حمامها الضيق حيث تردَّد الصوت عبر شقتها الصغيرة مثل راديو ينطلق من أسفل بئر سحيق. نبهها صدى الصوت إلى أن شقتها ما تزال مفتقرة إلى الكثير من قطع الأثاث وبعض المُعلَّقات الجدارية.

لم تحفل بذلك، فليس هناك ضيوف يزورونها في الحقيقة.

كان بوق الاستيقاظ عبارة عن مزحة صغيرة مفعمة بالحيوية لطالما سحبتها بوبي على نفسها. تشكَّل الجيش المريخي بعد مئات السنين من استخدام الأبواق والطبول باعتبارهما وسائل مفيدة لنقل المعلومات إلى القوات، افتقد المريخيون إلى الشعور بالحنين إلى الماضي الذي كان ينتاب جيش الأمم المتحدة تجاه مثل هذه الأشياء. في المرة الأولى التي سمعت فيها بوبي بوق الاستيقاظ الصباحي، كانت تشاهد مقطع فيديو عن التاريخ العسكري، وغمرتها السعادة عند إدراكها أنه بغض النظر عن انزعاجها مثل نظرائها المريخيين- من سلسلة أصوات التنبيه الإلكترونية الكلاسيكية- إلا أن هذه الأصوات لن تكون مزعجة أبدًا مثل الضوضاء التي يستيقظ عليها أبناء كوكب الأرض

ولكنها لم تعد أحد أفراد مشاة البحرية المريخية بعد الآن.

نظرت بوبي لانعكاس صورتها في المرآة، وقالت لنفسها. "أنا لست خائنةً"، ولكن يبدو أن انعكاسها في المرآة لم يقتنع بما قالت.

بعد التكرار الثالث لنفخ البوق الصاخب، أطلق جهازها اللوحي صفيرًا لمرة واحدة ثم غاب في صمتٍ كئيب. كانت تمسك فرشاة أسنانها منذ نصف ساعة حتى تصلَّب معجون الأسنان، وضعته تحت الماء الساخن لتليينه، وبدأت في تنظيف أسنانها بالفرشاة.

قالت لنفسها مرةً أخرى: "أنا لست خائنةً"، ولكن فرشاة الأسنان جعلت كلماتها غير مفهومة. "لا، لست كذلك".

ليست خائنة حتى ولو وقفت في حمام شقتها التي زوَّدتها بها الأمم المتحدة، ونظَّفت أسنانها بمعجون الأسنان المُقدَّم من الأمم المتحدة، وشطفت حوضها بالماء الذي توفّره الأمم المتحدة. ليست خائنة وهي ما تزال ممسكة بالفرشاة المريخية الجيدة، وتنظف أسنانها حتى تنزف لثتها.

قالت مرة أخرى لتدحض انعكاسها غير المقتنع في المرآة: "لا، لست كذلك".

أعادت فرشاة الأسنان إلى صندوق أدوات النظافة الشخصية الصغيرة، وحملتها إلى غرفة المعيشة، ثم وضعتها في حقيبتها المصنوعة من القماش الخشن. ما تزال كل الأمتعة التي تملكها في حقيبتها القماشية.

إنها تستعد؛ لأنه يجب عليها المغادرة بسرعة عندما يتصل بها أهلها المريخيون للعودة إلى الوطن، وهم سيفعلون حتمًا، ستتلقّى رسالة عاجلة على جهازها اللوحي، حيث تومض الأطراف باللونين الأحمر والرمادي تعبيرًا عن شعار المريخ، سيأمرونها بالعودة إلى وحدتها على الفور. إنها لا تزال واحدةً منهم.

إنها لم تكن خائنة عندما بقيت على كوكب الأرض.

عدّلت هندامها، ووضعت جهازها الهادئ الآن في جيبها، وتأكَّدت من تمشيط شعرها في المرآة المجاورة للباب. لقد سحبت شعرها في كعكة المشدودة لدرجة أنها تبدو كما لو خضعت لعملية شد الوجه. لم تفلت شعرة واحدة من كعكة شعرها المعقود.

كرَّرت في المرآة. "أنا لست خائنةً"، وبدا انعكاسها في مرآة مدخل الشقة أكثر تقبلًا للفكرة من انعكاسها المترمت في مرآة الحمام. قالت: "كما تقولين بالضبط، يا عزيزتي اللعينة"، ثم أغلقت الباب خلفها عند مغادرتها الشقة.

ركبت إحدى الدراجات الكهربائية الصغيرة التي تتوافر للجميع في حرم الأمم المتحدة، ووصلت إلى المكتب قبل ثلاث دقائق من الخامسة صباحًا. وجدت سورين قد سبقها إلى هناك، عمومًا أيًا كان الوقت الذي تصل فيه إلى المكتب، فإنها دائمًا ما تجد سورين قد سبقها إلى هناك. إما أنه ينام على مكتبه أو أنه يتجسس عليها ليعرف الوقت الذي تضبط منبهها عليه كل صباح.

قال: "بوبي"، ولم يحاول حتى أن يجعل ابتسامته المصطنعة تبدو صادقة.

لم تشعر بوبي بالرغبة في الرد عليها؛ لذا اكتفت برد تحيته بإيماءة بسيطة ثم ارتمت على كرسيها. عرفت عبر نظرة واحدة على النوافذ المظلمة لمكتب أفاسارالا أن المرأة العجوز لم تصل بعد. فتحت قائمة المهام الخاصة بها على شاشة سطح المكتب.

قال سورين: "لقد أمرتني بإضافة المزيد من الناس"، مشيرًا إلى قائمة الأشخاص الذي يُفترض أن تتصل بهم بوبي تبعًا لمهام عملها كمُنسِّقة اتصالات مع المريخ، ثم تابع قائلًا: "إنها تؤكد ضرورة الحصول على المسوّدة الأولية لبيان المريخ عن جانيميد. هذه هي أهم أولوياتك لهذا اليوم. حسنًا؟"

تساءلت بوبي: "لماذا؟ صدر البيان الفعلي بالأمس أصلًا، وكلانا قرأه".

ردَّ سورين: "بوبي!" وأنبأت التنهيدة في صوته عن أنه سئم من الاضطرار إلى شرح أبسط الأشياء لها، حتى وإن أخفت ابتسامته ذلك. أردف قائلًا: "هذه هي قواعد اللعبة، يصدر المريخ بيانًا يدين أفعالنا، ونتواصل نحن مع مصادرنا السرية حتى نتوصَّل إلى مسوّدة أولية. إذا كانت هذه المسوّدة أقسى من البيان الفعلي الذي تم إصداره، فهذا يعني أن شخصًا ما من السلك الدبلوماسي طالب بتقليل حدة اللهجة، ومن ثمّ فإن هذا يشير إلى أنهم يحاولون تجنُّب التصعيد حتى لا تتفاقم المشكلة بيننا. إذا كانت نبرة المسوّدة الأولية أكثر هدوءً واعتدالًا من البيان الفعلي، فإنهم يتعمَّدون التصعيد لاستفزازنا على الرد عليهم بانفعال".

استنكرت بوبي قائلةً: "ولكن بما أنهم يعرفون أنك ستحصل على تلك المسوّدات الأولية، فلا فائدة من كل ذلك. سيتأكّدون فقط من حصولك على التسريبات التي تمحث الانطباع الذي يثير اهتمامهم".

ردّ سورين: "تعرفين؟ لقد بدأتِ تفهمين اللعبة للتو. إن ما يريده خصمك منك أن تفكري فيه بشأن أيِّ موضوع هو بيانات ومعلومات مفيدة لمعرفة ما يفكر فيه هو؛ لذلك احصلي على المسوّدة الأولية، حسنًا؟ افعلي ذلك قبل نهاية اليوم".

حدَّثت بوبي نفسها: "لكن لن يتحدَّث معي أحد بعد الآن؛ لأنني أصبحت مريخية تابعة للأمم المتحدة، ورغم أنني لست خائنةً، فمن الممكن أن يظن بي الجميع الخيانة"، ثم أجابت عليه قائلةً: "حسنًا".

سحبت بوبي القائمة المنقحة حديثًا، وقدَّمت أول طلب اتصال في ذلك اليوم.

***

صاحت أفاسارالا من مكتبها: "بوبي!"، بالرغم من أن هناك وسائل إلكترونية لا حصر لها للاتصال بـبوبي، فإنها لم تستخدمها قط، نزعت بوبي سماعة أذنها بمجرد سماع الصيحة ونهضت من مكانها. يبدو أن ابتسامة سورين كانت من النوع النفسي المكتوم بداخله، حيث لم تتغيَّر ملامح وجهه إطلاقًا.

أجابت بوبي: "سيدتي؟"، وهو تخطو خطوة قصيرة تجاه مكتب أفاسارالا. "هل تنادين عليّ؟"

قالت أفاسارالا دون أن تنظر من جهازها المكتبي: "لا أحد يحب الشخص المتحذلق، أين المسوّدة الأولية لهذا البيان الذي طلبته منكِ؟ حان وقت الغداء تقريبًا، ولم يصل إليّ شيء".

وقفت بوبي مستقيمة وشبكت ذراعيها وراء ظهرها، ثم قالت: "سيدتي، يؤسفني أن أبلغكِ بأني لم أتمكّن من العثور على أيِّ شخصٍ على استعداد لمشاركة المسوّدة الأولية للبيان معي".

تساءلت أفاسارالا مستنكرة. "هل أنت منتبهة؟" ثم نظرت إليها للمرة الأولى قائلةً: "يا إلهي، أنا لا أدفعك إلى كتيبة الإعدام بهذا الطلب، هل تحدّثت إلى جميع من في القائمة؟"

أجابت: "نعم، أنا.. "، توقّفت بوبي للحظة، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم قطعت بعض خطوات أخرى في المكتب، وتابعت بصوت خفيض: "لا أحد يريد التحدُّث معي".

قوّست المرأة العجوز حاجبها ناصع البياض ثم قالت: "إنه أمر مثيرٌ للاهتمام".

تساءلت بوبي: "إنه ماذا؟"

ابتسمت لها أفاسارالا ابتسامةً دافئة وصادقة، ثم صبَّت الشاي من إبريق حديدي أسود في قدحين صغيرين، وقالت وهي تلوّح لها بالجلوس على الكرسي الشاغر أمام مكتبها: "اجلسي!"

عندما بقيت بوبي واقفةً، قالت أفاسارالا: "أقول لكِ بجدية، اجلسي على هذا الكرسي اللعين. إذا تحدّثت إليكِ خمس دقائق وأنا أنظر لأعلى هكذا، فلن يمكنني إمالة رأسي للأمام مرة أخرى لمدة ساعة".

جلست بوبي متردّدة، وأمسكت بأحد قدحي الشاي، ليس أكبر بكثير من كوب زجاجي، وكان لون الشاي بداخله داكنًا للغاية، ورائحته كريهة، أخذت رشفة صغيرة من القدح، وشعرت باحتراق لسانها.

قالت أفاسارالا: "إنه شاي لابسانغ سوتشونغ المدخّن، دائمًا ما يشتريه زوجي لي، ما رأيك؟"

أجابت بوبي: "أعتقد أن رائحته تشبه رائحة أقدام المتشرّدين".

"ما هذا الهراء! امم، ربما تكوني محقة؛ لأن هذه التجربة الأولى لكِ، لكن أرجوك يجبه، وعندما تعتاد على شربه، لن يكون الأمر بهذا السوء".

أومأت بوبي برأسها، وأخذت رشفة أخرى من الشاي، لكنها لم تُعقِّب

قالت أفاسارالا: "حسنًا، أنتِ مريخية ساخطة أعرتكِ سيدة عجوز قوية لديها الكثير من الامتيازات البرّاقة لتعرضها عليك. أنتِ أسوأ نوع من الحوبة؛ لأن كل ما حدث لكِ في النهاية منذ مجيئكِ إلى الأرض كان بسبب تجهُّمك".

حاولت بوبي الرد: "أنا."...

قاطعتها أفاسارالا: "عندما يتحدّث الشيوخ عليكِ أيتها الفتاة الصغيرة أن تغلقي فمك!"

صمتت بوبي واستمرت في شرب قدح الشاي الفظيع.

تابعت أفاسارالا، وهي تحافظ على ابتسامتها اللطيفة التي ترتسم على وجهها المُتجعّد: "لكن.. إذا كنت في الجانب الآخر، فمن برأيكِ سأرسل إليه تسريبات معلومات مُضلِّلة؟"

أجابت بوبي: "سترسلين لي".

"سأرسل إليكِ أنتِ؛ لأنك تستميتين لإثبات نفسك أمام رئيستكِ الجديدة، يمكنهم أن يرسلوا لكِ معلومات مُضلِّلة بشكل صارخ، ولا يهتمون حقًّا إذا كان ذلك سيفسد حياتكِ على المدى الطويل، إذا كنت مهووسةً بالاستخبار ضد المريخ، لكنت قد جنَّدت أحد أقرب أصدقائكِ في وطنكِ، واستخدمته لتوجيه كومة من البيانات الخاطئة إليكِ بارتفاع جبل".

حدَّثت بوبي نفسها قائلةً: "ولكن أصدقائي المقربين قد ماتوا جميعًا"، ثم قالت بصوتٍ عالٍ: "لكن لا أحد."...

قاطعتها أفاسارالا: "لم يرد عليكِ أحد من وطنك، وهذا يعني شيئين، أولًا: أنهم ما زالوا يحاولون اكتشاف لعبتي وما أحاول أن أفعله من خلال استضافتك هنا. ثانيًا: ليس لديهم حملة معلومات مُضلِّلة؛ لأنهم مرتبكون مثلنا تمامًا. سوف يتصل بكِ أحدهم الأسبوع المقبل أو نحو ذلك، سيطلب منكِ تسريب معلومات من مكتبي، ولكنهم سيسألون عنها بطريقة ستتركك مع الكثير من المعلومات الخاطئة. إذا كنت مخلصة

وقبلتِ العمل كجاسوسة لهم، فهذا أمرٌ رائع. إذا لم يكن الأمر كذلك، وأخبرتِني بما طلبوه منكِ، فهذا أمرٌ رائع أيضًا. ربما يخالفهم الحظ، وتفعلين كلا الأمرين".

وضعت بوبي قدح الشاي على المنضدة، وشدت قبضتيها، ثم قالت: "هذا السبب يكره الجميعُ السياسيين".

ردَّت أفاساراﻻ: "كلا، إنهم يكرهوننا؛ لأننا نملك القوة. بوبي، أعلم أن عقلك لا يقبل التفكير بهذه الطريقة، وأنا أحترم ذلك. ليس لدي وقت لأشرح لكِ جميع الأشياء"، تلاشت ابتسامتها كأنها لم تكن موجودة من قبل، ثم استطردت: "لذا افترضي فقط أنني أعرف ما أفعله، وأنه عندما أطلب منكِ أن تفعلي المستحيل؛ فذلك لأن حتى إذا فشلتِ في إنجازه، فإن فشلك سيساعد قضيتنا بطريقة أو بأخرى".

استنكرت بوبي: "قضيتنا؟"

"أجل، نحن في الفريق نفسه هنا. فريق (هيا نتعاون حتى لا نخسر جميعًا)، هذا فريقنا، أليس كذلك؟"

"نعم"، هكذا ردَّت بوبي، وهي تلقي نظرة خاطفة على بوذا في ضريحه، الذي كان يبتسم لها ابتسامةً صافية، فريق واحد، ويبدو أن وجهه المستدير يقول لها: "نعم، هذا هو فريقنا".

"إذن، اذهبي الآن، وابدئي في الاتصال بالجميع مرة أخرى، ولكن هذه المرة، قومي بتدوين ملاحظات مُفصَّلة حول من يرفض التعاون معكِ، والكلمات الدقيقة التي يستخدمها في رفضه، حسنًا؟"

"عُلِم، وينفذ، سيدتي".

ابتسمت أفاساراﻻ بلطفٍ مرة أخرى، وقالت: "جيد جدًّا، هيا اخرجي الآن من مكتبي، وواصلي عملك".

***

ربما ما يُقال صحيحًا أن الألفة قد تُولِد الاحتقار لكن بوبي لم تحب سورين منذ البداية، وقد ازداد كرهها له إلى مستوى غير مسبوق تمامًا بعدما جلست بجانبه عدة أيام.

حتى عندما لم يكن يتجاهلها، كان في المقابل يزدريها ويتعالى عليها. تعمَّد التحدُّث في هاتفه بصوتٍ عالٍ جدًّا حتى وهي تحاول إجراء محادثاتها الخاصة، وفي بعض الأحيان كان يجلس على مكتبها ويتحدّث إلى الزوار، كما كان يتعطَّر بالكثير من الكولونيا الفجة.

ولعل ما كان أسوأ من ذلك أنه اعتاد على تناول البسكويت طوال اليوم

كان الأمر مثيرًا للاهتمام نظرًا لبنية الشاب الرقيقة، ولم تكن بوبي عمومًا من ذلك النوع الذي يهتم على الإطلاق بالعادات الغذائية للآخرين، ولكن كانت غرفة الاستراحة تحتوي على ماكينة لبيع المنتجات، وكثيرًا ما كان يتردَّد عليها سورين للحصول على منتج البسكويت المُفضَّل لديه في عبوة من ألواح رقيقة تتصدَّع في كل مرة يلمسها. في البداية، انزعجت بوبي قليلًا من الأمر، ولكن طفح الكيل بعد بضعة أيام من الاستماع إلى موشح تصدُّع ألواح البسكويت، وسحقها بأسنانه، وقضمها ومضغها بصوتٍ عالٍ. سئمت بوبي كل ذلك. لقد أنهت مكالمتها الأخيرة التي لا طائل من ورائها، والتفتت لمواجهته. تجاهلها واستمر في الطرق على جهازه المكتبي.

قالت بانفعال: "سورين!"، مما يعني أنها تطلب منه وضع البسكويت اللعين على طبق أو منديل حتى لا تضطر إلى سماع صوت التصدُّع المستفز بعد الآن. وقبل أن تتمكَّن حتى من لفظ اسمه، رفع إصبعها لإسكاتها، وأشار إلى سماعة أذنه.

قال: "لا، هذا ليس جيدًا حقًّا".

لم تكن بوبي متأكِّدة ما إذا كان يتحدَّث إليها أم إلى شخصٍ آخر على الهاتف؛ لذلك نهضت وتوجَّهت إلى مكتبه، جلست على حافة المكتب، حملق فيها دون اهتمام، لكنها اكتفت بالابتسام وهمست: "سأنتظر"، أصدرت حافة المكتب صريرًا تحت وطأة وزنها الثقيل.

أدار ظهره لها.

هاتف مُحدِّثه. "أنا أفهم، لكن هذا ليس وقتًا مناسبًا للمناقشة... أرى ذلك، ربما أستطيع، نعم، فهمت. فوستر لن يوافق... لا، نعم، أفهم ذلك، سأكون هناك".

استدار مرة أخرى، ونقر على جهازه المكتبي، فانقطع الاتصال.

"مادا تريدين؟"

أجابت: "أنا أكره السكويت الخاص بك، صوت تصدُّع الألواح وقصمها ومصغها سوف يدفعني إلى الجنون".

تساءل سورين. "السكويت؟" وداهمت وجهه الحيرة، لعل هده أول عاطفة صادقة تراها بوبي على وجه هذا الشاب.

أجابت: "أجل، هل يمكنك وضع ألواح البسكويت على..."، وقبل أن تتمكَّن من الانتهاء، أمسك سورين العلبة وألقاها في سلة المهملات بجوار مكتبه.

"سعيدة الآن؟"

"حسنًا."...

وقبل أن تكمل، قاطعها قائلًا: "ليس لدي وقت لأضيِّعه في الاستماع إليكِ، أيتها الرقيبة".

ردَّت بوبي: "حسنًا"، وعادت إلى مكتبها.

استمر سورين في التململ وكأن لديه المزيد من الكلام ليقوله؛ لذلك قررت بوبي عدم الاتصال بالشخص التالي في قائمتها، وانتظرت أن يتكلَّم. ربما جانبها الصواب قليلًا عندما تحدَّثت معه بشأن ألواح البسكويت، حقًّا لم تكن المشكلة عويصة إلى هذا الحد، لو لم تكن واقعةً تحت ضغط نفسي كبير، ربما لم تكن ستلاحظ أصلًا ذلك الصوت. عندما بدأ سورين يتحدَّث أخيرًا، ودت لو تعتذر له عن طريقتها الفظة وأن تعرض عليه شراء عبوة جديدة، ولكن بدلًا من أن يتكلَّم الشاب، وقف من مكانه.

حاولت بوبي أن تعتذر: "أنا..."، لكن سورين تجاهلها وفتح درجًا من أدراج مكتبه، أحرج قطعة بلاستيكية صعيرة سوداء اللون، ولأنها سمعته يذكر اسم فوستر في مكالمته الأخيرة، ربطت على الفور بين هده القطعة وبين شريحة الذاكرة التي سبق وأن أعطتها له أقاسارالا قبل بضعة أيام. كان الرجل الذي يُسمَّى فوستر من حدمات البيانات، لذلك افترضت بوبي أن سورين بدأ أخيرًا في إنجاز هده المهمة الصغيرة المُوكَّلة إليه، والتي من شأنها أن تبعده عن المكتب ولو لبضع دقائق على الأقل.

استدار الشاب وتوجَّه إلى المصعد.

في تلك الأثناء، أجرت بوبي بعض الأبحاث، وتمكّنت من إدارة بعض المهمات لقسم خدمات البيانات حتى عرفت أن مكتبهم في الطابق نفسه ولكن في الاتجاه المعاكس للمصعد. يا للأسف!

غالبها التعب، صفها مريض بالذنب، ولم تكن متأكِّدة تمامًا من سبب شعورها بالذنب. لقد كرهت هذا الرجل حقًّا، من شبه المؤكَّد أن الحدس الذي هاجمها لم يكن سوى نتيجة طبيعية لجنون العظمة الذي تعاني منه وصورتها المُشوَّشة عن العالم.

قامت وتتبعته.

قالت لنفسها: "هذا غبي حقًّا"، وهي تبتسم وتومئ برأسها إلى أحد العمال الذي يمشي مُسرعًا بجانبها، يتجاوز طول بوبي مترين على كوكب أغلبه من قصار القامة، إنها تشعر بغربة وعدم قدرة على الاندماج مع هذا العالم.

ركب سورين المصعد، بينما توقَّفت بوبي خارج الأبواب تنتظر. من خلال أبواب الألومنيوم والسيراميك، سمعته يطلب من أحدهم الضغط على الطابق الأول، إنه يريد النزول إلى الشارع مباشرةً. ضغطت بوبي على الزر السفلي وأخذت المصعد التالي إلى الطابق السفلي.

بالطبع، لم يتراءَ لها في الأفق عندما نزلت إلى الطابق السفلي.

من المؤكَّد أن ركض فتاة مريخية عملاقة حول بهو مبنى الأمم المتحدة سيكون أمرًا لافتًا للأنظار؛ لذلك قررت التراجع عن تلك الخطة. شعرت بموجة من الشك والإخفاق واليأس ترتطم بشاطئ عقلها.

عليها أن تنسى أنه مبنى إداري، عليها أن تتغاضى عن كل هؤلاء الأعداء المسلَّحين، عليها ألا تأبه لعدم وجود فرقة عسكرية تحمي ظهرها. عليها أن تنسى كل ذلك، وتنظر إلى ملابسات الموقف على أرض الواقع، عليها أن تفكِّر بشكلٍ تكتيكي، أن تكون ذكية.

نظرت بوبي إلى محطات الاتصال بالنظام الآلي الخبير الموجودة بجانب لوحة التحكُّم بالمصعد، وقالت: "أريد أن أكون ذكية"، ظهر لها امرأة قصيرة ترتدي بذلة حمراء، وضغطت على زر الاتصال بالمصعد، وقالت لها: "ماذا تريدين؟"

أجابت بوبي: "أريد أن أكون ذكية، لا يمكن أن أركض في الشارع مثل دجاجة مقطوعة الرأس حتى ولو ارتكبت تصرفًا غبيًّا محمومًا".

قالت المرأة: "حسنًا... أرى أنه..."، ثم ضغطت على زر الاتصال بالمصعد عدة مرات، وتابعت:

"إذا لم تتمكّني من العثور على الهدف، فقومي بتقييد حريته، اجعليه يأتي إليك. حسنًا؟"

ضغطت بوبي على زر مكتب الاستقبال في الردهة، سألها نظام آلي بصوت واقعي للغاية ولكنه غامض جنسيًّا: "كيف يمكن مساعدتك؟"

أجابت: "يُرجى الاتصال بـ سورين كوتفالد، واستدعائه إلى جهاز مكتب الاستقبال".

شكرها الصوت على الطرف الآخر من الخط على استخدامها النظام الآلي الخبير الخاص بالأمم المتحدة، وانقطع الاتصال.

قد لا يكون جهاز سورين اللوحي قيد التشغيل، أو أنه قام بضبطه لتجاهل مثل هذه الاستدعاءات، أو ربما يتلقّى رسالة الاستدعاء ولكنه يتجاهلها. عثرت بوبي على أريكة تطل على مكتب الاستقبال، وعدلّت وضعيتها بحيث تستتر وراء شجرة اللبخ كي لا يراها.

بعد دقيقتين فقط هرول سورين إلى مكتب الاستقبال، وشعره يتطاير أكثر من المعتاد، من المؤكّد أنه قد خرج خارج مبنى الأمم المتحدة عندما تلقّى رسالة الاستدعاء. وبينما هو يتحدَّث إلى أحد موظفي الاستقبال البشريين، انتقلت بوبي عبر الردهة إلى كشك صغير مُخصّص لبيع القهوة والوجبات الخفيفة، واختبأت بأفضل ما تستطيع. بعدما سجل موظف الاستقبال بعض البيانات على جهازه المكتبي، أشار إلى المحطة المجاورة

للمصاعد، عبس سورين، واتخذ بعض خطوات نحو المحطة ولكنه في منتصف الطريق، توقّف وأخذ يتفقّد المكان حوله بعصبية قبل أن يتجه نحو مدخل المبنى تتبعته بوبي على الفور.

بمجرد خروج بوبي، كان طولها ميزة وعيبًا، حيث أتاح لها ارتفاعها عن معظم من حولها أن تتابع سورين على مسافةٍ بعيدة وهو يُسارع على طول الرصيف كما أنه بإمكانها رؤية الجزء العلوي من رأسه من على بعد نصف مبنى سكني من مباني المدينة. ولكن في الوقت نفسه، يُعد ارتفاعها عيبًا؛ لأنه إذا نظر خلفه فقط، فمن المؤكّد أن يتنبه إلى وجهها وطولها المريخي الذي يتجاوز الحشد بمقدار ثلث متر على الأقل.

لكن لحسن الحظ، لم يلتفت الشاب، ففي الواقع، بدا وكأنه في عجلة من أمره، وشق طريقه بين حشود الناس المصطفين على الأرصفة المزدحمة حول حرم الأمم المتحدة بفارغ الصبر. لم ينظر حوله أو يتوقّف بجانب سطحٍ عاكس ولم يتراجع عن خطواته الحثيثة. لقد وتّره هذا الاستدعاء، ولكنه في طريقه إلى الخارج، حاول جاهدًا ألا يبدو متوتّرًا.

إنه ذلك الإحساس الذي يراودك عندما تمشي بجوار المقبرة، تحاول أن تبدو هادئًا وغير متوتّرًا ولكن الأمر ليس كذلك. على النقيض شعرت بوبي بارتياح عضلاتها، وارتخاء مفاصلها، وانزلق حدسها بمقدار سنتيمتر نحو اليقين.

بعد ثلاث بنايات، استدار سورين، ودخل حانة.

توقّفت بوبي على بعد نصف بناية سكنية وتفكّرَت في الأمر. عُلّق على واجهة الحانة لافتة إبداعية منقوش عليها "صالة بيتي"، وتميّز المكان بنوافذه المُظلّلة. هذا هو المكان المثالي للاختباء من عيون المراقبين، كما يمكنك في هذا المكان أن تتحقّق ما إذا كان أحد يلاحقك أم لا. ربما أصبح هذا الشاب ذكيًّا بما يكفي.

أو ربما لا.

سارت بوبي نحو الباب الأمامي، لن يترتّب على تتبعه أيّ عواقب وخيمة، سورين يكرها بالفعل. إن أقصى شيء منافٍ للأخلاق تقوم به بوبي الآن أنها تتسلّل من عملها

مبكرًا وتدخل إلى إحدى الحانات القريبة. ومن الذي سيفتش عليها إذا رآها هناك؟ أليس سورين؟

إنه الشاب نفسه الذي تسلّل مبكرًا أيضًا ليدخل هذه الحانة اللعينة! إذا كان سورين قد أتى إلى هنا لكيلا يفعل شيئًا سوى تناول الجعة في وقت مبكر، فإنها ستتوجّه إليه فورًا، وتعتذر عما بدر منها بشأن ألواح السكويت، وتشتري له عبوة أخرى

دفعت بوبي الباب ودخلت. استغرق الأمر من عينيها بضع لحظات حتى تتكيّف مع الانتقال من ضوء الظهيرة الساطع إلى الإضاءة الخافتة للحانة، وبمجرد أن تلاشى الوهج، رأت نادلًا بشريًّا يُدير طاولة طويلة مصنوعة من الخيزران، ونصف دزينة من المقاعد مشغولة كلها بالزبائن، ولكنها لا ترى سورين. تفوح في الهواء رائحة الجعة والفشار المحترق، حدَّق بها الزبائن للحظة، ثم عادوا إلى مشروباتهم وتمتموا بأحاديثهم الغامضة.

هل دخل سورين هذه الحانة ثم تسلَّل منها حتى يتخلَّص من ملاحقتها له؟ لا تظن أنه رآها، ولكنها لم تتدرَّب جيدًا على مراقبة الناس وتتبعهم. وبينما هي توشك أن تسأل النادل عما إذا كان قد رأى رجلًا يركض إلى داخل الحانة، وإلى أين ذهب هذا الرجل! عندها لاحظت لافتة في الجزء الخلفي من الحانة مكتوب عليها: (طاولات بلياردو) مع سهمٍ يُشير إلى اليسار.

سارت بوبي إلى الجزء الخلفي من الحانة، ثم استدارت يسارًا، ووجدت غرفة ثانية أصغر، رأت بداخلها أربع طاولات بلياردو ورجلين، كان سورين أحدهما.

بينما هي تختلس النظر إلى الزاوية، انتبه إليها كلا الرجلين.

قالت: "مرحبًا"، ابتسم لها سورين، ولكنه دائمًا ما كان يبتسم، وكأنه يصنع لنفسه وجهًا آخر وقائيًّا بهذه الابتسامة، ابتسامته مجرد تمويه. بينما كان الرجل الآخر طويل القامة، لائقًا، يرتدي ملابس غير رسمية بشكل مفرط وكأنه يحاول جاهدًا ملاءمة أجواء صالة البلياردو، اصطدم ذلك بقصة الشعر العسكرية للرجل واعتدال قامته بشكلٍ صارم. شعرت بوبي أنها شاهدت هذا الوجه من قبل، ولكن في مكانٍ مختلف، حاولت أن تتخيّل شكله وهو يرتدي زيًّا عسكريًّا.

قال سورين: "بوبي"، وهو يلقي نظرة خاطفة على رفيقه ثم نظر بعيدًا. "تلعبين؟" التقط عصا البلياردو الملقاة على إحدى الطاولات، وبدأ في مسح طرف العصا بالطبشور، لم ترغب بوبي في الإشارة إلى أنه لم تكن هناك كرات على أيٍّ من الطاولات، وأنه خلف سورين مباشرةً لافتة (كرات البلياردو متاحة للإيجار عند الطلب)

لم يقل رفيقه شيئًا، ولكنه وضع شيئًا ما في جيبه. ولمحت بوبي من بين أصابعه جزءًا من البلاستيك الأسود.

ابتسمت، الآن عرفت بوبي أين رأت الرجل الثاني من قبل.

قالت لـ سورين: "لا، للأسف ليست هذه اللعبة شائعة في المكان الذي أتيت منه".

أجاب: "إن مثل هذه الطاولات تُصنع من حجر الأردواز، على ما أظن"، وأصبحت ابتسامته أكثر صدقًا وبرودة الآن، نفخ بقايا غبار الطبشور من طرف عصا البلياردو، وتحرَّك خطوة إلى الجانب، ثم انتقل إلى يسارها، وأردف: "إنه حجر ثقيل جدًّا بالنسبة لمركبات المستعمرات التي ما تزال ناشئة".

ردَّت بوبي: "هذا منطقي"، في حين ترجعت إلى الوراء حتى يحمي المدخل جوانبها.

قال رفيق سورين، وهو ينظر إلى بوبي: "هل ثمة مشكلة؟"

وقبل أن يرد سورين، قالت بوبي: "أخبرني أنت! ألست أنت الشخص الذي كان في ذلك الاجتماع الليلي المتأخر في مكتب أفاسارالا عندما ذهب جانيميد إلى الجحيم. أنت من أتباع نجوين، أليس كذلك؟ ربما تكون ملازمًا أو شيئًا من هذا القبيل".

قال سورين: "أنت هكذا تحفرين قبرك بيدك، يا بوبي"، والتقط عصا البلياردو بخفة بيده اليمنى.

تابعت بوبي قائلة: "وأعرف أيضًا أن سورين قد أعطاك شيئًا طلبت منه رئيسته أن يُسلِّمه إلى قسم خدمات البيانات منذ يومين. أراهن أنك لا تعمل في خدمات البيانات، أليس كذلك؟"

اتخذ هذا الرجل التابع لنجوين خطوة تهديدية تجاهها، وانحرف سورين عن يسارها مرة أخرى

كادت بوبي تنفجر من الضحك.

قالت وهي تنظر إلى سورين هازئةً: "حقًّا؟ عليك أن تتوقّف عن مداعبة رأس عصا البلياردو بهذه الطريقة أو خذها لتفعل بها ذلك في مكان خاص".

نظر سورين بدهشة إلى العصا التي يعبث بها كما لو أنه اكتشف وجودها للتو، ثم أسقطها من يده.

قالت بوبي للتابع: "وأنت، إذا حاولت الخروج من هذا الباب، فستمنحني الفرصة لأستشعر أعظم نشوة يمكن أن أحس بها خلال هذا الشهر"، ومن دون أن تُحرّك قدميها، نقلت وزنها إلى الأمام وأثنت مرفقيها قليلًا.

نظر التابع في عينيها لحظات طويلة؛ فابتسمت بوبي ابتسامة عريضة.

صاحت بوبي لاستفزازه: "هيا، هل ستستمر في إثارتي بهذا الشكل دون أن تصل بي إلى النشوة؟"

رفع الرجل التابع يده في منتصف الطريق بين التأهب للقتال وبادرة الاستسلام. ما يزال ينظر في عيني بوبي، ثم أشاح وجهه قليلًا نحو سورين وقال: "هذه هي مشكلتك أنت، عليك أن تتعامل معها"، وتقهقر ببطء خطوتين، ثم استدار وسار عبر الغرفة متنقلًا إلى رواقٍ لم تستطع بوبي أن تراه من موقعها. وبعد ثانية سمعت صوت صفق الباب.

قالت بوبي: "اللعنة! بالتأكيد كنت سأبلغ مرتبةً أعلى عند السيدة العجوز إذا كنت قد استعدت شريحة الذاكرة تلك".

بدأ سورين في التحرُّك نحو الباب الخلفي، عبرت بوبي المسافة بينهما بحماقة قطة؛ لتدركه قبل أن يهرب، استطاعت أن تمسك بالجزء الأمامي من قميصه وجذبته حتى كادت الأنوف تتلامس تقريبًا. شعرت بتحرُّر جسدها وأنها ما زالت على قيد الحياة منذ فترة طويلة.

سألها سورين، وهو يبتسم ابتسامته المتكلّفة: "ماذا ستفعلين؟ ستقتلينني؟"

أجابت بوبي، وقد تغيّرت نبرة صوتها إلى التشدُّق بلكنة المريخيين المبالغ فيها: "كلا، ولكن سأشي بخيانتك إلى أفاسارالا، يا فتى"

الفصل السادس والعشرون

هولدن

شاهد هولدن الوحش يرتجف وهو يجثم على حاجز غرفة التخزين. من خلال شاشة العرض، بدا ذلك الوحش صغيرًا وخافتًا وغير واضح المعالم. ركَّز هولدن على تنفُّسه وحدَّث نفسه: "خذ شهيقًا بطيئًا حتى تمتلئ رئتاك بالهواء، ثم أخرج زفيرًا طويلًا، استرخِ، كرِّر ذلك، لا تُظهِر توتُّرك أمام طاقمك".

قال أليكس بعد دقيقة: "حسنًا، إنها إذن مشكلتك أيها القبطان ويجب عليك حلها".

كان يحاول المزاح، قال ذلك على سبيل الطرافة. في الظروف العادية، كان هولدن سيضحك من لهجته المريخية المبالغ فيها وطريقته الهزلية في التفكير؛ حيث إن أليكس رجل مضحك حقًّا بالنظر إلى طريقته الجافة والعفوية.

ولكن في تلك اللحظات العصيبة، جاهد هولدن كي يتحكَّم في أعصابه حتى لا يخنق الرجل المهزار بقبضتي يديه.

قال أموس: "أنا قادمٌ إليكم"، وفي اللحظة نفسها قالت ناعومي: "سأنزل إليكم حالًا".

"أليكس"، قال هولدن، وهو يتظاهر بالهدوء بينما فضحته نبرة صوته "ما حالة معادلة الضغط هناك في غرفة التخزين؟"

نقر أليكس على جهازه اللوحي، وقال: "محكمة الإغلاق، أيها القبطان، لا هواء يتسرَّب على الإطلاق".

هذا أمرٌ جيد؛ لأنه يقدر خوف هولدن من الجريء الأولي، إلا أنه كان يعرف أنه لا يمتلك قوةً سحرية، في النهاية هو كائن لديه كتلة، ويشغل حيزًا من الفراغ، ومن ثمّ إذا لم

يتمكّن ولو جزيء من الأكسجين من التسلُّل عبر حتم عرفة معادلة الضغط، فمن المؤكّد تمامًا عدم تمكُّن أيّ فيروس من العبور، ولكن...

قال هولدن بصوتٍ عالٍ: "أليكس، ارفع مستوى الأكسجين إلى أعلى قدر يمكن الوصول إليه دون تفجير المركبة".

كان الجزيء الأولي لاهوائيًّا؛ لذا أراد هولدن أن تكون البيئة التي يتمد إليها معادية له في حال تمكُّنه من العبور بطريقة أو بأخرى.

ثم تابع هولدن: "واصعد إلى قمرة القيادة، واحبس نفسك بداخلها، إذا انتشرت المادة البنية اللزجة على المركبة بطريقةٍ ما، فأريدك حينها أن تضع إصبعك على التحكُّم اليدوي للمفاعل".

امتعض أليكس وحك شعره الخفيف ثم قال: "هذا يبدو مُتطرِّفًا بعض الشيء."...

أمسك به هولدن من ذراعيه بقوة، فاتسعت حدقتا عيني أليكس من الاندهاش، ورفع يداه في إيماءةٍ تلقائية للاستسلام، بينما رمش عالم النبات الضئيل على جانبه مرتبكًا ومذعورًا مما يحدث حوله. لم تكن هذه أفضل طريقة لغرس الثقة بينهما. في ظروف أخرى، ربما كان هولدن سيحرص على أن يكون أكثر اهتمامًا بهذه التفاصيل.

صاح هولدن: "أليكس"، بينما لم يستطع أن يقمع ارتجافه رغم قبضه على ذراعي الطيار. "هل يمكنني أن أعتمد عليك في تفجير هذه المركبة وتحويلها إلى غاز إذا دخل هذا القرف هنا؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، فاعتبر نفسك معفيًّا من مهامك الوظيفية، والزم مقصورتك من الآن فصاعدًا".

فاجأه أليكس، ليس عبر رد فعلٍ غاضب، ولكن من خلال رفع يديه ووضعهما على ساعدي هولدن، وبالرغم من حدية تعابير وجه أليكس، فإن اللطف ظل باديًا في عينيه.

قال أليكس: "سأحبس نفسي في قمرة القيادة، وسأجعل المركبة على استعداد للدمار، نعم، يا سيدي، ولكن ما خطة الانسحاب؟"

أجاب هولدن وهو يتنهّد تنهيدة ارتياح خفي: "سيكون ذلك بأمرٍ مباشرٍ مني أو من ناعومي"، ولم يكن عليه بالطبع أن يُكرِّر قائلًا: "إذا دخل هذا الشيء وقتلنا، فمن

الأفضل أن تفجّر المركبة". اكتفى فقط بتحرير دراعي أليكس من قبضته، وسرعان ما تراجع الطيار خطوة واحدة إلى الوراء، ووجهه الداكن العريض يتجعّد بفعل الذعر ذلك الذعر الذي هدّد باجتياح هولدن وإخراجه عن طوره إذا شعر بأن أحدًا يشفق عليه؛ لذلك سرعان ما قال: "الآن يا أليكس، افعل ذلك الآن".

أومأ أليكس، وبدا وكأنه يريد أن يقول شيئًا آخر، ولكنه استدار، وسار نحو سلم الطاقة، ثم ارتقى متوجّهًا إلى قمرة القيادة، بينما نزلت ناعومي على السلم نفسه بعد لحظاتٍ معدودات، وصعد أموس من أسفل بعد ذلك بوقتٍ قصير.

تحدَّثت ناعومي أولًا: "ما الخطة؟" واستطاع هولدن -نتيجة الفترة الطويلة الماضية التي توطَّدت فيها علاقتهما- استكشاف الخوف الذي تحاول إخفاءه في نبرة صوتها القوية.

توقَّف هولدن للتنفُّس عميقًا مرتين، ثم قال: "سأذهب أنا وأموس؛ لنرى ما إذا كنا نستطيع إخراجه من أبواب غرفة التخزين، افتحي لنا هذه الأبواب".

أجابت: "عُلِم"، ثم توجّهت عبر السلم إلى طابق العمليات.

راقبه أموس بنظرة فاحصة، ثم تساءل: "حسنًا أيها القبطان، ولكن كيف يمكننا إخراجه من الأبواب؛ لأنني لم أفهم عبارة (إخراجه) هذه؟"

أجاب هولدن: "حسنًا، أفكر في إطلاق النيران على هذا القرف، ثم نستخدم قاذف اللهب للتخلُّص من حطامه المتساقط؛ لذا علينا أن نستعد جيدًا".

أومأ أموس برأسه: "اللعنة، كنت أشعر أننا انتهينا من هذا القرف إلى الأبد".

***

لم يكن هولدن من أولئك الذين يُصابون بالاختناق في الأماكن المغلقة

لم يجرؤ أيّ شخصٍ على اختيار العمل بمجال السفر في الفضاء لمسافات طويلة باعتبارها مهنة، حتى لو تمكّن شخصٌ ما بطريقة من طرق الحيلة أن يجتاز الاختبارات النفسية وعمليات المحاكاة، فعادةً ما كان خوض رحلةٍ واحدة أمرًا كافيًا للفصل بين أولئك الذين يمكنهم التحمُّل لفترات طويلة داخل الأماكن الضيقة المغلقة وبين أولئك

الذين يصيبهم الجنون ويولون الأدبار فرارًا حتى لا يكون هناك بدٌّ من تخديرهم وإعادتهم إلى أرض الوطن خائبين الأمل.

بصفته ملازمًا صغيرًا، أمضى هولدن أيامًا في مركبات استطلاع صغيرة جدًّا، وبلغ من صغر تلك المركبات أنه لم يكن يستطيع الانحناء لفرك قدميه، كان عليه في ذلك الوقت أن يزحف بين الهياكل الداخلية والخارجية للمركبات الحربية، وقد اضطر ذات مرة أن يبقى جالسًا على مقعد التصادم لمدة ٢١ يومًا خلال رحلة ذات سرعة كاسحة من القمر إلى زحل، ومع ذلك لم تداهمه في منامه كوابيس سحقه أو دفنه حيًّا مطلقًا.

على مدار خمسة عشر عامًا تعج بالرحلات الفضائية المتعاقبة، لم يشعر بأن المركبة التي يسافر على متنها صغيرة جدًّا إلا هذه المرة، لم يشعر أنها ضيقة فحسب، بل شعر بأنه مُقيَّد بشكلٍ مرعب، مُحاصر مثل حيوانٍ في شرك.

رأى على بعد أقل من اثني عشر مترًا من موضعه شخصًا مصابًا بالجزيء الأولي يجلس في غرفة التخزين الخاصة بمركبته. ليس ثمة سبيل للابتعاد عن ذلك الشخص، لم يساعده ارتداؤه للدروع الواقية على التغلُّب على هذا الشعور بالحصار.

كان أول شيء ارتداه هو ذلك الشيء الذي يُطلق عليه جنود المشاة اسم العازل للجسم بالكامل، وهو عبارة عن بدلة سوداء سميكة، مصنوعة من طبقات متعدِّدة من ألياف الكيفلار المضادة للرصاص، والمطاط، والهُلام الممتص للصدمات، وشبكة المستشعرات التي لديها قدرة على تتبُّع الإصابات والعلامات الحيوية. وفوق هذا العازل ارتدى بدلة فضائية أكثر مرونة تحتوي طبقاتها على الهُلام ذاتي الختم؛ لرتق التمزُّقات وثقوب الرصاص على الفور، وأخيرًا ارتدى قطع مختلفة من الدروع المربوطة بالحزام، التي لها قدرة على الانحراف عن طلقة بندقية عالية السرعة فضلًا عن استئصال الطبقات الخارجية لإطلاق قوة حزمة الليزر.

شعر هولدن، وهو يلتف بكل هذه الدروع الواقية وكأنه يلف نفسه في كفن موته.

ولكن على الرغم من كل تلك الطبقات ووزنها الثقيل، فإنها ليست مُقبضة مثل الدروع المتينة التي يرتديها مشاة البحرية لدرجة أنهم أطلقوا عليها توابيت متنقلة، ويرجع السر وراء هذه التسمية إلى أن أي شيء قوي بما يكفي لاختراق الدرع المتين من

شأنه أن يؤدي إلى تصفية جندي البحرية بالداخل؛ لذلك لن تهتم بفتح هذا التابوت. لقد دفنته في قبره بالفعل. بالطبع كان ما يُردِّدونه من قبيل المبالغة، لكن فكرة السير إلى غرفة التخزين مرتديًا شيئًا لن يستطيع حتى تحريكه بدون القوة المُعزّزة جعلته يشعر بالتوتُّر. ماذا لو تعطّلت البطاريات؟

ولكن من ناحية أخرى، ظل هولدن معجبًا بفكرة ارتداء بدلة مُزوَّدة بالقوة المعزّزة عند محاولته الانتحارية لقذف الوحش خارج المركبة.

أشار أموس إلى فخذ هولدن، وقال: "لقد ارتديته بالعكس، هذا الجزء يُفترض أن يكون في الخلف".

قال هولدن: "سُحقًا!"، إن أموس محقٌّ فعلًا، لقد أخطأ في ارتداء البدلة لدرجة أنه وضع أبازيم لوحة الدروع على فخذيه. "آسف، أجد صعوبة في التركيز هنا".

أومأ أموس قائلًا: "مرعوب جدًّا".

ردَّ هولدن: "حسنًا، لن أقول..."

قاطعه أموس، "لا أتحدَّث عنك، بل أتحدَّث عني، أنا مرعوب جدًّا من السير إلى غرفة التخزين وهذا الشيء هناك، لم أرَ محطة أموس وهي تتحوَّل إلى خليط من المواد اللزجة المقرفة، لم أرَ ذلك عن قرب مثلك؛ لذا أتفهَّم موقفك، كان معك كل الحق، يا جيم".

لا يتذكَّر هولدن أن أموس سبق له أن ناداه باسمه مباشرةً دون ألقاب. أومأ هولدن برأسه، وبدأ في تقويم درعه، ثم قال: "نعم، أنا فقط صرخت في أليكس؛ لأنني رأيته لا يبالي بخطورة الموقف بما يكفي".

فرغ أموس من ارتداء درعه، وسحب بندقيته الآلية المُفضَّلة من خزانته.

"حقًّا؟"

"نعم، كان يُطلق النكات بينما أرتعد فزعًا؛ لذلك صرخت في وجهه، وهدّدته بإعفائه من مهام عمله".

سأل أموس: "هل يمكنك تحمُّل تبعات ذلك، أقصد أن أليكس طيارنا الوحيد"

"لا، يا أموس، لا، لا أستطيع أن أتخلّى عن أليكس وأطرده خارج المركبة، كما لا يمكنني طردك أو طرد ناعومي من المركبة، نحن لسنا مُكوّنات هيكل عظمي واحد، بل نحن ما تبقّى بعدما لم يعد هناك هيكل عظمي أصلًا".

تساءل أموس: "هل تشعر بالقلق حيال مغادرة ناعومي؟" وحرص على طرح السؤال بهدوء، ولكن كلماته نزلت على هولدن مثل ضربات المطرقة في الضلوع، اعترته زلّة نفسية إثر السؤال؛ لذلك ركّز على التقاط أنفاسه مرة أخرى لمدة دقيقة.

أجاب: "لا، بل أعني، نعم، بالطبع أنا كذلك، لكن هذا ليس أكثر ما يخيفني الآن".

التقط هولدن بندقيته الهجومية، ونظر إليها لثوانٍ، ثم أعادها إلى الخزانة، وأخرج بدلًا منها قاذفًا ثقيلًا عديم الارتداد حيث يمتاز هذا القاذف بذخيرةٍ من الصواريخ المستقلة التي لن تمنحه قوة دفع، ولن تجعله يطير في الهواء إذا أطلقها في الجاذبية المنعدمة.

قال دون أن ينظر إلى أموس: "لقد رأيتك تموت".

"هاه؟"

"لقد رأيتك تموت. نعم، عندما تم أسرنا من قبل فريق الاختطاف هذا، أو أيًّا من كانوا بحق الجحيم. رأيت أحدهم يطلق عليك النار في مؤخرة رأسك، رأيتك تسقط أرضًا على وجهك أولًا، ثم سالت دماؤك في كل مكان".

"نعم، ولكن..."

"أعلم أنها كانت طلقة غير قاتلة، أعلم أنهم يريدوننا أحياء، وأعلم أيضًا أن الدم سال من أنفك المكسور عندما ارتطم رأسك بالأرض، أعلم كل ذلك الآن، ولكن في تلك اللحظة كل ما كنت أعلمه هو أنك قد أُصبتَ للتو بطلقةٍ في رأسك، وبِتّ في عداد الموتى".

أدخل أموس حربة في بندقيته، وقام بإدخال طلقة في غرفة الإطلاق، ولكن بخلاف ذلك، لم يصدر عنه أيّ صوت آخر.

قال هولدن وهو يلوّح إلى أموس والمركبة: "كل ذلك هشٌّ للغاية يا أموس، نحن عائلةٌ صغيرة، إذا سقط منها عضو، فلن يمكن تعويضه للأبد"

عبس أموس وقال. "ما زلنا نتحدَّث عن ناعومي، أليس كذلك؟"

ردّ هولدن: "لا، أقصد نعم، ولكن بشكلٍ ما لا. عندما ظننتك ميتًا، فقدت القدرة على النطق، وأظلمت الدنيا في عيني، والآن بعد أن أصبح عليّ التركيز على قذف هذا الشيء بعيدًا عن المركبة، كل ما يشغل تفكيري هو فقدان أحد أفراد الطاقم".

أطرق أموس، وعلَّق البندقية على كتفه، وجلس على المقعد بجوار حزانة ملابسه.

"فهمتك الآن، أخبرني ما تنتوي فعله بالضبط؟"

قال هولدن وهو يُطعِّم سلاحه بالذخيرة: "أريد أن أقذف بهذا الوحش اللعين بعيدًا عن مركبتي، ولكن عدني أنك ستجاهد كي لا تموت ونحن نفعل ذلك، هذا سيساعدني كثيرًا".

قال أموس بابتسامة: "أيها القبطان، إن الشيء الذي سيقتلني، سيكون قد أباد الجميع بالفعل، لقد وُلِدت لأكون آخر ناجٍ، اعتمد عليّ ولا تبالِ".

لم يتوقَّف هولدن عن الشعور بالخوف والذعر، ظلت هذه الإحاسيس الكريهة جاثمةً على صدره تمامًا كما كانت من قبل، ولكنه على الأقل لم يعد يشعر بالوحدة في مواجهتها.

قال: "إذن، هيا بنا نتخلَّص من لعنة هذا الدخيل".

***

بدا أن الانتظار داخل غرفة معادلة الضغط لا نهاية له حيث تم إغلاق الباب الداخلي لغرفة التخزين، وامتصت المضخات كل الهواء من الغرفة، ثم بدأت دورة فتح الباب الخارجي. تململ هولدن، وتفقَّد سلاحه ست مرات في أثناء هذا الانتظار الطويل، في حين وقف أموس مسترخيًا، وتدلَّت بندقيته الضخمة بين ذراعيه. ولكن الجانب الإيجابي، إذا كان هناك جانب إيجابي في هذا الانتظار، هو أنه بالرغم من الضغط المنخفض، فإنه يمكن لغرفة معادلة الضغط أن تُحدِث ما تشاء من جلبة دون أن ينتبه الكائن إلى وجودها.

هدأت الجلبة، حتى لم يعد هولدن يسمع سوى صوت أنفاسه. ظهر ضوء أصفر بالقرب من باب غرفة معادلة الضغط الخارجي، وهو بمنزلة رسالة تحذيرية لهم بعدم وجود غلاف جوي على الجانب الآخر.

قال هولدن: "أليكس"، وهو يُوصِّل سلكًا بمحطة غرفة معادلة الضغط، ولكن لا يزال اللاسلكي مُعطَّلًا في جميع أنحاء المركبة. "نحن على وشك الدخول. أوقف تشغيل المُحرِّكات".

أجاب أليكس: "عُلِم، يا سيدي"، وانعدمت الجاذبية.

حرَّك هولدن أجهزة التحكُّم في الانزلاق الموجودة على كعبيه من أجل تنشيط حذائه المُمغنط.

اتسمت غرفة التخزين في مركبة (روسينانت) بطولها وضيق مساحتها وتكدُّس جوانبها. شغلت الغرفة الجانب الأيمن من المركبة بالكامل، حيث كانت محشورة في الفضاء غير المأهول بين الهيكل الخارجي والسطح الهندسي. على جانب المنفذ، احتل خزان المياه المركب المساحة نفسها. ونظرًا لأن (روسي) مركبة حربية، فإن أيّ شحنة تحملها ستغدو من ملحقات المركبة فيما بعد.

تمثَّل الجانب السلبي لذلك في أن غرفة التخزين تتحوَّل تحت قوة الدفع إلى بئرٍ كما تنزل أبواب الغرفة إلى القاع، ثُبِّتت الصناديق المختلفة المُكدّسة بالحواجز الفاصلة أو رُبِطت، في بعض الحالات، بقواعد كهرومغناطيسية. ومع هذا المستوى من التسارع الذي يُهدِّد بإلقاء أيّ شخص سبعة أمتار على الأقل نحو أبواب الغرفة، فمن المؤكَّد أن هذا المكان سيكون مستحيلًا للقتال بفعالية.

في الجاذبية الصغرى، أصبحت الغرفة عبارة عن ممر طويل تمتد عليه الكثير من الأغطية.

دخل هولدن الغرفة أولًا، مشيًا على طول الجاحز بعد تنشيط حذائه المُمغنط، والتستُّر وراء صندوقٍ معدني كبير مملوء بالطلقات الإضافية لمدافع الدفاع النقطية الخاصة بالمركبة، تبعه أموس، واتخذ ساترًا لنفسه وراء صندوقٍ آخر على بعد مترين

تحت هذه الصناديق، بدا الوحش نائمًا.

تكوَّم الوحش بلا حراك محاصرًا بين الحاجز الذي يفصل غرفة التخزين عن السطح الهندسي.

قال هولدن: "جيد جدًّا، ناعومي. يمكنكِ فتحه الآن"، ثم قام بهز السلك الخلفي للكابل؛ ليمكنه من زاوية الصندوق، ومن ثَمَّ يُعطي لنفسه بعض الفسحة.

أجابت ناعومي بصوتٍ خافتٍ ومرتبك في خوذته: "الأبواب تُفتح الآن"، فُتحت أبواب التخزين في الطرف البعيد من الغرفة بهدوء، مما كشف عن عدة أمتار مربعة من السواد النجمي. إما أن الوحش لم يُلاحظ فتح الأبواب أو أنه لا يعبأ بذلك.

قال أموس: "إن هذه الوحوش تدخل في سبات في بعض الأحيان، أليس كذلك؟" وبدا الكابل الذي يمتد من بدلته إلى غرفة معادلة الضغط شبيهًا بالحبل السري عالي التقنية، "مثلما رأينا جولي بعدما أُصيبت بذلك الوباء. عندما دخلنا عليها غرفة الفندق على إيروس وجدناها في حالة ثبات لبضعة أسابيع".

أجاب هولدن: "ربما، كيف تريد منا أن نتعامل مع هذا الشيء؟ أكاد أفكر في أننا يجب أن نذهب إلى هناك، ونلتقط الشيء ونرميه خارج الباب، ولكن يمنعني من الإقدام على ذلك بعض التحفُّظات القوية بشأن لمسه".

وافقه أموس الرأي: "أجل، لا ينبغي أن نعود بالبدلات إلى الداخل معنا بهذه الحالة".

بزغت لهولدن فجأةً ذكرى قديمة حول دخول المنزل بعد اللعب في الخارج، كان يخلع كل ملابسه المُلطَّخة بالطين قبل أن تسمح له الأم تمارا بالدخول إلى أرجاء المنزل. يبدو هذا متشابهًا إلى حدٍّ كبير، ولكنه سيكون أكثر برودة بالطبع.

قال هولدن: "بعد أن فكرت في الأمر، أتمنى لو كان بحوزتنا الآن عصا طويلة"، ثم نظر حوله إلى الأشياء المختلفة المتراكمة في غرفة التخزين على أمل العثور على ما يقضي حاجته.

قال أموس: "انتبه هذا، أيها القبطان، إنه ينظر إلينا".

استدار هولدن، وبعدما رأى، تأكّد أن أموس مُحق. لم يُحرّك الكائن سوى رأسه، ولكنه بالتأكيد يُحدّق بها الآن، لمعت عيناه المرعتان باللون الأزرق.

قال هولدن: "حسنًا، حسنًا، هذا ليس سيئًا".

"أتعرف، الآن يمكنني إبعاده عن هذا الحاجز بطلقة أو طلقتين، بالترامن مع إبلاغ أليكس بتشغيل المُحرّك بسرعة، عندها سيسقط مباشرةً خارج الباب الخلفي إلى عادم المركبة. هذا فقط سيكفي للتخلُّص منه".

قال هولدن: "دعنا نفكر في..."، وقبل أن يتمكّن من إنهاء جملته، اهتزت الغرفة عدة مرات بفعل إزيز الرصاص المنطلق من فُوّهة بندقية أموس. تلقّى الوحش عدة طلقات نارية حتى تحوّل إلى كتلة من اللحم المتكوّر، وطفا تجاه الباب.

قال أموس: "أليكس، هيا."...

فجأةً، قفز الوحش، وأصبح غير واضح للعيان، لقد دفع إحدى ذراعيه نحو الحاجز، ويبدو أن أطرافه أصبحت أطول ليتحكّم فيها كما يشاء، بدأ يشد لأسفل بقوة كافية لثني الصفائح الفولاذية. اندفع الكائن إلى أعلى غرفة التخزين بسرعة كبيرة لدرجة أنه عندما اصطدم بالصندوق الذي كان هولدن يختبئ خلفه، فقد حذاؤه المُمغنط ختمه. عندما تلقّى هولدن الصدمة حتى أُلقي في الهواء، بدا له أن غرفة التخزين تدور من حوله. سقط الصندوق خلفه مباشرةً بسرعة مطابقة، لقد اصطدم هولدن بالحاجز قبل مي ثانية من سقوط الصندوق. ارتطمت الألواح الممغنطة بالجدار الجديد، وأحكمت حصارها على ساق هولدن تحتها، حتى شعر بأن شيئًا في ركبته ينثني بشدة، وجعله الألم يرى كل شيءٍ في العالم من حوله يتحوّل إلى اللون الأحمر للحظة.

بدأ أموس يطلق النار من بندقيته على الوحش من مسافةٍ قريبة، لكنه ألقي به في غرفة معادلة الضغط بقوة كافية لثني الباب الداخلي. أُغلق الباب الخارجي في اللحظة نفسها التي احترق فيها الباب الداخلي. حاول هولدن التحرُّك لكن ساقه كانت مُحاصرة تحت وطأة الصندوق المُثبت بالمغانط الكهربائية التي تحمل ربع طن من الوزن تحت مستوى تسارع يبلغ ١٠ (ج)، مما يعني أنه سيستغرق وقتًا طويلًا كي يستطيع تحريك الصندوق.

طهر على لوحة التحكُّم في الصندوق التي من شأنها إيقاف تشغيل المعانط الكهربائية توهُّجٌ برتقاليُّ اللون، لإحكام الإغلاق بعيدًا عن متناول يده بمقدار عشرة سنتيمترات

استدار الوحش لينظر إليه، كانت عيونه الزرقاء كبيرة جدًّا قياسًا بحجم رأسه؛ مما منح الكائن مظهرًا طفوليًّا مُريبًا، وبدأ يمدّ يده المُتضخِّمة

أطلق هولدن النار عليه حتى فرغت خزنة سلاحه.

انفجرت الصواريخ المُصغَّرة المُستقلة التي أطلقها القاذف عديم الارتداد في نفثات صغيرة من الضوء والدخان عند اصطدامها بالكائن، دفعه كل صاروخ إلى الخلف، وتمزَّقت أجزاء كبيرة من جذعه بعيدًا، وانتشرت الشعيرات السوداء في جميع أنحاء الغرفة مثل خطوطٍ مرسومة لتمثل بقع الدم. وعندما أصابه الصاروخ الأخير، انتسف بعيدًا عن الحاجز، وسقط باتجاه أبواب غرفة التخزين المفتوحة.

تهاوى الجسد الأسود والأحمر نحو الرقعة المظلمة الهائلة التي تمتلئ بالنجوم، سمح هولدن لشعاع الأمل يتخلَّل روحه. ولكن على بُعد لا يتجاوز مترًا من الأبواب، مدَّ الكائن ذراعه الطويلة حتى أمسك بحافة الصندوق. أدرك هولدن أيَّ نوعٍ من القوة تتمتع به تلك الأيدي، وتيقَّن أن هذا الكائن لن يُفلت قبضته.

صرخ أموس في أذنه: "أيها القبطان، هولدن، هل ما زلت معنا؟"

"أنا هنا يا أموس، ولكنني في ورطة صغيرة".

وبينما كان يتحدَّث، سحب الوحش نفسه أعلى الصندوق الذي تشبَّث به، وجلس بلا حراك مثل تلك الكائنات البشعة التي تُسمَّى الغراغيل، منحوتات حجرية لعينة يتدلّى من فمها مزراب ناتئ.

قال أموس: "سأحطِّم مفتاح التحكُّم، وأصل إليك، الباب الداخلي مُدمَّر، لذلك سنفقد بعض الذبذبات، لكن ليس كثيرًا."...

قاطعه هولدن: "حسنًا، ولكن افعل ذلك بأسرع ما يمكن، أنا عالق، عليك إيقاف تشغيل المعانط على هذا الصندوق"

بعد لحظة، انفتح باب غرفة معادلة الضغط نتيجة نفخة من الغلاف الجوي، بدأ أموس مرة أخرى في الخروج إلى غرفة التخزين عندما قفز الوحش من أعلى الصندوق الذي يجلس عليه، وأمسك الحاوية البلاستيكية الثقيلة بيد واحدة، والحاجز باليد الأخرى، وألقى بالحاوية على أموس. لقد اصطدمت بالحاجز بقوة كافية لدرجة أن هولدن شعر بالاهتزاز من خلال بدلته، لقد أخطأت الحاوية رأس أموس بسنتيمتر فقط. تراجع الميكانيكي الكبير تلقائيًا وهو يسب بأقذع الشتائم واللعنات، وأغلق أبواب غرفة معادلة الضغط.

قال أموس: "سامحني أيها القبطان، لقد أغلقت الباب من فرط الرعب، دعني أفتحه."...

صاح هولدن: "لا، توقَّف عن فتح الباب اللعين، أنا الآن محاصر بين صندوقين ملعونين، ويمكن أن يقطع الباب الكابل الخاص بي في أيّ وقت، أنا حقًّا لا أريد أن أبقى عالقًا هنا بدون لاسلكي".

مع إغلاق غرفة معادلة الضغط، تحرَّك الوحش مرة أخرى إلى الحاجز المجاور لغرفة المُحرِّك، وانعطف عكسه مرة أخرى. كانت أنسجة الجروح الفجوية التي أحدثتها طلقات هولدن في جسد الوحش تنبض بالرطوبة.

قال أليكس: "أستطيع رؤيته، أيها القبطان. إذا ضغطت على دواسة الوقود، أعتقد أنني سأقذف به بعيدًا عن تلك الأبواب".

قالت ناعومي وأموس في اللحظة نفسها تقريبًا: "لا"، ثم كرَّرت ناعومي: "لا، هولدن عالق تحت تلك الصناديق، إذا تسارعنا بسرعة عالية، فسوف تتهشَّم جميع عظام جسده، ولربما طار بعيدًا خارج الباب بطريقةٍ ما أيضًا".

قال أموس: "نعم، إنها على حق. لن تتمخض تلك الخطة إلا عن مقتل القبطان، هذا الخيار ليس مطروحًا أصلًا".

لبضع لحظات، استمع هولدن لطاقمه وهم يتجادلون حول كيفية إنقاذه من الموت، وشاهد الكائن وهو يتكوَّم فوق الحاجز، ويبدو أنه عاد إلى سباته القديم.

اقتحم هولدن حداهم المحتدم قائلًا: "حسنًا، من المُرجَّح أن الاندفاع بمقدار جاذبية أعلى سيُمزِّقني إلى أشلاء الآن، ولكن هذا لا يجعلنا نتغاضى عن هذا الخيار المطروح"

بدت الكلمات الجديدة التي تتردّد على القناة وكأنها شيءٌ من عالمٍ آخر. استغرق الأمر من هولدن بعض الوقت حتى تعرّف على صوت عالم النبات.

قال براكس: "عجبًا، لشد ما يثير ذلك اهتمامي حقًّا".

الفصل السابع والعشرون

براكس

عندما وقعت حادثة إيروس، شاهد الجميع ما جرى حيث صُمّمت المحطة كمُحرِّك لاستخراج البيانات العلمية؛ لذلك تم تسجيل كل حالة تُصاب بالجزيء الأولي فتتغيَّر وتموت ثم تتحوَّل إلى هذا المسخ، سُجِّلت كل تلك البيانات وبُثَّت عبر النظام. حاولت حكومتا المريخ والأرض إخفاء الحادثة والتعتيم عليها، ولكن نبأ الحادثة قد تسرَّب وانتشر في الأسابيع والأشهر التي تلت ذلك. كانت الاستنتاجات التي تم استخلاصها منها تتعلَّق بما هو أكبر من اللقطات المُلتقطة بالفعل. تعامل بعض الناس مع استنتاجات الحادثة باعتبارها أخبارًا متداولة، وتعامل معها آخرون باعتبارها شواهد وأدلة، بينما رأى عدد أكبر -مما كان يود براكس- أن هذا ليس سوى ترفيهي منحط المستوى مثل فيلم من إخراج بسبي بيركي.

شاهد براكس الحادثة أيضًا مثلما شاهدها باقي أعضاء فريقه. بالنسبة له كان الأمر بمنزلة لغز، وبالرغم من طغيان الدافع لتطبيق منطق علم الأحياء التقليدي على تأثيرات الجزيء الأولي، فإن هذا في الغالب لن يكون مثمرًا. تبدو الأجزاء الفردية مُحيرة: المنحنيات الحلزونية التي تشبه إلى حد بعيد اللفائف القشرية لحيوان النُّوتي البحري أو الإشارات الحرارية من الأجسام المُصابة التي تتغيَّر في أنماطٍ مشابهة جدًّا لأنماط الحمى النزفية، ولكن لا شيء ينطبق على الجميع.

بالتأكيد، سيحصل شخصٌ ما في مكانٍ ما على منحة مالية لدراسة ما حدث، إنما العمل الذي يجب على براكس إنجازه لن ينتظره؛ لذلك عاد إلى فول الصويا، ومضت الحياة، ولم تعد حادثة إيروس تمثل هوسًا له، بل مجرد لغز شائع يتعيّن على شخصٍ آخر حله.

وجد براكس نفسه عالقًا بدون وزن في موقع غير مستخدم في طابق العمليات، يتابع بث كاميرات المراقبة الأمنية، رأى الكائن يصل إلى القبطان هولدن، وأطلق هولدن النار عليه عدة مرات، شاهد براكس الشعيرات السوداء التي تخرج من ظهر الكائن، وقد أحدثت تفريغًا خيطًا، بدا مألوفًا بالطبع، حيث كان ذلك إحدى السمات المميِّزة لمقاطع الفيديو المتداولة عن إيروس.

بدأ الوحش يتعثر. من الناحية الشكلية، لم يكن بعيدًا جدًّا عن هيئة الإنسان، له رأس واحد، وذراعان، وساقان، وليست لديه هياكل مستقلة، ولا أيادٍ أو أقفاص صدرية مُخصَّصة للقيام ببعض الوظائف الأخرى.

لهثت ناعومي من مكانها عند أجهزة التحكُّم. كان من الغريب سماع ذلك من خلال الهواء الفعلي الذي يتشاركانه وليس من خلال قناة الاتصال، ولأن الأمر بدا حميميًّا أكثر من اللازم، شعر بعدم الارتياح إلى حدٍّ ما، ولكن أمامه ما هو أكثر أهمية من ذلك. تشوَّش عقله كما لو أن رأسه مليء بالقطن المندوف، لقد أدرك الإحساس، إنه يفكر في شيءٍ لم يُحِط به خُبرًا بعد.

قال هولدن: "، أنا عالق، عليك إيقاف تشغيل المغانط عن هذا الصندوق".

وبينما قبع الكائن في الطرف البعيد من غرفة التخزين، بمجرد دخول أموس، أمسك الكائن الحاجز بإحدى يديه، ورمى صندوقًا كبيرًا باليد الأخرى. رغم الجودة الرديئة للفيديو، تمكَّن براكس من رؤية عضلاته الدالية وشبه المنحرفة، تتضخَّم العضلات بمقياس خارق للبشر، ومع ذلك احتفظت العضلات بوضعها الطبيعي؛ لذلك عمل الجزيء الأولي في ظل قيود. مهما كان هذا الكائن، فإنه لم يفعل ما فعلته عينات إيروس. لا شك أن الشيء الموجود في غرفة التخزين يستخدم التقنية نفسها، ولكنه سُخِّر لبعض التطبيقات المختلفة. أحس براكس بتغيُّر شيءٍ في حشوة القطن المُخطَّطة التي كانت تشوِّش عقله.

صاح هولدن: "لا، توقَّف عن فتح الباب اللعين. أنا الآن محاصر بين صندوقين ملعونين".

عاد الكائن إلى الحاجز، قريبًا من نفس حالة السبات التي كان يغط فيها. بصت الجروح المجوية المتناثرة في جسده بوضوح، ولكنه لم يستقر هناك، فمع المُحرِّكات المُعطَّلة لم يكن هناك أثر للحادثية من أجل إعادته إلى مكانه. إذا كان الكائن مرتاحًا في هذا المكان، فلا بُدَّ أن هناك سببًا لذلك.

قالت ناعومي: "لا"، وهي تضع يديها على المقصين بالقرب من أجهزة التحكُّم، يبدو وجهها شاحبًا. كرَّرت: "لا، هولدن عالق تحت تلك الصناديق، إذا تسارعنا بسرعة عالية، فسوف تتهشَّم جميع عظام جسده، ولربما طار بعيدًا خارج الباب بطريقةٍ ما أيضًا".

قال أموس: "نعم، إنها على حق"، بدا من صوته أن التعب برَّح به، ولعلها كانت طريقته الوحيدة في التعبير عن الحزن، تابع: "لن تتمخض تلك الخطة إلا عن مقتل القبطان، هذا الخيار ليس مطروحًا أصلًا".

بينما قال هولدن: "حسنًا، من المُرجَّح أن الاندفاع بمقدار جاذبية أعلى سيُمزِّقني إلى أشلاء الآن، ولكن هذا لا يجعلنا نتغاضى عن هذا الخيار المطروح".

تحرَّك الكائن على الحاجز، لم يتحرَّك خطواتٍ كثيرة، ولكنه بدأ يتحرَّك. قام براكس بتكبير الصورة قدر المستطاع، استندت يدٌ ضخمة -مخالب، ولكن لا تزال بأربعة أصابع وإبهام- إلى الحاجز، في حين قامت اليد الأخرى بتمزيق الحاجز. كانت الطبقة الأولى مصنوعة من النسيج والمواد العازلة، وقد تم تمزيقها إلى أشرطة مطاطية، وبمجرد التخلُّص من هذه الطبقة، هاجم الكائن السطح الفولاذي المدرَّع أدناه، طفت حلقات صغيرة من المعدن في الفراغ بجانبه؛ لتعكس الضوء مثل النجوم الصغيرة. لماذا يفعل ذلك الآن؟

إن كان يحاول إحداث ضرر هيكلي، فهناك عدد كبير من الطريق الأفضل لفعل ذلك، أو ربما كان يحاول اختراق الحاجز، محاولًا الوصول إلى شيءٍ ما، مُتبعًا بعض العلامات...

اختفت حشوة القطن المُخطَّط تمامًا، وشُكِّلت مكانها صورة حذر جديد شاحب ينشق من ندرة. وجد نفسه يبتسم، وقال: "عجبًا، لشد ما يثير ذلك اهتمامي حقًّا".

سأل أموس. "مادا يا دكتور؟"، أدرك حينها براكس أنها تحدَّث عما يدور في عقله بصوتٍ عالٍ.

أجاب براكس، باحثًا عن الكلمات التي تشرح ما راه: "اممم، إنه يحاول تسلُّق تدرّج إشعاعي، أعني .. إن الإصدار السابق من الجزيء الأولي الذي كان سائدًا على إيروس تم تعديله بالطاقة الإشعاعية، ولذا أعتقد أنه من الطبيعي أن يكون هذا الإصدار من الجزيء أيضًا."...

استنكر أليكس: "هذا الإصدار؟ عن أيّ إصدار تتكلّم؟"

"هذا الإصدار، أعني من الواضح أن هذا الشيء صُمّم لردع معظم التغييرات، بالكاد تغيّرَ جسم المضيف البشري. يجب أن يكون مُقيدًا بالمزيد من القيود، ولكن يبدو أنه لا يزال بحاجة إلى مصدر إشعاعي".

حاول أموس أن يتحلَّ بالصبر، وتساءل: "لماذا يا دكتور؟ لماذا تعتقد أنه بحاجة إلى الإشعاع؟"

قال براكس: "حسنًا، لأننا أغلقنا المُحرّك، وبعد أن أصبح المفاعل في وضع الصيانة، فإن هذا الشيء يحاول اختراق القلب الآن، سيحفر حتى النخاع".

ساد الصمت للحظة، ثم صاح أموس بأقذع الألفاظ واللعنات.

قال هولدن: "حسنًا، ليس ثم من مفر، أليكس، عليك إخراج هذا الشيء من هنا قبل أن يمر عبر الحاجز، ليس لدينا وقتٌ لإعداد خطة جديدة".

ردَّ أليكس: "أيها القبطان، جيم."...

قال أموس: "سألحق بك بعد ثانية واحدة من سقوط ذلك الشيء، ولكن إذا لم أجدك بعد على المركبة، فقد كان من دواعي شرفي أن أخدم معك، أيها القبطان".

لوّح براكس بيديه، كما لو أن الإيماءة يمكن أن تلفت انتباههم، دفعته الحركة إلى الدوران ببطء عبر طابق العمليات.

"انتظروا لحظة، لا، هذه هي الخطة الجديدة، إنه يتحرّك صعودًا في تدرُّجٍ إشعاعي، إنه مثل جذر يبحث متعطّشًا إلى الماء".

التفتت ناعومي لتنظر إليه وهو يدور، بينما بدا الأمر لبراكس وكأنها هي التي تدور، شعر عقل براكس أنها تحته، وتتصاعد بعيدًا، أغلق عينيه في هذه اللحظة

قال هولدن: "سيكون عليك توجيهنا، سرعة أحمر يا كيف يمكننا السيطرة عليه؟"

أجاب براكس: "قم بتغيير التدرُّج، كم من الوقت سنحتاج لتحضير حاوية بها بعض الظائر المشعة غير المحمية؟"

ردَّ أموس: "هذا يعتمد يا دكتور على كم سنحتاج تحديدًا؟"

أجاب براكس: "أكثر مما يتسرَّب من المفاعل في الوقت الحالي".

"طُعْم"، أمسكت به ناعومي وعضدته قائلةً: "تريد أن تصنع شيئًا يُشبه وجبة شهية له؛ لاجتذابه خارج المركبة".

ردَّ براكس: "هذا ما قلته للتو، أليس هذا ما قلته للتو؟"

قالت ناعومي: "ليس بالضبط، لا".

ظهر الكائن على الشاشة، وهو يُشكِّل سحابة من نشارة المعادن ببطء، لم يكن براكس متأكدًا تمامًا؛ لأن دقة الصورة ليست جيدة في الواقع، ولكن يبدو أن شكل يديه يتغيَّر في أثناء الحفر، وتساءل إلى أي مدى يمكن أن تؤدي القيود المفروضة على الجزيء الأولي إلى تضرُّره أو تعافيه. حيث كانت العمليات الاسترجاعية فرصة عظيمة لتقييد فشل أنظمة الجسم، فلم يكن السرطان أكثر من انقسام مفرط للخلايا؛ لذا إذا بدأ هذا الكائن في التغيُّر، فلن يمكن إيقافه أو التصدِّي له.

قطع براكس حبل أفكاره قائلًا: "على أيِّ حال، أعتقد أنه يجب علينا المبادرة بفعل ذلك".

***

كانت الخطة بسيطة بما فيه الكفاية، سيعاود أموس الدخول إلى غرفة التحرير، ويُحرِّر القبطان بمجرد إغلاق الفتحات خلف هذا الدخيل، وناعومي -من طابق العمليات- ستُعطي الأمر للأبواب بالإغلاق في اللحظة نفسها التي ينجرُّ الكائن وراء الطُّعم المشع، وعلى أليكس أن يُشغِّل المُحرِّكات بحرص حتى لا يُعرِّض القبطان للخطر. سيكون

الطُّعم عبارة عن أسطوانة وزنها نصف كيلو مُغلَّفة بورق قصدير رقيق حتى لا ينجذب الوحش إلى الطُّعم في وقتٍ مُبكر جدًّا، وبهذا يتم إخراجه من خلال غرفة معادلة الضغط الرئيسية، وإلقائه في الفراغ بواسطة فرد الطاقم الوحيد المتبقي.

طاف براكس في غرفة معادلة الضغط مُمسكًا بالطُّعم بين القفازات السميكة لبدلته الفضائية، اعتراه إحساسٌ بالندم والريبة.

قال براكس: "ربما من الأفضل أن يقوم أموس بهذا الدور، لم أفعل في الواقع أيَّ شيء خارج المركبة من قبل".

ردَّ أموس: "آسف يا دكتور، ولكن لديّ مهمة أخرى وهي حمل القبطان الذي يزن تسعين كيلوجرامًا".

تساءل: "ألا يمكننا أتمتة هذا؟ يمكن للمختبر عن بعد أن..."

قالت ناعومي: "براكس!"، وبالرغم من لُطف النداء، فإن وقعه على براكس كان يعادل ألف صرخة مُحمَّلة بعبارة: (حرِّك مؤخرتك، وكُفَّ عن الكسل)، لم يجد براكس بُدًّا من فحص أختام بدلته، والإبلاغ بأنه جاهز. كانت البدلة أفضل بكثير من تلك التي ارتداها وهو يغادر جانيميد. تقع غرفة معادلة الضغط الرئيسية بالقرب من مقدمة المركبة وأبواب غرفة التخزين في أقصى الخلف على بعد خمسة وعشرين مترًا. لن يضطر براكس إلى المرور بكل هذا. تحقّق من اتصال اللاسلكي بمقبس غرفة معادلة الضغط.

هل يتسبَّب الوحش في التشويش اللاسلكي بشكل طبيعي؟ داهمه هذا السؤال المثير للاهتمام. حاول براكس تخيُّل كيف يمكن أن يتولَّد هذا الشيء بيولوجيًّا. وهل ستنتهي المشكلة ويبطل التأثير بمجرد مغادرة الوحش للمركبة؟ عندما يحترق به العادم؟

قالت ناعومي: "براكس، هيا الآن".

ردَّ براكس: "حسنًا، سأذهب للخارج حالًا".

انفتح باب غرفة معادلة الضغط بشكلٍ دائري، كان الحركة الأولى التي قام بها براكس هي الاندفاع في الظلام بالطريقة التي يريد بها الدخول إلى غرفة كبيرة، بينما تمثّلت الحركة الثانية في الزحف على يديه وركبتيه؛ للحفاظ على التصاق أكبر قدر ممكن من جسده

بأرصية المركبة. التقط براكس الطُّعم بيدٍ واحدة، واستخدم المقابض السفلية لدفع نفسه للأعلى وللخروج من الغرفة.

اكتسح الظلام كل شيءٍ حوله. لم تكن (روسينانت) سوى طوافة من المعدن والطلاء في وسط المحيط، بل أكبر من مجرد محيط حيث التفت النجوم حوله من جميع الاتجاهات. لن يبلغ أقربها إليه إلا بعد إنفاق مئات الأعمار. كان هناك الكثير من النجوم وراء النجوم التي يراها، وأكثر من ذلك وراء ما وراء ما يراه، وهكذا.. لدرجة أن إحساسه بالوجود على قمرٍ أو كُويكب صغير يطل على سماء واسعة جدًّا أفسح له المجال ليشعر بأنه على قمة الكون، وينظر من هذه القمة إلى أسفل، إلى هاوية لا نهاية لها.

كان الأمر أشبه بتوهُّمٍ بصري كرؤية تقلُّب مزهرية بين وجهين يتغيران بسرعة الإدراك. ابتسم براكس وهو ينشر ذراعيه إلى العدم رغم ارتفاع أول بوادر الغثيان إلى الجزء الخلفي من لسانه. لقد قرأ رواياتٍ عن حالة الشعور بالنشوة خارج المركبة، لكنه وجد التجربة مختلفةً تمامًا عما كان يتخيَّل. رأى سديم اللولب الذي يشبه عين الرب غارقًا في ضوء النجوم اللامتناهية، تمثَّل له السديم وكأنه ذرة من الغبار تعقبه ذرة أخرى من الغبار، اشتبك حذاؤه المُمغنط بمتن مركبة أقوى منه بشكلٍ لا يمكن تصوُّره، ولكنه لم يحفل بالهاوية. تصدَّعت مكبرات الصوت في بدلته بإشعاع الخلفية الكونية وكأنه يسمع صوت الانفجار العظيم، وفي وسط كل هذا، سمع أصوات غريبة تهمس في أذنه.

قال أموس: "هيا، يا دكتور؟ هل هناك مشكلة في الخارج؟"

نظر براكس حوله، متوقعًا أن يرى الميكانيكي بجانبه، ولكن كل ما وجده هو ذلك الكون الأبيض الحليبي من النجوم، شاهد الكثير من النجوم لدرجة أنه انتظر أن يُضيء كل شيء حوله، ولكن بدلًا من ذلك كانت (روسي) مظلمة باستثناء أضواء البدلة التي تشتعل عند المناورة خارج المركبة، وبالكاد رأى سديمًا أبيض في اتجاه مؤخرة المركبة حيث تسرَّب الغلاف الجوي من غرفة التحرير.

قال براكس: "كلا، لا مُشكل على الإطلاق".

حاول أن يخطو خطوة للأمام، لكن بدلته لم تتزحزح، رفع قدمه عن المركبة، فتحرّك إصبع قدمه للأمام سنتيمترًا، ولكنه توقَّف. اندلع الذعر في صدره، ثمة خطأ في حذائه

المُمغنط، ولو استمر في السير بهذا المنوال، فلن يصل أبدًا إلى باب غرفة التخزين قبل أن يتوغل الوحش إلى السطح الهندسي والمفاعل نفسه.

قال: "امم، بالفعل لديّ مشكلة، لا أستطيع تحريك قدمي".

تساءلت ناعومي. "في أي موضع توجد شريحة التحكُّم في الانزلاق؟"

ردّ براكس: "أوه، هذا صحيح"، وبدأ في تحريك إعدادات الحذاء لأسفل بحيث تتناسب مع قوته، ثم قال: "الأمور على ما يُرام الآن، تجاهلي ذلك".

لم يسبق لبراكس المشي وهو يرتدي حذاءً مُمغنطًا، يبدو الإحساس غريبًا، في معظم خطواته شعرت ساقه كما لو أنها تتمتَّع بقدرٍ أكبر من الحرية بحيث لا يمكن السيطرة عليها تقريبًا، وبعد ذلك، وبينما يوِّجه قدمه نحو هيكل المركبة، مرَّ بلحظةٍ حرجة، عندما استولت عليه القوة ودفعته نحو الأرض ليصطدم بالمعدن. شق طريقه عائمًا خطوةً بخطوة، لم يستطع رؤية أبواب غرفة التخزين بوضوح ولكن عرف مكانها. من موقعه في الخلف أدرك أنهم على يسار مخروط المُحرِّك. قال لنفسه: "الجانب الأيمن، لا، الجانب الأيمن يسمونه ميمنة المركبة".

كان يعلم أن الكائن هناك بعد الحافة المعدنية السوداء التي تُميِّز حدود المركبة، يحفر في الجدران، ويخترق هيكل المركبة ليصل إلى قلبها. إذا اكتشف الكائن ما يُخطِّطون له –لو كان لديه القدرة المعرفية التي تُمكِّنه من التفكير المنطقي الأساسي– يمكن أن يترك الحاجز ويأتي مدفوعًا بنار الغضب ليهاجم براكس. لم يقتله الفراغ. تخيَّل براكس نفسه وهو يحاول التسلُّل بعيدًا عبر التحرُّك على حذائه المُمغنط ثقيل الخطى بينما يلحق به الوحش ويمزِّقه إربًا. أخذ نفسًا طويلًا مرتجفًا ورفع الطُّعم.

قال: "جيد جدًّا، أنا في المكان الصحيح".

تساءل هولدن: "لماذا كل هذا الانتظار؟" بدا صوته متوتِّرًا من شدة الألم ولكنه حاول تقليل حدته.

أجاب براكس: "حسنًا، حسنًا".

صغط على العداد الصغير، وانحنى بالقرب من هيكل المركبة، وبعد ذلك -باستخدام جميع عضلات جسده- مدّ يده، وقذف بالأسطوانة الصغيرة في العدم. طار الطُّعم لالتقاط الضوء القادم من داخل غرفة التخزين، ثم تلاشى. كان براكس مُتيقنًا بشكلٍ مثير للغثيان أنه سيخطو خطوة ما، وأن رقاقة القصدير لن تنفك كما ينبغي.

قال هولدن: "إنه يتحرَّك، لقد وقع في الشَّرك، إنه يشق طريقه للخروج"

انثنت أصابع الوحش الطويلة السوداء من المركبة، سحب الجسد المظلم نفسه واندفع إلى السطح الخارجي للمركبة كما لو كان مولودًا في الهاوية. توهَّجت عيناه باللون الأزرق. لم يسمع براكس شيئًا سوى صوت تنفُّسه المذعور. لقد شعر بالرغبة البدائية في البقاء ساكنًا وصامتًا مثل حيوان في الأراضي العشبية القديمة على كوكب الأرض، على الرغم من أن الوحش لن يسمع براكس في الفراغ حتى لو صرخ بأعلى صوته.

تحرَّك الكائن، أغلق عينيه المُرعبتين، ثم فتحهما، أغلقهما مرة أخرى، ثم قفز. خفق ضوء النجوم بمروره عليها.

قال براكس: "خرج"، صُدم من صرامة صوته، ثم تابع: "خرج من المركبة، أغلقوا أبواب غرفة التخزين الآن".

أجابت ناعومي: "مفهوم، الأبواب تُغلق الآن".

قال أموس: "أنا قادم إليك، أيها القبطان".

ردَّ هولدن: "أنا أفقد الوعي، يا أموس"، ولكن صوته بدا مطمئنًا لدرجة أن براكس اقتنع أنه يمزح.

في الظلام، أظلم نجم ثم أضاء مرة أخرى ثم تبعه نجم آخر. تتبَّع براكس المسار عقليًّا، هذا نجم آخر ينخسف.

أفاد براكس: "حارِ التشغيل، من فضلكم أخبروني عندما تتأكّدون أن جميعكم آمنون، حسنًا؟"

شاهد براكس ما يحدث، وانتظر. بقي النجم التالي راسخًا. ألا ينبغي أن ينخسف مثل بقية النجوم الأخرى؟ هل أساءت التقدير؟ ربما كان الوحش يدور في دوائر حوله؟

ولكن إذا كان بإمكانه المناورة في الفراغ الكاسح، فهل لاحظ أن أليكس أعاد تشغيل المفاعل؟

عاد براكس نحو غرفة معادلة الضغط الرئيسية.

يبدو أن (روسيانت) هي والعدم سواء في نظر الوحش الآن. ليست أكثر من عود أسنان يطفو على محيط من النجوم. استشعر براكس الآن أن المسافة بينه وبين غرفة معادلة الضغط هائلة، بدأ يُحرِّك إحدى قدميه، ثم الأخرى، محاولًا الركض دون رفع كلتا قدميه عن سطح المركبة. لن يسمح له حذاؤه المُمغنط بإطلاق كلتا القدمين في آنٍ واحد؛ لذلك تم احتجاز القدم الخلفية حتى أعطت القدم الإمامية إشارة بتصلُّب القدم الخلفية. شعر بحكة في ظهره، وقاوم الرغبة في النظر إلى الخلف. ليس هناك شيءٌ خلفه، وحتى لو كان هناك شيءٌ ما، فإن النظر من عدمه لن يفيد شيئًا. التفت كابل جهاز اللاسلكي خلفه أثناء تحرُّكه، التقط الكابل؛ ليأخذ الجزء الداعم للاتصالات معه.

انطلق الإنذار الصغير باللونين الأخضر والأصفر من غرفة معادلة الضغط المفتوحة وكأنه صوت ينبعث من حلم. سمع نفسه يتشكَّى قليلًا، ولكن ضاع الصوت وسط سيل من الألفاظ النابية التي صاح بها هولدن.

قطعت ناعومي هذا السيل: "ما الذي يحدث هناك؟"

أجاب أموس: "القبطان مريض بعض الشيء، أعتقد أن جزءًا من جسمه قد انكسر".

قال هولدن: "أشعر بركبتي وكأن هناك وليدًا ينمو بداخلها، لكنني سأكون بخير".

تساءل أليكس: "هل نحن جاهزون للتسارع الآن؟"

أجابت ناعومي: "ليس بعد. أبواب غرفة التخزين مغلقة تمامًا كما لو كنا سنصطدم بالمرفأ، ولكن غرفة معادلة الضغط ليست مغلقة".

قال براكس: "لقد أوشكت على الدخول"، ولكن حال تفكيره يقول: "لا تتركوني هاهنا، لا تتركوني في هذه الحفرة بهذا الشكل".

ردّ أليكس: "حسنًا، دعوني أعرف متى يمكنني الخروج من هذا الجحيم".

من أعماق المركبة نحو أموس، بينما وصل براكس إلى غرفة معادلة الضغط، ودفع نفسه للداخل بعنفٍ تسبَّب في صرير مفاصل بذلته. انتزع الكابل ليسحبه من طريقه، واستند إلى الحائط البعيد بصعوبة، ضغط على لوحة التحكُّم حتى بدأت دورة الإغلاق، وأُقفل الباب الخارجي. في الضوء الخافت لعناصر التحكُّم في معادلة الضغط، استدار براكس ببطء على جميع المحاور الثلاثة. ظل الباب الخارجي مُغلقًا، لم يخترقه شيء، حيث لم تظهر عيون زرقاء متوهّجة ترحف خلف براكس لتمزِّقه إربًا. اصطدم عالم النبات بالحائط برفق بينما سمع أزيزًا بعيدًا من مضخة الهواء؛ مما يشير إلى وجود الغلاف الجوي.

قال براكس: "أنا في... أنا في غرفة معادلة الضغط".

سألت ناعومي: "هل استقرت حالة القبطان الآن؟"

أجاب أموس: "وهل سبق أن استقرت حالته!"

ردَّ هولدن: "أنا بخير الآن، ركبتي تؤلمني قليلًا، فلنخرج من هنا".

قالت ناعومي: "أموس؟ أرى أنك لا تزال في غرفة التخزين، هل هناك مشكلة؟"

أجاب أموس: "ربما، لقد ترك صاحبنا هنا شيئًا وراءه".

صاح هولدن بصوتٍ قاسٍ كالنباح: "لا تلمسه! سنبحث عن مِلْاج، ونختزل ذلك الشيء إلى مكوناته الذرية".

قال أموس: "لا أعتقد أنها ستكون فكرة جيدة، لقد رأيت مثل هذه الأشياء من قبل، وأعرف أنها لا تُقطع بالجِمْلاج".

نهض براكس على قدميه، وضبط شرائح التحكُّم في الانزلاق على حذائه من أجل إبقائه ملتصقًا بأرضية غرفة معادلة الضغط. أصدار باب غرفة معادلة الضغط الداخلي صوتًا يُشير إلى أنه من الآمن نزع بذلته وإمكانية الدخول إلى المركبة مرة أخرى. تجاهل ذلك، وقام بتنشيط لوحة الحائط، لتتحوّل الشاشة إلى عرض مطر لغرفة التخزين، رأى هولدن يطفو بالقرب من غرفة معادلة الضغط بينما كان أموس مُتشبِّثًا بسلم مُعلّق على الحائط، وأخذ يفحص شيئًا صغيرًا ولامعًا متصلًا بالحاجز.

سألت ناعومي: "ما هذا يا أموس؟"

أجابها أموس: "حسنًا، يجب أن أتخلّص من هذا القرف، لكنه يبدو قنبلة معيارية حارقة، ليست من النوع الكبير، ولكنها كافية لتبخير حوالي مترين مربعين".

خيّم الصمت للحظة، أحكم براكس ختم خوذته، ورفعها، ثم أخذ نفسًا عميقًا من هواء المركبة، وحوّل الشاشة إلى عرض المركبة من الخارج. ظهر الوحش مرة أخرى في الضوء الخافت المنبعث من غرفة التخزين، وقد أخذ ينجرف خلف المركبة، ثم انحسر تدريجيًا عن الأنظار مُلتفًا حول طُعمه المُشع.

قال هولدن: "قنبلة! هل حقًا تخبرني أن هذا الشيء ترك وراءه قنبلة؟"

أجاب أموس: "إن أردت رأيي، فإنه أمرٌ غريب جدًا".

قال هولدن: "يا أموس، تعالَ معي إلى القفل الهوائي لغرفة التخزين، وأنت يا أليكس، أخبرني، ماذا يتبقّى لنا لنضرم النار في هذا الوحش؟ هل عاد براكس إلى الداخل؟"

صاح أليكس: "أيها الرفاق في غرفة معادلة الضغط! ماذا دهاكم؟"

"أنا هنا، جارٍ الانتهاء".

"لا وقت لديّ لأُكرّر الشيء مرتين، استعد للتسارع".

أدى التسلسل الكيميائي الحيوي الناتج عن مشاعر مختلطة مثل النشوة والذعر والطمأنينة إلى تقليل استجابة براكس؛ لذلك عندما بدأ التسارع، لم يكن على أرضية ثابتة. تخبّط في الحائط، واصطدم رأسه بالباب الداخلي للغرفة، لكنه لم يُبالِ، شعر بالعظمة، لقد تمكّن من إخراج الوحش من المركبة، رآه يحترق في ذيل (روسي) المشتعل بالنيران.

ظل منتشيًا بهذا الشعور حتى ضربت آلة الغضب جانب المركبة، فدارت (روسي) في الفراغ. انطرح براكس على الأرض، ولم يكن السّحب المُمغط لحذائه كافيًا لإقالة عثرته، وإيقاف تخبُّطه. اندفع نحو باب غرفة معادلة الضغط الخارجي، وأظلم العالم في عينيه

الفصل الثامن والعشرون
أفاسارالا

كانت هناك طفرة أخرى، إنها الطفرة الثالثة. لكن بدا مستحيلًا هذه المرة أن يكون ثمة تورُّط لوحوش بوبي في ذلك؛ لذا قد يكون ما وقع... من قبيل المصادفة. ولكن ما يفتح الباب للتساؤل أنه إذا لم يكن هذا الشيء قد أتى من كوكب الزهرة، فمن أين أتى إذن؟

ومع ذلك، فقد تآمر العالم لتشتيت انتباه أفاسارالا.

قال سورين: "إنها ليست كما كنا نظن يا سيدتي، لقد خدعتنا بقصة الفتاة المريخية مهيضة الجناح، إنها بارعة".

اتكأت أفاسارالا على كرسيها، أظهر تقرير الاستخبارات على شاشتها المرأة التي تُدعى روبرتا درابر وهي ترتدي ملابس مدنية، إذا كانوا قد قاموا بشيء، فإنهم جعلوها تبدو أكبر، اسمها المُدرج في التقرير هو أماندا تيليلي. ووظيفتها: عميلة سرية في خدمة الاستخبارات المريخية.

قال سورين: "ما زلت أتقصَّى الأمر، يبدو أنه كان هناك بالفعل رقيبة تُدعى روبرتا درابر، ولكنها ماتت في جانيميد مع مشاة البحرية الآخرين".

لوَّحت أفاسارالا بالكلمات بعيدًا، وأخذت تُقلِّب في التقرير. اطلعت على سجلات الرسائل السرية بين بوبي المزعومة وعميل مريخي معروف على القمر بدايةً من اليوم الذي جنَّدتها فيه أفاسارالا. انتظرت أفاسارالا أن يجثم الخوف على صدرها، وأن تشعر بالخيانة، ولكن لم تعرُها هذه الأحاسيس البغيضة. التفت إلى أجزاء أخرى من التقرير، واستوعبت مزيدًا من المعلومات الخطيرة، وانتظرت رد فعل ذلك على جسدها، لكنها لا تشعر بأيِّ أحاسيس بغيضة.

تساءلت: "لماذا قمنا بهذا التحقيق؟"

أجاب سورين: "في البداية كان حدسًا، بسبب الطريقة التي تتصرّف بها الفتاة عندما لا تكون في الحوار، كانت إلى حدٍّ ما.. ماكرة، سرت وراء تخميني بعدما رأيتها غير مأمونة الجانب، لذلك أخذت زمام المبادرة، وقلت ألكِ أعطيتِ الأمر بالتقصّي عنها"

ردّت أفاسارالا: "حتى لا أبدو مثل الحمقاء اللعينة التي تستحضر الجواسيس للعمل في مكتبها".

قال سورين: "بدا الأمر لي وكأني الإجراء الصحيح الذي يجب اتخاذه، إذا كنتِ تفكرين في طرق لمكافأتي على خدمتي الجيدة لكِ، فأنا أقبل المكآفات المادية والعينية والترقيات".

ردّت أفاسارالا: "أراهن عليك دائمًا".

وقف الفتى مائلًا قليلًا إلى الأمام على أصابع قدميه في انتظار إصدارها أمرًا باعتقال بوبي وتقديمها لاستجواب استخباراتي كامل، هذه هي العبارة المُهذبة التي يقولونها دائمًا، ولكن في الحقيقة إن "الاستجواب الاستخباراتي الكامل" من أكثر الأشياء الفاحشة التي يمكن أن يتعرّض لها شخصٌ على الإطلاق. إنهم الآن في حالة حرب مع المريخ، ومن المؤكّد أن مثل هذا العميل استخباراتي القيّم المزروع في قلب الأمم المتحدة لديه معلومات هائلة لا تُقدَّر بثمن.

لذا حدَّثت أفاسارالا نفسها: "لماذا لا أتفاعل مع هذا؟"

مدَّت يدها إلى الشاشة، ثم توقَّفت، وسحبت يدها، وقطبت جبينها.

نادى سورين: "سيدتي؟! ماذا هنالك؟"

وقفت أمام أصغر الأشياء غير المتوقَّعة. عض سورين على شفته السفلية من الداخل، إنها بادرة تافهة غير مرئية تقريبًا مثل الزّلّة على طاولة البوكر بمجرد أن رأت ذلك، عرفت أفاسارالا ما يحدث.

لم يحتج الأمر إلى تفكيرٍ أو إعادة نظر أو تمحيص أو حتى تخمين. اتضح كل شيءٍ في عقلها ببساطة كما لو كانت تعرفه بشكلٍ كامل وشامل بدا سورين مُتوترًا؛ لأن التقرير الذي تقرأه أفاسارالا لن يصمد أمام التدقيق الصارم.

لن يصمد التقرير لأنه مُلفّق.

تقرير مُلفّق مُزيّف؛ لأن سورين كان يعمل لحساب شخصٍ آخر، شخص آخر أراد التحكُّم في المعلومات الواردة إلى مكتب أفاسارالا. استطاع نجوين أن يُعيد تجميع شتات أسطوله دون علمها؛ لأن سورين كان الشخص الذي يراقب تدفُّق البيانات. قرر شخصٌ ما أن يسيطر عليها، ويتلاعب بها، لقد دُبِّرت هذه المكيدة منذ فترة طويلة قبل أن تذهب محطة جانيميد إلى الجحيم، لقد كان الوحش على جانيميد أمرًا متوقعًا بل مدروسًا.

ومن ثَمَّ فإن إرينرايت كان وراء كل ذلك.

لقد سمح لها الرجل بالمطالبة بإجراء مفاوضات السلام، فدعها بذلك تعتقد أنها قوّضت نجوين، وسمح لها أيضًا بأن تُجنِّد بوبي ضمن طاقم عملها. فعل كل ذلك حتى لا يساورها أيُّ شك.

لم يكن الأمر مجرد كائن منشق هرب من كوكب الزهرة، بل كان مشروعًا عسكريًّا، سلاح أراد كوكب الأرض استخدامها لقهر منافسيه قبل أن ينهي المشروع الفضائي على كوكب الزهرة ما كان يفعله. احتفظ شخصٌ ما -ربما ماو كويكوفسكي- بعينة من الجزيء الأولي في أحد المختبرات المستقلة والمحمية بجدار ناري، وموَّل هذا المشروع بالسلاح، ومن ثم فتح الباب للمزايدة.

إن الهجوم على جانيميد من الأدلة الدامغة على مفهوم الاعتداء، ومن جهة أخرى بمنزلة ضربة قاصمة للإمدادات الغذائية للكواكب الخارجية، لم يكن (أوبا) من بين مُقدِّمي العروض في هذا المزاد. ذهب نجوين إلى نظام جوفيان التابع لكوكب المُشتري لجني المحصول، واعترض طريقه جيمس هولدن وعالم النبات صديقه في جزءٍ من مجريات الأحداث، واكتشف المريخيون أنهم على وشك خسارة المزاد.

تساءلت أفاسارالا عن المقابل الذي منحه إرينرايت لجول بيير ماو للمزايدة على المريخ. لا بُدّ من أن يكون المقابل أكثر من مجرد نقود.

كانت الأرض على وشك الحصول على أول سلاح يعتمد على الجزيء أولي في تاريخ الكوكب، وقرّر إرينرايت إقصاءها من اللعبة؛ لأنه أيًّا كان ما سيفعله بهذا السلاح، فلن

توافق على دلك، وهي من الأشخاص القلائل في النظام الشمسي بأكمله الدين يمكنهم الوقوف في وجهه، ومعه مما ينتوي فعله

سألت نفسها إدا كانت لا تزال قادرة على دلك حقًّا!

قالت أفاسارالا: "شكرًا لك، يا سورين، أنا أُقدّر جهودك المضنية، هل تعرف أين هي الآن؟"

أجاب سورين: "إنها تبحث عنكِ"، وارتسمت ابتسامةٌ ماكرة على شفتيه، ثم تابع: "قد يكون لديها انطباع أنكِ نائمة الآن، الوقت متأخر جدًّا، يا سيدتي".

ردَّت أفاسارالا: "نائمة؟ أتذكر ذلك بشكلٍ غامض. حسنًا، سأحتاج إلى التحدُّث إلى إرينرايت".

تساءل سورين: "هل تريدين مني إلقاء القبض عليها".

أجابت: "كلا، لا تفعل ذلك".

بالكاد ظهرت خيبة الأمل على وجهه.

تساءل سورين: "كيف يجب أن نمضي قدمًا إذن؟"

أجابت: "سأتحدَّث إلى إرينرايت، هل يمكنك أن تُحضر لي بعضًا من الشاي؟"

ردَّ سورين: "نعم، بالتأكيد، يا سيدتي"، وانحنى قليلًا وهو يغادر المكتب.

اتكأت أفاسارالا على كرسيها. سكنت الضجة في عقلها، كان جسدها متمركزًا وما يزال كما لو أنها أنهت للتو جلسة تأمُّل طويلة وفعالة. أجرت طلب اتصال، وانتظرت لترى المدة التي سيستغرقها إرينرايت أو مساعده للرد على اتصالها. وبمجرد أن قدمت طلب الاتصال، وضعت علامة "مُعلّق للأولوية"، وبعد ثلاث دقائق، ظهر إرينرايت على الشاشة مُتحدِّثًا من جهازه اللوحي، قفزت الصورة إليها مع بعض انعطافات وهزات في السيارة التي يستقلها الرجل، وتبدّى السواد القاتم في الخلفية.

قال: "كريسجين! هل ثمة خطب ما؟"

أجابت أفاسارالا: "لا شيء على وجه الخصوص"، ستت له في نفسها، أرادت في الحقيقة أن ترى وجهه، أن تشاهده وهو يكذب عليها. تابعت: "ولكن أحضر لي

سوريين شيئًا مثيرًا للاهتمام، تعتقد الاستخبارات أن مُنسّقة الاتصالات المريخية التي تعمل معي جاسوسة"

ردَّ إرينرايت: "حقًّا ما تقولين؟! هذا أمرٌ مؤسف، وماذا ستفعلين؟ هل ستصدرين أمرًا باعتقالها؟"

أجابت أفاسارالا: "لا أعتقد ذلك، سأكرّس نفسي للتحكُّم في تدفُّق المعلومات الخاصة بها، والشيطان الذي نعرفه أفضل من الشيطان الذي لا نعرفه، أليس كذلك؟"

توقَّف الرجل عن الرد بشكلٍ ملحوظ نسبيًّا، ثم قال: "إنها فكرة جيدة، افعلي ذلك."!

أجابت أفاسارالا: "شكرًا لك، سيدي".

قال: "بما أننا نتحدَّث هنا الآن، كنت بحاجة إلى أن أسألك شيئًا. هل لديك أيّ شيء بين يديك يجبرك على مباشرتكِ العمل من مكتبك؟ أو بمعنى آخر، هل يمكنكِ مباشرة العمل على متن مركبة؟"

ابتسمت المرأة العجوز، إذن، هذه هي المسرحية التالية.

تساءلت: "بِمَ تفكر؟"

وصلت سيارة إرينرايت إلى امتداد من الرصيف الأكثر انسيابية، وركَّزت الكاميرا بشكلٍ أفضل على وجهه، كان الرجل يرتدي بدلة داكنة مع قميص برقبة وبدون ربطة عنق. بدا وكأنه أحد الكهنة.

"جانيميد، نحتاج إلى إظهار أننا نتعامل مع الموقف بجدية. يريد الأمين العام أن يذهب مسؤول كبير شخصيًّا إلى هناك. يُعدّ لنا تقريرًا من الزاوية الإنسانية للموضوع. ونظرًا لأنك الشخص الذي تبنّى هذه القضية وأولاها اهتمامًا كبيرًا، فقد اعتقد الأمين العام أنك ستكونين الشخص المناسب في المكان المناسب، وأظن أنه سيمنحكِ الفرصة لمتابعة الهجوم الأولي أيضًا"

ردَّت أفاسارالا: "نحن في حالة حرب، ولا أعتقد أن البحرية قادرة على تحمُّل تكلفة توفير مركبة لنقل عظامي القديمة إلى هناك. بالإضافة إلى ذلك، فأنا أُنسّق التحقيق في

قضية كوكب الزهرة، أليس كذلك؟ كما تعلم، فإن معي تفويض مطلق للتحقيق في هذا الصدد".

ابتسم إرينرايت من قولها بطريقة تبدو صادقة للغاية.

"لقد قمت بإعداد المركبة لك، سيأخذ جول بيير ماو يختًا من القمر إلى جانيميد للإشراف على جهود المساعدة الإنسانية لشركته، وعرض توفير مكانٍ لنا في اليخت. إنها إقامة ذات مرافق أفضل مما تحصلين عليه في مكتبك. وربما يتيح المكان عرض النطاق الترددي بشكلٍ أفضل أيضًا، يمكنكِ أن تراقبي كوكب الزهرة من هناك".

تساءلت أفاسارالا: "وهل باتت ماو كويك جزءًا من الحكومة الآن، لم أكن ذلك".

"نحن جميعًا في الجانب نفسه، ماو كويك مهتم مثل أيِّ شخص برعاية هؤلاء الأشخاص المنكوبين".

انفتح الباب، وظهرت روبرتا درابر في مكتب أفاسارالا، بدت مثل الفضلات، كان جلدها رماديًّا مثل شخصٍ لم يذق طعم النوم منذ زمنٍ طويل، ضغط على فكها، وأومأت لها أفاسارالا نحو الكرسي.

قالت أفاسارالا: "أنا أحتاج إلى الكثير من النطاق الترددي".

ردَّ إرينرايت: "لا مشكلة، سيكون لديك أولوية قصوى في جميع قنوات الاتصال".

جلست الفتاة المريخية على الجانب الآخر من المكتب، بعيدًا عن نطاق الكاميرا. مررت بوبي يديها على فخذيها، وسحبت مرفقيها بعيدًا عن جسدها مثل مصارع يستعد للدخول إلى الحلبة. أجبرت أفاسارالا نفسها على عدم النظر للفتاة.

"هل يمكنني التفكير في ذلك؟"

قال إرينرايت. "كريسجين"، واقترب أكثر من جهازه اللوحي حتى ملأ وجهه العريض المستدير الشاشة. "لقد أخبرت الأمين العام أن هذا العرض لا يُفوَّت. إن السفر إلى نظام جوفيان رحلة شاقة حتى في أفضل اليخوت، إذا كان لديك الكثير من المهام لتفعليها، أو كنتِ غير مرتاحة للرحلة على الإطلاق، فما عليكِ سوى أن تقولي

ذلك صراحةً حتى أعثر على شخصٍ آخر سواك. ولكن المشكلة أن الأشخاص الآخرين لن يكونوا بارعين مثلك في إنجاز المهمة".

لوَّحت أفاسارالا بيدها، والعصب يغلي في أحشائها: "علمتني! حسنًا، اقتنعت الآن، ولكن متى سأغادر؟"

أجاب إريرايت: "من المُرمع أن يغادر اليخت في غضون أربعة أيام. أنا آسف على عدم إخطارك قبلها بوقتٍ كافٍ، لكن لم أتأكَّد من ذلك إلا منذ حوالي ساعة فقط".

"كان اتصالنا مصادفة سعيدة إذن!"

قال إرينرايت: "لو كنت رجلًا متدينًا، لقلت إنها إشارة من الله. سأرسل التفاصيل إلى سورين".

ردَّت أفاسارالا: "من الأفضل أن ترسلها لي مباشرةً، سيكون لدى سورين الكثير ليفعله".

أجاب: "كما تشائين".

أطلق رئيسها العنان للحرب سرًّا، تواطأ مع الشركات نفسها التي تركت المارد يخرج من المصباح على قمر فيبي، وضحَّى بمحطة إيروس، وهدَّد حياة البشرية جمعاء. لقد كان طفلًا خائفًا يرتدي بدلةً أنيقة ويختار قتالًا يعتقد أنه يمكن أن ينتصر فيه؛ لأن التهديد الحقيقي جعله يتبوَّل على نفسه من فرط الخوف. ابتسمت له أفاسارالا. لقد مات الرجال والنساء الطيبون بالفعل بسببه وبسبب نجوين. ومات الأطفال في جانيميد، وتدافع الحزاميون للحصول على السعرات الحرارية التي تبقيهم على قيد الحياة، وتضوَّر الكثيرون من الجوع.

سقطت حدود إريرايت المستديرة ملليمترًا، وارتعشت جوانحه قليلًا. كان يعلم أنها تعرف كل شيء، بالطبع كان يعلم؛ لأنه من المستحيل على أولئك الذين يلعبون في المستوى نفسه أن يخدع بعضهم بعضًا. لقد هزموا خصومهم رغم أن الخصوم يعرفون ما كان يحدث بالضبط تمامًا مثلما كان يهزمها في تلك اللحظة تحديدًا.

سألها: "هل أنتِ بخير؟ أعتقد أن هذه هي المحادثة الأولى التي نُجريها منذ عشر سنوات، ولا تتفوّهين فيها بلفظٍ بذيء"

ابتسمت أفاسارالا ابتسامة عريضة للشاشة، ومدت أطراف أصابعها كما لو أنها تداعبه، ثم قالت بحذر: "أيها الرجل العاهر".

عندما انقطع الاتصال، غطت وجهها بيديها للحظة، ونفخت أنفاسها ثم التقطتها مرة أخرى بقوة لاستعادة تركيزها، وعندما جلست رأت أن بوبي تراقبها.

قالت أفاسارالا: "مساء الخير".

ردَّت بوبي: "كنت أحاول العثور عليكِ منذ فترة، لقد تم حظر اتصالاتي".

شهقت أفاسارالا.

قالت بوبي: "علينا أن نتحدَّث عن شيءٍ ما، شخصٍ ما، أعني سورين. هل تتذكَّرين تلك البيانات التي كنتِ طلبتِها منه قبل أيامٍ قليلة؟ لقد سلمها إلى شخصٍ آخر، لا أعرف من هو بالتحديد، لكنه شخص عسكري، أقسم لكِ على ذلك".

تأكَّد الآن أن هذا ما أفزعه؛ الوقوع مُتلبِّسًا، لقد استخف هذا الأحمق المسكين بهذه الفتاة البحرية التابعة لأفاسارالا.

ردَّت السيدة العجوز، وهي تبتسم: "جيد جدًّا".

قالت بوبي: "أتفهَّم أنه ليس لديك أيّ سبب للثقة بي، ولكن... مهلًا، علام تضحكين؟"

وقفت أفاسارالا، وتمدَّدت حتى شعرت بألمٍ خفيف في مفاصل كتفيها. "في هذه اللحظة بالتحديد، أنتِ الشخص الوحيد في فريق عملي الذي أثق به، هل تتذكَّرين عندما قلتُ لكِ أن هذا الشيء على جانيميد ليس صنيعتنا؟ لم أكن أعتقد ذلك حينها، ولكني غيَّرت رأيي الآن. لقد اشتريناه، وأفترض أننا نخطط لاستخدامه ضدكم".

نهضت بوبي، واحتقن وجهها، وقالت بصوتٍ مختنقٍ أجش: "يجب أن أخبر رؤسائي".

ردَّت أفاسارالا. "لا، ليس عليكِ فعل ذلك، إنهم يعرفون، ولكن لا يمكننا لا أنا ولا أنت إثبات ذلك، إذا أخبرتهم الآن بذلك، فسوف ينشرون ذلك على الملأ، ومن ثَمَّ سينكر كوكب الأرض ادعاءهم، إلى آخر هذا الهراء. المشكلة الكبرى التي تواجهنا الآن أنك ستعودين إلى جانيميد معي، أنا مُرسَلة إلى هناك".

شرحت أفاسارالا لها كل شيء، تقرير الاستخبارات المُلفّق الذي قدمه سورين، وما ينطوي عليه من مزاعم، وخيانة إيرينرايت، والمهمة إلى جانيميد على متن يخت ماو كويك.

قالت بوبي: "لا يمكنكِ فعل ذلك".

وافقتها أفاسارالا القول: "إنه أمرٌ مزعج مثل الألم في المؤخرة، سوف يراقبون جميع اتصالاتي، وإن كان من المحتمل أنهم يفعلون الشيء نفسه من هنا. ولكن إذا كانوا سيُرسلونني إلى جانيميد، فعليكِ أن تتأكّدي تمامًا من أنه لن يحدث شيءٌ هناك. إنهم يرغبون في تجميد نشاطي بوضعي في صندوق حتى يفوت الأوان ليفعلوا ما يحلو لهم، أو هذا ما يحاولونه. على أيّ حال، أنا لم أنفض يدي من هذه اللعبة القذرة بعد".

قالت بوبي: "لا يمكنكِ ركوب تلك المركبة، إنه شَرَك منصوب".

ردَّت أفاسارالا وهي تلوّح بيدها: "بالطبع أعلم أنه شَرَك، لكنه شَرَك يجب أن أخطو إليه. أتعلمين ما سيحدث بعد أن أرفض طلب الأمين العام؟ سيغدو الأمر معروفًا للجميع، ومن ثَمَّ سيفكرون في أنني على وشك التقاعد، ولن يدعم أحد لاعبًا سيكون ضعيفًا العام المقبل. نحن نلعب ونحن ننظر للمدى البعيد، مما يعني أنه يجب عليك إعطاء انطباع باستمراريتك قويّ لأطول فترة، يعلم إيرينرايت هذا الأمر جيدًا، ولهذا السبب قرّر أن يلعب بهذه الطريقة".

خارج المكتب، انطلق مكوك آخر. بإمكان أفاسارالا أن تسمع بالفعل فرقعة المُحرِّك وهو يتسارع، وتشعر بضغط الدفع والجاذبية الكاذبة التي تدفعها إلى الخلف. لقد مضت ثلاثون عامًا دون أن تترك جاذبية الأرض، لن يكون الأمر ممتعًا بعد كل هذا العمر.

صرّحت بوبي، وهي تُشدِّد على كلمة وتنطقها منفردة: "إذا ركبتِ تلك المركبة، فسوف يقتلونكِ"

ردّت أفاسالات. "ما بهذه الطريقة تُلعب المباراة، ما يفعلونه هو."...

انفتح الباب مرة أخرى، دخل سورين حاملًا صينية في يديه، كان إبريق الشاي مصنوعًا من الحديد الزهر، مع كوب واحد مطلي بالمينا وبدون مقبض. فتح فمه ليقول شيئًا ما ثم فوجئ بوجود بوبي. من السهل أن ننسى كم تبدو هذه الفتاة ضخمة حتى نرى رجلًا في ارتفاع سورين يتراجع بشكلٍ واضح أمامها

"الشاي! هذا ممتاز، هل تريدين أيَّ شيء، يا بوبي؟"

"لا"

"حسنًا، ضع الصينية على الطاولة، سورين، كيف سأشرب الشاي وأنت واقف بعيدًا هكذا، تقدَّمْ، وصُبَّ لي كوبًا من الشاي".

راقبته أفاسارالا وهو يدير ظهره للفتاة البحرية، لم ترتعش يداه، من شأنها أن تتسبَّب في ارتجافه. وقفت أفاسارالا صامتةً، منتظرة منه أن يُقدِّم لها الشراب كما لو كان جروًا يتعلم استعادة لعبة. عندما فعل ذلك، نفخت السطح، فتناثرت خيوط البخار الرقيقة، حرص الفتى على عدم الالتفات ليتحاشى النظر إلى بوبي".

"هل تريدين شيئًا آخر، يا سيدتي؟"

ابتسمت أفاسارالا، كم عدد القتلى الذين حصد أرواحهم هذا الفتى اللعين لمجرد أنهم كذبوا عليها؟ لن تستطيع أن تحصيهم عددًا على وجه اليقين، ولا هو كذلك. أفضل ما يمكن أن تفعله به جزاء فعلته لن يقل عن ذلك المصير بالتأكيد.

قالت أفاسارالا: "سورين! سيكتشفون في النهاية أنه أنت".

كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، التفت سورين إليها، لقد طعنه قلقٌ متلفِّع بظلمة الليل على حين غفلة.

تساءل محاولًا المراوغة: "من تقصدين؟"

"أقصدهم، إذا كنت تعتمد عليهم لترقيتك في حياتك المهنية، فأنا أريدك أن تعي جيدًا أنهم لن يفعلوا ذلك. هل تعرف هؤلاء الرجال الذين تعمل لصالحهم، يا سورين؟ إنهم

هؤلاء الرحال الذين ستسقط من نظرهم إذا علموا أنك قد انزلقت. إنهم من ذلك النوع الذي سيتخلى عنك عند أول خطأ تجترحه، لأنهم لا يتسامحون أبدًا مع الأخطاء".

قال سورين: "أنا..."...

قاطعته أفاسارالا. "وأنا مثلهم تمامًا. لا تترك أيّ متعلّقات شخصية على مكتبك".

رأت أفاسارالا ما في عيني الفتى، رأت انهيار كل آمال المستقبل التي خطّط لها، وكافح في سبيلها، وحدّد نفسه بواسطتها. ارتفع مكان تلك الآمال المتهاوية نمطُ الحياة على فُتات الدعم الأساسي، حياة الكفاف التي لا تكفي طموحاته، حياة بعيدة تمامًا عن آماله التي تناطح السحاب، ولكنها العدالة التي قضت بها أفاسارالا في غضون لحظات.

تنحنحت بوبي عندما خرج سورين وأغلق الباب خلفه.

تساءلت: "ماذا سيحدث له؟"

رشفت أفاسارالا الشاي، واستطعمت مذاق الشاي الأخضر الطازج الرائع الذي تم تخميره بإتقان، مذاقه غني وحُلو وليس به حتى شائبة مرارة.

قالت أفاسارالا: "من يكترث لذلك بحق الجحيم! المهم أن يخت ماو كويك سيُقلع في غضون أربعة أيام. هذا ليس بالوقت الطويل، ولن نتمكّن من أن نخطو أيّ خطوة دون أن يكتشف الأوغاد. سأُرسل لكِ قائمة بالأشخاص الذين أحتاج إلى مقابلتهم وتناول مشروب أو قهوة أو غداء معهم قبل أن نغادر إلى جانيميد. ستتمثّل مهمتك في ترتيب ذلك كما أُقرّر.

سألت بوبي بامتعاض: "هل أصبحت سكرتيرتك الاجتماعية الجديدة الآن؟"

ردّت أفاسارالا: "أنتِ وزوجي الشخصان الوحيدان على قيد الحياة اللذان أثق بهما، وأعرف أنهما لن يحاولا إيقافي عما أريد فعله. اعلمي يا بوبي، هذا هو مدى سوء الأشياء المحيطة بي، لذا يجب أن أفعل ما قلته لكِ للتو، ولا يمكنني الوثوق بأي شخصٍ آخر سواك؛ لذا، نعم، أنتِ سكرتيرتي الاجتماعية. أنتِ حارسي الشخصي أنتِ طبيبي النفسي أنتِ كل ذلك في آنٍ واحد".

نكست بوبي رأسها ححلًا، والرفير ينطلق من فتحتي أنفها بقوة. تباعدت شفتاها وهرت رأسها الكبير مرة واحدة يسارًا ثم يمينًا ثم عادت إلى الوسط

قالت بوبي: "أنت في ورطة".

تناولت أفاسارالا رشفة أخرى من الشاي، كان يجب أن تنهار، أن تعرق في البكاء. لقد شُلت من قوتها، وخُدعت شر خديعة حلس جول بيير ماو هناك على بعد متر واحدٍ من مكانها الحالي، واستهزأ بها. كذلك فعل إرينرايت ونجوين وأيّ شخص آخر كان جزءًا من عصابته الصغيرة. كل هؤلاء قد خدعوها. بينما جلست هي هناك تجمع الخيوط وتتبادل الخدمات وتعتقد أنها تفعل شيئًا حقيقيًّا، على مدار أشهر، وربما سنوات، لم تلاحظ أنها كانت مُغفَّلة.

لقد جعلوها أضحوكتهم، كان يجب عليها أن تستشعر الإهانة. ولكنها بدلًا من ذلك، شعرت بأنها ما تزال على قيد الحياة، وأن هذه المباراة لعبتها الأثيرة، وحتى لو تأخَّرت في الشوط الأول من المبارة، فهذا يعني فقط أنهم سيفترضون خسارتها. وليس هناك أفضل من اللعب وأنت تعلم أن خصمك يستهين بك.

تساءلت: "هل لديكِ سلاح؟"

كادت بوبي أن تضحك.

"أعتقد أنهم هنا لا يحبون منظر تجوُّل جنود المريخ حول مبنى الأمم المتحدة بالأسلحة النارية، لا بُدَّ لي من تناول الغداء بملعقة مشوك بلاستيكية سخيفة. نحن في حالة حرب".

ردَّت أفاسارالا: "فهمت. حسنًا، إذن، عندما نصعد على متن اليخت، ستكونين مسؤولة عن الأمن، ومن ثَمَّ سيتطلب ذلك تجهيزك بالسلاح، لذا اتركني أرتب ذلك لك".

"هل تستطيعين فعل ذلك حقًّا؟ ولكن بصراحة، أفضل الحصول على بدلتي المُدرّعة".

تساءلت أفاسارالا. "بدلتك المُدرَّعة؟ ما هذه البدلة؟"

أجابت بوبي. "جئتُ إلى هنا بدرع آلي مناسب لجسمي. لقد سحبوا منه شريط الفيديو الذي يظهر فيه الوحش، وأخبروني أنهم سيُرسلونه إلى رفاقك للتأكُّد من أن اللقطات حقيقية وليست مُزيفة"

نظرت أفاسارالا إلى بوبي، وارتشفت الشاي. من المؤكَّد أن مايكل جون يعرف مكان هذا الدرع، ستتحدَّث إليه في صباح اليوم التالي، وتُرتِّب معه لإحضار الدرع على متن يخت ماو كويك مع لصق علامة غير مثيرة للقلق على الجانب مثل "خزانة ملابس" أو أيّ شيءٍ من هذا القبيل.

ربما لأن بوبي اعتقدت أن أفاسارالا لا تزال غير مقتنعة بأهمية الأمر، واصلت حديثها: "بجدية، إذا زوَّدتني بسلاح، فلن أكون سوى مجرد جندي، بينما إذا زوَّدتِني بتلك البدلة المُدرَّعة، فسأتحوَّل إلى بطلٍ خارق".

ردَّت أفاسارالا: "إذا كانت البدلة ما تزال لدينا، فسأُحضرها لكِ بالطبع".

قالت بوبي: "جيد جدًّا"، وابتسمت. هذه أول ابتسامة صادقة تبتسمها الفتاة منذ التقيا. كانت أفاسارالا تخاف منها حقًّا.

"فليرحم الله كل من جعلوكِ ترتدين تلك البدلة المُدرَّعة".

الفصل التاسع والعشرون

هولدن

عادت الجاذبية عندما بدأ أليكس في تشغيل المُحرّك، وطفا هولدن على سطح غرفة التخزين عند مستوى تسارع مريح يُقدَّر بـ ½ (ج). لم يكونوا بحاجة إلى زيادة السرعة بعدما خرج الوحش بعيدًا عن المركبة، كل ما كان عليهم فعله هو الابتعاد بالمركبة عن هذا الوحش، وإدخاله في نطاق احتراق العادم ذي الحرارة النارية؛ لتفكيكه إلى جزئيات تحت ذرية، فلا يمكن للجزيء الأولي أن يبقى على قيد الحياة بعد اختزاله إلى أيونات.

أو هذا ما تمنّاه هولدن أن يحدث على الأقل.

عندما هبط هولدن على سطح المركبة، كان ينوي الرجوع إلى شاشة الحائط، والتحقُّق من الكاميرات الخلفية، أراد أن يشاهد الشيء وهو يحترق، ولكن بمجرد ارتطام قدمه بالأرض، أُصيبت ركبته بألمٍ حاد؛ لذلك صرخ بأعلى صوته، وسقط مُنهارًا.

جنح إليه أموس، ونزع عنه حذاءه المُمغنط، وجثا بجانبه. صاح: "هل أنت بخير، أيها القبطان؟"

أجاب هولدن: "بخير، أعتقد أن أُصيبت بكسرٍ في ركبتي".

ردَّ أموس: "إصابات المفاصل أقل إيلامًا بكثير في الجاذبية الصغرى، أليس كذلك؟"

كان هولدن على وشك الرد ولكن اعترضه تعرُّض جانب المركبة لضربة قوية كالمطرقة لدرجة أن هيكل المركبة رنَّ مثل جرس. انقطع مُحرِّك (روسي) على الفور تقريبًا، وخرجت المركبة عن السيطرة حيث دارت بشكلٍ لولبي في الفراغ. رُفع أموس وسقط بعيدًا عن هولدن حيث أُلقي به تجاه قفل الغرفة ليصطدم بالباب الخارجي بينما انزلق هولدن بطول سطح المركبة؛ ليهبط منتصبًا على الحاجز المجاور له، وتقلَّصت ركبته تحته من شدة الألم لدرجة أنه كاد أن يُغمي عليه.

صغط بدقنه على زرٍّ في حودته، وحقنه الدرع بحرعة من الأمفيتاميات ومُسكّنات الألم، وعلى الرعم من استمرار شعوره بالألم في ركبته، فإنه في غضون ثوانٍ بدا هذا الألم وكأنه شيءٌ بعيد جدًّا، ويسهل تجاهله.

سطعت العرفة بالأصواء؛ ليتوقّف عن رؤية الأشياء من حوله عبر هذا المظور المُعتِم الذي كانت تُتيحه إصاءة السرداب الخافتة. بدأ قلبه يخفق بشدة.

رغم علمه بالإجابة، تساءل: "أليكس، ماذا يحدث؟"

أجاب الطيار: "عندما أضرمنا النار هناك في هذا الراكب المختلس، انفجرت القنبلة في غرفة التخزين، لدينا أضرار بالغة الخطورة في هذه الغرفة، فضلًا عن الهيكل الخارجي والسطح الهندسي. لقد دخل المفاعل في حالة الإغلاق الطارئ. وحوّل هذا الانفجار غرفة التخزين إلى مُحرِّك ثانٍ كما دخلت المركبة في نوبة دوران في الفراغ، لقد فقدت تمامًا السيطرة على المركبة".

تأوه أموس، وبدأ في تحريك أطرافه. "هذا أمرٌ مقيت".

قال هولدن: "علينا السيطرة على هذا الدوران فورًا، ما الذي تحتاج إليه لإعادة تنشيط مُحرِّكات الدفع؟"

قاطعت ناعومي: "هولدن، أعتقد أن براكس قد تعرَّض لإصابةٍ بالغة في غرفة معادلة الضغط، إنه لا يتحرَّك".

"هل تُراه يُحتضر؟"

استمر التردُّد لثانية واحدة كانت طويلة جدًّا.

"لا يبدو لي ذلك بالنظر إلى بدلته".

قال هولدن. "إدن، فلنُشغِّل المُحرِّك، وسنستعيد السيطرة على المركبة أولًا، ومن ثم نقوم بتقديم الإسعافات الأولية له. أليكس، لقد اشتعلت أجهزة اللاسلكي مرة أخرى، وأضاءت الأنوار؛ لذلك لم يعد هناك أيّ تشويش، ويجب أن تعمل البطاريات، لماذا لا يمكنك تفعيل الدافعات حتى الآن؟"

أجاب أليكس: "يبدو أن... المضخات الأولية والثانوية مُعطّلة. لا يوجد ضغط ماء"

قالت ناعومي بعد ثانية من ذلك: "تم التأكيد. لم تكن المضخات الأولية في نطاق الانفجار، إذا كانت قد تعرّضت لمشكلة، فلا بُدَّ أن يكون السطح الهندسي في حالة من الفوضى. أما المضخات الثانوية على سطح المركبة أعلاه، فلا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال أن تكون قد تعرّضت لأضرار في هيكلها، ولكن هناك ارتفاع كبير في الطاقة قبل أن يتوقّف المفاعل عن العمل مباشرةً، ربما احترق جزءٌ من الأسلاك أو انفجر قاطع الدائرة الكهربائية".

ردَّ هولدن: "حسنًا، فلنعمل على إصلاح ذلك"، ثم نادى على أموس، وهو يسحب نفسه إلى الباب الخارجي لغرفة التخزين حيث يرقد الميكانيكي، وتساءل: "هل أنت بخير؟"

أومأ أموس بيدٍ واحدة على طريقة الحزاميين، ثم زمجر قائلًا: "انقطع نفسي فقط، وهذا كل ما في الأمر".

"يجب أن تنهض، أيها الرجل الضخم". قال هولدن ذلك وهو يتحامل للقيام. في الجاذبية الجزئية للدوران، شعر أن ساقيه ثقيلتان، ومحمومتان، ومُتصلّبتان مثل الألواح. لولا ما يتدفّق في جسمه من مُخدّرات، لكان قد صرخ حتمًا من فرط الألم عند الوقوف على قدميه. ولكن بدلًا من ذلك، سحب أموس من يده، ووضع المزيد من الثقل على ركبتيه.

قال لنفسه: "أعتقد أنني سأدفع ثمن هذا غاليًا في المستقبل". لكن الأمفيتامينات المصنوعة فيما بعد تبدو شيئًا بعيد المنال.

تمتم أموس: "ماذا حدث؟"، ربما عانى الرجل الضخم من ارتجاج في المخ، لكن هولدن سيهتم برعايته الطبية في وقتٍ لاحق بعدما تعود المركبة تحت سيطرتهم أولًا.

ردّ هولدن مجبرًا نفسه على التحدُّث ببطء رغم تأثير المُخدّرات. "علينا أن نصل إلى مضخة المياه الثانوية، ما أسرع نقطة للوصول إليها؟"

أجاب أموس. "الورشة الميكانيكية"، ثم أغلق عينيه وبدا وكأنه نيام واقفًا.

قال هولدن: "ناعومي، هل يمكنكِ التحكُّم في بدلة أموس من مكانك؟"

أجابت: "نعم".

قال. "إذن، زوِّديه بكامل السرعة، لا يمكنني جرّه إلى هناك، وأنا بحاجة إليه معي لإصلاح المشكلة".

ردَّت: "حسنًا"، لتنفتح عيون أموس بعد بضع ثوانٍ.

قال الرجل الضخم: "سحقًا، هل كنت نائمًا؟" ما تزال كلماته غير واضحة، ولكن على الأقل مُغلقة بطاقة جنونية مقارنةً بذي قبل.

"نحتاج إلى بلوغ نقطة تخطِّي الحاجز في الورشة الميكانيكية. هيا احصل على كل ما تعتقد أننا سنحتاج إليه لتشغيل المضخة. ربما انفجر قاطع الدائرة الكهربائية أو احترقت بعض الأسلاك، هيا يا أموس، سأنتظرك هناك".

أجاب أموس: "حسنًا"، وانحنى على المقابض المُثبتة على الأرض للوصول إلى الباب الداخلي للغرفة، وبعد لحظات استطاع أن يفتح الباب، وزحف بعيدًا عن الأنظار.

مع دوران المركبة، سحبت الجاذبية هولدن إلى نقطة في منتصف المسافة بين السطح والحاجز الأيمن، لا يتم توجيه أيّ من السلالم أو المقابض الموجودة في أرضية المركبة في الاتجاه الصحيح عند استخدامها في الجاذبية المنخفضة أو تحت قوة الدفع. ليست هذه بالمشكلة الكبيرة عند الاعتماد على أربعة أطراف، ولكن المناورة بساق مُصابة أمرٌ في غاية الصعوبة.

ومما زاد الطين بلة أنه بمجرد مروره على مركز دوران المركبة، سينقلب كل شيء رأسًا على عقب.

بعد لحظات تغيَّرت وجهة نظره، هز تأثير كوريوليس الذي لا يرحم العظام الدقيقة داخل أذنيه، ووجد نفسه على متن قطعة معدنية تدور في السقوط الحر المستمر بينما وجد نفسه أسفل هذه القطعة المعدنية على وشك أن يُسحق سحقًا. تصبّب منه ذلك العرق البارد الذي يسبق الغثيان في حين مرّ دماغه بين عشرات السيناريوهات المختلفة

التي تُفسِّر الإحساس بالدوران. ضغط بدقته على زر التحكُّم الموجود في البدلة من أجل حقن نفسه بجرعة هائلة من مضادات الغثيان التي بدأت تسري فورًا في مجرى دمه.

لم يمنح هولدن نفسه مزيدًا من الوقت للتفكير في الأمر، بل أمسك مباشرةً بالمقابض المُثبّتة في الأرض، وسحب نفسه إلى الباب الداخلي للغرفة. رأى أموس يملأ دلوًا بلاستيكيًّا بالأدوات والمُستلزمات التي أخرجها من الأدراج والخزائن.

قال هولدن: "ناعومي، سنُلقي نظرةً خاطفةً على السطح الهندسي. هل لدينا أيّ كاميرات تعمل هناك؟"

نخرت ناعومي بشكلٍ يُنبئ بالامتعاض، ففهم هولدن أن نخيرها جوابٌ بالنفي على سؤاله. ثم قالت: "كان لدينا أنظمة مراقبة مختصرة في جميع أنحاء المركبة. إما أن هذه الأنظمة قد تدمَّرت، أو أن التيار الكهربائي انقطع عن دائرة الكاميرات".

سحب هولدن نفسه إلى فتحة الضغط المُثبَّتة على سطح المركبة، والتي فصلت الورشة الميكانيكية عن السطح الهندسي. أومض ضوء الفتحة باللون الأحمر الناري.

"اللعنة، كنت خائفًا من ذلك".

سألت ناعومي: "ماذا هنالك؟"

"ليس لديكِ قراءات بيئية أيضًا، أليس كذلك؟"

أجابت ناعومي: "ليس هناك أيّ قراءات للسطح الهندسي، هذا كل شيء".

تنهَّد هولدن، ثم قال بحسرة: "تخبرنا الفتحة أن الجانب الآخر منزوع الضغط. يبدو أن هذه الشحنة الخارقة أحدَثت ثقبًا في الحاجز، ومن ثَمَّ أصبح السطح الهندسي في الفراغ".

قال أليكس: "آه، نظام التعليق في الفراغ أيضًا".

أضافت ناعومي: "باب غرفة التحرير مكسور، وكذلك غرفة معادلة الضغط الخاصة به".

قال أموس بشخير غاضب. "على الواحد منا أن يُصلب فداءً للآخرين. يجب علينا أولًا أن نجعل المركبة الملعونة تتوقّف عن الدوران في الفراغ. سأذهب للخارج وأُلقي نظرة عليها".

قال هولدن: "أموس مُحق"، وابتعد عن الفتحة، ثم نهض على قدميه. تعثَّر في حاجز شديد الانحدار بالأسفل حتى بلغ لوحة الوصول حيث كان أموس ينتظره، والدلو في يده. "فلنبدأ بالأهم ثم المُهم".

بينما كان أموس يستخدم مفتاح عزم الدوران لفك لوحة الوصول، قال هولدن: "في الواقع يا ناعومي، لقد أدى ذلك إلى خفض ضغط الورشة الميكانيكية أيضًا. من الطبيعي ألا يكون هناك ضغط جوي أسفل سطح المركبة الرابع؛ لذا اجتازي فحوصات الأمان حتى نتمكَّن من فتح فتحة السطح الهندسي إذا لزم الأمر ذلك".

قام أموس بفك المزلاج الأخير، وإزالة اللوحة من الحاجز، لتظهر في الخلف مساحة مظلمة وضيقة مليئة بتشابك مُعقَّد من الكابلات والأنابيب.

أضاف هولدن: "أوه، علينا أن نستعد لطلب الإغاثة إذا لم نتمكَّن من إصلاح هذا".

قال أموس هازئًا: "نعم؛ سنفعل ذلك؛ لأن لدينا الكثير من الناس الذين يتأهَّبون حقًّا لمساعدتنا على النجاة".

دفع أموس بنفسه إلى الممر الضيق بني الهيكلين ثم اختفى بعيدًا عن الأنظار، تبعه هولدن إلى الداخل، وخلف الفتحة بمترين تلوح في الأفق المضخة الآلية المتكتلة ذات الشكل المُعقَّد التي تحافظ على ضغط الماء في مُحرِّكات الدفع المُناوِرة. توقَّف أموس بالقرب منه، وبدأ في تفكيك الأجزاء. انتظر هولدن في الخلف، ومنعه ضيق المساحة من رؤية ما يفعله الميكانيكي الضخم.

"كيف يبدو الوضع؟" تساءل هولدن بعد بضع دقائق من الاستماع إلى اللعنات التي يُتمتم بها الميكانيكي في أثناء عمله

أجاب أموس. "يبدو الوضع على ما يُرام. سأقوم بتغيير قاطع الدائرة الكهربائية على أيّ حال هذا من باب الاحتياط فقط. ولكني لا أعتقد أن المشكلة تكمن في المضخة أصلًا".

"سُحقًا".

تراجع هولدن عن فتحة الصيانة، وزحف بنصفه على المنحدر الحاد للحاجز عائدًا إلى فتحة السطح الهندسي. تغيَّر الآن اللون الأحمر الناري إلى اللون الأصفر الكئيب حيث لم يكن هناك ضغط جوي على جانبي الفتحة.

قال هولدن: "ناعومي، يجب أن أدخل إلى السطح الهندسي. أريد أن أعرف ما حدث هناك بالضبط. هل قمتِ بتعطيل احتياطات الأمان؟"

"نعم، لكن ليس لدي أجهزة استشعار هناك، قد تكون الغرفة مغمورة بالإشعاع."...

قاطعها: "ولكن لديك أجهزة استشعار هنا في الورشة الميكانيكية، أليس كذلك؟ إذا فتحتُ الفتحة، وتلقّيتِ تحذيرات إشعاعية، أخبريني فقط، سأغلق الفتحة على الفور".

ردَّت ناعومي: "جيم!"، وتلاشت حدة صوتها التي حدَّثته بها طوال اليوم. "كم مرة تعتقد أنه يمكنك التعرُّض للإشعاع القاتل دون أن يقضي عليك؟"

أجابها: "مرة أخرى على الأقل؟"

قالت بلا مزاح: "سأطلب من طاقم (روسي) تجهيز سرير في عنبر المرضى".

"فلتحصلي على واحدٍ من تلك التي لا تبعث برسائل خاطئة".

دون أن يعطي نفسه وقتًا لإعادة التفكير في الأمر، رفع هولدن المزلاج عن فتحة سطح المركبة. حبس أنفاسه أثناء الفتح متوقعًا أن يرى الفوضى والدمار على الجانب الآخر، يليه إنذار الإشعاع في بدلته. لكن بدلًا من ذلك بدت الأوضاع جيدة من حوله بخلاف وجود ثقب صغير في الحاجز الأقرب لوقوع الانفجار.

دفع هولدن بنفسه عبر الفتحة، وبقي مُعلَّقًا من ذراعيه لبضع لحظات في أثناء تفقُّده الغرفة. بدا مفاعل الانشطار الضخم المُسيْطر على وسط المقصورة سليمًا، بينما انحنى الحاجز الأيمن بشكلٍ عشوائي مع بروز ثقب مُتفحِّم في وسطه كما لو أن بركانًا مُصغَّرًا قد تشكَّل هناك. ارتجف هولدن عندما فكر في مقدار الطاقة التي تم إنفاقها لثني مثل هذا الحاجز المُدرَّع المحمي من الإشعاع، ومدى اقترابه من إحداث ثقب في المفاعل، كم يبلغ معدل استهلاك الطاقة بوحدة الجول المعيارية للانتقال من اعوجاج الحائط إلى إحداث احتراق كامل؟

قال هولدن بصوتٍ عالٍ دون أن يُحدِّد كلامه لأحدٍ على وجه الخصوص. "يا إلهي، لقد كان هذا قريبًا".

وعلى الجانب الآخر قال أموس: "لقد غيّرت كل أجزاء المضخة التي خطرت على بالي، والآن أجزم أن المشكلة في مكانٍ آخر".

أطلق هولدن نفسه من حافة الفتحة، وأسقط الجزء السفلي منه على الحاجز المنحدر أدناه، ثم انزلق إلى السطح. كان الضرر الوحيد المرئي عبارة عن قطعة كبيرة من الصفائح المُدرَّعة للحاجز المُثبّتة في الحائط بالضبط على الجانب الآخر من المفاعل. لم يستطع هولدن أن يرى بأيّ شكلٍ من الأشكال أن الشظية قد وصلت إلى هذا الحد دون المرور مباشرةً عبر المفاعل، أو الارتداد عن الحاجزين المُحيطين بها. ليس هناك ما يُشير إلى وقوع الاحتمال الأول؛ لذا فإن الاحتمال الثاني بالرغم من أنه مستبعد بشكلٍ لا يُصدق، فإنه يجب أن يكون ما حدث بالفعل.

قال وهو يلامس الشظية المعدنية المُسنَّنة: "أعني أنه كان قريبًا جدًّا"، لقد غُرِست في الحائط على مسافة تصل إلى خمسة عشر سنتيمترًا. إنها مسافة كبيرة بما يكفي لاختراق درع المفاعل على الأقل أو ربما ما هو أسوأ من ذلك.

قالت ناعومي: "أمسك بالكاميرا الخاصة بك"، وبعد لحظة أطلقت صفيرًا، واستطردت: "لا تمزح. الحوائط هناك بها الكثير من الكابلات، من المستحيل إحداث ثقب بهذا الحجم دون كسر شيءٍ ما".

حاول هولدن سحب الشظية من الحائط بيديه لكن دون جدوى. "يا أموس، أحضر بعض الكماشات، والكثير من أسلاك التوصيل".

قالت ناعومي: "إذن، لن يكون إرسال نداء استغاثة أمرًا ضروريًّا".

أجاب: "بل لكن سيكون رائعًا أن يتمكّن شخصٌ ما من توجيه الكاميرا للخلف، ويُطمئني أنه على الرغم من كل هذه المشاكل التي حلت بنا، فإننا قد قتلنا ذلك الشيء اللعين".

ردَّ أليكس: "لقد رأيت ذلك بأم عيني أيها القبطان، لقد تحوَّل هذا الوحش اللعين إلى غبار الآن".

***

استلقى هولدن على أحد أسِرّة عنبر المرضى، وترك المركبة تفحص ساقه. دأب الطبيب الآلي على وخز ركبته، التي انتفخت حتى صارت في حجم الشمام، واشتد جلده بقوة مثل رأس الطبلة، ولكن لأن السرير كان مطوّرًا لعلاجه بشكلٍ مثالي، فقد تعامل مع الوخز والنتوءات العرضية فقط كضغط، فلم يشعر بأيّ ألم.

نبّهت عليه وحدة التحكُّم المجاورة لرأسه أن يبقى ساكنًا. أمسكت ذراعا الطبيب الآلي بساق هولدن، بينما قام ذراعه الثالث بحقن أنبوب مرن رفيع بسُمك الدبوس في ركبته، وبدأت عملية إجراء تنظير المفصل، عندها تأفَّف هولدن قليلًا.

استلقى براكس في السرير التالي، وقد تم تضميد رأسه عبر لصق قطعة من الجلد يبلغ طولها ثلاثة سنتيمترات. كانت عيناه مُغمضتين. بينما اتضح أن أموس لا يعاني من ارتجاجٍ في المخ، وكل ما أصابه لا يتجاوز مجرد نتوء مؤلم على رأسه، لذلك كان يقوم ببعض الإصلاحات المؤقتة لكل ما تضرَّر في الطوابق السفلية من قنبلة الوحش، بما في ذلك وضع ختم مؤقت على الفتحة الموجودة في الحاجز الهندسي. بالطبع لن يكونوا قادرين على إصلاح باب غرفة التخزين حتى يرسوا في تايكو؛ لذا طار بهم أليكس بمعدل تسارع ¼ (ج)؛ لتسهيل عملية السفر دون حدوث عواقب وخيمة.

لم يمانع هولدن في استغراق وقت أطول للوصول إلى وجهتهم. الحقيقة أنه لم يكن في عجلة من أمره للعودة إلى تايكو ومواجهة فريد بشأن ما رآه، فكلما تدبَّر الأمر، تخلَّى عن رأيه الأعمى الذي كان ناتجًا عن فزعه، وتبيَّن له صحة رأي ناعومي. ليس منطقيًّا أن يكون فريد وراء كل هذا.

لكنه لم يتأكَّد بعد، وكان عليه أن يتأكَّد.

تمتم براكس بشيءٍ ما ولمس رأسه، بدأ في شد الضمادات.

قال هولدن: "لا تلمسها".

أومأ براكس، وأغلق عينيه مرة أخرى؛ لينام أو ليحاول النوم. قام الطبيب الآلي بسحب الأنبوب من ساق هولدن ورشه بالمُطهِّر، وبدأ يلفه بضمادة مُحكمة. انتظر هولدن حتى يفرغ الطبيب الآلي من جميع ما يفعله بركبته، ثم استدار جانبًا على السرير، وحاول النهوض. حتى عند معدل تسارع ¼ (ج) لن تسعفه ساقه على المشي؛ لذلك قفز على قدمٍ واحدة، وأخرج عكازًا من خزانة الإمدادات الطبية

في أثناء مروره على سرير عالم النبات، أمسك براكس بذراعه بقوة فاجأته

"هل مات؟"

أجاب هولدن، وهو يربّت على يده. "نعم، تخلّصنا منه، شكرًا لك".

لم يرد براكس، فقد تدحرج على جانبه، واهتز. استغرق الأمر من هولدن بضع لحظات حتى أدرك أن براكس يبكي. لقد أعطاه طهره دون أن يُعقِّب بكلمة واحدة. وماذا عساه أن يقول بعدما علم بهذا النبأ العظيم؟

استخدام هولدن السلالم الآلية عازمًا على الذهاب إلى طابق العمليات؛ للاطلاع على تقارير الأضرار التفصيلية التي بدأت ناعومي وطاقم المركبة في جمعها. توقَّف عند وصوله إلى سطح المركبة؛ حيث سمع شخصين يتحدَّثان، لم يتبيَّن ما يقولانه بالضبط، لكنه استطاع تمييز صوت ناعومي، واستطاع أيضًا تمييز النبرة التي تتحدَّث بها، إنها النبرة نفسها التي تستخدمها دائمًا عندما تُجري محادثة حميمة.

جاءت الأصوات من المطبخ. شعر هولدن في هذه اللحظة أنه مُتلصِّص يسترق السمع. اقترب من فتحة المطبخ حتى تمكَّن من تبيُّن الحوار الدائر.

كانت ناعومي تقول: "ليس هذا فقط"، كاد هولدن أن يدخل المطبخ، لكن شيئًا ما في نبرتها منعه من الإقدام على ذلك. خالجه شعورٌ فظيع بأنها تتحدَّث عنه، عن علاقتهما، عن سبب مغادرتها.

قال الشخص الآخر: "لماذا تفكرين في ذلك كثيرًا؟". إنه أموس.

أجابت نعومي: "كدت أن تضرب رجلًا حتى الموت بعلبة دجاج في غانيميد".

ردَّ أموس: "وهل تقبلين أن تبقى طفلة صغيرة أسيرة بسبب بعض الطعام؟ تبًّا له، لو كان هذا الوغد أمامي هنا الآن، لكنت سأحطِّمه مرة أخرى".

تساءلت: "هل تثق بي يا أموس؟"، وبدا صوتها حزينًا، بل أكثر من ذلك، بدا صوتها مرتجفًا.

أجاب: "بالطبع، أثق بكِ أكثر من أيّ شخص آخر".

قالت ناعومي: "في الحقيقة أنا أشعر بالرعب، يندفع جيم للقيام بشيء غبي جدًّا على تايكو. هذا الرجل يبدو وكأنه على وشك الانهيار العصبي.

"حسنًا، إيه." ..

واصلت ناعومي حديثها: "وأنت يا أموس، أنا أعتمد عليك، أعلم أنك تساندني دائمًا بغض النظر عن أيّ شيء. ولكن ربما ليس بعد الآن. لأن أموس الذي أعرفه لا يضرب طفلًا بحيمًا حتى الموت مهما كانت كمية الدجاج التي يطلبها. أشعر أن الجميع يفقدون أنفسهم وعقولهم. أريد أن أفهم فعلًا ما يجري؛ لأنني أشعر بالرعب حقًّا".

شعر هولدن بحاجته المُلِحة إلى اقتحام هذا الحوار الدائر، والأخذ بيدها، واحتضانها شعر بأن هذا ما تبحث عنه بنبرة صوتها التي تتحدَّث بها الآن. لكنه أحجم عن ذلك. ساد الصمت لبعض الوقت. سمع هولدن صوت قعقعة تبعه صوت خشخشة المعدن على الزجاج. هذا أحدهما يُقلِّب السكر في فنجان القهوة. بدت الأصوات واضحة لدرجة أنه كاد يرى ذلك بمجرد سماع الصوت.

قال أموس بصوتٍ خافتٍ كما لو كان يتحدَّث عن الطقس: "سأخبركِ عن بالتيمور، إنها ليست مدينة لطيفة. هل سمعتِ عن الضغط؟ تجارة الضغط؟ عاهرات الضغط اللاتي يُلقبْنَ بالأرانب؟"

"هل هذا يتعلق بالمخدرات؟"

أجاب أموس ضاحكًا: "كلا، كلا، سأشرح لكِ: بسبب التفسُّخ الاجتماعي واشتداد وطأة الضائقة المادية. يضغط القوادون على الفتيات للنزول إلى الشارع حتى يضاجعهن المُتشرِّدون في شوارع بالتيمور. بعدما تحبل الفتاة يعرضها القواد على الزبائن المهووسين بالفتيات الحوامل، وبعد أن تضع العاهرة طفلها غير الشرعي، تُلقي به لقيطًا في الشوارع، ومن ثم يضغط عليها القوادون للنزول إلى الشارع مرة أخرى. ونظرًا لوجود قيود على الإنجاب، أصبحت ممارسة الجنس مع الفتيات الحوامل حلًّا مُلتويًا يلجأ له الكثيرون".

"أرانب؟"

"نعم، كما تعلمين، لُقِّبت هؤلاء العاهرات بهذا الاسم؛ لأنهن يتوالدن مثل الأرانب. ألم تسمعي عن ذلك مطلقًا؟"

قالت ناعومي، وهي تحاول إخفاء اشمئزازها: "حسنًا، سمعت منذ الآن، وهؤلاء الأطفال؟"

"الأطفال؟ إنهم غير شرعيين، لكنهم لا يموتون جميعًا، على الأقل ليس على الفور، لأن لهم استخدامات أيضًا".

شعر هولدن أن صدره يضيق، لم يخطر ذلك بباله من قبل. عندما تحدّثت ناعومي بعد ثانية، كانت صدمتها صدًى لما يشعر به.

"يا إلهي!"

ردَّ أموس: "ليس لإلهك علاقة بهذا الأمر، لا إله في تجارة الضغط. لكن ينتهي الأمر ببعض الأطفال إلى الانضمام إلى عصابات القوادين، وينتهي الأمر بآخرين إلى التشرُّد في الشوارع."...

سألت ناعومي بصوتٍ خافت: "ينتهي الأمر ببعضهم لإيجاد طريقة للصعود على متن مركبة، والشحن للعالم الخارجي، ولا يعودون إلى وطنهم أبدًا".

أجاب أموس: "ربما"، ثم قال بنبرة حوارية أكثر من أيّ وقتٍ مضى: "ربما يفعل البعض، لكن معظمهم... يختفون للأبد.. معظمهم يهلكون".

خيَّم الصمت لبعض الوقت. سمع هولدن صوت ارتشاف القهوة.

قالت ناعومي بصوتٍ أجش: "أموس، أنا لم."...

قاطعها قائلًا: "لذلك، أود العثور على هذه الفتاة الصغيرة قبل أن يستغلها شخصٌ ما في أعمال الدعارة فتهلك مثلما يهلك الكثيرون في عمرها. أود أن أفعل ذلك"، تكسَّر صوته للحظة، ثم استعاد رباطة جأشه بعد أن تنحنح، وأردف: "أود أن أُعيدها لأبيها".

اعتقد هولدن أنهما انتهيا، وبدأ يغادر عندما سمع صوت أموس هادئًا مرة أخرى، وهو يقول: "وبعد ذلك سأقتل كل من اشترك في خطفها".

الفصل الثلاثون

بوبي

قبل التحاقها بالعمل لدى أفاسارالا في الأمم المتحدة، لم تكن بوبي تعرف شيئًا عن مؤسسة ماو كويكوفسكي التجارية، ولا حتى تذكر أنها سمعت هذا الاسم من قبل. لقد أنفقت حياتها كلها تأكل وتشرب وترتدي المنتجات التي تتناقل عبر النظام الشمسي بواسطة مركبات الشحن الخاصة بمؤسسة ماو كويك دون أن تدرك ذلك. بعد أن راجعت الملفات التي قدمتها لها أفاسارالا، ذُهلت من حجم المؤسسة ومدى اتساع نطاقها؛ إنها تضم مئات المركبات، وعشرات المحطات، وملايين الموظَّفين والعاملين. إن هذا الرجل الذي يُسمَّى بـ جول بيير ماو يمتلك قدرًا هائلًا من الممتلكات والثروات على كل قمر أو كوكب صالح للسُّكنى في النظام الشمسي.

كانت ابنته البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا تمتلك مركبة السباق الخاصة بها بالرغم من أنها الابنة التي نغَّصت عليه حياته.

لم تستطع بوبي أن تتخيَّل حجم الثراء الفاحش الذي يجعل شخصًا ما يمتلك مركبة فضاء لمجرد التنافس في السباقات. ربما كانت تلك الفتاة نفسها قد هربت من عالم الثراء الفاحش هذا لتكون واحدةً من متمرِّدي (أوبا) مما يُعبِّر عن عدم وجود تلازم بين المال والسعادة، لكن بوبي سئمت من محاولة فلسفة الأشياء.

لقد تربَّت بوبي تربية صارمة في أسرة من الطبقة الوسطى المريخية، حيث عمل والدها لمدة عشرين عامًا في مشاة البحرية، ثم انتقل إلى العمل في الاستشارات الأمنية الخاصة بعدما ترك الفيلق. لطالما امتلكت عائلة بوبي منزلًا لطيفًا، كانت هي وشقيقاها الأكبر منها سنًّا قد التحقوا بمدرسة ابتدائية خاصة، ثم التحق شقيقاها بالجامعة دون الاضطرار إلى طلب قروض طلابية. كبرت بوبي دون أن تنظر لنفسها باعتبارها فقيرة ولو لمرة واحدة، ولكنها شعرت في هذه اللحظة بالفقر.

إن امتلاك تلك الفتاة مركبة سباق خاصة بها ليس مجرد تعبير عن الثراء، بل يمتد إلى أكثر من ذلك، إنه يشبه الانتواع[1]، لقد كان نوعًا من التفاخر الواضح الذي يليق بملوك الأرض القدامى، مركبة السباق هذه مثل هرم من أهرامات الفراعنة ولكنه هرم مُزوَّد بمُحرِّك دفع للسفر في الفضاء. كانت بوبي تعتقد أنها لن تعاين سفهًا مثيرًا للسخرية إلى مثل هذا الحد أبدًا.

ثم بعد ذلك، غادرت مكوك الرحلة القصيرة، ووصلت إلى محطة جول بيير ماو عند نقطة لاغرانج الخامسة. لم يُوقِف جول مركباته في مدار محطة فضائية عامة، ولم يستخدم حتى محطة مؤسسته ماو كويث، ولكنه كان يمتلك محطة فضائية متكاملة تعمل بكامل طاقتها في مدار حول الأرض، وقد خُصِّصت هذه المحطة لمركباته الفضائية الخاصة فقط. كان كل شيء حولها أنيقًا مثل ريش الطاووس، رأت بوبي مستوى من التبذير والإسراف لم يخطر ببالها قط.

وكما اعتقدت بوبي تمامًا، جعلت كل تلك الخيلاء هذا الرجل الذي يُسمَّى ماو شخصًا خطيرًا للغاية، كانت كل أفاعيله تعبيرًا عن تحرُّره من القيود، وتأكيدًا على أنه بلا حدود. قد يكون اغتيال سياسية مخضرمة مثل أفاسارالا لها شأنها في حكومة الأمم المتحدة خطئًا جللًا له تداعياته الخطيرة، ويمكن أن يُكلِّفه ثمنًا باهظًا، ولكن رجلًا مثل ماو يتمتَّع بهذا القدر من الثروة والقوة لن يحفل بتلك المخاطرة على الإطلاق.

لا تدرك أفاسارالا ذلك.

قالت أفاسارالا وهي تحتسي كوبًا من الشاي المدخَّن: "لشدّ ما أكره الجاذبية الدورانية"، ولم يمضِ على وجودهم في المحطة سوى ثلاث ساعات فقط، وقد نُقِلت أغراضهم الشخصية من المكوك إلى يخت ماو، كما تم تخصيص جناح لكليهما مكوَّن من أربع غرف نوم بالحجم الكامل، وزُوِّدت الغرف بحمامات خاصة، مع وجود صالة كبيرة للجناح، كما ظهرت شاشة ضخمة كنافذة كبيرة تستعرض هلالًا أرضيًّا ومن ورائه سُحب مُعتمة تحجب القارات بأكملها، بالإضافة إلى امتلاك مطبخ خاص يعمل به

---

[1] الانتواع: عملية تطورية تظهر بواسطتها أنواع جديدة من المخلوقات الحية. كان الأحيائي أوراتور فولر كوك هو أول من ابتكر هذا المصطلح للدلالة على تشعب السلالات أو "التفرع الحيوي".

ثلاثة أشخاص تتمثّل مهمتهم الكبرى حتى الآن في تحضير الشاي لمساعدة وكيل الأمين العام للأمم المتحدة، لذا فكرت بوبي في أن تطلب منهم إعداد وجبة كبيرة لها حتى ينشغلوا بشيءٍ يقومون به بدلًا من بطالتهم المُقنَّعة.

- "لا أكاد أصدق أننا على وشك الصعود على متن مركبة يملكها هذا الرجل. هل سبق لكِ أن سمعتِ عن شخصٍ بهذا الثراء يُزج به في السجن؟ أو حتى يُحاكم محاكمة عادلة؟ ربما يمكن لهذا الرجل أن يتماشى هنا ويُطلِق على رأسكِ النار في بثٍّ مذاعٍ على الهواء مباشرةً، ويفلت من العقاب في النهاية".

ضحكت أفاسارالا من قولها بينما قمعت بوبي موجة الغضب المُشتعلة في صدرها، ربما كان ذلك من باب إخفاء خوفها.

قالت أفاسارالا: "هذه ليست قواعد اللعبة. القاعدة تقول: لا تُطلق النار على خصومك، ولكن همّشهم. بالتأكيد، هذا أسوأ".

ردَّت بوبي: "لا، ليس الأمر كذلك، لقد رأيت أناسًا يُطلقون النار، رأيت أصدقائي يُطلقون النار. عندما تقولين: "هذه ليست قواعد اللعبة"، فأنتِ تقصدين قواعد اللعبة بالنسبة لأشخاصٍ مثلك، وليس مثلي أنا".

أصبحت تعبيرات أفاسارالا أكثر برودًا.

قالت المرأة العجوز: "نعم، هذا ما أعنيه، هذا المستوى الذي نلعب فيه له قواعد مختلفة، إن لعبتنا تشبه لعبة (الغو) الآسيوية، الأمر كله يتعلق بكيفية التأثير على خصمك، وإجباره على تحريك الأحجار في نطاق مُحدّد، أن تسيطر على لوحة اللعب دون أن تحتلها.

ردَّت بوبي: "البوكر هي لعبة شهيرة أيضًا، لكن في بعض الأحيان يرتفع الرهان بين اللاعبين لدرجة تدفع أحدهما إلى اتخاذ قرار بأنه من الأسهل عليه قتل اللاعب الآخر، والهرب بالمال، غالبًا ما يحدث ذلك".

أومأت لها أفاسارالا برأسها، ولم ترد على الفور، تدبَّرت فيما قالته بوبي للتو، شعرت بوبي بانقلاب غضبها إلى موجة مفاجئة من المودة نحو هذه السيدة العجوز المتغطرسة حادة الطباع.

قالت أفاسارالا، وهي تضع كوب الشاي جانبًا، وتمرر يدها على فخذها، "حسنًا، سوف آخذ بعين الاعتبار ما قلته للتو أيتها الرقيبة. أعتقد أنه من غير المُرجّح حدوث ذلك، ولكنني سعيدة حقًّا لأنك هنا معي، وتخبريني برأيكِ هذا".

"لكنكِ لا تأخذين الأمر على محمل الجد"، أرادت بوبي أن تصرخ في وجهها بهذه العبارة، ولكن بدلًا من ذلك، استدعت الخادم الذي يحوم بالقرب منهما، وطلبت منه أن يُحضِر لها شطيرة فطر وبصل.

بينما كانت تأكل الشطيرة، ارتشفت أفاسارالا الشاي، وقضمت قطعة بسكويت، وتمتمت بكلامٍ تافهٍ مُقتضب عن الحرب وأحفادها، حاولت بوبي أن ترد عليها بهمهمات قلقة أثناء الجزء الذي تتحدَّث فيه عن الحرب، وأن ترد بهمهمات لطيفة أثناء الجزء الذي تتحدَّث فيه العجوز عن أحفادها الصغار، لكن كان كل ما يشغل بالها، باعتبارها جندية بحرية، هو ذلك الكابوس التكتيكي الذي يتمثل في حماية أفاسارالا أثناء وجودها في مركبة فضائية يُسيطر عليها العدو.

رأت بدلتها المُدرَّعة في صندوق كبير يحمل ملصق "زي رسمي"، ويتم تحميلها بالفعل على يخت ماو أثناء انتظارهم في المحطة. أرادت بوبي التسلُّل لوضع البدلة في غرفتها الخاصة. لم تلاحظ أن أفاسارالا توقَّفت عن الكلام لعدة دقائق.

قالت أفاسارالا بوجه عابسٍ قليلًا: "بوبي! هل مللتِ من قصصي عن أحفادي الأحباء؟"

أجابت بوبي: "بصراحة.. نعم".

***

اعتقدت بوبي أن محطة ماو كانت أكثر مظهر سفيه من بين كل مظاهر الثروة التي رأتها في حياتها حتى صعدت على متن اليخت.

بالرعم من الإنفاق سدح على هده المحطة، فإنها كانت تؤدي وطيفة على الأقل، حيث إنها المراب المداري الشخصي لحول ماو، حيث يمكنه تحرين وترويد أسطوله من المركبات الفضائية الخاصة تحت الواجهة، كانت هناك محطة عمل يعمل بها الميكانيكيون وموظفو الدعم الفني الدين يقومون بالفعل بوظائف حقيقية

هدا هو يخت (عوانشين)، وهدا الاسم معناه: الشخص الدي يدرك أصوات العالم كما أنه يرمز إلى الملك المتعالي أفالوكيتسافارا الذي يُجسد الشفقة لجميع الوديين، كان هذا اليخت بحجم وسيلة نقل رخيصة قادرة على حمل مائتي راكب، ولكن ما يميِّزه أنه يحتوي على دزينة من الغرف الفاخرة، تميَّزت مساحة التخزين المتاحة في اليخت باتساعها لجميع الإمدادات اللازمة لرحلة طويلة. لم يكن اليخت سريعًا على الإطلاق؛ الأمر الذي يمثل إخفاقًا ذريعًا لمركبة فضائية فارهة مثل هذا اليخت. لكن وظيفة (غوانشين) لا تتمثَّل في الركض في الفضاء بأقصى سرعة، وإنما كانت وظيفته أن يكون مريحًا، مريحًا لأقصى حدٍّ ممكن.

بدا وكأنه ردهة فندق، حيث احتوى على سجاجيد قطيفة ناعمة، وثُريات كريستالية تعكس الأضواء حتى تم تقريب كل الأشياء التي تشتمل على زوايا حادة حتى باتت لينة. بينما غُطت الجدران بالخيزران والألياف الطبيعية. أول شيء فكرت فيه بوبي هو مدى صعوبة عمليات التنظيف، ثم قالت لنفسها أن هذه الصعوبة مقصودة.

احتل كل جناح من الغرف ما يقرب من سطح المركبة بالكامل، بينما اشتملت كل غرفة على حمام خاص بها، ومركز وسائط إعلامية، وغرفة ألعاب، وصالة مزوَّدة ببار كبير. احتوت الصالة على شاشة عملاقة تعرض المنظر الخارجي، ولم يكن هذا المنظر المعروض أعلى دقة لو كانت الشاشة عبارة عن نافذة زجاجية حقيقية. بالقرب من البار، يوجد هناك مصعد طعام بجانبه جهاز اتصال داخلي، يمكن من خلاله طلب الطعام الذي أعدّه أمهر الطهاة في أيّ ساعة من الليل أو النهار.

نظرًا لسُمك طبقة السجادة، أيقنت بوبي أن الأحذية المُمغنطة لن تعمل على هذا السطح السميك، لكن لا يهم، من المُؤكَّد أن مثل هذه المركبة لن تتعطّل، ولن تضطر أبدًا

إلى إيقاف المُحرِّكات أثناء رحلة الطيران. ربما لم يحتج هذا النوع من الركاب الذين يُسافرون على متن (عواشين) إلى ارتداء بدلاتهم الفضائية قط.

وجدت جميع التجهيزات في حمامها مُرصّعةً بالذهب.

جلست بوبي وأفاسارالا في الصالة مع رئيس الطاقم الأمني التابع للأمم المتحدة، وهو رجل جذاب ذو شعرٍ رمادي من أصلٍ كُردي يُدعى كوتيار. اختلج بوبي القلق عندما قابلته لأول مرة، بدا وكأنه مدرس ثانوي ودود وليس جنديًّا، ولكنها عندما شاهدته وهو يتجوَّل في مقر أفاسارالا بكفاءة تمرَّن عليها كثيرًا، ورأته وهو يضع الخطط الأمنية ويوجِّه فريقه، زال عنها القلق.

"حسنًا، ما انطباعاتك؟" سألت أفاسارالا، وهي تغمض عينيها وتنحني إلى الخلف على كرسي فاخر.

أجاب كوتيار: "هذه الغرفة ليست آمنة". بدت اللهجة مُستنكرة بالنسبة لبوبي. تابع: "ما يجب أن نناقش مثل هذه الأمور الحساسة هنا، تم تأمين غرفتك الخاصة لإجراء مثل هذه المحادثات".

قالت بوبي: "هذا فخ".

ردَّت أفاسارالا: "ألم ننتهِ من مناقشة هذا الهراء بعد؟"، ثم انحنت إلى الأمام لتُحملق في وجه بوبي بغضب.

قال كوتيار بهدوء: "إنها محقة، يا سيدتي"، وبدا من الواضح أنه متردِّد قليلًا بشأن مناقشة مثل هذه الأمور في غرفة غير آمنة، ولكنه استأنف: "لقد أحصيت أربعة عشر من أفراد الطاقم على هذه المركبة بالفعل، وأعتقد أن هذا أقل من ثلث إجمالي طاقة هذه المركبة، لدي فريق من ستة لحمايتك...".

قاطعته بوبي: "سبعة"، وهي ترفع يدها.

وافقها كوتيار بإيماءة: "نعم، هذا صحيح، لدينا فريق من سبعة، ولكننا لا نتحكَّم في أيٍّ من أنظمة المركبة، لذا سيكون اغتيالنا أمرًا سهلًا مثل إغلاق السطح الذي نوجد فيه، وإزالة الضغط عنه".

أشارت بوبي إلى كوتيار، وقالت. "أرأيت؟"

لوّحت أفاسارالا بيدها كما لو كانت تُبعد عنها الذباب. تساءلت: "كيف تبدو أجهزة الاتصالات؟"

أجاب كوتيار: "نشطة وقوية، لقد أنشأنا شبكة خاصة، وتم تزويدنا بنظام رسائل الليزر الاحتياطية، بالإضافة إلى جهاز لاسلكي لاستخدامك الشخصي كما أن عرض النطاق الترددي مناسب تمامًا، على الرغم من أن تأخُّر الضوء سيتزايد كلما ابتعدنا عن الأرض".

قالت أفاسارالا: "جيد جدًّا"، وابتسمت لأول مرة منذ صعودهم على متن اليخت. لم يعد يظهر عليها الشعور بالتعب الآن، يبدو أن التعب عندما يستمر لوقتٍ طويل يتآلف معه الجسم، ويُصبح أسلوب حياة.

قال كوتيار: "لا شيء هنا آمن، يمكننا تأمين شبكتنا الداخلية الخاصة، ولكن إذا كانوا يراقبون حركة المرور الصادرة والواردة من خلال المصفوفة التي نستخدمها، فلن تكون هناك طريقة لاكتشاف ذلك. ليس لدينا إمكانية الوصول إلى أجهزة التحكُّم الموجودة في اليخت".

ردّت أفاسارالا: "وهذا هو سبب إحضاري إلى هنا بالضبط. يريدون حبسي في فقاعة، وإرسالي إلى مكانٍ بعيد في رحلةٍ طويلة، فضلًا عن الاطلاع على كل رسائلي اللعينة".

قالت بوبي: "سنكون سعداء الحظ إذا اكتفوا بهذا فقط، ولم يفعلوا ما هو أسوأ من ذلك"، عندما رأت أفاسارالا وقد برّح بها التعب، تذكَّرت كم هي متعبة أيضًا. شعرت للحظة أن عقلها يشرد بعيدًا.

انتهت أفاسارالا من قول شيءٍ ما، وأومأ لها كوتيار ثم قال. "نعم"، التفتت السيدة العجوز إلى بوبي، وقالت: "هل توافقين؟"

أجابت بوبي. "امم"، حاولت استرجاع المحادثة ولكنها أخفقت. "أنا...".

"أنت على وشك الإغماء، والسقوط من هذا الكرسي اللعين، منذ متى وأنتِ لم تنامي ليلةً كاملة؟"

قالت بوبي: "ربما مثلك تمامًا". وحدّثت نفسها: "بل من آخر مرة كانت فصيلتي في البحرية على قيد الحياة، عندما لم تكوني تحاولين الحفاظ على النظام الشمسي من الانهيار". استعدت بوبي للتعليق اللاذع التالي، انتظرت الملاحظة الأخرى التي مفادها أنها لا تستطيع أداء المهام المطلوبة منها إذا تعرَّضت للخطر، وهي في مثل هذه الحالة المزرية؛ لأنها هكذا تبدو ضعيفة جدًّا.

لكن أفاسارالا قالت: "هذا صحيح تمامًا"، شعرت بوبي بطفرة أخرى من المودة نحو هذه السيدة العجوز. ثم تابعت: "أعدَّ لنا ماو مأدبة عشاء كبيرة الليلة للترحيب بقدومنا على متن مركبته، أريدك أن تأتي أنتِ وكوتيار معي. سيكون كوتيار حارسي الشخصي؛ لذا سيقف في مؤخرة الغرفة من أجل حمايتنا، ولرصد أيّ تهديد محتمل قد يُداهمنا.

ضحكت بوبي بشدة قبل أن تغالب ضحكها، ابتسم كوتيار وغمز لها.

استطردت أفاسارالا: "ستأتين معي إلى هناك باعتبارك سكرتيرتي الاجتماعية؛ لتتمكَّني من الدردشة مع الناس. حاولي أن تتعرَّفي على الطاقم، والأجواء العامة على متن المركبة، مفهوم؟"

أجابت بوبي: "مفهوم، يا سيدتي".

قالت أفاسارالا: "لقد لاحظت..."، وتغيَّرت نبرتها إلى تلك النبرة التي تستخدمها عندما تطلب منها خدمة مزعجة: "لقد لاحظت أن المسؤول التنفيذي يُحدِّق فيك عندما قابلنا للترحيب بنا عند غرفة معادلة الضغط".

أومأت بوبي، لقد لاحظتْ ذلك أيضًا، إن لدى بعض الرجال هوسًا غريبًا بالمرأة الضخمة، وخامرها شعورٌ بأن هذا الرجل من هذه الفئة من الرجال، ربما يعاني هؤلاء الرجال من مشاكل الأمومة منذ طفولتهم؛ لذلك تجنّبت هذا الرجل فورًا.

أنهت أفاسارالا كلامها بسؤال. "هل يمكنكِ الجلوس للدردشة معه على العشاء؟"

ضحكت بوبي، وتوقّعت أن يضحك الجميع أيضًا، ولكن لم يضحك أحد. حتى كونيار كان ينظر إليها منتظرًا الرد كما لو أن أفاسارالا تقدّمت بطلبٍ معقول تمامًا.

أجابت بوبي: "امم، لا".

- "هل قلتِ لا للتو؟"

"نعم، قلت لا، قطعًا لا، بالطبع لا...."، ولم تتوقّف حتى استنفدت جميع تعبيرات الرفض في قاموسها اللُّغوي، ثم تابعت: "في الواقع، لقد أغضبني هذا الطلب الآن".

ردَّت أفاسارالا: "بوبي! أنا لا أطلب منكِ أن تنامي معه".

قالت بوبي: "هذا جيد؛ لأن الجنس ليس سلاحًا بالنسبة لي، وإنما سلاحي هو السلاح الحقيقي".

***

"كريسجين!"، صاح جول ماو، وأخذ بيد أفاسارالا وصافحها، بدا سيد إمبراطورية ماو كويك أطول من السيدة العجوز، ابتسم الرجل بالوسامة التي جعلت بوبي تُفتن به، وأوحى انحسار منبت شعره غير المُعالج طبيًّا بأنه لا يهتم إذا أُعجبت به أو لا. إن اختياره عدم إنفاق جزء من ثروته لعلاج إحدى المشاكل التي يسهل علاجها مثل ترقُّق الشعر منحه إحساسًا أكبر بالسيطرة والقوة. ظهر مرتديًا سترة فضفاضة وبنطالًا قطنيًّا حيث بدا زيه مثل البدلة المُصمَّمة خصوصًا. عندما قدَّمت له أفاسارالا بوبي، ابتسم الرجل، ومال برأسه قليلًا، كان بالكاد ينظر إليها.

تساءل: "هل استقر الطاقم المُصاحب لكِ في أماكنهم؟" وكأنه يُخبر أفاسارالا أن وجود بوبي ذكَّره بالأتباع والمرؤوسين. صكت بوبي على أسنانها، لكنها أبقت وجهها خاليًا من التعبير.

أجابت أفاسارالا: "نعم، أماكن الإقامة رائعة حقًّا، كما أن طاقمك تعامل معنا بلطفٍ بالغ"، والحقيقة أن بوبي نفسها لو سُئلت عن ذلك لردت بنفس الدفء الصادق الذي أجابت به أفاسارالا على سؤاله.

ردّ جول: "ممتاز"، ووضع يد أفاسارالا على ذراعه؛ ليقودها إلى طاولة ضخمة. وقد أُحيطوا من جميع الجوانب برجال يرتدون سترات بيضاء مع ربطة عنق سوداء، سارع

أحدهم إلى سحب كرسي، وساعد جول أفاسارالا على الجلوس على هذا الكرسي. "لقد وعدني ماركو كبير الطهاة أنه سيُعدّ شيئًا استثنائيًّا بمناسبة هذه الليلة".

"هل لنا أن نحصل على إجابات مباشرة؟ هل هؤلاء على قائمتكم؟" سألت بوبي بينما سحب لها نادل كرسيًّا للجلوس.

استقر جول على كرسيه، وترأس الطاولة: "أيّ إجابات؟"

قالت بوبي متجاهلةً الحساء الساخن الذي وضعه النادل أمامها: "لقد ربحت، أيها السيد". نثر ماو بعض الملح على الحساء الخاص به، وبدأ في تناوله كما لو كانت هذه محادثة عشاء غير رسمية. "مساعدة وكيل الأمين العام للأمم المتحدة على متن المركبة الآن. لا يوجد مجال للهراء الآن. إلام تُخطِّطون؟"

أجاب: "إرسال المساعدات الإنسانية".

ردَّت بوبي: "هذا محض هراء"، ونظرت إلى أفاسارالا، اكتفت السيدة العجوز بالابتسام. تابعت: "لا يمكن أن تقنعني أن لديك وقتًا كافيًا لإنفاق بضعة أشهر في السفر من الأرض إلى كوكب المُشتري فقط للإشراف على توزيع علب الأرز والعصير. لا توجد إمدادات إغاثة كافية على متن هذا اليخت لإطعام جانيميد، ناهيك عن إحداث فارق على المدى الطويل".

مال ماو للخلف في كرسيه، وتناثر الرجال ذوو السترات البيضاء في أنحاء الصالة، وقد شغلوا أنفسهم بإزالة أطباق الحساء بعيدًا عن الطاولة، رفعوا طبق بوبي أيضًا بالرغم من أنها لم تذق الحساء بعد.

بدأ ماو: "روبرتا...".

قاطعته: "لا تنادني باسم روبرتا".

قال: "أيتها الرقيبة، هذه الأسئلة يجب أن تُطرح على رؤسائك في مكتب الشؤون الخارجية للأمم المتحدة، لا أن تُطرح عليّ أنا".

ردَّت بوبي: "أود ذلك، ولكن من الواضح أن طرح الأسئلة يتعارض مع قواعد هذه اللعبة".

ابتسم الرجل ابتسامة دافئة متعالية جوفاء. قال: "لقد عرضت مركبتي لأوفّر للسيدة مساعدة وكيل الأمين العام رحلة مريحة عند اتجاهها إلى مهمتها الجديدة. كما أن هناك على متن هذا اليخت أفرادًا ذوي خبرة لا تُقدَّر بثمن، سيذهبون إلى هناك لإفادة مواطني جانيميد. ربما لم تُقابلوهم بعد، ولكنكم ستتعرفون عليهم بمجرد وصولكم إلى هناك".

أمضت بوبي مع أفاسارالا وقتًا كافيًا لتُدرك اللعبة وهي تُلعَب أمامها مباشرةً. كان ماو يهزأ بها، إنه يعلم أن هذا كله محض هراء، ويعلم أنها تعرف ذلك أيضًا. لكن طالما ظل هادئًا، وقدَّم لها إجابات معقولة ردًّا على أسئلتها، فلا يمكن لأيّ أحد أن يتهمه بأيّ شيء. كان الرجل قويًّا لدرجة يصعب معها أن تصرخ في وجهه وتقول له: أنت كاذب.

كادت أن تصرخ وتقول له: "أنت كاذب"، ولكن استوقفها شيءٌ ما قاله الرجل للتو. "انتظر! بمجرد وصولنا؟ وأنت؟ ألن تأتي؟"

قال ماو: "أنا لا أخشى شيئًا"، وابتسم للنادل الذي وضع طبقًا آخر أمامه، يبدو أن هذا الشيء في الطبق هو سمكة كاملة، برأس وعينين واسعتين.

حدَّق بوبي في أفاسارالا التي بدت مستاءةً من ماو الآن.

قالت أفاسارالا: "لقد قيل لي أنك ستقود جهود الإغاثة هذه بنفسك، وستذهب شخصيًّا إلى جانيميد".

ردَّ الرجل: "كنت عازمًا على ذلك بالفعل، ولكن اضطررت إلى إلغاء ذلك بسبب انشغالي بالكثير من الأعمال الأخرى. بمجرد أن ننتهي من هذا العشاء الرائع، سأعود إلى المحطة في المكوك. سيبقى هذا اليخت والطاقم بأكمله رهن إشاراتك حتى تفرغي من عملك الحيوي الذي يتعيَّن عليك القيام به في جانيميد".

رمقت أفاسارالا ماو بنظرها طويلًا، منذ عرفتها بوبي، كانت هذه المرة الأولى التي ترى فيها السيدة العجوز مُصابةً بالحبسة الكلامية. أحضر نادل من الرجال ذوي السترات البيضاء سمكة لبوبي، بينما اتجه هذا السجن الفخم، الذي أعدّه جول بير ماو، بمعدل تسارع مريح لا يتجاوز ¼ (ج) نحو كوكب المُشتري.

***

لم تنس أفاسارالا سنت شمة أثناء استقلالهم المصعد إلى الجناح الخاص بهم. في الصالة توقَّفت طويلًا لأخذ زجاجة نبيذ من البار، وأشارت بإصبعها لبوبي أن تتبعها إلى غرفة النوم الرئيسية، تبعتها بوبي، ومن خلفهما كوتيار.

أغلقوا عليهم الباب، وفحص كوتيار الغرفة بجهازه الأمني المحمول للتأكُّد من عدم وجود أجهزة تنصُّت. قالت أفاسارالا: "بوبي، عليك التفكير سريعًا في طريقة للسيطرة على هذه المركبة أو لإخراجنا منها".

قالت بوبي: "انسي الأمر، علينا أن نذهب للاستيلاء على المكوك الذي سيغادر عليه ماو الآن، إنه يقع ضمن نطاق المحطة، وإلا فلن يقلع على متنه".

لدهشة أفاسارالا من كلام بوبي، أومأ كوتيار، وقال: "أنا أوافق الرقيبة الرأي، إذا كنا نُخطِّط للمغادرة، فإن خطة السيطرة على المكوك أسهل كثيرًا من خطة الاستيلاء على المركبة خصوصًا مع وجود طاقم مُعاد علينا مواجهته".

جلست أفاسارالا على سريرها، وأطلقت زفيرًا طويلًا استحال تنهيدةً عميقة. "لا يمكنني المغادرة بعد، إن الأشياء لا تسير على هذا النحو".

صرخت بوبي: "قواعد اللعبة اللعينة مجددًا!"

انفجرت أفاسارالا: "نعم، اللعبة اللعينة. لقد تلقَّيت أوامر من قبل رؤسائي بالقيام بهذه الرحلة. إذا غادرت الآن، فسأخرج من اللعبة كليًّا. سيقومون بإقالتي، ولكي يكونوا مهذبين سيقولون بأدب: إنني مرضت فجأة، أو أنني مُتعبة وأحتاج إلى الراحة. أيًّا كان العذر الذي سيقدمونه لي، فلن يسمحوا لي بالاستمرار في أداء وظيفتي. إذا غادرت، فسأكون آمنة، ولكنني سأفقد قوتي. ما دُمت أتظاهر بأنني أفعل ما يطلبونه مني، يمكنني مواصلة العمل، ومن ثَمَّ فإنني ما أزال في منصب الوكيل المساعد للإدارة التنفيذية، ما يزال لدي علاقات وشبكة اتصالات، ما يزال لدي تأثير. أما إذا ركضت الآن، فسأفقد كل شيء. إذا فقدت كل شيء، فسيكون الأمر كما لو أن هؤلاء الأوغاد أطلقوا عليّ النار، إذا لم يفعلوا ذلك أصلًا!".

قالت بوبي: "لكن...".

قاطعتها أفاسارالا: "لكن إذا استمررت في هذه اللعبة، فسيبحثون عن طريقة لإقصائي من اللعبة. سيكون هناك فشل في إجراء الاتصالات بشكلٍ غير مبرّر، أو أيّ شيءٍ آخر يبقيني خارج الشبكة، حبيسة الفقاعة. لكن حتى عندما يحدث ذلك، سأطالب القبطان بتغيير مساره للتوجُّه إلى أقرب محطة لإجراء الإصلاحات اللازمة. إذا كنتُ على حق، فلن يستجيب القبطان".

قالت بوبي: "آه".

قال كوتيار بعد لحظة: "صحيح".

أضافت أفاسارالا: "وعندما يحدث ذلك، سأُعلن أنه تم القبض عليّ بطريقة غير قانونية، وعندها سيكون من حقنا الاستيلاء على هذه المركبة".

الفصل الحادي والثلاثون

براكس

مع كل يومٍ يمر، كان السؤال يُعذِّبه أكثر: ما الخطوة التالية؟ لم يشعر على الرغم من كل هذا، باختلاف الأمور عن تلك الأيام الرهيبة التي أمضاها في جانيميد حيث كان يعدّ القوائم يوميًّا ليُحدّد لنفسه ما يجب عليه فعله. الاختلاف الوحيد الآن أنه لم يعد يبحث عن مَي فقط، بل أصبح يبحث أيضًا عن ستريكلاند، والمرأة الغامضة التي ظهرت في الفيديو، كما بدأ يبحث عن ذلك الشخص الذي بنى المختبر السري أيًّا كان من هو. بهذا المعنى، بات براكس أفضل حالًا من ذي قبل. ومن ناحية أخرى، لم يعد نطاق البحث مقصورًا على جانيميد فقط. الآن اتسع المجال ليشمل نطاق البحث النظام الشمسي بأكمله.

تأخَّر الاتصال مع الأرض -أو مع القمر إن أردنا الدقة؛ وذلك لأن شركة (برسيس-ستروكس للاستشارات الأمنية) تتمركَّز في المدار وليس في بئر الجاذبية- وزاد معدل التأخُّر عن عشرين دقيقة بقليل، مما جعل من المستحيل عمليًّا إجراء محادثة؛ لذلك قامت المرأة ذات الوجه الحاد بعرض سلسلة من مقاطع الفيديو الترويجية التي تستهدف بشكل أكثر تحديدًا ما يريد براكس سماعه.

قالت المرأة: "لدينا علاقة تبادل استخباراتي مع شركة بينكواتر، وهي شركة الأمن التي تتمتَّع بأكبر حضور مادي وعملي في الكواكب الخارجية"، كما أضافت: "لدينا أيضًا اتفاقيات تعاون مع شركة العيق وشركة ستار هيليكس، وبفضل التعاون مع هذه الشركات، يمكننا اتخاذ إجراءات فورية أو مباشرة أو من خلال شركائنا، على أيّ محطة أو كوكب في النظام الشمسي".

أومأ براكس إلى نفسه، هذا ما يحتاج إليه بالضبط، شخص لديه عيون راصدة وعلاقات وثيقة بجهات الاتصال المختلفة في كل مكان، شخص يمكنه مساعدته.

قالت المرأة: "سأرفق لك تفويضًا لتوقيعه، سنحتاج منك أيضًا دفع الرسوم الإدارية، ولكننا لن نفرض عليك أيّ رسومٍ أخرى حتى نتفق على نطاق التحقيق الذي ترغب في تحمُّل مسؤوليته. وبمجرد أن ننتهي من ذلك، سأرسل لك اقتراحًا مُفصَّلًا مع جدول بيانات تفصيلي، ومن هنا يمكننا تحديد آلية العمل التي تناسبك بشكلٍ أفضل".

ردّ براكس: "شكرًا جزيلًا لكم"، وفتح مُستند التفويض، ووقّع عليه ثم أعاد إرساله، ستستغرق إعادة الإرسال إلى القمر عشرين دقيقة بسرعة الضوء، ثم عشرين دقيقة أخرى لاستقبال الرد، من يدري كم من الوقت بينهما؟!

إنها مجرد بداية، على الأقل جعله هذا الإجراء يشعر ببعض التحسُّن.

كانت المركبة هادئة، وقد خيَّم عليها جوٌّ من الترقُّب كما لو أن شيئًا ما سيحدث، لكن براكس لا يعرف ما هو بالضبط. إنهم في طريقهم للوصول إلى محطة تايكو. هذا كل ما يعرفه، وليس متأكدًا من أيّ شيءٍ آخر خلاف ذلك. نهض من سريره، ومرَّ بالمطبخ الفارغ، ثم صعد السلم باتجاه طابق العمليات، وبعد ذلك توجَّه إلى قمرة القيادة. بدت المقصورة الصغيرة قاتمة، بينما ينبعث معظم الضوء من لوحات التحكُّم وسطح الشاشات عالية الدقة التي تغطي مائتين وسبعين درجة من الرؤية بضوء النجوم، والشمس البعيدة، والكتلة التي تقترب من محطة تايكو، التي تبدو كواحة في ذلك الفراغ الشاسع.

قال أليكس من مقعد الطيار: "مرحبًا يا دكتور، هل جئت لترى المنظر؟"

أجاب براكس: "نعم... أعني، إذا كنت لا تمانع".

ردَّ أليكس: "لا مشكلة، لم يكن لدي مساعد طيار منذ أن حصلنا على (روسي)، اربط نفسك بحزام الأمان هناك، ولكن إذا حدث شيءٌ ما، فلا تلمس أيّ شيء رجاءً".

"لا تقلق، لن أفعل"، وعده براكس، وهو يتدافع على مقعد التسارع. في البداية، بدا أن المحطة تتشكّل شيئًا فشيئًا، كانت الحلقتان المعاكستان للدوران بالكاد أكبر من إبهام براكس، والكرة المُحيطة بالحلقتين أكبر بقليل من كرة العلكة، ولكن مع اقترابهم أكثر، بدأ النسيج الضبابي المحيط بنطاق البناء يتجسّد في شكل أجهزة التحكُّم عن بعد والرافعات العملاقة التي تعلو في شكل ديناميكي غريب. كانت المركبة قيد الإنشاء

حيث لم تكتمل بعد، ودعاماتها الفولاذية والسيراميكية مكشوفة للفراغ مثل العظام. بينما أومضت اليراعات الصغيرة من الداخل والخارج حيث تم إطلاق اللحام والعبوات المانعة للتسرُّب بعيدًا جدًّا بحيث لا يمكن رؤيتها بعيدًا عن الضوء.

- "هل هذه المركبة مُصمّمة لتسبح في الغلاف الجوي؟"
- "لا، ولكنها تبدو كذلك نوعًا ما. هذه المركبة هي (تشيسابيك)، أو هذا ما يُفترض أن تكون، على أيِّ حال إنها مُصمَّمة لتحمُّل التسارع المستمر في الجاذبية العالية، أعتقد أنهم يتحدَّثون حول تشغيل هذه المركبة المسكينة بمعدل تسارع يبلغ ثمانية (ج) وعلى مسافة سفر تمتد إلى بضعة أشهر".

تساءل براكس: "إلى أين؟"، وأجرى بعض المسائل الحسابية المُعقدة في رأسه، ثم أضاف: "يجب أن تكون المركبة خارج مدار... أيّ شيء".

أجاب أليكس: "نعم، إنها سوف تتعمّق حتى تبلغ الفضاء السحيق، إنهم يلاحقون ناوفو".

سأل براكس: "هل تقصد مركبة النجوم التي كانت من المفترض أن تُطلق إيروس نحو الشمس؟"

- "إنها هي. لقد أغلقوا محركاتها عندما فشلت الخطة، لكن العمل عليها يسير على قدمٍ وساقٍ منذ ذلك الحين، لم يتم الانتهاء من العمل بعد؛ لذا لا يمكنهم إحضار المركبة عن طريق التحكُّم عن بعد، ولهذا السبب يبنون هذا المجمع؛ أملًا في استعادتها. لقد كانت ناوفو مركبة مذهلة حقًّا، ولكن حتى لو استعادوها، فلن يستطيعوا منع المورمون من إدانة تايكو إذا وجدوا طريقة لذلك".

تساءل براكس: "لماذا سيصعب ذلك؟"

قال أليكس: "لأن تحالف الكواكب الخارجية (أوبا) لا يعترف بالمحاكم الأرضية والمريخية، كما أن التحالف هو الخصم والحكم في تلك المحاكم الموجودة في الحزام؛ لذا فإن قضيتهم خاسرة سواء حكمت المحاكم بعدالة القضية أو لا".

ردّ براكس: "آه، فهمت الآن".

ظهرت محطة تايكو على الشاشات بشكل أكبر وأكثر تفصيلًا، لم يستطع براكس تحديد سبب ظهورها في منظورها الصحيح، ولكنه أدرك في طرفة عين الحجم الحقيقي للمحطة أمامه مما جعله يطلق شهقة من فرط الصدمة. لا بُدّ أن نطاق البناء يبلغ نصف كيلومتر، أي ما يعادل حجم قُبتين زراعيتين كاملتين وضعت إحداهما فوق الأخرى. نما النطاق الصناعي شيئًا فشيئًا حتى ملأ الشاشات، واستُبدل ضوء النجوم بالأضواء المنبعثة من مؤشرات المعدات وفقاعات المراقبة ذات القُبة الزجاجية، وحلت الألواح والسقالات المصنوعة من الصلب والسيراميك محل الظلام. كما كانت هناك مُحرِّكات ضخمة يمكنها دفع المحطة بالكامل مثل مدينة عائمة في أيّ مكان في النظام الشمسي، ورأى براكس أيضًا محاور مُعقدة مثل المحاور الموجودة على مقعد التصادم المُصمَّمة للعمالقة، والتي من شأنها إعادة تشكيل المحطة بالكامل عندما تحل جاذبية الاندفاع محل جاذبية الدوران.

سلبه منظر المحطة وأخذ أنفاسه بعيدًا، تبرز أناقة وفعالية البناء الذي يراه أمامه، حيث يبدو رائعًا وبسيطًا وفعالًا مثل شجرة أو جذور عنقودية. كان من المُذهل أن يرى أمامه شيئًا يشبه ثمرة التطوُّر، ولكنه من تصميم العقول البشرية. إن هذا ذروة ما يعنيه الإبداع حقًّا، لقد أصبح المستحيل حقيقة مُتجسِّدة.

قال براكس: "هذا عمل رائع".

ردَّ أليكس: "نعم"، ثم تحدَّث عبر قناة اتصالات المركبة: "لقد وصلنا. على الجميع ربط الأحزمة لأن المركبة سترسو الآن. سأقوم بالتبديل إلى وضع التحكُّم اليدوي".

اعتدل براكس قليلًا في مقعده، وتساءل: "هل يجب أن أذهب إلى قمرتي؟"

ردّ أليكس: "لا داعي، مكانك هنا جيد، ولكن عليك أن تحزم نفسك بقوة في حال اصطدمنا بشيءٍ ما"، ثم تغيّرت نبرة صوته بعد ذلك إلى وتيرة أعلى وأكثر تنغيمًا: "وحدة التحكُّم في محطة تايكو! هذه هي مركبة (روسينانت)، هل يمكننا الرسو الآن؟"

سمع براكس صوتًا بعيدًا يجيب على أليكس.

قال أليكس. "علم، سنذهب إلى هناك".

في المسلسلات الدرامية وأفلام الحركة التي شاهدها براكس مرارًا على جانيميد، دائمًا ما كانت قيادة المركبات تبدو وكأنها شيءٌ رياضي يحتاج إلى بذل الكثير من الجهد البدني. حيث رأى رجالًا مُتعرّقين يُصارعون للسيطرة على أدوات التحكُّم، ولكنه لم يرَ أليكس يفعل مثل ذلك. رآه فقط يُحرِّك عصا التحكُّم، ولكن حركاته تبدو هادئة وبسيطة، نقر نقرة واحدة، فشعر براكس بتغيُّر الجاذبية تحته؛ مما تسبَّب في تدحرج مقعده بضعة سنتيمترات، نقر نقرة أخرى نتج عنها تغيُّر جديد. ظهر على شاشة العرض نفقٌ مضاء يقطع الفراغ المُحدَّد باللونين الأزرق والذهبي، وينجرف إلى اليمين في الجزء العلوي من الشاشة، منتهيًا على جانب حلقة الدوران.

نظر براكس إلى الكم الهائل من البيانات التي يتلقّاها أليكس، وقال:

- "لماذا تطير باستخدام التحكُّم اليدوي؟ ألا تستطيع المركبة استخدام هذه البيانات للقيام بعملية الرسو بنفسها؟"

كرَّر أليكس بضحكة مكتومة: "لماذا أطير باستخدام التحكُّم اليدوي؟ لأن الطيران بهذا الشكل ممتع يا دكتور، ممتع للغاية".

سطعت الأضواء الممتدة المائلة للزُّرقة من نوافذ قبة تايكو لدرجة أن براكس أصبح بإمكانه رؤية الناس ينظرون إليه من الجانب الآخر. وكاد ينسى أن الشاشات في قمرة القيادة ليست نوافذ، داهمته رغبة غريزية جارفة في النظر والتلويح أملًا في رؤية شخصٍ ما يبادله التلويح على الناحية الأخرى.

انطلق صوت هولدن في سماعة أليكس، لم يستطع براكس تبيُّن الكلمات رغم وضوح نبرة الصوت.

قال أليكس. "كل شيء يسير على ما يُرام أيها القبطان، يتبقَّى لدينا عشر دقائق أخرى".

تحوَّل مقعد التصادم جانبًا، وانحرف السطح العريض للمحطة لأسفل بينما بدأ أليكس في مطابقة الدوران. سيتطلب الأمر قمع قوى القصور الذاتي من أجل توليد ؛ [1]

(ح) في مثل هذه الحلقة العريضة، ولكن مع سيطرة أليكس على أدوات التحكُّم، اقتربت المركبة من المحطة ببطءٍ وسلاسة.

قبل أن يتزوّج براكس، شاهد عرضًا راقصًا ينتمي إلى تقاليد الطاوية، وجد الأمر مملًّا حدًّا في الساعة الأولى من العرض، ولكن بعدما أصبحت الحركات الصغيرة للذراعين والساقين والجذع تتحرّك معًا عند الاستدارة والانحناء والسقوط في انسجام مُذهل، وجد نفسه مُرغمًا على الانجذاب للعرض. انزلقت (روسينانت) في مكانٍ ما بجانب غرفة معادلة الضغط الخاصة بالمرفأ، ذكَّرته رشاقة المركبة وهي تنزلق بالرقصة التي شاهدها في العرض الراقص، ولكن ما زاد الأمر إثارةً للإعجاب أنه لا يرى هنا رشاقة اللحم والعضلات البشرية، بل رشاقة أطنان من الفولاذ عالي الشد والمفاعلات الانشطارية.

عندما دخلت (روسينانت) إلى المرفأ، تم إجراء تصحيح أخير، وهو تحريك محاور المقاعد مرة أخرى، لم يكن الدوران النهائي المطابق مفاجئًا أكثر من أيّ تصحيح من التصحيحات الصغيرة التي أجراها أليكس في الطريق إلى المحطة. علا صوت ضجة مُقلقة نتيجة اشتباك خطافات الإرساء الموجودة في المحطة بالمركبة.

قال أليكس: "أجهزة التحكُّم في تايكو! هذه هي مركبة (روسينانت) تدخل المرفأ، غرفة معادلة الضغط لدينا مختومة، والقراءات تشير إلى أن مشابك الإرساء في مكانها الصحيح. هل يمكنكم التأكيد؟"

ساد صمتٌ قصير أعقبه غمغمة.

قال أليكس: "شكرًا لكم يا رجال تايكو، نحن سعداء بالعودة".

تعرَّضت جاذبية المركبة لتغيير طفيف، لم يعد تسارع المُحرِّك يخلق إحساسًا بالوزن، وإنما أصبح هذا الإحساس يأتي من دوران الحلقة التي تم تثبيت المركبة عليها للتو. شعر براكس وكأنه يميل قليلًا إلى جانبٍ واحد كلما حاول الوقوف مستقيمًا، وكان عليه في تلك اللحظة أن يقاوم الرغبة في التعويض الزائد عن طريق الميل إلى الاتجاه الآخر

كان هولدن في المطبخ عندما وصل إليه براكس، بينما يتدفّق من ماكينة القهوة سائل أسود ساخن مع بعض الانحناء في فُوهَة الماكينة إنه تأثير كوريوليس عندما رأى

براكس هذا المطر، تذكّر على الفور أحد فصول المدرسة الثانوية الذي كاد أن يضيع في غياهب الذاكرة. جاء أموس وناعومي، اجتمع الشمل الآن، وشعر براكس أن الوقت مناسب لشكرهم جميعًا على ما فعلوه من أجله، وما فعلوه من أجل مَي التي ربما ماتت على الأرجح، ولكن منعه من ذلك رؤية الألم متجسدًا على وجه هولدن.

وقفت ناعومي أمامه، وحقيبة ظهرها تتدلَّى من كتفها.

تساءل هولدن: "سترحلين؟!"

ردَّت ناعومي: "إني راحلة"، بدا صوتها خافتًا، ولكنه يشع بالمعنى مثل النغمات التوافقية. طرف براكس بعينه، وتراجع قليلًا.

قال هولدن: "حسنًا، إذن".

لم يتحرَّك أحد لبضع ثوانٍ، ثم انحنت ناعومي نحو هولدن، وطبعت قبلة رقيقة على خده. حرَّك القبطان ذراعيه لاحتضانها، لكنها ابتعدت متراجعةً، وأخذت تمشي في الممر الضيق واثقة الخطى وكأنها تعرف وجهتها بالضبط. التقط هولدن فنجان القهوة، بينما تبادل أليكس وأموس النظرات.

سأل أليكس: "أوه، أيها القبطان!"، مقارنةً بصوت الرجل الذي رسا للتو بمركبة حربية تعمل بالطاقة النووية في عجلة معدنية تدور في منتصف الفضاء بين الكوكب، بدا صوته الآن مُتردِّدًا وقلقًا. "هل سنبحث عن مساعد تنفيذي جديد للمركبة؟"

قال هولدن: "لن نبحث عن شيء حتى أقول ذلك"، ثم أضاف بصوتٍ أكثر هدوءًا: "ولكنني أدعو الله ألا نضطر لذلك".

ردَّ أليكس: "نعم، يا سيدي، وأنا أيضًا".

ظل الرجال الأربعة صامتين لبضع لحظاتٍ غير مريحة، كان أموس أول من كسر حدة هذا الصمت عندما قال: "أتعلم أيها القبطان، المكان الذي حجزته يتسع لشخصين، إذا كنت تريد السرير الإضافي، فهو لك".

ردَّ هولدن دون أن ينظر إليهم: "لا"، ثم مدَّ يده واتكأ على الحائط، وأردف: "أنا باقٍ في (روسي)، سأظل هنا"

سأله أموس. "هل أنت متأكِّد؟" وبدا أنه يعني بسؤاله هذا شيئًا لا يتأتّى لبراكس فهمه

قال هولدن: "لن أذهب إلى أيّ مكان".

ردَّ أموس: "حسنًا، إذن".

تنحنح براكس، وأخذ أموس بمرفقه، ثم سأله: "وماذا عنك؟ هل لديك مكان تسكن فيه؟"

اصطدم خطاب براكس المُعدّ سلفًا- أردت أن أخبركم جميعًا عن مدى تقديري....- بالسؤال الذي طرحه أموس للتو؛ مما أدى إلى تشتُّته وخروج الفكرتين عن مسارهما.

- "أنا... أممم... أنا لا، لكن."...

أقال أموس عثرته، وقال: "طيب، هات أغراضك الشخصية، ويمكنك أن تأتي معي".

ردَّ براكس: "حسنًا، شكرًا لك، لكنني أولًا أردت أن أخبركم جميعًا كم...".

قاطعه أموس بأن وضع يده الضخمة على كتفه، وقال: "فليكن ذلك لاحقًا، والآن ما رأيك أن تأتي معي؟"

انحنى هولدن على الحائط الآن، وضغط على فكه وكأنه على وشك الصراخ أو التقيؤ أو النحيب. نظرت عيناه إلى المركبة، ولكن كان ذهنه مشغولًا بشيءٍ آخر. غمر الحزن براكس كما لو أنه ينظر إلى المرآة.

ثم أجاب: "نعم، حسنًا، سآتي معك".

***

بدت الغرف في مسكن أموس أصغر من المقصورات الموجودة في (روسينانت): غرفتان خاصتان صغيرتان، ومساحة مشتركة حجمها أقل من نصف مطبخ المركبة، وحمام به مغسلة قابلة للطيّ، ومرحاض متصل بدُش الاستحمام. من الممكن أن يتسبَّب هذا المكان في إصابته برهاب الأماكن الضيقة لو اجتمع هو وأموس في مكانٍ واحد في هذا المسكن.

ولكن بدلًا من ذلك، استقر براكس في المسكن الجديد، واستحم سريعًا، ثم توجَّه إلى الأروقة الواسعة والفاخرة للمحطة، حيث رأى النباتات في كل مكانٍ بالمحطة بالرغم من أن معظمها نباتات للزينة. كان انحناء الطوابق طفيفًا حدًّا لدرجة أن براكس يمكنه أن يتخيَّل تقريبًا أنه عاد إلى جزءٍ غير مألوفٍ من جاينميد، وشعر أن الوصول إلى منزله الذي يُشبه الجُحر لن يستغرق أكثر من مجرد رحلة عبر مترو الأنفاق. وعند العودة إلى هناك سيجد مَي بانتظاره. عاد براكس، وأغلق الباب الخارجي وراءه، وأخرج جهازه اللوحي، واتصل بالشبكة المحلية.

لم يتلَّق بعد أيّ رد من برسيس- ستروكس، لكن ربما كان انتظار ردٌّ منهم بهذه السرعة أمرًا سابقًا لأوانه. في غضون ذلك أدرك أن المشكلة تتمثَّل في المال، إذا أراد أن يموِّل شيئًا من هذا القبيل، فلن يتمكَّن من فعل ذلك بمفرده.

هذا لا يترك له سوى خيارٍ واحد ألا وهو اللجوء إلى نيكولا.

أجرى براكس اتصالًا من جهازه اللوحي، وقام بتشغيل الكاميرا، بدت صورته على الشاشة مُحطَّمة، لقد أرهقته تلك الأسابيع الماضية، وأبلت بدنه حتى بات هزيلًا، ولم يكن الوقت الذي أمضاه في (روسينانت) كافيًا لاسترداد عافيته، قد لا يتعافى أبدًا. ربما أصبحت خدوده الغائرة جزءًا من هويته الجديدة. بدأ براكس التسجيل.

قال: "مرحبًا نيكي، أردت أن أخبرك أنني على ما يُرام، وصلت للتو إلى محطة تايكو، ولكن ما زلت غير قادر على إيجاد ابنتنا مَي، لقد استعنت بخدمات إحدى شركات الاستشارات الأمنية، أخبرتهم بكل ما أعرفه. يبدو أنهم سيكونون قادرين حقًّا على المساعدة، لكن ستكون تلك الخدمات بمقابل مادي، ربما يكون باهظًا، ومن الممكن أيضًا أن تكون الفتاة قد ماتت بالفعل".

توقَّف براكس للحظات من أجل التقاط أنفاسه، ثم كرَّر مرة أخرى: "من الممكن أيضًا أن تكون الفتاة قد ماتت بالفعل، ولكن عليّ أن أحاول. أعلم أن ظروفك المادية ليست على ما يُرام الآن، كما أن لديكِ زوجًا جديدًا تهتمين لأمره. ولكن إذا كان بإمكانك الإسهام بشيء.. هذا ليس من أجلي، أنا لا أريد منك شيئًا على الإطلاق، ما

أطلبه منكِ من أجل مي، ابنتنا. إذا كان بإمكانك أن تُسهمي بأيّ شيءٍ من أجلها، فهذه هي الفرصة الأخيرة".

توقَّف مرة أخرى، وعقله مُشتَّت بين أن يقول لها: "شكرًا لكِ" أو "هذا أقل ما يمكنك تقديمه لابنتنا". في النهاية أوقف التسجيل، وأرسله إليها.

يبلغ الفاصل الزمني بين سيريس ومحطة تايكو خمس عشرة دقيقة، بالنظر إلى مواقعهم النسبية، ومع ذلك لم يكن يعرف التوقيت المحلي هناك، قد تصل رسالته إليها في منتصف الليل أو أثناء تناولها العشاء، وربما لا يكون لديها ما تقوله له.

لكن كل ذلك لا يهم، كان يجب عليه أن يحاول، الآن يمكنه أن يخلد إلى النوم بعد أن بذل كل ما في وسعه للمحاولة.

قام بتسجيل رسائل وإرسالها إلى والدته، وإلى زميله القديم في السكن الجامعي، والذي يشغل الآن منصبًا مهمًّا على إحدى محطات كوكب نبتون، كما أرسل إلى أستاذه الذي يُشرف على دراساته بعد الدكتوراه. في كل مرة يروي القصة، يُصبح سردها أسهل قليلًا، بدأت التفاصيل تتجمَّع، وأصبح ينتقل بسلاسة من المقدمات إلى النتائج، ولكنه لم يتحدَّث معهم عن الجزيء الأولي. في أحسن الأحوال: سيُصيبهم الحديث عن هذا الوحش بالذعر. وفي أسوأ الأحوال: سيعتقدون أن ألم الفقد سلب عقله، ودفعه إلى الجنون.

بعد إرسال الرسالة الأخيرة، جلس بهدوء، كان هناك شيء آخر يعتقد أنه يجب عليه أن يفعله الآن بعد أن أصبح لديه إمكانية وصول لجميع الاتصالات، وبالرغم من عدم رغبته في فعل ذلك، فإنه بدأ التسجيل.

قال: "مرحبًا باسيا. هأنذا براكسيديك، أردت أن أخبرك أنني تأكَّدت من وفاة ابنتك كاتوا، لقد رأيت الجثة بأم عيني. لم... لم يبدُ أنه عانى... وأعتقد لو أنني في مكانك، لكنت سأود أن... سأود أن أعرف الحقيقة. أنا آسف لك... أنا فقط أردت... "

أوقف التسجيل، وأرسله إلى باسيا، ثم زحف على سريره الصغير. كان يتوقَّع أن يكون النوم شاقًّا وغير مريح، ولكن المرتبة كانت لطيفة مثل هُلام مقعد التصادم، نام بسهولة، واستيقظ بعد أربع ساعات كما لو أن شخصًا قذفه بمفتاح كهربائي في مؤخرة

رأسه. لم يكن أموس قد عاد بعد على الرغم من انتصاف الليل في المحطة، ولم يتلقّ بعد ردًّا من برسيبس ستروكس؛ لذلك سجّل براكس استفسارًا مُهذّبًا؛ فقط للتأكّد من أن الرسالة السابقة وصلت إليهم بالفعل، ولم تُفقد أثناء الإرسال، لكنه بعدما شغّل التسجيل قبل إرساله، انتهى به الأمر إلى حذفه وعدم إرسال الرسالة. أخذ حمامًا طويلًا، وغسل شعره مرتين، ثم حلقه، وبعدما خرج من الحمام، أعاد تسجيل استفسار جديد بدا فيه أقل إصابةً بالهذيان الجنوني.

بعد عشر دقائق من إرسال الرسالة، دق جهازه اللوحي إيذانًا بوصول رسالة جديدة. منطقيًّا، كان يعلم أنه لا يمكن أن تكون هذه الرسالة الواردة ردًّا من الشركة الأمنية على استفساره الأخير حيث لم تصل رسالته من محطة تايكو إلى القمر بعد. عندما فتح الرسالة، وجدها من نيكولا. بدا وجهها المستدير أكبر سنًّا مما يتذكّره، غزت الخيوط الرمادية الدقيقة صدغها، ولكنها بمجرد أن ابتسمت تلك الابتسامة الرقيقة الحزينة، عادت إلى عمر العشرين مرة أخرى حينما كانت تجلس أمامه في الحديقة الرائعة، وفي الخلفية تخفق موسيقى البانجرا المُبهجة بينما تحفر أشعة الليزر العمل الفني الحي على القُبة الجليدية فوقها. لقد تذكَّر كيف كان الحال عندما وقع في غرامها.

قالت نيكولا: "لقد تلقَّيت رسالتك. أنا... أنا آسفة جدًّا، يا براكسيديك. كنت أتمنى لو كان بإمكاني المساعدة، لكن الأمور ليست على ما يُرام هنا في سيريس. سأتحدَّث في هذا الأمر مع تابان، إن راتبه يفوق راتبي بكثير، وإذا شرحت له الوضع، ربما يتفهَّم، وقد يرغب في المساعدة أيضًا، إكرامًا لخاطري". ثم أردفت بعد لحظات: "اعتنِ بنفسك، أيها الرجل العجوز، أراك مُنهكًا جدًّا".

وعلى الشاشة، انحنت والدة مَي إلى الأمام، وأوقفت التسجيل. أظهرت إحدى الأيقونات رمز تحويل موثوق بمبلغ ثمانين نقدًا من النقود المحلية في سيريس، فحص براكس أسعار الصرف، وقام بتحويل عملة سيريس المعدنية إلى دولارات الأمم المتحدة. كان هذا المبلغ راتب أسبوع تقريبًا، لم يكن المبلغ كافيًا على الإطلاق، ولكنه مع ذلك يُعتبر نوعًا من التضحية

أعاد فتح الرسالة مرة أخرى، وأوقف الصورة في الفجوة بين كلمتين، حدّق في صورة نيكولا على الشاشة، ونظر إلى شفتيها المتفتّقتين بما يكفي لرؤية أسنانها الباهتة، ركّز على عينيها الساجيتين المرحتين. لقد اعتقد لوقتٍ طويل أن روحها هي من أضفت عليها مظهر المرح المُقيّد، والأمر لا يتعلق بأيّ سببٍ فسيولوجي. لقد كان مُخطئًا في اعتقاده القديم.

وبينما جلس براكس ضائعًا في الذكريات القديمة والخيال، تلقّى إشعارًا بوصول رسالة جديدة، كانت الرسالة الواردة من القمر، من برسيس- ستروكس. فتح جدول البيانات المُرفق، وخامره شعورٌ طفيفٌ في مكانٍ ما بين الأمل والقلق. عندما رأى الصف الأول من الشخصيات، غرق قلبه المُتلهّف.

ربما تكون مَي هناك، ربما ما تزال الطفلة على قيد الحياة. بالتأكيد سيكون ستريكلاند وعصابته هناك. يمكنه العثور على ابنته، يمكنه أن يقبض على العصابة التي خطفتها. قد تتحقّق العدالة أخيرًا، لكنه لم يعد بإمكانه تحمُّل المزيد.

الفصل الثاني والثلاثون

هولدن

جلس هولدن على كرسي قابل للطي في السطح الهندسي الخاص بمركبة (روسينانت)، وأخذ يعاين الأضرار، ويدوِّن الملاحظات التي يُبديها الفنيون في محطة تايكو. لم يبقَ سواه بعدما ذهب طاقم المركبة بالكامل. وتمثَّلت ملاحظات الفنيين فيما يأتي:

- **استبدال الحاجز الهندسي الأيمن.**
- **تلف كبير في وصلة كابل الطاقة الجانبي، من المحتمل أن يؤدي إلى تغيير صندوق الوصلات بالكامل.**

نص من سطرين فقط لخَّص مئات ساعات العمل، ومئات الآلاف من الدولارات التي أُنفقت على قطع المركبة، فضلًا عن التداعيات التي نتجت عن وقوف طاقم المركبة على شفا حفرة من الإبادة النارية. رأى هولدن أن اختصار كل تلك الأحداث الجسام التي مروا بها في نص من سطرين بمثابة اختزال مُخِلّ ونوع من غمط الحق. أسرَّها هولدن في نفسه ولم يُبدِها لهم، واكتفى بأن وضع حاشية سُفلية للقطع مدنية الصنع، التي يُحتمل أن توفَّر على محطة تايكو، ومن الممكن أن تتناسب مع مركبة الحربية المريخية.

ومن خلفه، كانت شاشة حائط تبثُّ برنامجًا إخباريًّا من سيريس، قام هولدن بتشغيل هذه الشاشة لإبقاء عقله مشغولًا أثناء عبثه بالمركبة وتدوين الملاحظات.

كل هذا هراءٌ بالطبع حيث لم تكن سام -مهندسة تايكو التي تتولَّى عادةً مسؤولية إصلاح المركبات- بحاجة إلى مساعدته، ولا حتى إلى قيامه بتدوين ملاحظات بالأضرار التي تعرَّضت لها المركبة وقطع العيار التي تحتاج إليها، حيث كانت المهندسة مؤهلة، بكل معنى الكلمة للقيام بما يشغل به نفسه الآن، وبشكل أفضل منه بمراحل. ولكن هولدن فكَّر في الأمر، ووجد أنه بمجرد أن يُسلِّمه تلك المهام، فلن يكون هناك

أيّ سبب لبقائه على متن المركبة. كان عليه أن يواجه فريد بشأن الجريء الأولي السائب في جانيميد.

ولربما تسبّبت تلك المواجهة في قطيعته مع ناعومي إلى الأبد.

لو تأكّدت صحة ظنون المُبكرة، وكان فريد قد قايض بالفعل باستخدام الجريء الأولي كورقة رابحة أو ما هو أسوأ من ذلك، باستخدامه الجريء الأولي كسلاح، فإن هولدن سيقتله. كان هولدن يعرف ذلك كما يعرف اسمه، وقد أخافته تلك الفكرة.

رأى هولدن أن قتله لفريد حتى ولو كان جناية كبرى قد تؤدي إلى خسارته لحياته، إلا أنه لم يعبأ بذلك بقدر ما أهمّه أنه لو فعل ذلك سيكون هذا بمثابة دليل دامغ على أن قرار ناعومي بتركها إياه كان قرارًا صائبًا؛ لأن في هذه الحالة سيكون قد تحوَّل إلى الرجل الذي كانت دائمًا ما تخشى أن يُصبح عليه. لقد أصبح نسخة أخرى من ذلك المُحقّق (ميلر) الذي كرّس حياته لإنفاذ العدالة الحدودية عبر فُوّهة سلاحه. ولكن كلما تخيَّل هولدن المشهد، تخيَّل منظر فريد وهو يعترف بذنبه، ويتوسَّل طالبًا الرحمة، ومع ذلك لم يستطع هولدن أن يتصوَّر عدم قتله في تلك اللحظة على جرمه المشهود. داهمته خاطرة أخرى تُنبه بأنه كان من ذلك النوع من الرجال الذين يتخذون خيارًا مختلفًا عن القتل، ولكنه لم يستطع تذكُّر كيف كان ذلك الرجل القديم -الذي كان عليه- يفعل ذلك.

لو كان هولدن مخطئًا، ولم يكن لفريد أيّ علاقة بالمأساة التي حلت بمحطة جانيميد، فسيكون ذلك شاهدًا على أن ناعومي مُحقة طوال الوقت، وأن عناد هولدن أعماه وأضله عن رؤية الحقيقة، ويتعيّن عليه عندها أن يبدي اعتذاره بكل تواضع لترميم علاقتهما. بالطبع سيكون الاعتراف بالغباء أقل جُرمًا من ارتكاب جناية القتل.

ولكن إذا لم يكن فريد هو الشخص المُسيطِر على الفيروس الفضائي الخارق، فعلى البشرية أن تنتظر ما هو أسوأ بكثير مما رأته حتى الآن ومن المؤسف أن يختار هولدن إثبات صحة ظنونه على حساب الحقيقة التي ستكون مُروّعة للبشرية جمعاء من الناحية الفكرية، إن هولدن على يقين من أنه لن يتردَّد للحظة في التضحية بنفسه أو سعادته في سبيل إنقاذ الآخرين، ولكن هذا لم يقمع الصوت الخافت الذي يهمس في مؤخرة رأسه

وظل يُردِّد: "فليُحسف العالم بمن عليه، لا أبتغي شيئًا سوى أن أعود لأحضان صديقتي".

أخرجته فكرة طارئة من لا واعيه، فتذكَّر أن يُضيف إلى قائمة الإمدادات اللازمة للمركبة:

- المزيد من فلاتر القهوة.

أطلقت وحدة التحكُّم المُعلَّقة على الحائط خلفه صفيرًا لمدة نصف ثانية قبل أن يُصدر جهازه اللوحي تنبيهًا بوجود شخصٍ ما في غرفة معادلة الضغط، ويطلب منه الإذن بالصعود إلى متن المركبة. نقر على الشاشة لعرض كاميرا الباب الخارجي لغرفة معادلة الضغط، فرأى أليكس وسام ينتظران في الردهة. وما تزال سام مثل الجنية الساحرة ذات الشعر الأحمر التي ترفل في المعاطف الرمادية كبيرة الحجم، جاءت إلى المركبة وبيدها صندوق ضخم مليء بأدوات الصيانة، وعلى فمها ابتسامة، قال أليكس شيئًا آخر، فضحكت المهندسة أكثر حتى كاد صندوق الأدوات أن يسقط من يدها. مع إيقاف صوت الاتصال الداخلي، بدا الأمر وكأنه يشاهد فيلمًا صامتًا.

نقر هولدن على زر الاتصال الداخلي، وقال: "تعالوا يا رفاق"، ثم نقر نقرة أخرى لفتح أبواب غرفة معادلة الضغط الخارجية، لوَّحت سام للكاميرا، وصعدت إلى داخل المركبة. بعد بضع دقائق، انفتحت فتحة الضغط للسطح الهندسي، وأصدر المصعد صريرًا عند النزول لأسفل. نزل أليكس وسام من المصعد، وألقت سام بصندوق الأدوات على السطح المعدني للمركبة؛ مما أحدث قعقعةً.

قالت وهي تحتضن هولدن حضنًا غير حار: "مرحبًا هولدن، ما أخبارك؟ هل أطلقت النار على فتاتي مرة أخرى؟"

استنكر أليكس وقال: "فتاتك؟!"

ردَّ هولدن على سام: "لا، ليس هذه المرة"، وأشار إلى الجواجز التالفة في السطح الهندسي، ثم أردف: "انفجرت قنبلة في غرفة التحرين، وتسبَّبت في ثقب هنا، ودخلت بعض الشظايا في صندوق الوصلات هناك".

شهقت سام، وقالت: "إما أن تلك الشطية أصابت حرءًا كبيرًا في الطريق الطويل، أو أن مفاعل المركبة يعرف كيف ينحني".

- "كم من الوقت ستستعرقين لإصلاح الأضرار؟"

أجابت سام. "امم، لا توجد مشكلة مع الحاجر"، ثم أردفت وهي تنقر على شيءٍ ما في جهازه اللوحي، ثم صرّت على إحدى زوايا أسنانها "يمكننا ترقيع الثقب الموجود في عرفة التخزين بقطعة فريدة من المستودع، هذا سيسهل عملنا كثيرًا. ولكن اعلم سيستغرق صندوق الوصلات وقتًا أطول، ولكن لا تقلق، لن يأخذ منا الكثير، قل مثلًا أربعة أيام إذا حضر طاقم الفنيين الخاص بي الآن".

ردَّ هولدن: "جيد جدًّا"، ثم قال بكآبة من أجبر على الاعتراف بالمزيد من الأخطاء: "لدينا أيضًا مشكلة أخرى تتمثَّل في باب غرفة التخزين التالف، والذي سيتعيَّن علينا إما إصلاحه أو استبداله، كما أن القفل الهوائي الخاص بغرفة التخزين معطوب نوعًا ما".

قالت سام: "إذن سنحتاج إلى يومين إضافيين"، ثم جثت على ركبتيها، وبدأت في إخراج الأدوات من صندوقها، وأضافت: "هل تمانع إذا بدأت الآن في أخذ بعض المقاسات؟"

لوَّح لها هولدن وهو يشير إلى الحائط: "خذي راحتك تمامًا".

تساءلت سام: "هل رأيت الأخبار؟" وأشارت إلى المُتحدِّثين على شاشة الحائط: "لقد تدمَّرت محطة جانيميد، أليس كذلك؟"

ردَّ أليكس: "نعم، إلى حدٍّ كبير".

قال هولدن: "ولكن هذا لم يحدث إلا في جانيميد حتى الآن، وهذا يعني شيئًا لم أكتشفه بعد".

أضافت سام بهدوء كما لو أنهم يتحدّثون عن ذلك منذ وقتٍ طويل: "ناعومي تقيم معي الآن"

شعر هولدن أن أسارير وجهه تتقلّص، حاول أن يقاوم ذلك، وأجبر نفسه على الابتسام، ثم قال: "حقًّا؟ هذا رائع فعلًا".

قالت سام وهي تحمل مفتاح عزم الدوران: "إنها لم تتحدّث معي عن أسباب ذلك، ولكني إذا اكتشفت أنك آذيتها أو تسبّبت لها في أيّ مكروه، فإني سأمزق قضيبك بهذا المفتاح اللعين". انفجر أليكس في الضحك لثانية، ثم غالب ضحكه، وبدا مُحرجًا.

ردَّ هولدن: "إذن، وصل إليّ تحذيرك، ولكن أخبرني حقًّا كيف حالها الآن؟"

أجابت سام: "بخير، لكنها لا تتحدّث كثيرًا"، ثم أضافت: "حسنًا، حصلت الآن على ما أحتاج إليه، سأذهب الآن وأطلب من المصنع أن يعمل على تصنيع رقعة الحاجز. أراكم بخير يا رفاق".

قال أليكس: "وداعًا يا سام"، وتابعتها عينه وهي تركب المصعد حتى أغلق الباب خلفها. ثم أردف: "أنا أكبرها بعشرين عامًا، وبالرغم من تيقُّني من أنني أسلك دربًا خاطئًا، لكنني أحب هذه الفتاة حقًّا".

ردَّ هولدن: "هل تتناوب أنت وأموس على الإعجاب بسام؟ أم يجب عليّ أن أقلق بشأن حَمْل الفتاة المسكينة لمسدسيكما فجر كل ليلة".

قال أليكس بابتسامة: "حبي هو حب عذري، ولن ألوّث هذا الحب النقي بمثل هذه القذارة".

ردَّ هولدن: "فليكتب الشعراء عن قصة الحب هذه".

قال أليكس: "حسنًا، إذن"، واتكأ على الحائط، ونظر إلى أظافره، ثم استطرد: "دعنا نتحدث عن وضع المساعد التنفيذي".

ردَّ هولدن: "من الأفضل عدم الحديث عن ذلك الآن".

أصرَّ أليكس: "بل، لنفعل ذلك"، ثم تقدَّم خطوة للأمام، وعقد ذراعيه كرجل يرفض التنازل عن موقفه: "لقد سافرت على متن هذه المركبة بمفردي لأكثر من عام الآن، لم يكن هذا لينجح طوال تلك الفترة إلا لأن ناعومي ضابطة عمليات من طراز

فريد، وتخفف عني ثقل الكثير من المهام، إذا فقدنا ناعومي، فإننا لن نستطيع الطيران في الفضاء، هذه حقيقة يجب أن نعترف بها".

أدخل هولدن جهاره اللوحي في جيبه، ثم تراجع إلى الخلف تجاه درع المفاعل، ثم قال: "أنا أعرف، أعرف ذلك حق المعرفة. لم أكن أتوقَّع أنها ستفعل ذلك في الواقع"

قال أليكس: "تقصد المغادرة؟"

أجاب هولدن: "نعم".

قال أليكس: "نحن لم نتناقش مطلقًا في الأجور، نحن لا نحصل على أيّ رواتب".

عبس هولدن وتساءل مستنكرًا: ""أجور؟" ثم قرع بيده على المفاعل الموجود خلفه، وكان لذلك صدى يُشبه دوي شاهد القبر المعدني، وأضاف: "كل سنت قدَّمه لنا فريد ولم يذهب ضمن الأموال التي ننفقها على تشغيل المركبة ما يزال محفوظًا حتى الآن في الحساب الذي فتحته باسمنا، إذا كنت بحاجة إلى بعض المال، فإن ربع هذا المال من حقك، ولك أن تتصرَّف في حصتك كما شئت".

هزَّ أليكس رأسه، ولوَّح بيده ثم قال: "لا، لا تُسئ فهمي رجاءً، لست بحاجة إلى المال، ولم أفكر للحظة أنك تسرقنا، أوددت فقط أن أوضح أننا لم نتناقش مطلقًا في أمر الأجور".

- "ماذا تقصد؟"

أردف أليكس: "أقصد أننا لسنا طاقمًا عاديًّا، نحن لا نعمل في هذه المركبة من أجل المال، أو لأن الحكومة جنَّدتنا، نحن هنا لأننا نريد أن نكون هنا؛ لأن هناك شيئًا واحدًا يربطنا بك، نحن نؤمن بعدالة قضيتك، ونريد أن نكون جزءًا مما تفعله. في اللحظة التي نفقد فيها تلك الميزة، فمن الأفضل حينها أن نجد وظيفة حقيقية مدفوعة الأجر بدلًا من ذلك".

بدأ هولدن يرد: "لكن ناعومي...".

قاطعه أليكس: "هل تقصد أنها كانت صديقتك؟! تبًّا هذا يا جيم، ألم ترها؟ يمكنها أن تواعد رجلًا آخر، وأن تحصل أنت أيضًا على صديقة أخرى. في الحقيقة هل تمانع إذا..."

قال هولدن: "أنا أفهمك، وأتفهّم وجهة نظرك. لقد أفسدتُ الأمر كله، وهذا خطئي. أعلم ذلك كله، ولكن عليّ أن أذهب لمقابلة فريد، من أجل أن نبدأ في البحث عن كيفية إصلاح كل تلك الفوضى".

- "هذا في حال لم يكن فريد مسؤولًا عن ذلك".

ردَّ هولدن: "نعم، ما لم يكن فريد هو المسؤول عن كل ذلك بالطبع".

***

قال فريد جونسون بينما كان هولدن يدلف باب مكتبه: "كنت أتساءل متى ستأتي لمقابلتي أخيرًا".

بدا فريد أفضل وأسوأ مما كان عليه عندما التقى به هولدن لأول مرة قبل عام. أفضل لأن تحالف الكواكب الخارجية، تلك الحكومة الزائفة التي كان فريد رئيسها الفخري، لم يعد منظومة إرهابية، بل أصبح التحالف حكومة فعلية يمكن أن تجلس على طاولة المفاوضات الدبلوماسية مع الكواكب الداخلية، وقد تولّى فريد دور المسؤول بحماسة لم يشعر بأنها حماسة مناضل من أجل الحرية. وقد تجلّى ذلك بعدم رأي كتفيه المسترخيتين، والابتسامة الهادئة المطبوعة على وجهه التي باتت تعبيره الافتراضي.

ولكنه بدا أسوأ من ذي قبل؛ لأن ما حدث خلال العام الماضي وكل ضغوطات الحكم قد شيّبته حيث أصبح شعره أرق وأكثر بياضًا، كما أن رقبته صارت مزيجًا من الجلد المترهل وعضلات الشيخوخة المتهالكة، وأُحيطت عيناه بدوائر سوداء الآن لم يظهر على جلده الذي الكثير من التجاعيد، ولكنه أخذ مسحة رمادية كئيبة المظهر.

وبالرغم من ذلك، كانت ابتسامته هولدن صادقة؛ حيث دار حول المكتب ليصافحه بحفاوة، ويوجّهه إلى كرسي للجلوس.

قال فريد. "لقد قرأت تقريرك عن جانيميد، أخبرني بكل شيء حول هذا الموضوع، أريد أن أعرف انطباعاتك الميدانية كما شاهدت الأمر على أرض الواقع".

ردّ هولدن: "فريد! أريد أن أتحدّث معك عن شيء آخر".

أومأ إليه فريد، وهو يعود إلى مقعده خلف المكتب: "هيا، تحدَّث عما شئت".

بدأ هولدن يتكلّم ثم توقَّف. حدَّق به فريد، ولم يتغيَّر تعبيره، لكن عينيه كانتا أكثر حدة وتركيزًا. شعر هولدن بخوفٍ مفاجئ وغير منطقي من أن فريد يعرف بالفعل كل ما كان على وشك أن يُخبر به.

الحقيقة أن هولدن دائمًا ما كان يخالجه شعورٌ خفيٌّ بالخوف من فريد. ثمة ازدواجية لهذا الرجل ما تزال تقُضُّ مضجع هولدن إلى الآن: لقد تواصل فريد مع طاقم (روسينانت) في اللحظة التي كانوا في أمس الحاجة إلى المساعدة، فأصبح راعيهم وملاذهم الآمن ضد قائمة الأعداء التي تكوَّنَت طوال العام الماضي حتى بات من الصعب حصر كل هؤلاء الأعداء. ومع ذلك لا يمكن أن ينسى هولدن أنه ما يزال العقيد فريدريك لوسيوس جونسون، جزار محطة أندرسون. إنه ذلك الرجل الذي أمضى العقد الماضي في المساعدة في تنظيم وإدارة تحالف الكواكب الخارجية، وهي المنظمة التي لم تكن تجد غضاضة في القيام بأعمال القتل والإرهاب من أجل تحقيق أهدافها. ومن المؤكَّد أن فريد نفسه هو من أصدر أوامر تنفيذ بعض جرائم القتل هذه، كما أنه من الممكن تمامًا أن تكون نسخة فريد الذي يعمل الآن قائدًا لـ (أوبا) قد تسبَّبت في مقتل عددٍ من الأشخاص يفوق ما قتلته نسخة فريد القديمة حينما كان يعمل عقيدًا بحريًّا تابعًا للأمم المتحدة.

هل تُرى ذلك الشخص سيتردَّد للحظة في استخدام الجزيء الأولي لتنفيذ مُخطَّطاته؟

من الممكن ذلك، ربما سيذهب بالجزيء الأولي بعيدًا جدًّا، ولكن فريد كان صديقًا؛ ولذا فإنه يستحق فرصة للدفاع عن نفسه.

بدأ هولدن: "فريد، أنا..."، ثم توقَّف.

أومأ فريد برأسه مرة أخرى، وتلاشت الابتسامة من على وجهه، واستُبدلت بعبوس طفيف "لن أحب الخوض في ذلك، اعتبره أمرًا مفروغًا منه"

أمسك هولدن بذراعي كرسي المكتب ودفع نفسه واقفًا على قدميه. لقد فعل ذلك بقوة تفوق ما أراد، ومع انخفاض جاذبية المحطة إلى مقدار ¼ (ج)، ارتفعت قدماه عن الأرض لمدة ثانية. ضحك فريد، وانقلب التجهُّم إلى الابتسام مرة أخرى

ولكن كان ضحك فريد وابتسامته بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، حيث بدَّدت رهبة هولدن، فتحوَّلت إلى غضبٍ عارم، وبمجرد ثبوت قدميه على الأرض، انحنى إلى الأمام، وضرب بكفيه على مكتب فريد.

صرخ: "لا، لا تضحك، ليس من حقك أن تضحك قبل أن أعرف على وجه اليقين أن ما حدث لم يكن من تدبيرك، إذا كنت فعلت ما أظن أنك قد فعلته، وما زلت تضحك، فسأطلق عليك النار هنا في مكتبك، والآن".

لم تتغيَّر ابتسامة فريد، لكن شيئًا ما في عينيه تغيَّر، لم يكن معتادًا على التهديد، ولكنه لم يتفاجأ منه أيضًا.

كرَّر فريد: "ما تظن أنني قد فعلته"، ولم يطرح الجملة في صياغة سؤال، اكتفى بترديدها فقط.

قال هولدن: "إنه الجزيء الأولي يا فريد. هذا ما يحدث هناك في جانيميد، مختبر حيث يقومون بالتجارب على الأطفال المرضى، وتلك الخيوط العنكبوتية السوداء، والوحش الذي كاد أن يُحطِّم مركبتي، ويقتلنا جميعًا. هذه هي انطباعاتي الميدانية اللعينة. شخص ما يعبث بهذا الشيء حتى بات سائبًا، كما أن الكواكب الداخلية تُطلق النار بعضها على بعض لتلتف في مدارٍ حوله".

قال فريد: "تعتقد أنني فعلت هذا"، قال عبارته للمرة الثانية بهذا الشكل دون صياغتها في سؤال.

صاح هولدن: "لقد تخلّصنا من هذا القرف عندما ألقينا به في كوكب الزهرة، وأعطيتك العينة الوحيدة، وإذ فجأة، يندلع هذا الشيء في جانيميد، مصدر الغذاء

الرئيسي لإمبراطوريتك المستقبلية، المكان الوحيد الذي لن تتخلى عنه القوات البحرية الداخلية، هل تمشي الوباء من تلقاء نفسه؟"

ترك فريد الصمت يجيب للحظة، ثم قال: "هل تسألني عما إذا كنت قد استخدمت الجريء الأولي لطرد قوات الكواكب الداخلية من حابيميد، ولتعزيز سيطرتي على الكواكب الخارجية؟"

بعدما أنصت هولدن لنبرة فريد الهادئة، أدرك أنه كان يصرخ للتو، وحاول التقاط أنفاسٍ عميقة؛ ليهدأ قليلًا، وعندما تباطأ نبضه قليلًا، قال: "نعم، هذا ما أريد أن أسألك عنه بالضبط".

أجاب فريد بابتسامةٍ عريضة لا تمتد إلى عينيه: "أنت، لا تسألني عن ذلك".

- "كيف؟"

ردَّ فريد: "في حال نسيت، فأنت مُوظَّف في هذه المنظمة"، ثم نهض على قدميه، وبدا أطول من هولدن بحوالي عشرة سنتيمترات، ولم يتوقَّف عن الابتسام، لكن جسده تمدَّد نوعًا ما حتى تراءى ضخمًا وعدوانيًّا للغاية، تراجع هولدن خطوة إلى الوراء قبل أن يتمكَّن فريد من إيقاف نفسه.

أضاف فريد: "أنا لا أدين لك بشيء إلا ما ورد من شروط في عقدنا الأخير. هل فقدت صوابك تمامًا يا فتى؟ هل تدرك أن دخلت مكتبي للتهجُّم عليّ والصراخ في وجهي؟ ومطالبتي بالإجابة عن أسئلتك التافهة؟"

حاول هولدن الرد: "ما من أحدٍ يستطيع أن ...".

تجاهله فريد، وقال: "لقد أعطيتني العينة الوحيدة كما تقول، لكنك تفترض أنك إذا كنت لا تعرف عنها شيئًا، فإنه لم يعد لها وجود. لقد تحمَّلت هراءك هذا منذ أكثر من عام، تحمَّلت هذه الفكرة السخيفة التي تؤمن بها وهي أن العالم مدين لك بالإجابة عن تساؤلاتك. تحمَّلت سخطك الذي يشبه الهراوة التي تقرع بها كل من حولك، لكني لم أعد مضطرًّا لتحمُّل كل هذا الهراء".

قال هولدن: "أتعرف لماذا؟"، وهزّ رأسه خوفًا من أن يتحدّث أكثر فيخرج صوته كحشرجة فارغة.

ردّ فريد: "هذا لأنني أنا الرئيس اللعين؛ لأنني أنا من يدير هذا المنصب. صحيح أنك كنت مفيد جدًّا خلال الفترة الماضية، وربما تعود مرة أخرى لاستئناف مهامك في المستقبل، لكنني لدي ما يكفي من الهراء الذي يجب عليّ التعامل معه الآن دون أن أدعك تطلق حملة أخرى من حملاتك الشعواء على حسابي".

قال هولدن: "وهذا معناه..؟" ونطق كل كلمة على حِدة.

أجاب فريد: "هذا معناه أنك مطرود، هذا آخر عقد مُوقَّع بيننا، سأنتهي من إصلاح (روسي) وأُسلِّمها لك، كما سأدفع لك باقي أتعابك؛ لأنني لا أخلف وعدًا قطعته. ولكنني أعتقد أننا قمنا أخيرًا ببناء ما يكفي من المركبات لمراقبة سماء محطتنا وتأمينها من أيّ هجوم غادر دون الحاجة إلى مساعدتك، وحتى لو لم نكن بعد جاهزين لذلك، فإنني قد سئمت منك تمامًا، ولم أعد بحاجة إليك معنا".

قال هولدن باستنكار: "مطرود!"

تابع فريد: "والآن، أخرج من مكتبي قبل أن أقرر أخذ (روسي) منك أيضًا، لقد حصلت المركبة الآن على قطع غيار من تايكو أكثر من القطع الأصلية الخاصة بها. أعتقد أنني الآن قادر على تقديم حجة قوية تجعلني أمتلك المركبة إن شئت ذلك".

تراجع هولدن، واتجه نحو الباب متسائلًا عن مدى خطورة هذا التهديد في الواقع، رمقه فريد وهو يخرج دون أن يُحرِّك ساكنًا، ولكن عندما وصل هولدن إلى الباب، قال فريد: "لم أكن أنا".

التقت عيونهما للحظة طويلة، وظلت أنفاسهما محبوسة

كرَّر فريد: "لم أكن أنا".

ردّ هولدن: "حسنًا"، ثم خرج من الباب.

عندما أُغلق الباب، وابتعد عن أنظار فريد، تنفَّس هولدن الصعداء، وانهار على جدار الردهة. كان فريد محقًّا بشأن شيءٍ واحد: لقد كان هولدن يستخدم خوفه كذريعة يستند

إليها لفترة طويلة جدًّا. سحطه الدي يشبه الهراوة التي يقرع بها كل من حوله. حينها رأى البشرية على وشك الانقراض بسبب غبائها، اضطرب واهتز لهذه الخاطرة حتى النخاع. لقد كان هولدن مدفوعًا بقوة الخوف والأدرينالين منذ حادثة إيروس.

لكن ذلك ليس عذرًا، ليس بعد الآن.

أخرج جهازه اللوحي من جيبه، وبدأ تسجيل رسالةً صوتية: "لقد طُردت من العمل"، ثم أرسلها إلى ناعومي.

لقد ارتبط هولدن بعقد عمل حصري مع فريد لأكثر من عام، كانت محطة تايكو قاعدتهم الرئيسية طوال هذه الفترة.

أمضت سام الوقت نفسه الذي أمضاه أموس في إصلاح وترميم مركبة (روسي)، ولكن كل شيء في طريقه للزوال. سيتعيَّن على طاقم المركبة العثور على وظائفهم، وتدبير مراسيهم الخاصة، ودفع تكاليف الإصلاحات. لم يعد هناك راعٍ ليقود هولدن ويشدد بيده. لأول مرة منذ فترة طويلة، يشعر هولدن أنه قبطان حقيقي ومستقل عن أيّ سلطة. سيحتاج إلى شق طريقه وكسب قوته بنفسه من خلال التحليق بمركبته في الفضاء وتحمُّل مسؤولية إطعام الطاقم. توقَّف للحظة، وغرق في التفكير في هذا الأمر.

يبدو هذا شعورًا رائعًا حقًّا.

الفصل الثالث والثلاثون

براكس

انحنى أموس على كرسيه. مجرد الوجود الفيزيائي لهذا الرجل الضخم يجعل الغرفة تبدو أصغر حجمًا، كانت رائحة الكحول والتبغ المُعتَّق تنبعث منه مثل الحرارة المتقدة من نار المخيم، لا يستطيع أن يجعل تعابير وجهه تبدو أكثر لطفًا.

قال براكس: "لا أعرف ماذا أفعل، أنا فقط لا أعرف ما يتعيَّن عليّ القيام به، تلك هي أزمتي. هذا ما سبق وحدث مع نيكولا، لقد كانت... كانت تائهة وغاضبة جدًّا، كنت أستيقظ كل يوم، وأنظر إليها، رأيت كم كانت عالقةً ومُحاصرةً، ورأيت أيضًا مَي وهي تكبر بيننا، وبالرغم من محاولاتها في أن تجعل والدتها تتعلَّق بها أكثر، فإن كل ما أرادته نيكولا في ذلك الوقت أن تهرب إلى مكانٍ آخر. ولما يئستُ من إثنائها عن هذا القرار، اعتقدتُ أنه ربما يكون ذلك الحل أفضل للجميع. عندما بدأت تتحدَّث عن رغبتها في الانفصال والرحيل بعيدًا، كنت قد هيأت نفسي لهذا الأمر. أتعلم، عندما... عندما كان عليّ أن أخبر مَي...".

توقَّف براكس عن الكلام، ودفن رأسه بين يديه، وأخذ يتأرجح ببطءٍ ذهابًا وإيابًا.

سأله أموس: "هل ستتقيأ مرة أخرى، يا دكتور؟"

أجاب: "لا، أنا بخير. لو كنت أبًا أفضل لها، لكانت ستظل هنا، ولن ترحل؟"

- "تتحدَّث عن زوجتك السابقة أم عن الطفلة؟"

ردَّ براكس: "لا يهمني أمر نيكولا الآن، كان يجب عليّ أن أكون هناك من أجل مَي، كان يجب أن أذهب إليها بمجرد تلقّي التحذير لو لم أنتظر هناك في القُبة. ولماذا انتظرت أصلًا؟ من أجل النباتات؟ لقد ذبلت كلها الآن على أيّ حال كان لدي نبتة واحدة، ولم

أستطع حتى إنقاذها. ولكن كان بإمكاني أن أصل إلى هناك، وأن أحد مي. إذا كنت هنا.. ".

قاطعه أموس قائلًا: "لقد أحدوها قبل أن تقع كارثة حايميد كما تعلم، أليس كذلك؟"

هز براكس رأسه، لم يتقبّل فكرة أن يرحمه الواقع من عذاباته المريرة.

أضاف: "وماذا بعد ذلك، عندما سمحت لي الفرصة لذتُ بالفرار، كان لدي بعض المال، ولكنني كنت غبيًا، تركتُ كل ما أملك ورائي، وقررتُ الرحيل. كانت هذه الفرصة الأخيرة للعثور عليها، ولكنني كنت غبيًا حيال ذلك أيضًا".

ردّ أموس: "حسنًا، يا دكتور، هذا جديدٌ عليك".

قال براكس: "كان يجب أن يكون لَمي أبٌ خيرٌ مني، كانت تستحق أبًا أفضل، إنها فتاةٌ طيبة... لقد كانت فتاةً طيبة".

لأول مرة، لمسه أموس، ربّتت اليد العريضة على كتفه، ثم أمسك به أموس من عظمة الترقوة إلى لوح الكتف، وشد العمود الفقري لبراكس حتى أصبح مستقيمًا. كانت عيون أموس أبعد من أن تكون محتقنة بالدم فقط، حيث بدت رخامية صلبة يختلط بياضها باللون الأحمر. تعالت أنفاسه الساخنة واللاذعة، تجلّ النموذج الأفلاطوني للبحّار المخمور الواقف على المرفأ، ومع ذلك حافظ على ثبات ورصانة صوته.

قال: "إنها تمتلك أبًا جيدًا بالفعل يا دكتور، أنت تهتم لأمرها حتى الآن، وهذا وحده أكثر مما يفعله الكثير من الناس".

ازدرد براكس ريقه، بدا مُتعبًا، لقد سئم من أن يظهر بمظهر الرجل المتهالك، كما سئم من الأمل والعزم والاستعداد دائمًا لما هو أسوأ. لم يعد يريد أن يكون على سجيته بعد الآن، لم يعد يريد أن يكون أيّ شخصٍ على الإطلاق شعر بيد أموس على كتفه مثل مشبك المركبة مما منع براكس من الانحراف والدوران بعيدًا في الظلام. كل ما أراده في تلك اللحظة أن يُفلت أموس قبضته، ويتركه إلى حال سبيله.

قال براكس. "لقد رحلتْ"، شعر وكأنه عدرٌ حيد، تبريرٌ يُصبّر به نفسه. "لقد أخذوها مني بعيدًا، ولا أعرف من هم، ولم يعد بإمكاني استعادتها، ولم يعد حتى بإمكاني استيعاب ما يحدث حولي".

"لم ينته الأمر بعد"، أومأ براكس برأسه، ليس لأنه يشعر بالراحة، ولكن لأنه يعرف جيدًا أنه يجب أن يتظاهر بذلك في اللحظة الحالية

قال براكس: "لن أعثر عليها أبدًا".

ردَّ أموس: "أنت مخطئ في تقديرك".

علا صرير الباب وانفتح؛ ليدخل هولدن الغرفة، في البداية لم يستطع براكس الانتباه إلى ما تغيَّر فيه، ولكن حدث شيءٌ ما... شيءٌ ما تغيَّر. لا لبس في ذلك، ربما يكون وجهه هو نفسه، وملابسه أيضًا كما هي، ولكن كان لدى براكس نظرة ثاقبة في استكشاف التحوُّلات التي تطرأ على الشخص.

قال هولدن: "مرحبًا، هل كل شيء على ما يُرام؟"

أجاب أموس: "بعض الاضطرابات فقط"، رأى براكس ارتباك هولدن ينعكس على وجه أموس، لقد اكتشف كلا الرجلين التحوُّل الطارئ على هولدن، بالرغم من أن أحدًا منهما لم يعرف ما الذي تغيَّر فيه بالضبط. تابع أموس: "هل فرغت من ممارسة الجنس للتو، أو شيء من هذا القبيل، أيها القبطان؟"

أجاب هولدن: "كلا".

ردَّ أموس: "أعني، ليتك فعلت، لم يكن الأمر كما تخيلت...".

قاطعه هولدن بتردُّد: "كلا، لم أمارس الجنس للتو"، ثم أشرقت ابتسامته عندما أضاف: "ولكن لقد طُردت من العمل للتو".

استنكر أموس قائلًا. "لقد طُردت للتو؟ وحدك أم نحن جميعًا؟"

أجاب هولدن: "نحن جميعًا".

قال أموس. "هاه!"، وبعد لحظة سكون، هزَّ كتفيه، ثم قال: "حسنًا، لا بأس".

قال هولدن: "أريد التحدُّث إلى ناعومي، لكنها لا تردُّ على اتصالاتي الهاتفية، هل يمكنك اقتفاء أثرها؟"

تبرّم أموس والتوت شفتاه كما لو كان يمتص ليمونًا حامضًا.

أضاف هولدن: "لا أنتوي إثارة عصبها ولا محادلتها، كل ما في الأمر أننا لم نترك الأمور في نصابها الصحيح عندما افترقنا، وكنت مُخطئًا؛ لذلك أريد إصلاح خطئي".

- "كل ما أعرفه أنها كانت تتسكّع في تلك الحانة التي أخبرتنا بها سام في آخر مرة التقينا، حانة بلووي بلوم، وعندما رأيتك تتغابى وتتمادى في عنادك، لم أرد أن أخبرك بذلك".

ردَّ هولدن: "لا مشكلة، شكرًا لك".

استدار القبطان ليغادر ثم توقَّف عند عتبة الغرفة، مما جعل جسده يبدو في مكان، ورأسه في مكان آخر.

تساءل: "ما هي بعض الاضطرابات؟ سمعتك تقول إن هناك بعض الاضطرابات".

أجاب أموس: "أراد الدكتور توظيف شركة أمنية خاصة من شركات القمر؛ لتعقُّب طفلته، ولكنه لم ينجح في مسعاه".

قطّب هولدن جبينه، بينما شعر براكس بحُمرة الخجل تكسو وجهه.

قال هولدن: "اعتقدت أننا على وشك العثور على الطفلة"، وبدا مرتبكًا حقًّا.

ردَّ أموس: "لم يكن الدكتور متأكّدًا تمامًا".

قال هولدن وهو يلتفت إلى براكس: "حسنًا، سنعثر نحن على طفلتك، لست بحاجة إلى خدمات شخص آخر".

ردّ براكس: "لكنني لا أستطيع أن أدفع لك، كل أموالي في حسابات جانيميد، ولا أعلم مصيرها الآن، وحتى لو كانت هذه الأموال ما تزال موجودة، فلا يمكنني الوصول إليها، كل ما أمتلكه حاليًا هو ما يتبرّع به الناس من أجل العثور على ابنتي. ربما يمكنني جمع حوالي ألف دولار من دولارات الأمم المتحدة، أترى ذلك كافيًا؟"

ردَّ هولدن. "لا، هذا المبلغ لن يكفينا لشراء الهواء لمدة أسبوع واحد فقط، ناهيك عن الماء. سيتعيّن علينا النظر مجدَّدًا في الأمر"

أمال هولدن رأسه جانبًا كما لو كان يستمع إلى هاتف لا يسمعه سواه.

قال براكس: "لقد تحدّثت إلى روجتي السابقة بالفعل، كما تحدّثت مع والديّ، ولكن لا أستطيع التفكير في أيّ شخصٍ آخر لأحدِّثه في هذا الأمر".

تساءل هولدن: "ماذا لو حدَّثت الجميع؟!"

***

قال القبطان من الشاشة العملاقة في قمرة قيادة مركبة (روسينانت): "مرحبًا، أنا جيمس هولدن، وأتحدَّث إليكم الآن؛ لأطلب منكم المساعدة. منذ أربعة أشهر، وقبل ساعاتٍ من الهجوم الأول على جانيميد، تم اختطاف فتاة صغيرة -تعاني من مرضٍ وراثي يُهدِّد حياتها- من حضانتها. في أثناء الفوضى التي...".

أوقف أليكس الفيديو مؤقتًا. حاول براكس الجلوس، ولكن مقعد مساعد الطيار ذا المحورين تحرَّك تحته؛ ليجد نفسه مُنحنيًا إلى الوراء.

قال أليكس من على مقعد الطيار: "لا أعرف.. اللون الأخضر في الخلفية يجعله يبدو أكثر شحوبًا، أما ترى ذلك أيضًا؟"

ضيَّق براكس عينيه قليلًا، وفكَّر في الأمر، ثم أومأ برأسه. وقال: "اللون الأخضر لا يتناسب معه حقًّا، ربما لو كان اللون في الخلفية أغمق، لكان سيناسبه أكثر".

قال الطيار وهو ينقر على شاشته: "سأحاول القيام بذلك. عادةً ما كانت ناعومي تتولَّى هذه المسائل، لا أفضل عادةً العمل المتعلّق بحِزم الاتصالات، لكن لا بأس، سأنجز ذلك. ما رأيك الآن؟"

أجاب براكس: "يبدو أفضل".

- "مرحبًا، أنا جيمس هولدن، وأتحدَّث إليكم الآن؛ لأطلب منكم المساعدة. منذ أربعة أشهر...".

استعرق الجزء الذي يظهر فيه هولدن أقل من دقيقة من العرض التقديمي المُختصر، وتم تسجيله بالكاميرا الموجودة في جهاز أموس اللوحي، بعد ذلك أمضى أموس وبراكس ساعة في محاولة تجميع بقية الفيديو، كان أليكس هو من اقترح استخدام أفضل المعدات المتوافرة في (روسيات)، وبمجرد القيام بذلك كانت مهمة تجميع البيانات أمرًا سهلًا؛ حيث استخدموا الرسالة التي بعثها براكس لنيكولا ووالديه كنموذج كما ساعده أليكس في تسجيل البيانات الباقية، والتي تمثَّلت في شرح حالة مَي المرضية، عرض لقطات الفيديو الأمني الذي يظهر فيه ستريكلاند والمرأة الغامضة التي أخذتها من الحضانة، وبيانات المختبر السري في جانيميد، إضافةً إلى لقطات خيوط الجزيء الأولي العنكبوتية السوداء، بجانب الصور لمَي وهي تمرح في المتنزّهات، وفيديو قصير مأخوذ من حفل عيد ميلادها الثاني حيث كانت تُلطِّخ جبينها بكريمة الكعكة.

شعر براكس بالغرابة عندما رأى نفسه وهو يتحدَّث في الفيديو، لقد شاهد الكثير من مقاطع الفيديو وسمع الكثير من التسجيلات لنفسه، لكن الرجل الذي رآه على الشاشة يبدو أنحف كثيرًا مما يتوقَّع، أكبر سنًّا، وأعلى صوتًا من ذلك الصوت الذي يتردَّد في أذنيه، ولكنه أقل تردُّدًا. بدا براكسيديك مينج الذي كان على وشك أن يتم بث رسالته إلى البشرية جمعاء رجلًا مختلفًا عن الرجل الذي هو عليه في الواقع، ولكنه كان قريبًا منه بما يكفي، وإذا ساعد ذلك في العثور على مَي، فهذا ما يهمه حقًّا. كان براكس على استعداد أن يكون أيّ شخصٍ مقابل أن يستعيد ابنته.

مرَّر أليكس أصابعه على أدوات التحكُّم، وأعاد ترتيب العرض التقديمي؛ حيث ربط الصور المعروضة لـ مَي بالجدول الزمني لبيان هولدن. لقد أنشأوا حسابًا جاريًا في اتحاد ائتماني موثوق تابع للحزام يتميَّز بمجموعة متنوِّعة من الخيارات للمؤسسات الفردية غير الربحية؛ مما يسمح بقبول الإسهامات تلقائيًّا. شاهده براكس وهو يفعل ذلك، ونمت لديه رغبة جارفة في اقتراح المزيد من الأفكار أو تولِّي زمام الأمور بدلًا منه، ولكن لم يتبقَّ هناك المزيد ليفعله.

قال أليكس: "انتهينا، إنه أقصى ما أستطيع فعله"

ردّ براكس: "جيد جدًّا، والآن ماذا سنفعل بذلك الآن؟"

نظر إليه أليكس، وبدا مُنهكًا بشدة، ولكنه لم يفقد حماسته بعد. وقال: "الآن حان وقت نشر الفيديو".

- "لكن يجب أن يخضع إلى عملية المراجعة أولًا...".

ردَّ أليكس. "لا توجد عملية مراجعة يا دكتور. هذا ليس عملًا حكوميًّا، إنه ليس حتى عملًا تجاريًّا بحق الجحيم. أما ترى القردة تتقافز على الأشجار في الغابة بأقصى سرعتها، ولا يهمها سوى أن تنجو بأدبارها من رشق الخازوق؟ نحن مجرد قردة تطير في الفضاء بأقصى سرعتنا، وكل ما يتعيَّن علينا إبعاد مؤخرة مركبتنا عن عادم المُحرِّك".

استنكر براكس: "أوه، هل حقًّا ما أسمع؟"

قال أليكس: "يكفيك أن تجالس القبطان لفترة كافية، وستعتاد على ذلك. قد تحتاج إلى يوم إجازة للتفكير في الأمر مليًّا".

استند براكس إلى مرفق واحد ثم نهض، وتساءل: "أفكر في ماذا؟"

أجاب أليكس: "فكِّر في نشر الفيديو هكذا، إذا سارت الأمور كما نظن، فسيقع هذا الفيديو في دائرة الضوء، ومن ثَمَّ سيحظى باهتمامٍ واسع النطاق. ربما يُؤتي ثماره، ويُحقِّق لنا ما نريد، أو ربما يجلب علينا عواقب وخيمة. كل ما أود قوله: بمجرد أن تُكسر البيضة، فلن تعود سليمة مرة أخرى أبدًا".

تأمَّل براكس في الأمر لبضع ثوانٍ، واستمرت الشاشات في التوهُّج.

قال براكس: "سنفعل ذلك لأجل مَي".

ردَّ أليكس: "حسنًا، إذن"، ونقل وحدة التحكُّم في الاتصال إلى محطة مساعد الطيار، وسأله: "هل تريد أنت تقوم بمهام المضيف للفيديو؟"

تساءل براكس. "إلى أين سيتجه؟ أعني إلى أين سنرسله؟"

أجاب أليكس: "إنه مجرد بث بسيط، ربما يتردّد ويُذاع على قنوات الحزام المحلية، لكنه القبطان هو من يتحدَّث في الفيديو؛ لذلك سيشاهده الناس ويمررونه عبر الشبكة و....".

- "وماذا؟"

- "اممم نحن لم نضف إلى الفيديو الجزء الخاص بالمسافر جلسة الذي واجهناه في طريقنا، ولكن يمكن رؤية الخيوط السوداء في المكعب الزجاجي، نحن نعلن بالأساس عبر هذا الفيديو أن الجزيء الأولي ما يزال موجودًا، هذا سيؤدي إلى تضخيم الإشارة، وانتشار الفيديو أكثر".

تساءل براكس: "وهل تعتقد أن هذا سيساعد؟"

أجاب أليكس: "في المرة التي فعلنا فيها شيئًا كهذا، اندلعت الحرب، ربما لا تكون كلمة "سيساعد" في محلها هنا، ولكن على الأقل، سيؤدي إلى تحريك المياه الراكدة".

هزَّ براكس كتفيه، وضغط على إرسال الفيديو.

قال أليكس ضاحكًا: "تم إطلاق الطوربيد".

***

نام براكس في المحطة على عزف أزيز أجهزة إعادة تدوير الهواء، وخرج أموس مرة أخرى تاركًا ملاحظة لبراكس حتى لا ينتظره طويلًا. ربما كان خياله هو من صوَّر له أن جاذبية الدوران تبدو أكثر اختلافًا. ولكن مع قطر عريض مثل محطة تايكو، لا ينبغي أن يزعجه تأثير كوريوليس كثيرًا، خصوصًا لو كان مُستلقيًا بلا حراك في الظلام الحالك لغرفته الضيقة. ومع ذلك لم يستطع أن ينعم بنومٍ هانئ، لم يستطع أن ينسى أن الأشياء تدور من حوله، وأن القصور الذاتي هو من يضغطه على هذه المرتبة الرقيقة بينما جسده يحاول الطيران في الفراغ. في معظم الوقت الذي أمضاه على مركبة (روسينانت)، كان قادرًا على خداع عقله؛ ليعتقد أن لديه كتلة من القمر تُطمئنه، وفي النهاية توصَّل إلى استنتاج مفاده أن عدم ارتياحه ليس بسبب الطريقة التي تم بها إحداث التسارع بقدر ما كان نتاجًا له.

بدأ عقله يتصاعد ببطء، وانفصلت أجزاء منه في طبقات مثل نيزك يضرب الغلاف الجوي، عندها شعر بامتنانٍ هائل. بعض هذا الامتنان كان مُوجَّهًا إلى هولدن، بينما توجّه البعض الآخر إلى أموس فضلًا عن الامتنان لباقي طاقم (روسينانت) بالكامل. وبينما هو بين النائم واليقظان، رأى نفسه قد عاد إلى جانيميد مرة أخرى، كان يتضوَّر جوعًا، ويسير في الممرات الجليدية على مقربةٍ من بيته، وجد نبتة فول الصويا الخاصة به قد

أُصيبت بالجريء الأولي الذي كان يُلاحقه عازمًا على الانتقام منه. ومع منطق الأحلام المختل، رأى براكس نفسه أيضًا في تايكو، باحثًا عن وظيفة، لكن كلما قدّم سيرته الذاتية إلى أحد المُوظّفين، هزّ رأسه، وأخبره أن يفتقد درجة علمية ما أو أوراق الاعتماد التي لم يفهم كُنهها ولا يعرف عنها شيئًا. الشيء الوحيد الذي جعل كل ذلك مُحتملًا بالنسبة لبراكس هو أنه كان يعلم جيدًا -في حقيقة الأمر- أنه لا شيء مما يحدث حقيقي، وأنه نائم، وبمجرد استيقاظه، سيكون في مكانٍ آمن.

استيقظ على رائحة اللحم البقري الشهية، كانت عيناه غائمتين كما لو أنه كان يبكي أثناء نومه، وتركت الدموع بقايا الملح عند تلاشيها. أصدر دُش الاستحمام هسهسةً عند تسرُّب الماء منه. ارتدى براكس بدلة، وتساءل مجدَّدًا عن سر كلمة "تاتشي" المحفورة على ظهر البدلة.

وجد الإفطار ينتظره على المائدة: شريحة من اللحم والبيض، والرقاق القمحي، والقهوة السادة. طعام حقيقي كان سيُكلف شخصًا ثروة صغيرة في مكانٍ آخر. على المائدة صحنان، اختار براكس أحدهما، وبدأ في تناول الطعام. ربما كلَّفه هذا الإفطار عُشر الأموال التي أرسلتها له نيكولا، ولكنه تناول أكلًا شهيًّا لم يذق مثله من قبل. خرج أموس من الحمام، ولف منشفةً حول وركيه، بينما ظهرت ندبة بيضاء ضخمة على الجانب الأيمن من بطنه، مما أدى إلى سحب سُرته بعيدًا عن منتصف بطنه، وتغطَّى قلبه بوشمٍ مصوَّر تقريبًا لامرأةٍ شابه بشعرٍ مموَّج وعينين لوزيتين. اعتقد براكس أن هناك كلمة مكتوبة تحت الوجه الموشوم، لكنه لم يرغب في التحديق.

حيَّاه أموس قائلًا: "مرحبًا يا دكتور، تبدو أفضل اليوم".

ردَّ براكس: "نعم، لقد حصلت على قسطٍ من الراحة"، بينما دخل أموس غرفته، وأغلق الباب خلفه. تحدَّث براكس مرة أخرى، ولكنه رفع صوته هذه المرة: "أريد أن أشكرك بشدة، كنت أشعر بالإحباط الليلة الماضية، وتحدَّثت إليك بغض النظر عما إذا كان بإمكانكم مساعدتي في العثور على مَي أم لا...".

سأله أموس، وصوته مكتوم وراء الباب: "ولماذا لا نتمكّن من العثور عليها؟ أنت لا تقصد الإساءة لي يا دكتور، أليس كذلك؟"

أجاب براكس. "كلا، كلا، لا أقصد الإساءة على الإطلاق. قصدت فقط أن ما تقدمه لي أنت والقبطان هو .. هو عمل جليل..."

عاد أموس إلى الخارج مبتسمًا، وقد غطت بدلته الندبة والوشم كما لو أنهما لم يكونا موجودين من قبل.

- "أعرف ما تقصده يا دكتور، أنا أمزح معك فقط هل أعجبتك شريحة اللحم؟ لطالما تساءلت كيف يحتفظون بالأبقار ولحومها في وسط كل هذه القذارة، ألا ترى ذلك؟"

ردَّ براكس: "لا، لا، إنها لحوم مزروعة في المختبرات. يمكنك تمييزها إذا نظرت إلى ألياف العضلات، انظر كيف تنمو الطبقات هنا؟ في الواقع يسهل الحصول على قطع مجزَّع أفضل مما لو اقتطعته مباشرةً من الماشية".

قال أموس وهو يجلس مقابله: "حقًّا؟ لم أكن أعرف ذلك".

ردَّ براكس وفمه مليء بالبيض: "الجاذبية الصغرى تجعل الأسماك أكثر تغذية من غيرها كما تزيد من إنتاج النفط. لا أحد يعرف سبب ذلك، ولكن هناك دراستان مثيرتان للغاية حول هذا الموضوع، وتعتقد الدراستان أن الأمر لا يتعلَّق بانخفاض الجاذبية بقدر ما يتعلَّق بالتدفُّق المستمر للمياه التي يجب توفيرها حتى لا تتوقَّف الحيوانات عن السباحة، ولكيلا تستنفد الأكسجين في الفقاعات المائية، ومن ثم تختنق وتموت.

قام أموس بتمزيق قطعة من الرقاق القمحي وغمسها في صفار البيض، ثم قال: "هل كانت محادثات العشاء في عائلتك على هذا النحو؟"

طرف براكس بعينه، ثم قال: "في الغالب نعم، ولكن لماذا؟ ماذا تقصدك؟"

ضحك أموس، بدا في مزاج رائق للغاية، بينما استرخت كتفاه، وزال بعض التورُّم في فكه تذكَّر براكس المحادثة التي أجراها في الليلة السابقة مع القبطان، وسأله: "لقد مارستَ الجنس مع أحد بالأمس، أليس كذلك؟"

أجاب أموس: "آه، نعم، لكن هذا ليس الجزء الأفضل في القصة"

سأله براكس: "ألم يكن الأمر جيدًا؟"

أجاب أموس: "اللعنة! إنه أمرٌ جيد بالطبع، ولكن لا يوجد شيء في العالم أفضل من الحصول على عمل في اليوم نفسه الذي تُطرد فيه من عملك السابق".

شعر براكس بوخز من الارتباك، بينما أخرج أموس جهازه اللوحي من جيبه، ونقر مرتين، ثم مرَّره عبر الطاولة. ظهرت على الشاشة حدودٌ أمنية حمراء واسم الاتحاد الائتماني الذي اتصل به أليكس في الليلة السابقة، وعندما رأى براكس رصيد الحساب، اتسعت عيناه اندهاشًا، وتساءل: "هل... هذا...؟"

ردَّ أموس: "هذا الرصيد يكفي لإبقاء (روسي) تُحلِّق في الفضاء لمدة شهر، جمَّعنا كل هذا المال في سبع ساعات فقط. لقد وظَّفت فريقك للتو يا دكتور".

- "أنا لا أعرف... هل هذا حقيقي يا أموس؟"

ردَّ أموس: "ليس هذا فحسب، عليك أن تُلقي نظرة على الرسائل التي تلقيتَها يا دكتور، لقد قلب القبطان الطاولة على الجميع بالأمس، ولكن الناس حمَّلوا طفلتك الصغيرة أكثر مما تحتمل، لقد اعتبروها رمزًا لكل ذلك الهراء الذي وقع على جانيميد".

سحب براكس جهازه اللوحي؛ ليجد صندوق البريد المرتبط بالفيديو المعروض يحتوي على أكثر من خمسمائة مقطع فيديو وآلاف من الرسائل النصية. بدأ يطلع عليهم، رأى رجالًا ونساءً لا يعرفهم، بعضهم يبكي، والبعض الآخر يُصلي من أجل مَي، كما عبَّرت مقاطع الفيديو والرسائل عن غضب الناس مما حدث، ودعمهم لبراكس حتى يجد ابنته المفقودة. وما بين الرسائل التي اطَّلع عليها، شاهد فيديو يظهر فيه رجلٌ حزاميٌّ ذو شعرٍ أشيب أشعث يُتمتم بلهجة عامية لدرجة أن براكس لم يفهم الكثير من كلامه، ولكن من الواضح أن الرجل كان يعرض عليه خدماته، وأكَّد أنه مُستعدٌّ لقتل أيِّ شخصٍ من أجله إذا احتاج براكس لذلك.

بعد نصف ساعة، كان إفطار براكس قد تجمَّد بسبب انشغاله بالاطلاع على البريد الوارد إليه. أخبرته امرأة من سيريس أنها فقدت ابنتها بسبب الطلاق، وأنها مستعدة في سبيل عثوره على ابنته أن تُرسل له نفقتها الشهرية التي تُنفقها على مضغ التبغ. كما قامت مجموعة من مهندسي الأغذية في القمر بجمع الأموال وإرسال ما يعادل الراتب الشهري الذي كان براكس يتقاضاه من عمله كعالم نبات. بينما حدَّق رجلٌ مريخي مُسن ذو جلدٍ

بنيٍّ داكن مثل الشوكولاتة وشعرٍ أبيض مثل مسحوق السكر، محدقًا في الكاميرا من موقعه في الجانب الآخر من النظام الشمسي، وقال بانفعال إنه يدعم براكس بكل ما أوتي من قوة.

عندما بدأت الرسالة التالية، بدت تمامًا مثل الرسائل الأخرى التي سبقتها، ولكن كان الرجل في الصورة أكبر سنًّا، ربما يبلغ من العمر ثمانين أو تسعين عامًا، يتميّز بوجهه الصخري المثقوب، وقد تشبّث ما تبقى من شعره الأبيض بظهر جمجمته. لفت انتباه براكس شيءٌ ما في تعبيره، ربما كان هذا الشيء هو التردُّد.

قال الرجل: "دكتور مينج"، وذكَّرت لهجتُه الرقيقة براكس بتسجيلات جده له، "أنا آسف جدًّا لسماع كل تلك المعاناة التي مررتَ بها أنت وعائلتك. المعاناة التي ما يزال يتعيَّن عليكم تحمُّلها"، لعق الرجل شفتيه، ثم أضاف: "لقد رأيت لقطات الفيديو الأمني المعروضة في البث. أعتقد أنني أعرف الرجل الذي ظهر في الفيديو، لكن اسمه ليس ستريكلاند...".

الفصل الرابع والثلاثون

هولدن

وفقًا لدليل محطة تايكو، اشتهرت حانة بلووي بلوم بأمرين: مشروب يُسمى "بلو ميني"، وعدد كبير من الطاولات التي تُلعب عليها لعبة "غولغو". كما نبَّه الدليل الزبائن المحتملين على أن المحطة لا تسمح للحانة بتقديم أكثر من كأسين من البلو ميني لكل عميل؛ لأن هذا المشروب يحتوي على مزيج انتحاري من الإيثانول والكافيين والميثيلفينيديت. وقد خمَّن هولدن عندما رأى المشروب أنه يشتمل أيضًا على بعض الألوان الصناعية الزرقاء.

في أثناء تجوُّل هولدن في أروقة قسم الترفيه في تايكو، بدأ يقرأ دليل قواعد لعبة غولغو، بعد لحظاتٍ قليلة من الارتباك المطلق عندما قرأ: (يُقال إن الأهداف في اللعبة "مستعارة" عندما يبتعد الدفاع عن موضع التسديد)، توقَّف عن قراءة باقي القواعد. لا يُرجَّح أن يلعب مثل هذه الألعاب، كما أن الشراب الانتحاري الذي يُحتمل أن يمنحه النشوة ويمدُّه الطاقة سيكون زائدًا عن الحاجة في الوقت الحالي.

الحقيقة أن هولدن لم يشعر بأيّ تحسُّن طيلة حياته.

لقد أفسد الكثير من الأشياء خلال العام الماضي: دفع طاقمه بعيدًا عنه، وانحاز إلى فصيل سياسي لم يكن متأكِّدًا ما إذا كان متفقًا معه في أهدافه مقابل أن يحظى بالأمان. وربما يكون قد دمَّر العلاقة الصحية الوحيدة التي عاشها في حياته. دفعه خوفه إلى أن يُصبح شخصًا آخر غير نفسه. إنه ذلك الشخص الذي يغالب مخاوفه بتحويلها إلى عنفٍ دام، إنه ذلك الشخص الذي لم تحبه ناعومي، ولم يحترمه طاقمه، وحتى هولدن نفسه لم يكنْ مُعجبًا به كثيرًا

ومع ذلك لم يختفِ الخوف، ما يزال هناك يطارده؛ مما يجعل فروة رأسه ترتعش في كل مرة يعاود التفكير فيما رآه على جانيميد، وما إذا كان ذلك الشيء الذي رآه سائبًا وينمو

هناك الآن. لكن للمرة الأولى منذ فترة طويلة، كان هولدن واعيًا ذلك ومُعترفًا به، لم يُنكره ولم يتهرّب منه، ولكنه سمح لنفسه بالخوف، وقد صنع ذلك بعض الفوارق

سمع هولدن الضجيج الذي يصدر من حانة بلووي بلوم قبل ثوانٍ من وصوله إليها، بدأ الضجيج بهذه النبضات الإيقاعية المسموعة بالكاد، ثم ارتفع الصوت تدريجيًّا وأخذ شكل عويل إلكتروني مع صوت أنثوي يشدو بمزيج من اللغتين الهندية والروسية وبمجرد وصوله إلى الباب الأمامي للملهى، كانت الأغنية قد انتهت، وبدأت الأغنية التالية وهي عبارة عن ترنيمة يصدح بها رجلان بالتناوب، وتبدو الترنيمة وكأنها عرض موسيقي، حيث تم استبدال العويل الإلكتروني بجيتار غاضب، بينما لم تتغيَّر الخلفية الموسيقية على الإطلاق.

في الداخل، كان الملهى بمثابة اعتداء غاشم على جميع الحواس؛ حيث سيطرت ساحة الرقص الضخمة على منتصف الحانة، وانعكست الأضواء المتلألئة -التي تتغيَّر على إيقاع الموسيقى- على عشرات الأجساد الملتوية على الأرض. وبالرغم من أن الموسيقى كانت صاخبة في الممر فإن صخبها في الداخل يصمُّ الآذان. وُضِع بار طويل من الكروم على أحد الجدران، بينما كان هناك نصف دزينة من النوادل مشغولين بتلقِّي طلبات الزبائن على نحوٍ محموم.

رأى هولدن على الجدار الخلفي لافتة مُعلَّقة مكتوب عليها بحروف كبيرة (غولغو)، وبها سهم يُشير لأسفل رواقٍ طويل. تبعه هولدن، وبدأت الموسيقى الصاخبة تتلاشى مع كل خطوة يخطوها للأمام حتى إنه بحلول الوقت الذي وصل فيه إلى الغرفة الخلفية التي تشتمل على طاولات اللعبة، انخفض الصوت ولم يعد يترامى إلى سمعه سوى صوت الخلفية الموسيقى الصامتة.

وجد ناعومي تلعب على إحدى الطاولات وبرفقتها صديقتها سام المهندسة بالإضافة إلى مجموعة من الحراميين الآخرين. كان شعرها مشدودًا للخلف بشريطٍ مطاطي أحمر اللون، كما كان سميكًا بما يكفي لاستخدامه كأداة من أدوات الزينة لقد استبدلت بدلتها بنطالٍ رمادي مُفصَّل، لم يرها ترتديه من قبل، وبلوزة صفراء جعلت بشرتها

كرملية اللون تبدو أعمق. توقَّف هولدن للحظة. عندما رآه تبتسم لشخصٍ آخر غيره، انقبض صدره

عندما اقترب، ألقت سام كرة معدنية صغيرة على الطاولة، بينما ردّت المجموعة على الطرف الآخر بحركات عنيفة مفاجئة، لم يستطع هولدن من موقعه أن يتبيَّن ما يجري بالضبط، لكن من خلال الأكتاف المنحنية والشتائم الخافتة التي يهمس بها الفريق الآخر، خمَّن هولدن أن سام أحرزت ضربة ناجحة لفريقها.

استدارت سام ورفعت يدها، وتناوبت المجموعة على طرف الطاولة -التي تضمنت ناعومي- على تشجيعها ومصافحتها. في تلك اللحظة رأته سام، ولهجت بشيءٍ لم يستطع هولدن أن يسمعه. التفتت إليه ناعومي ورمقته بنظرة فاحصة جعلته يتوقَّف في مساره. لم تبتسم ولم تتجهَّم. رفع هولدن كفيه في إيماءة توحي بأنه لم يأتِ إلى هنا للعنف. للحظة، وقفا يُحدِّقان بعضهما ببعض وسط أجواء الغرفة الصاخبة.

حدَّث نفسه: "يا إلهي، كيف سمحت لنفسي أن أصل لهذه النقطة؟"

أومأت ناعومي إليه، وأشارت إلى طاولة في أحد أركان الغرفة. جلس هولدن وطلب لنفسه مشروبًا، بالطبع لم يطلب ذلك المشروب الأزرق اللعين الذي يُدمِّر الكبد بالرغم من شهرته الذائعة، ولكنه اكتفى بمشروب من النبيذ الرخيص المصنوع في الحزام. يبدو أنه تعوَّد عليه، صحيح أنه لم يستمتع مطلقًا بهذا الشراب، ولكنه على الأقل يتحمَّل المذاق العفن الباهت الذي يتركه المشروب في فمه. استأذنت ناعومي بقية أعضاء فريقها في التغيُّب عنهم لبضع دقائق ثم اتجهت نحو الطاولة التي يجلس عليها هولدن. لم تكن خطواتها هادئة، ولكنها في الوقت نفسه لم تتجه نحوه بخطواتِ شخصٍ يترقَّب اجتماعًا مخيفًا.

عندما جلست، سألها هولدن: "هل يمكنني أن أطلب لكِ شيئًا تشربينه؟"

أجابت: "بالتأكيد، سأتناول عصير عنب مارتيني". وعندما بدأ هولدن يُدخِل الطلب في وحدة التحكُّم الموجودة على الطاولة، نظرت إليه ناعومي بابتسامة غامضة قليلًا جعلته يشعر بتقلُّص عضلات بطنه.

قال. "حسنًا"، وأعطى الإذن من جهازه اللوحي بتحويل ثمن المشروبات لحساب الحانة، ثم أضاف: "إذن، الشراب الشبيع في الطريق إليكِ الآن"

ضحكت ناعومي واستنكرت: "شبيع؟"

ردّ هولدن: "العذر الوحيد الذي يمكنني التفكير فيه لأن يشرب شخصٌ عصير العنب المارتيني هذا هو أن يكون في حالة حرجة من حالات الإصابة بمرض الإسقربوط".

ضحكت ناعومي مرة أخرى، فزال بعض التقلُّص عن هولدن، وجلسا معًا في صمتٍ ودود حتى وصلت إليهما المشروبات. ارتشفت رشفة صغيرة، ولعقت شفتيها إعجابًا بمذاق مشروبها، ثم قالت: "حسنًا، هات ما عندك".

أخذ هولدن رشفة أطول كثيرًا حتى كاد أن يُنهي كأسه الصغير من النبيذ في جرعة واحدة، محاولًا إقناع نفسه بأنه يمكنه أن يضحي بالراحة التي تسري في عضلات بطنه الآن في سبيل التحلِّي بالشجاعة. قال لنفسه: "لا أشعر بالارتياح حيال الطريقة التي تركنا الأمور تسير بها، وأعتقد أنه يجب علينا التحدُّث؛ لنعالج هذا الأمر معًا".

تنحنح قليلًا، ثم قال لها: "لقد أفسدتُ كل شيء. عاملت أصدقائي معاملةً سيئة، بل كانت المعاملة الأسوأ على الإطلاق. لقد كنتِ محقة تمامًا ولديكِ أسبابكِ الوجيهة لتفعلي ما فعلتِه، لم أستطع سماع ما كنتِ تقولينه في ذلك الوقت، لكنكِ كنتِ محقة تمامًا في كلِّ ما قلتِه".

تناولت ناعومي رشفة أخرى من شرابها، ثم مدت يدها بشكلٍ تلقائي وسحبت الشريط المطاطي الذي تعقص به شعرها الأسود المُجعَّد، تناثر شعرها المتشابك على جوانب وجهها، مما ذكَّر هولدن بمنظر أشجار اللبلاب التي تغطِّي الجدران الحجرية لقد أدرك أنه لطالما عرفها، دائمًا ما كانت ناعومي تحلُّ شعرها المعقوص في اللحظات العاطفية. كما لو أنها تستخدم شعرها للاختباء وراءها، ليس بالمعنى الحرفي للكلمة، ولكن لأن شعرها كان واحدًا من أكثر عوامل جاذبيتها. عادةً ما تنجذب العيون بشكلٍ طبيعي إلى ضفائر شعرها الأسود اللامع. تبدو كتقنية للمراوغة. في اللحظة التي تحلُّ ناعومي شعرها المعقوص تظهر أكثر إنسانية، أكثر ضعفًا، أكثر احتياجًا مما كانت عليه

بالفعل. شعر هولدن باندفاعٍ كاسح من المودة والحميمية نحوها، وظهر ذلك بالطبع على وجهه في الحال؛ لأنها نظرت إليه، فاحمرّ وجهه من فرط الخجل.

- "ما هذا يا جيم؟"

قال: "إنه اعتذار، اعتراف بأنك كنت على حق، وأنني كنت أتحوّل إلى نسختي الملتوية من ميلر. آمل أن يكون الاعتراف بهذين الشيئين سبيلًا للمصالحة، هذا إذا كنتُ محظوظًا بالتأكيد".

ردَّت ناعومي: "أنا سعيدة، حقًّا سعيدة لأنك اكتشفت ذلك، لكنني كنت أقول هذا منذ شهور، وأنت...".

قاطعها هولدن: "انتظري"، شعر بأنها تتراجع عنه مُجدَّدًا، ولا تسمح لنفسها بتصديقه، كل ما يمكنه فعله الآن هو أن يُقدِّم لها الحقيقة المطلقة، لذلك قال: "لم أستطع سماعك حينها؛ لأنني كنت مرعوبًا، وجبانًا أيضًا".

قالت: "الخوف لا يجعلك جبانًا، يا هولدن".

ردَّ عليها: "لا، بالطبع لا. لكن رفض المواجهة، وعدم الاعتراف لكِ بما شعرتُ به، وعدم السماح لكِ أنت وأليكس وأموس بمساعدتي، كان هذا هو الجبن بعينه. وربما كلَّفني ذلك الكثير، كلَّفني ما آلت إليه علاقتي بكِ، كلَّفني ولاء طاقمي، كلَّفني كل ما أهتم به حقًّا في هذه الحياة. لقد جعلني الجبن أحتفظ بوظيفة قذرة لفترة أطول بكثير مما ينبغي؛ لمجرد أن هذه الوظيفة تكفل لي الأمان".

بدأت مجموعة صغيرة من لاعبي لعبة غولفو يتجهون نحو الطاولة، وشعر هولدن بسعادة غامرة عندما رأى ناعومي تلوِّح لهم بالابتعاد قليلًا. هذا يعني أنها تريد مواصلة الحديث. إنها بداية مُبشِّرة.

قالت: "أخبرني، ما خطوتك التالية؟"

أجاب هولدن بابتسامة: "ليس لدي أيّ فكرة وهذا أفضل شعور شعرتُ به منذ زمنٍ طويل، ولكن بغض النظر عما سيحدث بعد ذلك، أحتاج إليك معي"

عندما أوشكت ناعومي أن تفتح فمها للتعبير عن احتجاجها، رفع هولدن يدها بسرعة لإيقافها، وقال: "لا، ليس هذا ما أعنيه. صحيح أنني أرغب في أن تكوني معي

مرة أخرى، ولكنني أعلم تمامًا أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت، أو ربما لا تعود المياه إلى مجاريها مطلقًا، لكنني أعي أن (روسي) بحاجة إليكِ، الطاقم يحتاج إليكِ هناك".

ردّت ناعومي بابتسامة خجولة: "وأنا لا أريد أن أترك (روسي)".

قال هولدن: "إنها منزلك ووطنك وستكون دائمًا كذلك طالما أردتِ ذلك سيبقى الأمر كذلك بغض النظر عما سيحدث بيننا".

بدأت ناعومي في لفّ خصلة شعر من شعرها الكثيف حول إصبعها، وارتشفت آخر رشفة من مشروبها. أشار هولدن إلى قائمة الأطعمة والمشروبات الموجودة على الطاولة؛ لتطلب مشروبًا آخر، لكنها لوَّحت بيده شاكرةً إياه.

تساءلت ناعومي: "هذا لأنك واجهت فريد، أليس كذلك؟"

أجاب هولدن: "نعم، نسبيًا. كنت أقف مُرتجفًا في مكتبه، وأدركت أنني كنت خائفًا لفترة طويلة جدًا. لقد أفسدت الأمور معه أيضًا، وأحرقت كل المراكب خلفي. ربما يكون مسؤولًا بشكلٍ ما عما حدث. إنه مؤمنٌ حقيقي، ولكن الالتزام بالعمل مع هذه العصابة من الأوغاد يفضي إلى ارتكاب الكثير من الخطايا، لكن يبقى الخطأ رغم كل ذلك خطئي أنا".

سألت ناعومي: "هل استقلت؟"

ردَّ هولدن: "لقد طردني، لكنني على الأرجح سأستقيل، ولن أعمل معه مرة أخرى".

قالت ناعومي: "إذن، لقد تركتنا هكذا بدون أجور ولا رعاة. أتعلم؟ أشعر بالإطراء قليلًا؛ لأنك تركت كل تلك المشاكل الفادحة، وجئت هنا لتُعالج مشكلتك معي أنا".

ردَّ هولدن. "نعم، لأن مشكلتكِ أنتِ هي المشكلة الوحيدة التي يهمني حقًّا معالجتها".

تساءلت ناعومي: "تعرف ما سيحدث الآن، أليس كذلك؟"

ردّ هولدن: "ستعودين معي إلى المركبة؟"

ابتسمت ناعومي دون أن تُعلّق. ثم قالت: "الآن علينا أن ندفع ثمن إصلاحات المركبة إذا أطلقنا طوربيدًا، فعلينا أن نجد شخصًا ما ليبيع لنا طوربيدًا جديدًا كما أننا ستتحمل تكاليف المياه والهواء فضلًا عن رسوم الإرساء والغذاء والإمدادات الطبية لعسر المرضى الآلي الذي يحتاج إلى تكاليف باهظة. هل وضعت خططًا لكل ذلك؟"

أجاب هولدن: "لا! ولكن رغم ذلك، عليّ أن أعترف أنني، لسببٍ ما، أشعر بشعورٍ رائع الآن".

تساءلت: "ولكن عندما تزول هذه النشوة؟"

أجاب هولدن: "عندها سأضع خطة".

بدت ابتسامتها أكثر تأمُّلًا الآن، وأخذت تشدُّ خصلات شعرها أكثر. قالت: "أنا لست مستعدة للعودة إلى المركبة الآن"، ثم مدَّت يدها عبر الطاولة لتمسك بيد هولدن، ثم تابعت: "ولكن بحلول الوقت الذي يتم فيه إصلاح (روسي)، سأسترد مقصورتي الخاصة".

ردَّ هولدن: "سأخرج حاجياتي المتبقية في مقصورتك هناك على الفور".

قالت: "جيم"، وضغطت على أصابعه مرة أخيرة قبل أن تفلت يدها من يده، "أنا أحبك، وبالرغم من أن علاقتنا لم تعد كما كانت، لكن هذه بداية جيدة".

حدَّث هولدن نفسه: "نعم، ناعومي مُحقة، يبدو الأمر كذلك فعلًا".

***

استيقظ هولدن في مقصورته القديمة في (روسينانت)، وشعر بأنه أفضل من أيّ وقتٍ مضى خلال الأشهر القليلة الماضية. نهض من سريره، وتجوَّل عاريًا عبر المركبة الفارغة حتى وصل إلى مقدمة المركبة. استحم لمدة ساعة بالماء الذي أصبح واجبًا عليه أن يدفع ثمنها، وتم تسخين هذه الماء بالكهرباء التي تُشحن إلى سطح المركبة بمعدل كيلو واط في الساعة. ثم عاد إلى سريره، وقد تورَّدت بشرته بعد الاستحمام بالماء المعبي.

جهَّز لنفسه إفطارًا دسمًا، وبدأ في تناوله ثم احتسى خمسة فناجين من القهوة أثناء الاطلاع على التقارير الفنية عن إصلاحات (روسي) حتى فهم جميع ما قام به الفنيون.

انتقل بعد ذلك هولدن لقراءة عمود يكتبه سياسي ساخر عن حالة العلاقات بين المريخ والأرض، ثم رنَّ جهازه اللوحي حيث تلقّى مكالمة من أموس.

ردّ هولدن على المكالمة، ليظهر وجه أموس الكبير الذي يملأ الشاشة الصغيرة، ويقول: "مرحبًا، أيها القبطان. أود أن أسأل: هل ستأتي إلى المحطة اليوم؟ أم نلتقي بك في (روسي)؟"

أجاب هولدن: "دعونا نجتمع هنا. ستواصل سام وطاقمها الفني العمل اليوم، وأريد أن أتابع العمل بنفسي".

قال أموس: "إذن، أراك بعد قليل"، ثم أغلق الاتصال.

حاول هولدن أن ينتهي من قراءة العمود الساخر، ولكن ذهنه مُشتَّت، فاضطر إلى قراءة المقطع نفسه مرارًا وتكرارًا، ثم شعر بالسئم، فاستسلم أخيرًا، وقام لتنظيف المطبخ لبعض الوقت، ثم قام بإعداد ماكينة القهوة لتحضير إبريق من القهوة لأموس وطاقم العمل لحين وصولهم.

قرقرت ماكينة القهوة بسعادة مثل رضيع مبتهج، في حين انفتحت فتحة سطح المركبة، ونزل أموس وبراكس إلى المطبخ عبر السلم.

حيّاه أموس: "مرحبًا أيها القبطان"، وهو ينزل على كرسي بصوت مرتفع، تبعه براكس ولكنه لم يجلس. سحب هولدن فنجانين، ووضعهما على الطاولة.

تساءل: "هل هناك جديد؟"

أجاب أموس بابتسامة حمقاء، ومرَّر جهازه اللوحي إلى هولدن عبر الطاولة، عندما نظر هولدن إلى الشاشة، انتبه إلى رصيد حساب صندوق التبرعات التابع لبراكس، والمُخصَّص لحملة (أنقذوا مَي)، حيث كان يحتوي على ما يزيد قليلًا عن نصف مليون دولار من دولارات الأمم المتحدة.

شهق هولدن، وزلت قدماه حتى سقط على أحد الكراسي. قال: "يا إلهي الرحيم! أموس، كنت آمل أن تتمكّن من.. لكن هذا أكثر بكثيرٍ جدًّا مما توقعناه".

ردّ أموس: "نعم، هل ترى. كان رصيد الحساب أقل بقليل من ثلاثمائة ألف هذا الصباح، ولكنه ارتفع بمقدار مائتي ألف دولار أخرى خلال الساعات الثلاثة الماضية

فقط. يبدو أن كل من يتابع الكارثة التي حلت بجانيميد في الأخبار قد جعل مي -تلك الفتاة الصغيرة- رمزًا للمأساة".

قاطع براكس الحديث وتساءل: "هل هذا كافٍ؟"، ولم يخلُ صوته من قلقٍ وكرب.

أجاب هولدن مبتهجًا: "بالطبع نعم، بل إن هذا المبلغ أكثر من كافٍ لتمويل عملية الإنقاذ على الوجه الأمثل".

قال أموس: "لقد حصلنا على رسالة مهمة أيضًا"، ثم توقَّف قليلًا ليرتشف رشفة طويلة من قهوته.

تساءل هولدن: "رسالة تتعلَّق بـ مي؟"

أجاب أموس: "أجل"، توقَّف مرة أخرى لإضافة قليلٍ من السكر إلى فنجانه، ثم أردف: "براكس، أرسِل للقبطان تلك الرسالة التي تلقَّيتها".

شاهد هولدن الرسالة المُسجلَّة ثلاث مرات، وأخذ يبتسم ابتسامةً عريضة مع كل مرة يشاهد فيها الرسالة.

"لقد رأيت لقطات الفيديو الأمني المعروضة في البث. أعتقد أنني أعرف الرجل الذي ظهر في الفيديو"، هكذا قال الرجل المُسن الذي يظهر على الشاشة. "لكن اسمه ليس ستريكلاند، عندما عملت معه في جامعة سيريس للتكنولوجيا والتعدين، كان اسمه ميريان، كارلوس ميريان".

قال هولدن بعد المشاهدة الثالثة للرسالة المُسجَّلة: "هذا ما كان يسميه صديقي القديم المُحقِّق ميلر: طرف الخيط".

سأل أموس: "ماذا سنفعل الآن، أيها القبطان؟"

أجاب هولدن: "أعتقد أنني بحاجة إلى إجراء مكالمةٍ هاتفية".

ردَّ أموس: "حسنًا، سنبتعد أنا والدكتور الآن عن طريقك، وسنتابع أموال التبرُّعات، وهي تتدفَّق في حسابه".

غادر أموس وبراكس معًا، بينما انتظر هولدن حتى سمع إغلاق فتحة سطح المركبة خلفهما، ثم أرسل طلبًا للاتصال بجامعة سيريس للتكنولوجيا والتعدين. هناك فرق

توقيت بين محطة سيريس وبين موقعه الحالي في تايكو يمتد إلى حوالي خمس عشرة دقيقة، لذلك جلس هولدن وشغل نفسه بلعب لعبة ألغاز بسيطة على جهازه اللوحي مما أطلق خياله العنان في التفكير والتدبير.

إذا كانوا يعرفون من كان ستريكلاند قبل أن يُصبح ستريكلاند، فربما يكون بإمكانهم تتبُّع تاريخه الوظيفي، وفي مرحلة ما على مدار مشواره، قرَّر هذا الرجل الذي يعمل في جامعة تقنية، ويُدعى كارلوس، أن يُغيِّر اسمه وعمله، ويُصبح رجلًا آخر يُدعى ستريكلاند، يعمل طبيبًا ويخطف الأطفال الصغار. وإذا عُرف السبب، بطُل العجب؛ لذلك يجب معرفة سبب قيامه بذلك؛ لنعرف مكان وجوده الآن.

بعد أربعين دقيقة تقريبًا من إرسال طلب الاتصال، تلقَّى هولدن ردًّا، لقد فُوجئ قليلًا عندما رأى أمامه الرجل المسن الذي ظهر في رسالة الفيديو المُسجَّلة، لم يكن يتوقع التواصل معه في المحاولة الأولى.

قال الرجل المسن: "مرحبًا، أنا الدكتور موبناهان. كنت أنتظر رسالتك. أفترض أنك تريد معرفة كل التفاصيل حول الدكتور ميريان. ولكي أُخلِّص عليك قصةً طويلة، سأخبرك فقط بما يلي: لقد عملنا معًا في مختبر العلوم الحيوية بجامعة سيريس للتكنولوجيا والتعدين. كان تخصُّصه يتمثَّل في أنظمة تقييد التطور الحيوي، ولكنه لم يكن جيدًا على الإطلاق في ممارسة ألاعيب الحياة الأكاديمية. ولم يصنع الكثير من الصداقات عندما عمل معنا في الجامعة؛ لذلك عندما تجاوز بعض المناطق الأخلاقية الرمادية، انتهزوا الفرصة لطرده من هنا بلا تفكير. لا أعرف تفاصيل دقيقة عما توصَّل إليه بالضبط، فلم أكن رئيس قسمه. ولكن إذا كنت بحاجة إلى معرفة شيءٍ آخر، فلا تتردَّد في السؤال".

أعاد هولدن تشغيل الفيديو مرتين، وقام بتدوين الملاحظات ولعن فرق التوقيت الذي يتسبَّب في تأخير إرسال واستقبال الرسائل لمدة خمس عشرة دقيقة. وبمجرد أن كان جاهزًا، أرسل الرد.

"شكرًا جزيلًا لك على المساعدة، دكتور موبناهان. نحن نُقدِّر مجهوداتك حقًّا. أعتقد أنك لا تعرف ما حدث بعد طرده من الكلية، أليس كذلك؟ هل ذهب إلى مؤسسة

تعليمية أخرى؟ أم انضم إلى العمل مع إحدى الشركات الخاصة؟ هل تعرف أيّ شيءٍ من هذا القبيل؟"

ضغط على زر الإرسال، وجلس للانتظار مرة أخرى. حاول أن يُشغل نفسه بلعبة الألغاز، ولكنه شعر بالملل، وأوقفها في الحال. وبدلًا من ذلك قام بتشغيل قناة محطة تايكو الترفيهية العامة، وشاهد برنامجًا يعرض الرسوم المتحرِّكة للأطفال بصوتٍ عالٍ ومحموم بما يكفي لإلهائه.

عندما اهتزّ جهازه اللوحي مُعلنًا استقبال رسالة جديدة، كاد أن يطرحه من على الطاولة من فرط تلهُّفه لمشاهدة الفيديو.

قال الدكتور مويناهان وهو يحكُّ لحيته البيضاء الخفيفة أثناء تحدُّثه: "في الحقيقة، لم يخضع لأي محاكمة أخلاقية؛ لأنه ترك سيريس في اليوم التالي مباشرةً. لقد أثار الكثير من الجلبة في المختبر، وظل يصرخ بكلام على شاكلة أننا لن نكون قادرين على السيطرة عليه بعد الآن، وأنه حصل أخيرًا على وظيفة مرموقة في إحدى الشركات التي ستُتيح له كل الموارد وستُوفِّر له التمويل الذي يحتاج إليه. كما وصفنا بأننا مجموعة من حملة الأقلام محدودي العقل وأننا سنظل هكذا نعاني من الركود في مستنقع من القيود الأخلاقية التافهة. ولكنني لا أستطيع تذكُّر اسم الشركة التي قال إنه سيعمل بها".

أوقَّف هولدن التشغيل، وشعر بقشعريرة تسري في عموده الفقري. تردَّدت في ذهنه عبارة "الركود في مستنقع القيود الأخلاقية التافهة"، لم يكن بحاجة إلى مويناهان ليُخبره باسم الشركة التي ستتهافت على توظيف رجلٍ كهذا. لقد سمع مثل هذه الكلمات كثيرًا من أنتوني دريسدن، مهندس مشروع إيروس الذي قتل مليون ونصف شخص كجزء من تجربة بيولوجية كبرى.

ذهب كارلوس ميريان للعمل لدى شركة بروتوجين، ثم اختفى عن الأنظار. وعندما عاد مرة أخرى، عاد إلى جانيميد، ولكن باسم ستريكلاند، خاطف الأطفال. كما يعتقد هولدن أنه ليس خاطفًا فقط، بل قاتلًا أيضًا.

الفصل الخامس والثلاثون

أفاسارالا

رأت الشاب يضحك على شاشتها. ومعنى أنها رأته يضحك الآن أنه كان يضحك قبل خمس وعشرين ثانية على الأرض. لطالما كرهت أفاسارالا هذا التأخُّر أكثر من أيّ شيءٍ آخر. هناك الكثير من الأشياء التي تجعل المحادثة تظهر وكأنها طبيعية، ولكنها بهذا الشكل تبدو مستحيلة. إن كل ما تقوله أو تفعله يستغرق وقتًا طويلًا حتى يظهر للطرف الآخر الذي تحادثه، ولهذا تبدو أي قراءة لردود الأفعال والفوارق الدقيقة مُعقدةً بسبب محاولة تذكُّر ما أثاره بالضبط في كلامها وتعبيراتها قبل عشر ثوانٍ.

قال: "أنتِ الشخص الوحيد الذي يمكنه خوض حرب أخرى بين الأرض والمريخ ثم يحوِّل هذه الحرب إلى رحلة بحرية خاصة، ومع ذلك أراكِ مستاءة من ذلك. إن أيّ شخص في مكتبي سيفعل المستحيل ليذهب معكِ في رحلة مثل هذه".

ردَّت: "حسنًا، في المرة القادمة سأُعيِّن نخبة منهم، لكن...".

قال قبل خمسٍ وعشرين ثانية: "فيما يتعلق بالمخزون العسكري الدقيق، فإن هناك تقارير بالفعل، ولكنها ليست بالجودة التي أريدها؛ لذا حصلت -من أجلكِ- على بعض المتدرِّبين الذين يقومون بتنقيح معايير البحث. انطباعي أن ميزانية البحث لا يُنفق منها على البحث الفعلي سوى عُشر الأموال فقط. ولكن بترخيص منكِ سيكون لديّ الحق في النظر إلى ذلك، بالرغم من أنني أعرف تمامًا أن هؤلاء الرجال في البحرية يجيدون التعتيم على الأشياء. أعتقد أنكِ ستكتشفين..." توقَّف قليلًا ثم تساءل بتعبيرٍ مُشتت: "تقولين نخبة؟"

قالت: "انسَ ذلك الآن، تابع ما كنت تقول!"

انتظرت خمسين ثانية، وبدت مستاءةً تمامًا من التأخُّر في الرد.

قال الشاب: "لست متأكّدًا مما إذا كنا قادرين على الحصول على إجابة قاطعة أم لا. قد يخالفنا الحظ، ولكن إذا كان لديهم شيءٌ يخفونه، فأعتقد أنهم سيفعلون ذلك، ويفلتون من العقاب على الأرجح".

فكرت أفاسارالا في الأمر: "خاصةً أنهم سيعرفون أنك ستبحث في ذلك، وما طلبت منك أن تبحث عنه بالضبط"؛ لأنه حتى لو كان تدفُّق الأموال بين ماو كويكوفسكي ونجوين وإرينرايت مُدرجًا في جميع الميزانيات في الوقت الحالي، فإنه سيتمكّنون من إخفاء ذلك بحلول الوقت الذي يبدأ فيه حلفاء أفاسارالا البحث، ولكن كل ما يمكنها فعله هو الاستمرار في استهداف أكبر عددٍ ممكن من الجبهات التي تخطر ببالها على أمل أن يُصيب عيارها إحدى تلك الجبهات. يمكنها أن تنتظر ثلاثة أيام أخرى من طلبات المعلومات والاستفسارات، ومن ثم تطلب تحليل حركة البيانات. وبالرغم من أنها لا تعرف بالضبط نوعية المعلومات التي سيحرصون على إخفائها، لكنها إذا تمكّنت من معرفة أنواع وتصنيفات البيانات التي يحتفظون بها بعيدًا عنها، فإن ذلك سيفضي بها إلى شيءٍ ما. ربما يكون بسيطًا، ولكنه مهمًّا للغاية.

قالت للشاب: "افعل كل ما في وسعك. بينما سأرفرف هنا في وسط اللامكان. اتصل بي مباشرةً عندما تتوصّل إلى أيّ جديد".

لم تنتظر خمسين ثانية لتبادل عبارات الوداع كما تقتضي الآداب، فالحياة أقصر من احتمال كل هذا الهراء.

كانت مقصورته الخاصة في يخت (غوانشين) رائعة حقًّا حيث تطابق السرير والأريكة مع السجادة الفاخرة بدرجات اللونين الذهبي والأخضر، والتي كان يُفترض أن تتعارض مع بعضها، لكنها لم تتعارض، وبدا اللونان متناغمين. بينما كان الضوء أفضل صورة متقاربة لضياء الشمس في منتصف الصباح، ولم يسبق لها أن رأت شيئًا بهذا الجمال كما أُضيف المُعطِّر لأجهزة إعادة تدوير الهواء لإضفاء لمسة من التراب والعشب المقطوع حديثًا. لكن كانت الجاذبية المنخفضة هي الشيء الوحيد الذي أفسد عليها شعورها الواهم بأنها في أحد الأندية الريفية الخاصة في الحزام الأخضر لجنوب آسيا. ليست الجاذبية المنخفضة وحدها، ولكن ذلك التأخُّر الملعون عند إجراء الاتصالات.

لطالما كرهت أفاسارالا الجاذبية المحصصة حتى ولو كان التسارع سلسًا تمامًا حيث لم يضطر اليخت مطلقًا إلى الالتفاف أو تفادي أي عقبات في الطريق، فقد اعتادت أحشاؤها على دفع الأشياء في جاذبية مخفضة، حيث لم تهضم أيّ طعام جيدًا منذ صعودها على متن اليخت كما أنها تعاني من ضيق التنفُّس.

أطلق جهازها المكتبي صفيرًا إيذانًا بتلقّي تقريرٍ جديد من كوكب الزهرة. فتحت التقرير، ما يزال العمل جاريًا على التحليل الأولي لحطام مركبة (أربوغاست). كان هناك بعض التأيُّن في المعدن، وهو ما يتسق مع إحدى النظريات حول كيفية عمل الجزيء الأولي. هذه هي المرة الأولى التي يتم فيها تأكيد التنبؤ، إنها موطئ قدم صغير يمكن أن تساعد على فهم حقيقي لكل ما يحدث هناك على كوكب الزهرة. كان هناك جدول زمني دقيق للطفرات الثلاثة كما أن هناك تحليلًا طيفيًّا للغلاف الجوي العلوي لكوكب الزهرة يُظهر نيتروجينًا عنصريًّا أكثر مما هو مُتوقَّع. شعرت أفاسارالا أن رؤيتها ضبابية. في الحقيقة أنها لم تهتم بذلك كثيرًا.

كان ينبغي عليها أن تهتم؛ لأن ربما ذلك الشيء أكثر أهمية من أيّ شيء آخر كان يحدث. ولكنها تمامًا مثل إرينرايت ونجوين والآخرين، وقعت في هذا الصراع الإنساني التافه للحرب وتداعياتها وذلك الانقسام القبلي بين الأرض والمريخ. والكواكب الخارجية إذا تعاملت معهم بجدية.

عجبًا! لقد وصلت إلى المرحلة التي تقلق فيها بشأن بوبي وكوتيار أكثر من قلقها بشأن ما يحدث على كوكب الزهرة. كان كوتيار رجلًا طيبًا، وقد جعلها اعتراضه على رأيها أكثر عنادًا وغضبًا، كما بدت بوبي وكأنها على وشك الانهيار، وكيف لا؟ لقد شاهدت الفتاة أصدقاءها وهم يموتون من حولها، لقد انهار عالمها بالكامل، وهي الآن تعمل من أجل عدوها اللدود. دائمًا ما يتسم قوات البحرية بالقسوة، من نواحٍ عديدة، إن وجود شخص في الفريق ليس له ولاء أو روابط مع أيّ شخصٍ على الأرض بمثابة ميزة حقيقية، خاصةً بعد خيانة سوريين.

استندت للخلف على كرسيها، مرعحة من شعورها بأن وزنها أكثر ضآلة. ما تزال واقعة سوريين تقض مضجعها، ليس بسبب الخيانة في حد ذاتها؛ لأن حدوث الخيانة

متأصِّل في لعبة السياسة، وإذا تأذّت مشاعرها بسبب ذلك، فعليها حقًّا أن تتقاعد. ولكن لا، ما يزعجها فيما حدث أنها كانت غافلة عما يجري حولها. لقد سمحت بأن يكون لديها نقطة عمياء، وعرف إيبرايت كيف يستغلها على النحو الأمثل. لقد عرف كيف يسلبها مواطن قوتها. كرهت أن يقهرها إيبرايت بهذه الطريقة، وأكثر من ذلك، كرهت تصوُّر أن إخفاقها سيعني المزيد من الحروب، والمزيد من العنف، والمزيد من الأطفال القتلى.

أجل، كان هذا ثمن الإخفاق، المزيد من الأطفال القتلى؛ لذلك لا مجال لأن تُخفق مرة أخرى.

تخيَّلت أرجون أمامها، والحزن اللطيف في عينيه، كان سيُخفِّف عنها قائلًا: "إنتِ لست مسؤولة عن كل ذلك".

قالت بصوتٍ عالٍ: "إنها مسؤولية الجميع، ولكنني الشخص الوحيد الذي يأخذ الأمر على محمل الجد".

ابتسمت. فلتدع جواسيس ماو وعيونه المتربصة يسمعون قولها ويفهمون معناه. تركت عقلها يتخيَّلهم وهم يبحثون في غرفتها عن أجهزة اتصالات أخرى، ويحاولون عبثًا معرفة الشخص الذي كانت تتحدَّث إليه أو لربما ظنوا فقط أن السيدة العجوز فقدت عقلها حتى باتت تُحدِّث نفسها. فلتدعهم يتكهَّنون.

أغلقت تقرير كوكب الزهرة، وبينما تسرح بخيالها بعيدًا، وصلتها رسالة أخرى عاجلة باعتبارها مسألة تتطلَّب الرد. عندما قرأت مُلخَّص الاستخبارات، رفعت حاجبيها.

***

- "مرحبًا، أنا جيمس هولدن، وأتحدَّث إليكم الآن لأطلب منكم المساعدة".

راقبت أفاسارالا بوبي وهي تنظر إلى الشاشة، بدت مرهقة وقلقة، لم تكن عيناها محتقنة بالدم بقدر ما أصابها الجفاف مثل محامل بلا شحمٍ كافٍ. إذا احتاجت إلى مثال لتوضيح الفرق بين النعاس والإرهاق، فيكفيها النظر إلى هذه الفتاة البحرية.

قالت بوبي: "لقد هرب، إذن".

أجابت أفاسارالا: "نعم، هرب هو وعالم النبات رفيقه وطاقمه الملعون. إذن لدينا الآن قصة واحدة حول ما كانوا يفعلونه في جانيميد. إنها القصة نفسها التي أثارت حماس رجالك ورجالنا لدرجة أنهم بدأوا في إطلاق النار بعضهم على بعض"

نظرت إليها بوبي مليًّا، وتساءلت: "هل تظنين هذا حقيقيًّا؟"

أجابت أفاسارالا: "ما الحقيقي؟ ما أعتقده أن هولدن لديه تاريخ طويل من الثرثرة الفارغة بكل ما يعرفه أو ما يظن أنه يعرفه على هذا الكون. سواء أكان حقيقيًّا أم لا، فإنه يؤمن بذلك".

سألت بوبي: "والجزء المتعلّق بالجزيء الأولي؟ أعني، لقد أخبر الجميع للتو أن الجزيء الأولي سائب في جانيميد".

- "نعم، لقد فعل ذلك".

تابعت بوبي: "ويجب أن يتفاعل الناس مع هذا الأمر، أليس كذلك؟"

عادت أفاسارالا لتنظر إلى ملخّص الاستخبارات، ثم إلى صور وفيديوهات أعمال الشغب في جانيميد. استوقفها منظر الناس بعدما اشتد بهم الهزال والخوف، بدوا منهكين من المأساة والحرب ويُغذّيهم الذعر. يمكنها أن تقول إن قوات الأمن المحتشدة ضدهم كانت تحاول أن تحافظ على هدوئها ولطفها مع الناس هناك، لم يكونوا عصابات تستمع باستخدام العنف، بل كانوا قوات منظمة تحاول منع الضعفاء من إيذاء أنفسهم ومن تقتيل بعضهم بعضًا، وقد حاولت هذه القوات الحفاظ على الخط الفاصل بين الاستخدام الضروري للقوة وبين عدم التدخُّل.

قالت أفاسارالا: "وصل عدد القتلى إلى خمسين قتيلًا، هذا هو التقدير حتى الآن. لقد وصلت الأمور في هذا المكان الموبوء إلى حدٍّ بالغ السوء، وربما كانوا سيموتون من المرض وسوء التغذية على أيّ حال، ولكنهم ماتوا بسبب العنف بدلًا من ذلك".

قالت بوبي: "سبق لي أن زرت هذا المطعم".

عبست أفاسارالا، وحاولت أن تستوعب ما إذا كانت عبارتها هذه ترمز إلى شيءٍ ما ذي أهمية. أشارت بوبي إلى الشاشة، ثم قالت: "في هذا الحوار حيث يموت الناس، أكلت هناك بعد إيفادي إلى جانيميد، لقد كانت الفنادق هناك جيدة للغاية".

قالت أفاسارالا: "أسفة لما مررتِ به في جانيميد"، بينما هزّت الفتاة البحرية رأسها فقط.

تأملت بوبي، ثم أضافت: "إذن، قد انكشفت المؤامرة؟"

أجابت أفاسارالا: "ربما، وربما لا أيضًا".

- "لقد أخبر جيمس هولدن النظام الشمسي بأكمله أن الجزيء الأولي كان موجودًا في جانيميد، تُرى في أيّ عالم قد يكون هناك الآن؟"

تحوّلت أفاسارالا لمشاهدة قناة إخبارية، كما فحصت العلامات، وفتحت مقطع فيديو يظهر فيه الخبراء المُدرجون في القائمة التي تريدها، تم تحميل البيانات لبضع ثوانٍ، بينما رفعت إصبعها في انتظار العرض.

قال رجل مُحنَّط الوجه يرتدي معطفًا أبيض وقلنسوة كوفية: "...غير مسؤول على الإطلاق"، وكان من الممكن أن يؤدي التعالي المُتجلّي في نبرته إلى تقشير طلاء الجدران.

جلست بجانبه مذيعة في أوائل العشرينيات من عمرها، ذات شعرٍ قصير مفرود، وكانت ترتدي بدلة داكنة، وتقول إنها صحفية جادة.

- "إذن، أنت تقول إن الجزيء الأولي لا علاقة له بذلك؟"

أجاب الرجل: "بالطبع لا علاقة للجزيء الأولي بالصور ومقاطع الفيديو التي بثّها جيمس هولدن وطاقمه الصغير. يمكنك رؤية هذه الخيوط المتشابكة تحدث عادةً عندما يكون هناك تسرُّب مادة رابطة، كثيرًا ما يحدث ذلك".

- "إذن أترى أنه لا يوجد أيّ سبب يدعو للذعر؟"

قال الخبير محوِّلًا نبرته المتعالية إلى المذيعة. "أليس! في غضون أيام قليلة من الحادث، أصبحت إيروس عرضًا حيًّا مُرعبًا، ولكن انظري إلى جانيميد منذ بدء الأعمال العدائية، لم تظهر أيّ علامة على وجود عدوى حية تنتشر بين الناس. لم نر ذلك مطلقًا".

ردّت المذيعة: "لكن هولدن لديه عالِمٌ في فريقه. عالم النبات الدكتور براكسيديك مينج الذي يبحث عن ابنته...".

قاطعها الخبير قائلًا: "أنا لا أعرف رفيقه الذي يُدعى مينج هذا، لكن إذا كان عبثه بنبات مثل فول الصويا يجعل منه خبيرًا في الجزيء الأولي، فمن الممكن أن يكون خبيرًا أيضًا في جراحات المخ والأعصاب بهذا المنطق. لا أقصد الإساءة، وأشعر بالأسف بالطبع بشأن اختفاء ابنته، لكن لا، إذا كان الجزيء الأولي موجودًا في جانيميد، لأدركنا ذلك منذ فترةٍ طويلة. هذا الذعر لا يعني أيّ شيءٍ حرفيًّا".

قالت أفاسارالا وهي تغلق الشاشة: "يمكنه التحدُّث بهذه الطريقة المتعالية لساعاتٍ متتالية، ولدينا العشرات مثله. كما أن المريخ سيهتم بعرض نماذج على هذه الشاكلة حتى تتشبَّع القنوات الإخبارية من عرض الرواية المضادة لما ذكره هولدن".

ردَّت بوبي، وهي تسحب نفسها من على المكتب: "مدهش!".

تابعت أفاسارالا: "إنها محاولة للتهدئة من روع الناس. هذا هو المهم الآن. يعتقد هولدن نفسه بطلًا، ظهيرًا للناس. يرى أن المعلومات يجب أن تُطلق في الفضاء، وأن يطلع عليها جميع الناس إلى آخر هذا الهراء، يا له من أحمق سخيف".

ردَّت بوبي: "إنه على متن مركبته الخاصة".

عقدت أفاسارالا ذراعيها، وقالت: "ما قصدك؟"

أوضحت بوبي: "إنه على متن مركبته الخاصة بينما نحن لسنا كذلك".

قالت أفاسارالا: "إذن نحن جميعًا حمقى سُخفاء، جيد الآن!"

نهضت بوبي، وبدأت تقطع الغرفة جيئةً وذهابًا، ثم استدارت قبل أن تصطدم بالحائط، كانت الفتاة معتادةً على السير بسرعةٍ في أماكن أصغر من ذلك.

سألت بوبي: "ماذا تريدين مني أن أفعل حيال ذلك؟"

أجابت أفاسارالا: "لا شيء. ماذا يمكنكِ أن تفعلي بحق الجحيم؟ أنت عالقة هنا معي، أنا شخصيًّا لا أستطيع أن أفعل أيّ شيء رغم صداقاتي وعلاقاتي الوطيدة بأشخاصٍ من ذوي النفوذ الهائل. ليس في يديك أيّ شيءٍ على الإطلاق. أردت فقط أن

أبثّ همومي وشواغلي لشخصٍ لا أضطر للانتظار لدقيقتين بسبب مقاطعته لي كلما أقول جملتين".

لقد أفرطت في الصراحة. تحت تعبيرات بوبي، أطرقت والتزمت الصمت، في حين انتقلت أفاسارالا إلى حافة السرير.

قالت أفاسارالا: "لقد أسأتُ التعبير، لم أكن مصمِمة".

ردّت بوبي: "ماذا تقولين؟"

قالت أفاسارالا: "بالطبع أعترف بذلك".

أمالت الفتاة البحرية رأسها، وتساءلت: "هل هذا اعتذار؟"

أجابت أفاسارالا: "هذا أقل ما يمكنني تقديمه لكِ الآن".

شيءٌ ما تغيَّر في ذهن أفاسارالا. ليس عن كوكب الزهرة ولا عن جيمس هولدن وابنة عالم النبات المفقودة ولا حتى عن إريترايت، بل كان الأمر يتعلَّق ببوبي، بتجوّلها في الغرفة والأرق الذي يظهر عليها. انتبهت لذلك، وضحكت لذلك ضحكةً مكتومة. عقدت بوبي ذراعيها، وطرح صمتها الطويل تساؤلًا عن سبب ضحك أفاسارالا.

قالت أفاسارالا: "لن تري الأمر مضحكًا".

- "جرّبيني أولًا".

قالت أفاسارالا: "أنتِ تذكريني بابنتي".

- "نعم؟".

كان على أفاسارالا أن تمتص غضب بوبي، وتُفسّر قولها. هدرت أجهزة إعادة تدوير الهواء مع نفسها، بينما كان هناك شيءٌ ما يئن في أحشاء اليخت بعيدًا، كما لو كانوا على متن مركبة شراعية قديمة مصنوعة من الخشب والقطران.

أوضحت أفاسارالا قولها: "مات ابني عندما كان في الخامسة عشرة من عمره في حادث تزلُّج. هل قلتُ لكِ هذا من قبل؟ كان يتزلّج على منحدر ركض عليه عشرين أو ثلاثين مرة من قبل. كان يجيد ذلك، ولكن حدث خطأ مرة في تلك المرة، فاصطدم بشجرة. لقد خمّنوا بعد ذلك أنه كان يركض بسرعة ستين كيلومترًا في الساعة عندما وقع

الاصطدام بالشجرة. قد ينجو بعض الناس عند التعرُّض لمثل هذا الاصطدام، لكنه لم ينجُ.

للحظة، شعرت أفاسارالا كما لو أنها عادت إلى هناك، رأت نفسها في منزلها بينما ينقل لها المسعف الخبر المشئوم عبر الشاشة. ما يزال بإمكانها شم رائحة البخور المحترقة التي أشعلها أرجون في ذلك الوقت. ما يزال بإمكانها سماع قطرات المطر تنقر على النافذة مثل قرع أطراف الأصابع. إنها أسوأ ذكرى لديها على الإطلاق. رأتها أمامها كاملةً وواضحة، أخذت نفسًا طويلًا وعميقًا، وبدأت ترتجف.

- "كنت على وشك الانفصال في الأشهر الستة التالية. صحيح أن أرجون رجلٌ قديس، لكن للقديسين حدودهم أيضًا. كنا نتقاتل على سفاسف الأمور. لم يمر يوم دون شجار مهما كان السبب تافهًا. ألقى كلانا باللوم على الآخر لعدم إنقاذ شارانبال، وضاق كلانا ذرعًا من تحميل كل طرف المسؤولية للطرف الآخر؛ ولذلك كانت ابنتي هي الضحية وسط كل ذلك".

سكتت قليلًا ثم تابعت: "ذات ليلة، خرجنا أنا وأرجون في مكانٍ ما، ثم عدنا إلى المنزل في وقتٍ متأخر، وبدأنا الشجار مرة أخرى، حاولت أشانتي الابتعاد عنا، فدخلت المطبخ تغسل الأطباق. بدأت تغسل الأطباق التي كانت نظيفة بالفعل. دعكت الأطباق بقطعة قماش وبعض المُطهِّرات الكاشطة حتى نزفت أصابعها، لكن يبدو أنها لم تلاحظ ذلك، أتعلمين؟ حاولت منعها، وإخراجها بعيدًا عن المطبخ، لكنها بدأت بالصراخ، ولم تهدأ مجدَّدًا حتى تركتها تواصل غسل الأطباق. أعماني الغضب حتى كرهت ابنتي في تلك اللحظة بالتحديد، كرهتها".

- "وكيف ذكَّرتك بها بالضبط؟"

أشارت بوبي إلى الغرفة، حيث السرير المفروش بملاءات الكتان اللامعة، وورق الحائط المُزخرَّف على الجدران، والهواء المُعطَّر.

- "لا يمكنك تقديم أيّ تنازلات. لا يمكنكِ أن تري الأشياء بالطريقة التي أخبرك بها، وعندما أحاول إجبارك على ذلك، فإنك تتعدين"

سألت بوبي: "هل هذا ما تريديه؟" وبدأت ترفع صوتها شيئًا فشيئًا، أعصبها الحديث لكنه على الأقل أعادها إلى النقاش مرة أخرى، واصلت: "هل تريدين مني أن أوافق على كل ما تقولينه دون إبداء أيّ اعتراض، وإذا لم أفعل، فسوف تكرهينني بسبب ذلك؟"

ردّ أفاسارالا: "بالطبع أريدك أن تعترضي عندما أبدو حمقاء، هذا ما أدفع لكِ راتبك مقابله. حتى ولو كرهتك، فسأكرهك فقط في تلك اللحظة بالتحديد لكني أحب ابنتي كثيرًا".

قالت بوبي: "أنا لا أشك في ذلك، سيدتي، ولكنني لست ابنتك".

تنهّدت أفاسارالا: "لم أدعوكِ إلى هنا، وأعرض أمامكِ كل هذا؛ لأنني تعبت من التأخُّر في الاتصالات. بل لأنني أشعر بالقلق، في الحقيقة أشعر بالخوف".

تساءلت بوبي: "من ماذا؟"

قالت أفاسارالا: "هل أُعدُّ لكِ قائمةً؟"

ابتسمت بوبي أخيرًا، وبادلتها أفاسارالا الابتسام ثم قالت: "أخشى من فكرة أنهم أقصوني تمامًا خارج اللعبة، أخشى من فكرة أنني لن أتمكّن من منع تلك الصقور الجارحة وعصابتهم من تنفيذ مخطّطهم القذر.. كما أخشى أن أكون مخطئة. ماذا سيحدث يا بوبي؟ ماذا سيحدث إذا خرج ذلك الشيء اللعين من كوكب الزهرة، ووجدنا مُشتّتين وضائعين ومُكبّلي الأيدي كما هو الحال الآن".

- "لا أعرف".

أطلق جهاز بوبي صفيرًا إشعارًا بوصول رسالة جديدة، نظرت أفاسارالا إلى الرسالة التي كانت ملاحظة من الأميرال ساوثر. أرسلت له أفاسارالا رسالة بريئة تمامًا تقترح فيها تناول الغداء معًا عند العودة إلى كوكب الأرض، ثم قامت بتشفيرها بنمطٍ خاص حتى تُرسل الرسالة بتصريح مُشدَّد أمنيًّا. سيستغرق رجال ماو بضع ساعات على الأقل من أجل فك الرموز المُشفَّرة التي يتضمنها النص العادي الذي جاء فيه:

أحب دلك.

النسر يهبط في منتصف الليل على حدائق الحيوانات الأليفة للأطفال

أمور غير قانونية تجري في روما.

ضحكت أفاسارالا وقد غمرها السرور هذه المرة بحق، في حين حاولت بوبي جاهدةً أن تنظر علام تضحك حتى قلبت أفاسارالا الشاشة لكي تتمكّن الفتاة البحرية الضخمة من قراءة الرسالة.

تساءلت بوبي: "ماذا يعني ذلك؟"

أشارت لها أفاسارالا أن تقترب حتى كادت شفتاها تلامسان أذن بوبي، في مثل هذه المسافة الحميمة بينهما، فاحت من الفتاة الضخمة رائحة نظيفة بجانب المُرطبات برائحة الخيار، والتي كانت متوافِرة في جميع غرف إقامة ضيوف ماو.

همست أفاسارالا: "لا شيء على الإطلاق. إنه أحد الرجال التابعين لقيادتي، لكنهم سيمضغون أكبادهم لمعرفة مضمون تلك الكلمات الغامضة الواردة في الرسالة".

نهضت بوبي، وبدا تعبيرها المُتشكّك بليغًا".

تساءلت: "هذه هي الطريقة التي تعمل بها الحكومات، أليس كذلك؟"

أجابت أفاسارالا: "مرحبًا بكِ في نادي القرود".

قالت بوبي: "أعتقد أنني سأذهب لأتناول مشروبًا".

ردّت أفاسارالا: "وأنا سأعود إلى العمل".

توقّفت بوبي عندما وصلت إلى المدخل. بدت صغيرة تحت هذا الإطار العريض. إطار باب في مركبة فضاء جعل الفتاة الضخمة روبرتا درابر تبدو صغيرة الحجم. ليس ثمة شيءٌ على هذا اليخت لا يمتاز بالفخامة المُبالغ فيها.

تساءلت بوبي: "وماذا جرى لها بعد ذلك؟"

- "من هي؟"
- "ابنتك".

أغلقت أفاسارالا جهازها، وقالت: "غنّي لها أرجون حتى هدأت تمامًا. استغرق الأمر حوالي ثلاث ساعات. لقد جلس على المنصدة، وبدأ يتصفّح جميع الأغاني التي كنا نغنيها لها ولأخيها عندما كانا صغيرين. وفي النهاية نامت أشانتي هادئة البال؛ ليحملها أرجون إلى غرفتها، ويضعها في سريرها".

- "وهل كرهتِه هو الآخر أيضًا؟ لأنه استطاع مساعدتها على أن تهدأ، بينما لم تستطيعي أنتِ فعل ذلك".
- "يبدو أنك فهمتِ الأمر جيدًا أيتها الرقيبة".

لعقت بوبي شفتيها، ثم قالت: "أشعر برغبة جارفة في إيذاء شخصٍ ما، وأخشى من فكرة أنني إذا لم أتمكّن من ذلك، سينتهي بي الأمر إلى إيذاء نفسي".

قالت أفاسارالا: "نحن جميعًا نتعامل مع الألم القابع بداخلنا بطرقنا الخاصة، ولكن لا يسعني سوى أن أقول لكِ أنتِ حتى لو تمكّنتِ من قتل عددٍ كافٍ من الأشخاص قصاصًا لأفراد فرقتك، فإن ذلك لن يدفع عنهم الموت. تمامًا مثلي، فحتى لو تمكّنت من إنقاذ عددٍ كافٍ من الأشخاص، فلن يكون من بينهم شارانبال على أيّ حال".

توقّفت بوبي مليًّا لتتدبّر كلمات أفاسارالا حتى كادت المرأة العجوز أن تسمع الأفكار تتطاحن مرارًا وتكرارًا في عقل الفتاة البحرية. يبدو أن سورين كان أحمق عندما قلّل من شأن تلك الفتاة، ولكن ليس لهذا السبب فقط، لقد كان أحمق من نواحٍ عديدة. عندما تحدّثت الفتاة أخيرًا، بدا صوتها خافتًا ولطيفًا، كما لو أن كلماتها لم تكن عميقة.

- "لا حرج علينا إذا حاولنا رغم ذلك".

ردّت أفاسارالا: "وهذا ما نفعله".

أومأت الفتاة البحرية باقتضاب. للحظة اعتقدت أفاسارالا أنها على وشك أن تُقدّم لها التحية العسكرية، ولكن بدلًا من ذلك اتجهت نحو الحانة المحاذية في المساحة الفسيحة المشتركة. كانت هناك نافورة بها رشاشات مائية تتناثر على تماثيل برونزية لخيول ونساء شبه عاريات.

إذا لم يُحرِّض ذلك المنظر الناس على تناول شرابًا لاذعًا من الخمر، فسيذهب المال الذي أُنفق على تصميمه هباءً منثورًا. نقرت أفاسارالا على شاشتها لتشغيل الفيديو مرة أخرى

- "مرحبًا، أنا جيمس هولدن، و...".

أوقفت مقطع الفيديو مرة أخرى، وحدّثت نفسها قائلةً: "على الأقل، أزال هذه المرة تلك اللحية اللعينة".

الفصل السادس والثلاثون

براكس

تذكَّر براكس أولى لحظات الاستبصار التي مرَّ بها، أو ربما ما كان يعتقدها الأولى في حياته، فمع غياب الشواهد سلَّم بأنها كانت المرة الأولى في حياته. لقد كان وقتها في الصف الثاني الثانوي، في السابعة عشرة من عمره فقط. كان جالسًا هناك بين الطاولات الفولاذية وأجهزة الطرد المركزي الدقيقة في مختبر الهندسة الوراثية. لقد حاول جاهدًا أن يعرف السبب وراء سوء النتائج التي يتوصَّل إليها في كل مرة؛ لذا قرَّر مراجعة حساباته، وإعادة قراءة ملاحظات المختبر. لم يكن الخطأ بسبب الإهمال الذي يُمكن أن يفسِّر سوء النتائج ببساطة؛ لأنه لم يكن مُهملًا على الإطلاق.

ثم أدرك أن أحد الكواشف التي استخدمها كان له خاصية اللاتناظر المرآتي، عرف وقتها ما حدث بالضبط. لم يخطر بباله أنه ارتكب خطأً، ولكنه افترض أن الكاشف مأخوذ من مصدر طبيعي، بينما تم توليده من جديد في الواقع، فبدلًا من أن تكون جزيئات المُركَّب كلها عسراء، كان هناك مزيجٌ من الكيرالية، بينما نصف هذه الجزيئات ليست نشطة. جعله هذا الاستبصار يبتسم ابتسامة عريضة من الأذن إلى الأذن.

لقد كان ذلك فشلًا بالتأكيد، ولكنه استطاع أن يفهم أسباب الفشل، وهذا ما يجعله نجاحًا بشكلٍ ما. لم يأسف على شيءٍ سوى أنه استغرق وقتًا طويلًا لاكتشاف شيءٍ كان يجب أن يدركه عاجلًا.

في الأيام الأربعة التي تلت بث الفيديو، كان ينام بصعوبة. وبدلًا من ذلك قضى معظم وقته في قراءة التعليقات والرسائل التي صاحبت التبرُّعات، وبدأ يردّ على بعضٍ منها، ويطلب المزيد من المساعدة من العرباء. لم ينم لمدة يومين بسبب نشوة الشعور بالفعالية، عاش ثملًا بالنوايا الحسنة والتبرُّعات التي يُغدقها عليه المحسنون في جميع أنحاء النظام الشمسي. وعندما تمكَّن أخيرًا من النوم، رأى في منامه أن يعثر على مَي.

عندما اكتشف الحل الأمثل أخيرًا، تمنّى لو أنه أدركه عاجلًا.

قال أموس: "كان بإمكانهم أخذها إلى أيّ مكانٍ يا دكتور، خصوصًا أنهم كانوا يمتلكون الوقت الكافي لذلك. ما أود أن أقوله: هدّئ من روعك قليلًا"

ردّ براكس: "صحيح، بإمكانهم أخذها إلى أيّ مكانٍ طالما كان لديهم مخزون كافٍ من أدويتها، ولكنها ليست العقبة الرئيسية بالنسبة لهم، ولكن السؤال هو من أين أتوا أصلًا؟"

دعا براكس للاجتماع دون أن يكون لديه فكرة واضحة عن مكان عقده، وبالرغم من أن طاقم (روسي) محدود العدد، فإن مسكن أموس لن يسعهم جميعًا. فكّر قليلًا في عقد الاجتماع في مطبخ المركبة، ولكن ما يزال هناك فنيّون لم ينتهوا بعد من أعمال الصيانة، وبراكس يبحث عن مزيدٍ من الخصوصية عند مناقشة مثل هذه الأمور. في النهاية، قام بفحص تدفُّق الإسهامات الواردة بعد الفيديو الذي بثّها هولدن، وسحب من المال ما يكفي لاستئجار غرفة في نادي المحطة.

اجتمعوا في صالة خاصة على الجانب الآخر من نافذة الشاشة الجدارية. تحوّلت الأبنية العملاقة إلى مجسمات متناهية الصغر بينما تتصاعد صواريخ الإمالة وتومض وتطفئ في أنماطٍ مُعقَّدة مثل أنماط اللغة. الشيء الوحيد الذي لم يخطر ببال براكس قبل مجيئه إلى هذا المكان أنه كان على أجهزة التحكُّم عن بُعد في المحطة إطلاق صواريخ الإمالة حتى لا تؤدي تحرُّكاتهم إلى إزاحة النادي الذي اجتمعوا فيه. كانت تجري في كل مكانٍ، وفي كل مكانٍ رقصة من الحركات الصغيرة والتموُّجات التي أحدثوها.

داخل الصالة، علا صوت الموسيقى التي تطفو بين الطاولات العريضة والكراسي المبطنة، وبالرغم من ذلك كانت الموسيقى هادئة وشاعرية، كما بدا صوت المُطرب عميقًا ومريحًا للأذن.

قال أليكس: "من أين؟ أعتقد أنهم من جانيميد".

ردّ براكس: "لم يكن المختبر الموجود في جانيميد مُجهّزًا لإجراء الأبحاث الكبرى من هذا القبيل. كانت خطتهم أن تصبح جانيميد ساحة حرب. ستكون فكرة غير سديدة إذا قاموا بإجراء بحثهم الرئيسي هناك. ما رأيناه كان مختبرًا ميدانيًّا".

وافقه أموس قائلًا: "إنهم ليسوا حمقى، ولن يبصقوا أبدًا في البئر التي يشربون منها".

قال هولدن متهكمًا. "أنت تعيش على متن مركبة فضائية".

ردَّ أموس. "ولكنني لا أقضي الوقت في التسكُّع في المطبخ، رغم ذلك".

قال هولدن: "امم، وجهة نظر وجيهة".

قال براكس. "على أيّ حال، يمكننا أن نفترض أن العمل كان يجري من قاعدة محمية بشكل أفضل، ويجب أن تكون هذه القاعدة في مكانٍ ما في نظام جوفيان التابع لكوكب المُشتري، في مكانٍ ما قريب".

قال هولدن: "لم أفهم مقصدك مجدَّدًا، لماذا يجب أن تكون القاعدة في مكانٍ قريب؟"

ردَّ براكس: "بسبب المدة اللازمة للنقل. يمكن أن تذهب مَي إلى أيّ مكان إذا توافَر هناك مخزون كافٍ من الأدوية، لكنها أقوى من... تلك الأشياء".

رفع هولدن يده مثل تلميذ يرغب في طرح سؤال.

- "حسنًا، ربما لا أفهمك جيدًا، ولكن هل قلت للتو إن الشيء الذي اقتحم مركبتي، وألقى بمنصة تخزين تزن خمسمائة كيلوجرام في وجهي، واستطاع أن يشق طريقه مباشرةً إلى قلب المفاعل أكثر حساسية من تلك الطفلة التي تبلغ أربع سنوات وتعاني من مشاكل في جهازها المناعي؟"

أومأ براكس برأسه، اخترقته طعنة من الرعب والكرب. لم تعد الطفلة في الرابعة من عمرها، لقد كان عيد ميلادها في الشهر السابق، ولكنه لم يتذكَّره في خضم الأحداث. إنها في الخامسة من عمرها الآن. ومع ذلك ظل مُحاصرًا بالرعب والكرب. دفع الفكر جانبًا وقال: "سأكون أكثر وضوحًا. جسم مي لا يتكيَّف مع حالتها، هذا هو موطن علتها. إذا فكَّرت في الأمر، فإن هناك سلسلة كاملة من الأشياء التي تحدث في الأجسام الطبيعية ولا تحدث لجسمها، والآن تقارنها بأحد تلك الأشياء، بأحد تلك المخلوقات الغريبة مثل الشيء الذي رأيناه على المركبة؟"

قال أموس: "كان ذلك اللقيط نشطًا جدًّا".

ردّ براكس: "لا، أعم نعم، ولكن لا. أعني أنه نشط على المستوى البيوكيميائي. إذا استخدم ستريكلاند أو ميريان أو أيّ شخصٍ آخر الجزيء الأولي لإعادة هندسة جسم الإنسان، فإنهم يأخذون نظامًا مُعقّدًا ويُغلفونه بنظامٍ آخر. ونعلم أن النتيجة لن تكون مستقرة في النهاية".

قالت ناعومي التي كانت جالسةً بجانب أموس وعلى الجانب المقابل هولدن: "حسنًا، ولكن كيف نعرف ذلك؟"

عبس براكس. عندما تدرَّب على تقديم هذا العرض عليهم، لم يكن يتوقَّع أنهم سيطرحون الكثير من الأسئلة عليه، الأشياء التي يراها واضحة جدًّا منذ البداية يصعب على الآخرين فهمها مباشرةً، ولهذا السبب لم يعمل بمجال التدريس. دقَّق في وجوههم، فلم يرَ سوى الارتباك والتشوُّش.

قال" حسنًا، اسمحوا لي أن أضع نقطة، وأبدأ معكم من أول السطر. كان هناك شيءٌ في جانيميد تسبَّب في اندلاع الحرب، كما كان هناك أيضًا مختبر سري يعمل به أفراد يعلمون أن هجومًا سيحدث قبل حدوثه، أليس كذلك؟"

ردَّ أليكس: "هذا معلوم".

تابع براكس: "حسنًا. في المختبر، رأينا علامات على وجود الجزيء الأولي، كما رأينا صبيًّا ميتًا، ومجموعة من الأشخاص يُحزِّمون أمتعتهم استعدادًا للمغادرة. وعندما وصلنا إلى هناك، كان علينا فقط أن نقاتلهم قبل أن يرحلوا. بعد ذلك كان أمامنا شيءٌ آخر يقتل كل من في طريقه".

استوقفه أموس: "مهلًا! هل تعتقد أنه الشيء نفسه اللعين الذي تسلَّل إلى (روسي)؟"

من الواضح أن براكس قمع رغبته في التأكيد على ذلك قبل أن تسقط كلمة: "طبعًا" من شفتيه، وبدلًا من ذلك قال: "ربما، كما يبدو من المُرجّح أن الهجوم الأصلي شمل أكثر من كائن من هذا القبيل".

سألت ناعومي. "إذن، أفلت اثنان؟"، لكن براكس استطاع أن يرى أنها تجد مشكلة في التسليم بتلك النظرية

ردَّ قائلًا: "لا؛ لأنهم كانوا يعلمون أن ذلك سيحدث. أفلت أحدهم عندما رمى أموس تلك القنبلة عليهم، وتم إطلاق سراح الآخر عمدًا. لكن هذا لا يهم. ما يهم هو أنهم يستخدمون الجزيء الأولي لإعادة تكوين أجسام البشر، وأنهم غير قادرين على التحكُّم فيه بدقة تامة؛ لأن البرمجة التي يُدخلونها دائمًا ما تفشل".

أومأ براكس برأسه كما لو أن هذه الإيماءة ستجبرهم على اتباع سلسلة أفكاره. هزّ هولدن رأسه، وتوقَّف قليلًا ثم أطرق، وقال: "القنبلة!"

أكَّد براكس قائلًا: "أجل، القنبلة. وعندما عرفوا أن هذا الشيء الثاني سوف يتحرَّر، زوَّده بعبوةٍ ناسفةٍ حارقة".

قال أليكس: "آه، لقد فهمت الآن. لقد أدركت للتو أنهم كانوا يعلمون تمام العلم أنهم حتمًا سيفقدون السيطرة على هذا الشيء سواء كان ذلك عاجلًا أم آجلًا؛ لذا قاموا بتزويده بالمتفجّرات؛ لينفجر عندما يتحرَّر ويخرج عن سيطرتهم".

في أعماق الفضاء، اندفعت رافعة إنشاءات عبر هيكل المركبة نصف المبنية، وعكس توهُّجها ضوءًا مفاجئًا ومُكثَّفًا على وجه الطيار المتحمِّس.

قال براكس: "نعم، ولكن يمكن أن تكون القنبلة أيضًا مجرد سلاح ثانوي أو شحنة كان يُفترض أن ينقلها هذا الكائن. أعتقد أنه إجراء أمني، ربما يكون ذلك فقط، أو ربما يتعدَّى ذلك إلى الكثير من الأشياء الأخرى".

ردَّ أليكس: "حسنًا، ولكنه تركها وراءه".

قال براكس: "في النهاية، تم إطلاق القنبلة. أما ترى؟ لقد اختار الجزيء الأولي إعادة تكوين نفسه؛ لدفع الشّحنة بعيدًا عنه. لم يُلقِ بالقنبلة لتدمير (روسي)، بالرغم من أنه بإمكانه فعل ذلك، لم يستخدمها ضد هدف مُحدّد مسبقًا، ولكنه اكتفى بإلقائها بعيدًا عنه؛ لتنفجر فقط".

"وعرف كيف يفعل ذلك بدقة...".

قال براكس: "إنه ذكي بما يكفي للتعرُّف على التهديد. ما زلت لا أعرف الآلية التي تمكّنه من ذلك بعد. يمكن أن تكون آلية استعرافية أو لديه نظام متصل بشبكة معلومات أو ربما يكون ذلك نوعًا من الاستجابة المناعية المُعدَّلة".

تساءلت ناعومي: "حسنًا، يا براكس، لكن إذا تمكَّن الجزيء الأولي في النهاية من الخروج عن السيطرة، وتحرّر من جميع القيود المفروضة عليه، فإلامَ يقودنا ذلك؟"

حدَّث براكس نفسه قائلًا: "العودة إلى نقطة البداية"، وبدأ في شرح المعلومات التي كان ينوي عرضها عليهم في المقام الأول. "هذا يعني أن المختبر الرئيسي- حيث المكان الذي لم يطلقوا فيه بعد أحد هذه الكائنات- يجب أن يكون قريبًا بدرجة كافية من جانيميد؛ ليصلوا إلى هناك قبل أن تنزلق رقابهم تحت المقصلة. لا أعلم كم من الوقت سنستغرق للوصول إليهم، ولكن كلما اقتربنا أكثر كان ذلك أفضل".

قال هولدن: "قمر جوفيان أو محطة سرية".

ردَّ أليكس: "لا يمكن إنشاء محطة سرية في نظام جوفيان، هناك حركة مرور مستمرة، وبالتأكيد إذا رأى شخصٌ ما شيئًا غريبًا، فلن يمر ذلك مرور الكرام. لقد كان نظام جوفيان بمثابة المركز الرئيسي لعلم الفلك خارج المجموعة الشمسية حتى وصلنا إلى أورانوس. إذا وضعت هناك شيئًا قريبًا، ستنفث المراصد عليك غضبها؛ لأنك تفسد صورها، أليس كذلك؟"

نقرت ناعومي بأصابعها على سطح الطاولة؛ ليصدر صوتٌ أشبه بصوت دقات المُكثِّف الذي يقطر من فتحات التهوية المعدنية.

قالت: "حسنًا، الخيار الواضح هو قمر يوروبا".

قال براكس بنفاد صبر: "إنه قمر آيو. لقد استخدمت بعض الأموال للبحث عن التعريفات الجمركية على أنواع الأريلامين والنيتروارين المستخدمة في أبحاث المطفرات"، توقّف قليلًا ثم تابع: "أعتقد أنه لا بأس من فعل ذلك، أقصد أنني استخدمت بعض المال، أليس كذلك؟"

أجاب هولدن: "هذا هو الهدف من جمع الأموال بالأساس".

تابع براكس: "حسنًا، المطفرات التي لا تبدأ في العمل إلا بعد تنشيطها تخضع لرقابة مُشدّدة، حيث يمكن استخدامها في أبحاث الأسلحة البيولوجية. ولكن إذا كنت تحاول العمل مع هذا النوع من أنظمة التسلسل والقيود البيولوجية، فيجب أن تعتمد عليها. ذهبت معظم الإمدادات إلى جانيميد، ولكن كانت هناك إمدادات تتدفّق باستمرار إلى يوروبا أيضًا. وعندما حاولت التحقُّق من ذلك، لم أتمكّن من العثور على جهاز استقبال مُدرج؛ لأن الإمدادات عادت من يوروبا بعد حوالي ساعتين من وصولها".

تساءل هولدن: "وهل اتجهت إلى قمر آيو؟"

أجاب براكس: "لم يتضح المكان الذي تتجه إليه الإمدادات. لكن يجب أن تتبع حاويات الشحن المستخدمة مواصفات السلامة السارية في الأرض والمريخ. وكانت التكاليف باهظة للغاية؛ لذا أُعيدت حاويات الشحن من يوروبا إلى الشركة المُصنعة مقابل ائتمان ثم شُحنت الإمدادات في وسائل نقل غادرت قمر آيو".

أخذ براكس نفسًا عميقًا. كان الأمر أشبه بخلع سنٍّ من أسنانه، لكنه أصبح متأكّدًا تمامًا من أنه قد أوضح كل النقاط التي يحتاجون إليها لتكوين دليل، حتى وإن لم يكن دليلًا قاطعًا، ولكنه يوحي ببعض القوة والتماسك على الأقل.

قال أموس، وهو يُقسّم جملته إلى عدة مقاطع: "إذن، نفترض أن الأشرار على قمر آيو على الأرجح؟"

أجاب براكس: "نعم".

قال: "حسنًا، يا دكتور، بوسعك أن تقول ذلك الآن".

***

كانت قوة الدفع تصل إلى أعلى مستويات تسارع الجاذبية ولكن بدون تأثير كوريوليس الخفي الذي تتمتّع به محطة تايكو. جلس براكس في سريره، وانحنى على جهازه اللوحي. تذكّر الأوقات التي مرّ بها في رحلته إلى محطة تايكو عندما كان الجوع والشعور بالتعاسة هما فقط ما يشغلان باله. لم يتغيّر شيءٌ مادي، فما تزال الجدران ضيقة وخانقة، ولم يتوقّف جهاز إعادة تدوير الهواء عن الأزيز والدندنة بجانبه. الاختلاف الوحيد الذي يشعر به الآن، أنه بدلًا من إحساسه بالعزلة، أصبح يشعر بأنه مُحاط بشبكة واسعة من الناس الذين يسعون وراء الغاية نفسها التي يسعى إليها.

"السيد مينج، لقد شاهدت التقرير الخاص بك، أنا أدعمك بدعواتي القلبية الحارة. آسف لأنني لا أستطيع التبرُّع بالمال نظرًا لأنني أعيش على الدعم الأساسي، لكنني قمت بتضمين التقرير الخاص بك في النشرة الإخبارية للكنيسة التي أصلي فيها. أتمنى أن تعود إليك ابنتك سالمةً غانمةً".

كتب براكس نموذجًا للرد على جميع الأشخاص الذين أرسلوا إليه رسائل الدعم اللطيفة، وفكَّر في الحصول على فلترة لتحديد مثل هذه الرسائل؛ ليتمكّن من الرد عليها تلقائيًّا باستخدام قالب مُوحَّد. ولكنه لم يفعل ذلك؛ لأنه لم يكن متأكّدًا من قدرته على إعداده بشكلٍ صحيح كما أنه لا يريد أن يشعر الداعمون له بأن تمنياتهم ودعواتهم لم تُقابل بالحفاوة اللازمة، كما أنه ليس لديه أيّ واجبات ينشغل بها عن (روسينانت).

"أكتب لك الآن؛ لأن لديّ معلومات من شأنها أن تساعدك في العثور على ابنتك. منذ أن كنت صغيرًا جدًّا، كانت لديّ أحلامٌ مكثفة للغاية. قبل ثلاثة أيام من رؤيتي للفيديو الذي ظهر جيمس هولدن وتحدَّث فيه عنك وعن ابنتك، رأيت الطفلة في حلم من أحلامي. لقد كانت على القمر في مكانٍ صغيرٍ جدًّا بلا إضاءة، كانت ابنتك خائفة، وحاولت أن أُطمئنها. أنا على يقين من أنك ستعثر عليها على القمر أو في أحد المدارات القريبة منه".

لم يرد براكس على مثل هذه الرسائل بالطبع.

لن تستغرق الرحلة إلى آيو وقتًا أطول بكثير من الوقت الذي استغرقته الرحلة إلى تايكو، ربما أقل؛ نظرًا لأنهم في هذه المرة لن يضطروا غالبًا للتعامل مع فوضى يُحدثها مُسافر خلسة مُصاب بالجزيء الأولي مثل القيام بتفجير غرفة التخزين كما حدث من قبل. في كل مرة يُفكِّر براكس مليًّا في الأمر، يشعر بحكة تسري في راحة يده. إنه يعرف مكان مَي أو على الأقل يعرف أين كانت. كل ساعة تمر تقربه منها أكثر، وكل تحويل مالي يتدفَّق في حسابه الخيري يمنحه مزيدًا من القوة. ربما هناك شخصٌ آخر يعرف مكان كارلوس ميريان، وماذا يفعل الآن.

أجرى براكس قليلًا من المحادثات، معظمها محادثات فيديو تُرسل ذهابًا وإيابًا. لقد تحدّث مع وسيط أمني مقره في محطة سيريس، والذي ساعده في بعض عمليات البحث

عن التعريفات، وبدا وكأنه رجلٌ لطيفٌ حقًّا. كما تبادل بعض تسجيلات الفيديو مع معالجة نفسية من كوكب المريخ، ولكنه بدأ يشعر بعدم الارتياح عندما وجد المعالجة تتحرَّش به. وأرسلت له مدرسة كاملة تضم مائة طفلٍ على الأقل تسجيلًا يُغنّي فيه الأطفال أغنية باللغتين الإسبانية والفرنسية تكريمًا لمي واستبشارًا بعودتها.

منطقيًّا، كان براكس يعلم جيدًا أن شيئًا لم يتغيَّر، حيث ما تزال احتمالية موت مي كبيرة جدًّا، وحتى ولو كانت ما تزال على قيد الحياة، فإنه لن يتمكَّن من رؤيتها غالبًا. ولكن مع وجود الكثير من الناس- ويمثل هذا التدفُّق المستمر- يُخبرونه أن كل شيء سيكون على ما يُرام، أو أنهم على الأقل يأملون في أن تكون الأمور على ما يُرام، ومع تأكيدهم على أنهم داعمون له، أصبح الاستسلام لليأس أقل احتمالًا من ذي قبل. ربما يكون هذا الشيء على غرار تأثير التعزيز والتحفيز الجماعي، وهو شيء شائع جدًّا في بعض المحاصيل الزراعية: حيث يمكن نقل نبات مريض أو مُصاب ببعض المشاكل الزراعية إلى مجموعة نباتات من نفس نوعه ولكنها في حالة صحية ممتازة، ومن خلال وجود النبات المريض بالقرب من هذه النباتات السليمة، فإنه يمكن تحسين حالته ومعالجة مشاكله الزراعية، حتى لو تم توفير التربة والمياه له بشكل منفصل. نعم، يحدث ذلك بوساطة كيميائية، لكن البشر كانوا حيوانات اجتماعية؛ حيث رأى أمامه امرأة تبتسم على الشاشة، وعيناها تبدو وكأنها تنظر بعمقٍ إلى عينيه، وتقول له: "إن ما تريد إثباته، يكاد يكون من المستحيل تصديقه".

يبدو هذا نوعًا من الأنانية، أدرك براكس ذلك جيدًا، ولكن استشعر في ذلك لذة يكاد يُدمنها. لقد توقَّف عن الاهتمام بالتبرُّعات التي تتدفَّق إلى حسابه بمجرد أن علم أنهم قد وصلوا إلى ما يكفي لتمويل المركبة في رحلتها إلى آيو. سلَّمه هولدن تقريرًا بالنفقات، وجدول بيانات تفصيليًّا لتكاليف الرحلة، لم يساور براكس شكٌّ في أن هولدن يمكن أن يخدعه؛ لذلك اكتفى بإلقاء نظرة خاطفة على أيِّ شيء آخر غير التكلفة الإجمالية التي كانت موجودة في الجزء السفلي. وبمجرد توافُر المال الكافي، كفَّ عن الاهتمام بالمال، وأنفق وقته واهتمامه على التعليقات والرسائل الواردة إليه.

سمع أليكس وأموس يتحدَّثان بهدوءٍ في المطبخ. تذكّر الأيام التي عاشها في سكن مشترك خلال فترة دراسته الجامعية، وبالرغم من أنه يعي لوجود أصواتٍ أخرى، وأشخاص آخرين، فإنه استشعر الراحة من الاستماع إلى هذه الأصوات المألوفة، ولم يكن الأمر مختلفًا كثيرًا عن قراءة سلاسل التعليقات.

"لقد فقدت ابني منذ أربع سنوات، وما زلت لا أستطيع تخيُّل ما يجب أن يحدث الآن. أتمنى لو كان بإمكاني مساعدتك أكثر".

قلَّص القائمة إلى بضع عشرات الرسائل والتعليقات فقط. يبدو أنهم في منتصف الظهيرة في هذا العالم العشوائي الذي توجد فيه المركبة، إلا أنه شعر بالنعاس الشديد. فكَّر في تأجيل قراءة الرسائل المتبقية حتى يأخذ قيلولة قصيرة، لكنه قرَّر قراءتها دون أن يُجبر نفسه على الرد على كل واحدة. ضحك أليكس، ثم شاركه أموس الضحك.

فتح براكس الرسالة الخامسة.

"أنت إنسانٌ مريض.. مريض.. مريض. وأقسم بالله أنني لو كنت رأيتك من قبل لقتلتك بيديّ هاتين. أمثالك يجب أن يتم اغتصابهم حتى الموت؛ لكي تكون عبرة لمن يعتبر".

حاول براكس أن يلتقط أنفاسه، شعر بألمٍ مفاجئ يدبُّ في جسده ذكَّره بعواقب تعرُّضه للكماتٍ عنيفة في ضفيرته البطنية. حذف الرسالة، وقرأ رسالة ثانية، ثم قرأ ثلاث رسائل أخرى، ثم دزينة من الرسائل. بدأ يفتح الرسائل بحذرٍ ورهبة.

"أتمنّى لك الموت".

صرخ براكس في جهازه: "**أنا لا أفهم**". توالت رسائل الكراهية والنقد اللاذع بشكلٍ مفاجئ ومستمر، وبدون أيّ أسباب تُفسِّر ذلك على الأقل حتى فتح إحدى الرسائل التي تحتوي على رابط يُحيله إلى فيديو إخباري عام. أرسل براكس طلبًا لمشاهدة الفيديو، وبعد خمس دقائق اسودّت شاشة جهازه، ثم توهّجت الشاشة بالشعار الأزرق الخاص بإحدى كبرى المنصات الإخبارية على كوكب الأرض، وظهر عنوان قائمة الفيديو. "خُلاصة الحقيقة".

عندما تلاشى الشعار، رأى نيكولا تنظر إليه من الشاشة. حاول براكس الوصول إلى أدوات التحكُّم، حيث أصرّ جزءٌ من عقله على أنه انتقل بطريقةٍ ما إلى رسائله الخاصة بدلًا من الدخول على الفيديو الذي أحاله إليه الرابط. لعقت نيكولا شفتيها، ونظرت بعيدًا، ثم عادت إلى الكاميرات، بدت متعبة وأكثر إرهاقًا مما رآها من قبل. "اسمي نيكولا مولكو، كنت متزوجةً من براكسيديك مينج، الرجل الذي ظهر في فيديو يطلب من الناس أن يساعدوه في العثور على ابنتنا المفقودة... ابنتي، مي...".

انسالت دمعة على خدها، ولم تمسحها.

- "ما لا تعرفونه، ما لا يعرفه أيّ أحد، هو أن براكسيديك مينج مثال للإنسان المتوحِّش، منذ أن انفصلت عنه وأنا أحاول استعادة مَي. كنت أظن أن إساءته أمرٌ مقصورٌ على علاقتنا معًا فقط، ولم أكن أعتقد أن إساءته ستمتد لتصل إلى إيذاء ابنتنا الصغيرة، لكن وصلت إليّ معلوماتٌ فظيعة من أصدقائي في جانيميد بعد مغادرتي".

صاح براكس: "نيكولا، لا، توقَّفي رجاءً".

تابعت نيكولا: "براكسيديك مينج رجلٌ عنيف وخطير. بصفتي والدة مَي أعتقد أن الطفلة تعرَّضت للإيذاء العاطفي والجسدي والجنسي من قبل هذا الوحش منذ انفصالي عنه ومغادرتي جانيميد. كما أعتقد أن اختفاءها المزعوم خلال الاضطرابات التي وقعت على جانيميد، ليس سوى حيلة احتالها لإخفاء حقيقة أنه قد قتلها في النهاية".

انهمرت الدموع على خدَّيْ نيكولا، بينما انطفأت عيناها واختنق صوتها حتى بدت مثل سمكة فاسدة.

قالت: "أنا لا ألوم أحدًا إلا نفسي، فما كان يجب أن أغادر أبدًا دون أن أصطحب ابنتي بعيدًا عن هذا الوحش...".

الفصل السابع والثلاثون

أفاسارالا

قالت المرأة بعيونٍ دامعة: "لا ألوم أحدًا إلا نفسي". أوقفت أفاسارالا الفيديو، واتكأت على كرسيها. كان قلبها يخفق أسرع من المعتاد، وشعرت بالأفكار تسبح تحت جليد عقلها الواعي. بدا لها أنه إذا ألصق شخصٌ ما أذنه على جمجمتها، فسوف يستمع بوضوح إلى طنين دماغها الصاخب.

كانت بوبي تجلس على السرير ذي الأربعة أعمدة، وقد جعلته يبدو صغيرًا، وكان هذا أمرًا لافتًا للنظر في حد ذاته. طوت إحدى ساقيها تحتها، بينما وضعت مجموعة من أوراق اللعب أمامها على غطاء السرير الرقيق الذي يمتزج فيه اللونان الذهبي والأخضر. توقَّفت الفتاة المريخية عن النظر إلى أوراق اللعب، والتفتت إلى السيدة العجوز، شعرت أفاسارالا بأن شفتيها تفترّان عن ابتسامة صغيرة.

قالت: "حسنًا، يمكنني أن أهذي، أعتقد أنهم خائفون منه".

تساءلت بوبي: "من هم الخائفون؟ وممن يخافون؟"

أجابت: "بدأ إريترايت يتحرَّك ضد هولدن وهذا الوغد الذي يُدعى مينج. أيًا كانت حقيقة ذلك الرجل، يبدو أنهم أجبروا زوجته على فعل ذلك".

تساءلت بوبي: "ألا تعتقدين أن عالِم النبات هذا اعتدى على طفلته؟"

أجابت: "ربما، لكن هذه..."، ولمست بإصبعها الشاشة وكأنها تُكفكف دموع الزوجة السابقة لعالِم النبات، ثم تابعت: "هذه حملة تشهير. أراهنك على آخر أسبوع أنني تناولت الغداء مع المرأة التي تولّت تنسيق الأمر؛ ليخرج بهذا الشكل".

ابتسمت أفاسارالا ابتسامة عريضة عندما رأت نظرة بوبي المُتشكِّكة

قالت أفاسارالا: "لأول مرة يحدث شيءٌ جيد حقًّا منذ أن وصلنا إلى هذا المحور العائم. لديّ الآن عمل يجب أن أقوم به. عليهم اللعنة، كم أتمنى لو عدتُ لأباشر العمل من مكتبي".

- "هل تريدين بعض الشاي؟"

ردَّت أفاسارالا، وهي تُشغِّل الكاميرا على جهازها المكتبي: "بل أريد تناول النبيذ، فقد حان وقت الاحتفال!".

على شاشة الكاميرا، بدت أصغر بكثير مما كانت عليه في الواقع، تم تصميم الغرف لجذب الانتباه مهما كانت الزاوية التي تجلس فيها، فشعرت أنها مُحاصرة مثل الذي يتعيّن عليه الاختيار من بين بعض البطاقات البريدية المتشابهة.

يمكن لأيّ شخص يصعد على متن اليخت أن يتباهى بوجوده هناك دون أن ينبس ببنت شفة، ولكن في الجاذبية الضعيفة تطاير شعرها كما لو أنها نهضت للتو من السرير، وما هو أسوأ من ذلك أنها بدت منهكة من الناحية العاطفية، ومرهقةً من الناحية الجسدية.

حدَّثت نفسها قائلةً: "يجب أن نلبس القناع، ونضع هذا الوجه المرهق جانبًا الآن".

أخذت نفَسًا عميقًا، وقامت بإيماءة بذيئة إلى الكاميرا، ثم بدأت في التسجيل.

قالت: "الأميرال ساوثر، شكرًا جزيلًا على رسالتك الأخيرة. استرعى انتباهي أمرٌ أعتقد أنك ستجده شيقًا. يبدو أن شخصًا ما قرَّر أن يُدبِّر مكيدة لجيمس هولدن. لو كنت مع الأسطول بدلًا من الطفو حول النظام الشمسي اللعين، فكنت سأصطحبك لنتناول معًا فنجانًا من القهوة ونتحدَّث بالتفصيل عن هذا الأمر. ولكن نظرًا لأن هذا لن يحدث في الواقع حاليًا، فسأمنحك إذنًا للوصول إلى بعض ملفاتي الخاصة. لقد كنت أتابع هولدن طوال الفترة الماضية. ألقِ نظرة على ملفاتي الخاصة، وأخبرني إذا توصّلتَ إلى الاستنتاجات نفسها التي توصّلتُ إليها".

أرسلت الرسالة. ما يتعيّن عليها فعله الآن منطقيًّا أن تتصل بـ إرينرايت. لو كان الوضع كما كانا يتظاهران به، لكانت أبقته متداخلًا ومشاركًا في الأمر. للحظة طويلة، فكّرت أن تبدو أمامه ساذجة، وتستمر في التظاهر بينما لا تحت نوبي في الأفق عن يمينها،

وضعت كأس النبيذ على المكتب؛ مما تسبَّب في قرقعة خفيفة. التقطت أفاسارالا الكأس، وارتشفت رشفة صغيرة منه، كان النبيذ الذي يحمل علامة ماو ممتازًا حقًّا، حتى دون إضفاء نكهة الليمون. كلا، فليذهب إرينرايت إلى الجحيم. فتحت قائمة جهات الاتصال، وانتقلت عبر الأسماء، حتى عثرت على ضالتها، ثم ضغطت على زر التسجيل.

- "السيدة كورلينوفيسكي، لقد شاهدت للتو مقطع الفيديو المُسرَّب الذي يتهم براكسيديك مينج بالتعدِّي على ابنته الصغيرة التي تبلغ من العمر خمس سنوات. أود أن أسأل: متى بالضبط تحوَّلت وسائل الإعلام الخاصة بالأمم المتحدة إلى محكمة طلاق سخيفة؟ إذا تبيّن أننا وراء هذا الفيديو اللعين، فأود أن أعرف اسم الشخص المسؤول عن ذلك؛ لأنني سأعلن طرده من العمل بالأمم المتحدة على جميع المنصات الإخبارية. والآن لدي انطباع أنكِ أنتِ المسؤولة عن ذلك؛ لذا بلِّغي ريتشارد تحياتي، وأجيبي عن تساؤلاتي قبل أن أعلن إقالتك بدافع عدم الكفاءة المهنية".

أوقفت التسجيل، وضغطت في الحال على زر الإرسال.

سألت بوبي: "هل تعتقدين أنها هي التي رتَّبت ذلك؟"

قالت أفاسارالا: "قد يكون الأمر كذلك"، وأخذت رشفة أخرى من النبيذ. إن مذاقه جيد جدًّا، إذا لم تكن حذرة بما يكفي، فإنها ستتناول الكثير منه، تابعت قائلةً: "وحتى لو لم تكن هي، فإنها ستعرف بطريقتها الخاصة من كان وراء ذلك الفيديو، وستقدِّم لنا الإجابة على طبق من فضة. إيما كورلينوفيسكي جبّانة جدًّا، ولهذا أحبها".

على مدار الساعة التالية، أرسلت أفاسارالا عشرات الرسائل الأخرى، وكل رسالة بأداء مسرحي مختلف عن الرسالة التي تليها، فتحت تحقيقًا في المسؤولية عن فيديو زوجة مينج السابقة، وطلبت إجراء دراسة لمعرفة ما إذا كانت الأمم المتحدة تتحمّل المسؤولية القانونية عن هذا التشهير العلني. كما وضعت منسّقي الإغاثة في جانيميد في حالة تأهُّب قصوى، وطالبتهم بجمع أكبر قدرٍ من المعلومات عن الطفلة مي مينج ومهمة البحث عنها. قدَّمت أيضًا طلبات ذات أولوية قصوى للتعرُّف على الطبيب والمرأة الغامضة في الفيديو الذي أذاعه هولدن. وانتهى بها الأمر إلى إرسال رسالة مطوّلة

مدتها عشرون دقيقة إلى زميل قديم في تخزين البيانات، وتضمَّنت الرسالة طلبًا سريًّا بالحصول على هذه المعلومات نفسها.

لقد غيَّر إريبرايت قواعد اللعبة. لو كانت تملك الحرية الكاملة الآن، لكان من المستحيل إيقاف امرأة بقوة أفاسارالا. ولكن مع الطريقة التي تسير بها الأمور، كان عليها أن تفترض أن كل خطوة ستخطوها سيتم اكتشافها، ومن ثم الردّ عليها فورًا. ولكن في النهاية، ليس إرينرايت وحلفاؤه إلا بشرًا، مما يعني أنها إذا حافظت على تدفُّق قوي للمطالب، وحشد الأدلة، فقد يتغاضون عن شيءٍ ما، أو ربما لاحظ شخصٌ ما من قناة إخبارية ارتفاع النشاط، وبدأ يُحقِّق في الأمر. وحتى إذا لم يحدث ذلك، يكفيها أنها ستقض مضجع إرينرايت.

هذا كل ما لديها الآن حتى وإن لم يكن ذلك كافيًا. لقد تركتها السنوات الطويلة التي مارست فيها رقصة السياسة والسلطة الخفية مُشبعةً بتوقُّعات وردود فعل عالية لا تستطيع أن تجد لها سبيلًا في الوقت الحالي. أصابها التأخُّر في الاتصالات بالإحباط والغضب، ونفسّت عن غضبها بالانفعال على الشخص الذي كانت تُسجِّل له في تلك اللحظة. شعرت وكأنها مؤدية عالمية تُقدم موسيقى من طرازٍ رفيع، وقفت في قاعة مزدحمة وأجبرت على العزف باستخدام الصافرة.

لم تلاحظ أن النبيذ قد نفد من كأسها إلا بعد أن رفعت الكأس على فمها؛ لتجده فارغًا، وأدركت أنها ليست المرة الأولى التي تفعل فيها ذلك. بعد مرور خمس ساعات، لم تتلقَّ سوى ثلاثة ردود من بين ما يقارب خمسين رسالة أرسلتها. لم يكن ذلك بسبب تأخُّر الاتصالات فقط، بل لأن شخصًا ما يتحكَّم في الأضرار.

لم تدرك أنها جائعة حتى أتى لها كوتيار بصينية تفوح منها رائحة لحم الضأن والأرز بالكاري وشرائح البطيخ. جرى ريقها وقرقرت معدتها. أغلقت جهازها المكتبي، ثم قالت له: "لقد أنقذت حياتي للتو"، وأشارت له بأن يضع الصينية على المكتب.

قال وهو يضع الصينية أمامها: "كانت هذه فكرة الرقيبة درابر بعد أن سألتكِ ثلاث مرات عما إذا كنتِ تشعرين بالجوع، وكنتِ كل مرة تتجاهلين سؤالها".

ردَّت أفاسارالا: "لا أتذكّر ذلك مطلقًا. أليس لديهم خدم في هذا اليخت؟ لماذا تُحضر الطعام بنفسك؟"

أجاب: "بل لديهم، ولكنني لن أسمح لهم بالدخول إلى هنا"

ردّت أفاسارالا: "يبدو هذا التفكير متطرِّفًا، أنت تشعر بالتوتُّر، أليس كذلك؟"

- "نعم، كما تقولين، يا سيدتي".

تناولت الطعام بنهم وبسرعة شديدة. شعرت بألم في ظهرها، وتميل في ساقها اليسرى يُشبه الوخز بالإبر بسبب الجلوس بوضعية واحدة لفترة طويلة عندما كانت امرأة شابة، لم تُعانِ من تلك الأعراض قط. من ناحية أخرى، لم يكن لديها وقتها القدرة على توبيخ الشخصيات البارزة في الأمم المتحدة بل كان يتعيَّن عليها التعامل معهم بجدية وحذر. سلبها الوقت قوتها الجسدية، ولكنه أعطاها القوة المعنوية المتمثِّلة في السلطة. كانت صفقة عادلة على أيِّ حال.

لم تنتظر حتى تفرغ من وجبتها، بل قامت بتشغيل جهازها المكتبي بينما كانت تبتلع اللقمات القليلة الباقية. هناك أربع رسائل جديدة قيد الانتظار. واحدة من ساوثر، فليبارك الله قلب هذا الأميرال الواهن. رسالة ثانية من أحد المستشارين القانونيين في المجلس القانوني لم تتعرَّف على اسمه، ورسالة أخرى من شخصٍ تعرفه في المجلس القانوني، أما الرسالة الرابعة فكانت من مايكل جون، ومن المحتمل أن تكون هذه الرسالة متعلِّقة بكوكب الزهرة. فتحت رسالة ساوثر.

ظهر الأميرال على شاشتها، وكان عليها أن تمنع نفسها من إلقاء التحية عليه؛ لأن هذا مجرد تسجيل فيديو، وليست محادثة مباشرة بينهما. لشدّ ما كرهت ذلك الأمر المُربك.

قال الأميرال: "كريسجين، عليكِ توخِّي الحذر مع كل تلك المعلومات التي تُرسلينها إليّ، أعتقد أن أرجون سيشعر بالغيرة هكذا، لم أكن على علم بدور صديقنا جيمي في التحريض على هذه الضجة الأخيرة".

"صديقنا جيمي!"، لم يقل اسم هولدن بصوت عالٍ. هذه لفتة ذكية حقًّا. توقَّع ساوثر أن هناك بعض أدوات الفلترة النشطة التي تبحث عن كل ما له صلة باسم "هولدن"، حاول أن يُخمِّن أيضًا ما إذا كانت أدوات الفلترة هذه ستسري على رسائله الصادرة أم الواردة، في الواقع لن يهم هذا كثيرًا؛ لأن إريرايت ذكي بما يكفي لمراقبة جميع الرسائل المتبادلة بين الطرفين. هل كان قلقًا بشأن شخصٍ آخر؟ كم عدد اللاعبين على

الطاولة؟ كل هذه أسئلة مهمة خطرت ببالها، ولكنها لا تملك المعلومات الكافية لمعرفة إجابات تلك الأسئلة، ولكن على الأقل سيكون مثيرًا للاهتمام معرفة كل ذلك.

قال ساوثر: "أستطيع أن أرى إلى أين قد تقودك مخاوفك. إنني أجري بعض التحرِّيات، لكنكِ تعلمين كيف تسير مثل هذه الأمور، قد تجد شيئًا في دقيقة، وقد لا نجد أيّ شيءٍ إلا بعد عامٍ من البحث والتقصّي. لكن دعينا لا نفقد الاتصال ببعضنا، أرى أشياء كثيرة تحدث هنا تجعلني أتمنى لو اصطحبتكِ لتناول الغداء وتحدَّثتُ معكِ بشأنها. نتطلَّع جميعًا إلى رؤيتك مرة أخرى".

قالت أفاسارالا لنفسها: "يا لها من كذبة صارخة، ولكن كان لطيفًا أن يقول ذلك"، كشطت شوكتها بامتداد قاع الطبق، والتقطت بقايا الكاري التي تشبثت بالشوكة الفضية.

كانت الرسالة الأولى من شاب يتحدَّث بلكنة برازيلية، وقد أوضح الشاب أن الأمم المتحدة لا علاقة لها بمقطع الفيديو الذي بثَّه نيكولا مولكو، ومن ثَمَّ لا يمكن تحميل الأمم المتحدة أيّ مسؤولية قانونية. أما الرسالة الأخرى، فكانت من رئيس ذلك الشاب، وقد اعتذر بالنيابة عنه، ووعدها بتقديم تقرير كامل عن الأمر قبل نهاية اليوم. ما يزال الأشخاص الأذكياء يعرفون قدرها ويخافون منها. ابتسمت لذلك، وشعرت بالامتلاء أكثر من شعورها بالشبع من تناول الحمل الذي أكلته للتو.

عندما مدَّت ذراعها نحو الشاشة، تحرَّكت المركبة تحتها، وسحبتها الجاذبية قليلًا إلى الجانب، أراحت يده على المكتب، بينما تمخَّض الكاري والنبيذ في أمعائها.

صرخت: "هل كل شيءٍ يسير وفقًا للخطة؟"

أجاب كوتيار من الغرفة المجاورة: "نعم، يا سيدتي، تم التخطيط لذلك من أجل تصحيح المسار".

قالت: "لم يحدث مثل هذا الشيء في مكتبي اللعين قط"، وظهر مايكل جون على شاشتها، بدا مرتبكًا نوعًا ما، لكن ربما كان تعبيره كذلك بسبب زاوية وجهه فقط. ومع ذلك لم تطمئن أفاسارالا، وتوقّعت حدوث كارثةٍ ما.

للحظة، طفت مركبة (أربوعاست) أمامها، وتحطّمت مرة أخرى. أوقفت الفيديو مؤقتًا بشكلٍ عفوي بسبب تحشُّها. أراد جزءٌ ما خفي في مؤخرة عقلها أن تنسحب بعيدًا، ولكنها حاولت أن تعرف المزيد والمزيد

لم يعد من الصعب عليها أن تعي لماذا انسحب إرينرايت ويحوين وعصابتهما بعيدًا عن مسألة كوكب الزهرة، حيث تحوّلت الفوضى العاصفة هناك إلى حطام بل ما هو أكثر من حطام. شعرت بالخوف الكامن في مؤخرة عقلها من الأسهل بكثير أن تُركّز على الألعاب القديمة والأنماط السياسية المستهلكة، أن تعود إلى القصة القديمة عن الحروب والصراعات والخداع والموت. فعلى الرغم مما تنطوي عليه كل تلك الشرور من رعبٍ، فإنها كانت شيئًا مألوفًا، شيئًا تعرفه جيدًا.

عندما كانت طفلة، شاهدت فيلمًا عن رجلٍ رأى وجه الرب. في الساعة الأولى، عاش بطل الفيلم حياة مملة على الساحل الجنوبي لقارة إفريقيا اعتمادًا على الدعم الأساسي، ولكن عندما رأى وجه الرب، تحوَّل الفيلم إلى مشهد البطل وهو يبكي ويتأوه لمدة عشر دقائق، ثم قضى ذلك الرجل الساعة الأخيرة من الفيلم في محاولة للتعافي والعودة ببطء إلى نفس الحياة العبثية الرتيبة التي كان يعيشها في بداية الفيلم. شعرت أفاسارالا بالضيق وقتها من فكرة الفيلم السخيفة. كرهت الفيلم بشدة. لكن الآن، فهمت تقريبًا المغزى. كان الانسحاب تصرُّفًا طبيعيًّا، وعلى الرغم من أنه يبدو قرارًا غبيًّا وعبثيًّا ومُدمّرًا للذات، فإنه يظل تصرُّفًا طبيعيًّا.

حروب، ومجازر، وإبادة شاملة، كل ذلك العنف الذي احتضنه إرينرايت ورجاله- شعرت أن جميعهم بالتأكيد رجال- قد انجذبوا إليه؛ لأنه كان بالنسبة لهم حلًّا مريحًا، ولأنهم كانوا مرعوبين.

حسنًا، كانوا كذلك.

قالت: "تبًّا لكم أيها الجبناء"، وأعادت تشغيل الفيديو.

قال مايكل جون مباشرةً: "كوكب الزهرة قادر على التفكير". افتتح التسجيل بتلك العبارة بدلًا من الترحيب بها أو قول أي مجاملة اجتماعية أخرى في مستهل الفيديو "لقد كان فريق تحليل الإشارات يُدير البيانات التي رأيناها من شبكة التيارات المائية والكهربائية، ووجدنا نموذجًا معقولًا حيث يوجد ارتباط بنسبة ستين بالمائة فقط،

لكنني أميل إلى اعتبار ذلك من قبيل الصدفة على الرغم من الواضح أنه يحتوي على تشريح مختلف، لكن البنية الوظيفي تشبه إلى حد كبيرٍ بنية الحوتيات، وهو ما يحل مشكلة الاستدلال المكاني أعني، لا تزال هناك مشكلة الفجوة التفسيرية، ولا يمكنني المساعدة في هذا الجزء، لكن مع ما رأيناه، أنا على يقين من أن الأنماط التي رأيناها كانت تفكِّر، لقد كانت هناك عملية تفكير فعلية مثل إطلاق الخلايا العصبية".

نظر إلى الكاميرا كما لو كان يتوقَّع منها أن تردّ عليه مباشرةً، ثم بدا محبطًا إلى حدٍّ ما عندما لم يتلقَّ إجابة. ثم قال: "اعتقدت أنكِ قد ترغبين في معرفة ذلك"، ثم أنهى التسجيل.

قبل أن تتمكَّن من صياغة رد على رسالة مايكل جون، وصلتها رسالة جديدة من ساوثر. فتحت الرسالة بشعورٍ من الارتياح والامتنان كانت تخجل منه بعض الشيء.

قال: "كريسجين، لدينا مشكلة، يجب عليكِ التحقُّق من تكليفات القوة في جانيميد، وإخباري إذا كنا نرى الشيء نفسه".

عبست أفاسارالا، لقد وصل التأخُّر في الرد إلى ثمانٍ وعشرين دقيقة. أعدَّت طلبًا قياسيًّا وأرسلته، ثم نهضت. شعرت بعقدة من الألم في ظهرها. سارت إلى المساحة المشتركة بالجناح. كانت بوبي وكوتيار وثلاثة رجال آخرين يجلسون في دائرة، وأمامهم مجموعة من الأوراق الموزَّعة بينهم، إنها لعبة البوكر. اقترب أفاسارالا منهم، وهي تدحرج عبر فخذيها، شعرت بعدم الراحة مع كل خطوة تخطوها كما جعلت الجاذبية المنخفضة مفاصلها تؤلمها أكثر. انحنت بجانب بوبي.

قالت: "يمكنكِ اللعب معي بها في يدك الأخرى".

***

جاء الأمر من نجوين، وللوهلة الأولى، لم يكن للأمر أيّ معنى على الإطلاق. صدرت الأوامر لست مدمِّرات تابعة للأمم المتحدة بالانسحاب من دورية جانيميد، وإطلاقها بأقصى سرعة في مسار يبدو أنه لا يقود إلى أيّ مكان. أشارت التقارير الأولية إلى أنه بعد فترةٍ معقولة من التساؤل عن سبب حدوث ذلك الإجراء، ظهر هناك انسحاب مماثل لمركبات المريخ التي سلكت المسار نفسه.

كان نجوين يُخطِّط لشيءٍ ما، ولم يكن لدى أفاسارالا أيّ فكرة عن هذا المخطّط، لكن سافوتر نبّهها لذلك في رسالته، واعتقد أنها قادرة على استجلاء شيءٍ ما مما يحدث.

استغرقها الأمر ساعة أخرى لتكتشف ذلك، بينما غادر هولدن وطاقمه محطة تايكو على متن (روسينانت) في مستوى تسارع لطيف باتجاه نظام جوفيان، ربما يكون قد قدّم خطة رحلته الطيرانية إلى (أويا)، لكن لم يُرسل تقريرًا بذلك إلى الأرض أو المريخ مما يعني أن نجوين كان يراقبه أيضًا.

لم يكونوا خائفين منه فقط، بل إنهم عازمون على القضاء عليه.

جلست أفاسارالا صامتةً لفترة طويلة قبل أن تنهض مُجدَّدًا وتعود إلى مباراة البوكر. كانت بوبي وكوتيار في نهاية جولة عالية المخاطر؛ لذا كانت كومة قطع حلوى الشوكولاتة الصغيرة التي يستخدمونها للمراهنة على ارتفاع خمسة سنتيمترات تقريبًا.

قالت أفاسارالا: "السيد كوتيار، والرقيبة درابر، تعالا معي رجاءً".

اختفت جميع الأوراق. نظر الرجال الثلاثة بعضهم إلى بعض بعصبية بينما كانت أفاسارالا تسير باتجاه غرفة نومها. أغلقت الباب خلفهم بهدوء شديد لدرجة أنه لم يصدر صريرًا.

قالت: "أنا على وشك القيام بشيءٍ قد يؤدي إلى إطلاق النيران. إذا قمت بذلك، فقد تتغيَّر طبيعية وضعنا".

تبادل كوتيار وبوبي النظرات.

ردَّت بوبي: "لدي بعض الأشياء التي أحتاج إلى إخراجها من المخزن"، بينما قال كوتيار: "سأبلِّغ رجالنا بذلك".

قالت أفاسارالا: "لدينا عشر دقائق".

كان الفاصل الزمني بين يخت (غوانشين)، ومركبة (روسينانت) ما يزال طويلًا للغاية لإجراء محادثة، ولكنه أقل مما يتطلبه الأمر لإرسال رسالة إلى الأرض. أصابها الشعور بالابتعاد عن وطنها بالدوار قليلًا. دخل كوتيار إلى الغرفة، وأومأ إليه مرة واحدة فتحت أفاسارالا جهازها اللوحي، وطلبت الاتصال عن طريق رسالة الليزر. أدخلت رمز جهاز الإرسال والاستقبال الخاص بمركبة (روسينانت). بعد دقيقة، وصلتها

رسالة تُفيد بأن الاتصال قد تم رفضه. ابتسمت أفاسارالا لنفسها، وفتحت اتصالًا بمركز القيادة.

قالت: "هأنذا أفاسارالا، مساعدة وكيل الأمين العام للأمم المتحدة"، أعلنت ذلك كما لو أن هناك أيّ شخصٍ آخر على متن اليخت قد يتصل. "ماذا حدث بحق الجحيم لنظام رسائل الليزر الخاص بك؟"

ردَّ عليها شابٌّ بعيون زرقاء لامعة وشعر أشقر قصير: "أعتذر لكِ بشدة، سيدتي الوزيرة. إن قناة الاتصال هذه ليست متاحة في الوقت الحالي".

- "ولماذا لا تكون قناة الاتصال اللعينة متاحة حاليًا؟"

لم يعرف الشاب ماذا يقول، فكرَّر قائلًا: "إنها غير متاحة يا سيدتي".

ردَّت أفاسارالا: "حسنًا، لم أكن أرغب في القيام بذلك عبر جهاز اللاسلكي، لكن يمكنني البث إذا اضطررت لذلك".

قال الشاب: "يؤسفني إبلاغكم بأن هذا لن يكون ممكنًا".

أخذت أفاسارالا نفسًا طويلًا، ثم زفرته من خلال أسنانها، ثم قالت: "أوصلني بالقبطان".

بعد لحظة تغيَّرت الصورة؛ ليظهر القبطان، الذي كان رجلًا نحيل الوجه، وعيناه بنيتان كما يليق بكلبٍ أيرلندي. من نظرتها إلى فمه وشفتيه المتحجّرتين، استنتجت أفاسارالا أنه يعرف ما سيحدث. على الأقل لديه فكرة عن الخطوط العريضة لخطتها. حدَّقت للحظة في الكاميرا. لقد كانت هذه خدعة تعلَّمتها في وقتٍ مبكر من حياتها المهنية. التحديق في الصورة المعروضة على الشاشة يجعل الشخص الآخر يشعر أنه مُراقَب. بينما النظر إلى النقطة السوداء الدقيقة للعدسة نفسها يجعله يشعر بأنك تهرب من مواجهته.

قالت: "أيها القبطان، لدي رسالة ذات أولوية قصوى أحتاج إلى إرسالها".

ردَّ القبطان: "آسف جدًّا، لا نستطيع تلبية مطلبك؛ لأننا نواجه صعوبات تقنية في نظام الاتصالات".

قالت: "هل لديك نظام نسخ احتياطي؟ أو مكوك يمكنك تفعيله؟ أيّ شيء من هذا القبيل يساعد على حل المشكلة".

أجاب القبطان: "لا يمكن توفير ذلك ليس الآن".

قالت: "أنت تكذب عليّ"، وعندما لم يرد، أضافت: "أنا أتقدّم إليك، باعتبارك القبطان، بطلبٍ رسمي بأن تستخدم منارة الاستغاثة الخاصة بهذا اليخت، وأن تُغيّر المسار إلى أقرب نقطة يمكننا فيها تلقّي المساعدة".

ردّ عليها قائلًا: "ليس بمقدوري الاستجابة لطلبك هذا يا سيدتي، إذا تحلّيت بالصبر فقط فسوف نصل بكِ إلى جانيميد بأمانٍ وسلام. أنا متأكّد من إمكانية إجراء أيّ إصلاحات تحتاجين إليها بمجرد الوصول إلى هناك".

انحنى أفاسارالا نحو شاشة جهازها، ثم قالت: "يمكنني الصعود إلى مركز القيادة حيث تجلس الآن حتى نتمكّن من مناقشة هذا الأمر وجهًا لوجه. أيها القبطان، أنت تعرف القوانين كما أعرف تمامًا، أمامك خياران الآن: إما أن تُشغّل منارة الاستغاثة، أو أن تمنحني حق الوصول إلى الاتصالات".

ردَّ القبطان: "سيدتي، أنتِ ضيفة السيد جول بيير ماو، وأنا أُقدّر ذلك كثيرًا، ولكن السيد ماو هو صاحب هذا اليخت، وأنا أستجيب لتعليماته".

قالت أفاسارالا: "أنت ترفض طلبي إذن".

قال القبطان: "أنا آسف جدًّا يا سيدتي".

أنهت أفاسارالا الاتصال قائلةً: "أنت الآن تقترف خطأً شنيعًا أيها القبطان الأخرق".

دخلت بوبي الغرفة، بدا وجهها متوهّجًا ومتلهّفًا في الوقت نفسه مثل كلب يركض ساحبًا مقوده. تحوّلت الجاذبية درجة، كان هذا تصحيح مسار وليس تغييرًا للمسار بأكمله.

سألت بوبي: "كيف تسير الأمور؟"

أجابت أفاسارالا: "إنني أعلن أن هذه المركبة تنتهك القوانين والمعايير ذات الصلة كوتيار، أنت شاهدٌ على ذلك".

ردَّ كوتيار: "نعم، كما تقولين يا سيدتي".

قالت أفاسارالا: "جيد جدًّا، إذن بوبي اجعليني أضع يدي على قيادة هذه المركبة اللعينة الآن"

الفصل الثامن والثلاثون

بوبي

سأل كوتيار: "هل تحتاجين ما أيّ شيءٍ آخر؟"، بينما كان اثنان من رجاله ينقلان الصندوق الهائل الذي يحمل ملصق "زي رسمي" إلى غرفة أفاسارالا. وبالرغم من أنهم وضعوا الصندوق على حاملة أثاث كبيرة، فإن الإجهاد بدا عليهم لدرجة أنهم كانوا ينخرون عند تحريك الحاملة، فحتى مع مستوى التسارع المريح ليخت (غوانشين) الذي لا يتجاوز ¼ (ج)، ظل درع بوبي يزن أكثر من مائة كيلوجرام.

سألت بوبي: "هل أنت متأكّد حقًّا من أن هذه الغرفة ليست تحت المراقبة؟ لأنهم إذا لم يكن لديهم أيّ فكرة عما سنقوم به الآن، فإننا سنتمكّن من تنفيذ ما نُخطّط له بشكلٍ أفضل وبسرعة أكبر".

هزَّ كوتيار كتفيه، ثم قال: "لم أتمكّن من اكتشاف أيّ أجهزة تنصُّت نشطة على الإطلاق".

ردَّت بوبي: "حسنًا، إذن"، ثم نقرت على الصندوق الزجاجي بمفاصل أصابعها، وقالت: "افتح هذا الصندوق".

لمس كوتيار شاشة جهازه اللوحي؛ لتُصدِر المزالج الموجودة على الصندوق صريرًا عاليًا. سحبت بوبي اللوحة المفتوحة، وأمالتها على الحائط. داخل الصندوق رأت -من بين مجموعة الأشرطة المطاطية المتشابكة- بدلتها المُدرَّعة.

صفَّر كوتيار اندهاشًا، وقال: "بدلة جالوت الإصدار الثالث القديم، لا أصدق أنهم سمحوا لكِ بالاحتفاظ بها".

التقطت بوبي الخوذة ووضعتها على السرير، ثم بدأت تسحب باقي أجزاء البدلة من الأشرطة، ووضعتها قطعة تلو الأخرى على الأرض. قالت: "لقد أعطوها لبعض الخبراء التقنيين لديكم؛ للتحقُّق من بعض مقاطع الفيديو المُخزَّنة عليها عندما سألت

عليها أفاسارالا، تبيّن أنهم ألقوها في حرانة حتى تجمّعت عليها الأتربة. يبدو أن أحدًا لم يلاحظ أصلًا عندما تم إخراجها من الخزانة".

سحبت بوبي ذراع البدلة الأيمن، لم تكن تتوقّع أن تجد الذخيرة ذات قطر ٢ ملليمتر، والتي تستخدمها في تلقيم بندقيتها المدمجة بالدرع، ولكنها فوجئت عندما اكتشفت أنهم أزالوا البندقية تمامًا من بدلتها، ومع أنه من المنطقي نزع جميع الأسلحة قبل تسليم البدلة لها باعتبارها مدنية الآن، إلا أنها شعرت بالضيق من ذلك التصرُّف.

صاحت: "اللعنة، يبدو أنني لن أستطيع إطلاق النار على أيّ شخص".

قال كوتيار بابتسامة: "إذا فعلت ذلك فهل ستتباطأ الطلقات أثناء مرورها في هيكل المركبة؟"

أجابت بوبي: "كلا"، وهي تضع آخر قطعة من البدلة على الأرض، ثم سحبت الأدوات اللازمة لإعادة تجميع أجزاء البدلة معًا، وتابعت: "لكن هذه نقطة قد يمكنني استخدامها لصالحي. تم تصميم السلاح الموجود في هذا الدرع لإطلاق النيران على أشخاصٍ يرتدون دروعًا مماثلة. من المحتمل أن تؤدي القذائف التي أُطلقها إلى اختراق المركبة، مما يعني..."

قاطعها كوتيار قائلًا: "لن يكون لدى أيّ من أفراد الأمن على هذه المركبة أسلحة قادرة على اختراق درعك، كما تقولين. كم عدد الرجال الذين تحتاجين إليهم معكِ؟"

ردَّت بوبي: "لن أحتاج إلى أحد"، وأدخلت حزمة البطاريات الجديدة التي أمدَّها بها طاقم التقنيين التابع لأفاسارالا، في الجزء الخلفي من الدرع؛ لتتوهَّج اللوحة باللون الأخضر اللطيف الذي يُشير إلى شحن البطارية بالطاقة الكاملة. أردف قائلةً: "بمجرد أن أبدأ في الهجوم، سيكون رد فعلهم المنطقي هو ملاحقة مساعدة وكيل الأمين العام؛ لاحتجازها كرهينة. تتمثّل مهمتك أنت ورجالك في منعهم من القيام بذلك".

ابتسم لها كوتيار بدون ذرة سخرية من كلامها، ثم قال: "كما تقولين".

***

استغرقها الأمر ما يقارب ثلاث ساعات لتجميع أجزاء بدلتها المُدرّعة وإعدادها لخوض المعركة. من المفترض أن يستغرق الأمر ساعتين فحسب، ولكنها سمحت

لنفسها ساعة إضافية عندما تذكّرت أن البدلة خارج نطاق الخدمة منذ فترة طويلة. كلما اقتربت من تجميع البدلة بالكامل، اشتد ألم العقدة في معدتها؛ يرجع سبب ذلك جزئيًّا إلى التوتُّر الطبيعي الذي تشعر به قبل القتال، وقد علمتها الفترة التي قضتها في مشاة البحرية كيفية الاستفادة من هذا التوتُّر بشكلٍ إيجابي حيث يجعلها تعيد فحص كل شيءٍ في بدلتها ثلاث مرات على الأقل قبل المعركة، بينما لن يتسع الوقت لتفعل ذلك في غمرة القتال.

لكن بوبي كانت تدرك في أعماقها أن احتمال وقوع العنف ليس السبب الوحيد الذي يقلب معدتها، حيث كان من المستحيل أن تنسى ما وقع في المرة الأخيرة التي ارتدت فيها هذه البدلة. تعرَّضت علامة الشعار الأحمر المموَّه المُعبِّر عن المريخ للكشط والكسر جراء انفجار الوحش وانزلاقه السريع عبر جليد جانيميد. ذكَّرها التسرُّب الصغير للسوائل من ركبة بدلتها بالجندي هيلمان، زميلها في مشاة البحرية. عندما قامت بتنظيف غطاء خوذته، تذكَّرت آخر مرة تحدَّثت فيها إلى المُلازم جيفنز، قائدها، قبل أن يمزقه الوحش إلى أشلاء.

عند الانتهاء من تجميع بدلتها وفردها على الأرض، أصبحت البدلة جاهزة لترتديها بوبي. شعرت بقشعريرة تسري في عمودها الفقري. لأول مرة على الإطلاق، يبدو الجزء الداخلي للبدلة ضيقًا كما لو كانت تدخل قبرًا.

قالت لنفسها بصوتٍ عالٍ: "لا".

تساءل كوتيار: "لا؟"، وكان يجلس على الأرض بجانبها ويمسك بالأدوات التي يعتقد أنها قد تحتاج إليها بعد ذلك. لقد صمت الرجل تمامًا أثناء عملية تجميع أجزاء البدلة لدرجة أن بوبي نسيت نوعًا ما أنه موجود بجانبها.

أوضحت بوبي: "لا، أنا لست خائفة من ارتداء تلك البدلة مرة أخرى".

أجاب كوتيار بإيماءة: "آه، حسنًا"، ثم وضع الأدوات في الصندوق، وأردف: "كما تقولين".

نهضت بوبي على قدميها، وسحبت الرداء الأسود الضيق الذي كانت ترتديه دائمًا تحت هذه البدلة المُدرّعة من الصندوق، دون أن تفكّر كثيرًا في الأمر. تجرّدت من ملابسها الداخلية، وبدأت في ارتداء ذلك الرداء الضيق، كما سحبت الأسلاك من

درعها وربطتها بأجهزة الاستشعار المبعثرة حول البدلة عندما لاحظت أن كوتيار قد أدار ظهره لها، وأن رقبته ذات اللون البني الفاتح تحوّلت إلى اللون الأحمر من الخجل.

قالت: "اللعنة! أنا آسفة، كنت أخلع ملابسي بشكلٍ تلقائي، وأرتدي هذا الثوب أمام زملائي مرات عديدة لدرجة أنني فعلت ذلك دونما تفكير".

ردّ كوتيار دون أن يلتفت: "لا داعي للاعتذار، لقد تفاجأت من الأمر فقط".

استرق الرجل نظرة خاطفة، وعندما رأى أنها ارتدت رداءها بالكامل، استدار لمساعدتها على ربطها بالدرع. قال: "أنتِ..."، ثم توقّف للحظة مع تسارع نبضات قلبه، وأكمل: "أنتِ فاتنة".

جاء الدور عليها ليحمرّ وجهها خجلًا.

سألت بوبي وهي تبتسم: "ألست متزوجًا؟" سعيدة بهذا الإلهاء. دفع الشعور الإنساني بعدم الارتياح من تلميحات المغازلة الجنسية الوحش بعيدًا عن رأسها.

أجاب كوتيار: "نعم"، وربط السلك النهائي بجهاز استشعار في الجزء الصغير من ظهر بدلتها، ثم تابع: "صحيح، ولكنني لست أعمى".

ردّت بوبي: "شكرًا لك"، وربّتت على كتفه برفق. بعد بضع لحظات من الصراع مع المساحة الداخلية الضيقة للبدلة، جلست بوبي عند جذع البدلة المفتوح، وانزلقت حتى أصبحت ساقاها وذراعاها مطويتين بالكامل داخل البدلة. قالت لكوتيار: "من فضلك، أغلِق لي الأزرار".

أغلق كوتيار أزرار بدلتها كما طلبت منه، ثم اعتمرت بوبي الخوذة، وأحكمت إغلاقها على رأسها. داخل البدلة، أومضت شاشة عرض بدلتها خلال التشغيل الاعتيادي، وسمعت حولها همهمات لطيفة خافتة قليلًا قامت بتنشيط بطاريات المُحرّكات الصغيرة والمضخات التي تعمل على تشغيل الجهاز العضلي الخارجي، ثم جلست جاثمًا.

نظر إليها كوتيار نظرةً متسائلة. قامت بوبي بتشغيل السماعة الخارجية، وقالت: "حسنًا، كل شيء يبدو على ما يُرام هنا. لدينا الضوء الأخضر الآن".

وقفت على قدميها دون عناء، وشعرت بذلك الإحساس القديم بأنها تمتلك قوة بلا حدود تسري في جميع أطرافها. كانت تعلم تمامًا أنها إذا دفعت بساقيها بقوة، فإنها سوف

تُصيب سقف اليخت بأضرارٍ جسيمة كما يمكن أن تؤدي الحركة المفاجئة لذراعها إلى دفع السرير الثقيل المُغطّى بأربعة أعمدة عبر الغرفة أو لتهشيم العمود الفقري لكوتيار؛ لذلك قرّرت التحرُّك بخطوات متثاقلة هادئة تدرّبت عليها طويلًا.

مدَّ كوتيار يده تحت سترته وأخرج مسدسًا أملس أسود اللون تمتلئ حجرته بالطلقات. أدركت بوبي أن الطاقم الأمني زوّدهم بذخيرة باليستية عالية التأثير؛ مما يضمن عدم إحداث ثقوب في المركبة، وهي من نوع الذخيرة نفسها التي يستخدمها الطاقم الأمني الخاص بـ ماو. همَّ كوتيار بتمرير المسدس إليها، لكنه قارن بين ثخانة أصابعها المُدرَّعة وبين الفجوة الصغيرة لزناد المسدس، فتراجع كما لو كان يعتذر لها.

قالت: "لن أحتاج إليه"، بدا صوتها خشنًا ومعدنيًا وخاليًا من الإنسانية.

ابتسم كوتيار مرة أخرى، وقال: "كما تقولين".

***

ضغطت بوبي على زر استدعاء المصعد، ثم سارت جيئةً وذهابًا في الصالة لتعتاد على التحرُّك بالدرع. كان هناك تأخُّر بمقدار نانوثانية بين محاولة تحريك أحد أطرافها وبين انعكاس ذلك على حركة الدرع. جعلها المشي بهذا الدرع تشعر وكأنها في حلم غامض، كما لو أن الرغبة في تحريك الأطراف وحركة الأطراف نفسها حدثان منفصلان، ولكن ساعات التدريب والاستخدام التي أمضتها سلفًا أسهمت في تغلُّبها على هذا الإحساس بعدما ارتدت درعها، احتاجت فقط إلى بضع دقائق من التحرُّك لتجاوز ذلك الشعور بالغرابة.

دخلت أفاسارالا إلى الصالة من الغرفة التي كانوا يستخدمونها كمركز للاتصالات، وجلست عند البار. صبّت لنفسها جرعة شديدة من النبيذ، وعصرت بعض شرائح الليمون دون تفكير تقريبًا. شربت السيدة العجوز أكثر من المعتاد، ولكن ليس من مهام بوبي أن تنبِّهها إلى تقليل الشراب. ربما كان ذلك يساعدها على النوم.

عندما لم يصل المصعد بعد عدة دقائق، اتجهت بوبي مرة أخرى إلى اللوحة وضغطت على الزر عدة مرات، ظهرت رسالة تقول: "المصعد خارج نطاق الخدمة".

قالت بوبي لنفسها: "اللعنة! إنهم يختطفوننا حقًّا".

تركت السماعات الخارجية قيد التشغيل، وتردَّد صدى الصوت الخشن الخارج من بدلتها في جميع أنحاء الغرفة. لم ترفع أفاسارالا بصرها، وظلت مُركِّزةً في مشروبها، ولكنها قالت: "تذكَّري ما قلته لك".

سألت بوبي: "ماذا؟" ولم تنتبه، تعثرت عند صعودها السلم لتصل إلى فتحة سطح المركبة فوق رأسها، ثم ضغطت على الزر. انفتحت الفتحة، هذا يعني أنهم ما زالوا يتظاهرون بأنها ليست عملية اختطاف. يمكنهم اختلاق عذر منطقي لعدم وصول المصعد، ولكن من الصعب تفسير سبب حجب السيدة مساعدة وكيل الأمين العام عن بقية أجزاء المركبة. ربما اعتقدوا أن امرأة تجاوزت السبعين من عمرها ستكون متردِّدة بشأن صعود السلالم؛ ولذلك قرَّروا تعطيل المصعد. ربما أصابوا في هذا التقدير. لا تبدو أفاسارالا لائقة بدنيًّا بما يكفي لتسلُّق مائتي قدم من درجات السلم حتى في الجاذبية المنخفضة.

قالت أفاسارالا: "لم يكن أيّ من هؤلاء الأشخاص في جانيميد".

ردَّت بوبي: "حسنًا" دون أن تفهم معنى قولها.

أوضحت أفاسارالا: "لا يمكنكِ قتل ما يكفي من هؤلاء لإعادة أفراد فصيلتك إلى الحياة"، وتناولت آخر رشفة من مشروبها، ثم ذهبت بعيدًا عن البار إلى غرفتها. لم ترد بوبي، دفعت نفسها إلى الطابق العلوي، وتركت الفتحة تُغلق خلفها.

لقد صُنع درعها على هذا النحو لتأدية مثل هذه المهمات بنجاح، حيث صُمِّمت بدلة الكشافة الأصلية من طراز جالوت لفرق الصعود البحري على متن المركبات في معارك الفضاء، وهذا يعني أنها مؤهَّلة لتحقيق أقصى قدرٍ من المناورة في المساحات الضيقة. وبغض النظر عن مدى جودة الدرع، فإنه لا يجدي نفعًا إذا أعاق حركة الجندي الذي يرتديه ومنعه من تسلُّق السلالم، وعبور الفتحات التي تكفي لمرور إنسان، والمناورة بأمان في الجاذبية الصغرى.

صعدت بوبي السلم إلى فتحة السطح التالي للمركبة، وضغطت على الزر. ظهر على وحدة التحكُّم ضوء تحذيري باللون الأحمر. اكتشفت السبب بعد بضع لحظات، وهو أنهم أوقفوا المصعد فوق الفتحة مباشرةً ثم قاموا بتعطيله مما أدى إلى إنشاء حاجز. وهذا يعني أنهم يعرفون أن أفاسارالا وطاقمها يُدبِّرون لشيءٍ ما.

نظرت نوبي في أرجاء المقصورة التي صعدت إليها، إنها صالة استراحة أخرى تكاد تكون مطابقة تقريبًا لتلك التي تركتها للتو، حتى وجدت المكان الذي يُحتمل أن يخبئوا فيه كاميراتهم. لوّحت بيدها وقالت: "هذا لن يُعيقني يا رفاق"

نزلت على السلم عائدةً إلى الطابق السفلي، وتوجَّهت إلى الحمام الفاخر على متن مركبة بهذه الفخامة، لا يمكن أن نطلق على الحمام كلمة "الرأس" كما يعتاد البحارة. بعد لحظات من البحث عن فتحة الحاجز، والتي كانت مُقفلة ومخفية جيدًا، استطاعت نوبي اختراقها.

على الجانب الآخر، وجدت مجموعة من الأنابيب المتشابكة، وممرًّا ضيقًا بالكاد تستطيع الدخول إليه وهي ترتدي هذه البدلة المُدرَّعة. دخلت وسارت في الطريق بين الأنابيب عبر طابقين، ثم ركلت فتحة الحاجز الأخرى، ودخلت إلى المقصورة المجاورة.

كانت تلك المقصورة عبارة عن مطبخ ثانوي به مجموعة من المواقد والأفران على طول جدارٍ واحد، بالإضافة إلى العديد من وحدات التبريد، والكثير من أسطح إعداد الطعام، والتي صُنعت كلها من الفولاذ اللامع المقاوم للصدأ.

أطلقت بدلتها تحذيرًا يُنبّهها إلى أنها مُستهدفة، وظهرت على شاشة عرض المعلومات خطوط الأشعة تحت الحمراء المُوجَّهة إليها، والتي عادةً ما تكون غير مرئية. رأت نصف دزينة من هذه الخطوط تُزيّن صدرها، وكلها تأتي من الأسلحة السوداء المدمجة التي يحملها الطاقم الأمني لـ ماو كويك في الطرف الآخر من المقصورة.

نهضت نوبي، ويرجع الفضل في ذلك إلى أن هؤلاء المجرمين البلهاء لم يتراجعوا احتياطيًّا. فحصت شاشة عرض بدلتها قاعدة بيانات الأسلحة، وأخبرتها أنهم مسلَّحون بمدافع رشاشة ٥ مليمتر بسعة ذخيرة قياسية تبلغ ثلاثمائة طلقة، وبمعدَّل إطلاق تبلغ عشر طلقات في الثانية. صنَّفت البدلة مستوى الخطر بالانخفاض ما لم يستخدموا قذائف شديدة الانفجار حارقة للدروع، وهو أمر غير مُرجّح مع وجود هيكل المركبة خلفها مباشرة.

تأكَّدت نوبي من أن السماعات الخارجية ما تزال تعمل، وقالت: "حسنًا يا رفاق، دعونا..."...

قبل أن تُكمِل، أطلقوا النيران عليها.

بعد بضع ثوانٍ، تحوَّل المطبخ بأكمله إلى حالة من الفوضى العارمة. ارتدت القذائف الباليستية عالية التأثير من درعها، وانحرفت عن الحواجز، وتجاوزت إلى جميع أنحاء المقصورة. قاموا بتفجير حاويات البضائع المختمة، كما دفعت حطاطيهم المُمغطة الأواني والمقالي بعيدًا، فضلًا عن تطاير الأواني الصغيرة في الهواء مُكوِّنة سحابة من شظايا الفولاذ المقاوم للصدأ والبلاستيك وكثير من النحس. ارتدت إحدى القذائف لتُصيب أحد أفراد الطاقم الأمني في منتصف أنفه، كما أحدثت ثقبًا في رأسه؛ ليسقط على الأرض فورًا، وترتسم على وجهه من المفاجأة نظرة هزلية.

قبل مرور ثانيتين، تحرَّكت بوبي عبر هذه السحابة الفولاذية، وانتقلت إلى وسط المقصورة؛ لتنقضّ على الحراس الخمسة المتبقين، مدَّت ذراعيها مثل لاعب كرة قدم على وشك تدخُّل عنيف. وبالفعل تمكَّنت من إلقائهم جميعًا على الحاجز البعيد بضربة قاصمة؛ ليسقطوا أرضًا على إثرها بلا حراك. بدأت بدلتها في إظهار العلامات الحيوية على شاشة عرض المعلومات، لكن بوبي أغلقت تلك المؤشرات دون النظر إليها. لم تكن تريد أن تعرف. تحرَّك أحد الرجال ثم بدأ في رفع بندقيته، وبالرغم من أن بوبي دفعته برفق، فإنه طار عبر المقصورة لينهار على الحاجز البعيد، لم يتحرَّك بعدها قطّ.

نظرت في جميع أنحاء المقصورة، أخذت تبحث عن الكاميرات. لم تستطع العثور على أيّ كاميرا، لكنها كانت تأمل حقًّا أن تجد ولو كاميرا واحدة على الأقل. لو أنهم رأوا ما حدث للتو، فلن يُرسلوا إليها المزيد من رجالهم لمهاجمتها.

عند سلم العارضة، اكتشفت أنهم قد عطَّلوا المصعد باستخدام عتلة لمنع فتحة الأرضية من الإغلاق. لن تسمح بروتوكولات السلامة الأساسية للمركبات بأن ينتقل المصعد إلى سطح آخر ما لم يكن السطح أعلاه مُغلقًا. انتزعت بوبي العتلة، وألقتها بعيدًا تجاه المقصورة، ثم ضغطت على الزر لاستدعاء المصعد. وصل المصعد إلى مستواها، وتوقَّف. دخلت بوبي المصعد، وضغطت على الزر الذي سيأخذها إلى مقصورة القيادة، على ارتفاع ثمانية طوابق، أيّ ثماني فتحات ضغط أخرى

ثمانية كمائن محتملة أخرى.

أحكمت قبضة يديها حتى امتدت مفاصل أصابعها بشكلٍ مؤلم داخل قفازاتها. قالت لنفسها: "فليكن، أنا لهم بالمرصاد"

توقَّف المصعد بعد ثلاثة طوابق، وأبلغتها اللوحة أن كل فتحات الضغط التي تفصلها عن مقصورة القيادة قد فُتحت يدويًّا. هذا يعني أنهم على استعداد للمخاطرة بإحداث ثقب؛ لإفراغ نصف هواء المركبة بدلًا من أن يتركوها تصعد إلى مقصورة القيادة. وبدلًا من أن تعاني نتيجة انخفاض الضغط بشكلٍ مفاجئ، شعرت بالغبطة من كونها تُمثِّل مصدر رعب لهم إلى هذا الحد.

نزلت من المصعد إلى سطح يبدو أنه في الغالب مقرًّا لطاقم المركبة بالرغم من أنه كان فارغًا. لا ترى أحدًا أمامها. بعد جولة سريعة في المكان، اكتشفت أن هناك اثنتي عشرة مقصورة صغيرة للطاقم وحمامين يمكن أن نُطلق عليهما كلمة "الرأس" دون حرج. لم تكن تجهيزات حمام الطاقم مُرصَّعة بالذهب مثل حمامها، كما لا يملكون بارًا مفتوحًا تحت تصرفهم، ولا توجد خدمة طعام على مدار الأربعة وعشرين ساعة. استحضرت الكلمات الأخيرة التي سمعت أفاسارالا تتفوَّه بها قبل أن تصعد إلى طاقم يخت (غوانشين)، وترى ظروفهم المعيشية المتقشِّفة. إن أفراد هذا الطاقم مجرد بحَّارة مساكين، ولا أحد منهم يستحق الموت بسبب ما رأته من أهوالٍ في جانيميد.

شعرت بوبي بالسعادة؛ لأنها ليس بحوزتها سلاح في هذه اللحظة بالتحديد. وجدت فتحة دخول أخرى على حائط هذا الحمام، واستطاعت اختراقها أيضًا. ولكن لدهشتها، انتهى ممر الخدمة على بعد أقدام قليلة من رأسها. كان هناك شيء ما في هيكل المركبة يمنعها من الاستمرار هناك، ولأنها لم يسبق لها رؤية (غوانشين) من الخارج، فلم تكن لديها أيّ فكرة عما يمكن أن يكون المنظر. لكنها تحتاج حاليًا إلى تسلُّق خمسة طوابق أخرى، ولن تدع ذلك يوقفها أو يُشتِّت انتباهها.

بعد عشر دقائق من البحث، وجدت بوبي فتحة حاجز عبر الهيكل الخارجي. لقد اخترقت فتحتين داخليتين للهيكل في طابقين مختلفين؛ لذلك إذا فتحت هذه الفتحة، فإن الهواء سيتسرب من هذين الطابقين. لكن ممر السلم المركزي كان مغلقًا على الطابق الذي توجد فيه أفاسارالا؛ لذلك سيكون رجالها بأمان، ولن يُصابوا بأيّ مكروه. ويرجع السر وراء قيامها بذلك إلى إغلاق فتحة الطوابق العليا، والتي يبدو أنها كانت مقرًّا لمعظم أفراد الطاقم

فكرت في الرجال الستة المطروحين على أرضية المطبخ الآن، وشعرت بالذنب صحيح أنهم أطلقوا عليها النار أولًا، لكن إذا كان أيّ منهم ما يزال على قيد الحياة، فلا تريد أن تُصيبهم بالاختناق أثناء نوبة إغمائهم.

لحسن الحظ، اتضح لها أن هذه ليست موطن المشكلة؛ حيث قادتها فتحة إلى غرفة معادلة ضغط صغيرة جدًّا بحجم خزانة، ولكنها استطاعت بصعوبة أن تمر عبرها، وتسلّقت إلى الهيكل الخارجي للمركبة.

كان اليخت ثلاثي الهيكل؛ لمزيد من الأمان. ولِمَ لا؟! لن يثق سيد إمبراطورية ماو كويك أن تطأ قدمه موضعًا إلا بعد التأكُّد من أن هذا الموضع من أكثر المواضع أمانًا في العالم. ولم يقتصر الأمر على تأمين اليخت بالشكل الأمثل، حيث امتد التصميم الفخم لليخت من الداخل إلى الهيكل الخارجي أيضًا. وبينما تم طلاء معظم المركبات العسكرية باللون الأسود مما يجعل من الصعب رؤيتها بصريًّا في الفضاء، في حين تُركت معظم المركبات المدنية رمادية بلا طلاء أو طُليت بألوان الشركات الأساسية.

كان الأمر مع (غوانشين) مختلفًا، حيث امتاز اليخت عن جميع المركبات الفضائية بلوحة جدارية مرسومة بألوان زاهية. كانت بوبي قريبة جدًّا من معرفة ما تمثله هذه اللوحة الجدراية. رأت تحت قدميها ما يشبه العشب وحافر حصان عملاق. لقد رسم ماو على هيكل مركبته لوحة جدارية تضم عشبًا وخيولًا. لن يتمكّن أيُّ شخصٍ من رؤية الرسومات على هذه اللوحة الجدارية إلا بصعوبة بالغة.

تأكَّدت بوبي من أن حذاءها وقفازاتها المُمغنطة مُؤهَّلة لمواجهة التسارع بمعدل ¼ (ج) الذي تنطلق به المركبة من تحتها. بدأت في التسلُّق على الجانب حتى وصلت بسرعة إلى النقطة التي بدأ فيها الطريق المسدود بين الهياكل، ورأت أنه مخزن مكوك فارغ. لو كانت أفاسارالا سمحت لها أن تفعل ذلك قبل أن يهرب ماو بالمكوك؛ لكان الأمر مختلفًا تمامًا الآن.

قالت بوبي لنفسها. "إن المركبات ثلاثية الهياكل تتميَّز بالحد الأقصى من الدعم الاحتياطي".

اتبعت حدسها، وزحفت عبر المركبة إلى الجانب الآخر. وبالفعل كان هناك رصيف مكوك ثانٍ، لكن المركبة التي ترسو هناك لم تكن مكوكًا قياسيًّا للرحلات القصيرة، بل

كانت من النوع المناسب للرحلات الطويلة حيث إن إطار مُحرِّكاتها أكبر مرتين من حجم المركبة العادية. حُفر اسمها على قيدوم المركبة بأحرف حمراء كبيرة. (رازورباك.(
إنه زورق ساقات.

عادت بوبي إلى الرصيف الفارغ، واستخدمت غرفة معادلة الضغط القريبة من هناك لدخول اليخت. لقد نجحت رموز المرور العسكرية التي أدخلها درعها في فتح الباب المغلق؛ مما أثار دهشتها.

قادتها غرفة معادلة الضغط إلى الطابق الموجود أسفل مقصورة قيادة اليخت مباشرةً، والتي تُستخدم لأغراض صيانة المكوك وتخزين الإمدادات، بينها شغلت الورشة الميكانيكية مساحة وسط سطح المركبة؛ حيث كان يقف فيها قبطان (غوانشين) وكبار الضباط في طاقمه، في حين لم ترَ أحدًا من الحراس كما لم تظهر أيّ أسلحة في الأفق.

أشار القبطان عن أذنه في إشارة بدائية تعني: "هل تسمعني؟" أومأت بوبي بقبضتها، ثم أعادت تشغيل السماعات الخارجية، وقالت: "نعم".

قال القبطان: "لسنا عسكريين، لا يمكننا الدفاع عن أنفسنا ضد معداتٍ عسكرية مثل هذا الدرع، لكنني لن أقوم بتسليم هذه المركبة إليكم دون معرفة نواياكم. مساعدي التنفيذي في الطابق العلوي، وهو عن استعدادٍ تام لتدمير المركبة إذا لم نتوصَّل إلى اتفاق".

ابتسمت له بوبي، بالرغم من أنها لم تكن متأكِّدة إذا كان بإمكان هذا الرجل رؤية وجهها بوضوح من خلال هذه الخوذة أم لا. قالت: "لقد احتجزتم بشكلٍ غير قانوني عضوًا رفيع المستوى في حكومة الأمم المتحدة. وبصفتي واحدة من أفراد طاقمها الأمني، جئت لأطلب منك أن ترسو بهذه المركبة عند المرفأ الذي تُحدِّده السيدة أفاسارالا، وأن يتم ذلك بأقصى سرعة ممكن".

ثم لوَّحت بوبي بذراعيها على طريقة الحراميين، وأردفت: "كما يمكنكم أيضًا تدمير المركبة وتفجير كل من عليها. وإن كنت أرى ذلك رد فعل متطرِّف مقارنةً بما نطلبه منكم حيث لا نبتغي شيئًا سوى إعادة تنشيط الاتصالات والسماح للسيدة مساعدة وكيل الأمين العام باستخدام جهازها اللاسلكي"

أومأ القبطان برأسه، وبدا مسترخيًا بشكلٍ واضح. مهما حدث بعد ذلك، فإنه لم يكن لديه خيار، وبما أنه لم يكن لديه خيار، فإنه لا يتحمّل أيّ مسؤولية. قال: "كنا نتبع الأوامر، يمكنكم رؤية ذلك بأنفسكم في سجل التعليمات عندما تتولّون قيادة المركبة"

- "سأترك الأمر للسيدة؛ لتكتشفه بنفسها".

أومأ القبطان مرة أخرى: "إذن، نحن نُسلّم مقاليد المركبة إليكم".

فتحت بوبي قناة اتصال مع كوتيار، وقالت. "لقد فزنا. لن أسمح لك أن تناديني باسمي من الآن فصاعدًا، يمكنك أن تناديني بـ(صاحبة الجلالة)، اتفقنا؟"

أثناء انتظارها لأفاسارالا، قالت بوبي للقبطان: "هناك ستة جرحى من رجال الأمن في الأسفل، أرسِل لهم طاقمًا طبيًّا لإسعافهم".

أخذت أفاسارالا تنادي عبر جهازها اللاسلكي: "بوبي!"

أجابت بوبي: "المركبة تحت طوعك الآن، يا سيدتي".

ردّت أفاسارالا: "رائع. أحسنتِ صنعًا. أبلغي القبطان أننا بحاجة إلى الانطلاق بأقصى سرعة ممكنة لاعتراض هولدن. يجب أن نصل إليه قبل أن يسبقنا نجوين".

- "أوه! هذا يخت فاخر. صُمّم ليسبح في الفضاء بسرعات منخفضة جدًّا لتوفير الراحة. بالتأكيد يمكننا زيادة مستوى التسارع عن هذا الحد، ولكنني أشك في قدرة اليخت على الانطلاق بسرعة كاسحة".

ردّت أفاسارالا: "الأميرال نجوين على وشك قتل كل شخصٍ يعرف الحقيقة الغائبة عن الكثيرين"، ثم ارتفع صوتها دون صراخ حينما تابعت: "ليس لدينا متسع من الوقت للتسكُّع في الفضاء كما لو كنا نحاول استئجار عاهرات من الشوارع".

قالت بوبي: "حسنًا"، ثم بعد لحظة، استدركت. "لكن إذا كان الأمر سباقًا، فأنا أعرف أين نجد مركبة سباق مناسبة."...

الفصل التاسع والثلاثون

هولدن

صبَّ هولدن لنفسه فنجان قهوة من المطبخ، وفاحت رائحة البن القوة في الغرفة. دون أن يلتفت شعر بعيون أفراد الطاقم تُحدِّق في ظهره. لقد اتصل بهم جميعًا، وعندما وصلوا واتخذوا مقاعدهم، أدار لهم ظهره، وبدأ في صنع القهوة. قال هولدن لنفسه: "لقد تأخَّرت بعض الوقت في تحضير القهوة؛ لأنني نسيت كيف أقول لهم ما أريد أن أقوله". وضع بعض السكر في قهوته على الرغم من أنه كان يُفضل شرب القهوة السادة دائمًا، لمجرد أن تقليب حبات السكر سيستغرق بضع ثوانٍ أخرى.

قال وهو يُقلِّب السكر بملعقته الصغيرة: "إذن، من نحن؟"

قُوبِل سؤاله بالصمت؛ لذا استدار واتكأ على المنضدة حاملًا فنجان القهوة المُحلَّى، واستمر في التقليب.

كرَّر قائلًا: "من نحن بحق؟ هذا هو السؤال الذي أسأله لنفسي دائمًا".

استنكر أموس قائلًا: "ماذا؟" وتحرَّك قليلًا في مقعده، ثم قال: "أنا أموس، وأنت القبطان جيمس هولدن. هل أنت بخير؟"

لم يتفوَّه أيُّ أحدٍ بكلمة أخرى. كان أليكس يُحدِّق في الطاولة أمامه، بينما تتوهَّج فروة رأسه الداكنة تحت خصلات شعره الخفيف تحت أضواء المطبخ الساطعة. في حين جلس ناومي المنضدة بجوار المغسلة ناظرًا إلى يديه، وكان يثنيهما بشكلٍ دوري كما لو كان يتأكَّد أنهما غير مشلولتين. الوحيدة التي كانت تنظر إليها هي ناعومي. وقد سحبت شعرها للخلف على شكل ذيل حصان كثيف، بينما حدَّقت عيناها اللوزيتان الداكنتان في وجهه. بدت عليها الحيرة والقلق نوعًا ما.

تابع هولدن: "لقد اكتشفت مؤخرًا شيئًا عن نفسي"، ولم يدع نظرات ناعومي التي تُحدِّق فيه تُشتِّت انتباهه. أضاف: "لقد كنت أعاملكم جميعًا كما لو أنكم مدينون لي بشيءٍ

عظيم، بالرغم من أنكم لستم مدينين لي بأيّ شيءٍ على الإطلاق. كنت أعاملكم وكأنكم حثالة"

ردّ أليكس دون أن يرفع بصره: "كلا، أيها القبطان".

قال هولدن: "بل ما أقوله صحيح"، ولم يقل شيئًا حتى نظر إليه أليكس، فأضاف: "ما أقوله صحيح، وأنت بالذات يا أليكس، كانت طريقتي فظة معك؛ لأنني كنت مرعوبًا حتى الموت، والجبناء دائمًا يبحثون عن هدفٍ سهل يفرغون عليه رعبهم وجبنهم. وكنت أنت ألين شخصٍ عريكةً عرفته على الإطلاق؛ لذلك أسأت إليك الأدب؛ لأنني متأكّد من أنني سأُفلت من العقاب، وأنك لن تردَّ عليّ الإساءة بمثلها. أرجو أن تسامحني على ذلك؛ لأنني آسف حقًّا ولشد ما أُبغض نفسي كلما أتذكّر أنني فعلت ذلك".

ردَّ أليكس بلكنته المريخية العالية وابتسامته الصافية: "بالتأكيد، أنا أسامحك عن كل شيء، أيها القبطان".

أجاب هولدن: "سأحاول أن أكون جديرًا بهذا العفو"، وقد انزعج قليلًا من من تعامل أليكس مع الأمر بسلاسة، ثم استدرك: "لكن أليكس قال شيئًا لافتًا عند حديثي معه مؤخرًا، نبّهني إلى أنكم لستم مُوظَّفين، وأننا لم نعد في (كانتربيري)، وأنني لا أملك هذه المركبة أكثر مما يملكها أيٌّ منكم. لقد وقَّعنا عقودًا مع (أوبا) مقابل توفير مصاريفنا الشخصية ونفقات الشحن، لكننا لم نتحدَّث عن الفائض من هذه الأموال".

قال أليكس: "لقد فتحتَ لنا حسابًا".

ردَّ هولدن: "نعم، هناك حساب مصرفي به جميع الأموال الفائضة. كان الرصيد في آخر كشف حساب أقل من ثمانين ألفًا بقليل. قرَّرت أننا يجب أن نحتفظ بهذا المبلغ في الحساب من أجل تغطية نفقات المركبة، ولكن من أنا لآخذ القرار نيابةً عنكم من تلقاء نفسي؟ إنه ليس مالي وحدي بل مالنا جميعًا، جمعناه معًا"

قال أموس: "ولكنك القبطان"، ثم أشار إلى إبريق القهوة.

وبينما كان هولدن يُحضر له فنجانًا، قال: "أنا القبطان؟ لقد كنت المساعد التنفيذي في (كانتربيري)، ووجدت نفسي في منصب القبطان بعد تفجير القبطان".

مرّر الفنجان إلى أموس، وجلس على طاولة الحوار مع بقية أفراد الطاقم ثم قال: "ولكننا لم نكن هؤلاء الرجال لفترة طويلة. بينما نحن الآن أربعة أشخاص لا يعملون تحت إمرة أيّ شخص..".

تنحنح براكس عندما سمع ذلك، وأومأ له هولدن برأسه معتذرًا. ثم قال: "على الأقل ليس على المدى الطويل. لا توجد شركة أو حكومة تمتلك سلطة على هذا الطاقم. نحن أربعة أشخاص فقط نمتلك مركبة ربما يحاول المريخ استردادها في أول فرصة تتهيّأ لهم".

قال أليكس: "كان هذا نوعًا من الإنقاذ المشروع قانونيًّا".

أجاب هولدن: "آمل أن يقتنع المريخيون بهذه الحجة عندما تشرح لهم ذلك، ولكن هذا لن يجعلني أحيد عن سؤالي: "من نحن؟"

أومأت ناعومي بقبضتها: "أعرف ما أنت مُقدِم على مناقشته. لقد علّقنا هذه الأمور في الهواء؛ لأننا لم نتمكّن من التوقُّف للحظة منذ حادثة (كانتربيري)".

قال هولدن: "وهذا هو الوقت المثالي للبت في هذه الأمور. لدينا الآن عقد لمساعدة براكس في العثور على ابنته الصغيرة، وسوف يدفع لنا النفقات اللازمة لإدارة المركبة وصيانتها. ولكن بمجرد أن نجد مَي، ماذا ستكون خطتنا التالية؟ هل نذهب للبحث عن مهمة أخرى؟ أم نبيع (روسي) إلى (أوبا)، ونتقاعد على قمر تيتان؟ أعتقد أنه يجب علينا البت في هذه الأمور".

لم ينبس أحد ببنت شفة. سحب براكس نفسه بعيدًا عن الطاولة، وبدأ يبحث في الخزائن. بعد دقيقة أو دقيقتين، أخرج علبة على جانبها ملصق "بودرة الشوكولاتة"، وقال: "هل يمكنني تحضير هذا في المطبخ؟" ضحكت ناعومي. قال أليكس: "خذ راحتك يا دكتور".

أخرج براكس وعاءً، وبدأ بخلط المكونات فيه. انصرف عالِم النبات بعيدًا، والغريب أن ذلك خلق شعورًا بالحميمية لدى الطاقم. ابتعد عنهم الشخص الدخيل، تاركًا لهم المجال للتحدُّث فيما بينهم كما يشاؤون. تساءل هولدن عما إذا كان براكس يدرك ذلك، ولذا قرّر أن ينصرف عنهم مُتعمِّدًا

ارتشف أموس آخر رشفة من قهوته، وقال: "أهذا دعوتنا للاجتماع أيها القبطان؟ هل لديك خطة بشأن ما سيجرى؟"

قال هولدن. "نعم"، استغرق لحظة للتفكير، ثم تابع. "نعم، إلى حدٍّ ما".

وضعت ناعومي يدها على ذراعه، وابتسمت له قائلةً: "كلنا آذانٌ مصغية"

قال وهو يغمز إلى ناعومي: "أعتقد أنه يجب أن نتزوّج، هذا سيجعلنا نقضي على الخلافات، ونُضفي على الأمور المزيد من الشرعية".

قالت: "مهلًا! ماذا تقول؟" وبدا على وجهها تعبير الدهشة الممزوجة بالارتياع، وهو ما لم يكن يتوقّعه هولدن.

استدرك هولدن قائلًا: "لا، كان هذا نوعًا من المزاح، لكن ليس بشكلٍ كامل في الحقيقة. انظروا، كنت أفكر في عائلتي. لقد شكلّوا شراكتهم الجماعية الأولية بسبب المزرعة. كانوا جميعًا أصدقاء، وأرادوا شراء هذا العقار في مونتانا، فقاموا بتكوين أسرة كبيرة بما يكفي لتحمُّل تكاليف المزرعة. ولم يكن الدافع جنسيًّا، حيث كان الأب توم والأب سيزار شريكين جنسيين في زواجٍ أحادي. وكانت الأم تمارا عازبة. بينما كان الأبوان جوزيف وأنطون والأم إليز والأم صوفي متزوّجين زواجًا مدنيًّا متعدّدًا. ثم انضم لهم الأب ديميتري بعد شهر عندما بدأ مواعدة الأم تمارا. لقد قاموا بتشكيل اتحاد مدني لامتلاك المزرعة معًا. لم يكن بمقدورهم تحمُّل تكاليف ذلك إذا كانوا يدفعون جميعًا ضرائب الأطفال بشكل منفصل؛ لذلك كانوا جميعًا آبائي وأمهاتي باعتبارهم مجموعة واحدة".

قال أليكس: "كوكب الأرض مكان غريب الأطوار للغاية".

أضاف أموس: "ثمانية آباء لطفلٍ واحد ليس أمرًا مألوفًا على الإطلاق".

ردَّ هولدن: "لكن الأمر يبدو منطقيًّا من الناحية الاقتصادية مع ضريبة المفروضة على إنجاب الأطفال. ستعتبر الأمر شاذًّا فقط إذا لم تكتوِ بنار ضريبة الأطفال الباهظة".

سأل أليكس. "وماذا عن كل هؤلاء الناس الذين يحبون الأطفال دون دفع أيّ ضرائب؟"

أجاب هولدن: "الإفلات من العقوبة أصعب مما تعتقد إلا إذا تخلّصت من الوليد عند أحد الأطباء أو لجأت إلى الأسواق السوداء".

تبادل أموس وناعومي نظرة عابرة تظاهر هولدن بعدم رؤيتها.

تابع هولدن: "حسنًا، انسوا الأطفال لدقيقة. ما أتحدّث عنه هو أن نُصبح مجتمعًا مدمجًا. إذا كنا نعتزم الاستمرار معًا، فعلينا إضفاء الصبغة القانونية على الأمر. يمكننا صياغة الوثائق التأسيسية على بعض محطات الكواكب الخارجية المستقلة مثل سيريس أو يوروبا، وبهذا يكون لدينا إثباتات على أننا مُلاك مشتركون لهذه الشركة".

قالت ناعومي: "وماذا سنفعل بشركتنا الصغيرة؟"

ردَّ هولدن بنبرة ظفر: "بالضبط".

استنكر أموس مرة أخرى قائلًا: "ماذا؟" ليردَّ عليه هولدن: "أعني هذا بالضبط ما كنت أريد أن أسأل عنه: من نحن؟ ماذا نريد أن نفعل؟ لأنه عندما ينتهي هذا العقد المُبرم مع براكس، سيكون حسابنا المصرفي مترعًا بالأموال، كما أننا نمتلك مركبة حربية عالية التقنية، وسنكون أحرارًا في فعل ما نريد".

صاح أموس: "يا إلهي، أيها القبطان! لقد أثارتني الفكرة".

ردَّ هولدن بابتسامة: "صحيح، أعلم ذلك".

توقّف براكس عن خلط المكوِّنات في الوعاء، ووضعه في البراد. استدار ونظر إليهم بحذر من يخشى أن يطردوه إذا انتبهوا إليه. تقدَّم براكس نحوه، ووضع ذراعه حول كتفه قائلًا: "صديقنا براكس ربما ليس هو الشخص الوحيد هنا الذي يحتاج إلى استئجار مركبة كهذه، أليس كذلك؟"

ردَّ أليكس بإيماءة: "نحن أكثر كفاءةً وشراسةً من أن نغدو مثل ربات البيوت عندما تنتهي هذه المهمة".

قال هولدن: "عندما نعثر على مِي، سنحظى بالاهتمام على نطاقٍ واسع أكثر مما تتخيَّل. أيّ دعاية يمكننا أن نحصل عليها أفضل من ذلك!".

قال أموس: "اعترف بذلك أيها القبطان، أنت مفتونٌ بحب الشهرة".

ردَّ هولدن: "إذا كانت هذه الشهرة ستمدنا بفرص العمل، فلِمَ لا أحبها".

تدخَّلت باعومي: "ولكن من المرجَّح أن ينتهي بنا المطاف إلى الانكسار، وأن ننجرف عبر الفضاء الشاسع حتى نهلك".

اعترف هولدن قائلًا. "يبقى هذا احتمالًا دائمًا. لكن ألستم مستعدين يا رفاق بأن تكونوا رؤساء أنفسكم من باب التغيير؟ فلنخوض التجربة، وإذا وجدنا أننا لا نستطيع كسب العيش بمفردنا، فيمكننا عندها أن نبيع المركبة مقابل كيس ضخم من المال، ونفترق عن بعضنا في طرق منفصلة. هناك خطة للهروب"

قال أموس: "نعم، يا رباه، أنا مُتلهِّف حقًّا، هيا بنا نقوم بذلك، كيف نبدأ؟"

ردَّ هولدن: "حسنًا، ولكن هناك شيء جديد آخر، ألا وهو التصويت. المركبة ليست ملكًا لأحدٍ بعينه؛ لذلك سنلجأ إلى التصويت على المسائل الحاسمة مثل هذه المسألة من الآن فصاعدًا".

أجاب أموس: "إذن، من يُؤيِّد دمجنا معًا كشركة واحدة تمتلك مركبة (روسي)، فليرفع يده".

ابتهج هولدن عندما رفعوا الجميع أياديهم، حتى إن براكس نفسه همَّ برفع يده، ثم انتبه لذلك، فأعادها لأسفل.

قال هولدن: "سأحاول العثور على محامٍ في محطة سيريس، وسنبدأ في إعداد الأوراق. لكن هذا يقودنا إلى شيءٍ آخر، يمكن للشركة التي سنؤسِّسها امتلاك المركبة، ولكن لا يمكن أن نضع اسم الشركة باعتبارها القبطان المُسجَّل في الأوراق الرسمية؛ لذلك يجب علينا التصويت لمعرفة من سيحمل لقب (قبطان المركبة)".

بدأ أموس يضحك: "ما هذا العبث! حسنًا؛ لنفعل ذلك. من يريد قبطانًا آخر غير هولدن؛ فليرفع يده".

لم يرفع أحدٌ يده.

قال أموس: "أما ترى؟"

بدأ هولدن في الكلام، لكنه توقَّف عند شعر بضيق في حلقه، واضطراب قليل في قفصه الصدري

قال أموس، والابتسامة مرسومة على وجهه: "انظر، أنت ذلك الشخص"

أومأت ناعومي برأسها، وابتسمت هولدن، مما زاد الاضطراب في صدره، قالت: "أنا مهندسة، لا يوجد برنامج على هذه المركبة لم أقم بتعديله أو إعادة صياغته، وربما يمكنني تفكيكها وإعادة تجميعها بنفسي قطعة قطعة في الوقت الحالي، لكن لا يمكنني الرهان على بعض البطاقات بخداعٍ وحنكة، ولن أستطيع أن أكون ذلك الشخص الذي يقف في وجه جيوش الكواكب الداخلية، وأقول لهم بأعلى صوتي: "ابتعدوا عن طريقي أيها الأوغاد".

وافقها أليكس قائلًا: "صحيح، ينطبق الأمر عليّ كذلك. كل ما أريده أن استمر في الطيران بفتاتي الجميلة (روسي)، هذا كل شيء ببساطة، ولا أحتاج إلى أكثر من ذلك لأكون سعيدًا".

بدأ هولدن في الكلام، ولكن ما أثار دهشته وإحراجه أنه في اللحظة التي فتح فيها فمه، اغرورقت عيناه بالدمع، ولكن لحسن الحظ أنقذ أموس الموقف.

قال أموس: "أنا مجرد قرد ميكانيكي ملطّخ بالشحم، أدفع الأدوات، وغالبًا ما أنتظر ناعومي لتخبرني متى وأين أدفعها، لا أطمح إلى قيادة أيّ شيء أكثر من هذه الورشة الميكانيكية. أنت المفوّه اللبق بيننا. لقد رأيتك تقف في وجه فريد جونسون، وقباطنة البحرية التابعة للأمم المتحدة، ورجال (أوبا) الخارجين عن القانون، وقراصنة الفضاء المُخدَّرين. حتى وأنت تهذي بالكلام تبدو أكثر قدرة على الإفحام من معظم هؤلاء الناس مهما حاولوا التحدُّث بلباقةٍ ورصانة".

أخيرًا قال هولدن: "شكرًا جزيلًا لكم جميعًا، أنا حقًّا أحبكم أيها الرفاق، وأنتم تعلمون ذلك تمام العلم، أليس كذلك؟"

تابع أموس: "وعلاوة على ذلك، فإنه لن يحاول أيّ شخص على هذه المركبة أن يُصاب بالرصاص فداءً لباقي أفراد الطاقم مثلما تفعل أنت. أجد تلك الصفة جذّابة فيمن يحمل لقب القبطان".

ردَّ هولدن مرة أخرى: "شكرًا جزيلًا".

قال أليكس: "إذن، استقرت الأصوات في ذهني، وعرفنا إلام تصير الأمور"، ثم نهض متجهًا نحو السلم، وأضاف: "سأذهب للتأكُّد من أننا لن نرتطم بصخرة أو شيءٍ من هذا القبيل".

شاهده هولدن وهو يذهب وشعر بالارتياح لرؤيته وهو يمسح دموع عينيه بمجرد خروجه من الغرفة. لا حرج في أن تبكي مثل الطفل إذا كنت مُحاطًا بمجموعة من الأطفال البكّائين.

ربّت براكس على كتفه، وقال: "عُد إلى المطبخ بعد ساعة من الآن، ستكون حلوى البودينج جاهزة"، ثم تحوّل خارجًا، ودخل إلى مقصورته. بدأ يقرأ الرسائل على جهازه اللوحي بينما كان يُغلق الباب.

سأل أموس: "حسنًا، وماذا سنفعل الآن؟"

قالت ناعومي: "أموس"، وهي تنهض وتتقدّم للوقوف أمام هولدن، "من فضلك، تولَّ أمر طابق العمليات بدلًا مني لبعض الوقت".

ردَّ أموس: "عُلِم ذلك"، وبدت الابتسامة في صوته. صعد السلم حتى ابتعد عن الأنظار، وسمع هولدن وناعومي صوت الفتحة وهي تُفتح وتُغلق خلفه.

قال هولدن: "مرحبًا بكِ مجدّدًا، هل ما أفكر فيه صحيح؟"

أومأت برأسها، وقالت: "أشعر وكأنني استعدت هولدن الذي أعرفه. كنت قلقة من أنني لن أراك مرة أخرى".

ردَّ عليها: "لو لم تُخرجيني من تلك الحفرة التي كنت أحفرها لنفسي، ما كنت لأعود إلى هولدن القديم، وما كان لنجتمع مرةً أخرى".

انحنت ناعومي إلى الأمام لتُقبِّله، ولف ذراعيه حولها، وجذبها إليه بقوة. عندما توقّفوا لالتقاط الأنفاس، قال: "أليس هذا مبكرًا جدًّا؟"

ردَّت: "اخرس الآن ولا تتكلَّم"، وقبّلته مرة أخرى. دون أن تقطع القُبلة، سحبت جسدها بعيدًا عن جسده، وبدأت في تحسُّس سحّاب بدلته. تلك البدلة العسكرية المريحة السخيفة التي وجدوها في المركبة، والمطبوع على ظهرها كلمة "تاتشي". الآن بعدما أصبح لديهم شركتهم الخاصة، سيحتاجون إلى شيءٍ أفضل من تلك البدلات دائمًا ما كانت البدلات ذات معنى كبير للحياة على متن المركبات، مع تغيُّر الجاذبية والأجزاء الميكانيكية الريتية، سيحتاجون إلى شيءٍ مناسب لهم، ومُصمّم خصوصًا بألوان شركتهم الخاصة، مع اسم (روسينانت) على الظهر.

أدخلت ناعومي يدها إلى الجزء الداخلي للبدلة، تحت قميصه توقَّف في تلك اللحظة عن التفكير بشأن خيارات الأناقة والذاقة.

سألها: "سريري أم سريرك؟"

ردَّت: "وهل لديك سرير خاص بك؟"

أجاب: "ليس بعد".

***

لطالما كانت ممارسة الجنس مع ناعومي مختلفة تمامًا عن ممارسة الجنس مع أيِّ شخصٍ آخر، يرجع بعض هذا الاختلاف لأسباب جسدية حيث كانت المرأة الحزامية الوحيدة التي طارحها هولدن الغرام من بين كل علاقاته الجنسية السابقة، مما يعني بعض الاختلافات من الناحية الفسيولوجية. ولكن لم يكن هذا هو الجزء الأمتع في الأمر بالنسبة له. ما جعل ناعومي مختلفة عن غيرها أن صداقتهما استمرت لمدة خمس سنوات قبل أن يمارسا الجنس معًا.

لم تكن هذه شهادة رائعة حول شخصيته، وقد جعلته يتأرجح عندما فكَّر في الأمر مليًّا الآن، لكنه دائمًا ما كان سطحيًّا جدًّا عندما يتعلّق الأمر بالجنس. لقد اختار شريكات جنسيات محتملات في غضون دقائق من الالتقاء بهن. ولأنه يتميَّز بوسامته وجاذبيته، فعادة ما كان يحصل سريعًا على الفتيات اللواتي يهتم بمضاجعتهن.

لقد سمح لنفسه دائمًا أن يُخطِئ في الافتتان بما يظنه عاطفةً حقيقية. كانت إحدى أكثر ذكرياته المؤلمة هي ذكرى ذلك اليوم الذي تحدَّثت معه ناعومي في هذا الشأن. حيث كشفت له لعبته الحقيرة التي لعبها وأقنع نفسه بها، لطالما أقنع نفسه أنه يهتم بصدق بالنساء اللواتي كان ينام معهن حتى لا يشعر بأنه يستخدمهن.

لكنه كان كذلك بالفعل. بغض النظر عن حقيقة أن هؤلاء النساء استخدمنه أيضًا كما استخدمهن، لكن هذه الحقيقة لم تجعله يشعر بتحسُّن حيال ذلك الأمر

نظرًا لأن ناعومي كانت مختلفة جسديًّا عن المعايير المثالية التي وضعها في مخيلته نتيجة نشأته على كوكب الأرض، فإنه لم يرها كشريكة جنسية محتملة عند التقيا لأول مرة. وهذا معناه أنه نضج بما يكفي ليعرف حقيقتها كشخص دون أي متاع جنسي يحمله عن ذلك عادةً وعندما نمت مشاعره تجاهها إلى ما يتجاوز مجرد الصداقة، تفاجأ بشدة

بطريقةٍ ما، عبّر ذلك كل مفاهيمه عن الجنس. ربما تكون الحركات متشابهة، ولكن الرغبة في التعبير عن العاطفة المحمومة بدلًا من إظهار البراعة والمهارة غير ما تعنيه تلك الحركات الجنسية. بعد أن نام معها للمرة الأولى، كان يرقد في الفراش لساعات طويلة يفكر في أنه كان يفعل ذلك الشيء بشكلٍ خاطئ لسنواتٍ طويلة، ولم يدرك ذلك إلا الآن.

كان يفعل ذلك بشكلٍ مختلف تمامًا عن ذي قبل.

نامت ناعومي بجانبه، ومدّت ذراعها على صدره، وفخذها على ظهره، وضغطت بطنها على وركه، بينما كان صدرها يلتحم بضلوعه. لم يحدث معه ذلك على هذا النحو مع أيّ امرأةٍ قبلها، وكان هذا ما يُفترض أن تكون عليه العلاقة الحميمية بين الرجل والمرأة في وجهة نظره. ذلك الشعور بالراحة والبساطة والرضا التام. بوسعه أن يتخيَّل الآن مستقبلًا لا تعود إليه ناعومي لتمارس معه الجنس، مستقبلًا لا يقدر فيه على اكتشاف اختلاف الأمر عن تلك العلاقات التي أقامها على مدى سنوات وعقود مع شريكات جنسيات أُخريات، تخيَّل مستقبلًا يحاول فيه استعادة شعوره مع ناعومي، ولكنه لن يقدر بالطبع؛ لأن الأمر لا يتعلق بالجنس فقط.

مجرد التفكير في الأمر جعَّل معدته تتقلَّص.

تحدَّثت ناعومي أثناء نومها، همس فمها بشيءٍ غامض في رقبته، وأيقظته الدغدغة المفاجئة بما يكفي لإدراك أنه كان ينجرف للنوم. ضمَّ رأسها إلى صدره، وقبَّل جبهتها، ثم استدار على جانبه، واستسلم لسطوة النوم.

دقَّت وحدة التحكُّم على الحائط.

سأل: "مَنْ هذا؟" وبدا مُتعبًا أكثر من أيّ وقتٍ مضى، لقد أغلق عينيه قبل ثوانٍ، وكان يعلم أنه لن يستطيع فتحهما الآن.

أجاب أليكس: "أنا، أيها القبطان". أراد هولدن أن يصرخ في وجهه، ولكنه لم يجد الطاقة الكافية لفعل ذلك، اكتفى بأن قال: "حسنًا".

"يجب أن ترى هذا"، لم يرد أليكس عن ذلك، ولكن شيئًا ما في صوته أيقظ هولدن. جلس، وأزاح ذراع ناعومي بعيدًا، قالت شيئًا ما غير مفهوم في أثناء نومها، ولكنها لم تستيقظ.

كرَّر مرة أخرى: "حسنًا"، ثم فتح الشاشة.

نظرت إليه من الجانب الآخر من الشاشة سيدة عجوز ذات شعرٍ أبيض وملامح وجهها تبدو غريبة للغاية. استغرق الأمر من عقله المُشوَّش بضع ثوانٍ ليدرك أنها ليست مُشوَّهة الخلقة، ولكن فقط سحقها مستوى التسارع الشديد، قالت بصوتٍ مُتهدِّج بفعل قوة الجاذبية التي حطَّمت حلقها: "اسمي كريسجين أفاسارالا. أنا مساعدة وكيل الأمين العام للأمم المتحدة. أرسل أميرال من الأمم المتحدة ست مُدمِّرات من طراز مونرو، تحرَّكت من نظام جوفيان التابع لكوكب المُشتري لتدمير مركبتك. تتبَّع رمز جهاز الإرسال والاستقبال هذا، وتعالَ لمقابلتي، وإلا ستهلك أنت وجميع طاقم مركبتك. ما أقوله ليس مزحة سخيفة".

الفصل الأربعون

براكس

ألصقته قوة الدفع بمقعد التصادم، حيث بلغ مستوى التسارع ٤ (ج)، ولكن حتى التسارع بمعدل ١ (ج) كان كافيًا لاستهلاك مزيج من الأدوية الطبية بالكامل. لقد عاش طيلة حياته في مكانٍ أورثه الضعف. وكان يعلم ذلك بالطبع، ولذلك تناول الأدوية الطبية التكميلية لتحفيز نمو العظام في الجاذبية المنخفضة، كما مارس القدر المُوصى به من التمارين، ولكن في أعماقه، كان يعتقد أن كل هذا محض عبث. كان يعلم أنه مجرد عالم نبات، سيعيش ويموت في الأنفاق المألوفة، بجاذبيتها المنخفضة المريحة بمقدار أقل من خُمس الجاذبية على كوكب الأرض. لن يكون لديه أيّ سبب يستدعي سفره إلى كوكب الأرض إلا إذا كان ينتوي خوض تجربة السفر في مستوى تسارع عالي الجاذبية. ولكن ها هو الآن مطمور في الظلام كما لو كان في قاع المحيط. كانت رؤيته ضبابية، وأخذ يجاهد في كل مرة يستنشق أنفاسه. عندما تمدَّدت ركبته بشكلٍ مُفرط، حاول أن يصرخ بأعلى صوته، ولكنه لم يستطع التقاط أنفاسه.

من المُؤكَّد أن حال الآخرين أفضل منه، لقد اعتادوا على أشياء من هذا القبيل. وبالرغم من صعوبة الرحلة، كانوا يعلمون أنهم سينجون في النهاية، ولكن براكس بعقله المتشائم كان يُشكِّك في ذلك. انغرزت الإبر في فخذه لتحقنه بمزيج آخر من الهرمونات والأدوية المُخدِّرة. سرى البرد مثل لمسة الجليد في مواضع جسمه المحقونة، بينما ملأ ذهنه شعور متناقض بالارتياح والارتعاد. في تلك المرحلة، كان الأمر بمثابة إحداث توازن بين الحفاظ على مرونة أوعيته الدموية بحيث لا تنفجر وبين تعزيز قوتها بحيث لا تنهار. شتّ عقله تاركًا شيئًا محسوبًا ومفصلًا مكانه، كان الأمر أشبه بوظيفة تمهيدية خالصة بدون إحساس بالذات، حيث بات عقلًا آخر يعرف ما يعرفه براكس، ويتذكّر ما يتذكّره، ولكنه لم يكن عقله.

في هذه الحالة المتغيّرة من الوعي، وجد نفسه يجرد عقله ويتساءل. هل من الجيد أن يموت الآن؟ هل يريد أن يعيش حقًّا؟ وإذا كان يريد ذلك، فأيّ دوافع؟ فكّر في فقدان ابنته باعتباره أمرًا واقعيًّا. حيث كان الفقدان هو اللون الوردي للقديمة المُحطَّمة بعد أن كان هذا اللون أحمر في يومٍ من الأيام اللون الأحمر للحبل السري الذي ينتظر السقوط. تذكّر مي، وكيف كانت تبدو، تذكّر سحر ضحكتها. بالتأكيد أنها تغيّرت الآن، إذا كانت ما تزال على قيد الحياة أصلًا، لكنها ربما ماتت.

ابتسم براكس في عقله المنحرف بفعل الجاذبية، ولكن شفتيه لم تستجب لابتسامة عقله. لقد كان مُخطئًا، لطالما كان مُخطئًا. لقد جلس ساعاتٍ طويلة بمفرده ليُخبر نفسه بأن مَي قد ماتت، مُعتقدًا أنه بذلك يُقوي نفسه. يُعدّ نفسه للأسوأ. كل ذلك لم يكن صحيحًا على الإطلاق. لطالما كرَّر تلك الجملة بصوتٍ عالٍ: "لقد ماتت مَي"، وحاول أن يُصدِّقها؛ لأن هذه الفكرة تبدو مريحة.

لو ماتت مَي، فإنها لم تتعرَّض للتعذيب. لو ماتت مَي، فإنها لم تُصب بالهلع. لو ماتت مَي، لكان وحده المُتألِّم ولارتاحت صغيرته من الألم وأصبحت آمنة الآن. أدرك دون لذة أو ألم أنه يعيش في إطار عقلي مرضي. ولكنه تذكَّر أن حياته وابنته قد سُلبت منه، وأنه نجا من المجاعة تقريبًا بينما جرَّف التأثير المتتالي للسلسلة ما تبقى من جانيميد، بالإضافة إلى أنه تم إطلاق النار عليه، وواجه آلة قتل فضائية، كما أنه أصبح معروفًا الآن في جميع أنحاء النظام الشمسي بأنه الرجل الذي يضرب زوجته ويعتدي على طفلته جنسيًّا. لم يكن لديه سبب ليكون عاقلًا، لن يساعده ذلك على الإطلاق.

وعلاوة على ذلك، أُصيبت ركبته بألم شديد جعله يتمنَّى الموت.

في مكانٍ ما بعيدًا، مكان به ضوء وهواء، طَنَّ شيءٌ ما ثلاث مرات، وانزاح الحبل عن قفصه الصدري. شعر أنه عاد إلى نفسه، يتشابه ذلك الإحساس مع النهوض من قاع حوض السباحة.

قال أليكس عبر قناة اتصالات المركبة: "حسنًا، نداء للجميع. العشاء جاهز، خذوا بضع دقائق حتى ترجع أكبادكم عن الحبال الشوكية، ومن ثم دعونا نلتقي في المطبخ. لدينا خمسون دقيقة فقط؛ لذا استمتعوا بها قدر الإمكان".

أخذ براكس نفسًا عميقًا، وزفره بين أسنانه، ثم جلس. شعر بأن جسده كله مُصاب بكدمات. زعم جهازه اللوحي إلى أن الدفع كان عند مستوى ۳ (ج)، لكنه اعتقد أن ذلك ليس دقيقًا. تأرجَح ساقيه فوق المقعد، وأحدثت ركبته فرقعة طاحنة. لمس شاشة جهازه اللوحي.

قال: "امم، لست متأكِّدًا من أنني أستطيع المشي. ركبتي ".

جاء صوت أموس من السماعة: "انتظر قليلًا يا دكتور، سآتي لإلقاء نظرة على ركبتك، لقد أصبحت أقرب إلى مُسعف على هذه المركبة، إلا إذا كنت تريد نقلك إلى عنبر المرضى، وهناك تقوم الأجهزة الطبية الآلية بتولِّي المهمة".

قال هولدن: "فقط لا تحاول استخدام مكواة اللحام لمعالجة ركبته؛ لأنها لن تجدي نفعًا".

أصبحت قناة الاتصالات صامتة، وفي أثناء انتظاره عودة الاتصال، فحص براكس رسائله الواردة. ضمت القائمة عددًا كبيرًا من الرسائل حتى لم تستوعب الشاشة قائمة الرسائل الطويلة. تشابهت معظم الرسائل في مضمونها، ما كان مختلفًا فقط هو عناوين الرسائل.

يجب تعذيب مغتصب الأطفال حتى الموت.

أعرِض عن الكارهين.

أُصدِّقك.

والدي اعتدى عليّ أيضًا.

عُد إلى الله قبل فوات الأوان.

لم يفتح أيًّا من هذه الرسائل، وبحث عن العناصر الإخبارية التي تتضمن اسمه واسم مي؛ ليجد أمامه سبعة آلاف عنصر يحتوي على هذه الكلمات الرئيسية، بينما لم يجد سوى خمسين عنصرًا يشتمل على اسم نيكولا.

مضى عليه وقت أحبّ فيه نيكولا، أو على الأقل اعتقد أنه يحبها. في ذلك الوقت، تولَّدت لديه رغبة مشوبة في ممارسة الجنس معها كما لو أن حياته كلها تتوقف على هذا

الأمر. قال لنفسه. "هناك أوقاتٌ طيبة عشتُها معها، ألا وهي تلك الليالي التي كنا نتعاشر فيها". لقد أتت مي من جسد نيكولا. بات من الصعب عليه تصديق أن شيئًا ثمينًا ومحوريًّا في حياته كان جزءًا من هذه المرأة. أكّدت الشواهد أنه لم يكن يعرف هذه المرأة حقًّا، حتى ولو كان والد طفلتها، لكنه لا يعرف تلك المرأة التي سوَّلت لها نفسها أن تُسجِّل هذا الفيديو.

فتح جهازه اللوحي، وضغط على زر التسجيل، ووجَّه الكاميرا إليه، ثم لعق شفتيه.

- "نيكولا."..

بعد عشرين ثانية من الصمت، أغلق التسجيل ومسحه. لم يكن لديه ما يقوله. "من أنتِ؟ ومن أنا في نظرك؟" كان أقرب شيء إلى ما يريد التعبير عنه، لكنه لم يهتم بطرح السؤالين أو الإجابة عنهما.

عاد إلى الرسائل مرة أخرى، وقام بتصفية أسماء الأشخاص الذين ساعدوه في البحث، لم يكن هناك شيء جديد منذ آخر مرة تفقَّد الرسائل.

قال أموس، وهو يدلف داخل الغرفة الصغيرة: "مرحبًا يا دكتور، كيف حالك؟"

ردَّ براكس: "أنا آسف"، وأعاد جهازه اللوحي إلى حامله بجانب مقعد التصادم، "كان ذلك فقط بسبب قوة الدفع في التسارع الأخير."...

أشار إلى ركبته، كانت متورِّمة، ولكن ليس بالسوء الذي توقَّعه، لقد اعتقد أنها ستنتفخ إلى ضعف حجمها الطبيعي، لكن يبدو أن مضادات الالتهاب التي تم حقنها في عروقه كانت تؤدي وظيفتها على أكمل وجه. أومأ أموس، ووضع يده على عظمة براكس، ودفعه مرة أخرى إلى الهُلام.

قال أموس: "لقد وجدت شيئًا يُشبه الإصبع ينبثق في بعض الأحيان. إنه مفصل صغير جدًّا، ولكن نظرًا لوضعه في الزاوية الخاطئة عند مستوى تسارع عالٍ، فإنه يؤلم بشدة. حاول الاسترخاء يا دكتور".

ثنى أموس الركبة مرتين، وشعر بطحن المفصل عند الاحتكاك، ثم قال: "الأمر ليس بهذا السوء. مدَّها، جيد جدًّا".

لفّ أموس إحدى يديه حول كاحل براكس، وأمسك بإطار المقعد باليد الأخرى، ثم بدأ يسحب ببطء وثبات. احمرت الركبة من شدة الألم، ثم أصدرت فرقعة عميقة، وكاد براكس يفقد وعيه مع احتكاك الأوتار بالعظام

قال أموس: "ها أنت ذا عند التاسع مرة أخرى، تأكّد من وضع ساقك في الزاوية الصحيحة. عليك أن تتمدَّد مرة أخرى حاليًا؛ لكي نقوم بتحريك رضفتك، حسنًا؟"

ردَّ براكس، وبدأ في الجلوس: "حسنًا".

قال أموس، وهو يضع يده على صدره ويدفعه للخلف على المقعد: "أنا آسف بشدة يا دكتور، سأضطر للقيام بذلك. أعلم أنك تقضي يومًا شاقًّا وتكابد محنة عصيبة خلال هذه الأيام، لكن أنت تعرف كيف تسير الأمور".

عبس براكس، وبدت كل عضلة في وجهه تؤلمه، وكأنها مكدومة.

سأل براكس: "عمَّ تتحدَّث؟"

أجاب أموس: "عن كل هذا الهراء الذي يُشيعونه عنك وعن طفلتك؟ هذا مجرد هراء، أليس كذلك؟"

ردَّ براكس: "بالطبع".

"كما تعلم، في بعض الأحيان تحدث أشياء لا تريد حدوثها، كأن تقضي يومًا شاقًّا، وربما تفقد أعصابك، أليس كذلك؟ أو ربما تفعل أشياء تحت تأثير السُّكر، ولا تعي أنك قد فعلتها أصلًا. هناك الكثير من الأشياء التي فعلتُها وأنا مخمور، ولم أعرف أنني فعلت ذلك إلا بعد أن أخبرني من حولي بذلك في وقتٍ لاحق". ابتسم أموس، ثم تابع: "أنا فقط أقول لك: لو كان في كلام زوجتك ذرة من الحقيقة، ولكنهم يُهوِّلون الأمور، ويبالغون فيها، فمن الأفضل أن تخبرنا بحقيقة الأمر الآن، أليس كذلك؟"

ردَّ براكس: "لم أفعل شيئًا مما قالته".

قال أموس: "لا بأس في إخباري بالحقيقة يا دكتور، سأتفهَّم، قد يفعل الرجال أشياء في بعض الأحيان، ولكن هذا لا يجعلهم أشرارًا للأبد".

دفع براكس يد أموس جانبًا، واعتدل للجلوس. شعر بتحسُّس كبير في ركبته، ثم قال: "في الواقع، مثل هذا الشيء يجعلهم أشرارًا"

استرخت تعبيرات أموس، وتغيّرت ابتسامته بطريقة لم يستطع براكس فهمها تمامًا

- "حسنًا يا دكتور، كما تقول. أنا آسف للغاية، ولكن كان عليّ أن أسأل".

ردَّ براكس، وهو يقف: "لا بأس". للحظة بدا أن ساقه ستزل، ولكن هذا لم يحدث. تقدَّم براكس بخطوة حذرة، ثم خطوة أخرى. إنه يسير بشكل جيد. استدار نحو المطبخ، لكن المحادثة لم تنتهِ بعد. "لو كنت فعلت ذلك... لو كنت فعلت ما قالته حقًّا، هل كنت ستقبل ذلك، وستتعامل معي دون غضاضة؟"

أجاب أموس يشدد على كتفيه: "اللعنة، لا تمزح! لو كنت فعلتَ ذلك، كنتُ سأضرب عنقك، وسأُلقي بك من غرفة معادلة الضغط".

قال براكس: "آه، حسنًا"، وسرى ارتياح خفيف في صدره، "شكرًا لك".

ردَّ أموس: "على الرحب والسعة".

عندما وصل براكس وأموس إلى المطبخ، وجدا الثلاثة الآخرين هناك، ومع ذلك بدا نصف المكان فارغًا. كانت ناعومي وأليكس جالسين على الجانب الآخر من الطاولة، لم يبدُ أيٌّ منهما منهكًا نتيجة التسارع كما توقَّع براكس. اقترب هولدن من الحائط، وفي كلتا يديه إناء رغوي بداخله ملاط بني اللون تفوح منه رائحة الحرارة والأتربة والأوراق المطبوخة. شعر براكس بالجوع يفترسه بمجرد اشتمام الرائحة.

سأله هولدن: "هل تريد تناول حساء العدس؟" بينما جلس براكس وأموس على جانبي أليكس.

أجاب براكس: "نعم، سيكون ذلك رائعًا".

قال أموس. "سأتناول المادة اللزجة بالأنبوب. العدس يجعلني أُطلق العازات، ولا أعتقد أنك سترى الأمر ممتعًا عندما تفرقع أمعائي".

وضع هولدن وعاءً طازجًا أمام براكس، بينما سلّم أموس أنبوبًا أبيض مُفوّهة بالبستية سوداء، ثم جلس بجانب ناعومي. لم يتلامسا، لكن العلاقة بينهما كانت واضحة. تساءل عما إذا كانت مَي قد تطلب منه أن يتصالح مع نيكولا مستحيل الآن

قال هولدن: "حسنًا يا أليكس، ماذا لدينا؟"

أجاب أليكس: "لا جديد يُذكر، ست مُدمِّرات تتسارع بكامل قوتها نحونا في شكلٍ جنوني، كما أن هناك قوة مماثلة تتسارع من بعدهم، بالإضافة إلى زورق سباق يبتعد عنا على الجانب الآخر".

قال براكس: "مهلًا، هل قلت يبتعد عنا؟"

ردَّ أليكس: "إنهم يتطابقون مع مسارنا، لقد قاموا بعملية التغيير، وأصبحوا في طريقهم للانضمام إلينا".

أغلق براكس عينيه، متخيلًا المتجهات، وتساءل: "هل اقتربنا، إذن؟"

أجاب أليكس: "نحن قريبون جدًّا، ثماني عشرة ساعة أو عشرين ساعة بأقصى حدّ".

تساءل براكس: "وكيف ستنتهي الأمور؟ هل ستقبض علينا مركبات الأرض؟"

ردَّ أليكس: "سوف يوقعون بنا حقًّا، ولكن لحسن الحظ، سيصل إلينا هذا الزورق أولًا".

تذوَّق براكس ملعقة من الحساء، الطعم جيد مثل الرائحة، خلط الأوراق الخضراء الداكنة مع العدس، وفرد ورقة واحدة بملعقته، محاولًا التعرُّف عليها. بدت مثل السبانخ. لم تكن حافة الجذع متماثلة تمامًا، ولكن تم طهيها على أيّ حال..

سأل أموس: "كيف نعرف أن هذا ليس فخًا منصوبًا لنا؟"

أجاب هولدن: "لا نعرف، ولكنني لا أعلم كيف يكون ذلك فخًّا".

ردّت ناعومي: "إذا كانوا يريدون اعتقالنا بدلًا من اغتيالنا، ضع في اعتبارك أننا على وشك فتح غرفة معادلة الضغط لامرأة تشغل منصبًا مرموقًا في حكومة الأرض".

سأل براكس: "إذن هذه المرأة تقول إنها جاءت لإنقاذنا؟"

ردَّ هولدن. "يبدو الأمر كذلك".

رفع أليكس يده، ثم قال: "حسنًا، إذا كان الشك بين التحدُّث إلى حدة من الأمم المتحدة أو مواجهة ست مُدمِّرات تُطلق النار على مؤخرة مركبتنا، فأعتقد أننا أمام أمرٍ مسلٍّ حقًّا يحتاج إلى تحضير الشاي والبسكويت، أليس كذلك؟

قالت ناعومي: "لم يعد في اللعبة متسع من الوقت للتوصُّل إلى خطة أخرى، لكن ما يجعلني أشعر بعدم الارتياح أن أرضيًّا يريد إنقاذي من أرضيٍّ آخر".

ردَّ براكس: "الهياكل ليست متجانسة أبدًا، هناك تباين جيني داخل السلالات الأرضية والمريخية والحزامية. كما أن التطوُّر يتنبأ ببعض الانقسامات بين هياكل المجموعة الواحدة، وعقد التحالفات مع الأعضاء الخارجيين. يحدث شيءٌ مشابه لذلك في نبات السرخس".

تساءلت ناعومي باستنكار: "السرخس؟"

ردَّ براكس: "يمكن أن تكون نبتة السرخس عداونية للغاية."...

قاطع الحديث صوت رنين ثلاث نغمات صاعدة كما لو أن شخصًا ما يقرع الأجراس بلطف.

قال أليكس: "حسنًا، إنه صوت الختم استعدادًا لمعاودة التسارع، يتبقَّى لدينا خمس عشرة دقيقة".

أصدر أموس صوتًا عاليًا لامتصاص السائل اللزج حتى تجعَّد الأنبوب الأبيض عند شفتيه. وضع براكس ملعقته ورفع وعاء الحساء إلى شفتيه دون أن يترك قطرة واحدة منه. فعل هولدن الشيء نفسه، ثم بدأ في تجميع الأوعية المستعملة.

ثم قال: "أيّ شخص يحتاج إلى الذهاب إلى الحمام، فليفعل الآن. سنتحدّث مرة أخرى بعد."...

قال أليكس: "ثماني ساعات".

أكَّد هولدن كلام أليكس: "نعم، ثماني ساعات".

شعر براكس بضيق صدره. لقد حان الوقت لجولة أخرى من التسارع الساحق. ساعات أخرى من الجلوس على مقعد التصادم بينما تحقنه الإبر بالأدوية والمُكمّلات لدعم عملية التمثيل الغذائي الفاشلة. بدا الأمر وكأنه جحيم. قام من على الطاولة، وأومأ برأسه مُودِّعًا الجميع، وعاد إلى سريره، تحسّنت حالة ركبته كثيرًا، تمنّى لو تبقى على هذا النحو عندما ينهض من نوبة التسارع القادمة. دق الإنذار مرة أخرى، مما يعني أن نوبة التسارع ستنطلق بعد عشر دقائق فقط. استلقى على المقعد محاولًا مواءمة جسده تمامًا، ثم انتظر الانطلاق.

تدحرج إلى الجانب، وأمسك بجهازه اللوحي، تلقّى سبع رسائل جديدة: رسالتان من داعمين، وثلاث رسائل من كارهين، ورسالة مُوجَّهة إليه بالخطأ، والأخيرة كانت بيان حساب صندوق التبرُّعات. لم يكلف نفسه عناء القراءة.

قام بتشغيل الكاميرا.

قال: "نيكولا، لا أعرف بالضبط ماذا قالوا لكِ، لا أعرف إذا كنتِ تصدقين حقًّا في كل تلك الأشياء التي قلتِها في الفيديو، لكن ما أعرفه حق المعرفة هو أنني لم ألمسكِ قطّ بغضب، ولم يسبق لي أن عاشرتكِ غصبًا. ولو كنتِ قد شعرتِ بالخوف مني حقًّا، فأنا لا أعرف سبب ذلك. ابنتنا مَي هي الشخص الوحيد في الحياة الذي أحبه بكل قلبي وعقلي وروحي. وأنا على استعداد للتضحية بنفسي فداءً لها قبل أن أترك أيّ شخصٍ يؤذيها. والآن يعتقد نصف النظام الشمسي أنني اعتديتُ عليها وآذيتها."...

أوقف التسجيل، وبدأ مرة أخرى.

- "نيكولا، بصدق، لم أكن أعتقد أن هناك أيّ شيءٍ متبقٍّ بيننا لنخونه".

توقَّف. دق الإنذار مُجدَّدًا؛ إيذانًا بالانطلاق بعد خمس دقائق. مرَّر أصابعه بين شعره، كل بصيلة من بصيلاته تؤلمه. تساءل عما إذا كان هذا هو السبب الذي يجعل أموس يحلق رأسه دائمًا كان هناك الكثير من الأشياء حول المركبات التي لم يفكر بها براكس حتى صعد على متن مركبة بالفعل

قال: "نيكولا." ..

ثم أغلق التسجيل، ومسح جميع التسجيلات، وسجّل الدخول إلى واجهة الحساب المصرفي الخيري. ظهرت رسالة تحتوي على نموذج طلب آمن يمكن تشفيره لإرسال تحويل مُصرَّح به بمجرد تسليمه بسرعة الضوء إلى أجهزة الحاسوب الخاصة بالمصرف. ملأها كلها بسرعة. بدا تحذير الدقيقتين بصوتٍ أعلى وأكثر إلحاحًا. أعاد ها المال الذي سبق وأن أرسلته له. الآن لم يعد مُتبقِّيًا على الانطلاق سوى ثلاثين ثانية. ولم يكن لديه شيءٌ آخر ليقوله أو يفعله.

وضع جهازه اللوحي في مكانه، واستلقى على المقعد. بدأ العد التنازلي من عشرين، وشعر بالجبل يُطبق فوق صدره.

***

سأله أموس: "كيف حال ركبتك هذه المرة؟"

أجاب براكس: "على ما يُرام. تفاجأت من هذا التحسُّن، اعتقدت أنه سيكون هناك المزيد من الأضرار".

قال أموس: "إذن، لا تُفرط في مدِّ قدمك. وأنا أيضًا الأمور تسير مع إصبع قدمي على ما يُرام".

دوى في المركبة رنين عميق، وتحوَّل سطح المركبة تحت براكس، وقف هولدن على يمينه، وحرَّك البندقية إلى يده اليسرى، ولمس لوحة التحكُّم.

قال: "أليكس؟"

- "نعم، كان الأمر قاسيًا بعض الشيء. آسف لذلك، ولكن... انتظر لحظة، أيها القبطان، تم إغلاق الأبواب، ولكنهم يُطرقون عليها".

حوَّل هولدن البندقية إلى يده الأخرى. استعد أموس بسلاحه أيضًا بينما وقفت ناعومي بجانبه، ولم يكن في يديها سوى جهاز متصل بمركز عمليات المركبة. إذا حدث خطأ ما، فقد تكون القدرة على التحكُّم في وظائف المركبة أكثر فائدةً من البنادق. كانوا جميعًا يرتدون الدروع المريحة التي وجدوها في المركبة. كانت المركبتان المزدوجتان تتسارعان عند 3 (ج)، بينما لم تتوقف مُدمِّرات الأرض عن ملاحقة (روسي).

سأل أموس: "أعتقد أن حملنا للأسلحة النارية يعني أنك تظن أنه قد يكون هناك فخ أيها القبطان؟"

ردّ هولدن: "لا بأس في استقبالهم بحراس الشرف".

رفع براكس يده.

قال هولدن: "لا، لن نمتحنك أسلحةً مرة أخرى، ولا أقصد التقليل من شأنك بالتأكيد".

ردَّ براكس: "لا، كنت فقط... أعتقد أن حراس الشرف عادة ما يكونون في نفس جانب الأشخاص الذين يقومون بحراستهم!"

قالت ناعومي: حسنًا، حان الوقت لتوسيع التعريفات قليلًا"، ولم يخلُ صوتها من مسحة توتُّر.

قال هولدن: "إنها مجرد سياسية عجوز، وهذا الزورق لا يمكن أن يستوعب أكثر من شخصين. نحن نفوقهم عددًا. وحتى إذا ساءت الأمور، فإن أليكس سيراقب الموقف من مقعد الطيار. أليس كذلك، يا أليكس؟"

أجاب أليكس: "نعم، بالتأكيد، أيها القبطان".

أضاف هولدن: "لذا، إذا كانت هناك أيّ مفاجآت غير سارة، فإن بإمكان ناعومي أن تفك قيود المركبة، وعندها يمكن لأليكس أن يخرجنا من هنا".

ردَّ براكس: "ولكن لا أعتقد أن هذه الخطة ستساعدنا كثيرًا في مواجهة المُدمِّرات".

وضعت ناعومي يدها على ذراع براكس، وضغطت عليه برفق قائلةً: "وأنا لا أعتقد أنك ستساعدنا كثيرًا أيضًا، يا براكس".

انفتحت غرفة معادلة الضغط الخارجية؛ ليصدر صوت أزيز بعيد. وتغيَّرت الأضواء من اللون الأحمر إلى اللون الأخضر.

قال أليكس: "مهلًا!"

قاطعه هولدن قائلًا: "هل هناك مشكلة؟"

أجاب: "لا، إنها فقط."...

فُتح الباب الداخلي، ليدخل إلى الغرفة أضخم شخصٍ رآه براكس طول حياته مرتديًا بدلة مُدرَّعة من النوع المُعزّز للقوة. لولا شفافية الخوذة، لأعتقد أن من بداخل هذا الدرع ليس بشريًّا وإنما إنسانًا آليًّا يمشي على قدمين ويبلغ ارتفاعه مترين. من خلال الخوذة الشفافة، رأى براكس ملامح امرأة: عيون سوداء كبيرة وبشرة بلون القهوة المخلوطة بالحليب. غمرتهم نظرة المرأة بالتهديد الملموس بالعنف. بجانب براكس، تراجع أموس خطوة للوراء بشكلٍ عفوي.

قالت المرأة من خلال مكبرات الصوت في بدلتها: "أنت القبطان"، مما جعل صوتها مصطنعًا ومضخمًا، لم يكن يبدو أنه سؤال حقيقي.

أجاب هولدن: "أنا كذلك، ولكن يجب أن أقول أنكِ تبدين مختلفة بعض الشيء عن صورتك التي رأيتها على الشاشة".

تجاهلت المرأة العملاقة المزحة، وخطت خطوة إلى الداخل.

سألت، وهي تُشير بقفازها المُدرَّع إلى السلاح الذي يحمله هولدن: "هل كنت تُخطِّط لإطلاق النار عليّ باستخدام هذا؟"

قال هولدن: "وهل كان سيجدي ذلك نفعًا؟"

ردَّت المرأة العملاقة: "على الأرجح لا"، ثم تقدَّمت خطوة صغيرة أخرى. صلصل درعها عندما تحرَّكت، بينما تراجع هولدن وأموس إلى الوراء في الوقت نفسه.

قال هولدن: "نطلق على تلك الأسلحة اسم حراس الشرف".

ردَّت: "تشرَّفنا، ولكن هل تمانع في وضع تلك الأسلحة بعيدًا الآن؟"

أجاب هولدن: "لا مانع، بالتأكيد".

وبعد دقيقتين، تم تحريك الأسلحة بعيدًا، ولمست المرأة الضخمة -التي لم تذكر اسمها بعد- شيئًا داخل خوذتها بذقنها، ثم قالت: "حسنًا، أنت بأمان، يمكنك الصعود إلى متن المركبة الآن".

أُعيد فتح باب غرفة معادلة الضغط مرة أخرى، وتحوّلت الأضواء من لونها الأحمر إلى اللون الأخضر مُجدَّدًا، مع أزيز الأبواب المفتوحة. كانت المرأة التي دخلت عليهم الآن أصغر من أيٍّ منهم شعرها الأشيب الأشعث يتطاير في كل اتجاه، كما يبدو الساري البرتقالي الذي ترتديه مُعلقًا بشكل غريب في الجاذبية المنخفضة.

قال هولدن: "السيدة أفاسارالا مساعدة وكيل الأمين العام للأمم المتحدة. مرحبًا بكِ على متن مركبتنا، إذا كان هناك شيء يمكنني."...

قاطعته السيدة العجوز الهزيلة، وأشارت إلى ناعومي قائلةً: "أنتِ ناعومي ناجاتا".

تبادلت ناعومي وهولدن النظرات باستنكار، ثم هزَّت ناعومي كتفيها قائلةً: "نعم، هأنذا ناعومي ناجاتا".

- "أخبريني بالله عليكِ كيف تحافظين على شعرك بهذا الشكل الجميل؟ انظري لي، أبدو وكأن القنفذ الملعون كان ينقب جمجمتي".

حاولت ناعومي أن تتكلَّم: "اممم..."، لكن سرعان ما قاطعتها السيدة العجوز قائلةً: "العناية بشعري وتحسين مظهري هو ما سيبقيكم جميعًا على قيد الحياة. ليس لدينا متسع من الوقت لنفشل! ناجاتا، عليكِ أن تجعليني أبدو أكثر جمالًا وأنثوية. هولدن."...

قاطعتها ناعومي، وبدأ الغضب يتسلَّل إلى صوتها: "أنا مهندسة، ولست مُصفِّفة شعر لعينة".

قال هولدن: "سيدتي، هذه مركبتي وهؤلاء هم طاقمي. نصفنا ليسوا حتى من مواطني الأرض، وليس هناك ما يجعلنا نطيع أوامرك".

ردَّت السيدة العجوز: "حسنًا. إذا أردنا منع هذه المركبة من التحوُّل إلى كرة منتفخة من الغاز الساخن، فنحن بحاجة إلى الإدلاء ببيان صحفي، ولست مستعدة للقيام بذلك وأنا بهذه الهيئة الرثة، فهل تمانعين في مساعدتي من فضلك، يا آنسة ناجاتا؟"

أجابت ناعومي: "نعم، يا سيدتي".

قالت السيدة العجوز: "شكرًا لكِ أيها القبطان، أنت أيضًا بحاجة إلى حلاقة شعرك وذقنك".

الفصل الحادي والأربعون
أفاسارالا

بعد الإقامة في يخت (غوانشين)، بدت مركبة (روسينانت) قاسية ومتواضعة المستوى، ولكنها كانت عملية أكثر. لم يكن هناك سجاد فخم، فقط إسفنج مُغطًّى بالقماش لتنعيم الزوايا والجوانب الحادة التي قد يُلقى عليها أفراد الطاقم عندما تناور المركبة بعنف. وبدلًا من رائحة القرفة والعسل التي عبق بها يخت (غوانشين)، فاحت رائحة البلاستيك المحترق نتيجة إعادة تدوير الهواء. ولم يكن هناك مكتب فسيح، ولا أسرّة واسعة جاهزة لممارسة الألعاب الورقية، ولا مساحات خاصة باستثناء صالة القبطان التي كانت بحجم مرحاض عام.

تم تصوير معظم لقطات الفيديو التي سجّلوها في غرفة التخزين، بزاوية معينة بحيث لا تظهر الذخيرة أو الأسلحة في الصورة. يمكن لأيّ شخصٍ يعرف المركبات الحربية المريخية أن يُحدِّد مكانها عند مشاهدة الفيديو، بينما بالنسبة للآخرين، فإنهم لن يروا سوى مساحة واسعة تضم صناديق شحن كبيرة في الخلفية. ساعدت ناعومي ناجاتا في الاستعداد للبيان، بالإضافة إلى تحرير الفيديو، حيث كانت مُحرِّرة بصرية مدهشة، وعندما أصبح واضحًا أنه لا أحد من الرجال يستطيع تسجيل تعليق صوتي احترافي، قامت ناعومي بذلك أيضًا.

اجتمع طاقم المركبة في عنبر المرضى، حيث أنشأ الميكانيكي أموس بورتون قناة لعرض الفيديو من جهازه اللوحي ها هو الآن يجلس القرفصاء على أحد أسرّة المرضى، وعلى وجهه ابتسامة ودية. لو لم تكن أفاسارالا قد اطلعت على الملفات الاستخباراتية لجميع أفراد طاقم هولدن، لما استطاعت قط أن تُخمِّن ما يمكن أن يفعله هذا الرجل.

انتشر الآخرون مُشكِّلين نصف دائرة، جلست بوبي بجانب أليكس كمال، يبدو أن المريخيين يتحدثون معًا بشكل لا واعي. وقف براكسيديك مينج في الجزء الخلفي من

الغرفة. لم تستطع أفاسارالا أن تُحدِّد ما إذا كان وجودها في المكان هو ما يجعله يشعر بعدم الارتياح الآن، أم أنه دائمًا كذلك

قالت: "اخر فرصة لإبداء التعليقات".

قال أموس: "أتمنى لو كان أمامي الآن بعض الفشار"، أومض الماسح الضوئي الطبي مرة واحدة، وظهرت علامة البث متبوعة بأحرف كبيرة بيضاء: "للنشر الفوري".

ظهرت أفاسارالا وهولدن على الشاشة. كانت تتحدَّث ويداها ممدودتان أمامها كما لو كانت تُشرح نقطةً ما. بدا هولدن جادًّا وهو ينظر نحوها. صدر صوت ناعومي ناجاتا هادئًا وقويًّا واحترافيًّا.

"في تطوُّر مفاجئ وغير مسبوق، التقت اليوم مساعدة وكيل الإدارة التنفيذية كريسجين أفاسارالا مع ممثل (أوبا) جيمس هولدن، وممثل عسكري عن الجيش المريخي؛ لمباحثة التخوُّفات الناجمة عن هذه الاكتشافات المحورية التي يُحتمل أن تقضي على المناطق المحيطة بالهجوم المُدمِّر الذي وقع على جانيميد".

انتقلت الصورة إلى أفاسارالا، التي مالت إلى الأمام قليلًا لتجعل رقبتها تبدو أطول، ولإخفاء الجلد المُترهِّل تحت ذقنها. جعلتها الممارسة الطويلة تبدو طبيعية، لكنها كادت تسمع أرجون يضحك. ظهرت لافتة أسفل الشاشة تُعرِّف باسمها ولقبها.

قالت أفاسارالا: "من المُزمع أن أسافر مع القبطان هولدن إلى نظام جوفيان. إن حكومة الأمم المتحدة، التي تحكم كوكب الأرض، تعتقد اعتقادًا راسخًا أن إجراء تحقيق متعدد الأطراف في هذا الشأن يُعتبر الطريقة المثلى لاستعادة التوازن والسلام للنظام الشمسي بأكمله".

انتقلت الصورة إلى هولدن وأفاسارالا جالسين في المطبخ مع عالم النبات في هذه المرة، كان العالم الضئيل يتحدَّث بينما تتظاهر أفاسارالا وهولدن بالاستماع إليه. عاد صوت ناعومي مرة أخرى:

"وعندما سُئلت عن الاتهامات المُوجَّهة إلى براكسيديك مينج، والذي أصبح بحثه عن ابنته المفقودة الوجه الأكثر إنسانية للمأساة التي لحقت بحاليميد، كانت مبعوثة الوفد الأرضي واضحة وصريحة تمامًا".

عادت الصورة إلى أفاسارالا، ولكن هذه المرة ظهر على وجهها الحزن، ورأسها يرتجف في إنكارٍ لا شعوري. قالت: "نيكولا مولكو شخصية مأساوية في هذا الصدد، وأنا شخصيًّا أدين عدم مسؤولية وسائل الإعلام التي سمحت ببث مقاطع فيديو فظة مثل هذه المقاطع لأشخاص يعانون من مشاكل في صحتهم العقلية، وترويجها باعتبارها حقائق مُؤكَّدة. انفصالها عن زوجها وابتعادها عن طفلتها أمرٌ لا جدال فيه، ولكن مشاكلها النفسية التي تعاني منها تستحق التعامل معها بشكل أكثر كرامة وخصوصية".

سألت ناجاتا من خارج نطاق الكاميرا: "إذن، هل تلومين وسائل الإعلام؟"

أجابت أفاسارالا: "بالتأكيد"، بينما انتقلت الكاميرا إلى صورة طفلة صغيرة مبتسمة بعيونٍ سوداء كحيلة وضفائر داكنة. تابعت: "لدينا ثقة عمياء في حب وتفاني الدكتور مينج لطفلته العزيزة مَي. ويسعدنا أن نكون جزءًا من الجهود المبذولة في سبيل إعادة الطفلة بأمان إلى أبيها ومنزلها".

انتهى التسجيل.

قالت أفاسارالا: "جيد جدًّا، هل هناك أيّ تعليقات؟"

ردَّ هولدن: "لم أعد أعمل بالفعل في (أوبا)، بينما قالت بوبي: "وأنا لست مخوَّلةً بتمثيل الجيش المريخي، ولست متأكِّدةً حتى من أنه ما يزال من المفترض عليّ أن أعمل معكِ في المستقبل".

قالت أفاسارالا: "شكرًا لكم على هذه التعقيبات، هل هناك أيّ تعليقات مهمة أخرى؟"

ساد الصمت للحظة، ثم قال براكسيديك مينج "أراه جيدًا بالنسبة لي".

***

كانت هناك تفصيلة واحدة، تموّقت فيها مركبة (روسينانت) على يخت (عواشين) الفاخر، وهي التفصيلة الوحيدة التي تهتم بها، ألا وهي رسائل الليزر المُركّزة. صحيح أن التأخُّر في الاتصالات يزداد سوءًا، وأنها كل ساعة تبتعد عن الأرض، لكن علمها بإمكانية إرسال رسائل دون أن تقع بين يدي نجوين وإريبرايت، منحها شعورًا بالتنفُّس بأنسام الحرية أخيرًا. لن تستطيع أن تُسيطر على الأمور عندما تصل هذه الرسائل إلى كوكب الأرض، ولكن هذا ما حدث. وكانت تلك هي قواعد اللعبة.

بدا الأميرال ساوثر مُتعبًا، ولكن كان من الصعب معرفة المزيد عن ذلك من مجرد النظر إليه عبر شاشة صغيرة.

"لقد وضعت يدكِ في عش الدبابير، يا كريسجين. يبدو الأمر مؤسفًا تمامًا عندما تُقدمين نفسكِ كدرع بشري لحماية مجموعة من الأشخاص الذين لا يعملون لصالحنا. وأعتقد أنكِ بهذا قد نفّذت المُخطَّط الذي كان يتمناه إريبرايت وعصابته.

تابع ساوثر: لقد فعلتُ ما طلبتِ مني أن أفعله. نعم، التقى نجوين عدة مرات بـجول بيير ماو. كان اللقاء الأول بعد شهادته التي أدلى بها عن البروتوجين مباشرةً. ونعم، علم إريبرايت بلقاءاتهما. لكن هذا لا يكشف الكثير عما سيجري. لقد التقيت أيضًا بـماو، إن هذا الرجل أفعى سامة، ولكن كما تعلمين إذا توقفنا عن التعامل مع رجالٍ مثله، فلن يتبقّى لدينا الكثير لنفعله.

أردف ساوثر: خرجت حملة التشهير ضد صديقك عالِم النبات من المكتب التنفيذي، ويجب أن أقول إن مثل هذه الحملات تجعل الكثير منا هنا في الجيش مُرتبكين بعض الشيء. بدا الأمر وكأن هناك انقسامات داخل القيادة، وأصبح الأمر غامضًا حول من يُفترض أن نتبع أوامره من القيادة السياسية. وإذا وصلت الأمور إلى هذا الحد من الانقسام، يجب أن أُنبّهك إلى أن صديقنا إريبرايت ما يزال يحتل مرتبة أعلى منك؛ لذلك إذا أعطاني هو أو الأمين العام أمرًا مباشرًا، سأضطر إلى إيجاد حجة مقنعة لاعتبار هذا الأمر الصادر غير قانوني، لكن لم تضطرني الظروف لذلك حتى الآن. أود أن أقول إن كل شيء حولنا أصبح نتنًا وكريهًا مثل رائحة الطربان. أنت تفهمين ما أقصده".

أوقفت أفاسارالا التسجيل، ضغطت بأصابعها على شفتيها. لقد فهمت، لم تحب ذلك، لكنها فهمت. نهضت من مقعدها، تألمت مفاصلها من الرحلة التي خاضتها على زورق السباق إلى (روسينانت)، وأيضًا من الطريقة التي تندفع بها المركبة من تحتها، بالإضافة إلى تصحيحات المسار التي تُحرِّك الجاذبية بمقدار درجة أو درجتين. لقد وصلت الآن إلى الشعور قليلًا بالغثيان.

كان الممر المؤدي إلى المطبخ قصيرًا، ولكنه بدا ملتويًا قبل دخوله مباشرةً. سمعت بعض الأصوات، فآثرت السير بهدوء؛ لتسترق السمع. كان هذا الطيار هو من يتحدَّث باللكنة المريخية العميقة، بينما اتضح جرس صوت بوبي أيضًا، يبدو أن المريخيين على هذه المركبة يتبادلان حوارًا الآن.

- "... وهي تخبر القبطان أين يقف وكيف ينظر. اعتقدت أن أموس سيرميها من غرفة معادلة الضغط عدة مرات".

ردَّ بوبي: "دعه يحاول ذلك فقط، وسترى ما أفعله به".

سألها: "هل تعملين لديها؟"

أجابت بوبي: "لم أعد أعرف الآن لصالح من أعمل بحق الجحيم. أعتقد أنني ما زلت أحصل على راتبي من المريخ، لكن كل مصاريفي اليومية تخرج من ميزانية مكتبها. الحقيقة أنني لم أتوقَّف عن التفكير في هذا الأمر".

قال الطيار: "هذا يبدو قاسيًا".

ردَّت بوبي: "أنا جندية من جنود مشاة البحرية". تجمَّدت أفاسارالا للحظة، في نغمة صوتها شيءٌ ما خاطئ، ولكنها مع ذلك هادئة ومريحة ومُسالِمة غالبًا. وهذا شيءٌ مثير للإعجاب.

سأل الطيار: "وهل رأيت أحدًا يحب تلك المرأة العجوز؟"

أجابت بوبي قبل أن يفرغ تقريبًا من سؤاله: "كلا، كلا بالطبع، ومع ذلك فإنها لا تُغيِّر من طريقتها أما رأيت المسرحية التي قامت بها عندما صعدت على متن المركبة،

وأصدرت الأوامر إلى هولدن والطاقم كما لو كانت تملك المركبة؟ هي دائمًا هكذا. أتعرف الأمين العام؟ إنها تُسميه دُمية متحركة".

- "وماذا عن بذاءة لسانها؟"

أجابت بوبي: "إن بذاءتها جزء من سحرها".

ضحك الطيار، وتناثر على جوانب فمه بعض اللعاب بينما كان يشرب شيئًا ما. وقال: "ربما أكون قد أسأت فهم قواعد السياسة". وبعد لحظة سألها: "هل تحبينها؟"

أجابت بوبي: "نعم".

- "هل تمانعين إذا سألتكِ لماذا؟"

أجابت بوبي: "لأننا نهتم بالأشياء نفسها تقريبًا"، وقد أشعرت نبرة صوتها المدروسة أفاسارالا بعدم الارتياح من التنصُّت عليهما. تنحنحت قليلًا، ودخلت المطبخ.

سألت أفاسارالا: "أين هولدن؟"

أجاب الطيار: "ربما يكون نائمًا على الأرجح. إن الساعة الآن هي الثانية صباحًا بحسب توقيت المركبة".

قالت أفاسارالا: "آه، حسنًا". بالنسبة لها كانت الساعة الآن الثانية ظهرًا. يبدو هذا مُربكًا بعض الشيء. تشعر وكأن كل شيء في حياتها يتأخَّر حاليًا في انتظار وصول الرسائل عبر الظلام الهائل للفراغ الشاسع، لكنها على الأقل يمنحها وقتًا كافيًا للاستعداد.

أضافت: "أرغب في الالتقاء بجميع الموجودين على متن هذه المركبة بمجرد أن يستيقظوا من نومهم. وأنتِ يا بوبي، ستحتاجين إلى ارتداء زيك الرسمي مرة أخرى".

استغرق الأمر من بوبي بضع ثوانٍ فقط لفهم ما تعنيه. قالت: "ستُريهم الوحش"

تابعت أفاسارالا: "وبعد ذلك سنجلس هنا، ونتحدّث حتى نكتشف ما يعرفه طاقم هذه المركبة بالضبط. لقد أزعجوا الأشرار حتى أرسلوا سفاحيهم لاغتيالهم".

ردّ الطيار: "نعم، وبالمناسبة، حفَّضت تلك المُدمِّرات من سرعة انطلاقها، لكنها لم ينسحبوا بعد".

قالت أفاسارالا: "هذا لا يهم. الجميع يعرف الآن أنني على متن هذه المركبة. لن يقوم أحد بإطلاق النار عليها".

عندما تنفّس الصبح وفقًا للتوقيت المحلي للمركبة، بينما حلّ المساء الشخصي لأفاسارالا، اجتمع الطاقم مرة أخرى، وبدلًا من إحضار البدلة المُدرَّعة بالكامل إلى المطبخ، سحبت بوبي مقاطع الفيديو المحفوظة على ذاكرة بدلتها، وأعطتها إلى ناعومي. بدا على أفراد الطاقم الاسترخاء واليقظة بخلاف الطيار، الذي ظل مُستيقظًا لوقتٍ متأخر جدًّا من الليل في التحدُّث إلى بوبي وعالِم النبات، والذي بدا وكأنه مُنهكٌ عن الدوام.

قالت أفاسارالا، وهي تنظر باهتمام إلى هولدن: "ليس من المفترض أن أعرض هذه اللقطات على أيّ شخص. ولكن على متن هذه المركبة، وفي الوقت الحالي، أعتقد أننا بحاجة إلى كشف جميع أوراقنا على الطاولة. وأنا على استعداد لكشف أوراقي أولًا. هذا هو الهجوم الأول على جانيميد. البداية التي انطلق منها كل شيء بعد ذلك. من فضلك، قومي بالتشغيل يا ناعومي!"

بدأت ناعومي تشغل الفيديو، واستدارت بوبي في مواجهة الحاجز. لم تركّز أفاسارالا أيضًا على مشاهدة الفيديو، بل انصب تركيزها على تفقُّد وجوه الآخرين. مع اندلاع الدمار والمجازر الدموية خلفها، كرّست أفاسارالا نفسها لدراسة وفهم الأشخاص الذين تتعامل معهم بشكل أفضل. راقبت الميكانيكي أموس، وهو يشاهد ما يحدث بهدوء متحفِّظ لقاتل محترف. لا عجب في ذلك. بينما استبد الرعب بهولدن وناعومي وأليكس في بداية العرض. راقبت أليكس وناعومي وهما ينزلقان في نوعٍ من الصدمة. اغرورقت عينا الطيار بالدموع. من ناحية أخرى، تكوّم هولدن جانبيًا، بينما انحنت كتفاه إلى الخارج بعضهما عن بعض، وتراءى في عينيه وقسمات وجهه تعبيرٌ عن غضب مكبوتٍ يحترق. كان ذلك مثيرًا للاهتمام حقًّا. انتحبت بوبي علانية دون أن تنظر إلى الشاشة، وبدأت تنوح كما لو كانت امرأةً في جنازة أو حفل تأبين. كان براكسيديك – الذي يطلق عليه الجميع اسم براكس هو الشخص الوحيد الذي بدا متهجًا بما يشاهد. عند انتهى الفيديو، وانفجر الوحش، صفق بيديه وصرخ فرحًا

قال. "هذا ما حدث بالتأكيد، لقد كنت مُحقًّا يا أليكس. هل رأيت كيف بدأ نمو المزيد من الأطراف؟ هذا فشل ذريع لأنظمة ضبط النفس، ولكن ما قام به الوحش الآخر كان نوعًا من التدبير الأمني".

ردّت أفاسارالا: "حسنًا، ولكن لماذا لا تشرح لي ما قلته هم مرة أخرى حتى أفهم ما تعنيه، ماذا تقصد بـ التدبير الأمني؟"

- "لقد أبعد الجزيء الأولي الآخر الذي واجهناه العبوة الناسفة عن جسمه قبل أن تنفجر. كما ترون، هذه... الكائنات –سواء كانت جنود الجزيء الأولي أو أيّ شيءٍ آخر– إنهم يتجاوزون برمجتهم، وأعتقد أن ميريان يدرك ذلك جيدًا. ولم يجد طريقة للسيطرة على الأمر؛ لأن القيود تفشل".

سألت أفاسارالا: "من ميريان هذا؟ وما علاقته بما يحدث؟"

قال أموس: "ألا تريدين المزيد من الأسماء أيتها الجدة؟"

قال هولدن: "دعيني أَحْكِ لكِ كل شيءٍ من البداية"، وبالفعل سرد لها هولدن هجوم الوحش المتخفي، والأضرار التي لحقت بباب غرفة التخزين، ومُخطَّط براكس لطرد الوحش من المركبة، وتفتيته إلى ذرات عبر عادم المُحرِّك. في المقابل، أرسلت أفاسارالا لهم جميع البيانات المتاحة لديها عن الطفرات التي تحدث على كوكب الزهرة، تسلم براكس تلك البيانات، وبعد النظر إليها، أوضح أنه أصبح على يقين من وجود قاعدة سرية على قمر آيو حيث يتم إجراء التجارب؛ لإنتاج هذه الكائنات. لفَّت الحَيرة عقل أفاسارالا، وقالت: "تقصد أنهم أخذوا طفلتك إلى هناك".

ردَّ براكس: "لقد أخذوا جميع الأطفال إلى هناك".

تساءلت: "وما الذي يدفعهم لذلك؟"

أجاب براكس: "لأن ليس لديهم أجهزة مناعية، ومن ثَمَّ سيسهل على الجزيء الأولي إعادة تشكيلها. فقط لديهم عدد أقل من الأنظمة الفسيولوجية التي تقاوم القيود الخلوية الجديدة، ومن المحتمل أن يستمر جنود الجزيء الأولي لفترة أطول".

ردَّ أموس: "يا إلهي، يا دكتور، هل تقصد أنهم سيحولون مي إلى أحد تلك الكائنات اللعينة".

أجاب براكس عابسًا: "ربما، لقد اكتشفت ذلك للتو".

تدخّل هولدن قائلًا: "ولكن لماذا يفعلون شيئًا كهذا؟ لا معنى لذلك على الإطلاق".

أجابت أفاسارالا: "من أجل بيعها لأيّ قوة عسكرية كسلاح هجومي خارق. ومن أجل توطيد السلطة قبل... قبل حدوث نهاية العالم المؤسفة".

رفع أليكس يده وقال: "نقطة توضيحية! هل نحن في طريقنا إلى نهاية العالم؟ هل كان من المفترض أن نعرف ذلك من قبل؟"

أجابت أفاسارالا: "ما يحدث على كوكب الزهرة يخبرنا بذلك".

خفض أليكس يده، وقال: "أوه، يا إلهي، هذا صحيح".

قالت ناعومي: "جنود يستطيعون السفر في الفضاء بدون مركبات. ولتطردهم بعيدًا عن مركبتك، يجب أن تنطلق بمستويات تسارع عالية جدًّا، ولفترة من الوقت، ثم تقطع المُحرِّكات. كيف يمكن تعقُّب شيءٍ كهذا؟"

ردَّ براكس: "ولكن هذا لن يفلح للأبد. أم تذكرون أنهم يكسرون القيود، ونظرًا لأنه يمكنهم مشاركة المعلومات، فسيصبح من الصعب إخضاعهم إلى أيّ نوعٍ من البرمجيات الجديدة".

خيَّم الصمت على الغرفة، بدا براكس مرتبكًا.

تساءلت أفاسارالا: "هل يمكنهم مشاركة المعلومات؟"

أجاب براكس: "بالتأكيد، انظري إلى الطفرات التي حدثت على كوكب الزهرة. حدثت الطفرة الأولى بينما كان الوحش يقاتل ميلر ومشاة البحرية الآخرين على جانيميد، بينما حدثت الطفرة الثانية عندما أفلت من المختبر. أما الطفرة الثالثة فكانت عندما تخلّصنا منه وأبعدناه عن (روسينانت). انعكس رد الفعل على كوكب الزهرة، في كل مرة يتعرَّض فيها أحد هذه الكائنات للهجوم. إنهم مرتبطون بشبكة اتصالات؛ ولذا

أفترض أنهم يمكنهم مشاركة أيّ معلومات مهمة يتوصَّلون إليها وهذا يشمل بالطبع طريقة الهروب من القيود".

قال هولدن: "إذا أطلقوا هذه الكائنات على البشر، فلن تكون هناك أيّ طريقة لإيقافهم. سيتخلّصون من تلك القنابل والعبوات الناسفة، ويواصلون العمل، وستستمر المعارك واحدةً تلو الأخرى".

ردَّ براكس: "اممم، كلا. ليست هذه هي المشكلة، المشكلة في التأثير المتتالي للسلسلة. بمجرد أن يتمتَّع الجزيء الأولي بالقليل من الحرية، سيكون لديه المزيد من الأدوات التي تساعده على كسر القيود المفروضة عليه، ومع فرض قيود أخرى جديدة، يمتلك المزيد من الأدوات لكسر تلك القيود الجديدة، وهكذا إلى ما لا نهاية. البرمجة الأصلية أو شيء من هذا القبيل من شأنها أن تتحكَّم في البرامج الجديدة، ومن ثَمَّ ستعود تلك الكائنات إلى أصولهم".

انحنت بوبي إلى الأمام، ومال رأسها بضع درجات إلى اليمين. بدا صوتها هادئًا، ولكن انطوت نبرتها الهادئة على عنف أعلى من الصراخ. "لذا إذا أطلقوا تلك الأشياء على المريخ، فإنهم سيظلون جنودًا للجزيء الأولي لفترة من الوقت، ولكن بعد ذلك سيبدأون في إلقاء القنابل والعبوات الناسفة كما فعل ذلك الشيء الذي واجهتموه، ومن ثم يحولون المريخ إلى إيروس؟"

أجاب براكس: "صحيح، بل أسوأ من إيروس؛ لأن أيّ مدينة مريخية متوسطة الحجم يفوق عدد سكانها سكان إيروس جميعًا".

عمَّ الهدوء الغرفة. وعلى الشاشة، توجَّهت كاميرا بدلة بوبي إلى السماء المُرصَّعة بالنجوم بينما أطلقت السوارح النار بعضها على بعض في المدار.

قالت لهم أفاسارالا: "لديّ الآن بعض الرسائل لأرسلها".

***

- "هل تعرف تلك المسوخ البشرية التي صنعتها؟ إنهم ليسوا عبيدًا سيبقون تحت طوعك للأبد. صدِّقني لن تستطيع السيطرة عليهم. لقد باع لك حول

بيير ماو الوهم. وأنا أعلم لماذا أقصيتني بعيدًا عن ذلك، ولذا أعتقد أنك كنت معقلًا لعينًا ولكن دعك من هذا؛ لأنه لا يهم الآن ما أود قوله فقط: لا تضغط على هذا الزناد هل تفهم ما أقول؟ لا تفعل ذلك. ستكون مسؤولًا بشكلٍ شخصي عن أكبر المجازر الدموية في تاريخ البشرية، وأنا الآن على متن المركبة نفسها مع جيم هولدن؛ لذلك لا تضع توقُّعات عالية على ما تُخطِّط له".

استغرق التسجيل بأكمله حوالي نصف ساعة، وأرفقت أفاسارالا بالرسالة بعض اللقطات من مقطع الفيديو الأمني الخاص بمركبة (روسينانت) الذي يظهر فيه الوحش المسافر خلسة. وكان لا بُدّ من حذف جزء مدته خمس عشرة دقيقة عما قاله براكس عن تحويل ابنته إلى جندي من جنود الجزيء الأولي، وفي هذا الجزء بالتحديد، أجهشت بالبكاء ولم تستطع السيطرة على نفسها. بذلت أفاسارالا قصارى جهدها لتلخيص ما قاله هذا العالِم، ولكنها لم تكن متأكِّدة تمامًا من صحة التفاصيل. فكرت في طلب المساعدة من مايكل جون ليبحث في حقيقة هذا الأمر، لكنها قرَّرت في النهاية حذف هذا الجزء. من الأفضل دائمًا ألا تكشف كل أوراقها.

أرسلت أفاسارالا الرسالة. ولأنها تعرف إيرنرايت حق المعرفة، فإنه لن يردَّ عليها على الفور. سيستغرق ساعة أو ساعتين على الأقل لتقييم الموقف، ولوزن ما قالته أفاسارالا. وبعدما يتأكَّد من اختيار الرد في رأسه، عندها قد يرد عليها.

وضعت أفاسارالا أملًا على أن يتحلَّى إيرنرايت بالعقلانية، عليه أن يكون عاقلًا الآن. كانت أفاسارالا بحاجة إلى النوم، يمكنها أن تشعر بالتعب الذي ينقض على عقلها، مما يُبطئ من حركاتها وردود أفعالها. ولكن عندما استلقت على السرير، لم تشعر بالراحة، بدت الراحة بعيدة جدًّا مثل منزلها، مثل أرجون. فكرت أن تُسجِّل له رسالةً، لكن مثل هذه الرسالة ستتركها تشعر بمزيد من العزلة. بعد ساعة، نهضت أفاسارالا من السرير، وسارت عبر صالات المركبة، أخبرها حسدها أن الوقت حاليًا يتجاوز منتصف الليل، وأصغى النشاط على المركبة والذي يتمثّل في الأصوات الإيقاعية الصادرة من الورشة الميكانيكية، والمحادثة المنفعلة بين هولدن وأليكس حول صيانة الأنظمة الإلكترونية،

وحتى جلوس براكسيديث بمفرده في المطبخ مشغلًا بصندوق من قصاصات الزراعة المائية. أضفى هذا النشاط جوًّا ليليًّا سرياليًّا للغاية.

فكَّرت في إرسال رسالة أخرى إلى الأميرال ساوثر، في حالته سيكون التأخُّر في الاتصال أقل بكثير، وشعرت أفاسارالا في ذلك الوقت برغبة جارفة في إرسال واستقبال الرسائل مع أيّ شخص. عندما استقبلت رسالة، وجدت أنها ليست رسالة تخصُّها.

قال أليكس عبر قناة الاتصالات العامة: "أيها القبطان، يجب أن تصعد إلى مركز القيادة لتُلقي نظرة عل هذا".

أدركت أفاسارالا من نبرة صوته أن هذا النداء لم يكن لأمرٍ يتعلَّق بمسائل الصيانة، حاولت أن تصعد إلى مركز القيادة باستخدام المصعد، لكن وجدت هولدن قد استقله بالفعل؛ لذلك قرَّرت تسلُّق السلم بدلًا من الانتظار. لم تكن هي الوحيدة التي استجابت للنداء، حيث وجدت بوبي جالسةً على مقعد احتياطي، وتنظر إلى الشاشة نفسها التي ينظر إليها هولدن. تم تمرير البيانات التكتيكية المتوهِّجة إلى الشاشة، كما عرضت عشرات النقاط الملتهبة التغييرات الجارية. لم تفهم أفاسارالا معظم ما رأته، لكن بشكلٍ عام، كان جوهر الرسالة واضحًا: بدأت المُدمِّرات في التحرُّك.

قال هولدن: "حسنًا، ما هذا الذي نراه؟"

أجاب أليكس: "انطلقت جميع مُدمِّرات الأرض في مستوى تسارع كبير يصل إلى ٦ (ج)."

تساءل: "هل يذهبون إلى آيو؟"

ردَّ أليكس: "لا، بالطبع لا".

كان هذا هو رد إيرنرايت عليها. لا رسائل، لا مفاوضات، ولا حتى إقرار بأنها طلبت منه كبح جماح نفسه. لا شيء سوى المركبات الحربية المُدمِّرة. داهمها اليأس للحظة واحدة، ثم حلَّ محله السخط.

قالت أفاسارالا: "بوبي؟"

أجابت الفتاة السحرية: "نعم، يا سيدتي".

سألت أفاسارالا. "هل تذكرين ما قلته عن عدم وعيي بالخطر الذي يلاحقني؟"

ردَّت بوبي. "نعم، عندما أخبرتِني بأنني لا أفهم قواعد اللعبة جيدًا، لماذا تسألين إذن؟".

أجابت أفاسارالا: "أظن أن هذا هو الوقت المناسب لإسقاط عبارة. سبق وأن أخبرتك بذلك، ولكن لم تسمعي لي".

الفصل الثاني والأربعون

هولدن

أمضى هولدن شهرًا في مختبر (ديمواند هيد) للحرب الإلكترونية في أواهو كأول مهمة عملية له بعد تخرُّجه من كلية الضباط، خلال ذلك الوقت أدرك أنه ليس لديه رغبة حقيقية في أن يعمل خبيرًا في الاستخبارات البحرية، كما اكتشف أنه لا يحب تناول طبق البوي على الإطلاق، ولكنه فُتن حقًّا بالنساء البولينيزيات، لقد كان مشغولًا جدًّا في ذلك الوقت لدرجة أنه لم يحاول مطاردة إحداهن، ولكنه كان يستمتع بقضاء لحظات فراغه القليلة في النظر إليهن على الشاطئ. منذ ذلك الحين، تولَّد لديه هوس جامح بالمرأة ممتلئة الجسم ذات الشعر الفاحم الطويل.

بدت الفتاة البحرية المريخية كواحدة من فتيات الشاطئ الجميلات الصغيرات اللواتي فُتن بهن، ولكن كان الأمر أشبه بأن شخصًا ما قام باستخدام برنامج تعديل الصور لزيادة الحجم إلى مائة وخمسين بالمائة عن الحجم الطبيعي. كانت تنتمي إلى عرقهن نفسه، وتملك عيونهن السوداء وشعرهن الفاحم الطويل، وكل شيء آخر، ولكن ما يميِّزها عنهن أنها كانت عملاقة. لقد أصابه ذلك بقصور في خلاياه العصبية. ظل المارد الذي يعيش في الجزء الخلفي من رأسه يقفز ذهابًا وإيابًا، يصرخ حينًا: "ارتبط بها"، ويصرخ أحيانًا: "ابتعد عنها"، أسوأ ما في الأمر أنها لاحظت ذلك. بدت وكأنها عرفت ما يدور برأسه، فقرَّرت بعد لحظات من لقائهما أنه لا يستحق سوى ابتسامة خافتة.

"هل تحتاج مني أن أكرِّر ذلك مرة أخرى؟" سألته بهذه الابتسامة المتكلّفة التي تسحر منه حيث جلسا معًا في المطبخ، وكانت قد بدأت تصف له أفضل طرق الاستخبارات المريخية في التعامل مع هذه المُدمِّرات الخفيفة من طراز مورو.

أجاب: "كلا". أراد أن يصرخ بأعلى صوته ويقول لها: "لقد سمعتك، أنا لست مراهقًا مهووسًا. لدي صديقة جميلة أرتبط بها؛ ولذا توقّفي عن معاملتي وكأنني فتى متلعثم يحاول استراق النظر إلى لباسك".

ولكن بعد ذلك، عاود النظر إليها مرة أخرى، وبدأ عقله الباطن في الارتداد ذهابًا وإيابًا بين الرهبة والانجذاب. وخذله مركز النطق لديه مجدّدًا.

أجاب مرة أخرى: "كلا"، وهو يُحدِّق في القائمة المنظَّمة بدقة التي أرسلتها الفتاة البحرية إلى جهازه اللوحي، أضاف قائلًا: "أعتقد أن هذه المعلومات... مفيدة للغاية".

رأى الابتسامة تتلاشى من زاوية عينيه، وركَّز باهتمامٍ أكبر على النظر إلى القائمة.

ردَّ بوبي: "جيد جدًّا، سأذهب الآن لأنال قسطًا من الراحة. بعد إذنك، بالطبع أيها القبطان".

أجاب هولدن بابتسامة: "منحتك الإذن، بالتأكيد يمكنكِ الذهاب للراحة، ليلة طيبة".

وقفت بوبي دون أن تتكئ على ذراعي الكرسي. لقد نشأت وترعرعت في جاذبية المريخ، كان عليها أن تكتسب مائة كيلوجرام في ١ (ج) بسهولة. بدت متفاخرة بنفسها، تظاهر هولدن بتجاهله إياه، بينما غادرت المطبخ.

قالت أفاسارالا عند دخولها المطبخ، وترمي بنفسها على الكرسي الشاغر منذ ثوانٍ قليلة: "إنها نبتة طيبة، أليس كذلك؟" نظر إليها هولدن، ورأى نوعًا مختلفًا من الابتسامة المتكلّفة. ابتسامة تشي بأن السيدة العجوز اطلعت على الحرب المشتعلة بمؤخرة رأسها، لكنها لم تكن امرأة بولينيزية عملاقة؛ لذلك يمكنه أن يُنفِّس عن خيبة أمله معها.

قال: "نعم، إنها مثيرة حقًّا، لكن ماذا سيفيد ذلك إذا كنا سنموت"

استنكرت أفاسارالا قائلةً: "ماذا؟"

أوضح هولدن: "نعم، عندما تلحق بنا تلك المُدمِّرات، هذا ما سيفعلونه بنا، سيقتلوننا، وسنموت. السبب الوحيد وراء عدم قيامهم بإمطارنا بالطوربيدات بالفعل هو أنهم يعرفون أن شبكة مدافع الدفاع النقطية الخاصة بنا يمكنها تحصيننا من أيّ شيء سيقذفونه علينا في هذا النطاق".

استندت أفاسارالا إلى كرسيها، وتنهّدت بحسرة، كما تحوّلت ابتسامته المتكلّفة إلى ابتسامة حزينة ولكنها صادقة.

قالت: "أعتقد أنه من المستحيل أن تجد امرأة عجوز كوبًا من الشاي الآن، أليس كذلك؟"

هزّ هولدن رأسه قائلًا: "أنا آسف للغاية، ولكن لا أحد من طاقم المركبة يشرب الشاي، ومع ذلك لدينا الكثير من القهوة هنا، إذا كنتِ ترغبين في أن أحضر لكِ فنجانًا".

ردّت: "في الواقع، أنا مُتعبة جدًّا؛ لذلك لا أمانع، ولكن ضع الكثير من الكريمة والسكر".

قال هولدن، وهو يصبُّ لها فنجانًا: "ماذا عن الكثير من السكر والكثير من بودرة التبييض بدلًا من الكريمة؟"

ردّت: "يبدو هذا مُقزّزًا، ولكنني سأتناوله على أيّ حال".

جلس هولدن، ومرّر إليها فنجان القهوة المحلّى بالكريم، بدأت ترتشف، ولكنها تجهّمت وتلوّت امتعاضًا بعد أول رشفة. بعد رشفة أخرى قالت: "اشرح لي كل ما قلته للتو".

كرّر هولدن: "تلك المُدمّرات ستقتلنا. تقول الرقيبة إنكِ رفضتِ تصديق أن مركبات الأمم المتحدة ستُطلق عليكِ النيران، لكنني أتفق معها، لقد تغافلتِ عن ذلك، وكانت هذه سذاجة".

ردّت أفاسارالا: "حسنًا، ولكن ما شبكة مدافع الدفاع النقطية؟"

حاول هولدن ألا يعبس، لقد توقّعت أشياء كثيرة من هذه المرأة، ولكنه لم يتخيلها بهذا الجهل الفادح.

"تتمثّل فكرة عمل مدافع الدفاع النقطية في أنه إذا أطلقت هذه المدمّرات علينا طوربيدات من هذه المسافة، فلن تواجه أجهزة الحواسيب المستهدفة في المدافع أي مشكلة في تدمير تلك الطوربيدات، وإسقاطها بعيدًا؛ لذلك سينتظرون حتى يقتربوا بما يكفي ليتمكّنوا من الإجهاز علينا. أعتقد أنهم سيحتاجون إلى ثلاثة أيام على الأقل".

قالت أفاسارالا: "فهمت الآن ما تقصده، ولكن ما خطتك؟"

أطلق هولدن ضحكة بلا روح. "خطتي؟ خطتي الوحيدة الآن هي أن أموت داخل كرة بلازمية مشتعلة بالحرارة. حرفيًّا لا توجد أيّ طريقة تُمكّن فرقاطة مثل (روسي) من محاربة ست مُدمِّرات خفيفة بفعالية، مركبتنا لا تنتمي إلى فئتهم نفسها، ربما يحالفنا الحظ إذا كنا نواجه مُدمِّرة واحدة فقط، ولكن ضد ست مُدمِّرات؟ مستحيل، لا فرصة للنجاة. سنموت".

قالت أفاسارالا: "لقد قرأت ملفك الاستخباراتي. سبق لك أن واجهت طرَّادة حربية تابعة للأمم المتحدة خلال حادثة إيروس".

ردَّ هولدن: "نعم، كانت طرَّادة واحدة. ولكن كنا متطابقين تقريبًا. لقد جعلتُ الطرَّادة تتراجع وقتها بتهديد المركبة العلمية غير المسلحة التي كانت ترافقها، لا يوجد تطابق الآن بأيّ حالٍ من الأحوال".

تساءلت: "إذن، ماذا كان سيقول جيمس هولدن سيئ السمعة في موقفه الأخير؟"

صمت هولدن لفترة وجيزة. ثم قال: "كان سيقول: نحن نعلم بالفعل ما يحدث. كل القطع مجتمعة أمامنا الآن. ماو كويك، وحوش الجزيء الأولي، المكان الذي أخذوا إليه الأطفال... كل شيء. يمكننا وضع جميع البيانات في ملف، ونبثّه إلى الكون بأسره. ما يزال بإمكانهم قتلنا إذا أرادوا ذلك، لكن يمكننا أن نجعله عملًا انتقاميًّا منهم حتى بعد مقتلنا. إنها طريقة أخيرة لمنع حدوث شيءٍ أسوأ".

ردَّت أفاسارالا: "لا".

قال هولدن: "لا؟ ربما تنسين المركبة التي أنتِ على متنها".

ردَّت أفاسارالا: "آسفة، هل يبدو لك أنني أهتم حقًّا إذا كانت هذه هي مركبتك؟ إذا كنت فعلت ذلك، فلأنني كنت مهذبةً فقط". ثم حدَّقت فيه قائلةً: "لن نترك النظام الشمسي يهلك بأكمله لمجرد أنك لا تجيد سوى طريقة واحدة لفعل الأشياء، هناك طرق أخرى كثيرة يمكن اتباعها".

عدّ هولدن في رأسه إلى عشرة، ثم سألها: "إذن، أخبريني ما خطتك؟"

رنّ جهاز أفاسارالا اللوحي إيذانًا بتسلم ملف، قالت وهي تنقر على شيءٍ ما على شاشة جهازها: "أرسل هذه البيانات إلى اثنين من الأميرالات التابعين للأمم المتحدة: ساوثر، وليكي. الأهم هو ساوثر؛ لأنني لا أحب لينكي، وهو ليس على اطلاع بالموضوع، لكنه بديل لساوثر، ويمكن أن يكون داعمًا جيدًا".

ردّ هولدن: "هل حقًّا تريدين أن يكون آخر ما أفعله قبل أن أُقتل على يد أميرال تابع للأمم المتحدة أن أُرسل كل المعلومات الحيوية التي أملكها إلى أميرال آخر تابع للأمم المتحدة أيضًا؟"

انحنت أفاسارالا إلى الأمام على كرسيها، وفركت صدغيها بأطراف أصابعها، وقد انتظر هولدن أن ترد عليه، بعد لحظاتٍ من الصمت، ردّت: "أنا منهكة، وأفتقد زوجي. أشعر بذراعيّ تتألمان من حقيقة عدم القدرة على معانقته الآن. أتعرف ما يعنيه ذلك؟"

أجاب هولدن: "نعم، أعرف بالضبط ما يعنيه هذا الشعور".

تابعت أفاسارالا: "لذلك، أريدك أن تفهم أنني أجلس هنا الآن، وأحاول التعايش مع فكرة أنني لن أراه مرة أخرى، ولن أرى أحفادي أو ابنتي للأبد. قال لي الأطباء ربما أعيش لمدة ثلاثين عامًا أخرى بصحة جيدة، وهو وقت كافٍ لرؤية أحفادي يكبرون أمامي، وربما عشت لأرى أبناء أحفادي بل وأحفادهم أيضًا. ولكن بدلًا من ذلك، سأُقتل على يد وغد حقير مثل الأميرال نجوين".

كاد هولدن أن يشعر بالثقل الهائل لتلك المُدمّرات الست التي تثقل كاهلهم، إنهم يشبهون رسل الموت. يشبه الأمر كما لو أن شخصًا ما دفع مسدسًا في ضلوعه من الخلف. أراد أن يهز المرأة العجوز، ويطلب منها أن تسرع وتخبره بما ستفعله الآن.

ابتسمت له أفاسارالا.

- "لن يكون آخر ما أفعله في حياتي أن أبعث بكل ما قاتلت من أجله إلى هؤلاء الأوغاد".

جاهد هولدن ليتغلّب على إحباطه، قام وفتح الثلاجة، قال لها: "هناك بعض أطباق حلوى البودينج المتبقِّية، هل أُحضر لكِ طبقًا؟"

قالت أفاسارالا: "لقد قرأت ملف التحليل النفسي الخاص بك. أعلم طريقتك الساذجة في التفكير حول أحقية كل شخص في الوصول إلى جميع المعلومات إلى آخر هذا الهراء. ولكن إلى أيّ مدى أنت مذنب في الحرب الأخيرة التي تدور رحاها؟ وما مقدار خطأ عمليات البث التي لا نهاية لها التي كنت تُرسلها للقراصنة الملعونين؟"

ردَّ هولدن: "هذا ليس خطئي. عندما تضع ذهاني يائس على الحبال فمن الطبيعي أن يقوم بأشياء ذهانية يائسة. أرفض منحهم حصانة تجعلهم يُفلتون من العقاب خوفًا من ردود أفعالهم. عندما تفعلون ذلك، ينتهي الأمر بهؤلاء الذهانيين اليائسين في مناصب رفيعة".

ضحكت أفاسارالا ضحكة صادقة ثم قالت: "أيّ شخص يفهم ما يجري الآن، هو على الأقل شخص يائس، وربما يكون ذهانيًا أيضًا، مع إمكانية أن يكون مصابًا ببعض اضطرابات الفصام أيضًا. اسمح لي أن أشرح لك كيف أرى الأشياء. إذا أخبرت الجميع بما يحدث، نعم، ستحصل على رد فعل قوي. وربما بعد أسابيع أو شهور، أو سنوات من الآن يتم إصلاح الأمور، ولكنك إذا أخبرت الأشخاص المناسبين فقط، فيمكن إصلاح الأمور الآن دون انتظار".

سار أموس وبراكس إلى المطبخ معًا. كان أموس يحمل تُرمسًا كبيرًا في يده، وتوَّجه مباشرة إلى ماكينة القهوة، تبعه براكس، وأخذ فنجانًا. ضيَّقت أفاسارالا عينيها، وقالت: "ربما حتى يمكنك إنقاذ تلك الفتاة الصغيرة".

صاح براكس على الفور: "مَي؟" ووضع الفنجان جانبًا، والتفت.

قال هولدن لنفسه، هذا ابتزاز عاطفي وضيع، ولا سيما عندما يصدر من امرأة سياسية.

أجابت أفاسارالا: "نعم، مَي، الأمر بسيط، أليس كذلك يا جيم؟ لن تكون هذه حملة صليبية لأغراض شخصية، ولكنها محاولة إنقاذ طفلة صغيرة من الأشرار.

بدأ هولدن يقول. "اشرحي لي كيف..."، ولكن أفاسارالا قاطعته، وواصلت حديثها.

"الأمم المتحدة ليست شخصًا واحد، إنها ليست حتى شركة واحدة. إنها ألف فصيلة صغيرة تافهة تقاتل بعضها بعضًا. صحيح أن الكرة أصبحت في ملعبهم الآن، ولكن هذا مؤقت، الانتصارات دائمًا مؤقتة. أعرف أشخاصًا يمكنهم التحرُّك ضد نجوين وعصابته. يمكنهم قطع الدعم عنه، وتجريده من المركبات التي يسيطر عليها كما يمكنهم التنديد به وبعصابته أمام محاكمة عسكرية إذا أعطيناهم الوقت الكافي. ولكن لا يمكنهم أن يفعلوا أيًا من ذلك إذا كنا نخوض حربًا ضد المريخ، وإذا ألقيت كل ما لديك في مهب الريح، وكشفت عن كل ما تعرفه، فلن يكون لدى المريخ الوقت للانتظار واستكشاف التفاصيل الدقيقة. لن يكون لديهم خيار سوى شن ضربة استباقية ضد أسطول نجوين، وقمر آيو، وما تبقَّى من جانيميد. بل الكون بأسره".

تساءل براكس: "آيو؟ لكن مَن..."...

قال هولدن: "ولذلك تريدين مني أن أقدِّم كل المعلومات إلى عصابتك السياسية الصغيرة مرة أخرى على الأرض، على الرغم من أن السبب الكامل وراء هذه المشكلة يتمثَّل في وجود تلك العصابات السياسية الصغيرة على الأرض".

ردَّت أفاسارالا: "أجل، ما قلته صحيح، ولكنني الأمل الأخير لديك، وعليك أن تثق بي".

قال هولدن: "لن أفعل، ما أعتقده أنكِ جزءٌ من هذه المشكلة، كما أعتقد أيضًا أنك تنظرين للأمور التي تجري على أنها مناورات سياسية وألعاب إظهار القوة. كل ما يهمك هو الفوز على خصومك فقط؛ لذلك لا، لن أثق بكِ على الإطلاق".

تدخَّل أموس قائلًا: "مهلًا، أيها القبطان!"، وأغلق الغطاء اللولبي للتُّرمس ببطء، ثم تابع: "لقد نسيتَ شيئًا".

ردَّ هولدن: "ما هو يا أموس؟ ما الذي أنساه؟"

أجاب أموس: "ألم يسبق لك أن قلت إنه يتعيّن علينا التصويت على مثل هذه الأشياء المهمة؟"

***

قالت ناعومي: "لا تعبس هكذا"، وقد جلست ممدودة على مقعد تصادم بجانب لوحة العمليات الرئيسية على سطح مركز القيادة، بينما جلس هولدن في الجهة المقابلة لها من الغرفة عند لوحة الاتصالات. لقد أرسل للتو ملف البيانات إلى اثنين من أميرالات الأمم المتحدة التي أشارت إليهما أفاسارالا. كان يميل إلى نشر هذه البيانات في بث عام، لكن الطاقم ناقش القضية، وصوَّتت الأغلبية على خطة المرأة العجوز. بدا موضوع التصويت فكرة جيدة عندما طرحها عليهم لأول مرة، ولكن الآن بعد أن خسر التصويت، تغيَّرت وجهة نظره، وندم على طرح هذه الفكرة. ولكنه -على أيِّ حال- لن يضطر إلى تحمُّل مرارة خسارة تصويت آخر مرة أخرى؛ لأنهم سيموتون جميعًا في غضون يومين.

قال هولدن: "إذا قُتلنا، ولم يستطع أميرالات أفاسارالا فعل أيِّ شيء بالبيانات التي أرسلناها إليهم للتو، فسيضيع كل ما فعلناه هباءً منثورًا".

ردَّت ناعومي: "هل تعتقد أنهم سيتجاهلون هذه البيانات، وسيضعونها طي النسيان؟

أجاب هولدن: "لا أعرف بالضبط ما سيفعلونه. لقد التقينا بهذه السياسية العجوز قبل يومين، وقد استولت بالفعل على المركبة، وأصبحت تدير كل شيء".

قالت ناعومي: "إذن، عليك إرسال هذه البيانات إلى شخص آخر أيضًا. شخص يمكنك الوثوق بأنه سيحفظ السر، ولن يشيع الخبر للعالم كله إلا إذا اتضح أن رجال الأمم المتحدة يعملون لصالح الفريق الخطأ".

ردَّ هولدن: "هذه فكرة جيدة حقًّا".

قالت ناعومي: "ربما فريد هو الشخص المناسب؟"

ضحك هولدن: "لا، إن فريد سيستخدم تلك البيانات كورقة سياسية يساوم بها. يجب أن يكون الشخص المختار شخصًا ليس لديه ما يكسبه أو يخسره إذا استخدم تلك البيانات. لا بُدّ لي من التفكير في الأمر جيدًا".

نهضت ناعومي، ومضت نحوه، ثم جلست في حِجْره، واحتضنته قائلةً: "وكلنا على وشك الموت. هذا يُعقِّد الأمر أكثر".

قال هولدن لنفسه: "لن نموت كلنا".

ثم قال بصوتٍ عالٍ: "ناعومي، اجمعي الطاقم، واستدعي الفتاة البحرية وأفاسارالا أيضًا. سنلتقي في المطبخ. أظن أنه يجب عليّ الإعلان عن بعض المسائل الجديدة. سألتقي بكم يا رفاق هناك في غضون عشر دقائق".

طبعت قبلة ناعمة على أنفه، وقالت: "حسنًا، سنكون هناك".

عندما اختفت عن الأنظار بعد أن نزلت على السلم، فتح هولدن خزانة قبطان المركبة، وجد في الداخل العديد من كُتيبات الشفرات القديمة جدًّا، ودليل لقانون البحرية المريخية، وسلاحًا جانبيًّا وخزنتين مليئتين بقذائف الهُلام الباليستية. أخرج السلاح، الذي كان عبارة عن بندقية، حمل هذه البندقية، ثم ربط الحزام والحافظة حول خصره.

عاد بعد ذلك إلى مركز الاتصالات، وأرسل حزمة بيانات أفاسارالا في رسالة ليزر من شأنها أن تعبر من سيريس إلى المريخ إلى القمر إلى الأرض عبر أجهزة التوجيه العامة. من غير المحتمل أن تُرفع أيّ إشارات حمراء. ضغط على زر تسجيل الفيديو وقال: "مرحبًا يا أمي. ألقِ نظرة على ما أرسلته لكِ للتو، واعرِضه على العائلة أيضًا. ليس لدي أيّ فكرة عن الوقت المناسب لاستخدام تلك المعلومات ونشرها، ولكن عندما يحين ذلك الوقت، افعلوا ما ترونه مناسبًا. أنا أثق بكم ثقة عمياء، وأحبكم بشدة".

قبل أن يتمكّن من قول أيّ شيءٍ آخر أو التفكير بشكلٍ أفضل في الأمر برمته، قام بالضغط على زر الإرسال، وإيقاف تشغيل وحدة التحكُّم.

استدعى المصعد؛ لأن ركوبه سيستغرق وقتًا أطول من تسلُّق السلم، وكان بحاجة إلى مزيد من الوقت للتفكير بالضبط فيما يجب القيام به خلال الدقائق العشر القادمة. وصل إلى سطح المركبة، ولكنه ما يزال غير متأكِّد تمامًا مما يجب عليه فعله، لكنه أرخى كتفيه، وسار إلى المطبخ على أيّ حال.

جلس أموس وأليكس وناعومي على جانب واحد من الطاولة، ورفعوا أبصارهم إليه عندما دخل، بينما جلس براك سيف مكانه المعتاد على الطاولة. اتخذت بوبي وأفاسارالا مكانهما على الجانب الآخر من الطاولة حتى يتمكّنا من رؤيته، ويكونا في

مواجهته. هذه الفتاة البحرية على بعد أقل من مترين منه، وليس بينه وبينها حاجز، إذا ساءت الأمور، فقد تصبح هذه مشكلة عويصة

وضع يده على مؤخرة البندقية في وركه للتأكُّد من أن الجميع رأوها ثم قال: "أمامنا حوالي يومين قبل أن تقترب عناصر من البحرية التابعة للأمم المتحدة من إغراق دفاعتنا بقذائف الطوربيد، وتدمير هذه المركبة".

أومأ أليكس برأسه، لكن لم يتحدَّث أحد.

- "ولكن لدينا زورق سباق ماو الذي حضرت به أفاسارالا، وهو مرتبط الآن بهيكل المركبة. إنه يتسع لشخصين؛ لذلك سندع شخصين منا يصعدان على متن هذا الزورق، ويبتعدان عنا. بينما سنستدير نحن ونتوَّجه مباشرة لمركبات الأمم المتحدة لنفدي هذا الزورق، ونكسب المزيد من الوقت. ومن يدري، قد نتمكَّن من تدمير إحدى تلك المُدمِّرات، ونأخذ معنا بعض هؤلاء الحثالة إلى الحياة الآخرة".

قال أموس: "يا إلهي، إنها مخاطرة مذهلة".

ردَّت أفاسارالا: "ليست فكرة سيئة، ولكن من هما الوغدان المحظوظان؟ وكيف نمنع مركبات الأمم المتحدة من تدمير الزورق بعد أن يُدمِّرون هذه المركبة؟"

أجاب هولدن على الفور، قبل أن يبادر أيّ شخصٍ بالكلام: "براكس وناعومي. هما من سيذهبان على متن هذا الزورق".

أومأ أموس برأسه، وقال: "حسنًا، أنا موافق".

سألت ناعومي وأفاسارالا في اللحظة نفسها: "ولكن لماذا؟"

أجاب هولدن: "براكس؛ لأنه الوجه المرئي لهذه المسألة برمتها، ولأنه الرجل الذي اكتشف كل شيء. كما أن هناك سببًا آخر وجيهًا وهو: عندما يتم إنقاذ ابنته الصغيرة أخيرًا، فسيكون من الرائع أن تجد والدها على قيد الحياة" ثم نقر بأصابعه على مؤخرة البندقية، وتابع: "أما ناعومي، فلمجرد أنني قلت ذلك، هل هناك أيّ اعتراض؟"

ردَّ أليكس: "لا اعتراض، أنا أوافق على ذلك أيضًا".

راقب هولدن وجه الفتاة البحرية من كثب. إذا قفز شخصٌ ما وحاول تجريده من بندقيته، فستكون هي بالطبع. كما أنها تعمل لصالح أفاسارالا، وإذا قرّرت السيدة العجوز أن تكون من بين الاثنين اللذين يصعدان على متن (رازورباك) عندما ينفصل الزورق عند المركبة، فستكون الفتاة البحرية هي الشخص الوحيد الذي يحاول إبعاد رعيتها، ولكن ما أدهشه أنها لم تتحرّك إلا لرفع يدها فقط.

قال هولدن: "تفضَّلي، أيتها الرقيبة".

قالت الفتاة البحرية: "اثنتان من تلك المركبات المريخية الست، التي تتخلّف عن مركبات الأمم المتحدة، هي طرّادات سريعة جديدة من فئة رابتور، ويمكنهم على الأرجح اللحاق بـ(رازورباك)، وتدمير هذا الزورق بسهولة إذا أرادوا ذلك حقًّا".

سأل هولدن: "هل يمكنهم أن يفعلوا ذلك حقًّا؟ اعتقدتُ فقط أنهم كانوا هناك لمراقبة مركبات الأمم المتحدة ولا شيء غير ذلك".

"حسنًا، هذا ممكن، لكن..."، ثم شرد ذهنها واحتبس لسانها في منتصف الجملة، ونظرت بعيدًا في الفضاء.

قال هولدن: "إذن، هذه هي الخطة. براكس وناعومي، احصلا على كل الإمدادات التي قد تحتاجان إليها، وانتقلا فورًا إلى (رازورباك)، أود أن ينتظر الباقون هنا أثناء قيامهما بذلك".

اعترضت ناعومي، وقالت بصوتٍ غاضب: "انتظر لحظة."...

قبل أن يتمكّن هولدن من الرد عليها، تحدّثت بوبي مرة أخرى:

- "مهلًا، أتعلم؟ لقد خطرت ببالي الآن فكرة..."

الفصل الثالث والأربعون

بوبي

لقد نسوا جميعًا شيئًا ما. خطر ذلك الشيء ببال بوبي، وأصبح على طرف لسانها، ولكنها لم تستطع التعبير عنه بدقة أول الأمر. وكان ما يدور بذهنها كالآتي: أصبح من المؤكَّد أن هذا الوغد الذي يُدعى نجوين على استعداد الآن لتدمير (روسينانت) على الرغم من حقيقة وجود سياسية رفيعة المستوى مثل أفاسارالا على متن المركبة. كانت أفاسارالا تُراهن على أن وجودها هنا سيؤدي إلى انسحاب المُدّمرات، ولكن يبدو أنها على وشك خسارة هذا الرهان. كانت مُدمِّرات الأمم المتحدة الست تتجه نحوهم من أجل تدميرهم.

ولكن هناك ست مركبات أخرى تتخلَّف عنهم. ومن بين هذه المركبات الست الأخرى -كما أشار هولدن- طرّادتان للهجوم السريع من فئة رابتور، وهي معدات عسكرية مريخية متطوِّرة قادرة على مواجهة المُدمِّرات التابعة للأمم المتحدة. وبجانب الطرّادتان كان هناك أربع مُدمِّرات مريخية، ولكن بوبي لا تعلم بالضبط ما إذا كانت تلك المُدمِّرات أفضل من نظيرتها التابعة للأمم المتحدة أم لا، ولكن يكفي وجود الطرّادتين في الجناح المريخي حيث تتمتّع الطرّادات بميزة كبيرة على مستوى الحمولة وقوة إطلاق النار. وكانت المركبات المريخية تتابع المشهد لترى ما إذا كانت مُدمِّرات الأمم المتحدة على وشك القيام بشيءٍ لتصعيد حرب إطلاق النار أم لا.

بالتأكيد لن يحرص المعسكر المريخي على قتل السياسية الوحيدة في الأمم المتحدة التي لا تتشوَّق إلى إشعال فتيل الحرب مع المريخ.

قالت بوبي دون أن تُفكِّر كثيرًا: "مهلًا، أتعلم؟ لقد خطرت ببالي الآن فكرة..."

خيّم الصمت على المطبخ.

ذكّر هذا الموقف بوبي باللحظة المحرجة التي سبق وأن مرت بها عندما تحدّثت في قاعة اجتماعات الأمم المتحدة وضيّعت مستقبلها العسكري في تلك اللحظة. نظر إليها القبطان هولدن -ذلك الفتى الوسيم ذو الأنا المتضخِّمة- نظرة فاحصة. لقد بدا وكأنه غاضب للغاية من قطع حبل أفكاره وسط هذا الصخب، كما حدّقت أفاسارالا بها أيضًا. ولكن بعد أن تعلّمت قراءة تعبيرات السيدة العجوز بشكلٍ أفضل، أدركت أن ما ارتسم على وجهها لم تكن لفتة غضب، بل نظرة فضول.

تنحنحت بوبي، وقالت: "حسنًا، هناك ست مركبات مريخية تتخلّف عن مركبات الأمم المتحدة، ولكن مركبات المريخية أفضل من حيث العتاد العسكري. أرى أن كلا الأسطولين في حالة تأهُّب قصوى".

لم ينبس أحد ببنت شفة، ولكن تحوَّل فضول أفاسارالا إلى عبوس.

تابعت بوبي: "لذلك أرى أن المركبات المريخية قد تكون على استعداد لدعمنا".

زاد عبوس أفاسارالا، وتساءلت في ضيق: "لماذا؟ أخبريني بالله عليكِ لماذا قد يبالي المريخ بحمايتي من التعرُّض للقتل على يد أسطولي اللعين؟"

- "ليس هناك خطأ فيما قلته، أليس كذلك؟"

ردَّ هولدن: "كلا، أنتِ محقة، هل يتفق معي الجميع؟"

سألت أفاسارالا: "ولكن من سيتحدَّث معهم؟ أنتِ؟ لأنك الخائنة؟"

نزلت الكلمات على بوبي مثل الصاعقة، ولكنها كانت تُدرك تمامًا ما تفعله السيدة العجوز، إنها تضرب بوبي بأسوأ رد يمكن أن يردَّه المريخيون عليها؛ لقياس رد فعلها تجاهه.

أجابت بوبي: "أجل، أنا من سأفتح باب التواصل معهم، ولكن سيتعيَّن عليكِ إقناعهم".

حدَّقت أفاسارالا فيها لمدة دقيقة، ثم قالت: "حسنًا".

***

قال القبطان المريخي: "كرِّر ذلك يا روسينانت". كان صوت الاتصال واضحًا كما لو كان الرجل يقف معهم في الغرفة، ما أربكه لم يكن جودة الاتصال، ولكن غرابة ما سمعه. أعادت أفاسارالا كل ما قالته ببطء وبحذر.

قالت أفاسارالا مرة أخرى: "هأنذا مساعدة وكيل الأمين العام لحكومة الأمم المتحدة الأرضية كريسجين أفاسارالا. أنا في مهمة حفظ السلام في نظام جوفيان التابع لكوكب المُشترِي، ولكنني الآن على وشك التعرُّض للهجوم من قبل عنصر منشق من القوات البحرية التابعة للأمم المتحدة؛ لذلك أطلب منك أن تنقذني. إذا قمت بذلك، سأكافئك بأن أجعل حكومتي تتوقَّف عن مهاجمة كوكبك".

ردَّ القبطان: "سأضطر إلى إرسال طلبك إلى رؤسائي"، وعلى الرغم من أنهم لم يستخدموا رابط فيديو للمحادثة، فإن الابتسامة كانت واضحة من صوته.

قالت أفاسارالا: "فلتتصل بمن تشاء الاتصال به، ولكن يجب أن تتخذ قرارًا قبل أن يبدأ هؤلاء الأوغاد في إمطاري بالصواريخ، حسنًا؟"

ردَّ القبطان: "سأبذل قصارى جهدي، يا سيدتي".

قطعت المرأة النحيلة -التي تُدعى ناعومي- الاتصال، واستدارت لتنظر إلى بوبي، وسألتها: "هل يمكن أن تشرحي لنا مرة أخرى لماذا تعتقدين أنهم سيساعدوننا؟"

أجابت بوبي، وهي تأمل أن تردَّ ردًّا مقنعًا لا يراه الآخرون هراءً: "كوكب المريخ لا يريد الدخول في حربٍ مع الأرض. وإذا اكتشفوا أن الصوت العاقل الوحيد في حكومة الأمم المتحدة يوجد على متن مركبة على وشك أن تُدمَّر على يد صقور الحرب الجارحة من الأرضيين، فمن المنطقي أن يتدخَّلوا".

قالت ناعومي: "يبدو نوعًا ما وكأنكِ تهذين بكلامٍ فارغ".

ردَّت أفاسارالا: "لقد منحتهم الإذن للتو بإطلاق النار على القوات البحرية التابعة للأمم المتحدة دون أيِّ تداعيات سياسية".

تدخَّل هولدن في الحوار: "حتى ولو ساعدونا، فلا توجد طريقة يمكنهم من خلالها منع مركبات الأمم المتحدة تمامًا من إطلاق النار علينا. نحن نحتاج إلى خطة مشتركة"

احتج أموس قائلًا. "ولكننا توصَّلنا إلى تلك الخطة اللعينة معًا".

قال هولدن: "ما زلت أعتقد أن الحل الأمثل هو أن يركب براكس وناعومي زورق (رازورباك)."

ردّت أفاسارالا: "لقد غيَّرت رأيي الآن، وبدأت أعتقد أن هذه فكرة سيئة"، تناولت رشفة من فنجان القهوة، وتجهّمت من مرارتها. لقد اعتدت تلك السيدة العجوز على تناول خمسة أكواب من الشاي يوميًا، وباتت تفتقد ذلك الآن.

قال هولدن: "اشرحي ذلك".

أجابت أفاسارالا: "حسنًا، إذا قرَّر المريخ الوقوف بجانبنا، فإن هذا يغير المشهد بأكمله في نظر مركبات الأمم المتحدة، وفقًا لحساباتي، فلن يمكنهُم التغلُّب على سبع مركبات معًا، إذا كنت أفهم الرياضيات بشكل صحيح".

قال هولدن: "حسنًا، تابعي".

تابعت أفاسارالا: "وهذا يجعل من مصلحتهم ألا يُطلق عليهم اسم "منشقين" في كتب التاريخ. إذا فشل نجوين في تحقيق مُخطَّطته، فإن كل فردٍ من أفراد عصابته سيخضع للمحاكمة العسكرية. أفضل ما يمكنهم فعله لمنع ذلك أن يتأكَّدوا من أنني لن أنجو من هذه المعركة، بغض النظر عمن يفوز".

ردَّت ناعومي: "مما يعني أنهم سيطلقون النار على (روسي)، وليس الزورق".

قالت أفاسارالا ضاحكةً: "بالطبع لا؛ لأنني بالتأكيد لن أكون في الزورق. هل فكرت للحظة أنهم سيصدقون أنك تحاول يائسًا حماية مركبة هروب لم أركبها؟ كما أنني أراهن على أن (رازورباك) لا يحتوي على مدافع الدفاع النقطية التي كنت تتحدَّث عنها يا هولدن، أليس كذلك؟"

أخذت الدهشة بوبي عندما أومأ هولدن برأسه بينما كانت أفاسارالا تتحدَّث. لقد بدأت في التفكير فيه على أنه يعرف كل شيء، وأوشكت على أن تُعجب بأفكاره.

ردّ هولدن: "نعم، أنتِ محقةٌ تمامًا سيقذفون بكل الصواريخ التي لديهم على (رازورباك)، وهي تحاول الهروب، ولن يكون هناك مدافع للدفاع عنها".

قالت ناعومي بحسرة: "مما يعني أننا سيتعين علينا أن نعيش جميعًا أو نموت جميعًا على متن هذه المركبة، وأن الأمور ستبقى على طبيعتها".

كرَّر هولدن: "مرة أخرى، نحن نحتاج إلى خطة مشتركة"

قالت بوبي بحماس بعد أن تحوّلت المحادثة إلى موضوع تعرفه جيدًا: "الطاقم صغير جدًّا، كيف توزِّعون المهام عادة؟"

أجاب هولدن: "هذه هي مسؤولة العمليات"، وأشار إلى ناعومي، "كما أنها تعمل في مجال الحرب الإلكترونية والتدابير الدفاعية. وبالنظر إلى أنها لم يسبق لها أن عملت في هذا المجال قبل أن نحصل على هذه المركبة، فهي تبدو موهوبة جدًّا، وتفعل ذلك ببراعة شديدة".

أشار هولدن إلى أموس قائلًا: "هذا هو الميكانيكي..."

قاطعه أموس قائلًا: "قرد ميكانيكي مُلطَّخ بالشحم. أفعل ما بوسعي للحفاظ على المركبة من الانهيار عندما تتعرَّض لأيّ ثقوب".

أضاف هولدن: "وأنا عادةً ما أدير المعارك من مركز القيادة".

سألت بوبي: "ومن هو المدفعي؟"

أجاب أليكس مُشيرًا إلى نفسه: "هنا".

- "هل أنت المسؤول عن قيادة المركبة وتحديد الأهداف أيضًا؟ هذا مثير للإعجاب حقًّا".

اغمقَّت بشرة أليكس الداكنة أصلًا. وبعدما كانت لكنته المريخية العالية مزعجة، أصبحت الآن ساحرة، كما بدا وسيمًا حينما احمرَّت وجنتاه خجلًا. "في الحقيقة لا. القبطان، بشكلٍ عام، هو الذي يُحدِّد الأهداف من مركز القيادة، لكن أنا من يُطلق النيران على الأهداف المُحدَّدة".

التفتت بوبي إلى هولدن، وقالت: "حسنًا، ها أنت ذا. هل بإمكانك تمكيني من تولِّي ذلك".

قال هولدن: "بالطبع لا أقصد الإساءة أيتها الرقيبة، ولكن..."

قاطعته بوبي قائلةً: "مدفعية، رقيبة مدفعية"

أومأ هولدن برأسه: "نعم مدفعية، حسنًا، ولكن هل أنت مُؤهَّلة حقًّا لتولِّي السيطرة على أسلحة المركبة؟"

قرّرت بوبي ألا تأخذ سؤاله على محمل الإساءة إليها، وبدلًا من ذلك ابتسمت ابتسامةً عريضة، وقالت: "لقد رأيت درعك وأسلحتك التي كنت تحملها في غرفة معادلة الضغط. كما عثرت على حزمة هجوم في غرفة التخزين، أليس كذلك؟"

تساءلت أفاسارالا باستغراب: "ماذا تقصدين بحزمة الهجوم تلك؟"

أجابت بوبي: "حزمة هجوم محمولة وهي عبارة عن معدات هجومية لمشاة البحرية. إنها ليست جيدة مثل درعي الاستطلاعي، ولكنها مجهَّزة بالكامل لنصف دزينة من جنود المشاة".

ردَّ هولدن: "نعم، وجدناها هنا في المركبة".

تابعت بوبي: "لقد وجدتَها هنا؛ لأن هذه مركبة حربية سريعة متعددة الاستخدامات، يمكن استخدامها كقاذفة طوربيدات، كما يمكن استخدامها لنقل فرق الصعود البحري. رتبتي كرقيبة مدفعية في البحرية المريخية لها معنى محدَّد للغاية".

قال أليكس: "هذا صحيح. هذا يشبه العمل كأخصائي معدات عسكرية".

قالت بوبي: "عملي كرقيبة مدفعية يفرض عليّ أن أتقن جميع أنظمة الأسلحة التي قد تحتاج إليها فصيلتي في أثناء عملية الانتشار، بما في ذلك أنظمة الأسلحة على مركبة حربية مثل هذه المركبة".

بدأ هولدن يقول: "أنا أرى..."، لكن بوبي قاطعته بإيماءة: "دعني أتولَّى عمل المدفعي على هذه المركبة".

***

مثل معظم الأشياء في حياة بوبي، كان مقعد المدفعي المسؤول عن إطلاق الأسلحة مُصمَّمًا لشخص أصغر منها حجمًا. بينما انغرز حزام المقعد المُكوَّن من خمس نقاط في وركها وكتفيها. وبالرغم من أنها ابتعدت قليلًا، فإن وحدة التحكُّم في الأسلحة كانت قريبة جدًّا منها لاستيعاب ذراعيها بشكلٍ مريح سيئًا على مقعد التصادم أثناء جلوسه على المقعد. ستكون هذه مشكلة حقًّا إذا اضطروا إلى المناورة بسرعة عالية، وهو ما سيحدث بالطبع بمجرد بدء المعركة.

لقد دسّت مرفقيها في أقرب مكان ممكن حتى لا تنزلق ذراعاها من ماخذهما كما ململت الحزام قليلًا؛ لإحكامه عليها حتى لا يتملّت عندما يتعيّن عليهم الانطلاق بسرعة أكبر.

قال أليكس من مقعده خلفها: "مهما يحدث، سينتهي هذا سريعًا، ربما لن يكون لديك الوقت للشعور بالضيق والانزعاج".

ردَّت: "هذا مطمئن".

تحدَّث هولدن عبر قناة اتصالات المركبة: "لقد انتقلنا الآن إلى مرمى النيران. يمكنهم أن يطلقوا النار علينا على الفور أو بعد عشرين ساعة من الآن؛ لذا اربطوا الأحزمة جيدًا، ولا تستخدموا أجهزة الاتصال إلا إذا حدث طارئ يُهدِّد حياتكم، أو بناءً على أمرٍ مباشرٍ مني. أتمنى أن يكون الجميع قد وضعوا القسطار بالشكل الصحيح".

ردَّ أموس: "إن القسطار الخاص بي ضيق للغاية".

سمعت أليكس يتحدَّث خلفها، ثم تردَّد صدى صوته لاحقًا عبر قناة الاتصالات: "إنه قسطار الواقي الذكري، يا صاح، ليس عليك أن تضعه في أيّ مكان آخر من جسمك".

لم تتمالك بوبي نفسها من الضحك، ورفعت إحدى يديها للخلف كي يصافحها أليكس.

قال هولدن: "هل لدينا الضوء الأخضر عن جميع أنظمة مركز القيادة؟ أرجو تأكيد ذلك!"

ردَّ أليكس: "لدينا الضوء الأخضر عن أجهزة التحكُّم في الطيران"، ثم قالت ناعومي: "لدينا الضوء الأخضر على جميع الإلكترونيات هنا"

قال أموس: "نحن جاهزون الآن".

أضافت بوبي: "جميع الأسلحة جاهزة للانطلاق". حتى في هذه الحالة التي كانت عليها، وهي مربوطة في مقعد أصغر من حجمها بمقاسين على الأقل، وفي مركبة حربية مريخية مسروقة يقودها أحد أكثر الرجال المطلوبين في الكواكب الداخلية، إلا أنها شعرت بالرضا والسعادة حقًّا أنها هنا الآن. كادت أن تصرخ فرحًا، ولكنها بدلًا من

ذلك استجابت لإنذار هولدن الذي ظهر على الشاشة. لقد قام القطان بالفعل بتحديد مُدمّرات الأمم المتحدة الست التي تلاحق المركبة. وضعت بوبي علامة على المركبة الرائدة، وانتظرت أن تُوفِّر لها (روسينانت) خيارًا مُخصّصًا لاستهدافها. قدّرت (روسي) احتمالات إصابة تلك المركبة بأقل من ٠,١ بالمائة. انتقلت من ذلك الهدف إلى هدف آخر، ونظرت إلى أوقات الاستجابة والتحكُّم في الضوابط. نقرت على زرٍّ لإظهار بيانات الهدف، وعاينت مواصفات مُدمّرات الأمم المتحدة.

عندما شعرت بالملل من قراءة مواصفات المركبة، فتحت الشاشة التكتيكية؛ لترى نقطة خضراء صغيرة تتبعها ست نقاط حمراء أكبر قليلًا، والتي بدورها تلاحقها ست نقاط زرقاء. كان ذلك خاطئًا في نظرها. يجب أن تكون نقاط المركبات الخاصة بأبناء الأرض زرقاء، بينما تكون نقاط المركبات الخاصة بالمريخيين حمراء؛ لذا أمرت أنظمة التحكُّم في (روسي) بتغيير أنماط الألوان. توجَّهت (روسي) نحو المركبات التي تلاحقها. وعلى الخريطة، بدا أن المركبات في طريقها للتصادم بعضها ببعض، ولكن في الواقع، بدأت (روسي) في التباطؤ حتى تسمح لمركبات الأمم المتحدة بالاقتراب منها بشكلٍ أسرع. اندفعت المركبات الثلاث عشرة -التي شاركت في هذا الاشتباك- نحو الشمس، ولكن (روسي) حلّت في المقدمة.

ألقت بوبي نظرة خاطفة على الوقت، ورأت أن العبث بأدوات التحكُّم لم يُسهم سوى في تزجية أقل من خمس عشرة دقيقة. قالت: "أنا أكره انتظار القتال".

ردَّ أليكس: "وأنا كذلك يا أختي العزيزة".

سألت بوبي، وهي تنقر على وحدة التحكُّم الخاصة بها: "هل يمكننا ممارسة أيّ ألعاب بخصوص هذا الهراء".

أجاب أليكس: "نعم، أختلس النظر بعيني الصغيرتين، وأنظر إلى شيءٍ يبدأ بحرف م، ما هو؟"

قالت بوبي: "أهم شيء يبدأ بحرف م؟ مُدمّرة".

ردّ أليكس: "تخمين جيد، جاء دورك الآن".

قالت روبي بضيق: "هناك أيضًا أشياء يمكن النظر إليها: ست قاذفات، وثمانية مدافع دفاع نقطية، ومدفع كهرومغناطيسي مثبت على عارضة".

ثم أضافت بضيق: "لشد ما أكره انتظار القتال".

***

عندما اشتعل فتيل المعركة، اشتعل بشكلٍ مفاجئ. كانت روبي تأمل أن يكون هناك بعض الطلقات الاستقصائية التي تسبق المعركة مثل إطلاق بعض الطوربيدات من أقصى مدى؛ للتأكُّد من أن طاقم (روسينانت) لديه سيطرة كاملة على جميع أنظمة الأسلحة، وللتحقُّق من جاهزية جميع أنظمة المركبة للمعركة.

ولكن بدلًا من ذلك، اقتربت مركبات الأمم المتحدة، وأغلقت الطريق أمام مركبة (روسي) ليضطر أليكس إلى الضغط على الفرامل لمواجهتها. شاهدت بوبي مركبات الأمم المتحدة وهي تقترب أكثر فأكثر من الخط الأحمر على شاشة عرض التهديدات. يمثل هذا الخط الأحمر نقطة الدفاع الخاصة بـ (روسي)، والتي يُحتمل أن تُمطَر بوابلٍ من طوربيدات المركبات الست. وفي الوقت نفسه، اقتربت المركبات المريخية الست من الخط الأخضر على شاشة العرض، والذي يمثل النطاق الأمثل لإطلاق النار على مركبات الأمم المتحدة. كان الأمر أشبه بلعبة الرجل الأعمى الذي يصطاد الدجاج حيث انخرطت جميع الأطراف في مواجهة غير مجدية، لا يمنعهم من التراجع عنها سوى الكبرياء؛ لذلك انتظر الجميع ليروا من سيتراجع أولًا.

قام أليكس بمناورة التباطؤ؛ لمحاولة التأكُّد من دخول المريخيين النطاق قبل أن تبادر مركبات الأرض بمهاجمتهم. وعندما بدأت عملية إطلاق النار، ضغط على دواسة الوقود وحاول التحرُّك عبر منطقة القتال النشطة بأسرع ما يمكن. كان هذا هو السبب في مواجهة مركبات الأمم المتحدة في المقام الأول؛ لأن الفرار سيُبقيهم في نطاق أطول بكثير.

في تلك اللحظة، عبرت إحدى النقاط الحمراء طرَّادة مريخية سريعة الهجوم الخط الأخضر، وانطلقت الإنذارات في جميع أرجاء المركبة

قالت ناعومي: "تحرَّك سريع! لقد أطلقت الطرّادة المريخية ثمانية طوربيدات!"

كان بإمكان بوبي رؤيتهم. تحوّلت النقاط الصفراء الصغيرة إلى اللون البرتقالي بمجرد التسارع ردت مركبات الأمم المتحدة على الفور حيث استدارت بصف المُدمّرات لمواجهة مركبات المريخ التي تلاحقهم، وفتحوا المدافع الكهرومغناطيسية والمدافع النقطية. امتلأت المساحة بين الطرفين على شاشة العرض التكتيكي بالنقاط الصفراء والبرتقالية.

صاحت باعومي: "انتبهوا! ستة طوربيدات في مسار تصادم!"

بعد نصف ثانية، ظهرت معلومات المتجه وسرعة الطوربيدات على شاشة التحكُّم في المدافع النقطية الخاصة بـ بوبي، كان هولدن مُحقًّا عندما قال إن الفتاة الحزامية النحيفة موهوبة جدًّا وتفعل مهامها العملية ببراعة. إنها تمتلك ردة فعل سريعة تُحسد عليها. وضعت بوبي علامة على جميع الطوربيدات الستة باستخدام أدوات التحكُّم في مدافع الدفاع النقطية، وبدأت المركبة تهتز على إيقاع إطلاق القذائف من المدافع بشكلٍ متقطّع.

صاح أليكس: "استعدوا!"، وشعرت بوبي بأن مقعدها يحقنها بنصف دزينة من الإبر؛ ليسري البرد في عروقها، ولكنها سرعان ما أحست بعد ذلك بحرارة في جسدها. هزت رأسها لتحافظ على بصرها من ضبابية الرؤية. وتحدث أليكس مرة أخرى: "ثلاثة... اثنان..."

لم تسمعه يقول "واحد" مطلقًا. تحطّمت (روسينانت) من الخلف؛ لتُسحق بوبي في مقعد التصادم الذي تجلس عليه. تذكَّرت في اللحظة الأخيرة أن تحافظ على وضع مرفقيها بشكلٍ صحيح تجنبًا لكسر ذراعيها بسبب شدة التسارع بمعدل ١٠ (ج).

اختفت من شاشة عرض التهديدات الموجة الأولية المُكوَّنة من ستة طوربيدات التي تم إطلاقها عليهم واحدًا تلو الآخر عندما تعقَّبتهم (روسي)، وأطلقت عليهم النار. كان هناك المزيد من الطوربيدات في الهواء، ولكن الجناح المريخي استطاع أن يخترق صفوف المُدمِّرات الأرضية، وأصبح الفضاء المحيط بالمركبات مزيجًا من نفاثات مُحرِّكات القيادة والانفجارات الهائلة

أصدرت بوبي توجيهاتها لطاقم (روسي) بأن يستهدفوا فقط أيّ مركبة في المتجه القريب منهم، ثم يتركوا باقي الأمر على العناية الإلهية وعلى تلك الفتاة المريخية التي ستتولّى إطلاق النار على أيّ مركبة تقترب باستخدام المدافع النقطية

قامت بوبي بتحويل إحدى شاشات العرض الكبيرة لإظهار الكاميرا الأمامية بحيث تُصبح بمثابة نافذة على المعركة. رأت السماء أمامها مليئة بالومضات البيضاء الساطعة، وسُحب الغاز المتوسّعة نتيجة انفجار الطوربيدات. انتبهت مركبات الأمم المتحدة أخيرًا إلى أن المركبات المريخية تمثل تهديدًا حقيقيًّا عليهم، وأنهم جميعًا اتحدوا على مواجهة مركبات الأرض. نقرت بوبي على عنصر من عناصر التحكُّم؛ لوضع علامة تهديد على صورة الفيديو، وفجأة امتلأت السماء بنقاط ضوئية سريعة الحركة بشكلٍ لا يُصدق بينما كان حاسوب المركبة يُحدِّد مسار كل طوربيد وقذيفة.

اتجهت (روسي) بأقصى سرعتها إلى مُدمّرات الأمم المتحدة من أجل استهداف قذفهم، وانخفضت قوة التسارع إلى ٢ (ج)، وصاح أليكس:

- "ها نحن ذا".

فتحت بوبي نظام استهداف الطوربيد، ووضعت علامة على مخاريط مُحرّكات اثنين من المركبات، وقالت وهي تُطلق أولى قذائفها: "سنضرب عصفورين بحجرٍ واحد". أضاءت نفاثات المُحرّك السماء مع إطلاق القذيفة. وتحوّل مؤشر الاستعداد لإطلاق النار إلى اللون الأحمر عندما أعادت المركبة تحميل القذائف. كانت بوبي بالفعل تختار مخاريط المُحرّكات لمركبتي الأمم المتحدة التاليتين. وفي اللحظة التي تحوّل فيها المؤشر إلى اللون الأخضر، أطلقت قذيفتين معًا. بعد ذلك، استهدفت آخر مُدمّرتين، ثم تحقّقت من تقدُّم طوربيداتها السابقة. وبعد التأكُّد، أطلقت على المُدمّرات القذائف من مؤخرة المدافع النقطية، ولكنها فُوجئت باندفاع موجة من النقاط الضوئية سريعة الحركة نحوهم. قام أليكس بتدوير المركبة للخروج من مسار الصواريخ. لكن ذلك لم يكن كافيًا. انطلق بوق كهربائي تحذيري، وأُضيئت قمرة القيادة بضوء أصفر اللون.

قال هولدن بصوتٍ هادئ: "نحن نتعرّض للهجوم يا رفاق، سوف يتم إزالة الضغط الجوي. أتمنى أن يرتدي الجميع خوذته بإحكام".

عندما أغلق هولدن نظام تشغيل الهواء من المركبة، تلاشت الأصوات حتى أصبحت بوبي لا تسمع سوى صوت أنفاسها وذلك الطنين الخافت لقناة الاتصالات العامة، الذي يتردّد في سماعة رأسها.

قال أموس عبر قناة الاتصالات: "هذا عجيب! ثلاث ضربات، قذائف صغيرة، ربما كانت من قذائف المدافع النقطية، لقد مروا بنا دون إصابة أيّ شيءٍ مهم".

ردَّ العالم براكس: "لقد مرقت قذيفة من مقصورتي".

قال أموس ساخرًا: "أراهن أن هذا أيقظك من سباتك العميق".

أجاب براكس بصوتٍ يخلو من الهزل: "لقد بلَّلتُ سروالي من فرط الرعب".

أمر هولدن الجميع بالتزام الصمت دون عصبية: "رجاءً، لا تستخدموا قناة الاتصالات الآن".

سمحت بوبي للجزء العقلاني أن يتقافز في دماغها ذهابًا وإيابًا. لم تستخدم هذا الجزء منذ وقتٍ طويل، بل اكتفت مؤخرًا باستخدام الجزء المسؤول عن تحديد الأهداف وإطلاق الطوربيدات، ها هو المارد الذي يعيش في الجزء الخلفي من رأسها يعود من جديد الآن.

لم تستطع معرفة عدد الطوربيدات التي أطلقتها عندما أومض وميضٌ هائل من الضوء لدرجة أن شاشة الكاميرا تعتّمت لثانية واحدة. عندما عادت الصورة، رأت إحدى مُدمّرات الأمم المتحدة تتمزّق إلى نصفين، حيث انفصلت أجزاء من الهيكل بعيدًا بعضها عن بعض، مُخلّفةً وراءها سحابة خافتة من الغاز والحطام. من المُؤكّد أن بعض الأشياء التي شاهدتها تتطاير بعيدًا عن المركبة المُحطَّمة هي قوات بحرية تابعة للأمم المتحدة. تجاهلت بوبي ذلك، ولكن ابتهج المارد في الجزء الخلفي من رأسها.

أدّى تدمير أول مركبة تابعة للأمم المتحدة إلى قلب الموازين، وفي غضون دقائق قليلة، تعرّضت المُدمّرات الخمس الأخرى إلى أضرارٍ جسيمة حتى تحطّمت أجزاء منها. أرسل قبطان إحدى تلك المركبات نداء استغاثة، وأشار على الفور إلى الاستسلام.

نظرت موبي إلى شاشتها. لقد دُمّرت ثلاث مركبات تابعة للأمم المتحدة، ولحقت بالثلاث الأخرى أضرارٌ جسيمة. فقد المريخ مُدمّرتين، وتضرّرت إحدى الطرّادات بشدة (أُصيبت (روسينانت) بثلاث قذائف تسبَّبت في ثقوب مما نتج عن ذلك خروج الهواء من المركبة، ولكن دون الإصابة بأيّ أضرار أخرى فادحة.

إذن، لقد ربحنا المعركة!

قال أليكس: "يا إلهي! أيها القبطان، يجب أن نضمها إلينا".

استغرق الأمر من بوبي دقيقة حتى تُدرك أنه كان يتحدَّث عنها.

***

قالت أفاسارالا للقبطان المريخي: "أعرب لك عن جزيل شكري وامتناني بالنيابة عن حكومة الأمم المتحدة. أو على الأقل بالنيابة عن ذلك الفصيل من الحكومة الذي يخضع لإمرتي. نحن في طريقنا إلى آيو لتدمير المزيد من المركبات الأخرى، وإذا استطعنا ذلك، لربما تمكّنا من إيقاف نهاية العالم التي تزحف إلينا. هل تريد المجيء معنا إلى هناك؟"

فتحت بوبي قناة اتصال خاصة مع أفاسارالا.

- "الآن، أصبحنا جميعًا خونة".

ضحكت السيدة العجوز وقالت: "هذا إذا خسرنا فقط".

الفصل الرابع والأربعون

هولدن

من الخارج، كان الضرر الذي لحق بـ (روسينانت) بالكاد ملحوظًا. أصابت قذائف المدافع النقطية الثلاث التي أطلقتها إحدى مُدمِّرات الأمم المتحدة الجزء الأمامي من عنبر المرضى، كما نفذت قطريًا عبر المركبة لتخرج من الورشة الميكانيكية المُكوَّنة من طابقين في الأسفل. وفي الطريق مرت إحدى القذائف عبر ثلاث مقصورات في سطح المركبة.

توقَّع هولدن أن يجد عالِمِ النبات الضئيل وقد صار حُطامًا، خاصةً بعد ردّه المؤسف على أموس الذي قال فيه أنه بلَّل سرواله من فرط الرعب، ولكن عندما تفقَّد هولدن أحواله بعد المعركة، تفاجأ من حالة اللامبالاة التي تُخيِّم على هذا العالِم.

كل ما قاله ببساطة: "كان ذلك شيئًا مخيفًا للغاية". من السهل أن تُمحى صدمة تلك القذيفة من رأسه مقارنةً بكل ما مرَّ به حيث تم اختطاف ابنته، وأعقب ذلك شهور من العيش في جانيميد حيث انهار النسيج الاجتماعي وعمَّ الخراب على المحطة. كما كان من السهل أيضًا التفكير في هدوء براكس باعتباره مقدمة لانهيار عقلي وعاطفي كامل. يعلم الله وحده أن هذا الرجل فقد عقله مرات عديدة من هول ما عايشه. فقد كان ينتقل من سيئ إلى أسوأ. لكن هولدن يعلم أنه على الرغم من كل تلك النوائب، فإن براكس كان نموذجًا مثاليًا. لقد امتلك هذا الرجل قوة جبارة تجعله يواصل الحياة، ويستمر فيما يبحث عنه دون هوادة. حتى ولو عانده الدهر، وأصرَّ على إمطاره بالدواهي داهيةً تلو الأخرى، إلا أنه لم يستسلم بعد. وكأنه آل على نفسه، إذا لم تنتهِ حياته، فسيجاهد للنهوض مجدَّدًا، ويزحف نحو هدفه المنشود. بات من المؤكّد لدى هولدن الآن أن هذا الرجل كان عالمًا جليلًا جدًّا؛ لأن من يفتخر بانتصاراته الصغيرة ولا تردعه النكسات، لا بُدّ أن يثابر حتى يصل إلى غاية مرامه.

الآن، بعد ساعاتٍ فقط من تمزُّق الطوافق السفلية إلى نصفين بواسطة قديمة عالية السرعة، بدأ براكس يساعد ناعومي وأفاسارالا في عملية سدّ الثقوب داخل المركبة. من دون أن يسأله أحد المساعدة، نهض من سريره ونزل من مقصورته لتقديم يد العون.

وقف هولدن أمام أحد الثقوب الناتجة عن مرور قذيفة بالهيكل الخارجي للمركبة، حيث أحدثت القذيفة الصغيرة ثقبًا دائريًّا تمامًا، بينما تركت باقي السطح المعدني دون مساس. لقد اخترقت القذيفة الهيكل المصنوع من خليط معدني مشدود بسرعة كبيرة بمقدار خمسة سنتيمترات لدرجة أنها لم تتسبَّب حتى في انبعاج الهيكل.

قال هولدن: "حدَّدتُ مكان الثقب، لا منفذ للضوء؛ لذلك يبدو أنه يجب ترقيعه من الداخل".

قال أموس: "أنا قادم إليك"، ثم اندفع تجاه الهيكل على حذاء مُمغنط، وحمل في يده مكواة لحام. تبعته بوبي بدرعها المذهل الذي يعمل بالطاقة، وهي تحمل صفائح كبيرة من مواد الترقيع.

بينما تعاون أموس وبوبي في سد الثغرة الخارجية للهيكل، تجوَّل هولدن بحثًا عن ثقوب أخرى في المركبة. ومن حوله أخذت المركبات الحربية المريخية الثلاث المتبقِّية تحوم حول (روسينانت) مثل حراس الشرف. مع تعطيلهم للمُحرِّكات، بدت تلك المركبات كبقع سوداء صغيرة تتحرَّك في ضوء بحر من النجوم. حتى مع إخبار (روسي) لبدلته بمكان وجود المركبات، وعلى الرغم من توجيهات شاشة العرض، فإنه لم يستطع رؤيتهم.

تتبَّع هولدن طرَّادة المريخ على شاشة عرض المعلومات الخاصة به حتى مرت عبر البقعة الساطعة لمسير الشمس في مجرة درب التبانة. للحظة، كانت المركبة بأكملها عبارة عن صورة ظلية سوداء مُؤطّرة بالوهج الأبيض القديم لبضعة مليارات من النجوم. ظهر مخروط بخار من اللون الأبيض الشفاف حول جناح المركبة، وانجرف مرة أخرى إلى اللون الأسود المُرقَّط بالنجوم. تمنّى هولدن لو كانت ناعومي تقف بجانبه الآن، وتنظر إلى تلك المشاهد المذهلة التي تبعث في النفس لذة عجيبة .

وبدلًا من ذلك، قال لها عبر القناة الخاصة بها: "إن أشد ما يجلب عقلي ما أراه الآن".

ردّت عليه: "هل تعيش أنت أحلام اليقظة الرائعة بينما تترك الآخرين يقومون بالعمل الشاق هنا؟"

"نعم، أعيش أحلام اليقظة. الكثير من هذه النجوم تسبح في أفلاكها. هناك عوالم أخرى غير عالمنا، ملايين العوالم. خمسمائة مليون كوكب صالح للحياة وفقًا لآخر التقديرات. هل تعتقدين أن أحفاد أحفادنا سيرون أيًّا من هذه الكواكب؟"

استنكرت: "أحفادنا؟"

ردَّ هولدن: "نعم، عندما ينتهي هذا".

قالت ناعومي: "فكِّر في الأمر، إن واحدًا من تلك الكواكب هو المكان الذي يعيش عليه مبدعو الجزيء الأولي. ربما يجب علينا تجنُّب ذلك الكوكب بالتحديد".

ردَّ هولدن: "دعيني أحدِّثك بصراحة، هذا الكوكب بالتحديد هو ما أود رؤيته، أريد أن أرى من صنع ذلك الشيء؟ وما هذا الذي يحدث كله؟ أود أن أتمكَّن من طرح كل هذه الأسئلة. على الأقل، فإنهم يشاركوننا الدافع البشري للعثور على أماكن صالحة للحياة. قد يكون لدينا قواسم مشتركة أكثر مما نعتقد".

قالت ناعومي: "لا تنسَ أنهم -قبل القيام بذلك- يقتلون من يعيش هناك".

استنشق هولدن أنفاسه، وقال: "هذا ما نفعله دائمًا منذ اختراع الرمح، المشكلة أنهم بارعون في ذلك لدرجة مخيفة".

سأل أموس عبر قناة الاتصالات العامة: "هل عثرت على الثقب التالي بعد؟" مثَّل صوته اقتحامًا غير مُرحَّب به للمحادثة الخاصة بينهما. توقَّف هولدن عن النظر إلى السماء، وعاد إلى المعدن الموجود أسفل قدميه، ونظرًا لاستخدامه خريطة الأضرار الخاصة بـ (روسي) على شاشة عرض المعلومات، لم يستغرق الأمر سوى لحظة واحدة للعثور على الثقب التالي.

قال: "نعم، عثرت عليه، هنا بالضبط"، وبدأ أموس وبوبي في التحرُّك نحوه

نادى أليكس من قمرة القيادة: "أيها القبطان! يريد قبطان طرّادة المريخ التحدُّث إليك"

ردَّ هولدن. "قم بتوصيله بيدلتي".

قال أليكس. "عُلم". ثم تغيّرت نبرة الصوت في الجهاز اللاسلكي.

- "القبطان هولدن!"
- "مرحبًا بك، أنا أسمعك، تفضّل!"

قال الصوت على الجانب الآخر. "هأنذا القبطان ريتشارد تسينج من (سيدونيا) المريخية. آسف لأنني لم أتحدَّث معك بشكلٍ عاجل، ولكنني كنت أحاول معالجة الأضرار، وأرتِّب لعمليات إنقاذ وإصلاح المركبات".

ردَّ هولدن: "أتفهَّم ذلك جيدًا، أيها القبطان"، وحاول أن يكتشف مكان سيدونيا لكنه فشل، ثم تابع: "أنا الآن عند الهيكل الخارجي للمركبة حيث أعمل على ترقيع بعض الثقوب. رأيت رجالك يُشغِّلون المحركات قبل دقيقة".

قال القبطان المريخي: "أخبرني المساعدة التنفيذية الخاصة بي أنك أردت التحدُّث معي".

ردَّ هولدن: "نعم، بلِّغها خالص شكري وتقديري لكل المساعدات التي قدَّمتوها لنا حتى الآن. انظر، لقد استهلكنا الكثير من احتياطياتنا في تلك المناوشة الفارغة أطلقنا أربعة عشر طوربيدًا، وما يقرب من نصف ذخيرة مدافع الدفاع النقطية. ونظرًا لأن مركبتنا هي في الأصل مركبة مريخية، فقد اعتقدت أنه ربما سيكون لديكم إمدادات مناسبة لمركبتنا".

أجاب القبطان تسينج دون تردُّد للحظة واحدة: "بالتأكيد، سوف أُصدر أمرًا حالًا إلى المُدمِّرة (سالي رايد) لتزويدك بالذخيرة اللازمة".

قال هولدن "ها!" مصدومًا من الموافقة الفورية. لقد كان مستعدًّا للتفاوض، "شكرًا جزيلًا لك".

- "أود أيضًا أن أرسل إليك تحليل ضابط الاستخبارات الخاص بنا لتفاصيل المعركة، أنا على يقين من أنك ستجده ممتعًا عند مشاهدته ولكن الخلاصة هي أن عملية القصف الأولى هي التي حطّمت الخطوط الدفاعية للأمم المتحدة

وأنهت المعركة لصالحنا. هذه نقطة تُحسب لكم، أعتقد أنهم ما كانوا يجب أن يُديروا ظهورهم لك؛ لأن ذلك كبّدهم خسائر مريرة"

ردّ هولدن ضاحكًا: "يمكنكم أن تنسبوا الفضل إلى أنفسكم في ذلك، فمن كان يتولّى إطلاق القذائف هنا هي رقيبة مدفعية في سلاح مشاة البحرية المريخية"

ساد الصمت للحظات، ثم قال تسينج: "عند ينتهي كل هذا الهراء، أود أن أدعوك إلى تناول مشروب معي، وأتحدَّث معك عن كيف ينتهي الأمر بضابط بحري تابع للأمم المتحدة تم تسريحه بشكلٍ مخزٍ إلى أن يقود قاذفة طوربيدات مسروقة من أسطول البحرية المريخية، وفوق كل ذلك هذه القاذفة مأهولة بطاقم عسكري من المريخ فضلًا عن واحدة من كبار سياسي الأمم المتحدة".

أجاب هولدن: "إنها قصة ممتعة للغاية حقًّا، وبما أنك ذكرت المريخ، أود أن أحصل على هدية. هل لديك مفرزة من مشاة البحرية على متن سيدونيا".

ردَّ تسينج: "نعم، ولكن لماذا؟"

قال هولدن: "هل تتوافر لديك دروع القوة الاستطلاعية؟"

أجاب تسينج: "نعم، ولكن أُكرِّر لماذا؟"

قال هولدن: "هناك بعض المعدات التي سنحتاج إليها، والتي قد تكون متوافرة لديك في ترسانتك".

أخبر هولدن القبطان تسينج بما كان يبحث عنه، وقال القبطان المريخي: "سأُصدر أمرًا إلى المُدّمرة رايد أن تمنحك واحدةً عندما ننقل إلى مركبتك الذخيرة اللازمة".

***

خرجت المُدمِّرة المريخية سالي رايد من المعركة دون أن تُصاب بخدشٍ واحد. عندما وقفت بجانب مركبة (روسينانت)، بدا جناحها المظلم مصقولًا وسليمًا مثل بركة من الماء الأسود عندما تطابق مسار أليكس وطيار (رايد) تمامًا، انفتحت فتحة كبيرة في جانبها، وانفجرت إضاءة الطوارئ بلونها الأحمر الخافت. تم إطلاق اثنين من الكلّابات المُمغنطة؛ لربط المركبات بأسلاك يمتد طولها إلى عشرة أمتار

قالت بصوتٍ أنثوي: "هاأنذا المُلازمة جريفز، نحن على استعدادٍ لبدء نقل الذخيرة".

بدت المُلازمة جريفز وكأنها لم تبرح المدرسة الثانوية بعد. ردّ عليها هولدن: "تفضّلي بالطبع، نحن جاهزون".

قال، وهو يُحوِّل قناة الاتصال إلى ناعومي: "افتحي الفتحات، لدينا ضيوف سيصعدون على متن المركبة الآن".

على بعد أمتارٍ قليلة من المكان الذي كان يقف فيه، انفتحت فتحة كبيرة في الهيكل بعرض متر، وبطول يصل إلى ثمانية أمتار. بينما جرى على جانبي الفتحة نظام مُعقَّد من القضبان والتروس. وفي الجزء السفلي رأى ثلاثة من طوربيدات (روسي) المُتبقِّية.

قال هولدن مُشيرًا إلى مقصورة الطوربيدات المفتوحة: "سبعة هنا، وسبعة على الجانب الآخر".

ردَّت جريفز: "عُلِم، يا سيدي". ومن خلال فتحة (رايد)، ظهرت الصورة الظلية البيضاء النحيلة لطوربيد بلازمي، حيث ارتدى الطاقم البحري المريخي بدلات الفضاء أثناء نقلهم للذخيرة. ومع نفثات لطيفة من النيتروجين المضغوط، استطاعوا أن يطرحوا الطوربيد على طول الخطين فوق قضبان (روسي)، ثم بمساعدة قوة درع بوبي الاستطلاعي، استطاعوا أن ينقلوا الطوربيد إلى مكانه المُخصَّص في الجزء العلوي من المقصورة.

قالت بوبي: "أول واحد في مكانه بالفعل".

أجابت ناعومي: "مفهوم"، وبعد ثانية ظهرت القضبان الآلية، وأخذت الطوربيد وسحبته إلى المخزن.

نظر هولدن إلى الوقت المنقضي على شاشة العرض الخاصة به، سيستغرق نقل جميع الطوربيدات الأربعة عشر وتحميلها ساعات طويلة.

قال: "أموس! أين أنت؟"

أجاب الميكانيكي: "أنتهي من بعض الإصلاحات في الورشة الميكانيكية، هل تحتاج إلى أيّ شيء؟"

ردّ هولدن. "عندما تنتهي من ذلك، أحضر لنا زوجًا من البدلات الفضائية، أنا وأنت سنذهب للحصول على الإمدادات الأخرى. هناك ثلاثة صناديق من قذائف المدافع النقطية، وبعض الأشياء الأخرى التي يجب علينا إحضارها".

قال الميكانيكي: "لقد انتهيت للتو، ناعومي! افتح لي باب غرفة التخزين"

شاهد هولدن بوبي والطاقم البحري لمُدمِّرة (رايد) وهم يعملون على قدمٍ وساقٍ، وبحلول الوقت الذي وصل فيه أموس ومعه حزمة البدلات الفضائية، كانوا قد حملوا بالفعل طوربيدين آخرين".

قال هولدن: "المُلازمة جريفز، أنا وأموس من طاقم (روسينانت)، ونطلب منك إذنًا بالصعود على متن مركبتك؛ لالتقاط بعض الإمدادات".

أجابت: "منحتكم الإذن، يمكنكم فعل ذلك يا (روسينانت)."

تم تخزين قذائف المدافع النقطية في صناديق يبلغ وزنها عشرين ألفًا، وبوزن يزيد عن خمسمائة كيلوجرام في الجاذبية الكاملة. بينما في الجاذبية الصغرى لتلك المركبات المنجرفة، يمكن لشخصين يرتديان بدلات فضائية تحريك أحد هذه الصناديق إذا استغرقا وقتًا كافيًا وأعادا شحن النيتروجين المضغوط بعد كل رحلة. مع عدم توافر آلية إنقاذ أو مكوك صغير، لم يكن هناك أيّ خيارٍ آخر.

تعيَّن عليهم دفع كل صندوقٍ ببطءٍ نحو مؤخرة روسينانت خلال "قوة دفع" مدتها عشرين ثانية من بدلة أموس الفضائية.

عندما وصلا إلى مؤخرة المركبة بالقرب من باب غرفة التخزين، دفع هولدن نفسه بدفعة قوية من بدلته الفضائية لإيقاف الصندوق. قام الاثنان بالمناورة بالداخل، وربطا الصندوق بالحاجز. استغرقت العملية وقتًا طويلًا، خصوصًا بالنسبة لهولدن، الذي عانى كثيرًا من تسارع ضربات القلب مع كل رحلة ولا سيما عندما كان يُطلق المكابح لإيقاف الصندوق. كان يتخيّل مع كل رحلة أن بدلته الفضائية ستفشل، ومن ثَمَّ سينجرف هو والصندوق في الفضاء، في حين يقف أموس يشاهده ينطلق بعيدًا. كان الأمر سخيفًا بالطبع يمكن أن يُحضر له أموس بسهولة بدلة فضائية جديدة للمناورة،

أو أن تتحرّك المركبة قليلًا، أو أن تُرسل (رايد) مكوك إنقاذ، أو أيّ طريقة أخرى من الطرق التي لا تُعد ولا تحصى لإنقاذه سرعة دون مشكلة

لكن ما جعله يُفكِّر هكذا أن البشر لم يكونوا يعيشون ويعملون في الفضاء لفترة كافية حتى لا يقول الجزء البدائي من الدماغ: "سوف أسقط! سوف أسقط إلى الأبد!"

انتهى الطاقم البحري لمركبة (رايد) من نقل الطوربيدات بالتزامن مع إدخال هولدن وأموس آخر صندوق من ذخيرة المدافع النقطية في غرفة التخزين.

تساءل هولدن عبر قناة الاتصال المفتوحة: "ناعومي! هل لدينا الضوء الأخضر؟"

أجابت ناعومي: "يبدو أن كل شيء على ما يُرام، تم توصيل جميع الطوربيدات الجديدة بـ (روسي)، وتحقّقنا من تشغيلها".

ردَّ هولدن: "ممتاز، أنا وأموس سنخرج الآن عبر القفل الهوائي لغرفة التخزين، يمكنك إغلاق الباب بعد خروجنا. أليكس، بمجرد أن تُؤكّد ناعومي أن كل شيء لدينا على ما يُرام، أخبر قبطان (سيدونيا) بأننا مستعدون للانطلاق إلى آيو".

بينما كان الطاقم يقوم بإعداد المركبة للرحلة إلى آيو، جرد هولدن وأموس معداتهم وخزَّنوها في الورشة الميكانيكية. ظهرت ستة أقراص رمادية، ثلاثة على كل حاجز عبر المقصورة في مواجهة بعضها بعضًا، في إشارة إلى المكان الذي اخترقت فيه القذائف هذا الجزء من المركبة.

سأل أموس، وهو يخلع حذاءه المُمغنط الكبير: "ماذا يوجد في ذلك الصندوق الآخر الذي أعطاك إياه القبطان المريخيون؟"

أجاب هولدن: "إنها هدية لبوبي، لا تُفسد المفاجأة، حسنًا؟"

ردَّ أموس: "لا بأس، بالطبع أيها القبطان، ولكن إذا اتضح أنها باقة من الورود طويلة الجذع، فأنا لا أريد أن أكون حاضرًا عندما تكتشف ناعومي ذلك. علاوة على ذلك، كما تعلم، أعتقد أن أليكس..."

قاطعه هولدن قائلًا: "إنها عملية أكثر بكثير من الورود.."، ثم أدار الحديث في ذهنه، وانتبه إلى ما قاله أموس للتو، وسأل: "أليكس؟ ماذا عن أليكس؟"

لوَّح أموس بيديه في لفتة حرامية، ثم قال: "أعتقد أنه معجب قليلًا بتلك الفتاة البحرية الضخمة"

صاح هولدن: "بالله عليك كُفَّ عن المزاح!" لم يستطع هولدن أن يستوعب تلك الصدمة. ليس الأمر بسبب أن نوبي لم تكن حداثة، بل لأنها كانت أيضًا ضخمة للغاية ومخيفة جدًّا، بينما أليكس على النقيض، إنه رجل وديع ولين الطباع صحيح أن كليهما من المريخ، وبغض النظر عن الكيمية التي أصبح بها الشخص عالميًّا وغير منحصر في حدود وطنه، إلا أنه يبدو أن كل إنسان يحنُّ لجذوره وأبناء جلدته. ربما كان مجرد أنهما الشخصان المريخيان الوحيدان على متن هذه المركبة دافعًا كافيًا، ولكن أليكس على مشارف الخمسين من عمره، بدأ شعره يتساقط، وغزا الصلع رأسه، وتهدَّلت جوانبه كما يليق برجلٍ في منتصف العمر. بينما الرقيبة درابر لا يمكن بأيّ حالٍ من الأحوال أن تتجاوز الثلاثين عامًا، وتبدو بجسمها الضخم وعضلاتها المفتولة مثل إحدى بطلات قصص الرسوم المتحرِّكة. لم يستطع هولدن أن يمنع نفسه من التفكير في الأمر، بدأ عقله يحاول أن يتخيَّلهما معًا، ولكنه لم يجد الأمر مناسبًا على الإطلاق.

كل ما استطاع أن يقوله: "يا إلهي! هل هو إعجاب متبادل؟"

هزَّ أموس كتفيه، وأجاب: "ليس لدي أيّ فكرة. لا يمكن قراءة تعبيرات تلك الرقيبة، كما أنها لا تتحدَّث كثيرًا، لكنني لا أعتقد أنها تقصد إيذاءه، إذا كان هذا هو ما تسأل عنه بالتحديد. على الرغم من أننا -كما تعلم- لا يمكننا إيقافها إذا فعلت ذلك".

تساءل هولدن: "هل تخيفك أيضًا تلك الفتاة؟"

ابتسم أموس، ثم قال: "انظر! عندما يتعلَّق الأمر بالمناوشات، يمكنك أن تقول إنني هاوٍ موهوب حقًّا، ولكنني ألقيت نظرة فاحصة على تلك المرأة وهي تدخل وتخرج من ذلك الدرع المعدني الهائل الذي ترتديه، إنها محترفة. نحن لا نلعب الرياضة نفسها حتى تضعنا في مقارنة واحدة".

بدأت (روسي) في استعادة الجاذبية. شغَّل أليكس المُحرِّك، مما يعني أن رحلتهم إلى آيو قد انطلقت رسميًّا. وقف هولدن، واستغرق دقيقة لإعادة تهيئة مفاصله للتكيُّف مع الإحساس بالوزن مرة أخرى. ربَّت أموس على ظهره قائلًا: "حسنًا، لديك ذخيرة

كاملة من الطوربيدات والقذائف. كما أن هناك ثلاث مركبات حربية مريخية تتبعك. وسيدة عجوز عاصبة على وشك الجنون بسبب عدم تناولها الشاي وفتاة من مشاة البحرية المريخية يمكنها أن تلتهمك بأسنانها إذا أرادت. ماذا ستفعل إذن؟"

- "أخبرني أنت".
- "لا بُدّ أن تجد خصمًا آخر ليقاتلوه".

الفصل الخامس والأربعون

أفاسارالا

قالت أفاسارالا: "لقد سبق السيف العدل يا سيدي، أصبح لدينا مساران مختلفان لإدارة الأمر، والسؤال الأهم أن تُقرِّر أيّ المسارين نتبع. لقد تمكَّنتُ حتى الآن من منع نشر المعلومات على النظام الشمسي بأكمله، ولكن بمجرد حدوث ذلك، ستكون العواقب وخيمة. وبما أنه من المؤكَّد تمامًا لدينا أن هذا الأشياء قادرة على أن تتواصل بعضها مع بعض، فإن فرص الاستخدام العسكري الفعال لتلك الجزيئات الأولية المُهجَّن بشريًّا هي في الأساس معدومة. إذا استخدمنا هذا السلاح، فإننا نخلق كوكب الزهرة الآخر، ونرتكب الإبادة الجماعية، ولن يكون لدينا أيّ مسوِّغ أخلاقي لاستخدام تلك الأسلحة، بما في ذلك استخدام الكويكبات المتسارعة لمهاجمة الأرض نفسها.

تابعت: آمل أن تعفو عن طريقتي الحادة يا سيدي، ولكن هذا كان خطأً فادحًا منذ البداية. الضرر الذي لحق باستقرار البشرية لا يمكن تخيُّله. يبدو واضحًا في هذه المرحلة أن مشروع الجزيء الأولي الجاري على كوكب الزهرة يدرك تمامًا ما يحدث في نظام جوفيان. من المنطقي أن تعرف العينات الموجودة هنا كل المعلومات التي جمعها عن تدمير (أربوغاست). إذا قصرنا أنفسنا على التزام الحياد، وقلَّلنا من أهمية القضية بشكلٍ جذري، فإن هذا يجعل موقفنا إشكاليًّا.

أردفت: إذا تمكنا من إدارة الموقف بشكلٍ صحيح، فيمكننا عكس الوضع تمامًا لصالحنا. ونظرًا لوضعي الحالي، فقد بذلت كل ما في وسعي. إن التحالف الذي أنشأته بين المريخ وعناصر الحزام والحكومة الشرعية للأرض على استعداد تام لاتخاذ إجراء. لكن يجب على الأمم المتحدة أن تنأى بنفسها عن تلك الخطة اللعينة؛ لذا لا بُدّ من التحرُّك على الفور لعزل وإقصاء ذلك الفصيل داخل الحكومة الذي تسبَّب في كل هذا الهراء. مرة أخرى، آمل أن تعفو عن طريقتي الحادة

لقد أرسلتُ نسخًا من البيانات المُصمَّمة هنا إلى الأميرال ساوثر والأميرال ليبكي، بالإضافة إلى الفريق الذي عيّنه لإدارة مشكلة كوكب الزهرة. إنهم بالطبع رهن إشارتك للإجابة عن أيّ أسئلة إذا لم أكن موجودة.

يؤسفني أن أضعك في هذا الموقف الصعب، سيدي، لكن عليك أن تختار جانبًا، وبسرعة. لقد وصلت الأحداث إلى ذروتها. إذا كنت تريد أن يذكر التاريخ بأنك رجّحت كفة جانب الأخيار في تلك القضية، فيجب عليك التحرُّك الآن".

فكَّرت في الأمر قليلًا، وقالت لنفسها: "إذا كان هناك جانب أخيار في هذه القصة أصلًا". حاولت أن تأتي بشيءٍ آخر يمكنها أن تقوله. حجة أخرى قادرة على اختراق القشرة القديمة التي تحيط بعقل الأمين العام، ولكنها عجزت عن ذلك، وقد اعتبرت أن تكرار ما قالته بلغة أكثر تهذيبًا، من المحتمل أن تؤتي ثمارها، يُعتبر نوعًا من التنازل؛ لذلك قرّرت إيقاف التسجيل. ومسحت الثواني القليلة الأخرى التي كانت تحدِّق فيها في الكاميرا بنظرة يأس، ثم أرسلت التسجيل مع وضع جميع العلامات المعتادة عن كون هذه الرسالة ذات أولوية قصوى فضلًا عن تشفير البيانات الدبلوماسية.

لقد وصل الوضع إلى تلك النقطة. كل الحضارة الإنسانية، كل ما تم إنجازه على الإطلاق، من اللوحة الأولى في الكهف، إلى الهروب من بئر الجاذبية، والوصول إلى عتبة النجوم. عليها الآن أن تعتمد على رجل اشتهر أكثر من غيره؛ لأن أعظم إنجازات حياته أنه زُجَّ به في السجن بسبب ما كتبه من قصائد شعرية رديئة، وهو الآن أداة طيعة يعبث بها إرينرايت كيفما شاء. شعرت بالمركبة تُصحِّح مسارها من تحتها، وتحرَّكت كما لو أن المصعد انزلق فجأة عن مساره. حاولت أن تجلس، ولكن المقعد انحرف عن مساره أيضًا للحظة. "يا إلهي! كم أكره السفر في الفضاء".

- "هل سيكون ذلك فعالًا؟"

وقف عالم النبات عند باب مقصورتها. كان نحيلًا كالعصا، ورأسه الكبير قليلًا لا يتناسب مع شكل جسمه. صحيح أنه ليس مُصابًا بتلك العيوب الخلقية التي يشتهر بها أهل الحزام، ولكن شكله لا يدل على أنه نشأ وعاش حياته في جاذبية كاملة. وقف عند

المدخل، وأحد يُحرّك يديه. بدا مُحرجًا وتائهًا ويشبه قليلًا أولئك القادمين من العالم الآخر

قالت: "لا أعرف، ربما لو كنت هناك على الأرض الآن، لاستطعتُ أن أجعل الأمور تسير بالطريقة التي أريدها. كنت سأضغط عليهم بحسمٍ حتى أصل إلى ما أريد. أما الآن ومن مكاني هنا؟ فربما يكون ذلك فعالًا.. وربما لا"

قال عالِم النبات: "ولكن يمكنكِ التحدُّث إلى أيّ شخصٍ في النظام الشمسي من هنا، أليس ذلك؟"

أجابت: "يبدو الأمر مختلفًا".

أومأ الرجل برأسه، وغاص في أفكاره. وعلى الرغم من الاختلافات الظاهرة في لون البشرة والبنية الجسمانية، فإن هذا الرجل ذكَّرها فجأة بمايكل جون. كان لديه الشعور نفسه بالانفصال عن العالم، ولكن الاختلاف أن هذا الانفصال عند مايكل أقرب إلى التوحُّد، بينما يبدو براكسيديك مينج أكثر اهتمامًا بالتواصل مع الأشخاص من حوله.

قال: "لقد استطاعوا أن يُجبروا نيكولا تقول تلك الافتراءات عني، وعن مَي".

ردَّت: "بالطبع فعلوا ذلك، هذا ما يفعلونه دائمًا. وإذا أرادوا إثبات ذلك بأدلة قاطعة، فيمكنهم الحصول على الوثائق وتقارير شُرطية مُؤرَّخة بأثرٍ رجعي لدعم كل ذلك، ووضعها في قواعد بيانات جميع الأماكن التي سبق أن عشتَ فيها".

قال: "أكره أن يعتقد الناس أنني فعلت ذلك".

أومأت أفاسارالا برأسها، ثم هزَّت كتفيها، وقالت: "دائمًا ما تكون السمعة بعيدًا عن الواقع. يمكنني أن أُسمِّي لك نصف دزينة من الأشخاص المعروفين بين الناس بالفضيلة، ولكنهم في الحقيقة أشرارٌ ملاعين أعلم عنهم ما لا يُعد ولا يُحصى من الفضائح الأخلاقية، بينما ستُفاجئ بأسماء أفضل الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي؛ لأنك قد تظنهم أوغادًا لا تطيق ذكر أسمائهم أصلًا، ستكتشف أن هؤلاء الناس الذين تراهم على الشاشة مختلفون تمامًا عندما تقابلهم وجهًا لوجه".

تساءل براكس: "وماذا عن هولدن؟"

أجابت: "حسنًا، إنه الاستثناء الذي يؤكِّد القاعدة".

طأطأ عالِم النبات رأسه، ثم نظر مرة أخرى إلى أعلى. بدت نظرته اعتذارية.

قال: "ربما ماتت مي".

ردَّت: "أنت لا تصدِّق ذلك".

تابع: "لكن لقد مرَّ وقتٌ طويل. حتى لو كان لديهم دواؤها، فمن المحتمل أن يكونوا قد حوَّلوها إلى واحدة من... تلك الأشياء".

كرَّرت: "أنت لا تُصدِّق ذلك". انحنى عالِم النبات إلى الأمام، عابسًا كما لو أنها عرضت عليه معضلة لن يستطيع أن يجد لها حلًّا فوريًا. تابعت أفاسارالا: "أخبرني أنك لا تمانع في قصف آيو. يمكنني إصدار أمر بإطلاق ثلاثين قنبلة نووية الآن. كما سندع الصواريخ الباليستية تطير نحو هذا القمر. لن يصل البعض، ولكن بالتأكيد سيصل البعض الآخر. فقط أخبرني أنك لا تمانع، ويمكنني أن أحوِّل قمر آيو إلى خَبث قبل أن نصل إلى هناك".

ردَّ براكس: "أنت محقة"، ثم بعد برهة قال: "ولكن لماذا لا تفعلين ذلك؟"

- "هل تريد السبب الحقيقي أم التبرير الذي أطرحه عادة؟"

أجاب: "الاثنين".

ردَّت: "تبريري الذي أطرحه عادةً هو أنني لا أعرف ما يوجد بالفعل في هذا المختبر. لا أستطيع أن أفترض أن هذه الوحوش هي من توجد هناك فقط. وإذا دمَّرتُ المكان، فإنني بذلك أُدمِّر السجلات التي يمكن أن تتيح لي العثور على البقية، والضحايا المفقودين كذلك. كما أنني لن أعرف من هم الجُناة الذين اشتركوا في تلك الجريمة، وليس لديّ أيّ أدلة دامغة ضد الأشخاص الذين أعرف أنهم متورِّطون في ذلك بالفعل. قد أجد ما أبحث عنه هناك؛ لذلك سأذهب، وسأستكشف. وبعد ذلك سأحوِّل المختبر إلى شظايا مشعة".

- "هذه أسباب وجيهة حقًّا".

ردَّت: "لا بل تبريرات جيدة، نعم أعرف أنها مقنعة للغاية"

قال: "لكن السبب الحقيقي أن مي لا تزال على قيد الحياة".

ردّت أفاسارالا: "أنا لن أقتل الأطفال. حتى ولو كان هذا هو التصرُّف الأمثل الذي يجب أن أفعله. ستندهش من عدد المرات التي أضرَّ فيها ذلك بمسيرتي السياسية. اعتاد الناس على الاعتقاد بأنني ضعيفة حتى وجدت الحيلة".

قال: "الحيلة؟"

تابعت أفاسارالا: "إذا استطعت أن تجعلهم يخجلون من خجلهم، فإنهم يعتقدون أنك شخص قاسٍ. زوجي يسمِّيه ذلك القناع الذي أرتديه لممارسة السياسة".

قال براكس: "هذا عظيم، شكرًا جزيلًا لكِ".

***

بدا الانتظار أسوأ كثيرًا من الخوف من خوض المعركة. أراد جسدها التحرُّك، والابتعاد عن ذلك المقعد، والانطلاق في الممرات التي اعتادت على السير فيها. صاح المارد في مؤخرة رأسها برغبته في العودة إلى العمل والحركة والمواجهة. سارت من جانب المركبة إلى الجانب الآخر مرارًا وتكرارًا. اهتم ذلك المارد بسفاسف الأمور، فسألها عن جميع الأشخاص الذين التقت بهم على متن هذه المركبة، واستطاعت الإجابة بفضل التقارير الاستخباراتية التي سبق أن قرأتها. ذلك الميكانيكي الذي يُدعى أموس بورتون، كان قد تورَّط في عدة جرائم قتل، وبالرغم من أن هناك تهمًا كثيرة وُجِّهت إليه، فإنه لم يحاكم قط، خضع لعملية قطع القناة الدافقة منذ أن بلغ السن القانونية لذلك. ناعومي ناجاتا، المهندسة التي حصلت على شهادتي ماجستير، كان قد عُرض عليها منحة دراسية كاملة للحصول على درجة الدكتوراة في محطة سيريس، ولكنها رفضتها. أليكس كمال، طيار المركبة، سبع شكاوى في حالة سُكر، وشكاوى عديدة من السلوك غير المنضبط عندما كان في أوائل العشرينيات من عمره، كان لديه ابن على سطح المريخ، ولكنه ما يزال لا يعرف عنه شيئًا حتى الآن. جيمس هولدن، الرجل الذي تخلو حياته من الأسرار، ذلك الأحمق الصالح الذي جرّ النظام الشمسي إلى الحرب، وبدا غير مدرك تمامًا لكل ذلك الدمار الذي تسبَّب فيه بشكلٍ ما، إنه شخصٌ مثالي؛ لذلك فإنه أكثرهم خطورة، ومع ذلك فهو رجلٌ طيب أيضًا.

تساءلت عما إذا كان أيٌّ من ذلك مهمًّا الآن.

كان اللاعب الحقيقي الوحيد في هذه اللعبة الذي يمكنها التحدُّث إليه دون تأخير بحيث لا تتحوَّل المحادثة إلى رسائل متبادلة هو الأميرال ساوثر، ولكن بما أنه ما يزال في الجانب نفسه مع بجوين، ويستعد لمواجهة معركة مع المركبات التي تحميها الآن، فإن فرص الوثوق فيه أصبحت قليلة ومتباعدة.

سألها ساوثر من جهازها اللوحي: "هل وصلكِ أيٌّ شيء جديد؟"

أجابت: "كلا، أنا لا أعرف لماذا يستغرق الدُّمية المتحرِّكة الكبيرة وقتًا طويلًا للرد".

ردَّ ساوثر: "أنتِ تطلبين منه أن يُدير ظهره للرجل الذي يثق به أكثر منكِ".

قالت: "وكم سيستغرق من الوقت إذن حتى يردَّ عليّ؟ عندما فعلت ذلك، ربما انتهى الأمر في غضون خمس دقائق. أذكر عندما طردت سورين، قلت: "سورين! أنت أحمق لعين، اغرب عني وجهي". الأمر ليس أكثر تعقيدًا من ذلك. لماذا لا يفعل الشيء نفسه بهذه البساطة!"

سأل ساوثر: "وإذا لم يفعل؟"

تنهَّدت أفاسارالا.

- "إذن سأعاود الاتصال بك، وأحاول أن أتعرَّف منك على ما سيفعله هؤلاء المنشقون".

قال ساوثر بابتسامة متكلِّفة: "آه، وكيف ترين ذلك؟"

أجابت: "ليس لدي فرص كبيرة، لكنك لا تعرف ما سيحدث، يمكنني إقناعه في نهاية الأمر".

انبثق إشعار على شاشة جهاز أفاسارالا اللوحي، رسالة جديدة من أرجون

قالت أفاسارالا: "يجب أن أذهب الآن. كن على اطلاع بكل ما يجري على الأرض، وأخبرني به بأسرع ما يمكن".

ردَّ ساوثر قبل أن يختفي في الخلفية السوداء لانقطاع الاتصال: "اعتني بنفسك يا كريسجين".

كان المطبخ فارغًا حولها، ومع ذلك قد يأتي شخصٌ ما في أيّ وقت. رفعت طرف السّاري الخاص بها، وسارت إلى مقصورتها الصغيرة، وأغلقت بابها، قبل أن تعطي الإذن النهائي لفتح الرسالة

رأت أرجون على مكتبه، مرتديًا ملابسه الرسمية، ولكنه فكّك أزرار الرقبة والأكمام بدا وكأنه رجل عاد لتوه من حفلة سيئة. أطلّ ضوء الشمس من خلفه. كان ذلك في فترة بعد الظهيرة إذن عندما سجّل الرسالة، وأرسلها إلى أفاسارالا. وربما ما يزال التوقيت هناك كذلك. لمست الشاشة حيث دارت بأطراف أصابعها على كتفيه.

قال: "فهمت من رسالتك أنك قد لا تعودين إلى المنزل".

حدَّثت أفاسارالا الشاشة: "أنا آسفة حقًّا".

تابع الرجل رسالته كالتالي: "كما يمكنكِ أن تتخيَّي، لا أتقبَّل الفكرة، وأجدها... مزعجة"، ثم شقت الابتسامة وجهه، وغمرت الدموع عينه، "ولكن ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك؟ كل ما يمكنني فعله الآن أن أقوم بتدريس الشعر لطلاب الجامعة. لا أملك أيّ قوة في هذا العالم. كنت دائمًا أنتِ؛ لذا أود أن أقول لكِ: لا تنشغلي بي، ولا تُشتّي انتباهك عن تلك المهمة التي أنتِ بصددها بسببي، وإذا لم تعد..."

أخذ أرجون نفسًا عميقًا.

تمالك أرجون نفسه وقال: "إذا تجاوزت الحياة الموت، فسوف أجدك هناك، وحتى إذا قال الموت كلمته، وانتصر على الحياة، فسنكون هناك معًا أيضًا".

نكس رأسه قليلًا، ثم نظر إلى أعلى مرة أخرى.

"أحبكِ يا كيكي، وسأظل أحبكِ دائمًا، مهما تباعدت بيننا المسافات".

انتهت الرسالة. أغمضت أفاسارالا عينيها، ومن حولها كانت المركبة خانقة ومحكمة الإغلاق مثل التابوت بدأت الضوضاء تطغى على عقلها حتى أرادت الصراخ ثم الاستسلام للنوم. تركت دموعها تنساب من محاجر عينيها ليس بوسعها أن تفعل شيئًا آخر غير ذلك. لقد غامرت بآخر محاولة، وليس هناك ما تفعله الآن سوى التأمُّل والقلق.

بعد نصف ساعة، رنّ جهازها اللوحي مرة أخرى، وأيقظها الرنين من كوابيسها. إنها رسالة من إرينرايت. شكّل القلق غصةً في حلقها. رفعت إصبعها لبدء تشغيل التسجيل، ثم توقّفت قليلًا. لم تكن تريد ذلك. لم تكن تريد العودة إلى ذلك العالم، وارتداء قناعها الثقيل. أرادت أن تشاهد أرجون مرة أخرى، وأن تطمئن بسماع صوته.

ولكن أرجون دائمًا ما يعرفها، ويعرف ما ستفعله أفاسارالا؛ ولذلك قال ما قاله في رسالته الأخيرة، ولذلك ارتدت أفاسارالا القناع مرة أخرى، وفتحت الرسالة.

بدا إرينرايت غاضبًا. وفوق ذلك بدا متعبًا. اختفى مظهره اللطيف، وظهر بدلًا منه رجلٌ آخر متيبّس الوجه وكأنه مخلوق من المياه المالحة والتهديدات.

قال: "كريسجين. أعلم أنكِ لن تفهمي هذا جيدًا. لكنني كنتُ أفعل كل ما في وسعي للحفاظ على سلامتك وأمنك. أنتِ لا تعرفين مدى الفوضى التي أحدثتِها، وكم الأشياء التي أفسدتِها بتصرفاتكِ الرعناء. أتمنى لو كان لديكِ الشجاعة الأخلاقية لتأتي إليّ وتخبريني بكل هذا بدلًا من الهروب مع جيمس هولدن مثل فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عامًا. بصراحة لا أجد تعبيرًا عن تدمير المصداقية المهنية أفضل مما قمتِ به مؤخرًا.

تابع: "لقد وضعتكِ على متن يخت (غوانشين) لأبعدك عن الأحداث؛ لأنني كنت متأكّدًا من أن الأمور ستلتهب. حسنًا، هذا ما آلت إليه الأمور بالفعل، لكنكِ الآن تقفين في منتصف الطريق، ولا تفهمين الموقف جيدًا. الملايين من الناس يواجهون الآن خطر الموت بسبب أنانيتك. والمؤسف أنكِ ستكونين إحدى الضحايا، لست وحدكِ فقط، بل وأرجون زوجك، وابنتك، وأحفادك، الجميع في خطر الآن بسببك".

في الصورة على جهاز أفاسارالا اللوحي، شبك إرينرايت يديه، وضغطت بمفاصل أصابعه على شفته السفلية، بدت صورته نموذجًا مثاليًّا للأب عندما يُوبِّخ أبناءه المخطئين.

"إذا عدتِ الآن إلى صوابك، فقد أكون قادرًا على إنقاذك. لن أستطيع إنقاذ مسيرتك المهنية بالطبع، لا سبيل لذلك الآن؛ لذا انسي الأمر تمامًا. حيث أصبح الجميع هنا يعتقدون أنكِ تعملين مع (أوبا) والمريخ، أصبح الجميع يعتقدون أنكِ خائنة، خنتِ الأرض وتحالفتِ مع أعدائنا السياسيين، ولا يمكنني تغيير ذلك بالتأكيد. ولكن ما

يمكنني إنقاذه حقًّا هو حياتك وعائلتك، لكن يتعيَّن عليك أن تبتعدي عن هذا السيرك الذي ورّطت نفسك فيه، ويتعيَّن عليكِ أن تفعلي ذلك الآن.

لم يتبقَ الكثير من الوقت يا كريسجين، باتت حياتك مُعلّقة في الميزان، ولا يمكنني مساعدتك إذا لم تساعدِ نفسك، لقد خرجت الأمور عن السيطرة.

إنها الفرصة الأخيرة أمامكِ، إذا تركت هذه الفرصة تفلت من يديكِ، ففي المرة القادمة التي سنتحدَّث فيها، سيكون هناك ضحايا دماؤهم في رقبتكِ".

انتهت الرسالة، أعادت تشغيلها مرة ثانية وثالثة. ارتسمت ابتسامة ظفر على وجهها.

وجدتْ بوبي في طابق العمليات مع الطيار أليكس. توقفا عن الكلام عندما دخلت عليهما. ظهرت الحيرة على وجه بوبي، ولكن سرعان ما بدَّدت أفاسارالا تلك الحيرة، عندما رفعت إصبعها، وقامت بتبديل قناة الفيديو لعرض رسالة إرينرايت على شاشة المركبة. ظهر إرينرايت على الشاشات الكبيرة، كان بإمكانها رؤية مسام وجهه وكل شعرة في حاجبيه. أثناء حديثه، أمعنت أفاسارالا النظر إلى أليكس وبوبي، وقد بدأت تعبيراتهما جادة، كما بدأ يميلان ببطء نحو الشاشة كما لو كانا يجلسان على طاولة البوكر ويصل إلى جولة توزيع ورق عالي المخاطر.

قالت بوبي: "حسنًا، ماذا سنفعل؟"

أجابت أفاسارالا: "سنتناول الشمبانيا احتفالًا، ماذا قال للتو؟ لا شيء، مجرد هراء. إنه يدور حول كلماته كما لو كانت بها مسامير مسمومة. ماذا بوسعه أن يفعل؟ التهديدات، لا أحد يُهدِّد".

قال أليكس: "مهلًا، هل تظنين أن هذه الرسالة علامة جيدة؟"

أجابت أفاسارالا: "هذه علامة ممتازة". التمع شيءٌ ما في مؤخرة رأسها حتى إنها بدأت تضحك وتشتم في الوقت نفسه من شدة الابتهاج.

- "ما هذا؟ ماذا يحدث بالضبط؟"

قالت: "إذا تجاوزت الحياة الموت، فسوف أجدك هناك، وحتى إذا قال الموت كلمته، وانتصر على الحياة، فسنكون هناك معًا أيضًا"، تابعت: "إنها قصيدة صغيرة سخيفة

هذا الرجل يمتلك عقلًا لا يستخدمه إلا في مسارٍ واحد فقط ألا وهو الشِّعر. أنقذني يا إلهي من الشِّعر".

لم يفهم أليكس وبوبي ما تقصده بالطبع، ولم يكن ضروريًّا أن يفهما ذلك. وصلت الرسالة الحقيقية بعد خمس ساعات، تم بثّها عبر قناة إخبارية عامة. كانت هذه الرسالة من الأمين العام إستيبان سوريتتو جيليس. أجاد الرجل العجوز التعبير عن الحزن والحزم في الوقت نفسه. إذا لم يكن المدير التنفيذي لأعظم حكومة في تاريخ الجنس البشري، لكان قد اكتسب الكثير من المال من العمل كمُروِّج للمشروبات الصحية.

اجتمع الطاقم بأكمله الآن –هولدن، وناعومي، وأموس، وأليكس، وحتى براكس– لمشاهدة البيان الصحفي. ضاق بهم طابق العمليات حتى أدت أنفاسهم المشتركة إلى ارتفاع درجة الحرارة، وزيادة التحميل قليلًا على أجهزة إعادة تدوير الهواء. اتجهت كل الأنظار على الشاشة، بينما اعتلى الأمين العام المنصة.

"جئت إلى هنا الليلة؛ لأعلن عن تشكيل فوري للجنة تحقيق، وذلك بعد أن رُفِعت إليّ اتهامات فحواها أن بعض أفراد الفريق الحكومي لمنظمة الأمم المتحدة وقواتها العسكرية قد اتخذوا خطواتٍ غير مُصرَّح بها، وربما غير قانونية في التعامل مع بعض الشركات الخاصة. إذا كانت تلك الإدعاءات صحيحة، فيجب معالجتها في أسرع وقتٍ ممكن. أما إذا كانت تلك الإدعاءات لا أساس لها من الصحة. فيجب تبديد تلك الأكاذيب، ومحاسبة المسؤولين عن نشرها أمام العدالة".

ثم أضاف: "ولست بحاجة إلى تذكيركم بكل السنوات التي أمضيتها في غياهب السجون كسجين سياسي".

صرخت أفاسارالا وهي تصفق بيديها فرحة: "عليك اللعنة! إنه يستخدم أسلوب التعمية في الكلام، يا لها من طريقة خبيثة للضغط على الأوغاد"

تابع: "لقد كرّستُ ولايتي كأمين عام لاقتلاع الفساد من جذوره، وطالما أنني مستمر في هذا المنصب، فلن أبرح منهاجي في إدارة الأمور. يجب أن يتأكّد عالمنا وبطاقمنا الشمسي الذي نتشارك فيه جميعًا أن الأمم المتحدة تحترم القيم الأخلاقية والمعنوية والروحية التي تجمعنا جميعًا تحت مظلة الجنس البشري".

في البث، أومأ إستيبان سوريتو حيليس برأسه، واستدار، وانطلق في طريقه في وسط وابل من الأسئلة التي لم تتم الإجابة عليها، بينما أخذ مقدمو العروض منه الكلمة، ومضوا يناقشون مع المُعلّقين السياسيين كل التداعيات السياسية المحتملة.

قال هولدن: "حسنًا، ولكن هل قال هذا الرجل أيّ شيءٍ مهم في الواقع؟"

ردّت أفاسارالا: "قال إن إريبرايت قد انتهى، لو كان لإريبرايت أيّ تأثيرٍ على أرض الواقع، لما كنا سنشاهد مثل هذا البث على الإطلاق. اللعنة! كم أتمنى لو كنتُ هناك على كوكب الأرض الآن".

أصبح إرينرايت خارج اللعبة. يتبقّى الآن: نجوين، وماو، وستريكلاند أو أيًا كان، بالإضافة إلى جنود الجزيئات الأولية شبه المسيطر عليها، ولا يمكن أن ننسى التهديد المتزايد الذي يمثله كوكب الزهرة. تنهّدت طويلًا، وتركت النفس العميق يخرج من حلقها وبلعومها.

قالت أفاسارالا: "سيداتي وسادتي، لقد حللتُ للتو أصغر مشكلة كانت لدينا".

الفصل السادس والأربعون

بوبي

من بين أكثر الذكريات الراسخة في ذهن بوبي هي ذكرى ذلك اليوم الذي أُبلغت فيه بصدور أوامر بنقلها إلى منشأة تدريب القوات الخاصة التابعة لقوات الاستطلاع الثانية. إنها قمة ما يمكن أن يصل إليه جندي مريخي في مسيرته العسكرية. كانت قد تدرَّبت بالفعل مع رقيب قوات استطلاع في معسكر التدريب. وتتذكَّر أنه كان يرتدي بدلة مُدرَّعة مريخية حمراء لامعة، وقد أظهر للمتدرّبين كيفية استخدام تلك البدلة المُدرَّعة في مجموعة مختلفة من المواقف التكتيكية. وفي النهاية أخبرهم أنه سيتم نقل أفضل أربعة جنود إلى منشأة القوات الخاصة، التي كانت على منحدرات "هيكاتيس ثولوس"، حيث سيتم تدريب هؤلاء الأربعة على ارتداء تلك الدروع؛ ليصبحوا جزءًا من وحدة القتال الأكثر شراسة في النظام الشمسي.

أدركت بوبي من فورها أن هذه فرصتها لتكون واحدةً من بين هؤلاء الأربعة المُختارين.

عقدت العزم على أن تفوز بأحد المقاعد الأربعة الشاغرة، وألقت بنفسها في المعسكري التدريبي، وتدرَّبت بكل ما أوتيت من قوة حتى أنها فاقت الحد المطلوب من التدريبات، ولم تكتفِ بنيل أحد المراكز الأربعة الأولى، ولكنها احتلت الصدارة بفارق ساحق عن أقرب منافسيها. لم يمر وقتٌ طويل إلا وقد وصلها خطاب نقلها إلى قاعدة "هيكاتيس" للتدريب الاستطلاعي؛ لتدرك أن الأمر يستحق كل هذا العناء. اتصلت بوالدها، وظلت تصرخ لمدة دقيقتين، ولما استطاع والدها أخيرًا أن يُهدئها ويسألها عن سبب المكالمة، أنبأته بالنبأ السعيد، فصرخ الرجل فرحًا أشد مما صرخت بوبي منذ قليل. وقال لها في نهاية المكالمة: "أنا فخورٌ بك يا فتاتي الحبيبة، لقد صرتِ الآن من بين خيرة الجنود المريخيين". ذلك الدفء العاطفي الذي بثّه في نفسها عبر هذه الكلمات القليلة لم يخبت قطّ.

الآن، تجلس تلك الفتاة على السطح المعدني المُغبّر بالرماد في الورشة الميكانيكية الخاصة بمركبة حربية مريخية مسروقة. بالرغم من تحوّل رفقاء سلاحها إلى أشلاءٍ ممزقة تناثرت عبر سطح جانيميد المتجمّد، وبالرغم من أن مسيرتها العسكرية صارت في طي النسيان، وبالرغم من أن ولاءها لوطنها أصبح محل شكٍّ وتساؤل، فلا تزال كلمات أبيها: "أنا فخورٌ بك يا ابنتي الحبيبة، لقد صرتِ الآن من بين خيرة الجنود المريخيين"، تبعث ذلك الدفء، وتجعلها تبتسم. شعرت برغبة عارمة في الاتصال بوالدها وإخباره بكل ما حدث. لطالما كانا متوافقين تمامًا. لقد كانت الوحيدة من بين أشقائها التي تخطو خطاه باختيار المسار العسكري؛ لذلك توطّدت علاقتهما. بالتأكيد أنه سيتفهّم ما دفعها لإدارة ظهرها لكل ما تعتبره مقدسًا وغاليًا في سبيل الثأر لأفراد فريقها من ذلك الوحش اللعين.

بات لديها هاجس طاغٍ بأنها لن تراه مرة أخرى.

حتى لو استطاعوا أن يعبروا إلى كوكب المُشتري بعد أن دمّروا نصف أسطول مركبات الأمم المتحدة التي تلاحقهم، حتى لو استطاعوا أن يعبروا إلى هناك، ولم يتمكّن الأميرال نجوين بعشرات المركبات التي يُسيطِر عليها أن يُفجّرهم على الفور في الفراغ الشاسع. حتى لو استطاعوا التغلّب عليه، وتمكّنوا من وقف كل ما يحدث في المدار حول قمر آيو مع الحفاظ على (روسينانت) سليمة بعد كل ذلك، وكان هولدن ما يزال يُخطّط للهبوط وإنقاذ ابنة براكس المفقودة.

ففي النهاية، سيقابلون الوحوش هناك.

عرفت بوبي ذلك على وجه اليقين كما تعرف اسمها. كانت كل ليلة تحلم بمواجهته مرة أخرى. ذلك الشيء الذي يثني أصابعه الطويلة، ويُحدّق فيها بعيونها الزرقاء المتوهّجة الكبيرة للغاية، على استعدادٍ لإنهاء ما قد بدأه طول تلك الأشهر الماضية على جانيميد. في حلمها أشهرت بوبي سلاحها، وأخذت تُطلق النيران عليها، وهو يركض نحوها، والشبكات العنكبوتية السوداء تتسرّب من الثقوب التي تُغلق على الفور. دائمًا ما كانت تستيقظ من نومها قبل أن يصل إليها. ولكنها عرفت كيف سينتهي ذلك الكابوس: سيُطرح جسدها المُمزّق إلى أشلاء على الجليد المُتجمّد. رأيت أيضًا هولدن وهو يصطحب فريقه إلى المختبرات في آيو حيث صُنعت تلك الوحوش، وكانت ترافقه

في تلك الرحلة. سيتحقّق الكابوس الذي رأته على أرض الواقع الآن تأكَّدت من ذلك كما هي متأكِّدة من حب والدها. ومع ذلك رحبّت بالأمر وتجهَّزت له.

تناثرت قطع من درعها على الأرض حولها. مع أسابيع من السفر في الرحلة الانتحارية إلى آيو، كان لديها وقت كافٍ لفك وتجميع تلك القطع. ابتهجت لرؤية الورشة الميكانيكية التابعة لـ (روسي) مُجهَّزة بالكامل، خصوصًا وأن الأدوات المتوافرة هناك من صنع المريخ؛ لذلك اعتبرتها مكانًا مثاليًّا لصيانة درعها، لقد تعرَّض هذا الدرع لكثيرٍ من الاستخدام دون أن ينال ما يستحق من الصيانة اللازمة، ولكن إذا نظرت إلى حقيقة الأمر، ستجد إنها كانت تفعل ذلك ليس بدافع صيانة الدرع، بقدر ما كانت تبحث عن وسيلة لإلهاء نفسها. تميَّزت بدلة بوبي الاستطلاعية المريخية بأنها آلة معقَّدة بشكلٍ لا يُصدَّق حيث تم تصميمها بدقة لتناسب من يرتديها؛ لذلك لم يكن فكها وإعادة تجميعها مهمة تافهة أو بسيطة حيث يتطلب الأمر تركيزًا كاملًا. كل لحظة قضتها في ذلك العمل كانت لحظة أخرى من عدم التفكير في الوحش الذي ينتظرها؛ ليقتلها على آيو.

للأسف، انتهى هذا الإلهاء الآن، لقد انتهت من عملية الصيانة حتى إنها عالجت صدعًا صغيرًا في صمام صغير تسبَّب في حدوث تسرُّب بطيء ولكن مستمر للسائل في مشغل الركبة بالبدلة. حان الوقت الآن لإعادة تجميع أجزاء البدلة. بدا ذلك وكأنه طقس من طقوس التطهير النهائي قبل الخروج لمواجهة الموت في ساحة المعركة.

قالت لنفسها: "لقد رأيت الكثير من أفلام أكيرا كوروساوا"، ومع ذلك لم تستطع إبعاد الفكرة عن رأسها تمامًا. كانت الأفلام السينمائية طريقة رائعة لتحويل القلق والتفكير الانتحاري إلى شرف وتضحية نبيلة.

التقطت مجموعة من قطع الجذع، ومسحتها بعناية بقطعة قماش مُبلَّلة، وأزالت ما علق بالسطح من آثار الغبار والزيت. فاحت رائحة المعدن ومواد التشحيم في الهواء. وعندما قامت بربط لوحات الدرع المعدني بالإطار مرة أخرى، تشوَّه الهيكل المطلي بالمينا بآلاف الخدوش والعلامات. توقَّفت عن التفكير في المهمة باعتبارها طقسًا تطهيريًّا، واكتفت بالعمل فقط. بدا الأمر وكأنها تبني نعشها بيديها. اعتمادًا على نتيجة تلك

المعركة، يمكن أن يُصبح كل ذلك المطاط والحرف والسائل المعدنية كفنًا يحتضن جثتها إلى الأبد.

قلبت مجموعة الجذع، وبدأت في تنظيف الظهر، وحدث ثقبًا كبيرًا في الميناء حيث انزلقت عبر جليد جانيميد عندما دمَّر الوحش نفسه أمامها مباشرة. التقطت مفتاح الربط، ثم أعادت وضعه مرة أخرى، ونقرت على سطح المركبة بمفصل إصبعها.

لماذا إذن؟

لماذا دمَّر الوحش نفسه في تلك اللحظة؟ تذكَّرت الطريقة التي بدأ بها الوحش في التحوُّل، انبثقت أطراف جديدة من جسده بينما كانت بوبي تراقبه. إذا كان براكس مُحقًّا فيما يقول، فهذه هي اللحظة التي فشلت فيها أنظمة التقييد التي وضعها علماء ماو للتحكُّم في هذا الكائن؛ لذا أعدّوا القنبلة للانفجار إذا خرج عن سيطرتهم. ولكن هذا الأمر أثار في ذهنها تساؤلًا آخر: لماذا خرجت فسيولوجيا الكائن عن سيطرتهم في تلك اللحظة بالذات؟ قال براكس إن العمليات التجديدية كانت عذرًا جيدًا لفشل أنظمة التقييد، وقد قامت فصيلتها بإغراق الكائن بالنيران عندما انقض عليهم. ولكن لم يبدُ أنه تضرَّر مطلقًا من هذه الطلقات النارية، لكن التئام كل جرح أُصيب به كان يُمثِّل انفجارًا مفاجئًا للنشاط داخل خلايا الكائن، أو أيًّا كان الشيء الذي كان موجودًا مكان الخلايا. كان كل جرحٍ يلتئم في جسده بمثابة فرصة لنموٍ جديد يزيده قدرة على الإفلات من القيود.

ربما كان هذا هو الجواب: لا تحاول أبدًا قتل الوحش! ما عليك سوى إلحاق الضرر الكافي به لإتلافه حتى تنهار الأنظمة والبرمجيات، ويبدأ في تدمير ذاته. لم تكن بوبي بحاجة إلى البقاء على قيد الحياة للأبد، بل تحتاج أن تبقى لإلحاق الضرر بهذا الوحش بما يتجاوز قدرته على إصلاح ذاته بسلام، كل ما تحتاج إليه أن تعيش وقتًا كافيًا لإلحاق الضرر به فقط.

وضعت لوحة الدرع جانبًا، وأخذت الخوذة. ما تزال ذاكرة البدلة تحتوي على الفيديو الذي يظهر فيه الوحش على جانيميد. لم تكن قد شاهدته مرة أخرى بعد عرض أفاسارالا إياه على طاقم (روسي). لم تستطع مشاهدته وقتها

نهضت على قدميها، وضغطت على زر وحدة التحكُّم على الحائط: "مرحبًا، ناعومي؟ هل أنتِ في طابق العمليات؟"

أجابت ناعومي: "نعم، هل تحتاجين إلى أيِّ شيءٍ أيتها الرقيبة؟"

"هل يمكنكِ توصيل خوذتي بـ (روسي)، لقد قمت بتشغيل الجهاز اللاسلكي، لكنه لا يمكنه الاتصال بالأجهزة المدنية. (روسي) هي إحدى مركبات المريخ؛ لذلك أعتقد أنها تحتوي على كلمات المرور الموافقة لنظام الخوذة".

سادت فترة توقُّف طويلة؛ لذلك وضعت بوبي الخوذة على الطاولة بجوار أقرب وحدة تحكُّم على الحائط، وانتظرت الإجابة.

"اكتشفت (روسي) نقطة جهاز لاسلكي تُدعى: (مشاة البحرية المريخية جالوت الثالثة A15٢٤٣٩٧) "

ردَّت بوبي: "نعم، هذا أنا. هل يمكنكِ منح الإذن للوحة الورشة الميكانيكية للتحكُّم في تلك النقطة؟"

أجابت ناعومي بعد ثانية: "تم".

قالت بوبي: "شكرًا جزيلًا لكِ"، ثم أنهت الاتصال. استغرق الأمر منها بعض الوقت للتعوُّد على برامج الفيديو العسكرية المريخية، ولإقناع النظام باستخدام خوارزميات قديمة لفك تشفير البيانات. بعد بضع محاولات فاشلة، تمكَّنت أخيرًا من عرض الفيديو على الشاشة. قامت بتشغيل الفيديو على حلقة تُكرَّر تلقائيًّا، وجلست على سطح المركبة بجوار بدلتها.

عندما تم تشغيل الفيديو لأول مرة، أنهت تثبيت الدرع الخلفي، وبدأت في توصيل التيار الكهربائي والنظام الهيدروليكي الرئيسي. حاولت ألا تتأثَّر بالصور المعروضة على الشاشة، نظرت إليها بعدم اهتمام وحرصت على عدم التعليق على ما يُعرض أمامها من لقطات، وعدم التفكير فيما تراه على أنه أحجية يتعيّن عليها حلها. ركّز عقلها على تركيب أجزاء بدلتها المُدرّعة بينما أصبحت المحال لعقلها الباطن أن يمضغ البيانات المعروضة على الشاشة.

تسبّب هذا التشتُّت في تكرار عملية فك وتركيب الأجزاء مرة أخرى، لكنها لم تنزعج من ذلك، بل على العكس، وجدت ذلك جيدًا. ليست مُرغمة على إنهاء تركيب البدلة

قبل موعد مُحدّد على أيّ حال. انتهت من توصيل التيار الكهربائي والمُحرِّكات الرئيسية ظهرت أضواء خضراء على جهازها اللوحي الذي وصلته بالبدلة. على الشاشة بجانب خوذتها، تم إلقاء جندي من جنود الأمم المتحدة على سطح جانيميد نحوها. تشوّشت الرؤية قليلًا وهي تهرب بعيدًا. عندما استقرت الصورة، كان كلٌّ من جندي الأمم المتحدة وصديقها تيف هيلمبان قد ماتا.

التقطت بوبي مجموعة الذراع، وبدأت في إعادة ربطها بالجذع بينما أمسك الوحش جنديًّا يرتدي درعًا يشبه درعها، ثم قذف به بقوة كافية ليُقتل الجندي على الفور. لم تكن هناك خطة دفاعية ضد مثل هذه القوة الخارقة، كل ما يمكن فعله هو الهروب بعيدًا عن طريقه. ركّزت بوبي مرة أخرى على تركيب الذراع في مكانها الصحيح.

عندما نظرت إلى الشاشة مرة أخرى، بدأ تشغيل الفيديو من جديد. كان الوحش يركض عبر الجليد، ويطارد جنود الأمم المتحدة. استطاع أن يقتل واحدًا منهم. شاهدت نفسها تُطلق النار في الفيديو، ثم تبعها أفراد فصيلتها بالكامل في إطلاق النيران.

كان الكائن سريعًا، ولكن عندما تحوّل جنود الأمم المتحدة فجأة لفتح خط إطلاق النار باتجاه قاعدة المريخ، واجه الكائن صعوبة في الرد بسرعة؛ لذلك ربما تكون السرعة في خطٍّ مستقيم، ولكنه لا ينطلق بالسرعة نفسها في المناورات الجانبية. ربما تفيدنا هذه المعلومة. عاد الفيديو مرة أخرى للحظة التي يُلقي فيها الوحش بجندي الأمم المتحدة نحو الجندي هيلمان. تفاعل الكائن مع إطلاق النار والإصابات التي لحقت به، لكنها لم تُبطئ من سرعته. تذكّرت مرة أخرى الفيديو الذي شاهدته لهولدن وأموس وهم يشتبكان مع الكائن في غرفة التخزين على متن (روسينانت)، لقد تجاهلهم الوحش تقريبًا حتى بدأ أموس في إطلاق النار عليه، وعندها بدأ العنف.

لكن الكائن الأول الذي هاجم قاعدة قوات الأمم المتحدة. لذلك، إلى حدٍّ ما، كان يمكن السيطرة عليه، وإصدار الأوامر إليه. ولكن بمجرد أنه لم يعد لدى هذه الكائنات أوامر تتبعها، بدا أنهم يدخلون في حالة من القصور الذاتي لمحاولة الحصول على المزيد من الطاقة وكسر القيود. وفي خضم تلك الحالة، تجاهلوا كل شيء تقريبًا باستثناء الطعام والعنف في المرة التالية التي رأت فيها بوبي أحد هذه الكائنات، لم يكن لدى الكائن

أوامر يتبعها؛ ولذلك اختار ساحة المعركة الخاصة به، وأدارها كيفما يشاء. ربما تفيدنا هذه المعلومة أيضًا.

انتهت من ربط مجموعة الدراع واختبرتها، وبالفعل تأكَّد من تركيبها بشكلٍ صحيح. حتى لو كانت غير متأكِّدة لصالح من تعمل، إلا أنها لم تنسَ كيف تؤدي مهام عملها.

على الشاشة، ركض الوحش بجانب مدفع (يوحيمو) الكبير، واخترق قمرة القيادة، ثم قبض على سعيد الطيار وقذف به بعيدًا. إنه يُكرِّر ما يفعله في كل مرة، كان ذلك منطقيًّا، مع هذا المزيج من القوة الهائلة والمناعة الافتراضية من الإصابة بالأضرار الباليستية أثناء ضبط أدواتك؛ لذلك كان الركض مباشرة باتجاه خصمك وتمزيقه إلى أشلاء ثم قذفه في الهواء إستراتيجيةً ناجحةً. يرتبط رمي الأشياء الثقيلة بسرعات مميتة ارتباطًا وثيقًا بالقوة، وكانت الطاقة الحركية قوة جبارة. قد ينحرف الدرع عن الرصاص أو الليزر، وقد يساعد في تخفيف الصدمات. لكن لم يصنع أحد من قبل درعًا يمكن أن يتجنَّب الطاقة الحركية التي توفِّرها كتلة كبيرة تتحرَّك بسرعة عالية. على الأقل، لم يتم تصميم هذا الدرع بصورة يمكن من خلالها أن يرتديه الإنسان مثل الملابس. وإذا كنت قويًّا بما يكفي، فقد تستخدم مكب النفايات كسلاح فعال أكثر من البندقية.

لذلك عندما هاجم الوحش، ركض مباشرةً نحو عدوه، على أمل الإمساك بهم، الأمر الذي حسم المعركة إلى حدٍّ كبير. وإذا لم يستطع الإمساك بهم، كان يحاول قذفهم بمعدات ثقيلة. كاد الكائن الموجود في غرفة التخزين أن يقتل جيم هولدن عن طريق قذفه بصندوق ضخم. لسوء الحظ، كانت بدلتها المُدرَّعة مُقيَّدةً بالكثير من القيود المفروضة على الكائن. فبالرغم من أنها تستطيع الركض بسرعة كبير عندما تنطلق في خط مستقيم، فإنها لم تكن جيدة بما يكفي عند الانطلاق في المناورات الجانبية. تمامًا مثل معظم الأشياء المخلوقة للركض. حيث لا تتميَّز الفهود ولا الخيول بالانطلاق السريع عند الجري بشكلٍ جانبي. وعلى الرغم من أن بوبي تمتلك قوة خارقة عندما ترتدي بدلتها، لكنها ليست بالقوة نفسها التي يمتلكها هذا الكائن. كان لديها ميزة الأسلحة النارية مما سمح لها بمهاجمة الكائن من مسافة بعيدة أثناء الهروب منه. لم يستطع الوحش قذفها بجسمٍ ضخم دون أن يتوقَّف ويحاول التماسك أولًا. وعلى الرغم من أنه يتمتع

بقوة خارقة، فإنه ما يزال مُقيَّدًا أيضًا بوزنه. وكان لدى بيوتر بعض ما يقوله عن جسمٍ خفيفٍ يرمي شيئًا ثقيلًا.

بحلول الوقت الذي انتهت فيه بوبي من تجميع بدلتها، كانت قد شاهدت الفيديو أكثر من مائة مرة، وبدأت تكتيكات القتال يتبلور في ذهنها. في الاشتباك اليدوي أثناء التدريب، تمكَّنت بوبي من التغلُّب على معظم خصومها، لكن المقاتلين الصغار الذين يمتلكون سرعة مذهلة، ويتقنون حركات الخداع، تسبَّبوا في مشاكل لها. كان عليها أن تلعب هذا الدور في تلك المباراة. عليها أن تستخدم أسلوب الكر والفر، دون أن تتوقَّف للحظة. ولكنها بحاجة إلى الكثير من الحظ؛ لأنها ستقاتل خصمًا بعيدًا تمامًا عن فئتها الوزنية، وأيّ لكمة يُصوِّبها لها ذلك الوحش هي بمنزلة ضربة قاضية مُؤكَّدة.

الميزة الأخرى التي تمتَّعت بها بوبي في تلك المباراة، أنها ليست مُضطرة حقًّا لقتل ذلك الوحش بنفسها، كل ما يتعيَّن عليها فقط أن تُلحق به الضرر الكافي، ومن ثم سيقتل الوحش نفسه. عندما انزلقت أخيرًا في بدلتها المُجدَّدة حديثًا، وأغلقتها عليها لإجراء الاختبار النهائي، أصبحت بوبي على يقين أنها ستستطيع فعل ذلك.

***

افترضت بوبي أن هذا الاكتشاف الجديد حول المعركة المرتقبة سيجعلها تحظى بنوم هانئ أخيرًا، ولكن بعد ثلاث ساعات من التقلُّب على الفراش، أدركت بوبي أنه لا أملَ في النوم، ما يزال شيءٌ ما يحط في مؤخرة رأسها. كانت تحاول العثور على طريقة المحاربين اليابانيين "بوشيدو". هناك الكثير من الأشياء التي تقض مضجعها، وكأن سهاد الليل يعشق مقلتيها.

لذا ارتدت مِبْذل حمام كبيرًا وناعمًا اختلسته من يخت (غوانشين)، واستقلت المصعد نحو طابق العمليات. كانت الساعة الثالثة؛ لذا لم تجد أحدًا في سطح المركبة. كان لدى هولدن وناعومي مقصورة واحدة خاصة بهما، وجدت نفسها تغبطهما على هذا الاتصال البشري الحميم. هذا اليقين الذي تتشبث به وسط كل هذه الحالة السائدة من عدم اليقين. بينما كانت أفاسارالا في مقصورتها المستعارة، ربما ترسل الآن رسائل إلى أصدقائها على كوكب الأرض. بينما كان أليكس نائمًا في مقصورته. للحظة، فكرت في إيقاظه من نومه. كانت تُحب ذلك الطيار اللين، لقد وجدته إنسانًا صديقًا بطريقة لم ترها كثيرًا منذ أن تركت الخدمة العسكرية. لكن تدرك تمامًا أن إيقاظ رجل في الثالثة صباحًا

وهي ترتدي رداء الحمام اللطيف هذا قد يُفهم منه رسائل خاطئة لا تقصدها بدلًا من حقيقة الأمر التي لا تتعدّى رغبتها في التحدُّث إلى شخصٍ ما؛ لذا تجاوزت سطح المركبة، واستمرت في المضي قدمًا.

وجدت أموس جالسًا في زاوية في طابق العمليات وظهره لها. يبدو أنه يوتحي الخدمة الليلية وحتى لا ترتعد فرائصه من ظهورها أمامه فجأة. تنحنحت قليلًا لم يتحرّك أو يبدِ ردة فعل؛ لذلك سارت إلى نقطة الاتصالات. عندما نظرت إليه، رأت عينيه مغلقتين وتنفُّسه عميقًا ومنتظمًا. كان النوم أثناء ساعات الخدمة الليلية على متن مركبة مريخية يقتضي عقوبة تأديبية مُغلّظة، ولكن يبدو أن هولدن لم يُعد يُطبّق قواعد الانضباط العسكري منذ أن ترك العمل في البحرية.

فتحت بوبي وحدة الاتصالات، وبحثت عن أقرب خط لإرسال رسالة ليزر. كان أول ما فعلته أنها اتصلت بوالدها. "مرحبًا يا أبي العزيز، لا أعتقد أنه يجب عليك الرد على هذه الرسالة. ولكن كل ما أود قوله إننا هنا في وضع متقلّب وسريع التطوُّرات. ربما يترامى إلى مسمعك الكثير من الهراء على وسائل الإعلام خلال الأيام القليلة المقبلة، ربما يتعلّق بعض هذا الهراء بي تحديدًا، ولكن لا تهتم بما ستسمعه. فقط كل ما أريدك أن تعرفه هو أنني أحبك، وأحب عائلتي، وأحب المريخ حبًّا جمًّا. لم يكن ما فعلته سوى محاولة لحمايتكم وحماية وطننا الغالي. ربما أكون قد حِدتُ عن الطريق قليلًا، كان هذا لأن الأمور مُعقّدة وعسيرة الفهم. لكنني أعتقد أنني أرى طريقي الآن بوضوح، وبتُّ أعرف ما يجب عليّ أن أفعله، وسأفعله. خالص حبي لك ولأمي العزيزة. بلّغ تحياتي لأشقائي الفشلة". وقبل أن تلمس الشاشة بيدها لإغلاق التسجيل، أضافت: "وداعًا يا أبي".

ضغطت على زر الإرسال، ولكن بدا لها أن شيئًا ما مفقودًا. خارج عائلتها، هناك أشخاص آخرون حاولوا مساعدتها خلال الأشهر الثلاثة الماضية، وجلست معهم على متن مركبة واحدة؛ لذا لم يكن ذلك منطقيًّا.

لكن بالطبع، لن تُرسل بوبي رسائل لكل من جلست معهم على متن مركبة واحدة.

اتصلت بوبي برقمٍ آخر من الذاكرة. قالت: "مرحبًا، النقيب مارتينز. هأنذا بوبي درابر. أعتقد أنني عرفت الآن ما كنت تحاول مساعدتي على معرفته. لم أكن مستعدة

لذلك وقتها، لكنه ظل عالقًا معي؛ لذلك أرى أنك لم تضيّع وقتك معي. فهمتُ كل شيءٍ الآن. أعلم أنه لم يكن خطئي من البداية. أعلم أنني كنت في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. سأبدأ من جديد؛ لأنني أفهم الآن. لن أغضب، ولن أؤذي نفسي، ولن أُلقي باللوم على نفسي، فقط سأؤدي عملي؛ لإنهاء تلك المعركة الدائرة".

انزاح همّ ثقيل من صدرها عندما ضغطت على زر الإرسال. ربطت كل الخيوط بدقة، والآن بإمكانها أن تذهب إلى آيو، والقيام بواجبها دون ذرة ندم. تنهّدت بعمق، وانزلقت على مقعد التصادم حتى أصبحت شبه مُسطَّحة. شعرت فجأة بالتعب الشديد، وكأنها لم تنم منذ أسبوع. تساءلت عما إذا كان أيّ شخصٍ من طاقم المركبة سيفعل وسيُجنّ جنونه إذا وجدها نائمةً في طابق العمليات بدلًا من العودة إلى أسفل للنوم في مقصورتها.

***

لا تذكر كيف غرقت في بحار النوم، فجأة وجدت نفسها مُمدَّدة على مقعد التصادم بجانب وحدة التحكُّم في الاتصالات، وبقعة من اللعاب بجانب رأسها. لحسن الحظ، لم يتزحزح رداء الحمام الذي تلبسه؛ لذلك على الأقل لم يرها أحد وهي عارية.

نادى عليها هولدن: "أيتها الرقيبة؟" ويبدو من نبرة صوته أنه كرَّر النداء عليها أكثر من مرة. وقف بجانب رأسها، وظهر على وجهه القلق.

قالت وهي جالسة، وأخذت تشد رداءها بإحكام حول وسطها: "آسفة، آسفة بشدة. كنت بحاجة إلى إرسال بعض الرسائل الليلة الماضية. لكن يبدو أنني كنت متعبة أكثر مما كنت أظن".

ردَّ هولدن: "آه. لا بأس. نامي أينما تريدين".

قالت بوبي: "حسنًا"، ثم نهضت واتجهت نحو السلم، وأضافت: "ومع ذلك أعتقد أنني سأذهب الآن للاستحمام، وسأحاول أن أعود إنسانة مرة أخرى".

أومأ هولدن برأسه وهي تذهب، بينما ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة نسبيًّا، ثم أضاف: "جيد جدًّا. قابليني في الورشة الميكانيكية عند تفرغين من قضاء حاجاتك، وتكونين جاهزة تمامًا".

ردّت بوبي وهي تنزل السلم: "علْم ذلك".

بعد أن استغرقت وقتًا طويلًا في الاستحمام، وارتدت زيها النظيف ذا اللون الأحمر والرمادي، تناولت فنجانًا من القهوة في المطبخ، ثم شقت طريقها نحو الورشة الميكانيكية. وجدتْ هولدن هناك بالفعل حيث كان يجلس على إحدى الطاولات بجوار صندوق بحجم علبة الجيتار، وعند قدميه كان هناك صندوق مربع أكبر على سطح المركبة. عندما دخلت الورشة، نقر هولدن على الصندوق، وقال: "هذا لكِ، منذ صعدتِ على متن المركبة، ويبدو أنكِ تحتاجين إلى ذلك".

ترددت بوبي للحظة، ثم سارت باتجاه الصندوق، وفتحته. في الداخل رأت مدفع (غاتلينج) ثلاثي الفُوَّهات يبلغ قطره ٢ ملليمتر، من النوع الذي أطلق عليه المريخيون "الصاعقة – الإصدار الخامس". بدا المدفع جديدًا ولامعًا، كما أنه من النوع الذي يناسب بدلتها.

التقطت بوبي أنفاسها، وقالت: "إنه مذهل!" وبعد لحظة صمت، استدركت: "ولكنه ماذا سيفيد مدفع مذهل بدون ذخيرة!".

ركل هولدن الصندوق المربع على سطح المركبة، وقال: "خمسة آلاف طلقة من عيار ٢ ملليمتر بلا ظرف، ذخيرة حارقة وليست خارقة".

تساءلت: "حارقة وليست خارقة؟"

قال هولدن: "هل نسيتِ أنني رأيت الوحش عن قرب أيضًا. لن تفيد الذخيرة الخارقة للدروع كثيرًا. بل إنها في الواقع تُقلِّل من تلف الأنسجة الرخوة. ولكن بما أن المختبر في جانيميد قد وضع مع هذه الوحوش قنابل حارقة للسيطرة عليها، أعتقد أن هذا يعني أنها ليست مقاومة للحريق؛ لذلك فالحل الأمثل لمواجهتها يتمثَّل في الذخيرة الحارقة".

أخرجت بوبي السلاح الثقيل من الصندوق، ووضعته على الأرض بجوار بدلتها المُعاد تجميعها حديثًا.

- "يا إلهي! إن ما تقوله صحيح تمامًا".

الفصل السابع والأربعون

هولدن

جلس هولدن عند لوحة التحكُّم القتالية في طابق العمليات، وأخذ يشاهد (إله الحرب- راجناروك) يزحف إليه. انضم الأميرال ساوثر -الذي أكّدت أفاسارالا أنه من الأخيار- بمركباته إلى الأسطول المريخي الصغير الذي كان يتنامى شيئًا فشيئًا، وبدأوا جميعًا في التسارع نحو آيو. كانت عشرات المركبات التابعة لأسطول الأميرال نجوين تنتظرهم في مدار حول ذلك القمر. انطلقت المزيد من مركبات المريخ والأمم المتحدة نحو هذا الموقع من زحل والحزام. بحلول الوقت الذي يصل فيه الجميع إلى هناك، سيكون هناك ما يقرب من خمس وثلاثين مركبة رئيسية في ساحة المعركة، وعشرات من المركبات المعترضة والطرّادات الأصغر حجمًا مثل (روسينانت).

رأى هولدن ثلاثين مركبة كبرى، وحاول أن يتذكَّر إذا كان قد سبق له رؤية أسطول بهذا الحجم، ولكنه فشل في ذلك؛ حيث تضمَّن ذلك المركبات الكبرى للأميرال نجوين والأميرال ساوثر، كما سيكون هناك أربع مركبات حربية من فئة (ترومان) تابعة لأسطول الأمم المتحدة، بينما سيكون لدى المريخ ثلاث مركبات حربية من فئة (دوناجر)، والتي لديها قوة نارية كافية لإخلاء كوكب من سكانه، بينما سيكون الباقي مزيجًا من الطرّادات والمُدمِّرات، وبالرغم من أن ضرباتها ليست شديدة، فإن قوتها تكفي لتدمير (روسينانت) وفي الحقيقة، كان ذلك أكثر ما يُقلق هولدن.

من الناحية النظرية، كان فريقه يمتلك أكبر عدد من المركبات خصوصًا بعدما اتحد الأميرال ساوثر مع المريخيين، ومن ثَمَّ فاقوا عدد مركبات نجوين بمعدل الضعف ولكن كم عدد المركبات الأرضية في فريقه التي ستكون على استعداد لإطلاق النار على المركبات الأرضية الأخرى التابعة للفريق الآخر لمجرد اتباع أوامر أميرال أو سياسية عجوز منفية عن الأرض. كان من الممكن تمامًا أنه عندما يبدأ إطلاق النار الفعلي، تُعلن

الكثير من مركبات الأمم المتحدة وجود إخفاقات في الاتصالات بشكلٍ غير مُبرّر، وتتخذ ذلك ذريعة؛ لتنتظر وترى كيف ينتهي هذا الأمر. وليس هذا أسوأ ما يمكن أن يحدث. الأسوأ من ذلك أن عددًا من مركبات الأميرال ساوثر قد تُغيِّر اتجاهها بمجرد أن يبدأ المريخيون في إطلاق النار على المركبات الأرضية التابعة لجانب نجوين. من المحتمل أن يختلط الحابل بالنابل، وتتحوّل المعركة إلى خليط من المركبات التي تُطلق النار بعضها على بعض دون أن يعرف أحد صديقه من عدوه.

يمكن أن يتحوَّل الأمر إلى مذبحة يهلك الجميع على إثرها.

قالت أفاسارالا وهي تجلس في موقعها المعتاد بجوار مركز الاتصالات: "نمتلك ضعف عدد المركبات". كاد هولدن أن يعترض لكنه غيَّر رأيه؛ لا لشيءٍ إلا لأن ذلك لن يُفيد شيئًا في النهاية. لن تقتنع أفاسارالا بغير رأيها؛ لأنها تحتاج الآن إلى من يُؤكِّد لها أن كل جهودها لم تذهب سُدًى، وأنها على وشك أن تُؤتي ثمارها عندما يصل الأسطول إلى وجهته، وترى المهرِّج الذي يُدعى نجوين وهو يستسلم بعد أن يرى عتاد الفريق الآخر الذي يفوق عتاد فريقه بمعدل الضعف. والحقيقة هي أن رؤيتها ليست أكثر أو أقل خيالًا من رؤيته. ولا أحد يعرف ما يُخبئه المستقبل.

تساءلت أفاسارالا: "كم يتبقَّى الآن؟" ثم ارتشفت جرعة من قهوتها الخفيفة التي بدأت في تناولها بدلًا من الشاي.

فكَّر هولدن في إخبارها بأن معلومات الملاحة الخاصة بـ (روسي) متاحة على جميع وحدات التحكُّم، ويمكنها أن تعاين ذلك بنفسها بمجرد النظر إلى أيّ وحدة تحكُّم، ولكنه آثر عدم فعل ذلك؛ لأنه يعلم أن أفاسارالا لن تقبل أن يعلِّمها أحد القيام بذلك. هي تُريده أن يخبرها فقط بإجابة ما تسأل عنه، فلم تكن معتادة على الضغط على الأزرار ومتابعة الأمور بنفسها. بالنسبة لها كان هولدن مجرد تابع، وترى نفسها متفوِّقة عليه بمكانتها السياسية. تساءل هولدن كيف يبدو شكل التسلسل القيادي في هذا الموقف. وكيف يمكن لقبطان غير شرعي يقود مركبة مسروقة أن يتساوى مع أحد مسؤولي الأمم المتحدة المنفيين؟ هذه قضية يمكن أن تبقى المحاكم مشغولة بها لعقودٍ من الزمن.

لم يكن هولدن عادلًا مع أفاسارالا بما يكفي عند تفكيره في الأمر بهذا الشكل؛ حيث لا يتعلّق الأمر بضرورة الامتثال لأوامر السيدة العجوز، بل كل ما في الأمر أنها ليست لديها خبرة كافية بمثل هذه الموقف، كما أنها أقل الأشخاص قائدةً في الغرفة، وتحاول جاهدةً أن إثبات بعض سيطرتها. لم يكن الأمر سوى محاولة بائسة لإعادة تشكيل الواقع من حولها لتظهر بالمظهر الذي يتناسب مع صورتها الذهنية عن نفسها.

أو ربما يكون الأمر أبسط من ذلك، ولم يكن سؤالها إلا لأنها احتاجت إلى أن تسمع صوتًا في المكان الذي يُخيِّم عليه الصمت.

أجاب هولدن: "ثماني عشرة ساعة من الآن. ستصل معظم المركبات الأخرى التي ليست جزءًا من أسطولنا، وستواجهنا هناك".

قالت أفاسارالا: "ثماني عشرة ساعة"، وبدا من صوتها أنها متفاجئة ومرتعدة قليلًا، تابعت: "الفضاء شاسع للغاية، إنها القصة القديمة نفسها".

لقد أحسن هولدن التخمين، كان سؤالها لمجرد فتح مجال للحديث فقط؛ لذلك مدَّ معها حبال الكلام، وسألها: "أيّ قصة بالضبط؟"

أجابت: "الإمبراطوريات، تنمو كل إمبراطورية حتى تبدأ الأمور في الخروج عن نطاق السيطرة. بدأنا في القتال لمعرفة من لديه أفضل أغصان الأشجار، ثم خرجنا من ذلك لنتقاتل على مساحة من الأرض، لا تتجاوز بضعة كيلومترات، مليئة بالأشجار، ثم يبدأ شخصٌ ما ركوب الخيل، وتمتد إمبراطوريته لمئات وآلاف الكيلومترات. ثم نصنع المركبات التي تمهِّد لنا الطريق لعبور المحيطات وتكوين إمبراطوريات أوسع. وبفضل مُحرِّك إبشتاين، وصلنا الآن إلى الكواكب الخارجية... ".

تراجعت عن مكانها، وكتبت شيئًا ما على وحدة التحكُّم بالاتصالات. لم تُقل لمن تُرسل الرسائل، ولم يسألها هولدن. عندما انتهت، تابعت: "ولكن التاريخ يُعيد نفسه دائمًا، بغض النظر عن مدى جودة التقنيات التي تستخدمها، ستحتل منطقة في وقتٍ ما، ولكن لن يمكنك الاحتفاظ بها للأبد".

سألها هولدن: "هل تتحدّثين عن الكواكب الخارجية؟"

أجابت: "ليس على وجه التحديد"، وانخفض صوتها وبدا أكثر تأمُّلًا، ثم أردفت: "أنا أتحدّث عن المفهوم الكامل للإمبراطوريات اللعينة، لم يستطع البريطانيون التمسُّك بالهند أو أمريكا الشمالية. ما الذي يجعل الناس هناك يتبعون أوامر ملكٍ يبعد عنهم ستة آلاف كيلومتر بحق الجحيم؟!"

عبث هولدن بمُرَوِّحة دوران الهواء على لوحته مُوجِّهًا إياها نحوه، فاحت في الهواء البارد رائحة زيت التشحيم والأوزون. قال: "المشكلة دائمًا في اللوجستيات".

ردَّت أفاسارالا: "لا تمزح بالله عليك، إن خوض رحلة خطرة لمسافة ستة آلاف كيلومتر عبر المحيط الأطلسي لمحاربة المستعمرين يمنح العدو ميزة هائلة".

قال هولدن: "على الأقل أدركنا، نحن أبناء الأرض، هذا الأمر قبل أن نبدأ معركةً حامية الوطيس مع المريخ، بل ما هو أبعد من ذلك، وأحيانًا تقف الشمس في طريقنا".

ردَّت أفاسارالا: "لم يغفر لنا البعض قطّ؛ لأننا لم نُخضِع كوكب المريخ لسيطرتنا عندما سنحت لنا الفرصة. وللأسف إنني أعمل مع بعض هؤلاء الحمقى الملاعين".

قال هولدن: "اعتقدتُ أن الهدف من قصتك هو أن تقولي إن هؤلاء الناس يخسرون دائمًا في النهاية".

ردَّت أفاسارالا، وهي تنهض وتتجه ببطء نحو السلم: "هؤلاء الناس ليسوا هم المشكلة الحقيقية. يمكن أن يكون كوكب الزهرة بؤرة استيطانية للإمبراطورية الأولى القادرة على السيطرة تمامًا على الأمور. وقد كشف لنا هذا الجزيء الأولي اللعين مدى ضعفنا وتضاؤل أهميتنا. نحن على وشك أن نقايض على نظامنا الشمسي؛ من أجل بناء مرافئ من الخيزران واستقبال الشحنات".

قال هولدن بينما كانت السيدة العجوز تستدعي المصعد: "اذهبي لتنالي قسطًا من الراحة، سوف نُهزم تلك الإمبراطوريات واحدةً تلو الأخرى".

ردَّت أفاسارالا، وهي تبتعد عن الأنظار: "ربما"، وانغلقت فتحة المركبة من خلفها.

***

تساءل براكس. "لماذا لا يطلق أحد النار؟" لقد صعد إلى طابق العمليات خلف باعومي مثل طفل تائه، ثم اتخذ مكانه في أحد مقاعد التصادم الشاغرة حدَّق في الشاشة الرئيسية، وبدا على وجهه مزيج من الخوف والانبهار.

أظهرت الشاشة التكتيكية الكبيرة كتلة مُشوّشة من النقاط الحمراء والخضراء تُمثّل ستًّا وثلاثين مركبة كبيرة متوقِّفة في مدارٍ حول ايو. حدّدت (روسي) جميع مركبات الأرض باللون الأخضر، بينما حدّدت مركبات المريخ باللون الأحمر. لقد عبَّرت الشاشة عن الوضع ببساطة مُربكة؛ لأن على الواقع كان الوضع أكثر تعقيدًا من ذلك بكثير. أدرك هولدن أن الأنظمة ستواجه مشكلة كبيرة في تحديد الأعداء عندما يبدأ أحدهم إطلاق النار.

الآن، تُحلِّق المركبات المختلفة بهدوء فوق قمر آيو، ولم يتم الإعلان عن الأخطار الهائلة المحتملة. ذكَّر هذا المشهد هولدن بالتماسيح التي رآها صغيرًا في حديقة الحيوان. كانت مخلوقات عملاقة، مُدرَّعة ذات أسنان بارزة تطفو على الماء مثل التماثيل. لم ترمش عيونهم، ولكن عندما تم إلقاء الطعام في الحظيرة، انفجروا من الماء بسرعة مخيفة.

نحن فقط ننتظر أن تلامس بعض قطرات الدم سطح الماء.

كرَّر براكس سؤاله: "لماذا لا يطلق أحد النار؟"

أجاب أموس: "مرحبًا يا دكتور"، وقد استلقى على أحد مقاعد التصادم بجوار براكس. لقد حسده هولدن على الهدوء الذي يتمتَّع به، تابع: "هل تتذكَّر عندما واجهنا في جانيميد هؤلاء الرجال المُسلَّحين، ولم يكن أحد يطلق النار حتى قرَّرت أن تضغط على الزناد؟"

تجمَّد براكس. خمَّن هولدن أنه تذكَّر الآثار الدموية التي أعقبت تلك المعركة. أجاب براكس: "نعم، أتذكَّر".

ردّ أموس: "الأمر كذلك هنا، ولكن لم يضغط أحد على الزناد حتى الآن".

أومأ براكس برأسه: "فهمت".

إذا قرّر شخصٌ ما بدء المواجهة الآن، فإن هولدن يعرف أن اكتشاف أيّ الجانبين قد بدأ بإطلاق النار سيكون المشكلة الأولى التي سيواجهونها. سأل هولدن: "أفاسارالا،

هل لديك أيّ معلومات عن الوضع السياسي حاليًا؟ هناك الكثير من النقاط الحمراء على تلك اللوحة. كم من هذه النقاط تنتمي إلى جانبنا؟"

هزّت أفاسارالا كتفيها، واستمرت في الاستماع إلى الاتصالات المفتوحة بين المركبات الحربية.

سأل هولدن: "وأنت يا ناعومي! هل لديكِ أيّ فكرة؟"

أجابت: "حتى الآن، يستهدف أسطول نجوين المركبات المريخية فقط"، مشيرة إلى المركبات على شاشة العرض التكتيكي الرئيسية ليراها الجميع، ثم تابعت: "وفي المقابل، يستهدف المريخيون المركبات التي تستهدفهم، بينما لا تستهدف مركبات ساوثر أيّ أهداف على الإطلاق. لم يفتح ساوثر حتى الآن أنابيبه، أظن أنه ما يزال يأمل في التوصُّل إلى حلّ سلميّ".

قال هولدن: "من فضلكِ أرسلي تحياتي إلى ضابط الاستخبارات على متن مركبات ساوثر، واطلبي منه أن يقدم لنا بعض البيانات التعريفية لتحديد أصدقائنا من أعدائنا الآن حتى لا يُسجِّل التاريخ هذه المعركة باعتبارها أغبى معركة وقعت في تاريخ النظام الشمسي".

أجابت ناعومي: "عُلِم". وبدأت بالفعل في إجراء المكالمة.

قال هولدن: "أخبِر الجميع أن يرتدوا بدلاتهم، يا أموس. تفقّد الأوضاع جيدًا قبل أن تنزل لأسفل. آمل ألا نبدأ في إطلاق النار، ولكن القدر عادةً ما يعاند ما آمله أن يحدث".

ردَّ أموس: "عُلِم، أيها القبطان"، ثم قفز من مقعده، وبدأ في التجوُّل حول سطح المركبة بحذائه المُمغنط، وفحص الأختام على خوذات الجميع.

قال هولدن عبر الجهاز اللاسلكي الذي يربط الطاقم: "هل تسمعونني! هل تسمعونني!"، استجاب للنداء كل من على متن المركبة واحدًا تلو الآخر. هذا طبعًا باستثناء تلك السيدة التي تظن نفسها أعلى منه شأنًا، والتي تعلم أن هولدن لن يستطيع اتخاذ إجراء ضدها.

قاطعته أفاسارالا. "انتظر لحظة". ثم ضغطت على زر على وحدة التحكُّم الخاصة بها، وبدأوا جميعًا في الاستماع إلى قناة خارجية تدور على أجهزة اللاسلكية الخاصة بهم.

- "إطلاق وشيك ضد أهداف المريخ، لدينا مدفعية صواريخ تحمل سلاحًا بيولوجيًّا فتاكًا جاهزًا لإطلاق النار، لديكم ساعة واحدة لمغادرة مدار آيو أو سنُطلق قذائفنا على الفور على المركبات المريخية".

أوقفت أفاسارالا القناة مرة أخرى.

قال أموس: "يبدو أن هناك طرفًا ثالثًا قد انضم إلى دائرة الحرب".

ردَّت أفاسارالا: "كلا، إنه نجوين. نظرًا لأنه أقل منا عددًا؛ لذا فقد طالب رفاقه المقربين من ماو على سطح آيو بتهديدنا بالتراجع، إنه سوف... أوه، اللعنة."!

ضغط على لوحتها مرة أخرى، وتحدَّث صوتٌ جديد عبر الجهاز اللاسلكي.

كانت هذه امرأة بلكنة مريخية رفيعة.

- "آيو، هأنذا الأميرال موهان من البحرية المريخية، إذا أُطلقوا علينا أيّ شيء أكبر من صاروخ زجاجي، فإننا سنطحن هذا القمر اللعين بقذائفنا ليُحطِّم تحطيمًا. هل تفهمونني؟"

انحنى أموس إلى براكس: "الآن، كما ترى، الجميع على وشك الضغط على الزناد".

أومأ براكس برأسه: "فهمتك".

قال هولدن، مشيرًا إلى نبرة الغضب المكبوت في صوت الأميرال المريخية، "يبدو أن الأمور على وشك أن تخرج عن السيطرة".

دخل صوتٌ جديد على القناة: "هأنذا الأميرال نجوين على متن مركبة أجاثا كينج التابعة للأمم المتحدة الأميرال ساوثر موجود هنا بشكل غير قانوني، بناءً على طلب من مسؤول مدني في حكومة الأمم المتحدة لا يمتلك أيّ سلطة عسكرية. وبموجب هذا، أطالب جميع المركبات التي تخضع لقيادة الأميرال ساوثر بالتراجع فورًا. وعلاوة على ذلك، فإنني أصدر أمرًا إلى قبطان مركبة الأميرال ساوثر بوضعه قيد الاعتقال بتهمة الخيانة العظمى". .

قاطعه الأميرال ساوثر عبر القناة نفسها: "هلا صمتَّ قليلًا! أنا هنا كجزء من مهمة قانونية لتقصِّي الحقائق حول ما يُثار عن إهدار أموال ومعدات الأمم المتحدة في الإنفاق على مشروع سري يتعلّق بالأسلحة البيولوجية على قمر آيو، مشروع يمكن أن يكون الأميرال نجوين مسؤولًا عنه بشكلٍ مباشر بما يتعارض مع سياسات وتوجيهات الأمم المتحدة... ".

أغلقت أفاسارالا القناة.

قال أليكس: "هذا ليس جيدًا بالمرة".

ردَّت أفاسارالا: "حسنًا"، ثم أزاحت الخوذة قليلًا، وتنهَّدت قليلًا، وفتحت حقيبتها، والتقطت منها حبة فستق. أزالت القشرة، وأكلت اللُّب بنظرة فاحصة، ثم قذفت بالقشرة في سلة المهملات القريبة. تناثر جزءٌ صغيرٌ من القشرة بعيدًا في الجاذبية الصغرى، ثم أردفت: "كلا، في الواقع يبدو هذا جيدًا جدًّا. إنها هدنة. طالما استمر هؤلاء الداعرون في مقارنة حجم قضبانهم بهذه الطريقة، فلن يقوم أحد بإطلاق النار".

قال براكس، وهو يهز رأسه: لكن لا يمكننا الانتظار هنا". كان أموس يطفو حوله ويفحص خوذته. دفعه براكس، وحاول الوقوف على قدميه، انجرف بعيدًا عن مقعد التصادم، دون أن يُشغِّل حذاءه المُمغنط. ثم قال: "إذا كانت مَي هناك، فعلينا أن نذهب لإنقاذها الآن. إنهم يتحدَّثون عن تحطيم القمر. علينا أن نصل إليها قبل أن يفعلوا ذلك".

تردَّد صوت براكس مثل أنين كمان غير متناغم. سيطر التوتُّر على أعصابه، وعلى الرغم من أنهم جميعًا مُتوتِّرون فإن براكس بدا الأكثر تأثُّرًا وانفعالًا. ألقى هولدن نظرة على أموس، لكن الرجل الضخم ظل مذهولًا من هول المفاجأة بعد أن دفعه العالِم الضئيل.

تابع براكس، وبدأ الذعر يتسلَّل إلى صوته: "إنهم يتحدَّثون عن تدمير القاعدة. علينا أن نذهب إلى هناك."!

ردَّ هولدن. "لا يمكننا أن نفعل أيّ شيءٍ، ليس لدينا حتى فكرة عما يجب أن نفعله ما لم تصح الأمور"

سأل براكس مستنكرًا: "وهل قطعنا كل هذه الرحلة حتى لا نفعل أيّ شيء؟"

تدخَّل أموس: "دكتور، لا نريد أن نأخذ نحن الخطوة الأولى"، ووضع يدًا على كتف براكس، وجذبه مرة أخرى إلى سطح المركبة، ولكن عالم النبات الضئيل تجاهل ذلك بعنف دون أن يستدير، ثم دفع نفسه في مقعده نحو أفاسارالا.

قال براكس: "أعطني هذا الميكروفون، اسمحوا لي أن أتحدَّث معهم"، وحاول أن ينتزع وحدة التحكُّم الخاصة بالسيدة العجوز، "أستطيع أن..."

انطلق هولدن من مقعده، واصطدم بالعالِم في منتصف الطرق، وتدحرجوا عبر سطح المركبة حتى اصطدما بالحاجز. امتصت الطبقة السميكة من بطانة الحاجز تأثير الصدمة، لكن هولدن شعر بزفير براكس عندما ارتطم وركه ببطن العالِم الضئيل.

قال براكس: "أوه"، وهو ينعطف في شكل كرة جنينية عائمة. شغَّل هولدن حذاءه المُمغنط ودفع نفسه إلى سطح المركبة، أمسك براكس ودفعه عبر المقصورة إلى أموس. وصاح: "خذه إلى الأسفل، ضعه في مقصورته، واحقنه بالمهدِّئات، ثم انتقل إلى السطح الهندسي، واستعد للقتال".

أومأ أموس برأسه، وأمسك براكس العائم في الضياع. ثم قال: "سأفعل"، وبعد لحظة اختفى الاثنان من فتحة سطح المركبة.

نظر هولدن في أرجاء المقصورة، ورأى النظرات المصدومة على وجه أفاسارالا وناعومي، لكنه تجاهلها. كاد تركيز براكس على إيجاد ابنته، باعتبار ذلك أكثر أهمية من أيّ شيءٍ في الكون، أن يضعهم في مأزق آخر. وبينما كان هولدن يتفهَّم مشاعر عالِم النبات ودوافعه النبيلة، فإن الاضطرار إلى منعه من قتلهم جميعًا في كل مرة يظهر فيها اسم اسم مَي كان بمثابة ضغط لا يمكنه تحمله في الوقت الحالي. جعله ما حدث يستشيط عصبًا ويحتاج إلى الانفجار في أيّ شخص آخر.

صرخ: "أين بوبي بحق الجحيم؟"، لم يُوجِّه سؤاله لشخصٍ بعينه. لم يرها منذ أن وصلوا إلى مدار آيو.

أجاب أموس عبر الجهاز اللاسلكي: "لقد رأيتها للتو في الورشة الميكانيكية، وجدتها قد فكّكت مدفعًا هناك. أعتقد أنها تُعدّ جميع الأسلحة والدروع للمعركة".

أصبح هولدن مستعدًّا للصراخ لأيّ سبب. "هذا مفيد حقًّا، ولكن أخبرها أن ترتدي درعها وتُشغِّل الجهاز اللاسلكي من الآن فصاعدًا، يمكن أن تسوء الأمور في أيّ وقت".

استغرق بضع ثوانٍ لالتقاط أنفاسه، ثم عاد إلى لوحة التحكُّم القتالية.

سألته ناعومي عبر قناتها الخاصة. "هل أنت بخير؟"

أجاب: "كلا"، وضغط على الزر بذقنه؛ للتأكُّد من أنها هي الوحيدة التي سمعت رده. أردف قائلًا: "كلا، الحقيقة أنني أكاد أموت رعبًا".

- "اعتقدت أننا تجاوزنا ذلك".

تساءل: "وهل كنت خائفًا فيما مضى؟"

ردَّت: "كلا"، والابتسامة واضحة في صوتها، "هل تشعر بإلقاء اللوم على نفسك لاعترافك بذلك؟! أنا أيضًا أكاد أموت رعبًا".

قال هولدن: "أنا أحبك"، وشعر بالوخز الذي يسري في جسده في كل مرة يقولها، مزيج من الرهبة والتفاخر.

قالت: "ربما يجب أن تبقى منتبهًا، أيها القبطان"، وبدت نبرة صوتها جادة؛ لاستفزازه. لم تردَّ عليها ناعومي قط بنفس الكلمة عندما يُصرِّح بها أولًا. لقد سبق أن قالت له إنه عندما يرد الشخص بهذه الكلمة على من يقولها له، فإن الكلمة تفقد تأثيرها وتُصبح بلا معنى. قوة الكلمة عند يتم التصريح بها لأول مرة. اقتنع بهذه الحجة، ولكنه كان يتمنَّى نوعًا ما أن تكسر ناعومي تلك القاعدة التي وضعتها، ولو لمرة واحدة. كان بحاجة إلى سماعها تتلفَّظ بكلمة: "أحبك".

انحنت أفاسارالا فوق وحدة الاتصالات مثل كاهن قديم يُحدِّق في كرة بلورية غامضة. تدلَّت بدلة الفضاء الكبيرة على جسمها الصغير حتى بدت مثل المعاطف التي تُعلَّق على الفزّاعات. فكَّر هولدن أن يُجبرها بارتداء خوذتها، لكنه تجاهل الأمر. كانت تبلغ من العمر ما يكفي لتعرف مخاطر تناول الطعام أثناء المعركة.

كانت السيدة العجوز تمدُّ يدها إلى حقيبتها وتخرج حبة فستق أخرى، وامتلأ الهواء من حولها بسحابة متنامية من قطع صغيرة من قشر الفستق. ارتعج من مشاهدتها وهي تثير

الفوضى في المركبة بهذا الشكل، ولكن لم تكن مركبته الحربية هشة لدرجة أن القليل من النفايات المتطايرة من شأنه أن يتسبّب في خطر كبير. إما أن يتم امتصاص قطع القشر الصغيرة في نظام إعادة تدوير الهواء، وعندها لن تعبر للخارج من المرشّحات، أو أن تسقط على الأرض، وعندها يمكن كنسها بسهولة. تساءل هولدن عما إذا كانت أفاسارالا تتولّى تنظيف أيّ شيءٍ في حياتها!

بينما كان يراقبها، قامت السيدة العجوز بإمالة رأسها قليلًا إلى جانبها، وبدأت تستمع باهتمامٍ مفاجئ إلى شيءٍ لا يسمعه أحدٌ سواها. مدَّت يدها بسرعة إلى الأمام، لتنقر على الشاشة. صدر صوتٌ جديد عبر أجهزة اللاسلكية في المركبة، كان الصوت مكتومًا ومُحاطًا بالهسهسات التي يتم التقاطها عن بعد ملايين الكيلومترات في الفضاء.

"الأمين العام للأمم المتحدة إستيبان سورينتو جيليس، سبق وأعلنت –منذ بعض الوقت– عن تشكيل لجنة تحقيق للبحث عن أدلة حول احتمالية إساءة استخدام موارد الأمم المتحدة في إجراء أبحاث الأسلحة البيولوجية غير القانونية. وبينما يستمر هذا التحقيق، واللجنة ما تزال غير مستعدة لتوجيه الاتهامات في الوقت الحالي، من أجل الحفاظ على السلامة العامة ولتيسير إجراء تحقيق شامل ومُوسّع بشكلٍ أفضل؛ لذا يجب استدعاء بعض موظفي الأمم المتحدة الذين يشغلون مناصب رفيعة للحضور إلى كوكب الأرض من أجل استجوابهم. وهم: أولًا الأميرال أوجستو نجوين، من البحرية التابعة للأمم المتحدة. ثانيًا...:"

ضربت أفاسارالا بيدها على اللوحة؛ لإيقاف التشغيل، وحدّقت في وحدة التحكُّم لعدة ثوانٍ بعينين مشدوهتين، وفمٍ فاغر، وقالت: "حقًّا؟ اللعنة!"

وبدأت أجهزة الإنذار تدوي في جميع أرجاء المركبة.

الفصل الثامن والأربعون

أفاسارالا

قالت ناعومي وسط صخب الإنذارات المُدوية: "خذوا حذركم! لقد بدأت مركبة القيادة التابعة للأمم المتحدة في إطلاق النار".

أغلقت أفاسارالا خوذتها، وانتظرت حتى شاهدت الرسالة التي تُؤكِّد وضع الختم على الخوذة، ثم نقرت على وحدة الاتصالات، وعقلها يتحرَّك أسرع من يديها. كان إرينرايت قد أبرم صفقة، والآن بات نجوين يعرف ذلك. لقد تمت التضحية بهذا الأميرال؛ لذلك أصبح لا يلوي على شيء. ظهر إشعار على لوحة التحكُّم: رسالة واردة ذات أولوية قصوى. نقرت أفاسارالا لفتح الرسالة؛ ليظهر الأميرال ساوثر على اللوحة وعلى جميع شاشات طابق العمليات.

- "هذا أنا الأميرال ساوثر، وبموجب هذا أعلن أنني سأتولَّى أمر..".

قالت ناعومي: "حسنًا، ولكنني أحتاج إلى إعادة شاشة العرض الخاصة بي، لدي بعض العمل للقيام به الآن".

اعتذرت أفاسارالا وهي تنقر على لوحة التحكُّم مرة أخرى: "آسفة، آسفة بشدة. يبدو أنني نقرت على الزر الخطأ".

كان ساوثر يقول: "... قيادة القوات، يُعفى الأميرال نجوين من الخدمة، أيّ أعمال عدائية ستكون... ".

قامت أفاسارالا بتحويل البث إلى شاشتها الخاصة، وفي الوقت نفسه غيّرت الرسالة إلى بث مختلف؛ حيث ظهر الأميرال نجوين، وقد بدا وجهه أرجوانيًّا بعض الشيء، وكان يرفل في زيه العسكري بافتخار.

- "...إنها مصادرة غير مشروعة وغير مسوقة، يجب أن يُرح بالأميرال ساوثر في السجن. ".

ظهرت خمسة طلبات اتصال واردة، كل منها يحمل اسمًا ومعرف مرسل مستجيب قصير. تجاهلتهم جميعًا لتشغيل البث، وبمجرد تنشيط زر البث المباشر، نظرت إلى الكاميرا.

- "هأنذا مساعدة وكيل الأمين العام للمتحدة كريسجين أفاسارالا، ممثلة عن الحكومة المدنية لكوكب الأرض، أُعلن منح الأميرال ساوثر تصريحًا قانونيًا بقيادة القوات. وفي المقابل سيتم اتخاذ الإجراءات القانونية ضد أيّ شخص يرفض الامتثال لأوامره أو يتجاهلها. أُكرِّر، الأميرال ساوثر لديه تصريح قانوني بقيادة القوات... ".

نخرت ناعومي بصوتٍ منخفض. أوقفت أفاسارالا البث، والتفتت.

قال هولدن: "امم، يبدو أن الأمور لا تسير على ما يُرام".

تساءلت أفاسارالا: "ماذا هنالك؟"

أجاب: "إحدى مركبات الأرض تعرَّضت للتو لثلاث ضربات طوربيد".

- "وهل هذا يعتبر رقمًا كبيرًا؟"

ردَّت ناعومي: "لم تتمكَّن مدافع الدفاع النقطية من التصدِّي لتلك الضربات؛ لأن جميع طوربيدات الأمم المتحدة تحتوي على رموز جهاز إرسال تُميِّزهم باعتبارهم حلفاء، لهذا فهم ينفذون من خلالها بسهولة. إنهم عادة لا يتوقَّعون أن تُطلق عليهم مركبات الأمم المتحدة النيران".

قال هولدن، وهو يربط نفسه في مقعد التصادم. "نعم، ثلاث ضربات رقم كبير"، لم تره أفاسارالا يلمس أيًا من عناصر التحكُّم، ولكن بالتأكيد فعل شيئًا ما؛ لأنه عندما تحدَّث، تردَّد صدى صوته عبر المركبة، وكذلك عبر مكبرات الصوت في خوذتها. تابع قائلًا: "لقد بدأنا للتو. على كل شخص أن يعد حتى عشرين ويربط نفسه في مكانٍ آمن".

ردّت بوبي من المكان الذي كانت فيه على متن هذه المركبة: "عُلم، ويُنفذ".

قال أموس: "لقد ربطت الدكتور للتو، وهو الآن تأثير المُخدِّر. أنا في طريقي إلى السطح الهندسي".

سأل أليكس: "هل نتجه إلى هذا؟"

"هناك حوالي خمس وثلاثين مركبة كبيرة هناك، وكلها تفوقنا من حيث الحجم والذخيرة، ماذا لو حاولنا فقط منع أيّ جبهة من إطلاق القذائف علينا حتى لا تُثقب (روسي)! ".

أجاب أليكس من قمرة القيادة: "أمرك يا سيدي". الآن لا معنى للديمقراطية أو أخذ الأصوات. لحسن الحظ، أن هولدن كان الصوت الوحيد المسيطر على المركبة عندما كان من الضروري أن يتولّى شخصٌ واحد زمام الأمور.

قالت ناعومي: "اثنان من المهاجين يتحركّان بسرعة نحونا، ما يزال هناك من يعتقد أننا الأشرار".

قالت بوبي: "من يجب أن يُلقى عليه اللوم في ذلك هي أفاسارالا".

قبل أن تضحك أفاسارالا، زادت الجاذبية، وانحرفت إلى الجانب، وبدأت (روسينانت) في التحرُّك من تحتها. تحرّك مقعد التصادم الذي تجلس عليه السيدة العجوز مُحدثًا صريرًا عاليًا. ضغطها الهُلام الواقي في المقعد، ثم أفلتها.

- "أليكس؟"

أجاب الطيار: "نحن منطلقون، ليس عندي أيّ مشكلة الآن في استخدام بوبي للمدافع، يا سيدي".

تساءل هولدن: "هل لدينا ما يكفي من الوقت لاستقدامها من الورشة الميكانيكية إلى هنا بأمان؟"

أجاب أليكس: "كلا، هناك ثلاث مركبات أخرى تتجه نحونا".

تدخَّلت بوبي: "يمكنني أن أتولّى السيطرة على المدافع النقطية من هنا، يا سيدي. صحيح ليس بالجودة نفسها كما لو كنت عندكم في العمليات، ولكن يمكنني أن أفعل ما في وسعي من هنا؛ لإنقاذ ما يمكن إنقاده".

قال: "ناعومي، أمنحي الرقيبة بوبي إذنًا بالتحكُّم في مدافع الدفاع النقطية"

ردّت ناعومي: "حسنًا، تم منحك إذنًا بالتحكُّم في المدافع النقطية، لك مطلق التصرُّف الآن يا بوبي".

أجابت بوبي: "تم الاستقبال بالفعل".

تحوَّلت شاشة أفاسارالا إلى مجموعة متشابكة من الرسائل الواردة في مصفوفة وامضة. بدأت تفتح تلك الرسائل. أعلن القبطان كيندي أن قيادة ساوثر غير قانونية، بينما أبلغ مساعد قبطان (تريتون) بعزل قبطان المركبة من الخدمة، وأعلن امتثاله لأوامر الأميرال ساوثر. وكانت المُدمِّرة المريخية (إيافي تشاويس) تحاول الاتصال بـ أفاسارالا لمعرفة أيّ المركبات الأرض التي يُسمح بإطلاق النار عليها.

فتحت أفاسارالا شاشة العرض التكتيكي. ظهرت مجموعة من النقاط باللون الأحمر والأخضر تميِّز أسراب المركبات، وأظهرت الخيوط الفضية الصغيرة ما قد يكون تدفُّقات من قذائف المدافع أو مسارات الطوربيدات.

سألت أفاسارالا: "هل نحن الأحمر أم الأخضر؟ كيف أعرف ذلك الشيء اللعين؟"

أجابت ناعومي: "مركبات المريخ باللون الأحمر، ومركبات الأرض باللون الأخضر".

سألت مجدَّدًا: "وكيف نعرف مركبات الأرض التي في صفنا؟"

قال هولدن بينما اختفت إحدى النقاط الخضراء فجأة. "ماذا يحدث يا أليكس؟"

- "نزعت مركبة (داريوس) صمام الأمان من مدافعها النقطية، وهي الآن تُطلق القذائف على كل شيءٍ في نطاقها سواء كان ما حولها حليفًا أو عدوًّا اللعنة!"

تحرَّك مقعد أفاسارالا مرة أخرى، ويبدو أنه يتزحزح من تحتها. لقد ضغطها الهُلام في ظهر المقعد حتى كان من الصعب عليها رفع ذراعيها. وعلى الشاشة التكتيكية، انفض تشابك المركبات سواء الحلفاء أو الأعداء أو الملتبس موقفهم من تلك المركبات، ونمت نقطتان ذهبيتان بشكلٍ أكبر، مع انخفاض ترميزات الاقتراب بسرعة.

قال هولدن: "سيدتي المساعدة أو أيًا كان عملك في حكومة الأرض، يمكنكِ الرد على بعض طلبات التواصل التي تصلك الآن".

شعرت أفاسارالا كما لو أن شخصًا يضغط على أحشائها من الأسفل. وارتفع طعم الملح وحمض المعدة في حلقها، وبدأت تتعرَّق، ليس بسبب ارتفاع درجة الحرارة، ولكن بسبب شعورها بالغثيان. بذلت جهدًا جهيدًا لتحريك يديها إلى لوحة التحكُّم بينما اختفت النقطتان الذهبيتان.

قال أليكس: "شكرًا لكِ يا بوبي، أنا أتقدَّم الآن. سأحاول اتخاذ المركبات المريخية ساترًا لنا حتى نكون بمنأى عن القتال".

بدأت أفاسارالا تُجري الاتصالات. في خضم المعركة، كان كل ما يمكن أن تقدمه السيدة العجوز هو إجراء الاتصالات، التحدُّث مع الأشخاص على الجانب الآخر. نفس ما كانت تفعله دائمًا. وهذا ما جعلها تشعر بالارتياح قليلًا. كان قبطان مركبة (جرينفيل) يقبل بقيادة ساوثر للأسطول، بينما لم يرد قبطان مركبة (تاناكا) على اتصالها. ردَّ قبطان مركبة (دايسون) على الاتصال، ولكن كل ما سمعته أفاسارالا هو صراخ أفراد الطاقم بعضهم على بعض. إنها حالة من الهرج والمرج.

وصلتها رسالة من ساوثر، وفتحتها أفاسارالا. تضمنَّت الرسالة رموز مُعرِّفات الأصدقاء-الأعداء، وفقًا لآخر تحديث. من الناحية التكتيكية، تحوَّلت معظم النقاط الخضراء إلى اللون الأبيض.

قال هولدن: "شكرًا لكِ". وابتلعت أفاسارالا ريقها بدلًا من أن تقول له: "على الرحب والسعة". يبدو أن مضادات الغثيان تعمل مع الجميع ما عداها. حاولت أن تقاوم رغبتها في التقيؤ حتى لا تتقيأ في خوذتها. تلاشت إحدى النقاط الست الخضراء المُتبقِّية، بينما تحوّلت واحدة أخرى فجأةً إلى اللون الأبيض.

قال أليكس: "أوه، اذهبي إلى الخلف، لقد كان ذلك قاسيًا".

ظهرت هوية الأميرال ساوثر مرة أخرى على وحدة التحكُّم الخاصة بأفاراسالا، ونقرت على زر التشغيل.

كان ساوثر يقول: "... وأطالب بالاستسلام الفوري لقائد مركبة (أحانا كينج) الأميرال أوجستو نجوين"، وقد انتصب شعره الأبيض فوق رأسه مثل ذيل الطاووس كما لو أن قوة الدفع المنخفضة سمحت لشعره بالتمدُّد والارتفاع. كانت ابتسامته حادة كالسكين، تابع: "وأيّ مركبة ترفض الاعتراف بشرعية قيادتي للأسطول، فإنها ستفقد هذا العفو. لديكم ثلاثون ثانية من الآن".

على شاشة العرض التكتيكي، اختفت النقاط الذهبية والبيضاء، وغيَّرت المركبات مواقعها؛ حيث أصبحت كل مركبة تتحرَّك تحت غطاء ناقلاتها المُعقَّدة. بينما كانت أفاسارالا تراقب ذلك، تحوَّلت جميع النقاط الخضراء المُتبقِّية إلى اللون الأبيض، باستثناء نقطة واحدة فقط.

قالت أفاسارالا: "كُفَّ عن التغابي يا نجوين، لقد انتهى كل شيء".

ساد الصمت على طابق العمليات لوقتٍ طويلٍ، وكان التوتُّر ملموسًا في جميع الجوانب بشكلٍ لا يُطاق. ولكن كسرت ناعومي هذا الصمت.

- "لقد اكتشفت المزيد من المهاجمين، إنهم كثيرون".

سأل هولدن: "من أين ينطلقون؟"

أجابت: "من السطح".

لم تضغط أفاسارالا على أيّ زرٍ، ولكن بدأت شاشة العرض التكتيكي تُعيد توزيع النقاط، لقد تجاهلت جانب المركبات المتشابكة باللونين الأحمر والأبيض مع النقطة الخضراء المُتحدية، والتي أصبحت الآن أقل من ربع حجمها الأصلي، وبدأ منحنى أفق القمر يملأ الحافة السفلية للشاشة لدرجة أنه بدا حقيقيًّا، كما صار من الممكن رؤية مئات الخطوط الصفراء الدقيقة وهي تتصاعد معًا مثل كتلة صلبة.

قال هولدن: "كم عدد هذه الخطوط الصفراء؟ أحتاج إلى معرفة عددها".

- "مائتان وتسعة عشر. لا انتظر، بل مائتان وثلاثون".

سأل أليكس. "ما هذه الخطوط بحق الجحيم؟ هل هي طوربيدات؟"

أجابت بوبي: "كلا، إنهم وحوش، لقد أطلقوا الوحوش".

فتحت أفاسارالا قناة البث. ربما بدأ شعرها أسوأ من شعر ساوثر لكن لا وقت الآن للخيلاء، تأكّد من قدرتها على الكلام دون خوف من القيء.

قالت: "هأنذا أفاسارالا، الإطلاق الذي يراه الجميع الآن هو سلاح جديد قائم على جزيء أولي يتم استخدامه كضربة أولى غير قانونية ضد المركبات المريخية. علينا أن نقضي على هؤلاء الوحوش وهم في السماء الآن. علينا جميعًا أن نفعل ذلك".

قالت ناعومي: "لقد تلقَّينا طلب تحكُّم من مركبة ساوثر الرئيسية. هل نقبله، ونمنحهم القيادة؟"

ردَّ أليكس: "سنفعل ذلك بكل تأكيد".

تدخَّل هولدن: "كلا، ولكن تتبّعي الطلبات الواردة. لن أترك قيادة مركبتي في يد حاسوب عسكري للتحكُّم في المدافع والأسلحة. ما يزال يتعيَّن علينا أن نكون جزءًا من الحل هنا".

قال أليكس: "بدأت مركبة (أجاثا كينج) في الدفع بأقصى سرعة، أعتقد أنهم يحاولون تجاوز تلك الخيوط الصفراء".

على الشاشة، بدأ الهجوم المنطلق من سطح آيو في التفتُّح والتصاعد؛ حيث تفكَّكت الخيوط الفردية في زوايا غير متوقَّعة، بعضها يتدحرج، والبعض الآخر يمتد في مسارات منحنية مثل الأرجل المفصلية للحشرة. يمكن لأيّ خيط من هذه الخيوط أن يتكفَّل بإبادة كوكب بأكمله. بينما أشارت بيانات التسارع إلى أنهم يطلقون بمعدل ١٠، ١٥، بل ٢٠ (ج) لا يمكن لبشرٍ مهما كان أن ينجو من تسارع ثابت يبلغ ٢٠ (ج). من المستحيل أن يكون ذلك الشيء بشريًّا

ظهرت ومضات ضوء ذهبية من المركبات، وانحرفت لأسفل لتلتقي بالخيوط المنطلقة من سطح ايو. تقوّضت وتيرة الأحداث البطيئة والمهيبة على شاشة العرض مع

تلك البيانات. كانت الطوربيدات اللازمية تحترق بالكامل، ومع ذلك، استغرق الأمر ثوانٍ طويلة حتى وصلت إلى المجموعة الرئيسية من تلك الكائنات الغريبة شاهدت أفاسارالا أوهم ينفجر، ورأت عمود وحوش الجريء الأولي ينقسم إلى عشرات التدفُّقات المختلفة

كان ذلك نوعًا من إجراءات المناورة.

قال أليكس: "بعضهم قادمون نحونا أيها القبطان. لا أعتقد أنهم مُصمَّمون لاختراق هيكل المركبة، ولكنني لن أتفاجأ إذا فعلوا ذلك على أيّ حال".

- "دعونا ندخل هناك، ولنفعل ما في وسعنا. لا يمكننا أن ندع أيًّا من هؤلاء... مهلًا، إلى أين هم ذاهبون؟"

لم يعد لهؤلاء الوحوش المهاجمة وجود على شاشة العرض التكتيكي، لقد اختفوا تمامًا وتلاشت تلك الخيوط المُعبِّرة عنهم.

قالت ناعومي: "لقد توقفوا عن التسارع. ولا تستطيع أجهزة إرسال واستقبال التردُّد اللاسلكي أن تكتشف لهم أيّ أثر. لا بُدَّ أنهم مزوَّدون بمواد تمتص إشارات الرادار".

- "هل لدينا بيانات تتبُّع؟ هل يمكننا اكتشاف المسار الذي يتجهون نحوه؟"

أومضت شاشة العرض التكتيكي. بدت الوحوش مثل اليراعات، تظهر وتختفي، وتنطلق في اتجاهات شبه عشوائية، لكنها لم تتوقَّف عن التفتُّح والتصاعد.

قال أليكس: "يبدو أننا في مأزق شديد، بوبي؟"

أجابت الفتاة المريخية: "لدي بعض الأهداف المُحدَّدة. تحرَّك نحو النطاق الذي تُحدِّده لك المدافع النقطية".

حذر أليكس: "تماسكوا يا رفاق، سأصطحبكم في جولة شاقة".

تراجعت (روسي) بقوة، ودفعت الجاذبية أفاسارالا إلى الالتصاق بمقعدها. ارتجفت عضلاتها حتى شعرت وكأن هزات المركبة تحدث داخل جسدها، وتكرَّر الأمر مع انطلاق قذائف المدافع النقطية أيضًا. على الشاشة، انتشرت القوى المشتركة للأرض والمريخ لملاحقة أعداء شبه غير مرئيين. تغيَّرت قوة التسارع في الجاذبية، فدار مقعدها في

اتجاه ثم في اتجاه آخر دون سابق إنذار. حاولت أن تغلق عينيها، ولكنها وجدت الأمر أسوأ.

- "همم"

قال هولدن: "ماذا هنالك يا ناعومي؟ علام الهمهمة؟"

أجابت ناعومي: "هناك شيءٌ غريب يحدث في مركبة (أجاثا كينج). لقد سجلت نشاطًا ضخمًا من إجراءات المناورة...أوه؟"

قال هولدن: "ماذا؟ اشرحي ذلك، أريد مزيدًا من الشرح".

ردَّت ناعومي: "اختُرِقت المركبة، لقد اخترقها أحد الوحوش".

قال أليكس: "سبق وأخبرتكم أن بإمكانهم أن يفعلوا ذلك، اللعنة! لا أستطيع أن أتخيَّل الوضع على متن المركبة الآن. ومع ذلك، من حسن الحظ، أن هذا حدث للأشرار".

ردَّت بوبي: "ولكن أفراد الطاقم ليسوا مسؤولين عن أفعال نجوين. ربما لا يعرفون حتى أن ساوثر هو من يتولَّى القيادة الآن. علينا مساعدتهم".

قال هولدن: "لا نستطيع أن نفعل ذلك. كانوا يُطلقون علينا النار، وربما فعلوا ذلك أيضًا إذا اقتربنا منهم".

تدَّخلت أفاسارالا: "هلا صمتم جميعًا من فضلكم! ما هذا الهراء!"، ثم تابعت: "كما يجب أن تتوقَّفوا عن تحريك المركبة الملعونة. ما عليكم سوى تحديد الاتجاه والبقاء ثابتين لبضع دقائق".

تجاهل نجوين طلب الاتصال الذي أرسلته أفاسارالا لمدة خمس دقائق، ثم عشر دقائق. وعندما تم تفعيل منارة استغاثة مركبة (أجاثا كينج)، لم يصلها رد أيضًا، ولكن جاءت إشارة البث بعد ذلك بقليل.

"هذا أنا الأميرال نجوين من مركبة (أجاثا كينج) الحربية التابعة للأمم المتحدة. أعرض استسلامي لمركبات الأمم المتحدة بشرط الإجلاء الفوري. أُكرِّر أعرض استسلامي لأيّ مركبة تابعة للأمم المتحدة بشرط الإجلاء الفوري"

أجاب ساوثر على التردُّد نفسه.

- "هذا أنا ساوثر من مركبة (أوكيمو)، ما الأوضاع لديك؟"

ردّ نجوين: "لدينا خطر بيولوجي محتمل". كانت نبرة صوته قوية وعالية لدرجة أنه بدا وكأن شخصًا ما يخنقه. في العرض التكتيكي، تحرّكت عدة نقاط بيضاء بالفعل نحو النقطة الخضراء.

قال ساوثر: "تماسكوا في مركبة (أجاثا كينج)، نحن في طريقنا إليكم".

قالت أفاسارالا: "سحقًا لك"، ثم أخذت تهمس باللعنات وهي تفتح قناتها للبث. "ماذا تفعل يا ساوثر بحق الجحيم؟ هأنذا أفاسارالا. أعلن وضع مركبة (أجاثا كينج) تحت ضوابط العزل والحجر الصحي. لا ينبغي لأيّ مركبة أن ترسو عندها أو تقبل نقل العتاد أو أفراد الطاقم. وأيّ مركبة ستفعل ذلك سيتم وضعها تحت ضوابط العزل والحجر الصحي أيضًا".

استدارت نقطتان من النقاط البيضاء، بينما استمرت النقطة الثالثة في طريقها، ففتحت قناة البث مرة أخرى.

"هل أنا الوحيدة هنا التي تذكر ما حدث على إيروس؟ هل تريدون أن تُصابوا بالعدوى؛ لذلك تسارعون إلى مركبة (أجاثا كينج)؟ لن أنبّه مُجدَّدًا على عدم الاقتراب من المركبة الموبوءة".

تراجعت آخر النقاط البيضاء أيضًا. عندما ردَّ نجوين على طلب الاتصال الخاص بها، كانت قد نسيت أنها تركت قناة الاتصال مفتوحة. بدا منظر الرجل مزريًا. لم تتخيَّل أنها تبدو أفضل بكثير. تساءلت: "كم عدد الحروب التي انتهت بهذه الطريقة؟" شخصان مرهقان ومثيران للغثيان يُحدِّقان بعضهما في البعض، بينما يحترق العالم من حولهما.

تساءل نجوين: "ماذا تريدين مني بالضبط؟ لقد أعلنت استسلامي. لقد خسرت ولكن لا ينبغي أن يموت رجالي بسبب نكايتك؟"

ردَّت: "هذه ليست نكاية، لا يمكنني أن أسمح بذلك. إطلاق الجزيء الأولي سائب، وأنظمة التحكُّم المتطورة الخاصة بك لا تعمل. إن هذا الوباء ينتقل بالعدوى".

قال نجوين. "لا يوجد دليل علمي على ذلك"، ولكن نبرة صوته أشارت إلى عكس ذلك

ردَّت: "هذا يحدث، أليس كذلك؟ قم بتشغيل الكاميرات الداخلية، ودعنا نر".

- "لن أفعل ذلك".

زفرت أفاسارالا الهواء، لقد حدث ذلك بالفعل.

قالت: "أنا آسفة، آسفة بشدة".

ارتفع حاجبا نجوين ملليمترًا، وضغط على شفتيه التي بدت وكأنها تخلو من الدماء. خُيِّل لها أنها ترى الدموع في عينيه، ولكنها ربما كانت أحد تأثيرات البث.

قالت أفاسارالا: "عليك تشغيل أجهزة الإرسال والاستقبال"، وبعد ذلك، عندما لم يرد، أضافت: "لا يمكننا تسليح الجزيء الأولي. نحن لا نفهم طبيعته بالضبط. لا يمكننا السيطرة عليه. لقد أصدرتَ للتو حكمًا بالإعدام على كوكب المريخ بإطلاقك الوحوش على المركبات المريخية. لا أستطيع أن أنقذك، حقًّا لا أستطيع، ولكن أعد تشغيل هذه أجهزة الإرسال والاستقبال، وساعدني في إنقاذ الكون".

علقت اللحظة في الهواء حيث ساد الصمت. شعرت أفاسارالا باهتمام هولدن وناعومي بمراقبتها من الخلف، لدرجة أن أنفاسهما بدت مثل شعاع الحرارة الذي يشع من شبكة التدفئة. هزَّ نجوين رأسه، وارتعشت شفتاه، وبدا وكأنه يتشاجر مع نفسه.

قالت: "نجوين! ماذا يحدث على مركبتك؟ ما مدى سوء الأوضاع عندك؟"

أجاب: "أخرجوني من هنا، وسأُشغِّل أجهزة الإرسال والاستقبال. ارموني في مركبة لبقية حياتي. لا يهمني، ولكن أخرجوني من هذه المركبة اللعينة".

حاولت أفاسارالا أن تنحني إلى الأمام، ولكنها نجحت في تحريك مقعدها قليلًا. استخدمت معه اللين أول الأمر، ثم أخبرته كم كان مخطئًا وشريرًا عندما اتبع هواه، وها هو الآن سيموت شر ميتة على يد سلاحه الذي حارب بضراوة دفاعًا عنه. نظرت إلى هذا الرجل الصغير قصير النظر، وجدته عاصيًا ومذعورًا، حاولت أن تجد طريقة لاستعادة فطرته الإنسانية البسيطة

لكنها فشلت في النهاية.

قالت. "لا أستطيع أن أساعدك".

ردّ نحوين: "إذن توقَّفي عن إهدار وقتي". ثم قطع الاتصال.

انحنت أفاسارالا إلى الوراء، وغطّت عينيها بكفيها.

قال أليكس: "لقد حصلت على بعض القراءات الغريبة من تلك البارجة. ما هذا يا ناعومي، هل ترين؟"

ردَّت ناعومي: "معذرة، انتظر قليلًا".

سأل هولدن: "ماذا لديك يا أليكس؟"

- "نشاط المفاعل مُعطَّل. زاد الإشعاع الداخلي للمركبة أضعافًا مضاعفة. يبدو الأمر وكأنهم ينفثون طاقة المفاعل عبر أجهزة إعادة تدوير الهواء".

قال أموس: "هذا لا يبدو صحيًّا على الإطلاق".

خيَّم الصمت على طابق العمليات مرة أخرى. حاولت أفاسارالا أن تفتح قناة اتصال مع ساوثر، ولكنها توقَّفت؛ لأنها لم تكن تعرف ما ستقوله له. بدا الصوت الذي سمعته عبر قناة اتصالات المركبة ضعيفًا ومُخدَّرًا. لم تعرف أنه صوت براكس في البداية. اضطر الرجل إلى تكرار كلامه مرتين حتى يفهموا ما يقوله.

قال عالِم النبات: "حاضنة! إن هذه الوحوش تحاول تحويل المركبة إلى حاضنة تمامًا مثل إيروس".

سألت بوبي: "وهل تعرف تلك الكائنات كيف تفعل ذلك؟"

ردَّت ناعومي: "يبدو الأمر كذلك".

قالت بوبي: "سنضطر إلى تفجيرها، هل لدينا قوة نيران كافية لذلك؟"

فتحت أفاسارالا عينيها مرة أخرى. حاولت أن تشعر بشيءٍ آخر غير ذلك الحزن العميق. يجب أن يكون هناك أملٌ يلوح في الأفق.

كان هولدن هو الوحيد الذي عثَر عليها يجول في خاطرها.

قال: "حتى لو فعلنا ذلك، فلن ينقذ هذا كوكب المريخ".

قال أليكس: "وإذا دمرنا تلك الكائنات كلها؟ أعلم أن هناك الكثير من هذه الأشياء، ولكن ربما... استطعنا تدميرها".

قالت نوبي: "من الصعب معرفة إذا كنا قادرين على ذلك أم لا، مع الأخذ في الاعتبار أنه يتعيَّن علينا السير في المسار الباليستي إذا أفلت منا وحشٌ واحد، ووصل إلى المريخ...".

ها هي الآن تشاهد كل شيء يتفلَّت من بين يديها. وبعد أن كانت قريبة جدًّا من إيقاف ذلك الوباء، ابتعد كل شيءٍ عنها. شعرت بغصة تتكوَّن في حلقها، وعقدة متينة تُشدُّ على أحشائها. لكنهم لم يفشلوا. ليس بعد. كان لا بُدّ من إيجاد طريقة ما. شيءٍ ما يزال من الممكن القيام به؛ لإصلاح الأمر برمته.

أرسلت إلى ساوثر محادثتها الأخيرة مع نجوين. ربما يكون لديه فكرة. ربما يكون هناك سلاح سري يخرج من العدم؛ ليفرض سيطرته على تلك الكائنات. ربما تُوقظ الصداقة العظيمة التي تربط الرجال العسكريين ما تبقّى من إنسانية لدى نجوين.

بعد عشر دقائق، خرجت كبسولة هروب من مركبة (أجاثا كينج). لم يُكلِّف ساوثر نفسه عناء الاتصال بأفاسارالا؛ لاستشارتها قبل إطلاق النار عليها. بدا طابق العمليات وكأنه مشرحة.

قال هولدن: "حسنًا، لنبدأ بالأهم فالمهم، الأولوية الآن أن ننزل إلى القاعدة، إذا كانت مَي هناك، فعلينا إنقاذها".

ردَّ أموس: "وأنا معك في ذلك. علينا أن نأخذ الدكتور معنا، لا يمكنه أن يعهد بتلك المهمة إلى شخصٍ آخر".

قال هولدن: "هذا ما كنت أفكر فيه؛ لذا أنتم يا رفاق ستأخذون (روسي) إلى السطح".

تساءلت ناعومي: "نحن؟"

قال هولدن: "نعم، سآخذ الزورق إلى البارجة الموبوءة؛ لتوصيل رموز تنشيط أجهزة الإرسال والاستقبال بمركز معلومات القيادة"

سألت أفاسارالا: "أنت؟ هل ستفعل ذلك؟"

هزّ هولدن كتفه، وأجاب: "لقد نجا شخصان فقط من حادثة إيروس. وأنا الوحيد المُتبقِّي".

الفصل التاسع والأربعون

هولدن

قالت ناعومي: "لا تفعل ذلك". هكذا دون أن تتوسَّل أو تبكي أو تترجَّاه أن يعدل عن قراره. تكمن قوة هذا الطلب في بساطته الهادئة. "لا تفعل ذلك".

فتح هولدن خزانة الملابس خارج غرفة معادلة الضغط الرئيسية، ووصل إلى درعه المريخي. توقَّف قليلًا عندما هاجمته ذكرى مفاجئة وعميقة لمرض الإشعاع المستشري عن محطة إيروس. "لا بُدَّ أنهم قاموا بضخ الإشعاع في مركبة (أجاثا كينج) لساعات حتى الآن، أليس كذلك؟"

كرَّرت ناعومي قولها: "لا تفعل ذلك، لا تذهب إلى هناك".

قال هولدن عبر قناة الاتصالات: "بوبي؟"

ردَّت بالنخير المعتاد لجنود المشاة: "أسمعك". كانت تساعد أموس في تجهيز المعدات للهجوم على محطة ماو العلمية. بعد لقائه الوحيد مع الجزيء الأولي المُهجَّن، افترض أنهم سيكونون مُدجَّجين بالأسلحة.

- "ما مدى أمان البدلات المريخية القياسية ضد الإشعاع؟"

تساءلت بوبي: "تقصد البدلات التي تشبه بدلتي المُدرَّعة؟"

ردَّ هولدن: "كلا، لا أقصد دروع القوة. أعلم أنها أكثر صرامة في حالة التعرُّض لانفجارات قريبة، ولكني أتحدَّث عن تلك البدلات التي سحبناها من صندوق حزمة الهجوم المحمولة".

- "إنها آمنة بقدر بدلة فضاء قياسية، يمكن استخدامها للمشي لمسافات قصيرة خارج المركبة، ولكنها ليست مناسبة للتعرُّض المستمر لمستويات إشعاع عالية".

قال هولدن. "اللعنة! حسنًا، شكرًا لكِ"، ثم قطع الاتصال، وأغلق الخزانة. "سأحتاج إلى بدلة عزل واقية بالكامل؛ لأنها ستوفِّر لي حماية أفضل ضد الإشعاع، ولكنها لن تقاوم المقذوفات النارية على الإطلاق".

تساءلت ناعومي: "كم مرة يمكنك أن تتعرّض للإشعاع بشكل كبير قبل أن يلحق بك ويتسبّب في هلاكك؟"

أجاب هولدن بابتسامة: "مثل المرة الماضية، على الأقل مرة أخرى"، ولكن لم تبتسم ناعومي. ضغط هولدن على زر الاتصال مرة أخرى: "أموس! أحضِر لدي بدلة عزل واقية من السطح الهندسي. أكثر بدلة واقية تجدها على متن المركبة".

ردَّ أموس: "حسنًا".

فتح هولدن خزانة المُعدات، وأخرج البندقية الهجومية التي احتفظ بها هناك. كانت البندقية كبيرة، وسوداء اللون، ومُصمَّمة لتبدو مخيفة. سيُحدِّد أيّ شخصٍ يحمل هذه البندقية باعتباره مصدر خطر واضح؛ لذا أعادها إلى مكانها، وقرَّر أن يحمل مسدسًا بدلًا منها. ستجعله بدلة العزل الواقية مخفيًّا عن الأنظار إلى حدٍّ ما؛ لأن هذه البدلات من ذلك النوع الذي قد يرتديه أيّ عضو في فريق التحكُّم في الأضرار أثناء حالة الطوارئ. وإذا كان يحمل مسدسًا في حافظة الورك، فقد يمنع ذلك أيّ شخصٍ من تحديده باعتباره جزءًا من المشكلة.

ومع وجود الجزيء الأولي على مركبة (أجاثا كينج)، وتسرُّب الإشعاع في جميع أرجاء المركبة، ستكون هناك مشكلة كبيرة حقًّا.

إذا كان براكس وأفاسارالا على حق، وكانت جنود الجزيء الأولي تتواصل بعضها مع بعض دون حاجة إلى اتصال مادي، فإن تلك الكائنات الموجودة على (أجاثا كينج) ستكون لديها المعلومات نفسها التي تعرفها الكائنات الموجودة على كوكب الزهرة. وتتضمَّن هذه المعلومات حقائق مهمة مثل تجمُّع مركبات الفضاء البشرية معًا منذ تدمير مركبة (أربوغاست)، ولكن هذا يعني أيضًا أنها تعرف الكثير عن كيفية تحويل البشر إلى مسوخ تتقيأ تلك السوائل البنية اللزجة. لقد قامت بتلك الحيلة أكثر من مليون مرة على إيروس، لقد أصبحت مُدرَّبة ومتمرِّسة على ذلك.

من الممكن أن يكون كل إنسان على (أحاثا كيبج) يتقيأ السوائل البنية اللزجة الآن، وللأسف، كان هذا هو أفضل الاحتمالات. كان المسوخ المُتقيئون عبارة عن موتى سائرين ينقلون الوباء إلى أيّ شخصٍ مكشوف الجلد، ولكن لأن هولدن سيرتدي بدلة عزل واقية ضد الإشعاعات، ومختومة بالكامل، فسيكون على الأقل مصدر إزعاج خفيف لهم.

ولكن أسوأ الاحتمالات أن يكون الجزيء الأولي جيدًا جدًّا في تحويل البشر إلى مسوخ الآن، وعندها ستمتلئ المركبة بالكائنات الهجينة القاتلة مثل تلك التي حاربها في غرفة التخزين. سيكون هذا وضعًا مستحيلًا، لذلك اختار أن يستبعد حدوثه. إلى جانب ذلك، لم يصنع الجزيء الأولي أيًا من هؤلاء الجنود على إيروس. لم يعش ميلر وقتًا كافيًا ليصف ما صادفه هناك، لكنه أمضى الكثير من الوقت في المحطة يبحث عن جولي، ولم يُبلغ عن تعرُّضه لهجوم من هذا النوع قط. كان الجزيء الأولي عدوانيًا ومتوغِّلًا بشكلٍ لا يُصدق. أصبح بإمكانه أن يقتل مليون إنسان، ويُحوِّلهم إلى قطع غيار لأغراضه التي يعمل عليها. ولكن هذا الغزو يتم على المستوى الخلوي، لقد تصرف كفيروس وليس كجيش.

قال هولدن لنفسه: "لا تتوقَّف عن التفكير في الأمر". لقد استطاع الجزيء الأولي أن يجعل خطته ممكنة التنفيذ على أرض الواقع.

أخذ هولدن مسدسًا نصف آليّ مضغوطًا وحافظة من الخزانة. شاهدته ناعومي وهو يملأ مخزن السلاح، ويأخذ ثلاث قطع غيار أخرى، ولكنها لم تتكلَّم. دفع هولدن الطلقة الأخيرة في مخزن السلاح بينما دخل أموس المقصورة وهو يحمل بدلة حمراء كبيرة على ظهره.

قال: "هذه البدلة أفضل ما لدينا أيها القبطان، إنها من ذلك النوع الذي يُستخدم في حالات الطوارئ القصوى، إنها مناسبة للظروف التي تتعرّض لها تلك المركبة. أقصى وقت للتعرُّض للإشعاع ست ساعات، ولكن مع إمداد الهواء الذي يستمر لمدة ساعتين فقط، فهذه ليست مشكلة كبيرة".

فحص هولدن البدلة الضخمة. كان السطح مصنوعًا من مادة مطاطية سميكة ومرنة، قد يردع هذا السطح شخصًا ما عن مهاجمته بأظافره وأسنانه، ولكنه لن يصمد أمام سكين أو رصاصة. صُمِّم حزام إمداد الهواء تحت الطبقة المقاومة للإشعاع؛ لذا فقد تسبَّب ذلك في انتفاخ هائل في ظهر من يرتدي هذه البدلة. واجه هولدن صعوبة في سحب البدلة نحوه وإيقافها، فأدرك مدى ثقل حجمها.

"عندما أرتدي هذه البدلة، لن أتمكَّن من التحرُّك بسرعة، أليس كذلك؟"

أجاب أموس بتجهُّم: "كلا، لم يتم تصميم البدلة من أجل استخدامها في معركة بالأسلحة النارية، إذا بدأ إطلاق الرصاص عليك، فقل على روحك السلام".

أومأت نعومي برأسها، لكنها لم تقل شيئًا.

قال هولدن ممسكًا بذراع الميكانيكي الذي همَّ بالمغادرة من المقصورة: "أموس، عندما تصل إلى السطح، ستتولَّى تلك الرقيبة المدفعية القيادة، إنها محترفة بالفعل، وتلك المهمة تندرج تحت صميم عملها. ما أطلبه منك أن تحافظ على سلامة براكس، كما تعلم هذا الرجل أحمق للغاية. كل ما أريده منك أن تُخرِج هذا الرجل وابنته الصغيرة بأمان من القمر، وتعود بهما إلى هذه المركبة".

بدا على أموس التأثُّر للحظة: "بالطبع سأفعل، أيها القبطان. لن يصلوا إليه أو إلى طفلته إلا على جثتي. وعليك أن تطمئن؛ لأن هذا ليس بالأمر السهل".

شدَّ هولدن أموس إليه، وعانقه عناقًا سريعًا. "آسف على إسناد تلك المهمة الشاقة إليك. أنت عضو مثالي في الطاقم، يا أموس، كما تعلم جيدًا".

ابتعد أموس قائلًا: "أنت تتصرَّف كما لو أنك لن تعود".

ألقى هولدن نظرة خاطفة على ناعومي، ولكن تعبيرها لم يتغيَّر. ضحك أموس لدقيقة، ثم ربَّت على كتف هولدن بقوة جعلت أسنانه تصطك ببعضها، ثم قال: "هذا هراء، أنت أقوى رجل عرفته في حياتي"، لم يترك لهولدن فرصة للرد، ونزل بسرعة إلى الطابق السفلي.

دفعت ناعومي الحاجز بخفة، وانحرفت قليلًا نحو هولدن. تسبّبت مقاومة الهواء في توقُّفها على بعد نصف متر منه، لم ير هولدن شخصًا أكثر رشاقة في الجاذبية الصغرى من تلك المهندسة الحزامية، تبدو كراقصة محترفة في حالة انعدام الجاذبية. كان عليه أن يمنع نفسه من الاقتراب منها واحتضانها؛ لأن التعبير الذي وجهها يقول إنها لا تريد ذلك الآن. طفت أمامه للحظة، دون أن تنبس ببنت شفة، ثم مدت يدها ووضعت يدها الطويلة النحيلة على خده؛ ليسري إليه شعورٌ بالبرودة والنعومة.

قالت: "لا تذهب إلى هناك"، وأخبره شيءٌ ما في صوتها أن هذه ستكون المرة الأخيرة التي تطلب منه ذلك.

تراجع هولدن إلى الوراء، وأومأ إيماءة رفضٍ أثناء توجهه إلى بدلة العزل الواقية. قال: "إذا لم أفعل ذلك، من سيفعل إذن؟ هل يمكنكِ أن تتخيَّلي أفاسارالا وهي تقاتل وسط حشدًا من المسوخ المُتقيِّئين؟ إنها لا تُمَيِّز بين مركز معلومات القيادة والمطبخ. على أموس أن يذهب وينقذ تلك الطفلة الصغيرة، أنت تعرفين أنه سيفعل ذلك، وتعرفين السبب. يجب أن يكون براكس هناك أيضًا. وستتكَّفل بوبي بمهمة إبقائهم على قيد الحياة".

ارتدى البدلة الضخمة، وتأكَّد من وضع الأختام، لكنه ترك الخوذة معلقةً على ظهره، ثم تفعيل الأحذية المُمغنطة عندما ضربهم بكعبه. دفع بنفسه إلى سطح المركبة وأمسك به.

سأل هولدن ناعومي: "هل أرسل إليكِ؟ أراهن أنه يمكنكِ التعامل مع آلاف المسوخ، ولكنني على يقين من أنكِ لا تعرفين عن مركز معلومات القيادة أكثر ما تعرفه أفاسارالا، كيف يمكن أن يكون هذا معنى؟"

قالت: "لقد سارت الأمور على ما يُرام بالنسبة لنا مرة أخرى. هذا ليس منصفًا".

قال: "انظري، سيعلم سكان المريخ إن إنقاذ كوكبهم ثمنًا كافيًا مقابل تلك المشكلة الصغيرة المتمثِّلة في سرقتنا لمركبة حربية تابعة لهم، أليس كذلك؟" كان هولدن يعلم أنه يحاول التخفيف من وطأة اللحظة التي يعيشها ويكره التفكير في تداعياتها، ولكن ناعومي أدركت ذلك، وأدركت مدى خوفه، ومع ذلك لم تتحدّث معه في ذلك. شعر

بحبٍّ شديد تجاهها لدرجة أن قشعريرة سرت في عموده الفقري، وجعلت فروة رأسه ترتعش.

قالت ووجهها متيّبس: "جيد، ولكنك ستعود، سأتواصل معك من هنا عبر الجهاز اللاسلكي طوال الوقت، سنعمل من خلال هذا معًا، سأكون معك في كل خطوة، لا مجال للبحث عن بطولاتٍ وهمية فارغة، سنستخدم العقول بدلًا من الرصاص، وسنعمل على معالجة المشاكل معًا. عِدني أن تفعل ذلك".

أخيرًا سحبها هولدن، وضمها بين ذراعيه، وقبَّلها "أعدكِ بذلك، من فضلك ساعديني على أن أعود من هناك للحياة مرة أخرى، آمل أن أعود إليكِ مرة أخرى".

***

كان تحليق زورق (رازورباك) إلى مركبة (أجاتا كينج) المنكوبة أشبه بركوب سيارة سباق إلى أقرب سوق في الزاوية. كانت (أجاتا كينج) على بعد بضعة آلاف الكيلومترات من (روسينانت)، وهي مسافة مناسبة لبدلة فضائية ذات زخمٍ قوي. لكن بدلًا من ذلك، استخدم هولدن أسرع مركبة في نظام المُشترِي حيث قام بالمناورة عند التسارع بحوالي خمسة بالمائة، بينما كان يخترق حطام المعركة التي وقعت مؤخرًا. كانت المسافة إلى المركبة المنكوبة قريبة جدًّا، ولكن الظروف تبدو شديدة الخطورة لدرجة أن برمجة المسار كانت تستغرق وقتًا أطول من القيام بذلك يدويًّا. وبالرغم من التحرُّك ببطءٍ، فإن (رازورباك) واجه صعوبة في إبقاء قوسه موجهًا إلى (أجاتا كينج).

كما لو أن الزورق يقول: "لا تذهب إلى هناك، هذا مكان مُروّع".

قال هولدن، وهو يربت على وحدة التحكُّم الخاصة بالزورق: "كلا، لن أفعل، ولكن لا تقتلني في الطريق، حسنًا؟"

واجه في طريقه قطعة ضخمة تطفو في طريقه ولا تبدو أنها مُدمّرة، كانت لها حواف خشنة تتوهَّج بالحرارة. نقر هولدن على عصا التحكُّم بحيث ينحرف (رازورباك) جانبًا، ولا يصطدم بالحطام العائم. "سنقاوم كل ما نواجه، لن نُغيّر وجهتنا".

شعر حرجٌ من هولدن بخيبة أمل؛ لأن الرحلة شديدة الخطورة. لم يسبق له السفر إلى آيو من قبل، وكان القمر على شاشات (روسينانت) يبدو مذهلًا. بدأ بركان ضخم من السيليكات المنصهرة على الجانب الآخر من القمر يقذف الجزيئات عاليًا في الفضاء لدرجة أن هولدن تمكّن من رؤية الأثر الذي تركه البركان في السماء. تم تبريد عمود الدخان ليتحوّل إلى رذاذ من بلورات السيليكات التي تعكس وهج كوكب المشتري ولمعانه مثل الماس المتألق في الظلام. قد ينجرف بعض هذا الرذاذ، وينفجر من بئر جاذبية آيو؛ ليُصبح جزءًا من نظام الحلقات الخافتة للمُشترِي. في أيّ ظرف آخر غير هذا الظرف، كان من الممكن أن يبدو ذلك المنظر جميلًا.

لكن خطورة الرحلة أجبرت هولدن على التركيز على أدواته والشاشات المعروضة أمامه، ولهذا ظل منتبهًا إلى الجزء الأكبر المتزايد من (أجاثا كينج) الذي يطفو بمفرده في وسط سحابة الحطام.

عندما وصل إلى النطاق، بعث هولدن بإشارة إلى نظام الإرساء الآلي للمركبة، ولكن كما توقَّع، لم يتلقَّ ردًّا من (أجاثا كينج). قاد (رازورباك) إلى أقرب غرفة معادلة ضغط خارجية، وطلب من أنظمة الزورق الحفاظ على مسافة ثابتة تبلغ خمسة أمتار حيث لم تُصمَّم مركبة السباق للالتحام بمركبة أخرى في الفضاء. كان الزورق يفتقر حتى إلى أنبوب الرسو البدائي؛ لذلك عليه أن يقطع مسافة قصيرة في الفضاء حتى يصل إلى (أجاثا كينج).

كانت أفاسارالا قد حصلت على رمز تحكُّم رئيسي من الأميرال ساوثر، وقد قام هولدن بنقل هذا الرمز إلى (رازورباك)؛ لذلك تم فتح غرفة معادلة الضغط على الفور.

قبل أن يصل إلى مركبة نحوين الرئيسية، قام هولدن بملء إمداد الهواء ببدلته الواقية في غرفة معادلة الضغط الخاصة بـ (رازورباك)؛ لأنه لا يثق في أمان الهواء ولا محطات الشحن في (أجاثا كينج) بعدما اخترقت المركبة وحوش الجزيء الأولي.

عندما تأكّد من ملء خزان إمداد الهواء كاملًا، قام بتشغيل الجهاز اللاسلكي، واتصل بناعومي. "أنا ذاهب إلى هناك الآن".

أطلق حذاءه المُمغنط؛ ليدفعه الحذاء دفعة حادة إلى باب غرفة معادلة الضغط الداخلي عبر الفجوة القصيرة إلى (أجاثا كينج).

قالت ناعومي: "أرى الصورة بوضوح الآن". أضيء رابط الفيديو على شاشة عرض المعلومات الخاصة ببدلته. استطاعت ناعومي أن ترى كل ما يراه. هدّأ ذلك من روعه قليلًا، ولكنه أشعره بمزيدٍ من الوحدة في الوقت نفسه. يُشبه الأمر إجراء مكالمة مع صديق يعيش بعيدًا جدًّا عنك.

فتح هولدن غرفة معادلة الضغط. بدت الدقيقتان اللتان استغرقتهما مركبة (أجاثا كينج) لإغلاق الباب الخارجي وضخ الغرفة بالهواء بلا نهاية. لم تكن هناك طريقة لمعرفة ما سيكون هناك على الجانب الآخر من باب غرفة معادلة الضغط الداخلي عندما يُفتح أخيرًا. تحسَّس هولدن مسدسه بعدم اكتراث بعيدًا عما كان يشعر به من رعب حقيقي في هذه اللحظة.

انفتح الباب الداخلي.

كاد الصرير المفاجئ للإنذار الإشعاعي الصادر من بدلته الواقية أن يُصيبه بنوبة قلبية. ضغط بذقنه على عناصر التحكُّم لإيقاف تشغيل الإنذار المُدوي، لكنه أبقى على مقياس مستوى الإشعاع الخارجي قيد التشغيل. لم تُطمئنه تلك المُعطيات، ولكنه أطمئن قليلًا عندما تأكَّد من قدرة بدلته على التعامل مع مستويات الإشعاع الحالية. يكفيه ذلك الآن.

خرج هولدن من غرفة معادلة الضغط إلى مقصورة صغيرة مليئة بخزائن الشحن وحزم البدلات الفضائية. بدت وكأنها مهجورة لكنه سرعان ما سمع صوتًا ضعيفًا قادمًا من إحدى الخزائن، واستدار في الوقت في المناسب تمامًا؛ ليرى رجلًا يرتدي الزي البحري الخاص بالأمم المتحدة يخرج لتوِّه من الخزانة، وبيده مفتاح ربط ثقيل ضرب به هولدن على رأسه بمجرد أن التفت إليه. منعته بدلته الواقية من التحرُّك بسرعة لتفادي الضربة، وتلقَّى تأثير الصدمة القوية على جانب خوذته.

صاحت ناعومي عبر جهاز اللاسلكي: "جيم!"

صرخ رجل البحرية في الوقت نفسه: "مُت أيها الوغد!"، ترنَّح قليلًا وهو يرفع المفتاح ثانيةً، لكنه لم يكن يرتدي حذاءً مُمغنطًا، وبدون دفع الحاجز لمنحه الزخم الكافي،

بدأ الرجل يدور في الهواء. أمسك هولدن بالمفتاح من يده، وألقى به بعيدًا. وقبض على الرجل بيده اليسرى؛ ليوقفه عن الدوران، ثم سحب مسدسه بيمينه

قال هولدن: "إذا مزقت بذلتي، فسأقذف بك بعيدًا عن غرفة معادلة الضغط"، وألقى نظرة خاطفة على شاشات البذلة مع إبقاء مسدسه مُوجهًا نحو الرجل المجنون ذي المفتاح.

قالت ناعومي بصوتٍ مطمئن: "كل شيء على ما يُرام، لا توجد مؤشرات حمراء ولا صفراء. هذه الخوذة أقوى مما تبدو عليه".

سأل هولدن الرجل: "ماذا كنت تفعل بحق الجحيم في تلك الخزانة؟"

قال الرجل: "كنت أعمل هنا عندما... صعد ذلك الشيء على متن المركبة". لقد كان الرجل أرضيًّا ذا جسمٍ مضغوط، بشرته شاحبة، شعره قصير أصهب. وعلى بذلته رقعة مكتوب عليها (لارسون). تابع: "أثناء الإغلاق الطارئ، كانت جميع الأبواب مغلقة. لقد حُوصِرت هنا، لكنني تمكَّنت من مشاهدة كل ما حدث عبر نظام الأمن الداخلي. كنت آمل أن أجد بذلة عزل، وأخرج من غرفة معادلة الضغط، لكنها كانت مغلقة أيضًا، أخبرني كيف وصلت إلى هنا؟"

أجاب هولدن: "لدي مستوى تحكُّم أميرالي في المركبة"، ثم سأل ناعومي بهدوء: "مع مستويات الإشعاع الحالية، ما احتمالات نجاة صديقنا؟"

ردَّت ناعومي: "ما يزال لديه فرصة للنجاة، إذا أدخلنا عنبر المرضى في الساعتين القادمتين".

قال هولدن لـ لارسون: "حسنًا، ستأتي معي. تعالَ نذهب الآن إلى لوحة التحكُّم القتالية. أوصلني إلى هناك بسرعة، وستحصل على طريق هروب من هذه البارجة".

أدَّى الرجل التحية العسكرية هولدن، وقال: "عُلم، يا سيدي"

ضحكت ناعومي، وقالت: "يعتقد أنك أميرال".

قال هولدن: "لارسون، ارتدِ بذلتك الفضائية بسرعة"

ردَّ الرجل: "أمرك يا سيدي"

البدلات التي يحتفظون بها في حزانات غرفة معادلة الضغط سيكون لها على الأقل إمدادات الهواء الخاصة بها، وهذا من شأنه أن يُقلّل من الضرر الناجم عن الإشعاع الذي كان يمتصه البحّار الشاب، كما أن بذلة العزل المحكمة ستُقلّل من خطر الإصابة بعدوى الجريء الأولي في أثناء وجودهم في المركبة.

انتظر هولدن حتى ارتدى لارسون بذلة العزل، ثم أرسل رمز المرور إلى الفتحة، لينفتح الباب. تفضَّل يا لا رسون، هيا خذنا إلى مركز معلومات القيادة بأسرع ما يمكن. إذا صادفنا أيّ شخص، خاصةً إذا كان يتقيأ، ابق بعيدًا، ودعني أتعامل معه".

قال لارسون بصوتٍ بدا مكتومًا عبر الجهاز اللاسلكي: "عُلِم، يا سيدي"، ثم انطلق إلى الممر. صدَّق على ما قاله هولدن، وقاده إلى جولة سريعة عبر (أجاثا كينج) المُعطَّلة، ولم يتوقفا إلا عندما اعترضت طريقهم فتحة مغلقة، احتاج هولدن إلى ثوانٍ قليلة لفتحها.

لم تبدُ مناطق المركبة التي مروا خلالها متضرِّرة على الإطلاق مما يعني أن حزمة الأسلحة البيولوجية، قد أصابت الجزء الخلفي من المركبة، ثم توجَّه الوحش مباشرةً إلى غرفة المفاعل. وفقًا لما قاله لارسون، فإن الوحش قد قتل الكثير من الأشخاص على طول طريقه، بما في ذلك مجموعة كاملة من مشاة البحرية عندما حاولوا التصدِّي له، ولكنه عندما دخل الوحش إلى السطح الهندسي، فقد تجاهل ببساطة بقية أفراد الطاقم. قال لارسون إنه بعد فترة وجيزة من دخول الوحش إلى السطح الهندسي، تعطَّل نظام كاميرات المراقبة الأمنية بالمركبة. ومع عدم وجود طريقة لمعرفة مكان الوحش، وانعدام فرص لارسون للخروج من غرفة التخزين، قرَّر أن يختبئ في خزانة منتظرًا حتى يخرج الوحش من المركبة.

أوضح لارسون: "عندما جئت، كل ما استطعت رؤيته هو ذلك الشيء الأحمر المتكتِّل الضخم، اعتقدت أنك ربما تكون وحشًا آخر من هذه الوحوش اللعينة".

إن عدم تعرُّض المركبة لأضرار مادية مرئية يمثِّل أمرًا جيدًا؛ لأن هذا معناه أن جميع البوابات والأنظمة الأخرى التي مروا بها ما تزال تعمل. والأفضل من ذلك، عدم وجود وحش هائج في المركبة. ولكن ما أقلق هولدن حقًّا أنه لم يرَ أحدًا حتى الآن سوى

ذلك البحّار الشاب الذي يُدعى لارسون. مركبة بهذا الحجم الهائل يتجاوز طاقمها ألف شخصٍ كان من المفترض أن يصادف بعض أفراد طاقمها في أثناء المرور بممرات المركبة المختلفة، إلا أنه لم يصادف أحدًا في طريقه حتى الآن.

ولكن ما لم يكن مُبشرًا على الإطلاق أن هولدن بدأ يرى بركة من المادة البنية اللزجة على الأرض بين الفينة والأخرى.

توقَّف لارسون عند فتحة مغلقة حتى يلتقط هولدن أنفاسه. لم تُصمَّم بدلته الثقيلة المضادة للإشعاع لخوض الرحلات الطويلة؛ لذلك بدأت تمتلئ برائحة العرق. لم يحتج هولدن سوى دقيقة واحدة للراحة، وترك أنظمة تبريد البدلة تُخفِّض درجة حرارة جسمه.

قال لارسون: "سوف نتجاوز المطبخ الأمامي إلى إحدى فتحات المصاعد، يوجد مركز معلومات القيادة على سطح المركبة في الأعلى. بعد خمس دقائق أو عشر دقائق على أقصى تقدير".

قام هولدن بفحص إمداد الهواء الخاص ببدلته، ورأى أنه استنفد ما يقرب من نصفه. كان يقترب بسرعة من نقطة اللاعودة. لكن شيئًا ما في صوت لارسون لفت انتباهه، وهي تلك الطريقة التي نطق بها كلمة "المطبخ".

- "هل هناك شيء يجب أن أعرفه عن المطبخ؟"

أجاب لارسون: "لست متأكِّدًا، ولكن بعد أن تعطَّلت الكاميرات، ظللت آمل أن يأتي شخصٌ ما ليُخرجني من تلك الغرفة؛ لذلك بدأت في محاولة الاتصال بالناس عبر وحدة الاتصالات. وعندما لم ينجح ذلك، طلبت من المركبة فحص مواقع الأشخاص الذين أعرفهم. بعد فترة، وبغض النظر عمن كنت أبحث عنه، دائمًا ما كانت الإجابة: "المطبخ الأمامي".

قال هولدن: "إذن، قد يكون هناك ما يزيد عن ألفٍ من أفراد الطاقم المُصابين عالقين في ذلك المطبخ؟"

هزّ لارسون كتفيه بالكاد في بدلة العزلة التي يرتديها، ثم أجاب. "ربما قتلهم الوحش ووضعهم هناك".

قال هولدن: "امم، أعتقد أن هذا ما حدث بالضبط"، ثم أخرج مسدسه، وشد الأجزاء، واستدرك: "لكنني أشك بشدة في أنهم بقوا أمواتًا"

لم يفهم لارسون جملته، وقبل أن يسأله عما يقصده، بدأ هولدن يستخدم بدلته في فتح الفتحة. وقال لـ لارسون: "عندما أفتح هذا الباب، عليك أن تتوجّه إلى المصعد بأسرع ما يمكن. سأكون خلفك مباشرةً. لا تتوقّف مهما حدث. عليك أن تأخذني إلى مركز معلومات القيادة هذا، مفهوم؟"

أومأ لارسون برأسه من داخل خوذته.

- "حسنًا، ثلاثة... ".

بدأ هولدن العدّ. وضع إحدى يديه على الفتحة، ويحمل مسدسه باليد الأخرى. عندما فرغ من العد التنازلي، دفع الفتحة بيده، بينما ثبّت لارسون قدميه على أحد الحواجز، ثم دفع نفسه إلى أسفل الممر على الجانب الآخر.

أبرقت ومضات زرقاء صغيرة تطفو في الهواء من حولهم مثل اليراعات، إنها تشبه الأضواء التي وصفها ميلر عندما كان على إيروس للمرة الثانية، عندما لم يعد من بعدها أبدًا، ها هي اليراعات هنا الآن أيضًا.

لمح هولدن باب المصعد في نهاية الممر، تردّد وقع خُطاه بعد لارسون مع كل خطوة يخطوها بحذائه المُمغنط. في منتصف الطريق، اجتاز لارسون فتحة أسفل الممر.

بدأ البحّار الشاب يصرخ.

ركض هولدن تجاهه بأقصى سرعته التي تسمح بها بدلته الواقية وحذاؤه المُمغنط، بينما استمر لارسون في التحليق في الممر، لكنه كان يصرخ مثل رجلٍ يكافح لينجو من الغرق. كان هولدن على وشك الوصول إلى تلك الفتحة عندما زحف شيءٌ منها إلى طريقه. في البداية اعتقد أنه نوع من المسوخ المُتقيئين التي سبق وأن واجههم على إيروس. تحرّك ذلك الشيء ببطء، وكان الجزء الأمامي من زيه البحري مُغطًّى بالقيء

البنيّ. ولكن عندما استدار لإلقاء نظرة على هولدن، توهّجت عيناه بلونٍ أزرق باهت. عاين هولدن التباعة ذكاء لم يرها من قبل في مسوخ إيروس

لقد تعلّم الجزيء الأولي بعض الدروس من حادثة إيروس. ويبدو أن هذه هي النسخة الجديدة المُحسَّنة من هذه المسوخ المُتقيئين.

لم ينتظر هولدن ليرى ما سيفعله ذلك الكائن دون أن يُفكِّر رفع مسدسه، وأطلق النار على رأسه. شعر بالارتياح عندما انقطع الضوء عن عينيه، وانسحب بعيدًا عن سطح المركبة، ورشَّ سائلًا بنيًّا لزجًا على شكلِ قوس أثناء دورانه. وقبل أن يجتاز هولدن الفتحة، غامر بإلقاء نظرة على ما يجري بالداخل.

كان المكان مليئًا بالمسوخ المُتقيئين، المئات منهم، وبمجرد أن اختلس هولدن النظر، اشرأبت إليه أعناقهم، واستهدفوه بعيونهم الزرقاء المرعبة. سرعان ما عاد هولدن إلى الممر، وراح يركض بأقصى سرعته. بينما سمع صوت الأنين المتصاعد للمسوخ من خلفه وهم يصطرخون في صوتٍ واحدٍ، وبدأوا يتسلّقون الحواجز والأسطح لمطاردته.

صرخ هولدن في لارسون: "اذهب! اركب المصعد!"، وأخذ يلعن ثقل بدلته الواقية التي تتسبَّب في إبطاء حركته.

صاحت ناعومي: "يا إلهي، ما هذا؟!"، نسي هولدن أنها كانت تشاهد كل شيء. لم يُضيّع أنفاسه في الإجابة عليها. تخلَّص لارسون من شرود الهلع الذي انتابه، وانشغل بفتح أبواب المصعد. ركض هولدن نحوه، ثم استدار لينظر خلفه. وجد الممر يعج بالعشرات من المسوخ المتقيئين ذوي العيون الزرقاء اللامعة وقد راحوا يتشبثون بالحواجز والسقف والسطح مثل العناكب. انطلقت الومضات الزرقاء كما لو كانت تطفو على تيارات الهواء التي لم يستطع هولدن الشعور بها.

قال هولدن لـ لارسون: "انطلق بسرعة"، بينما صوّب المسدس نحو المسخ الذي يتولّى قيادة بقية المسوخ، وأطلق الرصاص على رأسه؛ ليسقط مبتعدًا عن الجدار تاركًا السائل البني اللزج الذي يتقيأه ينتشر في كل مكانٍ حوله. دفعه المسخ الذي يقف خلفه بعيدًا عن الطريق، وأرسله ليدور في الهواء أسفل الممر باتجاههم. تحرّك هولدن أمام لارسون لحمايته، وتناثر رذاذ من المواد البنية اللزجة على صدره وقناعه. إذا لم يكن كلاهما

يرتدي بدلات محتومة جيدًا، لكان هذا حكمًا بالإعدام عليهما. أقمع هولدن قشعريرة سرت في جسده، وأطلق النار على اثنين من المسوخ. بينما واصل الباقون زحفهم دون توقُّف.

لعن لارسون الأبواب التي انفتحت جزئيًا ثم أُغلقت مرة أخرى على ذراعه. دفعها البحّار الشاب بظهره وإحدى رجليه، وأعاد فتحها مجدّدًا

صرخ لارسون: "لقد دخلنا"، تراجع هولدن نحو عمود المصعد، وأفرغ بقية طلقات خزنته أثناء دخوله. أُصيب ستة من المسوخ بالطلقات، وبدأوا في الدوران حول أنفسهم وإفراغ هذا السائل اللزج. وبمجرد أن دخل هولدن المصعد، أغلق لارسون الأبواب.

قال لارسون، وهو يلهث من التعب والرعب: "علينا أن نرتقي إلى مستوى أعلى"، دفع الحاجز، وأمسك بالمجموعة التالية من الأبواب، ثم فتحها. تبعه هولدن، وهو يستبدل خزنة مسدسه الفارغة بأخرى مملوءة بالطلقات. مباشرةً على الجانب الآخر من المصعد كان هناك فتحة مُدرَّعة مطبوع عليها باللون الأبيض كلمة "مركز معلومات القيادة". تحرَّك هولدن نحوها، وأرسلت بدلته رمز المرور. من خلفه، ترك لارسون أبواب المصعد تُغلق بينما تردَّد صدى عواء المسوخ عبر عمود المصعد.

قال هولدن: "لا وقت لدينا، يجب أن نُسرع"، وهو يضغط على الزر لفتح مركز معلومات القيادة، ثم شق طريقه للداخل قبل أن تنتهي الأبواب من دورة الفتح، ثم عبر لارسون من بعده.

كان هناك شخصٌ واحد ما يزال في مركز معلومات القيادة: رجلٌ آسيوي ممتلئ الجسم قوي البنية، يرتدي زي أميرال، ويحمل مسدسًا من العيار الكبير بيد مرتجفة.

قال الرجل: "ابقَ مكانك، ولا تتحرَّك!"

صاح لارسون: "الأميرال نجوين! أنت حي!"

تجاهله نجوين، وقال: "أعتقد أنك أتيت إلى هنا للحصول على رموز التحكُّم عن بعد لمركبات إطلاق الأسلحة البيولوجية. إنها لديّ هنا"، ورفع جهازه اللوحي، ثم تابع: "إنها لك في مقابل إخراجي من هذه المركبة الموبوءة".

قال لارسون مُشيرًا إلى هولدن: "إنه هنا ليساعدنا، سيُخرجنا من هنا. لقد قال لي إنه سيخرجني من هنا".

قال هولدن لنجوين: "مستحيل، لا تُفكِّر في ذلك. إما أن تعطيني هذه الرموز باختيارك لأنك ما زلت تمتلك ذرة إنسانية، أو سآخذها منك قهرًا بعد أن تصير جثة هامدة. أنا لا أكترث في كلتا الحالتين، أنت سيد قرارك".

مرَّر نجوين ناظريه ذهابًا وإيابًا من لارسون إلى هولدن، ممسكًا بجهازه اللوحي ومسدسه بإحكام لدرجة أن مفاصل أصابعه بدأت ترتعش. قال: "كلا، عليك أن..."

قبل أن يُكمل جملته الأخيرة، أطلق عليه هولدن النار في حلقه، في مكانٍ ما في جذع دماغه. أومأ إليه المُحقِّق ميلر برأسه في نظرة إعجابٍ ورضا.

قال هولدن لـ لارسون وهو يسير عبر الغرفة لالتقاط الجهاز اللوحي الذي سقط بجوار جثة نجوين "ابدأ البحث عن طريق بديل للعودة إلى مركبتي". استغرق الأمر منه لحظات حتى عثر على مفتاح التدمير الذاتي لـ (أجاثا كينج)، والذي كان مخفيًّا داخل قائمة مغلقة. وقد تمكَّن من الوصول إليه بفضل رمز التحكُّم الذي أرسله ساوثر.

قال هولدن بهدوء لناعومي وهو يفتح الباب: "آسف، أعلم أنني وعدتك أنني لن أفعل شيئًا مثل هذا مرة أخرى، لكن لم يكن لدي وقت لأضيِّعه في الجدال معه..."

قاطعته ناعومي بنبرة حزن: "لقد استحق هذا اللقيط الموت، وأنا أعلم أنك ستشعر بالسوء حقًّا لفعل ذلك، وهذا يكفيني".

فُتحت القائمة المغلقة، ولم يكن هناك سوى زر على الجانب الآخر. لم يكن أحمر، بل كان أبيض صناعيًّا. سأل: "هل هذا هو الزر الذي يُفجِّر المركبة؟"

قالت ناعومي: "لا يوجد جهاز توقيت"

قال هولدن. "إنه نظام أمان مضاد للصعود على متن المركبة. إذا فتح شخصٌ ما هذه القائمة المعلقة وضغط على هذا الزر، فذلك يؤدي إلى تفجيرها بشكلٍ لحظي. لم يُرد بحوين وضع جهاز توقيت حتى لا يمكن لأيّ شخصٍ تجاوزه"

قالت ناعومي: "إنها مشكلة هندسية". كانت تعرف بالفعل ما يفكر فيه هولدن، وتحاول أن تُقدم حلًّا للمشكلة قبل أن يُصرِّح بما يدور في عقله. تابعت: "يمكننا حل ذلك".

ردَّ هولدن: "لا نستطيع"، وبدلًا من أن يشعر بالحزن، وجد نفسه يشعر بنوعٍ من السكينة. أردف: "هناك بضع مئات من المسوخ الهائجين للغاية يحاولون تسلُّق عمود المصعد الآن. لن نتوصَّل إلى حلٍّ لا يتركني عالقًا هنا على أيّ حال".

ضغطت يدٌ على كتفه. نظر إلى الأعلى، فقال لارسون: "سأتولَّى ذلك الأمر، سأضغط أنا على الزر".

ردَّ هولدن: "كلا، ليس عليك."...

مدَّ لارسون ذراعه، كانت أكمام بدلته بها تمزُّق صغير عندما أُغلقت أبواب المصعد عليه، وحول هذا التمزُّق بقعة بنية بحجم كف اليد.

قال لارسون: "إنه حظي العاثر! لقد شاهدت مقاطع فيديو حادثة إيروس مثل أيّ شخصٍ آخر. لا يمكنك المخاطرة بأخذي. ربما قريبًا أصبح..."، توقَّف قليلًا وأومأ برأسه إلى الخلف نحو المصعد، ثم تابع: "أصبح واحدًا من هؤلاء".

صافح هولدن يد لارسون، وقد جعلت القفازات السميكة من المستحيل الإحساس بشيء. قال هولدن: "أنا آسف جدًّا".

ردّ لارسون بابتسامة حزينة على وجهه: "على الأقل أنك حاولت. شكرًا لك على أيّ حال، لن أموت الآن من العطش في خزائن الشحن".

قال هولدن: "سأُخبر الأميرال ساوثر بما فعلته، سأُخبر الجميع بذلك"

"انظر"، قال لارسون وهو يطفو بجوار الزر الذي من شأنه أن يُحوِّل (أجاثا كينج) إلى نجمٍ صغير في غضون ثوانٍ معدودة. خلع خوذته وأخذ نفسًا عميقًا. "هناك ثلاثة

طوابق أخرى من غرفة معادلة الضغط فوقنا، إذا لم يدخلوا عمود المصعد بعد، فسيكون لديك الوقت للوصول إلى هناك"

- "لارسون، أنا... ".
- "لا وقت لذلك، يجب أن تغادر الآن".

***

كان على هولدن أن يخلع بدلته في غرفة معادلة الضغط الخاصة بمركبة (أجاثا كينج)، والتي كانت مُغطاة بالسوائل البنية اللزجة. ولم يكن بإمكانه المخاطرة بأخذها إلى زورق (رازورباك). لقد امتص جرعة قليلة من الإشعاع بينما كان يُغيِّر بدلته ببدلة أخرى من بدلات الأمم المتحدة التي سرقها من إحدى الخزائن. كانت تُشبه تمامًا البدلة التي يرتديها لارسون. بمجرد عودته إلى (رازورباك)، أرسل رموز التحكُّم عن بعد إلى مركبة ساوثر، وبينما كان على وشك العودة إلى (روسينانت)، اختفت مركبة (أجاثا كينج) في كرة من النار البيضاء.

الفصل الخمسون

بوبي

قال أموس لبوبي عندما عاد إلى الورشة الميكانيكية: "لقد غادر القبطان للتو". كانت الفتاة البحرية تطفو على ارتفاع نصف متر فوق سطح المركبة داخل دائرة صغيرة من التكنولوجيا الفتاكة. ومن خلفها بدلتها المُدرَّعة التي قامت بإعادة تنظيفها وتجهيزها، بينما كانت فُوهة البندقية المُثبَّتة حديثًا تلمع داخل حلقة الذراع اليمنى للبدلة. وإلى يسارها طفت البندقية الآلية المُفضَّلة لأموس، والتي أُعيد تجميعها مؤخرًا أيضًا. تشكَّلت بقية الدائرة من مسدسات وقنابل يدوية وسكاكين معقوفة ومجموعة متنوعة من خزانات الأسلحة. أجرت بوبي جردًا أخيرًا لدرعها وأسلحتها وخلصت إلى أنها فعلت كل ما في وسعها.

تابع أموس: "يعتقد أنه ربما لن يعود من هناك، ثم انحنى لالتقاط البندقية الآلية. نظر إليها نظرة فاحصة، ومنحها إيماءة إعجاب.

قالت بوبي: "إن الدخول في معركة تعلم أنك لن تعود منها يساعدك على رؤية الأشياء بشكلٍ أكثر وضوحًا"، ثم مدَّت يدها وأمسكت درعها، ودفعت نفسها بداخله. لم يكن القيام بذلك سهلًا في الجاذبية الصغرى؛ لذا كان عليها أن تلتوي وتهتز لإدخال ساقيها في البدلة قبل أن تبدأ في إغلاقها حول جذعها. لاحظت أن أموس لم يرفع عينيه عنها، وارتسمت على وجهه ابتسامة اشتهاء غبية.

انفعلت بوبي قائلةً: "بجدية، هل تفكر في ذلك الآن؟ نحن نتحدَّث عن قطانك الذي ذهب برجليه إلى الموت، بينما كل ما يشغلك الآن هو النظر إلى هذين الثديين!!"

لم يتوقَّف أموس عن الابتسام، ولم يتأثَّر بهذه التوبيخ على الإطلاق. "هذا الثوب الضيق لا يترك الكثير للخيال، هذا كل ما في الأمر"

رفعت بوبي عينيها بانزعاجٍ، وقالت: "صدِّقني، حتى لو كان بإمكاني ارتداء سترة ضخمة داخل بدلتي القتالية المُدرَّعة، فلن أفعل ذلك؛ لأن هذا سيكون ضربًا من ضروب الغباء"، ثم ضغطت على أدوات التحكُّم لإغلاق البدلة، ودرعها مطويٌّ حولها مثل طبقة جلدية ثانية. أغلقت الخوذة، مستخدمةً مكبرات الصوت الخارجية للبدلة من أجل التحدُّث إلى أموس، مع أن ذلك سيجعل صوتها آليًّا وغير إنساني على الإطلاق.

قالت بصوتٍ يتردَّد صداه في جميع أرجاء الغرفة: "من الأفضل أن ترتدي سروالك الكبير"، أخذ أموس خطوة إلى الوراء دون وعي، ثم تابعت: "ربما لا يكون القبطان هو الوحيد الذي لن يعود".

صعدت بوبي على سلم الرافعة، وانطلقت لأعلى نحو طابق العمليات. وجدت أفاسارالا مربوطة في مقعد أمام مركز الاتصالات، بينما اتخذت ناعومي مكان هولدن المعتاد أمام لوحة التحكُّم القتالية. مما يعني أن أليكس في قمرة القيادة بالفعل. فتحت بوبي حاجب الخوذة؛ لتتحدَّث بصوتها الطبيعي.

سألت الفتاة البحرية أفاسارالا: "هل كل شيء جاهز الآن؟"

أومأت السيدة العجوز برأسها، ورفعت إحدى يديها داعيةً إياها إلى الانتظار حتى تفرغ من مكالمتها مع شخصٍ ما عبر ميكروفون سماعة الرأس. قالت وهي تُحرِّك الميكروفون بعيدًا عن وجهها: "لقد نشر المريخيون فصيلة كاملة بالفعل، لكن الأوامر التي لديهم هي إنشاء طوق أمني وإغلاق المحطة بينما انتظروا أن يُقرِّر شخصٌ ما في أعلى هرم القيادة ما يجب القيام به".

بدأت بوبي الكلام: "لن يقوموا بـ..."، لكن أفاسارالا قاطعتها بإشارة رافضة بيدها.

قالت: "اللعنة لا، أنا في مرتبة أعلى بكثير في هرم القيادة، وقد قرَّرت بالفعل أننا سنقوم بتدمير هذا المسلخ بمجرد أن تبتعدوا عن السطح. لقد تركتهم يعتقدون أننا ما زلنا نناقش هذا الأمر حتى يكون لديكم الوقت الكافي للذهاب من أجل إنقاذ هؤلاء الأطفال".

أومأت بوبي بقبضتها نحو أفاسارالا. لقد تدرّب المريخيون المُدرَّعون على استخدام اللغة الجسدية لأسباء الحرام عندما يرتدون دروعهم القتالية. نظرت أفاسارالا في حيرة

من هذه الإيماءة، وقالت: "لذا توقّفي عن الإشارة بيدك، واذهبي الآن من أجل إنقاذ هؤلاء الأطفال الملاعين".

عادت بوبي إلى سلم الرافعة، وضغطت على زر قناة الاتصالات الرئيسية في أثناء ذهابها. "أموس، براكس. دعونا نتقابل عند غرفة معادلة الضغط في غضون خمس دقائق. نحن الآن مستعدون للانطلاق. أليكس، ضعنا على ظهر المركبة في بعد عد عشرة".

أجاب أليكس: "عُلِم، صيدٌ مُوفَّق يا رفاق". تساءلت عما إذا كان من الممكن أن يصبحوا أصدقاء إذا أُعطوا الوقت الكافي. يبدو التفكير في ذلك ممتعًا حقًّا.

كان أموس ينتظرها خارج غرفة معادلة الضغط عندما وصلت إلى هناك. ارتدى الميكانيكي درعه المريخي الخفيف وحمل بندقيته الضخمة. جاء براكس يركض نحو الغرفة بعد بضع دقائق، وما زال يكافح من أجل ارتداء بدلته المستعارة بشكلٍ صحيح. بدا وكأنه صبي يرتدي حذاء والده. وبينما ساعده أموس في ارتداء البدلة وإغلاقها عليها، نادى أليكس على غرفة معادلة الضغط قائلًا: "نحن في طريقنا للأسفل، تماسكوا جيدًا".

شغّلت بوبي أحذيتها المُمغنطة؛ لتثبت نفسها على السطح بينما تحرّكت المركبة من تحتها. جلس كل من أموس وبراكس على مقعدين تم سحبهما من الحائط وربطا أنفسهما في الأحزمة جيدًا.

قالت: "لنستعرض الخطة مرة أخرى"، وفتحت الصور التي التقطتها الأقمار الصناعية للمحطة. ربطت بدلتها بـ (روسي)، وعرضت الصور على وحدة التحكُّم المُثبّتة في الحائط. أوضحت: "غرفة معادلة الضغط هذه هي مدخلنا. إذا كانت مُقفلة، فسيقوم أموس بتفجير القفل بالمتفجّرات لفتح الباب الخارجي. يتعيَّن علينا الدخول بسرعة؛ لأن الدروع لن تحمينا لوقتٍ طويل من الأحزمة الإشعاعية الفتاكة التي تدور حول آيو. براكس، لديك رابط الجهاز اللاسلكي الذي زوّدتك به ناعومي؛ لذا بمجرد دخولنا، يجب أن تبحث عن عقدة شبكة لتوصيل الرابط بها. ليس لدينا معلومات حول

نسق القاعدة وتخطيطها من الداخل؛ لذلك كلما أسرعنا في تمكين ماعومي من اختراق نظامها، زادت فرص العثور على هؤلاء الأطفال بشكلٍ أسرع".

قال أموس: "أُفضِّل الخطة البديلة بشكلٍ أكبر".

تساءل براكس: "خطة بديلة؟"

ردَّ أموس: "الخطة البديلة هي أن ننقض على أولِ رجلٍ نراه هناك، وأُبرحه ضربًا حتى يخبرنا بمكان الأطفال".

أومأ براكس برأسه، وقال: "حسنًا، أُفضِّل ذلك أيضًا".

تجاهلت بوبي هذا الحديث المتغطرس. تعامل كل واحدٍ منهم مع التوتُّر الذي يسبق المعركة بطريقته الخاصة. فضلت بوبي التحلِّي بالحذر ولكن استعراض القوة كان جيدًا أيضًا. قالت: "بمجرد أن نعرف موقع الأطفال، عليكم أن تتحرَّكوا يا رفاق بأقصى سرعتكم لإنقاذهم، بينما أؤمن لنا مسارًا للخروج من هناك".

قال أموس: "يبدو ذلك جيدًا".

ردَّت بوبي: "لا مجال للخطأ. آيو هي واحدة من أسوأ بقاع النظام الشمسي. تحتوي على تكتونيات غير مستقرة ومشعة مثل السعير. لا عجب أنهم اختاروها مخبأً لهم؛ لذلك أحذر من التقليل من شأن الخطر الذي يحمله مجرد الوجود على هذا القمر الملعون".

قال أليكس عبر قناة الاتصالات: "دقيقتان فقط".

أخذت بوبي نفسًا عميقًا، وقالت: "وهذا ليس الأسوأ. أطلق هؤلاء الأوغاد بضع مئات من الجزيئات البشرية الهجينة على المريخ. يمكننا أن نأمل أن يطلقوا النيران عليهم بالكامل. لكن شيئًا ما في نفسي يُخبرني أنهم لن يفعلوا ذلك. قد نواجه واحدًا من هذه الوحوش بمجرد دخولنا إلى هناك".

لم تقل: "لقد رأيت ذلك في أحلامي". يبدو أنه سيأتي بنتائج عكسية إذا صرّحت بذلك.

ولكنها قالت: "إذا واجهنا أحد الوحوش، اتركوني أتكفّل به. أموس، لقد كدت تقتل قبطانك عندما واجهتم ذلك الشيء اللعين في غرفة التخزين. إذا كرّرت هذا الخطأ معي، سأقطع ذراعك. لا تختبر غضبي".

أجاب أموس: "مفهوم أيتها الزعيمة، ولكن لا تُنفّسي عن غضبك عليّ. لقد سمعت ما قلتِه للتو".

قال أليكس عبر قناة الاتصالات: "دقيقة واحدة فقط".

- "ينتشر جنود مشاة البحرية المريخية بالفعل حول الطوق الأمني، لكننا حصلنا منهم على الضوء الأخضر للسماح لنا بالدخول إلى المحطة. إذا أفلت منا شخصٌ ما، فلا داعي لملاحقته. سيتم القبض عليه بواسطة مشاة البحرية قبل أن يذهب بعيدًا".

صاح أليكس: "ثلاثون ثانية فقط".

قالت بوبي: "استعدوا"، ثم نظرت إلى شاشة عرض المعلومات على بدلتها. كانت كل المؤشرات خضراء، بما في ذلك مؤشر الذخيرة الذي أشار إلى وجود ألفي طلقة حارقة".

تم امتصاص الهواء من غرفة معادلة الضغط في هسهسة طويلة باهتة، ولم يُترك سوى خيطٍ رقيقٍ من الغلاف الجوي بنفس كثافة ضباب الكبريت الخافت في آيو. قبل أن تصطدم المركبة بالسطح، قفز أموس من مقعده، ووقف على قدميه ليضع خوذته على رأسه. صرخ: "هيا نُلقي بهم في الجحيم، أيتها الفتاة البحرية".

انفتح باب غرفة معادلة الضغط الخارجي، وأطلقت بدلة بوبي إنذارًا إشعاعيًّا، كما أصدرت إشعارًا بأن الجو الخارجي ليس مناسبًا للحياة. انطلق أموس نحو غرفة معادلة الضغط المفتوحة، ثم انطلق براكس من بعده. "هيا، هيا، هيا".

اندفع أموس عبر الأرض في قفزة حرقاء، وأنفاسه تلهث في أذنيها عبر رابط الجهاز اللاسلكي. بقي براكس قريبًا خلفه، وبدا أنه أكثر راحةً في الجاذبية المنخفضة. لم يكن لديه مشكلة في التكيُّف مع ذلك. نزلت بوبي من (روسي)، ثم قفزت بقوة في قوسٍ

طويل أحدها حوالي سبعة أمتار فوق السطح عند قمته. قامت بمسح المنطقة بصريًّا بينما أطلقت بدلتها الرادار وأجهزة الاستشعار الكهرومغناطيسية في محاولةٍ لتحديد الأهداف، ولكن لم تجد أيّ شيء.

ارتطمت بالأرض بجوار أموس المُتخبِّط، ثم قفزت مرة أخرى للوصول إلى باب غرفة معادلة الضغط. نقرت على الزر، وبدأ الباب الخارجي في دورة الفتح. من يغلق الأبواب على قمرٍ مثل آيو؟ لم يكن أحد ليمشي في تلك الأرضية القاحلة من الكبريت والسيليكون المنصهر، ويدخل ليسرق أموال الأسرة.

تجاوزها أموس في غرفة معادلة الضغط، ولم يتوقَّف إلا لالتقاط أنفاسه عندما كان بالداخل. اتبعت بوبي براكس في غضون ثوانٍ، وبينما كانت على وشك إخبار أموس بإغلاق باب غرفة معادلة الضغط، تعطَّل جهاز اللاسلكي الخاص بها.

دارت حول نفسها؛ لتبحث عن أيّ حركة على سطح القمر، بينما جاء أموس من ورائها ووضع خوذته على درع من الخلف. عندما صرخ، كان صوته مسموعًا بالكاد. "ما يحدث؟"

بدلًا من الصراخ، خرجت من غرفة معادلة الضغط، وأشارت إلى أموس، ثم أشارت إلى الباب الداخلي. قلَّدت بأصابعها شخصًا يمشي وينطلق للأمام، أومأ إليها أموس بيدٍ واحدة، ثم عاد إلى غرفة معادلة الضغط، وأغلق الباب الخارجي.

مهما يحدث في الداخل، أصبح الأمر متروكًا لأموس وبراكس الآن. تمنَّت لهم التوفيق في مهمتهما.

رصدت بوبي الحركة قبل أن تُخبرها بدلتها. هناك شيءٌ يتحرَّك على خلفية كبريتية صفراء. شيءٌ ليس باللون نفسه تمامًا. لقد تتبَّعت ذلك بعيونها، وأطلقت أشعة الليزر المستهدفة من بدلتها. لن تتركه بعيدًا عن عينها الآن. ستظل تتابع مسار ذلك الشيء. قد يكون قادرًا على امتصاص موجات اللاسلكي، لكن قدرتها على رؤيته عبر الرادار تعني أن الضوء ينعكس عليه تمامًا مثل أيّ شيء آخر.

تحرَّك الشيء مرة أخرى. ليس بسرعة، بل ظل قريبًا من الأرض. إذا لم تكن تُسلِّط النظر عليه بعناية، لما استطاعت أن ترى تلك الحركة. إنه يجري محاولًا التخفِّي، مما يعني

على الأرجح أنه لم يعرف بعد أنها رصدته. أشار مؤشر مدى الليزر في بدلتها أنها على بعد ما يزيد قليلًا عن ثلاثمائة متر فقط. وفقًا لنظريتها، فإن هذا الكائن بمجرد أن يُدرك أنها رصدته، فإنه سينطلق نحوها في خطٍّ مستقيم لمحاولة الإمساك بها وتمزيقها إلى أشلاء وإذا لم يتمكَّن من الوصول إليها بسرعة، فسيحاول إلقاء الأشياء عليها. وكل ما كان يتعيّن عليها هو إلحاق الضرر به حتى تفشل رحلته، ومن ثم يُدمّر نفسه بنفسه. هناك الكثير من النظريات حول هذا الكائن.

حان الوقت لاختبار صحة تلك النظريات.

صوَّبت بندقيتها نحوه. ساعدتها بدلتها على تصحيح الانحراف بناءً على النطاق الذي يوجد فيه الكائن، لكنها كانت تستخدم قذائف عالية السرعة على القمر ذي الجاذبية المنخفضة. سيكون إسقاط القذيفة على ارتفاع ثلاثمائة متر صفرًا تقريبًا. على الرغم من عدم وجود طريقة تُمكِّن الكائن من رؤيتها عبر قناع خوذتها المُعتمة، فإنها بعثت إليه بقُبلة. "لقد عُدت إليك يا صغيري، تعالَ وقل مرحبًا لأمك".

ضغطت على زناد بندقيتها، أطلقت خمسين طلقة باتجاه الهدف؛ حيث قطعت المسافة من بندقيتها إلى الكائن أقل من ثلث ثانية تقريبًا. تدافعت إليه الخمسون طلقة بالكامل؛ مما أفقد الطلقات طاقتها الحركية أثناء مرورها بالكائن. انفجر طرف كل طلقة؛ مما أدَّى إلى إشعال الهُلام المتأكسد ذاتيًّا القابل للاشتعال الذي تحمله كل طلقة. خمسون مسارًا حارقًا ومُكثَّفًا، ولكن سرعان ما تم إخمادها في جسد الوحش.

اشتعلت النيران في الخيوط السوداء التي انفجرت من فتحات خروج الرصاص، واختفت مع ومضة عابرة في لحظة.

انطلق الوحش نحو بوبي بسرعة كان يُفترض أن تكون مستحيلة في تلك الجاذبية المنخفضة كل دفعة من أطرافه كانت يجب أن تدفعه عاليًا؛ ليطير في الهواء. تمسَّك سطح السيليكات التي يمتاز بها قمر آيو كما لو كان يرتدي حذاءً مُعنطًا على سطحٍ معدني كان يتجه نحوها بسرعة خاطفة للأنفاس. اشتعلت النيران في عيونه الزرقاء مثل البرق. مدّ يديه الطويلتين غير المُحتملتين، وأخذ يفتح قبضته ويضمها أثناء ركضه. بدا كل شيءٍ مثل ما رأت في أحلامها. وبجزءٍ من الثانية، أرادت بوبي فقط أن تقف

مكتوفة الأيدي وتترك المشهد يسير إلى النهاية التي لم تتمكّن من رؤيتها في أحلامها مُطلقًا. توقّع جزءٌ آخر من عقلها أن تستيقظ من نومها، معمورةً بالعرق، كما حدث مراتٍ عديدة من قبل.

راقبته بوبي وهو يركض نحوها، وشعرت بالابتهاج لرؤية الحروق السوداء التي أحدثها الرصاص الخارق في جسده. لا يوجد هذه المرة رذاذ من الشعيرات السوداء، ولم تندمل جروحه فيما كان يُشبه الرقم على الماء كما حدث مع الوحش الذي واجهته من قبل. لقد تمكّنت بوبي من إلحاق الضرر به، وأرادت أن تستمر في إيذائه.

استدارت بعيدًا، وانطلقت في جولة ملتوية بزاوية تسعين درجة في مسارها. أبقت بدلتها الليزر مستهدفًا الوحش؛ لتتمكّن من تتبُّع موقعه دون حتى الالتفات للنظر. وكما توقَّعت، استدار الوحش ليتبعها، لكنه تعثَّر. قالت له بوبي: "إنك تنطلق بسرعة في خطٍّ مستقيم، ولكن عند المناورة بشكلٍ جانبي تبدو مزريًا".

عندما أدرك الكائن أنها لن تقف مكتوفة الأيدي وتتركه يقترب منها، توقَّف. توقَّفت بوبي أيضًا، واستدارت لمشاهدته. مدَّ يده لأسفل ومزَّق جزءًا كبيرًا من قاع الحمم البركانية القديمة الموجودة على السطح، ثم مدَّ يده الأخرى ليمسك بصخرة.

قالت بوبي لنفسها: "ها قد بدأنا".

ألقت بنفسها جانبًا بينما كانت ذراع الكائن تقذف بالصخرة نحوها. أخطأتها الصخرة بسنتيمترٍ وهي تندفع بشكلٍ جانبي. عندما عادت إلى سطح القمر مرة أخرى، بدأت في إطلاق النار لعدة ثوانٍ هذه المرة، أرسلت مئات الطلقات التي اخترقت جسد ذلك الكائن.

تغنَّت بنشيد مشاة البحرية القديم بصوتٍ عالٍ. "كل ما يمكنك القيام به يمكنني أن أفعله بشكل أفضل. يمكنني أن أفعل أي شيءٍ بشكلٍ أفضل منك".

مزَّقت الطلقات شظايا كبيرة مشتعلة من الوحش، وكادت تقطع ذراعه اليسرى. دار الكائن حول نفسه، وبدأ ينهار على الأرض. ارتدت بوبي على قدميها، وأصبحت على استعدادٍ للركض مرة أخرى إذا عاد الوحش للنهوض من جديد. ولكنه لم يفعل. بدلًا

من ذلك، تدحرج على ظهره، واهتز. بدأ رأسه في الانتفاخ، وتوهّجت العيون الزرقاء بشكل أكبر. رأت بوبي شيئًا ما يتحرّك تحت سطح الجلد الأسود الكيتوني.

صرخت في وجهه منتظرةً انفجار القنبلة: "انفجِر أيها الملعون".

ولكن بدلًا من ذلك، ارتد الكائن فجأة ناهضًا على قدميه، ومزّق جزءًا من أحشائه، وقذف بهذا الجزء نحوها. في الوقت الذي أدركت فيه بوبي ما حدث للتو، كانت القنبلة على بعد أمتارٍ قليلة منها. انفجرت بالقرب منها؛ لتنزلق عبر سطح آيو، انطلقت الإنذارات الصارخة من بدلتها المُدرَّعة. عندما توقّفت أخيرًا، كانت شاشة عرض المعلومات الخاصة ببدلتها تومض باللونين الأحمر والأخضر فيما يُشبه الأضواء المبهرة في احتفالات رأس السنة. حاولت تحريك أطرافها، ولكنها كانت ثقيلة مثل حجر. تعطَّل معالج التحكُّم في حركة البدلة، وهو عبارة عن حاسوب يُترجم حركات جسدها ويُحوِّلها إلى أوامر لمُحرِّكات البدلة. حاولت البدلة تلقائيًّا إعادة تشغيل المعالج كما حاولت في الوقت نفسه إعادة توجيه البرنامج وتشغيله في موقع مختلف. أومضت رسالة صفراء على شاشة عرض المعلومات مفادها: (برجاء الانتظار).

لم تستطع بوبي تحريك رأسها بعد؛ لذلك عندما انحنى الوحش عليها، فاجأها تمامًا. قمعت رغبتها في الصراخ. ماذا تفيد الصرخة هاهنا؟! كان الغلاف الجوي الكبريتي على آيو رقيقًا جدًّا بحيث لا يمكن أن تنتقل إليه الموجات الصوتية. لم يكن من الممكن أن يسمع الوحش صرختها. لكن بينما كانت النسخة الجديدة من بوبي تتصالح مع فكرة الموت في المعركة، بقي ما يكفي من نسخة بوبي القديمة لدرجة أنها لم تبدأ الصراخ مثل الأطفال.

انحنى الوحش لينظر إليها. توهّجت عيناه الكبيرتان الفضوليتان باللون الأزرق الساطع بشكلٍ غريب. بدا الضرر الذي ألحقته به بندقيتها فادحًا، لكن من الواضح أن الكائن لم يتنبه لذلك. نقر على جذع درعها بإصبعه الطويل، ثم ارتجف وبدأ يتقيأ رذاذًا كثيفًا من المادة البنية اللزجة في كل مكانٍ حوله.

صرخت روبي في وجهه: "يا لك من بغيض!". لو انفتحت بدلتها، فإن تعرُّضها لهذا الجزيء الأولي سيكون أقل مشاكلها. لكن مع ذلك تساءلت: "كيف ستُنظِّف هذه الفضلات بحق الجحيم؟"

أمال الوحش رأسه، ونظر إليها بفضول ثم نقر مرة أخرى على درعها بإصبعٍ واحد يتلوّى بين اللحامات، كما لو كان يبحث عن فجوة ليصل إلى جلدها. لقد سبق لها أن رأت أحد هذه الكائنات يُمزِّق آلية قتالية تزن تسعة أطنان؛ لذا فلن يكون اختراق البدلة المُدرَّعة مشكلة كبيرة بالنسبة لهذا الوحش. لكن يبدو أنه مُتردِّد قليلًا بشأن إلحاق الضرر بها لسببٍ ما. وبينما كانت تنظر وتنتظر ما سيحدث، امتد أنبوب طويل مرن من وسط الوحش، وبدأ يفحص درعها بدلًا من إصبعه. كان ذلك العضو الجديد الذي انبثق فجأة من هذا الكائن يقطر بالسائل البني اللزج في تدفُّق مستمر.

تحوَّل مؤشر حالة السلاح في بدلتها من الضوء الأحمر إلى اللون الأخضر. قامت روبي بتدوير فُوهة البندقية لاختبارها، وتأكَّدت من تفعيل السلاح بالفعل. لكن لأن الأمر يتعلَّق بالحركة، كانت بدلتها ما تزال تبعث برسالة: (برجاء الانتظار). إذا شعر الوحش بالملل، وسار أمام بندقيتها، يمكنها أن تُطلق عليه بعض الطلقات.

راح الأنبوب يفحص درعها بمزيدٍ من الإصرار الآن، وشقَّ طريقه إلى الفجوات، وأطلق سائلًا بنيًّا بشكلٍ دوري. كان الأمر مثيرًا للاشمئزاز بقدر ما كان مخيفًا. يشبه الأمر أن تتعرَّض الفتاة للتهديد من قبل قاتل متسلسل لا يكف عن الاحتكاك بجسدها بإصرار مراهق هائج جنسيًّا.

قالت: "تبًّا لهذا القرف"، وقد سئمت من رؤية هذا الشيء يلمسها وهي مستلقية على ظهرها وعاجزة عن فعل أيّ شيء. كانت ذراع البدلة اليمنى ثقيلة، والمُحرِّكات التي مدَّتها بالكثير من القوة عندما كانت تعمل أصبحت الآن تقاوم الحركة أثناء تعطُّلها. بدا دفع ذراعها لأعلى أشبه بالقيام بتكرار الضغط على مقعدٍ بذراعٍ واحدة أثناء ارتداء قفاز من الرصاص. ومع ذلك ضغطت حتى بدأت تشعر بشيءٍ ما. ربما كان ما شعرت به في البدلة أو ربما كان في ذراعها. لم تستطع معرفة ذلك بعد؛ لأنها كانت مشدودة للغاية

بحيث لا يمكن تحديد موضع الألم بالضبط. ولكن بمجرد أن حدثت تلك الطقطقة، ارتفعت ذراعها، وضربت بقبضتها على رأس الوحش.

قالت: "وداعًا يا صديقي". استدار الوحش إلى يدها بفضول. ضغطت نوبي على الزناد حتى أشار مؤشر الذخيرة إلى نفاد الطلقات؛ لتتوقّف البندقية عن الدوران. لم يعد الكائن موجودًا في نطاق كتفيها. أسقطت نوبي ذراعها على الأرض في حالة إنهاك.

أصدرت بدلتها إشعارًا جديدًا: (إعادة توجيه المسار بنجاح - جارٍ التشغيل). وعندما سمعت هذا الطنين الخفي مرة أخرى، لم تتمالك نفسها من الضحك. دفعت جثة الوحش بعيدًا عنها، ثم جلست.

- "رائع، إنها مسيرة طويلة حقًّا للعودة إلى المركبة".

الفصل الحادي والخمسون

براكس

ركض براكس.

من حوله، شكَّلت جدران المحطة زوايا في الوسط لتكوين شكل سداسي ممدود. كانت الجاذبية في هذا المكان أعلى بقليل من مقياس الجاذبية في جانيميد، وبعد الانطلاق بأقصى مستويات تسارع الجاذبية على مدى الأسابيع القليلة الماضية، كان على براكس توخِّي الحذر حتى لا يرتفع نحو السقف مع كل خطوة يخطوها. تقدَّم أموس أمامه، كانت خطوات كليهما ضعيفة وقصيرة وسريعة في الوقت نفسه. ظلت البندقية في يد الرجل في نفس مستوى الارتفاع.

عند الوصول إلى تقاطع على شكل حرف" T"، ظهرت امرأة فاحمة الشعر سمراء البشرة. لم تكن المرأة الغامضة التي أخذت مَي. اتسعت عيناها وهربت بسرعة.

قال براكس، وهو يلهث قليلًا: "إنهم يعلمون أننا قادمون إليهم".

ردَّ أموس: "ربما لم يكن هذا أول دليل لهم يا دكتور"، وبالرغم من أن نبرته تبدو هادئة لكنها لم تخلُ من حدة فيها يُشبه الغضب.

عند التقاطع، توقَّفوا مؤقتًا، وانحنى براكس ووضع مرفقيه على ركبتيه ليأخذ قسطًا من الراحة. لقد تصرَّف بشكلٍ بدائي جدًّا. في أقل من ٢ ,٠ (ج)، لا يتم ضخ الدم بشكلٍ أفضل عن طريق وضع الرأس على مستوى الصدر. في الواقع، كان من الأفضل أن يظل منتصبًا ويحافظ على وضعيته بدلًا من تضييق أيٍّ من أوعيته الدموية؛ لذلك أجبر نفسه على الوقوف على قدميه.

سأل براكس أموس: "أين يمكنني توصيل رابط جهاز اللاسلكي هذا كما تريد ناعومي؟"

هزّ أموس كتفيه، وأشار إلى الحائط. "ربما يمكننا فقط اتباع الإشارات بدلًا من ذلك" كانت هناك لافتات على الحائط بها أسهم مُلوّنة تشير إلى اتجاهات مختلفة: (غرفة التحكُّم)، (المقصف)، (المختبر الرئيسي). نقر أموس على كلمة (المختبر الرئيسي) بفُوهة بندقيته

قال براكس: "يبدو الأمر جيدًا جدًّا بالنسبة لي".

ردَّ أموس: "هل أنت جاهز؟"

أجاب براكس: "أجل، على أتم الاستعداد"، بالرغم من أنه ربما لم يكن كذلك.

بدت الأرضية وكأنها تتحرَّك من تحته، ثم شعر بهزة طويلة مشؤومة في باطن قدميه.

- "ناعومي؟ هل تسمعينني؟"

أجابت: "أسمعك. يتعيَّن عليّ تتبُّع القبطان على الخط الآخر أيضًا؛ لذا قد يستغرق الرد بعض الوقت أحيانًا. هل كل شيء على ما يُرام لديكم؟"

قال أموس: "ربما أكون مبالغًا بعض الشيء، ولكنني سمعت صوتًا جعلني أشعر وكأنهم يطلقون النار علينا، إنهم لا يطلقون النار على المحطة، أليس كذلك؟"

ردَّت ناعومي من المركبة: "لم يفعلوا ذلك"، وبدأ صوتها خافتًا ومتأخّرًا بعض الشيء بسبب الإشارة الضعيفة، ثم أردفت: "يبدو أن بعض السكان المحليين في آيو يقومون بالدفاع عن أنفسهم، لكن حتى الآن لم يفتح مشاة البحرية لدينا خط إطلاق النار".

قال أموس: "أخبريهم بأن يكفوا عن هذا الهراء"، وهو يركض في الممر نحو المختبر الرئيسي. قفز براكس وراءه، وأساء التقدير في قفزته لدرجة أن ذراعه ارتطمت بالسقف.

ردَّت ناعومي: "سأفعل عندما يطلبون رأيي".

كانت الممرات ذات هيكل شبيه بالمتاهة، لكنها متاهة مماثلة لتلك التي مرَّ بها براكس طوال حياته. كان النسق الإنشائي لمنشآت البحث هو نفسه في كل مكان. ربما يكون تصميم الطوابق مختلفًا قليلًا؛ لأن مدى ثراء التفاصيل يتوقّف بشكل أساسي على مقدار

الميرابية، كما أن مجالات البحث هي من تُحدِّد المعدات الموجودة في المختبر، ولكن الجوهر كان هو نفسه، لدرجة أن المكان كان له روح منزل براكس نفسها.

التقيا بشخصين آخرين كانا يركضان في الممرات مثلهما؛ الأولى كانت امرأة شابة من الحرامين ترتدي معطف المختبرات الأبيض، والثاني كان رجلًا بدينًا للغاية ذا بشرة داكنة يمتاز بالبنية الجسدية للأرضيين وكان يرتدي بدلة أنيقة تحمل الشعار المعتاد لطبقة الإداريين. لم يحاول أيٌّ منهما إيقاف براكس وأموس؛ لذلك تغاضى عنهما براكس بمجرد اختفائهما عن الأنظار.

خُتمت غرفة الأشعة في الخلف بمجموعة من أختام الضغط السلبي. عندما مر براكس وأموس، بدا أن تيارات الهواء تدفعهما بشكلٍ أسرع، وتحثهما على الاستمرار. صدر الدوي مرة أخرى، ولكن هذه المرة بصوتٍ أعلى، وقد استمر قرابة خمس عشرة ثانية. يمكن أن تكون هذه معركة محتدمة. ويمكن أيضًا أن يكون هناك بركانٌ يتشكَّل في مكانٍ قريب. لا سبيل لمعرفة ذلك. أدرك براكس أن هذه المحطة يجب أن تكون قد بُنيت مع وضع عدم الاستقرار التكتوني في الاعتبار. تساءل للحظة ما الاحتياطات التي اتخذوها للقيام بذلك؟ ثم توقَّف عن التفكير في هذا الأمر. لا معنى لذلك الآن على أيِّ حال.

كانت غرفة الأشعة في المختبر على الأقل مساوية لتلك التي رآها على جانيميد، لقد تضمَّنت كل شيء تقريبًا بدءًا من شاشات العرض العنكبوتية ذات التردُّد الكامل إلى عدسات الجاذبية الاستدلالية. في إحدى الزوايا أظهرت طاولة منخفضة برتقالية اللون صورة ثلاثية الأبعاد لمستعمرة من الخلايا سريعة الانقسام. كان هناك بابان آخران للخروج بخلاف الباب الذي دخلوا من خلاله. وفي مكان قريب، علا صوت أشخاصٍ يصطرخون على بعضهم بعضًا.

أشار براكس إلى أحد الأبواب.

قال: "أترى هذا الباب، انظر إلى المفصلات، لقد صمِّم بهذا الشكل للسماح بمرور نقالة من خلاله".

بينما كان الممر على الجانب الآخر أكثر دفئًا ورطوبة. لم يكن على مستوى الدفيئة نفسه تمامًا، ولكنه قريب من ذلك إلى حدٍّ ما حيث تم فتحه؛ ليُشكِّل رواقًا طويلًا سقفٍ يبلغ

ارتفاعه خمسة أمتار. تسمح القضبان المُثبتة على الأرضية والسقف بنقل المعدات الثقيلة وصناديق العزل. وكانت هناك عدة عنابر مُرتّبة أفقيًا، ويبدو أن كلًّا منها يحتوي على منصة أبحاث لا تختلف كثيرًا عن تلك التي استخدمها براكس وهو طالب جامعي: طاولة إلكترونية، ووحدة تحكُّم على الحائط، وصندوق مراقبة المخزون، وأقفاص عينات.

تعالت أصوات الصراخ بشكلٍ أكبر الآن. كان على وشك أن يتكلَّم، ولكن أموس هزَّ رأسه، وأشار إلى أسفل الرواق باتجاه أحد العنابر الأبعد.

جاء صوت الرجل من هذا الاتجاه، كان يقول بنبرة عالية ومُتبرمة ومُتوتِّرة أيضًا: "... لن يكون هناك إخلاء إذا لم نجد مكانًا للإخلاء إليه، أنا لن أتخلَّى عن ورقة المساومة الوحيدة التي أملكها".

قالت امرأة: "ليس لديك خيار. ضع المسدس جانبًا، ودعنا نناقش الأمر. لقد كنت أتعامل معك لمدة سبع سنوات، وسأبقيك في العمل لمدة سبع سنوات أخرى، لكن لا تفعل ذلك."...

- "هل أنتِ موهومة؟ هل تعتقدين أن هناك مستقبلًا بعد كل ما يحدث؟"

أشار أموس إلى الأمام ببندقيته، ثم بدأ يتقدَّم ببطءٍ وحزم. تبعه براكس محاولًا ألا يُصدر صوتًا. لقد مضت أشهر منذ آخر مرة سمع صوت الدكتور ستريكلاند، لكن الرجل الصاخب هذا يمكن أن يكون هو، هذا احتمال وارد جدًّا.

قال الرجل: "دعينا نضع الأمور في نصابها الصحيح، نحن لا نملك شيئًا، لا نملك أيّ شيءٍ على الإطلاق. الأمل الوحيد للتفاوض هو أن يكون لدينا ورقة نُساوم بها، وهذه الورقة تتمثّل فيهم. لماذا تعتقدين أنهم ما زالوا على قيد الحياة؟"

ردَّت المرأة: "كارلوس!"، بينما وصل براكس إلى ركن الممر، "يمكننا إجراء هذه المحادثة لاحقًا. لكن هناك قوة معادية تهاجم المحطة في الوقت الحالي، وإذا كنت ما تزال هنا عندما تأتي من تلك الفتحة."...

قاطع أموس: "حسنًا، ماذا سيحدث بعد ذلك؟"

كان العنبر مشابهًا لباقي العنابر. كان ستريكلاند، لم يعد هناك لبْس الآن في أنه ستريكلاند، يقف بجانب أحد صناديق الشحن الرمادية المصنوعة من المعدن والذي يمتد من الأرض إلى فوق وركه مباشرةً. في أقفاص العينات، كان هناك نصف دزينة من الأطفال الراقدين بلا حراك، ربما كانوا نائمين أو مُخدّرين. بينما حمل ستريكلاند مسدسًا صغيرًا في يده مُوجهًا إياه صوب المرأة الغامضة التي ظهرت في الفيديو. وكانت ترتدي زيًّا رسميًّا محرقًا من ذلك النوع الذي تعتمده قوات الأمن لجعل موظفيها يبدون أكثر جدية وشراسة، وهو ما تحقَّق لها بالفعل.

قال براكس مُشيرًا من فوق كتفه إلى الخلف: "هناك صوتٌ قادم من الفتحة الأخرى".

- "أبي!"

مجرد مقطع صوتي واحد نُطِق بهدوء. صدر الصوت من نقّالة، وكان أعلى من كل ما سمعه طوال أسابيع الانفجارات، وأعلى من قذائف مدفع جاوس وصراخ الجرحى والمُحتضرين. لم يستطع براكس التنفُّس. شُلَّت حركاته. أراد أن يُخبر الجميع هناك أن يضعوا أسلحتهم بعيدًا، وأن يتوخوا الحذر. كان هناك طفلة، طفلته.

ضغط ستريكلاند على زناد مسدسه، ودمرت طلقة شديدة الانفجار عنق المرأة ووجهها في رذاذ من الدم والغضاريف. حاولت أن تصرخ ولو لمرة أخيرة قبل أن تلفظ أنفاسها الأخيرة، لكن مع تحطُّم أجزاء كبيرة من حنجرتها بالفعل، فإن كل ما تمكَّنت منه هو إطلاق زفير قوي رطب. رفع أموس بندقيته، لكن ستريكلاند -أو ميريان، مهما كان اسمه- وضع مسدسه على قمة الصندوق، وبدا وكأنه يتدلَّى بارتياح. انهارت المرأة، وتساقطت جثتها ودماؤها على الأرض مثل لحاف من الدانتيل الأحمر.

قال الطبيب: "الحمد لله أنك أتيت، حقًّا، الحمد لله أنك أتيت. لقد حاولت منعها قدر المستطاع. دكتور ميج، لا أستطيع أن أتخيّل مدى صعوبة ذلك بالنسبة لك. أنا آسف لك بشدة".

تقدّم براكس إلى الأمام. أحدثت المرأة نفسًا آخر من تلك الأنفاس المشنِّجة، كما لو أن جهازها العصبي أصبح يتصرَّف بشكلٍ عشوائي الآن. ابتسم له ستريكلاند، الابتسامة المُطمئنة نفسها التي اعتاد عليها في كل زيارة إلى عيادته خلال السنوات السابقة. عثر

براكس على لوحة التحكُّم في القّالة وركع على ركبتيه لفتحها. دقّت اللوحة الحابية مع فك الأقفال المُمعتطة. تدحرجت اللوحة، واحتفت تحت إطار القّالة.

في لحظة رهيبة حطفت أنفاسه، رأى براكس طفلةً أحرى. كان لديها شعرٌ أسود لامع، وجلدها سي بلون قشر البيض. كان من الممكن أن تكون تلك الطفلة أخت مَي الكبرى. تحرّكت الطفلة. مجرد إيماءة بسيطة، لكنها كانت كافية ليرى براكس طفلته في جسد هذه الطفلة الأكبر سنًّا. كل الأشهر التي قضاها في جابيميد، وكل تلك الأسابيع التي أمضاها في تايكو، خلال كل هذا الوقت كبرت الطفلة دون أن يراها.

قال: "إنها كبيرة جدًّا، لقد كبرت الطفلة كثيرًا".

عبست مَي، وتجعّد الجلد فوق حاجبيها. عندما قامت بتلك الإيماءة بدت وكأنها نيكولا، ثم فتحت عينيها، كانت خاوية وتائهة. انتزع براكس مزلاج الخوذة ورفعها عن رأسه. رائحة هواء المحطة تبدو غامضة، فهي مزيجٌ من الكبريت والنحاس.

ركّزت مَي ناظريها عليه، وابتسمت.

قالت مرة أخرى: "أبي"، ومدّت إليه يدها، عندما مدّ يده إليها، وضعت إصبعه في قبضتها، وألقت نفسها بين ذراعيه. أمسكها براكس وضمها إلى صدره، وشعر بدفء وثقل جسدها الصغير- الذي لم يعد صغيرًا كما كان، ولكنه ما يزال صغيرًا-كان الفراغ بين النجوم أصغر مما كانت عليه مَي في تلك اللحظة.

قال ستريكلاند: "إنها مُخدَّرة، لكن صحتها تبدو مثالية. بلغ أداء جهازها المناعي ذروته".

همس براكس: "طفلتي، طفلتي المثالية".

أغمضت مَي عينيها، لكنها ابتسمت ونخرت نخر حيوانٍ صغير يبدو عليه الرضا.

قال ستريكلاند: "لا أستطيع أن أعبر لك عن مدى أسفي لكل ما حدث. لو كنت أملك أيّ طريقة للتواصل معك من أجل إخبارك بما كان يحدث، أقسم لك صادقًا أنني كنت سأفعل ذلك. لقد كان هذا أسوأ من كابوس طويل".

سأل أموس: "إذن أنت تقول إنهم أبقوك سجينًا هنا؟"

ردَّ ستريكلاند: "إن جميع الموظفين التقنيين تقريبًا ما يزالون هنا رغمًا عن إرادتهم. عندما وقعنا عقود العمل، حصلنا على وعدٍ بإمكانية التصرُّف بحرية فضلًا عن توفير جميع الموارد التي نحتاج إليها، وهذا ما كان يحلم به معظمنا فقط. عندما بدأت، اعتقدتُ حقًّا أنه بإمكاننا إحداث فارق حقيقي. لكن بدا لي أنني كنت مُخطئًا تمامًا إلى حدٍّ مؤسف، ومهما اعتذرت، فلن يكون ذلك كافيًا".

تدفَّقت الدماء في جسد براكس، وشعر بالدفء يسري في جميع أجزاء جسده. كان الأمر أشبه بتلقِّي جرعة من أكثر مُسبِّبات الانتشاء مثالية في تاريخ الصيدلة. تفوح من شعر الطفلة رائحة مثل شامبو المختبر الرخيص الذي كان يستخدمه لتحميم الكلاب في المختبرات التي عمل بها في أثناء شبابه. قفز على قدميه بسرعة بالغة، ورفعته كتلة جسده وزخمه بضعة سنتيمترات عن الأرض. تلطَّخت ركبتاه وقدماه، واستغرق الأمر لحظة ليدرك أنه كان جاثيًا على ركبتيه وسط آثار الدماء.

تساءل أموس: "ماذا حدث لهؤلاء الأطفال؟ وهل يوجد أطفال آخرون في مكان آخر؟"

أجاب ستريكلاند: "هؤلاء هم الوحيدون الذين تمكَّنت من إنقاذهم. لقد تم تخديرهم جميعًا من أجل الإخلاء. ولكن الآن، علينا أن نغادر هذه المحطة بأقصى سرعة. يجب عليّ أن أصل إلى السلطات المسؤولة".

سأله أموس: "ولماذا تحتاج إلى فعل ذلك؟"

أجاب ستريكلاند: "يجب أن أخبرهم بما يجري هنا، يجب أن أُخبر الجميع عن الجرائم التي ارتُكِبت هنا".

ردَّ أموس: "نعم، بالتأكيد. ولكن مهلًا، براكس؟ هل يمكنك الحصول على ذلك؟" ووجَّه بندقيته نحو شيءٍ ما في صندوقٍ قريب.

استدار براكس لينظر إلى أموس. لقد فقد الرجل إحساسه بالمكان ونسي ماذا كانوا يفعلون هنا من فرط فرحته بالعثور على طفلته.

أجاب: "آه، بالتأكيد".

حمل إليه في ذراعٍ واحدة، والتقط براكس مسدس ستريكلاند، وصوّبه نحو الرجل.

صاح ستريكلاند: "لا . أنت لا . أنت لا تفهم. أنا الضحية هنا. لم يكن لديّ خيار آخر. كان عليّ أن أفعل كل هذا. لقد أجبروني. لقد أجبرتني تلك المرأة على كل ذلك".

قال أموس: "كما تعلم، ربما أنتمي إلى قد يُطلق عليه أمثالك الطبقة العاملة، لكن هذا لا يعني أنني أحمق. أنت معتل اجتماعيًّا استخدمتك شركة بروتوجين لتحقيق أغراضها ولن أصدق أيًّا من تلك التُّرهات التي تحاول خداعنا بها".

امتقع وجه ستريكلاند، وتحوَّل إلى غضبٍ بارد وكأن القناع الذي يرتديه قد سقط.

- "لقد انتهى مشروع بروتوجين، لم يعد هناك بروتوجين".

ردَّ أموس: "نعم، مشكلتك هي أنني أخطأت في اسم الشركة".

تمتمت مَي بشيء، ومدَّت يدها خلف أذن براكس لتُمسك بشعره. تراجع ستريكلاند إلى الوراء، ويداه مشدودتان.

قال: "لقد أنقذتها، الفضل يرجع لي في بقاء هذه الطفلة على قيد الحياة. لقد جهَّزوها لوحدات الجيل الثاني، وأخرجتها من المشروع. لقد أخرجت هؤلاء الأطفال جميعًا. لو لم أفعل ذلك، لكان كل هؤلاء الأطفال موتى الآن. كلا، بل ما هو أسوأ من الموتى".

قال براكس: "لقد فعلتَ هذا بسبب البث الذي أذعناه، أليس كذلك؟ رأيت أننا قد نكتشف الأمر، لذلك أردت أن تُبقي على وجود الطفلة التي ظهرت على الشاشات، وصارت حديث العالم بأسره، وأصبح الجميع يبحث عنها".

ردَّ ستريكلاند: "هل كنت تفضل ألا أفعل ذلك؟ ما زلت أنا من أنقذ حياتها على أيّ حال".

قال براكس: "في الواقع، أعتقد أن هذا يؤكِّد أن القبطان هولدن هو من أنقذها. لكنني أفهم ما تعنيه".

كان لمسدس ستريكلاند مفتاح إبهام فقط في الخلف. ضغط عليه لتشغيل الأمان.

تابع براكس حديثه: "لقد شُرِّدت، دُمِّرت وظيفتي، معظم الأشخاص الذين أعرفهم إما ماتوا أو شُتِّتوا في أرجاء النظام الشمسي. تزعم حكومة كبرى أنني أُسيء معاملة النساء والأطفال. لقد تلقَّيتُ خلال الشهر الماضي أكثر من ثمانين تهديدًا صريحًا بالقتل من غرباء لا أعرفهم ولا يعرفون. وتعلم ماذا أيضًا؟ لم أعد أهتم لشيء".

لعق ستريكلاند شفتيه، وعيناه تروغان من براكس إلى أموس

أردف براكس: "لا يهمني قتلك، لقد استعدتُ ابنتي، الانتقام لم يعد مهمًّا بالنسبة لي"

أخذ ستريكلاند نفسًا عميقًا، وزفره ببطء. راقب براكس جسد الرجل وهو يستريح، بدا عليه شيءٌ ما على الخط الفاصل من الراحة والتسلية التي تجر زوايا فمه. ارتعدت مي عندما أطلق أموس النار من بندقيته الآلية، لكنها استلقت على كتف براكس دون أن تذرف دمعة واحدة أو تنظر على ما يدور حولها. سقطت جسد ستريكلاند ببطءٍ على الأرض، وعُلِّقت ذراعيه على الجانبين. تدفَّقت تيارات الدم الشرياني اللامع من رأسه وتُلطِّخ الجدران، بينما كانت كل نبضة أضعف من تلك التي تسبقها.

هزَّ أموس كتفيه.

قال براكس: "هذا خيار آخر".

تساءل أموس: "إذن هل لديك أيّ فكرة."...

انفتحت الفتحة خلفهم، وركض رجلٌ إلى الداخل.

- "ماذا حدث هنا؟ لقد سمعت."...

رفع أموس بندقيته الآلية. بدأ الرجل الذي ظهر للتو في التراجع، وأطلق أنينًا خافتًا من الرعب وهو يتراجع. تنحنح أموس وأكمل جملته قائلًا: "هل لديك أيّ فكرة كيف نخرج هؤلاء الأطفال من هنا؟"

***كان وضع مي على النقّالة من أصعب الأشياء التي قام بها براكس على الإطلاق. أراد أن يحملها على كتفه ليلتصق وجه الطفلة بوجهه. إنها غريزة بدائية كما لو أن أعمق المراكز العصبية في الدماغ تتوق إلى طمأنة الاتصال الجسدي لديه. لكن البدلة التي كان يرتديها براكس لن تحمي الطفلة من الإشعاع أو من الغلاف الجوي الكبريتي الصغير لآيو، وهو ما تفعله النقّالة. وضعها برفق بجانب طفلين آخرين بينما قام أموس بوضع الأربعة الآخرين في نقّالة ثانية. أصغرهم كانت رضيعة ما تزال ترتدي حفاضات الأطفال حديثي الولادة. تساءل براكس عما إذا كان هذه الطفلة قد أتت من جانيميد أيضًا! انزلقت النقّالات بسلاسة عبر أرضية المحطة، وأصدرت قعقعة عندما مرت على القضبان المدمجة.

سأل أموس: "كيف تعود إلى السطح؟"

أجاب براكس: "أعتقد ذلك".

لفت أموس انتباه براكس قائلًا. "مهلًا يا دكتور! أنت بحاجة إلى إعادة ارتداء خوذتك".

ردَّ براكس: "أوه! صحيح، شكرًا لك".

عند تقاطع حرف "T"، قام نصف دزينة من الرجال يرتدون الزي الأمني ببناء حاجز استعدادًا للدفاع عن المختبر ضد أي هجوم. وعندما باغتهم أموس بإلقاء القنابل اليدوية عليهم من الخلف، كان غطاؤهم أقل فاعلية مما كانوا يتوقعون، ولكن مع ذلك، استغرق الأمر عدة دقائق لإزالة الجثث وحطام الحاجز حتى يتمكَّنوا من المرور بالنقّالات.

كان براكس يعلم أنه ربما في ظروف أخرى كان من الممكن أن يزعجه العنف. ليس الدماء ولا الجثث. لقد أمضى الكثير من الوقت في تشريح الأطراف المقطوعة وحتى تشريح أطرافه المستقلة، مما سمح له بعزل كل ما يراه عن أيّ شعورٍ بالخوف من الأحشاء. لكن هذا الموقف كان نتيجة الغضب وأن هؤلاء الرجال والنساء الذين مزَّقهم للتو لم يتبرَّعوا بأجسادهم أو أنسجتهم لذلك الجزيء الأولي، لكنهم من الممكن أن يؤثروا عليه ولو لمرة واحدة. سلبه الكون مشاعره، ولم يعد بإمكانه أن يُحدِّد على وجه اليقين متى حدث ذلك. كان جزء منه مُخدَّرًا، وقد يظل على هذا النحو إلى الأبد. لقد شعر للحظة وكأنه فقد شيئًا ما، لكنه كان مجرد انطباع فكري. الشعور الوحيد الذي سيطر عليه كان شعوره بالارتياح المُنعش لعلمه أن مَي ما تزال على قيد الحياة، وها هي الآن معه، وأن هناك رجلًا يُشبه الحيوان المُتوحش يتولَّى حمايتها مما يعني أنه لن يتركها بعيدًا عن أنظاره أبدًا.

كان سحب النقّالات أكثر صعوبة على السطح لأن العجلات لم تكن مُعدّة للغطاء الأرضي غير المستوي. اتبع براكس ما يفعله أموس حيث أدار الصناديق لسحبها بدلًا من دفعها. بالنظر إلى المتجهات، بدا الأمر منطقيًّا، لكن لم يكن ليُفكِّر في هذا الأمر لولا أن رأى أموس يفعل ذلك.

أخذت بوبي تسير ببطء نحو (روسيانت)، كانت بذلتها مُتفحّمة ومُلطّخة وتخطو خطواتها بصعوبة بينما تسرّب سائل شفاف من خلفها.

حذرت قائلةً: "لا تقتربوا مني، بذلتي مُغطاة بسائل الجريء الأولي اللزج".

قال أموس: "هذا خطير حقًّا، هل لديك أيّ فكرة عن كيفية تنظيف ذلك؟"

أجابت: "في الحقيقة لا. أخبرني كيف تمت عملية الإنقاذ؟"

ردَّ أموس: "لدي عددٌ كافٍ من الأطفال لتأسيس فرقة موسيقية، ولكننا نفتقر إلى المزيد لتشكيل فريق كرة قدم".

قال براكس: "مَي هنا، إنها بخير".

ردَّت بوبي: "أنا سعيدة جدًّا لسماع هذه الأخبار"، وبالرغم من أنها بدت منهكة بشكل واضح، فإن نبرتها كانت صادقة حقًّا.

عندما وصلوا إلى غرفة معادلة الضغط، وضع أموس وبراكس النقّالات في مواجهة الجدار الخلفي بينما بقيت بوبي في الخارج. فحص براكس مؤشرات النقّالات. كان هناك ما يكفي من الهواء لمدة تصل إلى أربعين دقيقة أخرى.

قال أموس: "حسنًا، نحن جاهزون".

ردَّت بوبي: "لا حل أمامنا سوى التفجير الاضطراري". تحطَّمت بذلتها المُدرَّعة من حولها. كان المشهد غريبًا للغاية، حيث بدأت المنحنيات الصلبة وطبقات الألواح المُدرّعة تتقشَّر خلفها، وتتفتَّح كما لو كانت زهرة، ثم سقطت الفتاة البحرية على الأرض مغمضة العينين فاغرة الفم. عندما مدَّت يدها إلى أموس ليسحبها، ذكَّرت هذه الإيماءة براكس باللحظة التي رآته فيها مَي مرة أخرى.

قال أموس: "هيا، يا دكتور".

ردَّ براكس: "بدأت دورة الإغلاق"، وبالفعل أُغلِق الباب الخارجي، وأحاط بهم تيار من الهواء النقي. بعد عشر ثوانٍ، بدأ صدر بوبي في الصخ مثل منفاخ. وبعد ثلاثين ثانية، استعادوا سبعة أثمان من الغلاف الجوي

سألت ناعومي عندما فتح براكس القّالات: "كيف الحال يا رفاق؟" كان جميع الأطفال نائمين، بينما أحدث مي تمص إصبعين من أصابعها، تمامًا مثل كانت تفعل وهي رضيعة. لم يستطع براكس أن يتجاوز أنها أصبحت تبدو أكبر سنًّا.

قال أموس: "ما زلنا صامدين للنهاية، أعتقد أننا يجب أن نخرج من هذا الجحيم، ونُفجِّر ذلك المكان اللعين".

سُمع صوت أفاسارالا وهي تصيح من بعيد: "هؤلاء الملاعين".

قالت ناعومي: "عُلِم، نحن الآن نستعد للانطلاق، أخبروني عندما يتم استيعاب جميع ركابنا الجدد بأمان على متن المركبة".

خلع براكس خوذته، وجلس بجانب بوبي. إنها تبدو في هذا الثوب الأسود الضيق الذي ترتديه، وكأنها عائدة للتو من صالة الألعاب الرياضية، بدت وكأنها شخصٌ آخر عن تلك الفتاة البحرية التي رآها من قبل.

قالت: "أنا سعيدة جدًّا لأنك استعدتَ ابنتك".

ردَّ براكس: "شكرًا جزيلًا لكِ، يؤسفني أنك فقدتِ بدلتك المُدرَّعة".

هزَّت كتفيها.

قالت بينما فُتح الباب الداخلي لغرفة معادلة الضغط: "في تلك اللحظة، باتت مجرد ذكرى رومانسية".

صاح أموس: "فُتح الباب يا ناعومي، لقد عدنا إلى منزلنا".

الفصل الثاني والخمسون

أفاسارالا

لقد انتهي كل شيء إلا هذا الشيء، ويبدو أنه لن ينتهي أبدًا.

قال ساوثر: "نحن جميعًا أصدقاء الآن"، كان التحدُّث إليه بدون تأخُّر في الاتصال بمثابة رفاهية كانت تفتقدها. تابع: "ولكن إذا انسحب كل فريق الآن وعاد إلى دياره، مع مدى الضرر الذي تعرَّض له الجميع، فمن المُرجَّح أن نبقى على هذا النحو للأبد. أعتقد أن الأمر سيستغرق سنواتٍ قبل أن يعود كلا الأسطولين إلى ما كانا عليه من قبل".

"وماذا عن الأطفال؟"

أجاب: "سيخضعون للفحص، المسؤول الطبي على اتصال بطاقم الأطباء المتخصِّصين في علاج مشاكل المناعة لدى الأطفال. لم يتبقَّ سوى العثور على ذويهم حتى تتم إعادتهم سالمين إلى منازلهم".

قالت أفاسارالا: "جيد جدًّا، هذا ما أردت أن أسمعه. وماذا عن ذلك الشيء الآخر؟"

أومأ ساوثر برأسه. بدا أصغر سنًّا في الجاذبية المنخفضة. كذلك أفاسارالا أيضًا بدت أصغر سنًّا. لم تترهَّل البشرة لأنه لم يكن هناك شيءٌ يسحبها لأسفل، يمكنها أن ترى ذلك الأميرال وهو يبدو كصبي الآن.

"لدينا أقفال جهاز إرسال واستقبال على مائة وإحدى وسبعين حزمة. كلها تنطلق باتجاه الشمس، لكنها لا تتسارع ولا تتفادى الاصطدام لن نفعل شيئًا. سننتظر حتى تقترب تلك الحزم من المريخ بدرجة كافية بحيث يسهل إبادتها".

- "هل أنت متأكِّد من أن هذه فكرة جيدة؟"

قال ساوثر: "من خلال هذا الإغلاق، أعني أنه ما يزال هناك أسابيع بمعدل السرعة الحالية. الفضاء شاسع". كانت هناك وقفة تعني شيئًا آخر غير المسافة.

أردف: "أريدك أن تعودي إلى أرض الوطن على متن إحدى مركباتنا".

- "وأبقى عالقة في الفضاء عدة أسابيع أخرى بسبب الأعمال المكتبة؟ هذا لن يحدث. وإلى جانب ذلك، هل نعود مع جيمس هولدن والرقيبة روبرتا درابر وآمي مينج؟ لقد صاروا رموزًا في النظام الشمسي بأكمله، ووسائل الإعلام ستتهافت عليهم، كما أنهم سيهتمون بمعرفة إلى أيّ جانب ينتمي هولدن الأحمق الآن، الأرض أم المريخ أم الكواكب الخارجية!"

قال ساوثر: "إنه من المشاهير الآن، يمكنه أن يؤسّس دولة من الأتباع".

قالت أفاسارالا: "أرى أنه ليس بهذا السوء عندما تتمكّن من تجاوز غطرسته الفارغة. وعلى أيّ حال، أنا على متن هذه المركبة، ولا يوجد أيّ شيء يمكنني إصلاحه حتى تنطلق تلك المركبة وتبدأ في التسارع. ولقد وظّفته بالفعل، ولا أبالي بأيّ رأي حول ترشيد النفقات".

وافق ساوثر: "حسنًا، إذن سأراكِ عندما ننزل إلى بئر الجاذبية".

أجابت: "أراك هناك"، وأنهت الاتصال.

نهضت أفاسارالا على قدميها، ودفعت نفسها برفق عبر طابق العمليات. كان من السهل دفع عمود سلم الطاقم إلى أسفل بالطريقة التي حلمت بها عندما كانت طفلة. يبدو ذلك مُغريًا. لكنها اعتقدت أنها إما ستدفع نفسها بقوة شديدة وتصطدم بشيءٍ ما، أو أنها ستدفع نفسها برفق متناهٍ لدرجة تجعل مقاومة الهواء توقفها مع عدم وجود أيّ شيءٍ صلب بالقرب منها لتُمسك به. استخدمت المقابض، وسحبت نفسها ببطءٍ نحو المطبخ. فتحت الأبواب المضغوطة عند اقترابها، وأغلقتها خلفها؛ لتسمع هسيس هيدروليكي ناعم وقعقعة معدنية. عندما وصلت إلى سطح المركبة، سمعت بعض الأصوات ولم تتمكّن من تبيُّن ما يُقال بالضبط حتى رأت الناس

كان براكس يقول: "... علينا إغلاقه. أقول هذا لأن وجوده الآن صار بمثابة ادعاء كاذب، لقد أنجز مهمته التي افتتحناه لأجلها. هل تعتقد أنه يمكن مُقاضاتي؟"

أجاب هولدن: "يمكن مُقاضاتك في أيّ وقت، ولكن من يقاضونك لن يكون لديهم حجة تجعلهم يفوزون بالدعوى".

ردَّ براكس. "لكنني لا أريد أن تتم مقاضاتي أصلًا، علينا أن نُغلقه فورًا".

قال هولدن: "لقد وضعت إشعارًا على الموقع للإبلاغ بجميع التحديثات، وقمت بتنشيط خطوة التأكيد قبل تسلم أيّ تبرعات أخرى".

سحبتها أفاسارالا نفسها نحو المطبخ. طاف براكس وهولدن بالقرب من ماكينة القهوة. سيطَّر الارتباك على تعابير وجهه، بينما بدا هولدن متعجرفًا بعض الشيء. وأمام كل واحد فنجان من القهوة، ولكن يبدو أن براكس قد نسي قهوته تمامًا، اتسعت عينا عالِم النبات، وفتح فمه على مصراعيه رغم الجاذبية الصغرى.

سألت أفاسارالا: "من الذي سيُقاضى؟"

أوضح هولدن: "الآن بعد أن استعدنا مَي، يريد براكس من الناس أن يتوقَّفوا عن التبرُّع للحساب الخيري الذي كنا قد أنشأناه في وقتٍ سابق لدعم مهمة إنقاذ مَي".

قال عالِم النبات: "إنه أكثر من اللازم"، وهو ينظر إليها كما لو كان يتوقَّع منها أن تفعل شيئًا حيال ذلك. "أعني..."

سألت أفاسارالا: "تقصد هناك أموال فائضة عن الحاجة؟"

تدخَّل هولدن: "ليس هناك ما يكفي من المال للتقاعد عن العمل. على الأقل ليس كافيًا للتقاعد والعيش حياة مريحة مليئة بالرفاهيات".

قال براكس وهو يتجه إلى هولدن بنظرة تُشبه الرجاء: "لكن هذا المال مالك، أنت من قمت بفتح الحساب".

ردَّ هولدن وهو يلوح بيده في بادرة رفض: "لقد أخذت أتعاب الطاقم، والمصاريف التي تحتاج إليها (روسينانت) بالفعل صدِّقني. لقد دفعت لنا بسخاء، ما تبقَّى من المال يخصك أنت. حسنًا، إنه لك ولمَي".

عبست أفاسارالا. لقد غيّر ذلك قليلًا من الخطة التي أعدّتها في رأسها. لقد اعتقدت أن هذا هو الوقت المناسب للتفاوض مع براكس وتقديم عرض مُغرٍ إليه، لكن جيم هولدن تدخّل مرة أخرى في اللحظة الأخيرة، وأفسد كل شيء.

قالت أفاسارالا: "تهانيّ القلبية. هل رأى أحدكما بوبي؟ أنا بحاجة للتحدُّث إليها".

- "آخر مرة رأيتها، كانت مُتوجّهة إلى الورشة الميكانيكية"

ردّت أفاسارالا: "شكرًا جزيلًا"، واستمرت في المضي قدمًا.

إذا كان براكسيديك ميخ قد أصبح ثريًّا بما يكفي للاستقلال بنفسه، فإن ذلك يُقلِّل من فرص قبوله بتولِّي مهمة إعادة بناء جانيميد لأسباب مالية بحتة. لكن مع ذلك، يمكنها إقناعه من منطلق المصلحة الاجتماعية. لقد كان وابنته رمزًا للمأساة التي وقعت هناك، ووضعه في صدارة المشهد سيعني للناس أكثر من كل الحقائق والتنبؤات عن مدى ضياعهم جميعًا بدون عودة الإمدادات الغذائية. قد يكون من ذلك النوع من الرجال الذين سيتأثرون بتلك النبرة الإنسانية. على العموم، ستحتاج إلى مزيدٍ من التفكير في الأمر.

مرة أخرى، أخذت تتحرَّك ببطءٍ وحذرٍ كافٍ لدرجة أنها سمعت الأصوات قبل أن تصل إلى الورشة الميكانيكية. إنها أصوات بوبي وأموس اللذين كانا يضحكان. لم تصدِّق أنها ستدخل عليهما في لحظة حميمية، ثم بدت وكأنها دغدغة قتالية، وبعد لحظات صاحت الطفلة مَي بسرور؛ لتفهم أفاسارالا ما يجري.

كانت الورشة الميكانيكية آخر مكان على متن المركبة، باستثناء السطح الهندسي، فكَّرت فيه أفاسارالا للعب مع طفلة صغيرة، لكن مَي كانت هناك تلوح بذراعيها بينما تتطاير رجليها في الهواء. وصل شعرها الأسود إلى كتفيها والتف حولها في دوامة متتبعًا الدوران اللطيف لجسدها. أشرق وجهها المبتهج بينما وقف أموس وبوبي على طرفي نقيض في نهاية الورشة. راقبت أفاسارالا بوبي وهي تمسك بالطفلة الصغيرة وتقذف بها في الهواء نحو أموس. اعتقدت أفاسارالا أنه لم يمض وقتٍ طويل قبل أن تبدأ الطفلة في فقدان أسنانها اللبنية. تساءلت عن مقدار ما ستتذكَّره مَي من كل هذا عندما تُصبح بالغة.

قالت أفاسارالا بينما كان أموس يمسك بالطفلة: "هل أنتم مجانين؟ هذا ليس ملعبًا".

ردّ أموس: "مرحبًا بكِ، لم نكن نخطِّط للبقاء طويلًا هنا. احتاج القبطان والدكتور إلى دقيقة للتحدُّث معًا على انفراد؛ لذلك خطر لي أن اصطحب الطفلة في جولة عبر المركبة".

قالت أفاسارالا، وهي تقترب منه: "عندما يرسلونك لتلعب مع طفلٍ، فإنهم بالتأكيد يقصدون أن تلعب معه لا تلعب به مثل الكرة. أعطني هذه الطفلة، سأعتني بها. ليس لديكم فكرة عن كيفية الاعتناء بطفلة صغيرة، إنها لمعجزة من السماء أنكم عشتم حتى بلغتم سن الرشد".

قال أموس بنبرة ودية، وأطلق الطفلة إليها: "امم، لديك حقٌّ في ذلك".

قالت أفاسارالا: "تعالي إلى جدتك".

سألت مَي: "من هي جدتي؟"

ردَّت أفاسارالا وهي تحتضن الطفلة: "أنا جدتك". أرادت أن تضعها في حجرها؛ لتشعر بالثقل، ولكن حمل طفلٍ في الجاذبية الصغرى يبدو شعورًا غريبًا. شعورٌ لطيف، لكنه لا يخلو من غرابة. كانت رائحة مَي مزيجًا من رائحة الشمع والفانيليا. تساءلت: "كم من الوقت يتبقَّى حتى نبدأ في التسارع؟ أشعر وكأنني مثل... بالون يطفو هنا".

ردَّ أموس: "سنخرج من هنا بمجرد أن ينتهي أليكس وناعومي من صيانة المُحرِّكات".

سألت مَي: "أين أبي؟"

قالت أفاسارالا: "حسنًا، لدينا جدول زمني يجب الالتزام به، وأنا لا أدفع لكم مقابل إعطائي دروسًا في التعويم"، ثم التفتت إلى مَي، وأجابت عن سؤالها: "والدك يتحدَّث إلى القبطان يا مَي".

ألحّت الطفلة: "أين؟ أين هو؟ أريد أبي".

قال أموس وهو يمدُّ يده الكبيرة إلى الطفلة: "سأُعيدكِ إليه أيتها الطفلة"، ثم التفتت إلى أفاسارالا قائلًا: "إنها لطيفة وهادئة لمدة خمس دقائق فقط، ثم لا تكف عن الصياح "أين أبي؟"

قالت أفاسارالا: "هذا طبيعي، هما أولى ببعضهما الآن".

ردَّ الميكانيكي الضخم: "أجل، هذا صحيح"، سحب الطفلة بالقرب من مركز ثقله، وانطلق بها إلى المطبخ. تابعته أفاسارالا وهو يذهب بالطفلة، ثم التفتت إلى بوبي.

طفت بوبي، وشعرها مفرود حولها بلطف. بدا وجهها وجسمها أكثر استرخاءً مما تتذكّره أفاسارالا من أيّ وقتٍ مضى. من المفترض أن يضفي ذلك عليها جوًّا من الصفاء، لكن لم يسع أفاسارالا إلى التفكير في أنها تبدو غارقة

قالت بوبي: "مرحبًا، هل وصلتك أيّ أخبار من رفاقك التقيين على الأرض؟"

أجابت أفاسارالا: "نعم، حدث ارتفاع آخر في الطاقة، أكبر مما مضى. كان براكس محقًّا. إنهم متصلون ببعضهم، والأسوأ من ذلك أنهم لا يعانون من أيّ تأخُّر في الاتصالات. ظهر رد فعل على كوكب الزهرة قبل أن تنتقل المعلومات المتعلّقة بالمعركة إلى الكوكب عبر القنوات المعتادة".

ردَّت بوبي: "عجيب، هذا سيئ، أليس كذلك؟"

- "إنه أمر غريب مثل بيضة الديك، لكن من يدري إذا كان يعني هذا شيئًا. إنهم يتحدَّثون عن شبكات التشابك الكمي، مهما كانت هذه الشبكات. أفضل نظرية لدينا هي أن ما يحدث مثل اندفاع الأدرينالين الصغير للجزيء الأولي. جزء منه يتورّط في العنف، بينما يبقى الباقي في حالة تأهُّب حتى يزول الخطر".

قالت بوبي: "حسنًا، قد يعني هذا أنه خائفٌ من شيء ما. من الجيد معرفة أنه قد يكون لديه نقطة ضعف نستطيع أن نتسلَّل إليه من خلالها".

ساد الصمت لبرهة. حدث شيءٌ ما في مكان بعيدًا في المركبة، وصرخت مَي. توتَّرت بوبي، بينما لم يظهر على أفاسارالا أيّ ردة فعل. كان من المثير للاهتمام رؤية ردود أفعال الأشخاص الذين لم يعتادوا على التعامل مع الأطفال عندما تفعل مي شيئًا كهذا. لم يتمكَّنوا من التمييز بين الخوف والسعادة. اكتشفت أفاسارالا أنها وبراكس هما فقط الخبيران في صراخ الأطفال على متن هذه المركبة.

قالت أفاسارالا: "كنت أبحث عنك".

ردّت بوبي وهي تهزُّ كتفيها: "ها أنذا ذا".

- "هل هناك أيّ مشكلة؟"
- "أنا لا أتابع، ما المشكلة؟"

- "ألا تعرفين؟"

شردت بوبي وأصبحت ملامحها جادة أكثر، هذا ما كانت أفاسارالا تأمل أن يحدث.

- "لقد ذهبنا إلى هناك لنموت، لكن القدر كتب لنا النجاة مرة أخرى، لقد ربحنا. وها نحن أحياء الآن، ولكن ما نزال نواجه المشكلة نفسها".

ردَّت بوبي: "نعم، ولكن هذا ليس كل شيء، على الأقل فزنا بلعبتك اللعينة"

اختنقت أفاسارالا من فرط الضحك حتى بدأت تدور في الهواء قليلًا.

اتكأت إلى الحائط حتى تتوقَّف عن الدوران: "هذه هي طبيعة اللعبة التي ألعبها. لا رابح فيها للأبد. كل ما يجب عليك أن تبقى صامدًا بلا خسارة. ونحن لم نخسر حتى الآن. إرينرايت؟ لقد خسر، وكذلك سورين ونجوين، كلهم قد خرجوا من اللعبة، ولكنني ما أزال في اللعبة، لكن ماذا سيحدث؟ سيضطر إرينرايت للاستقالة؛ لأن الجميع ضده الآن، وسيُعرض عليّ منصبه".

سألت بوبي: "وهل تريدين ذلك المنصب؟"

أجابت أفاسارالا: "لا يهم إذا كنت أريده أم لا. سوف يُعرض عليّ ذلك؛ لأنه إذا لم يُقدمه لي الدُّمية المُتحرِّكة، فسيعتقد الناس أنه يتحداني. وسأقبل بالمنصب لأنني إذا لم أفعل ذلك، فسيعتقد الناس أنني لم أعد أطمح لمزيد من الترقّي، ومن ثَمَّ لن يهابوني إذا اعتذرت عن عدم قبول العرض. سأوافق مباشرةً على عرض الأمم المتحدة بتولِّي هذا المنصب. سيمنحني ذلك المزيد من السلطة. وسيقع على كاهلي المزيد من المسؤوليات. سيكون هناك المزيد من الأصدقاء، والمزيد من الأعداء. هذا هو الثمن الذي يجب أن أدفعه مقابل الاستمرار في اللعبة".

قالت بوبي: "يجب أن يكون هناك حلٌّ بديل".

ردَّت أفاسارالا: "نعم، هناك حلٌّ بديل، ألا وهو التقاعد".

تساءلت بوبي: "ولماذا لا تتقاعدين؟"

ردَّت أفاسارالا: "آه، سأفعل، عندما يعود ابني إلى المنزل، وماذا عنك؟ هل ستتقدّمين باستقالتك؟"

أجابت بوبي: "هل تقصدين أن أكف عن الاستمرار في تعريض حياتي للخطر؟"

ردّت أفاسارالا: "نعم، هذا ما أقصده".

كانت هناك وقفة قصيرة، تبدو تلك علامة جيدة؛ حيث إنها تعني أن بوبي تفكر بالفعل في ردها.

قالت: "كلا، أنا لا أعتقد ذلك، حتى لو خسرت في المعركة ضد هذا الوحش، سيكون ذلك شيئًا مُشرفًا أفخر به، لكن لا يمكنني الهروب من المواجهة أبدًا".

ردّت أفاسارالا: "أنتِ الآن في موقف مثير للاهتمام حقًّا؛ لذلك يجب أن تفكري في خطوتك التالية جيدًا".

قالت بوبي: "ما هذا الموقف؟ إنني أصبحت مثل محارب الساموراي؟"

- "أقصد أنكِ الآن خائنة لحكومتك، ولكنكِ بطلة قومية، مثل شهيد ما زال حيًّا. فتاة مريخية توشك صديقتها الوحيدة أن تتولَّى حكومة الأرض".

ردَّت بوبي: "ولكنكِ لستِ صديقتي الوحيدة".

قالت أفاسارالا: "هراء، هل تحسبين أليكس وأموس أصدقاءً حقًّا؟ هؤلاء لا يُحسبون، إنهم لا يريدون سوى مضاجعتك فقط".

ردت بوبي هازئةً: "وأنتِ لا تفعلين؟"

غرقت أفاسارالا مرة أخرى في الضحك. بينما ابتسمت بوبي بالكاد. لقد كان هذا أقصى ما يمكنه فعله منذ أن عادت. تنهدّت عميقًا وبأسى بالغ.

قالت: "ما زلت أشعر بأنني مُطاردة، أعتقد أن ذلك سيتلاشى، من المُؤكّد بالنسبة لي أنني إذا استمررت في المواجهة، فسوف يتلاشى كل ذلك".

"لن يتلاشى تمامًا، ولكن أعتقد أنك تتحسّنين بشأن ذلك".

ردّت بوبي: "بشأن ماذا؟"

أجابت أفاسارالا: "بشأن الشعور بأنك مُطاردة. عمومًا، فكّري جيدًا فيما تريدين القيام به. فكّري فيما تريدين أن تكوني مستقبلًا، ثم أخبريني بذلك، وسأُحقّق لك ما تريدين إذا استطعتُ لذلك سبيلًا".

سألت بوبي: "لماذا؟ حقًّا لماذا؟ أنا جندية أنجزت المهمة المطلوبة مني صحيح أن الأمر كان أكثر تعقيدًا وغرابة من أيّ تجربة خضتها في حياتي على الإطلاق، لكني أنجزت المهمة في النهاية؛ لأنه كان يجب أن أقوم بذلك. لذا أنت لا تدينين لي بأيّ شيء على الإطلاق".

رفعت أفاسارالا حاجبها.

قالت: "الامتيازات السياسية هي الطريقة التي أعبر بها عن شُكري ومودتي لكِ".

صاح أليكس عبر قناة الاتصالات العامة بالمركبة: "حسنًا، يا رفاق. لقد قمنا بإصلاح المُحرِّكات. سنبدأ في التسارع في غضون ثلاثين ثانية ما لم يقل أحد خلاف ذلك. على الجميع ربط أنفسهم بأحزمة الأمان جيدًا".

قالت بوبي: "أنا أُقدِّر العرض الذي تُقدمينه لي، ولكن قد يستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أعرف ما إذا كنت سأقبل ذلك أم لا".

- "وماذا ستفعلين بعد ذلك، أقصد على المدى القصير".

أجابت بوبي: "سأعود إلى وطني، أريد أن أرى عائلتي، والدي. أعتقد أنني سأبقى هناك لفترة من الوقت، أحتاج إلى إعادة اكتشاف ذاتي، والتفكير بشأن البدء من جديد، وأشياء من هذا القبيل".

ردَّت أفاسارالا: "بابي مفتوحٌ لك دائمًا يا بوبي. متى شئتِ فستجدين بابي مفتوحًا لك دائمًا".

***

كانت رحلة العودة إلى القمر مصدر إزعاجٍ كبير. أمضت أفاسارالا سبع ساعاتٍ يوميًّا في مقعد التصادم، وكانت تُرسل وتستقبل الرسائل بمستويات مختلفة من التأخُّر في الاتصالات. على الأرض، تم تكريم سادافير إريبرايت وتقدير مسيرته المهنية مع الأمم المتحدة في حفلٍ صغيرٍ وخاص جدًّا، ثم غادر منصبه لقضاء المزيد من الوقت مع عائلته أو تربية الدجاج في المزرعة أو أيّ شيء سيفعله خلال العقود المُتبقِّية له حتى الموت. أيًّا كان ما سيفعله، فإنه لم يعد له علاقة بالسلطة السياسية

استمر التحقيق بشأن محطة آيو العلمية في مساره، وبدا أن أصابع الاتهام كلها تتجه نحو كوكب الأرض دون إدانة كوكب المريخ. وبناءً على ذلك فإن المسؤولين في كوكب المريخ سيُفلتون من العقاب بالرغم من أنهم كانوا يتنافسون مع إريبرايت على استخدام الجزيء الأولي. لقد فقدوا أقوى سلاح بيولوجي في تاريخ البشرية، لكنهم أنقذوا مسيرتهم المهنية. لطالما امتلأت جعبة السياسة بمفارقات من هذا القبيل.

بدأت أفاسارالا في تشكيل حكومتها الجديدة غيابيًّا. بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى الأرض، كانت قد شغلت المنصب منذ شهرٍ بالفعل. شعرت وكأنها تقود سيارة أثناء جلوسها في المقعد الخلفي، كرهت هذا الشعور.

بالإضافة إلى ذلك، رأت مَي مينج أن هذه السيدة العجوز مسلية؛ لذلك قضت جزءًا من كل يومٍ في محاولة لفت انتباهها. لم يكن لدى أفاسارالا وقتٌ لملاعبة فتاةٍ صغيرة، ولكن رغمًا عنها وجدت نفسها تفعل ذلك. وكان عليها أيضًا أن تمارس بعض الرياضة حتى لا يضطروا إلى وضعها في دار لرعاية المسنين عندما تعود إلى وضع الجاذبية الكاملة. كان كوكتيل الستيرويد يُسبِّب لها الهبّات الساخنة ويجعل نومها صعبًا. كما تعيَّن عليها حضور أعياد ميلاد حفيدتيها عبر الشاشة لعدم وجودها على كوكب الأرض. تأخَّر الاتصال في عيد الميلاد الأول عشرين دقيقة، بينما كان الوضع أفضل في عيد الميلاد الثاني حيث لم يحدث تأخُّر سوى لأربع دقائق فقط.

عندما اجتازوا سحابة وحوش الجزيء الأولي المُسرعة نحو الشمس، راودتها كوابيس لليلتين متتاليتين، لكن انتهت تلك الكوابيس تدريجيًّا. راقبت حكومتا الأرض والمريخ تلك الكائنات، ولم تعطِ حزم الموت الصغيرة أيّ علامة على الحياة بل كانت تتسارع بهدوء وسعادة نحو دمارها.

لم تستطع أفاراسالا الانتظار حتى تعود إلى أرض الوطن.

عندما رسوا على القمر، شعرت وكأنها امرأة تتضوَّر جوعًا وقطعة من التفاح تلامس شفتيها، لكن لا يُسمح لها بالتهامها. مِن هناك، كان بإمكانها أن ترى السماء الزرقاء والبيضاء للكوكب في أثناء النهار، والأسود الذهبي في أثناء الليل. كان عالمًا جميلًا، لا مثيل له في النظام الشمسي، كانت حديقتها هناك بالأسفل، ومكتبها، وسريرها الخاص.

لكن أرجون لم يكن كذلك

كان الرجل العجوز ينتظرها على منصة الإرساء في أبهى حُلة وبيده باقة من الليلك الطبيعي. جعلته الجاذبية المنخفضة يبدو أصغر سنًّا أيضًا، بالرغم من أن عينيه كانت حمراء قليلًا شعرت بنظرة فضولٍ من هولدن وطاقمه عندما اقتربت من زوجها. لعلهم يتساءلون كيف تزوّج هذا الرجل الوديع من شخصٍ حاد الطباع وصعب المراس مثل كريسجين أفاسارالا؟ هل كان هذا الرجل سيدها أم عبدها؟ كيف تسير العلاقة بينهما؟

قال أرجون بلطفٍ وهي ترتمي في أحضانه: "عودًا حميدًا إلى أرض الوطن"

كان ما يزال هو نفسه الرجل الذي عاهدته طوال حياتها. وضعت رأسها على كتفه، ولم تعد بحاجة إلى أن تحملها الأرض بعد الآن.

كان هذا وطنها الحقيقي.

الفصل الثالث والخمسون

هولدن

"مرحبًا يا أمي، نحن هنا على القمر".

كان التأخُّر في الاتصالات بين الأرض والقمر أقل من ست ثوانٍ بين الإرسال والاستقبال، ومع ذلك كان كافيًا ليتسبَّب في وقفة محرجة قبل كل استجابة. حدَّقت فيه الأم إليز من شاشة الفيديو في غرفته بالفندق لمدة خمس ثوانٍ. ثم أشرق وجهها ابتسامًا.

"جيمي! هل ستنزل؟"

كانت تقصد أن ينزل أسفل بئر الجاذبية لرؤيتهم. العودة إلى الديار. تأثَّر هولدن عندما سمع سؤالها. لقد مرَّت سنوات طويلة منذ آخر مرة زار المزرعة التي تمتلكها عائلته في مونتانا، لكن ناعومي معه الآن. ولم يسبق لهذه الحزامية أن نزلت إلى الأرض. قال: "لا يا أمي، ليس هذه المرة، لكنني أريدكم جميعًا أن تأتوا لمقابلتي هنا على القمر. يمكنكم أن تركبوا المكوك للوصول إلى هنا، وستستضيفكم السيدة أفاسارالا وكيلة وزارة الأمم المتحدة؛ لذلك ستكون غرف الإقامة فاخرة جدًّا".

مع هذا التأخُّر في الاتصال، كان من الصعب أن يواصل هولدن حديثه. لم ترسل والدته أيّ إشارات جسدية خفية تشير إلى أن دورها قد حان للتحدُّث. أجبر هولدن نفسه على التوقُّف عن الثرثرة، وانتظار ردها.

حدَّقت إليز في الشاشة، في انتظار انقضاء التأخير. استطاع هولدن أن يرى كم تقدَّم بها العمر خلال كل تلك السنوات التي قضاها منذ رحلته الأخيرة إلى أرض الوطن. غزا بعض الشيب شعرها البني الغامق المختلط ببعض الشعرات السوداء كما تعمَّقت تجاعيد أقدام الغراب حول عينيها وفمها. بعد خمس ثوانٍ، لوّحت بيدها على الشاشة في إيماءة اعتراض.

- "أوه، أنت تعلم أن توم لن يركب المكوك إلى القمر أبدًا. لا يخفي عليك أنه يكره الجاذبية الصغرى. الأمر بسيط انزل أنت، وتعال لرؤيتنا هنا سنقيم حفلًا للاحتفاء بك، يمكنك أن تحضر كل أصدقائك معك".

ابتسم لها هولدن: "أمي، أريدكم أن تأتوا إلى هنا لأن معي شخصًا أريدكم أن تقابلوه. هل تذكرين تلك المرأة؟ ناعومي ناجاتا التي سبق وحدَّثتكم عنها؟ قلت لكم أنني كنت أواعدها. أعتقد أن الأمر يمكن أن يتجاوز ذلك، أصبحت متأكّدًا من ذلك الآن. والآن سنمضي بعض الوقت على القمر بينما يتم حل العديد من المشاكل السياسية عبر الكواكب. أريدكم أن تصعدوا إلى هنا، وتقابلوا ناعومي".

بدا الأمر خفيًّا للغاية بحيث لا يمكنه أن يواصل الثرثرة حتى يرى ردة فعل والدته. بعد خمس ثوانٍ جفلت والدته قليلًا ثم غطتها ابتسامة كبيرة، وتساءلت: "يمكن أن يتجاوز ذلك؟ هل تقصد يتجاوز ذلك إلى الزواج مثلًا؟ لطالما اعتقدت أنك سترغب في إنجاب أطفالٍ من صلبك في يومٍ من الأيام..."، تلاشى صوتها، لكنها حافظت على ابتسامتها المربكة.

قال هولدن: "أمي، يمكن أن يتزواج الأرضيون والحزاميون من بعضهم، وينجبون أطفالًا طبيعيين، نحن لسنا كائنات مختلفة".

ردَّت الأم بعد ثوانٍ، وهي تومئ برأسها فجأة: "بالتأكيد، ولكن إذا كان لديك أطفال هنا..." توقَّفت، واختفت ابتسامتها قليلًا.

قال هولدن: "سيكونون حزاميين، يجب أن تتقبَّلوا ذلك".

بعد خمس ثوانٍ، أومأت الأم برأسها بسرعة مرة أخرى، وقالت: "أعتقد أنه من الأفضل الآن أن نصعد إلى القمر؛ لنرى تلك المرأة التي ترغب في أن تترك الأرض من أجلها، يجب أن تكون مميزة للغاية".

أجاب هولدن: "نعم، هي كذلك بالفعل".

تحوَّلت إلير بشكلٍ غير مريح لثانية، ثم عادت ابتسامتها مرة أخرى، وإن كانت متكلّفة بعض الشيء هذه المرة "سأُحضر توم إلى هذا المكوك حتى ولو اضطررتُ إلى جره من شعره".

قال هولدن: "أحبك يا أمي". قضت عائلته حياتها كلها على كوكب الأرض. كان سكان الكواكب الخارجية الوحيدون الذين يعرفونهم هم شخصيات الرسوم المتحرّكة الأشرار الذين ظهروا في بعض مقاطع الفيديو الترفيهية السيئة. يعرف تمامًا أن أفراد أسرته لن يتخلَّوا عن تحيُّزاتهم المتأصِّلة ضد سكان الكواكب الخارجية، ولكنه يأمل أن يُبدِّد لقاؤهم بناعومي هذا التحيُّز الأعمى. بمجرد أن أمضى هولدن بضعة أيام بصحبة هذه الفتاة الحزامية، لم يستطع أن يمنع نفسه من الوقوع في حبها. "آه، بالمناسبة، هناك شيءٌ آخر. هل تذكرين تلك البيانات التي أرسلتها لكِ منذ فترة؟ احتفظي بها. وأبقي الأمر سرًّا. قد نحتاج إلى تلك البيانات مستقبلًا. هذا يتوقَّف على كيف ستسير الأمور خلال الشهرين المقبلين؛ لذلك حافظي عليها من أجلي".

***

قال هولدن لناعومي في وقتٍ لاحق من تلك الليلة: "أهلي عنصريون". كانت مستلقية على جنبه، ووجهها ملتصقٌ بأذنه. وضعت ساقها الطويلة بنية اللون على وركه.

همست: "لا بأس".

كان جناح الفندق الذي قدَّمته أفاسارالا لهم فاخرًا لدرجة البذخ. وجد هولدن مرتبة السرير ناعمة جدًّا لدرجة أنه بدا له عند الاستلقاء عليها أنه يطفو فوق سحابة بسبب الجاذبية القمرية. ضخَّ صانع العطور في أنظمة إعادة تدوير الهواء الروائح الدقيقة المبتكرة، وكان عطر تلك الليلة يُسمى بـ "نقع العشب". لم تكن رائحته تشبه رائحة العشب بالنسبة إلى هولدن، ولكنها كانت لطيفة. ذكّرته الرائحة بالأرض وتربتها، ومع ذلك شكّ هولدن في أن أسماء جميع العطور تتمُّ بطريقة عشوائية. كما شكَّ في أن الفندق يحتوي على مستويات عالية من الأكسجين. شعر بالارتياح والريبة. قال لناعومي: "إنهم قلقون قليلًا من أن أطفالنا سيكونون حزاميين".

همست ناعومي: "لا أطفال"، وقبل أن يسألها هولدن عما تعنيه، وحدها تُشخّر في أذنه.

***

في اليوم التالي، استيقظ هولدن، ووقف أمام ناعومي وهو يرتدي أفضل بدلة لديه، وتوجَّه إلى المحطة. كان هناك شيءٌ أخير يجب أن يفعله قبل أن يُعلق ملف هذه القضية الدموية الشائكة.

كان عليه أن يرى جول بيير ماو.

أخبرته أفاسارالا أن ماو من بين عشرات السياسيين رفيعي المستوى والجنرالات العسكريين وقادة الشركات الذين تم اعتقالهم في مجموعة الاعتقالات التي أعقبت أحداث آيو الأخيرة. كان ماو الشخص الوحيد الذي أصرت أن تراه السيدة العجوز بصفة شخصية. لقد تمكّنوا من القبض عليه في محطته الخامسة بينما كان يحاول بكل الطرق الهروب إلى الكواكب الخارجية على متن إحدى مركباته السريعة؛ لذا فقد أمرت أفاسارالا بإحضاره للتو إلى القمر.

كان ذلك هو اليوم الذي ستراه فيه. سأل هولدن أفاسارالا عما إذا كان بإمكانه أن يحضر معها هذا اللقاء، ولم يكن يتوقّع موافقتها، لكن السيدة العجوز ضحكت طويلًا، ثم قالت: "هولدن، لا يمكنني أن أفكّر في شيءٍ أكثر إذلالًا لذلك الرجل من مشاهدتك لي وأنا أُقيّده بالأغلال. اللعنة. نعم، بالطبع يمكنك المجيء لهذا السبب".

غادر هولدن الفندق الذي يُقيم فيه، وهرع إلى شوارع مدينة لوفيل. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتى انتقل إلى محطة مترو الأنفاق بعربة أُجرة، وبعد رحلة بالمترو استغرقت عشرين دقيقة، وصل إلى مجمع الأمم المتحدة في لاهاي الجديدة. استقبله مضيف شاب ودود عند وصوله ورافقه بكفاءة عبر متاهة الممرات المُتعرِّجة للمجمع حتى وصلوا إلى باب مكتوب عليه: (قاعة الاجتماعات ٣٤).

قال المضيف الودود: "يمكنك الانتظار في الداخل يا سيدي".

ردَّ هولدن عليه وهو يربت على كتفه. "لا، أفضل أن أنتظر هنا".

حصص المصيف رأسه قليلًا، وعاب في الممر الطويل وهو ينطر في حهاره اللوحي ليرى المهمة التالية التي تنتظره. انحنى هولدن على حدار الممر وانتظر في الحادية المنخفصة، لم يكن الوقوف يحتاج إلى بدل مجهود أكثر من الحلوس. كلما ما تطلّع إليه في هذه اللحظة أن يرى ماو يُقاد في الممر إلى قاعة الاحتماعات

رنَّ حهاره اللوحي تلقّى للتو رسالة نصية قصيرة من أفاسارالا نصها: نحن في طريقنا إليك. سنصل في غضون خمس دقائق.

نزل جول بيير ماو من المصعد إلى الممر محاطًا باثنين من أكبر ضباط الشرطة العسكرية الذين رآهم هولدن طوال حياته. كان الرجل مُكبَّل اليدين، كان يرتدي بدلة السجناء ويداه مُقيَّدة أمامه بينما ترافقه مجموعة من الحراس المُسلَّحون، ومع ذلك حافظ على الظهور بمظهر المتعجرف المُسيطِر على مجريات الأمور. عندما اقتربوا، وقف هولدن بشكلٍ مستقيم وسار في اتجاههم. شد أحد الشرطيين ذراع ماو لإيقافه، وأومأ إيماءة خفية إلى هولدن. بدا وكأنه يقول: "افعل ما شئت بهذا الرجل الملعون. لا مشكلة لديّ حتى لو ضاجعته أمامي". شعر هولدن أنه لو انتزع المسدس من بنطاله، وأطلق النار على ماو هناك في الممر، فسيدعي هؤلاء الشرطيون أنهم أُصيبوا بالعمى ويشاهدون بأنهم لم يتمكَّنوا من رؤية أيّ شيءٍ على الإطلاق.

ولكنه لم يكن يريد إطلاق النار على ماو. لقد أراد ما يبدو أنه يريده دائمًا في هذه المواقف. عاد إلى هولدن القديم، وأراد أن يعرف لماذا كل حدث كل هذا!

- "هل كان الأمر يستحق كل هذا؟"

على الرغم من أنهما على مستوى الطول نفسه، فإن ماو تمكَّن من إعطاء انطباعٍ بأنه ينظر إليه من عالٍ، عبس في وجهه، وقال: "من أنت؟"

ردّ هولدن بابتسامة: "أوووه، هيا، أنت تعرفني حيدًا، أنا حيمس هولدن، لقد ساعدت في القصاء على شركاتك في مشروع بروتوجين. والآن أنا على وشك أن أفعل الأمر نفسه معك. أنا أيضًا ذلك الشخص الذي عثر على ابنتك بعد أن قتلها الجزيء الأولي، لذلك سأسألك مرة أخرى: هل كان الأمر يستحق كل هذا؟"

لم يرد ماو.

- "ابة ميتة، وشركة مُدمَّرة، وملايين من الناس صرعى حتى الآن، ونظام شمسي ربما لن يعود إلى الاستقرار السلمي مرة أخرى. هل كان الأمر يستحق كل هذا؟"

تساءل ماو أخيرًا: "ما الذي أتى بك إلى هنا؟" بدا أصغر، ولم يرد التقاء أعينهما في تلك اللحظة.

- "كنت هناك في تلك الغرفة عندما أُصيب دريسدن بطلقاتٍ في رأسه أودت بحياته، كما أنني كنت الرجل الذي قتل حيوانك الأليف الأميرال نجوين. أجد أن هذا كان جزاءً وفاقًا لما قدَّمه الرجلان في انتظار أن تحصل أنت أيضًا على جزائك".

قال ماو: "أُصيب أنتوني دريسدن في رأسه بثلاث طلقات كما لو كان يُنفذ حكمًا بالإعدام، أهذا هو العدل في نظرك؟"

ضحك هولدن: "أوه، أشك في أن كريسجين أفاسارالا ستُطلق عليك النار في رأسك، ولكن هل تعتقد أن ما ينتظرك سيكون أفضل؟"

لم يرد ماو، ونظر هولدن إلى الشرطيين، وأشار إلى باب قاعة الاجتماعات. بدا الرجال مُحبطين بعض الشيء عندما دفعوا ماو إلى القاعة، وقيّدوه في كرسي.

قال الشرطي الأكبر: "إذا احتجتَ إلينا يا سيدي، فنحن ننتظر بالخارج"، واتخذوا مواقعهم بجانب الباب.

ذهب هولدن إلى قاعة الاجتماعات، وجلس على أحد المقاعد، لكنه لم يقل شيئًا آخر لماو، دخلت أفاسارالا إلى القاعة، وهي تتحدَّث في جهازها اللوحي.

"أنا لا أهتم بعيد ميلاده، إما أن تفعل ذلك قبل انتهاء اجتماعي أو سأنهال عليك باللعنات" توقَّفت مؤقتًا بينما كان الشخص الذي تُحدِّثه على الطرف الآخر يقول شيئًا ما. ابتسمت ابتسامة عريضة عندما رأت ماو مُكبَّلًا، وقالت: "حسنًا، انتهي من ذلك بسرعة؛ لأن لدي شعورًا بأن هذا الاجتماع سيكون قصيرًا. سررت بهذه المحادثة".

ألقت بعصبها على مقعد عبر الطاولة أمام ماو مباشرةً. لم تنظر إلى هولدن، ولم تعبأ بوجوده على الإطلاق لدرجة أن هولدن شكَّ في أن مُسجِّل الفيديو لن يعكِّس أبدًا وجوده في القاعة. وضعت أفاسارالا جهازها اللوحي على سطح الطاولة، وانحنت إلى الخلف في مقعدها. لم تتحدَّث لعدة ثوانٍ سادها التوتُّر عندما فعلت أخيرًا، انتبهت لوجود هولدن، بالرغم من أنها لم تنظر إليه بعد.

- "هل حصلت على أتعابك مقابل إحضارنا إلى هنا؟"

أجاب هولدن: "نعم، تمت تسوية إجراءات الدفع بالفعل".

قالت: "هذا جيد جدًّا، أردت أن أعرض عليك عقد عمل طويل الأجل، سيكون مدنيًّا بالطبع، لكن."...

تنحنح ماو كأنه يُعبِّر عن وجوده. ابتسمت له أفاسارالا وقالت: "أعلم أنك هنا. لم أنسَ وجودك بالطبع. سأفرغ إليك بعد ثوانٍ".

ردَّ هولدن: "لقد حصلت على عقد عملٍ بالفعل. سنرافق أول أسطول سينطلق لإعادة إعمار جانيميد. وبعد ذلك، أعتقد أننا على الأرجح سنحصل على مهام مرافقة أخرى هناك. يوجد الكثير من الأشخاص المتنقِّلين والذين لا يرغبون في أن يتعرَّض لهم القراصنة على طول الطريق".

سألت: "هل أنت واثق من ذلك؟"

امتقع وجه ماو من الإذلال الذي يكابده. سمح هولدن لنفسه بالاستمتاع بهذه اللحظة.

ردَّ هولدن: "لقد سئمت من العمل مع الحكومة، لم يرُق لي ذلك".

قالت أفاسارالا. "اسمح لي أن أعترض. كنت تعمل مع (أوبا). هذه ليست حكومة، إنه فريق رجبي لديها تمويل فقط". ثم التفتت إلى وجه ماو الممتقع: "مرحبًا يا جول، ما الأمر؟ هل تحتاج إلى أن أحضر لك قصرية لقضاء حاجتك؟"

صاح ماو: "هذا تصرف وضيع، هل أتيتم بي إلى هنا لإذلالي وإهانتي؟"

افترّ ثغر السيدة العجوز عن ابتسامة متوهّجة.

قالت. "هل أنت متأكّد من ذلك؟ اسمح لي أن أسألك سؤالًا واحدًا. "هل تتذكّر ما قلتُه لك في المرة الأولى التي التقينا فيها؟"

أجاب ماو: "لقد طلبت مني أن أخبرك ما إذا كنت على صلةٍ بأيّ شكلٍ من الأشكال بمشروع الجزيء الأولي الذي تديره شركة بروتوجين".

ردّت: "كلا، أعني هذا صحيح، لقد سألت عن ذلك بالفعل، لكن هذا ليس الجزء الذي يجب أن تنشغل به الآن. لقد كذبت عليّ، وأنت تعلم أنني أعلم أنك تكذب عليّ، لم يكن هناك لبس في تورُّطك في تمويل وتسليح مشروع بروتوجين. إن السؤال عن ذلك يُشبه السؤال عن لون يوم الثلاثاء، لا معنى له".

قال ماو: "إذن، ادخلي في صلب الموضوع مباشرةً، يمكنني أن."...

قاطعته أفاسارالا: "الجزء الذي يجب أن تنشغل به الآن هو ما قلتُه قبل مغادرتك مكتبي. هل تتذكّر ذلك؟"

نظر إليها ماو نظرة غامضة.

قالت: "أما تذكر أنني قلت لك قبل أن تغادر: لو اكتشفت أنك تعرف شيئًا ما ولم تُخبرني به، فلن أتقبّل هذا الأمر بصدرٍ رحب".

ردّ ماو بابتسامة ساخرة: "كانت كلماتك بالضبط هكذا: أنا لست من النوع الذي يسمح للآخرين بالعبث معه".

قالت: "إذن، أنت تتذكّر جيدًا"، وبدت نبرة صوتها جادة حتى أنها خلت من أيّ تلميح بالفكاهة، "حسنًا، حان الوقت لتكتشف بنفسك ما كنتُ أعنيه عندما قلت ذلك".

"لدي معلومات إضافية يمكن أن تفيدكم."...

قاطعته أفاسارالا باحتداد. "اخرس!". تسلّل الغضب الحقيقي إلى صوتها لأول مرة. "في المرة القادمة التي تفتح فيها فمك القذر، سأجعل هذين الشرطيين الكبيرين في الممر يثبتانك في كرسيك اللعين ويُبرحانك ضربًا. أتفهم ما أقول؟"

لم يرد ماو، وكان صمته علامة على فهمه ما قالت للتو.

"أنت لا تعرف ماذا أسديت لي. لقد تمت ترقيتي. أتعرف لجنة التخطيط الاقتصادي؟ حسنًا، أنا من أديرها الآن. خدمة الصحة العامة؟ على الرغم من أنني لم أتطلّع إليها أبدًا؛ لأنها كانت حجر عثرة في سبيل استقرار حكومة إريبرايت لكنها الآن تحت إدارتي أتعرف لجنة التخطيط المالي؟ هي الأخرى أصبحت تحت إدارتي. لقد أفسدت الجدول الزمني الخاص بي على مدى العقدين المقبلين.

تابعت أفاسارالا: هذا ليس تفاوضًا، بل إنني جئت إلى هنا لأشمت فيك حقًّا. أتعلم؟ سوف ألقي بك في حفرة سحيقة حتى إن زوجتك نفسها ستنسى أنك كنت موجودًا في أيّ وقتٍ من الأوقات. سأستخدم منصب إرينرايت القديم لتفكيك كل شيءٍ قمت بتشييده، قطعة قطعة، ثم انثره في مهب الريح. وسأحرص على أن تشاهد كل ما يحدث؛ لذلك فإن الشيء الوحيد الذي ستحظى به في حفرتك السحيقة هو تلفاز يستعرض الأخبار على مدار الأربعة وعشرين ساعة في اليوم. وبما أننا لن نلتقي أنا وأنت مرة أخرى، فإنني أريد التأكُّد من أن اسمي سيبقى محفورًا في ذهنك مع كل مرة أُدمِّر فيها شيئًا آخر خلّفته وراءك، سأمحو اسمك من التاريخ".

حدَّق فيها ماو بتحدٍّ، لكن هولدن كان يعلم أنه مجرد قناع يرتديه، بينما عرفت أفاسارالا أين تُوجِّه إليه ضرباتها القاضية؛ لأن الرجال من أمثال ماو هذا عاشوا ليتركوا إرثًا خلفهم. هو وأمثاله يعتبرون أنفسهم مهندسي المستقبل. كان وعيد أفاسارالا له أشد تنكيلًا من الموت.

ألقى ماو نظرة على هولدن، بدت نظرته وكأنه يقول: "أرجوك، أطلق على رأسي الآن ثلاث طلقات كما فعلتم بـ أنتوني دريسدن".

ابتسم له هولدن في تشفٍّ.

الفصل الرابع والخمسون

براكس

جلست مَي في حِجر براكس، لكن نظراتها كانت مُوجّهة إلى اليسار كما لو أنها تُطلق شعاع ليزر من عينيها. وضعت يدها على فمها، وبصقت برفق في راحة يديها كومة من السباغيتي نصف الممضوغة، ثم مدَّتها نحو أموس.

قالت: "إنها مقرفة".

ضحك الرجل الضخم.

قال وهو يفتح منديلًا: "حسنًا، حتى إذا لم تكن كذلك من قبل، فمن المُؤكَّد أنها أصبحت مقرفة الآن، يا حُلوتي الصغيرة. هيا ضعي كومة السباغيتي هذه في المنديل هنا".

قال براكس مستشعرًا الحرج: "أنا آسف جدًّا، إنها فقط."...

قاطعه أموس: "إنها مجرد طفلة يا دكتور، من الطبيعي أن تفعل أشياء كهذا".

على الرغم من كونها جلسة عشاء، لكنهم لم يُسمُّوها كذلك، كانت بمثابة حفل استقبال برعاية الأمم المتحدة في منشآت لاهاي الجديدة على القمر. لم يستطع براكس أن يعرف ما إذا كان الجدار عبارة عن نافذة أم شاشة فائقة الدقة؛ حيث رأى الأرض تتوهَّج باللونين الأزرق والأبيض في الأفق. وكانت هناك طاولات منتشرة في جميع أرجاء القاعة في مصفوفة شبه عضوية أوضح لهم أفاسارالا أنها أحدث صيحات الموضة. "هذا يجعل الطاولات تبدو وكأن شخصًا أحمق رصّها بشكلٍ عشوائيّ".

ضمت القاعة عددًا من المعارف مساويًا تقريبًا لنفس عدد الغرباء الذين لا يعرفهم براكس، وعندما شاهدهم يفصلون بين الطائفتين، اعتبر ذلك أمرًا رائعًا بالنسبة له. على يمينه، جلس على بعض الطاولات الصغيرة عددٌ من الرجال والنساء يتسمون بقِصر

قامتهم وامتلاء أجسامهم، وكانوا يرفلون في أزياء رسمية وعسكرية، وقد تحلّقوا حول أفاسارالا وروجها الوقور أرجون. دارت أحاديثهم حول تحليل نظام التمويل والتحكُّم في العلاقات الإعلامية. وبالرغم مما أظهروه من ودٍّ وهم يصافحون أيدي أبناء الكواكب الخارجية فإن محادثاتهم أظهرت زيف هذا الود. على يساره، كانت مجموعة من العلماء يرتدون أفضل الملابس التي يمتلكونها، على من الرغم أن السترات قديمة جدًّا لدرجة أنها كانت تناسبهم من عشر سنوات مضت، والبدلات التي يرتدونها تنتمي إلى ما لا يقل عن ستة مواسم تصميم أزياء مختلفة. اختلط في تلك المجموعة الأرضيون والمريخيون والحزاميون، لكن الموضوعات التي تناقشوا فيها كانت مُخصَّصة جدًّا: تصنيف المغذيات، وتقنيات نفاذية الأغشية القابلة للتعديل، مصطلحات القوة المظهرية. تُمثِّل تلك المجموعة أصدقاء براكس في الماضي والمستقبل. يدور الحديث عن مجتمع جانيميد المُمزَّق والذي يُرتجى إعادة تشكيله. لولا أنه يجلس على الطاولة الوسطى مع بوبي وطاقم روسينانت، لكانت طاولة هؤلاء العلماء هي مكانه الآن. ولكان قد تحدَّث عن المصفوفات المتتالية والبلاستيدات الخضراء غير المرئية.

لكنه الآن في الوسط، منعزل ومُذبذب، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. كان هولدن وطاقم (روسي) سعداء ومنسجمين كما لو كانوا في مطبخ المركبة، ويسارعون في الفراغ الشاسع. ومي التي تحاول أن تلفت انتباه أموس إليها، ما زالت ملتصقة جسديًّا ببراكس دون أن تبدأ بالصراخ والبكاء. فهم براكس ما تشعر به الفتاة بالضبط، ولم يعتبر ذلك مشكلة.

قال هولدن: "إذن أنت من عشتَ على جانيميد، وبالطبع تعرف الكثير عن إنجاب الأطفال في جاذبية منخفضة، أعتقد أن الأمر ليس أكثر خطورة بالنسبة للحزاميين، أليس كذلك؟"

ابتلع براكس قطعة من السلطة، وهزَّ رأسه.

- "أوه، كلا، الأمر أكثر تعقيدًا، خاصة إذا كان ذلك على متن مركبة بدون ضوابط طبية مكثّفة، ضع في اعتبارك أنه حتى في حالات الحمل الطبيعية، هناك خلل في النمو أو تشوّهات خلقية بمعدل خمس مرات من أصل ست".

قال هولدن: "خمسة."...

استدرك براكس. "لكن معظمها ناتج عن مشاكل في السلالة الجرثومية. تم زرع جميع الأطفال المولودين في جانيميد تقريبًا بعد تحليل جيني كامل. إذا تم اكتشاف عيب خلقي مميت، فإنهم يتخلّصون من البويضة المُلقّحة ويبدأون التجربة من جديد. تحدث التشوّهات غير الجرثومية غير الشائعة ضعف عدد مرات حدوثها على كوكب الأرض، ومع هذا، فهذا ليس سيئًا للغاية".

ردَّ هولدن: "آه"، وبدا عليه الإحباط.

- "لكن لماذا تسأل أيها القبطان؟"

ردَّت ناعومي: "لا، ليس هناك سببٌ محدَّد. إنه فقط يُجري محادثة بدلًا من الصمت".

قالت مَي، وهي تمسك بشحمة أذنه وتشدُّها: "أبي، أريد التوفو".

قال براكس وهو يدفع كرسيه بعيدًا عن الطاولة: "دعينا نرَ ما إذا كنا نستطيع أن نجد لك بعض التوفو هنا، هيا بنا".

وأثناء سيره عبر القاعة بحثًا بين الحشد عن شخصٍ يرتدي بدلة رسمية سوداء من ذلك النوع الذي يرتديه النادل خصوصًا مع كثرة البدلات الرسمية السوداء التي يرتديها الدبلوماسيون في هذا المكان. اقتربت منه فتاة شابة حمراء الخدين تحمل مشروبًا في يدها.

قالت: "أنت براكسيديك مينج، ربما لا تتذكَّرني".

ردَّ براكس: "امم، في الحقيقة، لا".

قالت وهي تلمس عظمة الترقوة: " أنا كارول كيسوفيسكي"، ثم لمزيدٍ من التوضيح قالت بعد ثانية: "لقد تبادلنا الرسائل عدة مرات بعد نشر فيديو مَي".

قال براكس وهو يحاول يائسًا أن يتذكَّر أيّ شيءٍ عن المرأة أو التعليقات التي تركتها: "أوه، صحيح".

ردَّت المرأة وهي تومئ برأسها: "أردتُ فقط أن أخبرك أنني أعتقد أنكما شجاعان للغاية". خطر ببال براكس أن هذه الفتاة قد تكون في حالة سُكر الآن.

- "ياابن العاهرة!"

صاحت بهذا السباب أفاسارالا بصوتٍ عالٍ بما يكفي لاختراق ضجيج المحادثات الدائرة في الخلفية، التفت إليها الحشد. كانت السيدة العجوز تنظر في جهازها اللوحي.

سألت مَي: "ماذا تعني كلمة عاهرة يا أبي"

أجاب براكس: "إنه نوعٌ من الصقيع يا حبيبتي"، ثم سأل براكس السيدة العجوز. "ماذا حدث؟"

قالت أفاسارالا: "رئيس هولدن القديم ضربنا ضربة قاصمة. أعتقد أننا الآن نعرف ما فعله بكل تلك الصواريخ اللعينة التي سرقها".

نقر أرجون على كتف زوجته وأشار إلى براكس وطفلته مَي. بدت السيدة العجوز محرجة من الألفاظ التي استخدمتها أمام الطفلة الصغيرة. قالت: "آسفة على الألفاظ النابية، لقد نسيت أن الطفلة هنا".

جاء هولدن من وراء براكس، وتساءل باستنكار: "رئيسي؟"

ردَّت أفاسارالا: "وضع فريد جونسون نفسه للتو في صدارة المشهد. تذكر وحوش نجوين؟ كنا ننتظر اقترابهم من المريخ قبل أن نُدمِّرهم. كانت إشارات أجهزة الإرسال والاستقبال عالية وواضحة، وكنا نتعقَّبهم بشكل أكثر إحكامًا من تعقُّب طائر في السماء... حسنًا، عندما عبروا الحزام، قصفهم جونسون جميعًا".

قال براكس: "ولكن هذا جيد، أليس كذلك؟"

أجابت أفاسارالا: "ليس جيدًا إذا كان هو من يفعل ذلك. إنه يستعرض عضلاته؛ يُريد أن يُظهِر للعالم أجمع أن الحزام لديه ترسانة هجومية الآن".

بدأ رجلٌ يرتدي الزي العسكري، على يسار أفاسارالا، يتحدَّث في الوقت نفسه الذي تتحدَّث فيه امرأة خلفها مباشرةً، وفي لحظة انتشرت الحاجة إلى التعليق على ما حدث بين جميع أفراد تلك المجموعة. ابتعد براكس عنهم بينما كانت المرأة المخمورة تُشير إلى رجلٍ وتتحدّث بسرعة مما يعني أنها قد نسيت أمر عالِم النبات وانتبه تمامًا. أخيرًا، وجد براكس بادلًا على حافة القاعة، وطلب منه أن يُحضر بعضًا من التوفو للطفلة، ثم عاد إلى

مقعده. بمجرد وصولهما، أخذ أموس ومي يلعبان معًا لعبة من يستطيع نفخ أنفه بشدة، والتفت براكس إلى بوبي

سألها: "هل ستعودين إلى المريخ، إذن؟" بدا الأمر وكأنه سؤال مُهذّب وبريء حتى ضغطت بوبي على شفتيها، وأومأت برأسها.

أجابت: "أجل. لقد تبيّن لي أن أخي سيتزوّج. سأحاول الوصول إلى هناك في أسرع وقت لإفساد عليه حفل توديع العزوبية. وماذا عنك؟ هل ستقبل بالوظيفة التي عرضتها عليك أفاسارالا؟"

أجاب براكس: "نعم، أعتقد ذلك"، ولكنه بدا متفاجئًا بعض الشيء من معرفة بوبي بعرض أفاسارالا له، فلم يتم الإعلان عن ذلك بشكل رسمي بعد. تابع: "أعني، ما تزال محطة جانيميد تحتفظ بكل المزايا الأساسية. الغلاف المغناطيسي والجليد. إذا كان من الممكن إنقاذ بعض مصفوفات المرايا، فإن ذلك يظل أفضل من البدء من نقطة الصفر. أعني، الشيء الذي يجب أن تفهميه عن جانيميد."...

بمجرد أن بدأ الحديث في هذا الموضوع، كان من الصعب عليه التوقُّف. من نواحٍ كثيرة، كانت محطة جانيميد هي مركز الحضارة في الكواكب الخارجية. تم تطوير جميع الابتكارات في علم النبات هناك، وكذلك جميع العلوم الحيوية. ولكن الأمر كان أكثر من ذلك. كان هناك شيءٌ مثير للغاية حول احتمالية إعادة البناء، شيءٌ أكثر إثارةً للانتباه من طريقة البناء الأولى نفسها حيث كان القيام بشيء ما في المرة الأولى عملية استكشاف. وللقيام بذلك مرة أخرى، عليهم مراعاة جميع الأشياء التي تم تعلُّمها، وصقلها، وتحسينها، وإتقانها. أثَّر هذا الحديث في براكس قليلًا لدرجة أنه أُصيب ببعض الدوار، بينما استمعت بوبي إليه بابتسامة حزينة تكسو وجهها.

لم يكن الأمر مقصورًا على جانيميد. لطالما بُنيت الحضارات البشرية على أنقاض سابقاتها، كما لو أن الحياة نفسها كانت ارتجالًا كيميائيًّا واسع النطاق بدأ بأبسط المضاعفات ثم نما حتى انهار، لينمو مرة أخرى. كانت الكارثة مجرد خطوة أخرى في هذا النمط المتكرر، تمهيدًا لما سيحدث بعد ذلك.

قالت بوبي. "أنت تجعل الأمر يبدو رومانسيًّا"، وبالرغم من أن الجملة قد تكون إيجابية، ولكن الطريقة التي قيلت بها جعلتها أقرب إلى اتهام

بدأ براكس: "لم أقصد.. "، وشقَّ شيءٌ بارد ورطب طريقه إلى أذنه. تراجع قليلًا وصرخ من الرهبة، والتفت ليرى كيف تنظر إليه مي بعيون متلألئة وابتسامة ساحرة كان اللعاب يقطر من سانتها، بينما وقف أموس خلفها يضحك بلا توقُّف، إحدى يديه تمسك بطنه، والأخرى تضرب الطاولة بقوة بما يكفي لجعل الأطباق تهتز.

- "ماذا كان هذا؟"
- "أبي، أحبك".

قال أليكس وهو يمرر لبراكس منديلًا نظيفًا: "خذ، ستحتاج إلى هذا".

الشيء المذهل هو الصمت، لم يكن يعرف كم من الوقت كان يحدث ذلك، لكن الوعي به غمره مثل موجة. بدا النصف السياسي من القاعة ساكنًا وهادئًا. رأى من خلال غابة أجسادهم أفاسارالا تنحني للأمام، وتضع مرفقيها على ركبتيها، وجهازها اللوحي على بعد سنتيمترات من وجهها. عندما وقفت، احتشد الجميع حولها. وعلى الرغم من أنها صغيرة الجسم، فإنها استطاعت أن تقود القاعة خلفها بمجرد مغادرتها.

قال هولدن وهو يقف على قدميه: "هناك شيءٌ خاطئ"، وبدون كلمة أخرى، تبعه كلٌّ من براكس وناعومي، وأموس، وأليكس، وبوبي. وقف السياسيون والعلماء أيضًا، كلهم اختلطوا ببعضهم أخيرًا.

كانت قاعة الاجتماعات عبارة عن غرفة واسعة تم إنشاؤها على طراز مُدرَّج يوناني قديم. خلف المنصة كانت هناك شاشة ضخمة عالية الوضوح. سارت أفاسارالا وهي تتحدَّث بسرعة وبصوتٍ منخفض إلى جهازها اللوحي، تبعها الآخرون. تجلَّى الشعور بالفزع على وجوه الجميع. تحوّلت الشاشة إلى اللون الأسود، وقام شخصٌ ما بتعتيم الأمور.

في ظلام الشاشة، ظهر كوكب الزهرة في صورة ظلية قريبة من الشمس. لقد كانت صورة شاهدها براكس مئات المرات من قبل يمكن أن يأتي الفيديو من أيّ من عشرات

محطات المراقبة. يُشير المؤشر الرمي الموحود في أسفل يسار الشاشة إلى أن ما يشاهدونه حدث قبل سبع وأربعين دقيقة وأسفل الأرقام ظهر اسم المركبة (سيليستيا (

في كل مرة يواجه جنود الجريء الأولي أعمال عنف، كان رد الفعل يظهر على كوكب الزهرة لقد دمَّرت (أوبا) للتو المئات من الجنود الهجينة. شعر براكس بأنه عالق بين الشعور بالإثارة والرعب.

تشقَّقت الصورة وأُعيد تشكيلها، كما لو أن بعض التداخل يربك المستشعرات. قالت أفاسارالا شيئًا حادًّا لم يتبيَّنه براكس. وبعد ثوانٍ قليلة، توقَّفت الصورة ثم عادت لتُظهر شاشة العرض مركبة رمادية خضراء، وحدَّدت كائنًا بحريًّا يُشبه غرانق الماء. توقَّفت الصورة مرة أخرى، وعندما عادت، تحرَّك الكائن نصف بوصة إلى اليسار، وكان يدور من طرفٍ إلى آخر متدحرجًا. تحدَّثت أفاسارالا مُجدَّدًا. مرت بضع ثوان بسبب التأخُّر في الاتصال، وعادت الشاشة إلى صورتها الأصلية. الآن بعد أن عرف براكس إلى أين ينظر بالضبط، أصبح بإمكانه رؤية النقطة الصغيرة لهذا الكائن وهو يتحرَّك بالقرب من الظلمة. ومن حوله كانت هناك نقاط أخرى متشابهة.

كان الجانب المظلم من كوكب الزهرة ينبض بشكلٍ خافت مثل وميض كوكبي مفاجئ من البرق تحت حُجب الغيوم، ثم توهَّج هذا الجانب.

أضاءت خيوط واسعة يبلغ طولها آلاف الكيلومترات مثل أسلاك عجلة مُضاءة باللون الأبيض، ثم اختفت. تحرَّكت غيوم كوكب الزهرة، مضطربةً من الأسفل. ذكَّر هذا المشهد براكس بالصحوة التي رآها على سطح خزان مياه عندما مرت سمكة أسفل هذا السطح. ارتفع شيءٌ شاسع ومتوهج من الغطاء السحابي. وبدأت تتشكَّل خيوط متقزِّحة اللون تُشبه الأشرطة اللامعة التي تنحرف خلال العواصف الرعدية الهائلة، ثم أخذت تتجمَّع مثل مجسات الأخطبوط، ولكنها كانت متصلة بعقدة مركزية صلبة. بمجرد صعود ذلك الشيء من الغطاء السحابي السميك لكوكب الزهرة، أطلق نفسه بعيدًا عن الشمس، باتجاه مركبة التصوير، لكنه مرّ بها. تبعثَّرت المركبات الأخرى المجاورة، وانطلقت بعيدًا. اشتعلت أشعة الشمس عبر عمودٍ طويل من الغلاف الجوي لكوكب الزهرة؛ مما أدَّى إلى إزاحته وتوهُّجه مثل رقاقات الثلج وشظايا الجليد. حاول

براكس أن يصنع مقياسًا للحجم. بحجم محطة سيريس. بحجم جانيميد. كلا، هذا أكبر. لقد طوى هذا الكائن ذراعيه مخالبه إن أردنا الدقة معًا، متسارعًا بدون أي عمود محرك مرئي في الأفق. وبدأ يسبح في الفراغ. كان قلب براكس ينتفض، بينما ما يزال جسده ثابتًا كالحجر.

ربّتت مي على خده بكفها المفتوحة، وأشارت إلى الشاشة.

- "ما هذا يا أبي؟"

خاتمة

أعاد هولدن تشغيل الفيديو مرة أخرى. كانت الشاشة المُعلّقة على الحائط في مطبخ (روسينانت) صغيرةً جدًّا بحيث لا يمكنها عرض جميع تفاصيل الصور عالية الدقة التي التقطها مركبة (سيليستينا). لكن لم يستطع هولدن التوقُّف عن مشاهدة الفيديو في جميع المقصورات التي دخلها. على الطاولة، بجانب الشطيرة التي لم يأكلها كان هناك فنجان من القهوة أعدَّه هولدن لنفسه منذ وقتٍ طويلٍ ولم يشربه حتى برد.

يومض كوكب الزهرة بالضوء في نمطٍ مُعقد، بينما يتحرَّك الغطاء السحابي الكثيف كما لو أنه عالقٌ في عاصفة على مستوى الكوكب. ثم صعد ذلك الكائن الغريب من أسفل السطح، وسحب في أعقابه طبقة سميكة من الغلاف الجوي لكوكب الزهرة.

قالت ناعومي: "لنذهب إلى الفراش"، ثم انحنت إلى الأمام على كرسيها، وأخذت بيده. "عليك أن تنال قسطًا من الراحة".

قال هولدن: "إن هذا الكائن كبيرٌ جدًّا. انظري كيف أبعد كل المركبات عن طريقه. وبلا أيّ مجهود، مثل حوتٍ يحتاج إلى سرب من أسماك الجوبي".

تساءلت: "وهل هناك أيّ شيءٍ يمكنك القيام به حيال ذلك؟"

ردّ هولدن وهو يرفع عينيه بعيدًا عن الشاشة لينظر إليها: "إنها النهاية يا ناعومي، ماذا سنفعل لو كانت هذه هي النهاية؟ هذا ليس فيروسًا فضائيًّا بعد الآن. هذا الشيء هو ما أتى الجزيء الأولي هنا ليصنعه. هذا ما سيختطف كل أشكال الحياة على كوكب الأرض، إنه يمكنه أن يفعل كل شيء".

كرَّرت سؤالها: "وهل هناك أيّ شيءٍ يمكنك القيام به حيال ذلك؟" وبالرغم من قسوة كلماتها، فإن صوتها بدا رقيقًا، وكانت تضغط على أصابعه بلطفٍ ومودة.

عاد هولدن للنظر إلى الشاشة، وأعاد تشغيل الفيديو. انطلقت عشرات المركبات بعيدًا عن كوكب الزهرة كما لو أن ريحًا عاتية أرسلتهم يدورون مثل أوراق الشجر. بدأ سطح الغلاف الجوي يتأرجح ويتلوّى.

وقفت ناعومي، وقالت في ضيق: "حسنًا، أنا ذاهبة للنوم، لا توقظني عندما تدخل، أنا منهكة".

أومأ هولدن برأسه دون أن يرفع عينه عن الشاشة. طوى الكائن الهائل نفسه بانسيابية ثم وثب وثبته مثل قطعة قماش مُبلّلة ضُغطت من المنتصف، ثم طارت بعيدًا. بدا كوكب الزهرة الذي تركه الكائن وراءه متحلّلًا إلى حدٍّ ما، كما لو أن شيئًا حيويًّا قد جُرد منه لبناء هذه القطعة الأثرية الغريبة.

هذا هو ما كان، بعد كل هذه المعارك، وبعد أن انقلبت الحضارة البشرية رأسًا على عقب بمجرد وجود ذلك الشيء، كان الجزيء الأولي قد أنهى المهمة التي أتى ليقوم بها منذ مليارات السنين. هل يمكن للبشرية أن تنجو من شيء كهذا؟ هل سيعبأ الجزيء الأولي بالوجود البشري بعد أن اكتمل بناؤه العظيم؟

ما أرعب هولدن لم يكن أن هذا يعني نهاية حقبة، ولكن إحساسه بأن ما يحدث مجرد بداية لشيء لم تواجهه البشرية من قبل. مهما كان ما سيحدث بعد ذلك، لم يكن أحدٌ مستعدًّا لمواجهة شيءٍ كهذا.

ملأ الرعب جوانحه.

من خلفه، تنحنح رجلٌ ما.

على مضض، رفع هولدن عينيه بعيدًا عن الصورة المعروضة على الشاشة، واستدار خلفه. وقف الرجل بجانب ثلاجة المطبخ، كما لو كان هناك منذ وقتٍ طويل، يرتدي بدلة رمادية مُجعَّدة، وقبعة منبعجة. حلّقت يراعة زرقاء لامعة على خده، ثم طارت في الهواء بجانبه. لقد لوّح بيده مُبعِدًا إياها عنه كما لو كانت بعوضة. ظهر على وجهه تعبيرٌ يمزج ما بين الأسف والانزعاج.

قال المُحقّق ميلر: "مرحبًا، علينا أن نتحدّث معًا".

شكر وتقدير

ليست عملية كتابة الرواية عملية فردية أبدًا كما قد يبدو للكثيرين، ما كان لهذه الرواية ولا لهذه السلسلة الملحمية أن تخرج للنور لولا العمل الشاق لـ (شاونا مكارثي) و(داني بارور)، فضلًا عن دعم وتفاني (دونج وون سونج) و(آن كلارك) و(أليكس لينسكي) والروائي الفذ (جاك ووماك)، بالإضافة إلى الفريق الرائع في (أوربت). شكرًا أيضًا لـ (كاري) و(كايت) و(إيان) على تعليقاتهم المُثمرة، وكذلك رفاقنا في عصابة (سايكريفر).

ما كان من توفيقٍ في هذه الرواية فالفضل يرجع لهؤلاء جميعًا، وما كان من خطأ فهذا خطؤنا نحن.

نبذة عن المؤلف:

جيمس سـ. أ. كوري هو الاسم المستعار لـ (دانيال إبراهام) كاتب الخيال العلمي والفانتازيا، و(تاي فرانك) مُساعد الكاتب (جورج ر. ر. مارين). وكلاهما يعيشان في (البوكريك) بـ(نيو مكسيكو).

اكتشف المزيد حول هذه السلسلة على:

www.the-expanse.com

سلسلة المتسع

١- صحوة لوياثان.

٢- حرب كاليبان.

٣- بوابة أبادون.

٤- احتراق سيبولا.

٥- ألعاب الأعداء.

٦- رماد بابل.

٧- نهضة برسبوليس.

٨- غضب تيامات.

٩- انهيار لوياثان.

